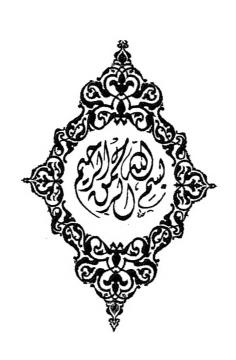


« إِنَّ شِيَانِعَكَ هُوَالْأَبُّ رُّ.»

تأليف

للركنورس يربع رسين الفقا في

الجحلد الثاني الناشر دار العفاني





مَرِّدُ الْمُ الْمُرَّدُّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَّدِّةُ الْمُرَادِّةُ مُولِلاً الْمُرَّدِّةُ الْمُرَادِةُ مُولِلاً الْمُرَّدِّةُ الْمُرْدُةُ الْمُرْدُودُ الْمُرْدُ الْمُرْدُودُ الْمُرْدُودُ الْمُرْدُودُ الْمُرْدُودُ الْمُرْدُودُ الْ

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

رقم الإيداع ٢٠٠٦/٢٢٩١

دار العفاني

٣درب الأتراك خلف الجامع الأزهر ـ القاهرة ت/٠٢/٥١٠٨٢٥٧ ــ ت/١٢/٥٧٢٥٧١

فرع بني سويف ـ برج الري ـ حي الرمد ـ بجوار مجمع المحاكم ـ بني سويف ت/٨٢/٢٣١ ٢٣٤٤٤



وَمِيضُ البَرْق في ذكر شانئي سيد الخَلْق

* هشامُ بنُ الحَكَم الرَّافضي، يُجوِّزُ المعصية على النبي ﷺ ، ولا يُجوِّزُها على الأئمَّة:

شيخُ الهشاميَّة من الرافضة . . ضَمَّ إلىٰ حَيْرته في الإمامة ، ضلالتَه في التجسيم، وبدعتَه في التشبيه .

المعلى الأنبياء العصيان، مع قوله بعصمة الأئمة من الذنوب، وزَعم أن نبيّه على الأنبياء العصيان، مع قوله بعصمة الأئمة من الذنوب، وزَعم أن نبيّه عَصَى ربّه عز وجل في أخذه الفداء من أسارى بدر، غير أن اللّه عز وجل عفا عنه، وتأوّل على ذلك قول اللّه تعالى: ﴿لَيغْفُر لَكَ اللّهُ مَا تَقَدُّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخُر ﴾ [الفتح: ٢]، وفَرَّق في ذلك بين النبي والإمام: بأن النبي إذا عصى أتاه الوحي بالتنبيه على خطاياه، والإمام لا يَنزلُ عليه الوحي، فوجب أن يكون معصومًا عن المعصية. وكان هشامٌ على مذهب الإمامية في الإمامة، وأكفره سائرُ الإمامية بإجازته المعصية على الأنباء »(١).

□ «وذكر هشامُ بنُ الحكم أن معبودَه ذو حدٍ ونهاية، وأنه طويلٌ، عريضٌ، عميقٌ، وأن طولَه مثلُ عرضه، وعرضه مثلُ عمقه. وزعم أيضًا أنه نورٌ ساطعٌ يتلألأ كالسبيكة الصافية من الفضَّة، وكاللؤلؤة المستديرة من (١٠٢/١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٦٨)، وانظر «مقالات الإسلامين» للأشعري (٢١٠١،١٠٤)، ما بعدها.

جميع جوانبها، وزعم أيضًا أنه: ذو لَون، وطعم، ورائحة، ومجَسَّة، وأن لونه هو طَعمُه، وطعمَه هو رائحتُه، ورائحتَه هي مجسَّتُه، ولم يُثبت لونًا وطعْمًا هما غيرُ نفسه، بل زعم أنه هو اللونُ وهو الطَّعْم.

وذَكر أبو الهُذَيْل العَلاَّف - شيخ المعتزلة - في بعض كُتبه: «أنه لَقي هشام بنَ الحكم في مَكَّة عند جبل «أبي قُبيْس»، فسأله: أيهما أكبرُ: معبودُه أم هذا الجبل؟ قال: فأشار إلى أن الجبل يُوفي عليه تعالى، وأن الجبل أعظمُ منه».

وذكر أبو عيسى الورَّاقُ في كتابه: أن بعض أصحابِ هشام أجابه إلى أن اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ مماسٌ لعرْشه، لا يفضل عن العرْش، ولا يفضل العرشُ عنه.

وقد رُوي أن هشامًا ـ مع ضلالته في التوحيد ـ ضلَّ في صفاتِ اللَّه أيضًا؛ فأحالَ القولَ بأن اللَّه لم يَزَل عَالِمًا بالأشياء »(١) .

* أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ سَيَّارٍ «النَّظَّام» شيخ المعتزلة:

هو أبو إسحاق، إبراهيم بنُ سَيَّار، المعروف بـ «النظَّام»، وهو ابنُ أخت أبي الهُذَيل العَلاَّف (٢)، ومنه أُخذ الاعتزال. وقيل له «النَّظَّام»؛ لأنه كَانَ يَنظِمُ الخَرَزَ في سُوق البصرة.

اطَّلَع على كثيرٍ من كتب الفلاسفة الطبيعيِّين والإلهيِّين إلى أن ذهب المذهبَ الذي أنكره عليه المسلمون.

⁽۱) «الفرق بين الفرق» (ص٦٥، ٦٦، ٦٧).

⁽٢) يُنظر في «عصمة الأنبياء» كتابي الآتي «الكوكب الدريّ في خصائص النبي».

□ قال عبدُالقاهر البغدادي في «الفَرق بين الفرق»: «وكان في زمان شبابه قد عاشر قومًا من «الشَّويَّة»، وقومًا من «السُّمنية» القائلين بتكافؤ الأدلَّة، وخالَط بعد كبره قومًا من مُلْحِدة الفلاسفة، ثم خالَط هشام بن الحكم الرافضيَّ، فأخذ عن هشام وعن مُلحدة الفلاسفة قوله بإبطال الجزء الذي لا يتجزَّأ، ثم بنى عليه قولَه بالطَّفْرة التي لم يَسْبِق إليها وَهْمُ أحد قبله. ودوَّن مذاهب الثنوية، وبِدَع الفلاسفة، وشبه الملحدة في دين الإسلام، وأعْجب بقول البراهمة بإبطال النُّبُوَّات، ولم يَجْسَرْ على إظهار هذا القول خَوْفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نَظْمه، وأنكر ما رُوي هذا القول خَوْفًا من السيف، فأنكر إعجاز القرآن في نَظْمه، وأنكر ما رُوي من معجزات نبينًا ﷺ على يده، ونبوع من معجزات نبينًا ﷺ الى إنكار نُبُوَّته.

ثم إنه استثقل أحكام شريعة الإسلام في فروعها، ولم يجْسَرُ على إظهار دفعها، فأبطل الطُّرُق الدَّالة عليها، فأنكر لأجل ذلك حُجَّة «الإجماع» وحُجَّة «القياس» في الفروع الشرعية، وأنْكر الحُجَّة من الأخبار التي لا تُوجبُ العلم الضروريّ، ثم إنه عَلم إجماع الصحابة على الاجتهاد في الفروع الشرعية، فذكرهم بما يقرؤه غدًا في صحيفة مخازيه، وطعن في في الفروع الشرعية، فذكرهم بما يقرؤه غدًا في صحيفة مخازيه، وطعن في فتاوئ أعلام الصحابة وعَيْنُ .

وجميعُ فرَقِ الأمة - من فريقي الرأي والحديث، مع الخوارج، والشيعة، والنجَّارية، وأكثرِ المعتزلة - متَّفقون على تكفير النظَّام، وإنما تَبِعه في ضلالته شرِذمةٌ من القَدريَّة - كالأسواري، وابن خابط، وفضل الحدثي، والجاحظ -، ومع مخالفة كلِّ واحدٍ منهم له في بعضِ ضلالاته وزيادة بعضهم عليه فيها.

وإعجابُ هؤلاء النَّفرِ اليسير به كإعجابِ الجُعَل بِدُحْرُوجته . وقد قال بتكفيره أكثرُ شيوخِ المعتزلة، منهم أبو الهذيل، والجُبَّائي، والإسكافي، وجعفرُ بن حرب .

وأما كُتب أهل السُّنة والجماعة في تكفيره، فاللَّه يُحصيها، ولشيخنا أبي الحسن الأشعري ـ رحمه اللَّه ـ في تكفير النَّظَّام ثلاثة كتب، وللقلانسي عليه كتب ورسائل.

وللقاضي أبي بكر محمد بنِ الطيِّب الأشعريِّ - رحمه اللَّه - كتابٌ كبير في نقضِ أصول النَّظَّام»(١) .

و فضائحُه كثيرةٌ كثيرة . . فَضَحه اللَّهُ في الدنيا بها قبل الآخرة .

□ فمن فضائحه: «قوله بأن أفعال الحيوان كلّها من جنس واحد، وهي كلّها حركةٌ وسكون، والسكونُ عنده حركةُ اعتماد، والعلومُ والإرادات عنده من جُملة الحركات وهي «الأعراضُ» -، والأعراضُ كلّها عنده جنسٌ واحد، وهي كلّها حركات، فأمّا الألوانُ والطعومُ والأصواتُ والخواطر، فهن عنده أجسامٌ مختلفةٌ ومتداخلة، ونتيجةُ قوله «بأن أفعال الحيوان جنسٌ واحد» توجبُ عليه أنْ يكون الإيمانُ مثل الكفر، والعِلمُ مثل الجهل، والحبُّ مثل البغض، وأن يكون فعلُ النبي الله بالمؤمنين مثل فعل إبليس مثل البغض، وأن تكون دعوةُ النبي الله إلى دينِ اللّه تعالى مثل دعوة إبليس بالكافرين، وأن تكون دعوةُ النبي الله إلى دينِ اللّه تعالى مثل دعوة إبليس واحد، وإن هذه الأفعال كلّها جنسٌ واحد، وإنا الختلف أحكامها، وهي في الجنس واحد؛ لأنها وإنما اختلفت أسماؤها لاختلاف أحكامها، وهي في الجنس واحد؛ لأنها

⁽١) «الفرق بين الفرق» (ص١٣١ ـ ١٣٣) بتصرف بسيط.

كلُّها أفعالُ الحيوانات».

ولا يَفعلُ الحيوانُ عنده فِعلَينِ مختلفين، كما لا يكونُ من النار تبريدٌ وتسخين.

ويلزمُه على هذا الأصل أن لا يغضب على من شتمه ولَعنه؛ لأنَّ قولَ القائل: «لعن اللَّه النَّظَام» عند النظام مثلُ قوله: «رَحِمه اللَّه»، وقوله: «إنه ولدُ زنى» كقوله: «إنه ولد حكال»، فإنْ رَضِيَ لنفسه بمثل هذا المذهب، فهو أهلٌ له ولما يلزمُه عليه»(١).

□ ومن فضائحه: «وهي التي تكادُ السماواتُ يتفطَّرن منه، وهي دَعْوَاه أنه لا يُعْلَم ـ بإخبارِ اللَّه عز وجل ولا بإخبارِ رسوله ﷺ، ولا بإخبارِ ألله عن وجل ولا بإخبارِ رسوله ﷺ، ولا بإخبارِ أهل دينه ـ شيءٌ على الحقيقة، ودعواه أن الأجسام والألوان لا يُعلمانِ بالأخبار.

والذي ألجأه إلى هذا القول الشنيع قولُه بأن المعلومات ضربان: «محسوس، وغير محسوس»، والمحسوس منها أجسام، ولا يصح العلم بها إلا من جِهة الحسر، والحس عنده لا يقع إلا على جسم، واللون والطعم والرائحة والصوت عنده أجسام.

قال: «ولهذا أدركتُ بالحواس».

وأما غيرُ المحسوس فضربان: قديم، وعَرَض، وليس طريقُ العلم بهما الخبر، وإنما يُعْلَمان بالقياس والنظر، دون الحسِّ والخبر.

فقيل له على هذا الأصل: «كيف عرفت أن محمدًا عليه كان في

⁽١) «الفرق بين الفرق» (ص١٣٨).

الدنيا، وكذلك سائرُ الأنبياء والملوك، إن كانتِ الأخبارُ عندك لا يُعلم بها شيء؟».

فقال: «إن الذين شاهدُوا النبي وَيَكِيْدُ اقتطعوا منه حين رأوه قطعة توزَّعُوها بينهم، ووصَلُوها بأرواحهم، فلما أخبروا التابعين عن وجوده خرج منهم بعض تلك القطعة، فاتصل بأرواح التابعين، ففرَّقُه التابعون لاتصال أرواحهم ببعضه، وهكذا قصّهُ الناقلون عن التابعين ومَن نقلوا عنهم إلى أن وصل إلينا».

فقيل: «قد عَلِمَتِ اليهودُ والنصاريٰ والمجوس والزنادقة أن نبينًا الطَّيُّا اللَّهِ اللَّهُ اللَّاللَّاللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّاللَّالِمُ اللَّهُ الللللَّا اللللَّهُ اللَّهُ اللّل

فالتَزَم ذلك، فألزم أن يكون أهلُ الجنة إذا اطلَعُوا على أهل النار وراهم أهلُ النار أو خاطَبَ كلُّ واحد من الفريقين الفريق الآخر أن تنفصل قطعةٌ من أرواح كلِّ واحد منهم فتتصل بأرواح الفريق الآخر، فيدخل الجنة قطع كثيرةٌ من أبدان أهل النار وأرواحهم، ويدخُل النار قطعٌ كثيرةٌ من أبدان أهل البار وكفاه بالتزام هذه البدعة خزيًا»(١) .

ي ومن فضائحه: قوله: «إن نَظْمَ القرآن وحُسْنَ تأليف كلماته ليس بعجزة للنبي عَلَيْكُ ، ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ، وإنما وَجْهُ الدلالة منه على صدقه ما فيه من الإخبار عن الغيوب، فأما نَظمُ القرآن وحسن تأليف آياته ، فإنَّ العباد قادرون على مثله ، وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف ».

⁽۱) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٠ ـ ١٤١).

* وفي هذا عِنَاد منه لقول اللّه تعالى: ﴿ قُل لَئِنِ اجْتَمَعَت الإِنسُ وَالْجِنُ عَلَىٰ أَن يَاْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ عَلَىٰ أَن يَاْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨]، ولم يكن غَرضُ منكرِ إعجازِ القرآن إلاّ إنكار نبوّةٍ مَن تحدّيٰ العربَ بأن يعارضوه بمثله»(١).

□ ومن فضائحه: «قوله: بأن الخبر المتواتر - مع خروج ناقليه عند سامع الخبر عن الحصر، ومع اختلاف هم الناقلين واختلاف دواعيها - يجوزُ أن يقع كذبًا، هذا مع قوله: بأن من أخبار الآحاد ما يُوجِبُ العلم الضروريّ. وقد كَفَره أصحابنا مع موافقيه في الاعتزال في هذا المذهب الذي صار إليه».

□ ومن فضائحه: «تجويزُه إجماعَ الأمةِ في كلِّ عصرٍ وفي جميع الأعصارِ على الخطأ من جهة الرأي والاستدلال.

ويلزمُه على هذا الأصلِ أنْ لا يثق بشيء مما اجتمعت الأمةُ عليه؛ لجوازِ خطئهم فيه عنده، وإذا كانت أحكامُ الشريعةِ منها ما أخذه المسلمون عن خبرِ متواتر، ومنها ما أخذوه عن أخبارِ الآحاد، ومنها ما أجمعوا عليه وأخذوه عن اجتهادٍ وقياس، وكان النَّظَّامُ دافعًا لحُجَّةِ التواتر، ولحُجَّة الإجماع، وقد أبطل القياس وخبر الواحد إذا لم يُوجَد العلمُ الضروريُ، فكأنه أراد إبطال أحكام فروع الشريعة لإبطاله طُرُقَهَا»(١).

□ ومن فضائحه: «قوله في الإيمان: «إنه اجتنابُ الكبيرة فحسب».

⁽١) المصدر السابق (ص١٤٣).

⁽٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٣ ـ ١٤٤).

ونتيجة هذا القول أن الأقوال والأفعال ليس شيءٌ منها إيمانًا، والصلاة عنده وأفعالُها ليست بإيمانٍ، ولا مِن الإيمان، وإنما الإيمانُ فيها تَركُ الكبائرِ فيها»(١).

ومن فضائحه: «قوله في باب المعاد بأن العقارب والحيّات والخنافس والذباب والغربان والجُعْلان والكلاب والخنازير ـ وسائر السّباع والحشرات ـ تُحْشَر إلى الجنة ، وزَعَم أن كلّ مَن تفضّل اللّه عليه بالجنّة لا يكونُ لبعضهم على بعض درجة في التفضيل ، وزعم أنه ليس لإبراهيم ابن رسول اللّه على الجنة تفضيل درجة على درجات أطفال المؤمنين ، ولا لأطفال المؤمنين فيها تفضيل بدرجة أو نعمة أو مرتبة على الحيّات والعقارب والخنافس؛ لأنه لا عَملَ لهم كما لا عَملَ لها . فحجر على ربّ العالمين أن يتفضّل على أولاد الأنبياء بزيادة نعمة لا يتفضّل بمثلها على الحشرات ، ثم لم يَرْضَ بهذا الحَجْرِ حتى زَعَم أنه [سبحانه] لا يقدرُ على ذلك .

وزعم أيضًا أنه لا يتفضَّلُ على الأنبياءِ عليهم السلام إلاَّ بمثلِ ما يتفضَّلُ به على البهائم؛ لأن باب الفضل عنده لا يختلفُ فيه العالمون وغيرهم، وإنما يختلفون في الثواب والجزاء لاختلاف مراتبهم في الأعمال.

وينبغي للنظَّام على هذا الأصل أن لا يغضب على من قال له: «حَشَرك اللَّه مع الكلاب والخنازير والحيَّات والعقارب إلى مأواها».. ونحن ندعو له بهذا الدعاء الذي رَضِي به لنفسه (۲) .

⁽١) المصدر السابق (ص١٤٤).

⁽٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٥).

الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد، فذكر الجاحظ عنه في كتاب «المعارف» وفي كتابه المعروف به «الفتيا» أنه عاب أصحاب الحديث ورواياتهم أحاديث أبي هريرة والله وزعم أن أبا هريرة كان أكْذَب الناس، وطَعَن في الفاروق عمر والله ، وزعم أنه شك يوم الحُديبية في دينه، وشك يوم وفاة النبي وانه كان فيمن نفر بالنبي والله العقبة، وأنه ضرب فاطمة، ومنع ميراث العترة، وأنكر عليه تغريب نصر بن الحجاج من المدينة وحرم نكاح الموالي للعربيات.

وعاب عثمان وظي بإيوائه الحكم بن العاص إلى المدينة واستعماله الوليد بن عُقْبة على الكوفة حتى صلى بالناس وهو سكران.

وعابه بأن أعان سعيد بن العاص بأربعين ألف درهم على نكاح عَقَده، وزعم أنه استأثر بالحمي .

ثم ذكر عليًّا وظيني، وزعم أنه سُئِل عن بَقرةٍ قَتلت حمارًا، فقال: «أقول فيها برأيي»، ثم قال بجهله: «مَنْ هُو حتىٰ يَقضَى برأيه؟».

وعاب ابنَ مسعود وظي في قوله في حديث تزويج بِرُوع بنتِ واشق: «أقول فيها برأيي، فإن كان حطأ فمني».

وكذَّبه في روايته عن النبي النَّهِ أنه قال: «السعيدُ مَنْ سَعِد في بطن أمه، والشَّقِيُّ مَن شَقيَ في بطن أمه».

وكذَّبه أيضًا في روايته انشقاقَ القمر، وفي رُوْية الجنِّ ليلة الجن.

* فهذا قولُه في أخيار الصحابة وفي أهل بَيْعَة الرضوان الذين أنزل اللّه تعالى فيهم: ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلَمْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]. ومَنْ غَضِب على من وَاللّه فهو المغضوبُ عليه دونه.

ثم إنه قال في كتابه: «إن الذين حكموا بالرأي من الصحابة إمَّا أن يكونوا قد ظَنُّوا أن ذلك جائزٌ لهم، وجَهلوا تحريم الحكم بالرأي في الفتيا عليهم. . وإما أنهم أرادوا أن يُذْكَرُوا بالخلاف وأن يكونوا رؤساء في المذاهب، فاختاروا لذلك القول بالرأي».

فنسبهم إلى إيثار الهوى على الدين، وما للصحابة وعنه عند هذا اللحد الفري (١٠) ذنب غير أنهم كانوا موحدين لا يقولون بكفر القدرية الذين ادَّعَوْا مع اللّه تعالى خالِقِينَ كثيرين.

وإنما أنكر على ابن مسعود روايته: «إن السعيد مَن سَعد في بطن أُمِّه، والشَّقيَّ مَن شَقِيَ في بطنِ أُمه» والشَّقيَّ مَن شَقِيَ في بطنِ أمه»؛ لأن هذا خلافُ قول القَدريَّةِ في دعواها في السعادة والشقاوة، ليستأمن قضاءَ اللَّه ـ عز وجل ـ وقَدَرَه.

وأما إنكارُه انشقاقَ القمر، فإنما كره منه ثبوتَ معجزة لنبينا ﷺ، كما أنكر معجزته في نظم القرآن، فإن كان أحال انشقاقَ القمر - مع ذكر اللَّه عز وجل ذلك في القرآن مع قوله من طريق العقل -، فقد زَعَم أن جامع أجزاء القمر لا يُقْدَرُ على تفريقها، وإن أجاز انشقاقَ القمر في القُدْرة والإمكان، فما الذي أوجب كذب ابن مسعود في روايته انشقاقَ القمر مع ذكر اللَّه - عز

⁽١) تقول: هذا رجل فَرِيٌّ- بوزن غنيٌّ- تريد أنه يفتري الكذب ويختلقه.

وجل ـ ذلك في القرآن في قوله: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَ الْقَمَرُ ﴿ وَإِن وَإِن السَّاعَةُ وَانشَقَ الْقَمَرُ ﴿ وَإِن يَرُوا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمرٌ ﴾ [القمر: ١ - ٢]؟! فقول النظّام بأن انشقاق القمر لم يكن أصلاً، شرٌ من قول المشركين الذين قالوا لما رأوا انشقاقه: ﴿ إِن ذلك واقعٌ بسِحْر ﴾ ، ومنكر وجود المعجزة شرٌ ممن تأوّلَهَا على غير وجهها.

وأما إنكارُه رؤية الجنِّ أصلاً، فيلزمه أن لا يرى بعضُ الجنِّ بعضًا، وإن أجاز رؤيتَهم، فما الذي أوجب تكذيب ابنِ مسعود في دعواه رؤيتَهم؟.

ثم إن النظّام - مع ما حكيناه من ضلالاته - كان أفْسَقَ خلقِ اللّه - عز وجل -، وأجْراًهم على الذنوب العظام، وعلى إدْمان شرب المُسكر، وقد ذكر عبدُاللّه بن مُسْلم بن قتيبة - رحمه اللّه - في كتاب «مختلف الحديث» أن النظّام كان يغدو على مسكر، ويروحُ على مسكر، وأنشد قوله في الخمر: ما زلتُ آخُذُ رُوحَ الزِّقِ في لُطف وأسْتَ بيحُ دَمًا مِنْ غَيْرِ مَذْبُوحِ مَا نَتُشَيْتُ وَلِي رُوحَ الزِّقِ في بَدَن والنزِّق مُطَّرِح مُ بِلا رُوحِ عَلَى مَسكر، والنزِّق مُطَّرِح مَنْ بَلا رُوحِ مَنْ النَّشَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي بَدَن والنزِّق مُطَّرِح مَنْ مَنْ بَلا رُوحِ

ومَثَلُه في طعنه على أخيار الصحابة - مع بدعته في أقواله وضلالته في أفعاله -، كما قيل في الأمثال السائرة: «إن مَنْ كان في دينه ذَميمًا، وفي أصله لئيمًا، لم يترك لنفسه عارًا يُتَهمُ به إلاَّ نَحلَه كريمًا، واستباح به حريمًا»، وهل يَضرُّ السحابَ نُبَاحُ الكلاب؟ وكما لا يضرُّ السحابَ نباحُ الكلاب، كذلك لا يضرُّ الأبرار ذمُّ الأشرار، وما مثله في طعنه على أخيار الصحابة - مع بدعته وضلالته - إلاَّ كما قال حسان بن ثابت:

مَا أُبِالِي أَنَبَّ بِالْحِرِنِ تَيْسِ " أَمْ لَحَانِي بِظَهْرِ غَيْبِ لَئِيمُ

أَمْ بُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَعَ الْبَحْرَانِ»(١)

🛭 وقال غيرهُ(١):

مَا ضَـر َّ تَغْلِبَ وَأَئـلِ أَهَجَو تُهَا

۩ وصَدَق:

هل يَضُرُّ البحرر أمسى زاخراً أنْ رَمَسى فيسه غلامٌ بحجر الله من أنكر المعجزات، وطعن في الصحابة الأبرار.

* أبو هاشم الجُبَّائي:

هو أبو هاشم، عبدُالسلام بنُ محمد بنِ عبدالوهاب، الجُبَّائي شيخُ المعتزلة «البهشميَّة»، ويُقال لهم «الذَّمِّية» لقولهم باستحقاق الذَّمِّ لا على فعل، وقد شاركوا المعتزلة في أكثرِ ضلالاتها، وانفردوا عنهم بفضائح لم يُسبَقُوا إليها.

وقد كفَّره سائرُ المعتزله لمواضعَ ثلاثةٍ عنده:

أحدها: قِولُه باستحقاق الذمِّ والعقاب لا على فعل.

والثاني: استحقائقُ قِسْطيْنِ من العذاب إذا تغيَّر تغيُّرًا قبيحًا، أحدهما: للقبيح الذي فعله، والثاني: لأنه لم يَفعل الحسن الذي أُمرِ به.

والثالث: قوله: إنه لو تغيَّر تغيُّرًا حَسنًا وأطاع بمثلِ طاعة الأنبياء عليهم السلام، ولم يفعل شيئًا واحدًا ممَّا أمره اللَّهُ تعالى به ولا ضِدَّه، لاستحقَّ الخلود في النار (٣).

⁽١) هو الفرزدق.

⁽٢) «الفرق بين الفرق» (ص١٤٧ ـ ١٥٠).

⁽٣) انظر «الفرق بين الفرق» (ص١٨٥، ١٨٧).

■ قال ابن حزم: «وكان أبو هاشم أيضًا يقول: إنه لو طال عُمُرُ المسلم المحسنِ، لَجازِ أَن يَعملَ من الحسناتِ والخيرِ أكثرَ مَّا عَملِ النبيُّ عَلَيْكُورٍ.

◘ قال أبو محمد: لا واللَّه ولا كرامة، ولو عُمِّر أحدُنا الدهرَ كلَّه في طاعات متَّصلة ما وازى عمل امرئ صحب رسول اللَّه عَلَيْاتُ من غير المنافقين والكافرين المجاهرين ـ ساعةً فما فوقها، مع قوله عَلَيْدُ: «إنه لو كان لأحدنا مثلُ أُحُد ذهبًا فأنفَقَه، ما بَلَغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفه "(١) . . فمتى يطمعُ ذو عقل أن يُدرِك أحدًا من الصحابة مع هذا البون الممتنع إدراكُه قطعًا؟ ١٠٠٠ .

ولقد كفَّره أبو محمد بن حزم في «الفصل» (٣) .

□ قال عبدالقاهر البغدادي: «وكان أبو هاشم ـ مع إفراطه في الوعيد ـ أَفْسَقَ أَهِل زَمَانِهِ، وَكَانَ مُصرًّا عَلَىٰ شُرِبِ الْخَمْرِ، وقيل: إنه مات في سُكْرِه، حتى قال فيه بعض المُرْجِئة:

يَرَى بعضَ الرَّجاء من الجَرائــرْ

يَعيبُ القولَ بالإرْجَاء حَتَّى وأعظمُ من ذَوي الإرجاء جُرْمًا وعيديٌّ أَصَرَّ على الكبائير (١) * ثُمامةُ بنُ الأشرس النُّميريُّ المعتزليُّ القَدَريُّ:

◘ هو أبو معن - ويُقال أبو بشر - ، ثمامةُ بنُ الأشرس النُّميريُّ، من

⁽١) قال رسول اللَّه ﷺ: «لا تسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أُحُد ذهَبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه». رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن أبي

⁽٢) «الفصل في الملل والنحل» (٥/ ٦٨ ، ٦٩).

⁽٣) «الفصل» (٥/ ٦٨).

⁽٤) «الفرق بين الفِرَق» (ص١٩١).

مواليهم، وهو شيخُ «الثماميَّة»، «وكان زعيمَ القدرية في زمانِ المأمون والمعتصم والواثق، وقيل: إنه هو الذي أَغْوَىٰ المأمونَ بأَنْ دعاه إلىٰ الاعتزال.

◘ وانفرد عن سائرِ أسلاف المعتزلة ببدعتين أكْفَرَتْه الأُمةُ كلُّها فيهما:

إحداهما: أنه ـ لَمَّا شاركه أصحابُ المعارف في دعواهم أن المعارف ضروريةٌ ـ زعم أن من لم يضطرَّه اللَّهُ إلى معرفته لم يكن مأموراً بالمعرفة ولا منهيًّا عن الكفر، وكان مخلوقًا للسُّخْرة والاعتبارِ فحسب، كسائر الحيوانات التي ليست بمكلَّفة.

وزَعم لأجلِ ذلك أن عَوَامَّ الدهريةِ والنصارىٰ والزنادقة يَصيرون في الآخرة ترابًا .

وزعم أن الآخرة إنما هي دارُ ثوابٍ أو عقابٍ، وليس فيها لمن مات طفلاً ولا لَمِن لا يعرفُ اللَّهَ تعالى بالضرورة طاعة يستحقون بها ثوابًا، ولا معصية يستحقون عليها عقابًا؛ فيصيرون حينئذ ترابًا؛ إذ لم يكن لهم حظ في ثوابٍ ولا عقاب.

والبدعة الثانية من بدع ثُمَامة: قولُه بأن الأفعالَ المتولِّدةَ أفعالٌ لا فاعلَ لها . وهذه الضلالةُ تجرُّ إلى إنكارِ صانع العالَم؛ لأنه لوصحَّ وجودُ فعل بلا فاعل ، لفاعل ، لصحَّ وجودُ كلِّ فعل بلا فاعل ، ولم يكن حينئذ في الأفعال دلالةٌ على فاعلها ، ولا كان في حدوث العالَم دلالةٌ على صانعه ، كما لو أجاز إنسانٌ وجود كتابة لا من كاتب ، ووجود مبني أو منسوخ لا من بان أو ناسخ . ويقال له: إذا كان كلامُ الإنسان عندك متولِّداً ولا فاعل له عندك ، فلم

تَلُومُ الإِنسانَ على كَذِبِه وعلى كَلِمةِ الكفر؟ وهو عندك غيرُ فاعلٍ للكذب ولا لكلمة الكفر؟.

ومن فضائح ثمامة أيضًا: أنه كان يقولُ في دارِ الإسلام: "إنها دارُ شرك"، وكان يُحرِّمُ السَّبِي؛ لأنَّ المسبِيَّ عنده ما عَصَىٰ ربَّه إذ لم يعرِفْه، وإنما العاصي عنده من عَرَف ربَّه بالضرورة ثم جَحَده أو عصاه.

وفي هذا إقرارٌ منه على نفسه بأنه ولدُ زنّى؛ لأنه كان من الموالي، وكانت أمُّه مسبيَّةً، ووَطءُ مَن لا يجوزُ سبيُها على حُكم السبي الحرام زنّى، والمولودُ منه ولدُ زنى . . فبدعةُ ثمامةَ على هذا التقديرِ لائقةٌ بنَسَبه .

□ وقد حكى أصحابُ التواريخ عن سخافة ثمامة ومُجونه أمورًا عجيبة:

منها: ما ذكره عبدُاللَّه بن مسلم بن قتيبة في كتاب «مختلف الحديث»، ذَكر فيه أن ثمامة بن أشرس رأى الناس يوم جُمعة يتعادوْن إلى السجد الجامع لِخَوفهم فَوْت الصلاة، فقال لرفيق له: «انظر إلى هؤلاء الحَمير والبقر!»، ثم قال: «ماذا صنع ذاك العربيُّ بالناس؟».. يعني: رسول اللَّه عَلَيْهُ (۱).

□ «وذكر الجاحظُ أيضًا أن غلامَ ثُمَامةَ قال يومًا لثمامة: «قُمْ صَلِّ»، فتافل، فقال له: «قد ضاق الوقت، فقمُ وصَلِّ واسترح»، فقال: «أنا مستريحٌ إِن تركتني».

وذكر صاحب «تاريخ المراوزة» أن ثمامة بن أشرس سَعى إلى الواثق بأحمد بن نصر المروزي ، وذكر له أنه يُكفِّر من يُنكر رؤية اللَّه تعالى ، ومَن (١) «الفرق بين الفرق» (ص١٧٢ ـ ١٧٣).



يقول بخَلْقِ القرآن، فاعتصَمَ المعتصِمُ ببدعةِ القدريَّة فقتله (١) ، ثم نَدمَ على قتله، وعاتَبَ ثمامة، وابنَ أبي دُواد، وابنَ الزيَّات في ذلك، وكانوا أشاروا عليه بقتله.

□ فقال له ابنُ الزيَّات: «وإن لم يكن قتلُه صوابًا، فقَتَلني اللَّهُ بين الماء والنار».

□ وقال ابن أبي دُوَّاد: «حَبَسني اللَّه في جِلْدِي إن لم يكن قتلُه صَوابًا».

□ وقال ثمامة: «سَلَّط اللَّهُ تعالىٰ عَلَيَّ السيوفَ إن لم تكن أنت مصيبًا في قتله».

فاستجاب اللَّه تعالى دعاء كلِّ واحدٍ منهم في نفسه:

أمًّا ابنُ الزيَّات، فإنه دخل في الحمَّام وسَقَط في أَتُونه، فمات بين الماء النار(٢٠) .

وأمَّا ابنُ أبي دُواد، فإن المتوكِّلَ ـ رحمه اللَّه ـ حَبَسه، فأصابه في حبسه الفالجُ، فبَقِيَ في أب الفالج الي أن مات.

وأما ثمامةً، فإنه خرج إلى مكة، فرآه الخزاعيُّون بين الصفا والمروة، فنادى رجلٌ منهم فقال: «يا آل خُزاعة، هذا الذي سَعى بصاحبكم أحمد بن نصر، وسعى في دَمه». فاجتمع عليه بنو خزاعة بسيوفهم حتى قتلوه، ثم أخرجوا جيفته من الحَرَم فأكلته السِّباعُ خارجًا من الحرم، فكان كما قال اللَّه

⁽١) أي: قَتَلَ المَرْوَزِيَّ.

⁽٢) في «العبر» (١/ ٤١٤): «قبض عليه المتوكل وعذَّبه وسجنه حتى هلك في سنة ٢٣٣.

تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقَبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٩]».

* يَزيدُ بنُ أبي أُنيسةَ الخارجيُّ، زعيم اليَزيديَّة من الخوارج:

□ في «الملل والنحل» وفي «مقالات الإسلاميين»، وفي «أصول الدين» لعبدالقاهر البغدادي: «يزيدُ بن أُنيْسَة»، وفي «الفَرق بين الفرق»: «يزيد بن أبي أُنيسَة الخارجيُّ»، وتُنسَب إليه «اليزيديَّة» من الخوارج الخارجة عن فِرَق الإسلام، "وكان من البصرة، ثم انتقل إلى "جُورً" من أرض فارس، وكان على رأي الإِباضيَّة من الخوارج، ثم إنه خرج عن قول جميع الأمة؛ لدعواه أن اللَّه عز وجلَّ عبعثُ رسولاً من العَجَم، ويُنزل عليه كتابًا من السماء، ويَنسخُ بشَرْعِه شريعةَ محمدٍ ﷺ، وزعم أن أتباعَ ذلك النبيِّ المنتظِّرِ هم الصابئون المذكورون في القرآن، فأما المُسَمُّونَ بالصابئة من أهل واسطَ وحُرَّان، فما هم الصابئون المذكورون في القرآن. وكان ـ مع هذه الضلالة ـ يتولَّىٰ مَنْ شهد لمحمد عَلَيْكُ بالنبوَّة من أهل الكتاب وإن لم يدخلُ في دينه، وسُمَّاهم بذلك مؤمنين، وعلى هذا القول يجبُ أن يكون العيسوية والموشكانية من اليهود مؤمنين؛ لأنهم أقَرُّوا بنبوة محمد الطُّيُّا ۗ ولم يدخلوا في دينه .

وليس بجائز أن يُعَدَّ في فِرَقِ الإسلام مَن يَعُدُّ اليهود من المسلمين، وكيف يُعدُّ من فِرق الإسلام من يقول بنسخ شريعة الإسلام؟!»(١) .

⁽١) «الفرق بين الفرق» (ص٢٧٩ ـ ٢٨٠).

* الميمونيَّة من الخوارج، أتباع ميمونَ بنَ خالد (أوْ ابن عمران):

الله المؤلاء أتباعُ رجلٍ من الخوارج العجاردة، كان اسمُه «ميمونًا»(١) ، وكان على مذهب العجاردة من الخوارج، ثم إنه خالَف العجاردة في الإرادة والقدر والاستطاعة، وقال في هذه الأبواب الثلاثة بقول القَدرية المعتزلة عن الحق، وزعم مع ذلك أن أطفال المشركين في الجنة.

ولو بَقِيَ ميمونُ هذا على هذه البِدَع التي حكيناها عنه ولم يَزدْ عليها ضلالةً سواها لنسبناه إلى الخوارج؛ لقوله بتكفير علي وطلحة والزبير وعائشة وعثمان، وقوله بتكفير أصحاب الذنوب، وإلى القدرية لقوله في باب الإرادة والقدر والاستطاعة بأقوال القدرية فيها.

ولكنه زاد على القدرية وعلى الخوارج، بضلالة اشتقها من دين المجوس، وذلك أنه أباح نكاح بنات الأولاد من الأجداد، وبنات أولاد الإخوة والأخوات، وقال: «إنما ذكر الله تعالى في تحريم النساء بالنسب الأمهات، والبنات، والأخوات، والعمات، والخالات، وبنات الأخ، وبنات الأخوات. ولم يذكر بنات البنات، ولا بنات البنين، ولا بنات أولاد الإخوة، ولا بنات أولاد الإخوات».

فإن طرَّدَ قياسه في أمَّهاتِ الأمهاتِ وأمهاتِ الآباء والأجداد، انمحض في المجوسية، وإن لم يُجِزُ نكاح الجدَّات وقاس الجداتِ على الأمهات لَزِمه قياسُ بناتِ الأولاد على بنات الصلب.

⁽١) سمًّاه في «الملل والنحل»: «ميمون بن خالد» وسماه السفاريني «ميمون بن عمران» وكذلك في خطط المقريزي (٢/ ٣٥٤).

وإن لم يُطَرِّهُ قياسَه في هذا الباب نقض اعتلاله.

وحكى الكرابيسيُّ عن «الميمونيَّة» من الخوارج أنهم أنكروا أن تكون سورةُ «يوسف» من القرآن، ومُنكِرُ بعضِ القرآنِ كمنكرِ كلِّه.

ومَن استحلَّ بعضَ ذواتِ المحارم فهو في حُكم المجوسِ، ولا يكونُ المجوسيُّ معدودًا في فِرَقِ الإِسلام»(١).

وكيف لا يكونُ من شانِئي الرسولِ ﷺ مَن أنكر بعضَ ما نُزِّل إليه من ربِّه؟!.

* بَابَك الْخُرَّمي وأتباعُه «البَابَكيَّة»:

«البابكيَّة» و «مازيَّارية»، كِلتاهُما معروفة ب «اللُحَمَّرَة» وهم من الإباحِيِّن، ظهروا في دولة الإسلام.

فالبابكيَّةُ منهم: أتباع بَابك الخُرَّمِي، وهو رجلٌ فارسيُّ الأصل، دَخل في الإسلام، وتسمَّى «الحسن»، (وفي بعض الأصول: الحسين)، وكان قويَّ النفس، شديد البطش، وصعب المِراس، وحَدَّثته نفسه الخبيثة بأن يسترجع مُلك فارس ودينها.

وللبابكية في جَبَلهم لَيلةُ عيد لهم يجتمعون فيها على الخَمرِ والزَّمْر، وتختلطُ فيها رجالُهم ونساؤهم، فإذا أطْفِئَتْ سُرُجُهم ونِيرَانهم افتَضَّ فيها الرجالُ النساءَ على تقدير «مَن عَزَّ بَزَّ».

والبابكيةُ يَنسِبون أصْلَ دينهم إلى أميرٍ كان لهم في الجاهلية اسمه

⁽۱) «الفرق بين الفرق» (ص٢٨٠ ـ ٢٨١).

"شروين"، ويزعمون أن أباه كان من الزنج، وأمَّه بعضُ بنات ملوك الفرس، ويزعمون أن "شيروين" كان أفضلَ من محمد عَلَيْ ومن سائر الأنبياء، وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين يؤذِّنُ فيها المسلمون، وهم يعلمون أولادَهم القرآن، لكنهم لا يُصلُّون في السرِّ، ولا يصومون في شهر رمضان، ولا يرون جهاد الكفرة.

ظَهَر بابك الخُرَّمِي في جبل «اليدين» من أصل الران بناحية أذربيجان، وكُثُر بها أتباعُه، واستباحوا المحرَّمات، وقتلوا الكثير من المسلمين، وجَهَزَ إليه خلفاء بني العباس جيوشًا كثيرة مع «أفشين» الحاجب، ومحمد بن يوسف الثَّغْرِيِّ، وأبي دُلَف العِجْليِّ وأقرانِهم، وبقيت العساكرُ في وجهه مقدار عشرين سنةً.

ففي سنة ٢١٢هـ جهّز له المأمونُ جيشًا بقيادة «محمد الطُّوسي»، والتقى الجيشانِ في سنة ٢١٤هـ، فَهَزم بابَكُ جيشَ الخليفة، وقُتل محمدُ بن حميد الطوسي.

وفي سنة ٢٢٠ه جَهَّز المعتصمُ جيشًا بقيادةِ «الأفشين»، فالتقىٰ الجيشان، فهزم الأفشينُ جيشَ بابك، وقُتِل من الخُرَّمية - أتباع بابك - نحوُ الألف، ثم هَرَب بابك إلى «موقان».

ثم التقيا مرةً أخرى في سنة ٢٢٢هـ فهزمهم الأفشينُ هزيمةً منكرة، ونجا بابك، فلم يزل الأفشينُ يتحيَّلُ له حتى أَسَره في جبال «أرمينيَّة»، ثم أَخَذه إلى المعتصم.

وفي سنة ٢٢٣ أمر المعتصم بقطع أطرافِه وصَلْبِه في مواضعَ شتَّىٰ هو

وأخوه إسحاقُ بنُ إبراهيم.

■ وقال عبدُ القاهر: «صُلِباب «سُرَّ مَن رأىٰ» في أيام المعتصم».

أما «المَازيَّارية»، فهم أتباعُ «مَازِيَّار بن قارن بن بندار»، و دخل في الإسلام، وتسمَّى «محمداً»، وأظهر بعد ذلك دين «المحمَّرة» بجرجان، وكانت فتنته قد عَظُمت في ناحية جُرجان، وكان يعتقدُ دينَ الثَّنوية والمجوس، وكان يُظهرُ الإسلامَ ويُبطنُ الكُفر، فكتب المعتصمُ إلى عبداللَّه ابن طاهر بن الحسين يأمرُه بحريه في سنة ٢٢٤ه بعد أن أظهر العصيان به «طَبرستان»، فكتب المعتصمُ إلى عبداللَّه بن طاهر بن الحسين يأمره بحريه، فسيَّر إليه عمَّه الحسنَ بنَ الحسين، فكانت له معه حروب يأمره بحربه، فسيَّر إليه عمَّه الحسنَ بنَ الحسين، فكانت له معه حروب كثيرة، وما زال حتى أسرَه، وحمله إلى «سامراً»، فأقرَّ على «الأفشين» أنه حريضه على الخروج والعصيان، وزعم أنهما عهو والأفشين ـ كانا اجتمعا على مذهب من مذاهب الثنوية والمجوس، فضرب «المازيَّارُ» بالسوط حتى على مذهب من مذاهب الثنوية والمجوس، فضرب «المازيَّارُ» بالسوط حتى مات بعد أن شُهر، وصُلُب إلى جانب بابك، وفيه يقول أبو تمام:

ولقد شَفى الأحشاء مِن بُرَحائها أن صار بابك جار مازيار الله في كَبدِ السماءِ ولم يكن لاثنين ثان إذ هما في الغار"(١)

* الإِماميَّة الإِثنا عَشْريَّة الجَعفريَّة، وقولُهم باستمرارِ الوحي وعدمِ انقطاعِه بعد موت ﷺ ، وتنقُصهم للأنبياء، وقولُهم بتحريف القرآن :

الإماميَّةُ الإثنا عشرية الجعفرية، هم الرافضة الذين رَفَضوا إمامة الصِّديق والفاروق وذي النورين، وقالوا بتكفيرِ عامةِ الصحابة ما عدا عليًّا

⁽١) انظر الفرق بين الفرق» (ص٢٦٦ ـ ٢٦٩)، و«العبر» (١/ ٣٨٩).

وثلاثةً أو أربعةً من شيعته كسلمانَ والمِقدادِ وأبا ذرٍّ.

وقد غالت الإمامية في أئمتهم، وأسبغوا عليهم صفات التعظيم والتقديس التي تُخرجُهم عن دائرة البشر العاديين، فادَّعُوا لهم علم الغيب(۱)، وأنهم يُحيطون بكلِّ شيء علمًا، وأن اللَّه عز وجلَّ يشاورُهم عندما يطرأ على علمه جديد(۱) - كما يزعمون -، تعالى اللَّه عما يقول الكافرون الظالمون عُلُوًّا كبيرًا.

وسنذكر أقوالَهم من أهم مراجعهم، وهو كتابُ "أصول الكافي" والذي له من المكانة عندهم ما لـ "صحيح البخاري" عند أهل السُّنة، ونذكر تجويزَهم نزول الوحي على الأئمة بعد رسول اللَّه عَلَيْهُ، ونذكر بعده ما ورد في أهم كتبهم من تصريحهم حول منزلة الإمام، وأنه أعلىٰ منزلة من جميع الأنبياء وأنه رسول رسول اللَّه عَلَيْهُ "

* ادِّعاء نزول الوحي عند الإمامية:

□ أولُ وحي ادَّعت الإماميةُ وقوعَه بعد رسول اللَّه عَلَيْتُ هو لـ «فاطمة» بنت رسول اللَّه عَلَيْتُ ، فقد أُسند في كتاب «أصول الكافي» إلى أبي عبداللَّه - جعفر الصادق - أنه قال: «وإن عندنا لَمصحفُ فاطمةَ - عليها السلام - ، وما

⁽١) «الكافي» لمحمد بن يعقوب الكليني (٣/ ٢٤٠)، والكليني عند الإمامية هو مجدد القرن الثالث. وكتابه «الكافي» كما يقول أحد علماء الشيعة عبد الحسين بن عبداالله المظفر «لم تعمل الإمامية مثله، وعليه اعتماد العلماء منذ أن دوّنه مؤلّفه حتى اليوم».

⁽۲) «الكافي» (۳/ ۲۳۲).

⁽٣) «التحفة الإثنا عشرية» (ص٥٦، ١١٥، ١١٧) ـ الحاشية، و «ضحى الإسلام» لأحمد أمين (٣/ ٣١٣).

يُدريهم ما مصحف فاطمة . . قال: مصحفٌ فيه مثلُ قرآنكم هذا؟! ـ ثلاثَ مرات ـ ، واللَّهِ ما فيه مِن قرآنكم حرفٌ واحد»(١) .

ثم ذكر أنَّ اللَّه أرسل إليها جبرائيلَ يُسلِّيها ويُحدِّثها، وأن ذلك المصحف كان عبارة عن ذلك الحديث، كتبه عليُّ بن أبي طالب رطالي المحديث، كتبه عليُّ بن أبي طالب رطاليه المحديث،

فقد أثبت في هذا الأثر أن فاطمة ولي كان ينزلُ عليها جبرائيل، وكتبت عنه مصحفًا أكبر من مصحف أبيها، وفيه ما ليس فيه كذلك، وأسند إليه كذلك أنه قال: "إنَّ عِلْمَنا غابر ومزبور، ونُكت في القلوب، ونُقر في الأسماع.. فقال: أما الغابر، فما تقدم من علمنا.. وأما المزبور، فما يأتينا.. وأما النَّدُ في القلوب، فإلهام.. وأما النَّقر في الأسماع، فأمر الملك»(٣).

□ وأورد بسنده كذلك أن الحسن بن العباس المعروفي كتب إلى الرضا: «جُعلتُ فداك، أخبرني ما الفرقُ بين «الرسول» و«النبيِّ» و«الإمام» فكتب ـ أو قال ـ: الفرقُ بين «الرسول» و«النبيِّ» و«الإمام» أن «الرسول» الذي يَنزلُ عليه جبرائيل فيراه ويسمعُ كلامه وينزل عليه الوحي، وربَّما رأىٰ في منامه نحو رؤيا إبراهيم، و«النبيُّ» ربما سَمع الكلام، وربَّما رأىٰ الشخص ولم يَسمع، و«الإمام» هو الذي يَسمعُ الكلام ولا يرىٰ الشخص».

⁽۱) «الكافي» (۱/ ۱۹۹).

⁽۲) «الكافي» (۱/ ۲۰۲).

⁽٣) «الكافي» (١/ ٢٤٨).

ولقد استَشهد على ذلك بآية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نبي ﴾ [الحج: ٥٢](١) .

ففي هذين الأثرين إثباتُ سماعِ المَلَكِ لأئمَّتهم، ولا شك أن المَلَك إنما ينزلُ بأمرٍ من اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ، كما قال اللَّه في الملائكة : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرٍ رَبِّكَ ﴾ [مريم: ٦٤].

َ وَفِي الأثر الثاني أكثرُ توضيحًا من الأول، إذ فيه أن الوحيَ للنبيِّ على طريقين:

الأول: السَّماع من اللَّك مع رؤية شخصه.

والثاني: السَّماع دون الرؤية، و«الإمام» يشارك «النبيَّ» في هذه الطريق من الوحي.

وبذلك يُسمَّى «نبيًا»، يشهدُ لذلك الأثرُ الآتي عن أبي عبداللَّه الذي قال فيه: الأنبياء والمرسلون على أربع طبقات:

_ فنبيُّ مُنبِئٌ في نفسه لا يعدوها .

- ونبيٌّ يَرَىٰ في النوم، ويَسمعُ الصوت، ولا يعاينه في اليقظة، ولم يبعثه إلى أحدٍ، وعليه إمامٌ مثلُ ما كان إبراهيمُ علىٰ لُوط عليهما السلام.

- ونبي يرى في منامه، ويسمعُ الصوت، ويُعاين المَلَك، وقد أُرسل إلى طائفة قلُّوا أو كثروا - كيونس -، قال اللَّه ليونس: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ اللَّهِ طَائفة قلُّوا أو كثروا - كيونس -، قال اللَّه ليونس: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَنْ عَزِيدُونَ ثَلاثينَ أَلْفًا، وعليه إمام. أَنْفُ أَوْ يَزِيدُونَ ثَلاثينَ أَلْفًا، وعليه إمام. والذي يَرى في نومه، ويسمعُ الصوت، ويعاينُ في اليقظة، هو إمامٌ والذي يَرى في نومه، ويسمعُ الصوت، ويعاينُ في اليقظة، هو إمامٌ

⁽۱) «الكافي» (۳/ ۳۰).

مثل أولي العزم(١) .

ففي الأثر السابق قبل هذا أن الإمام يَسمعُ صوتَ الملائكة، ولا يرى أشخاصهم. . وفي هذا الأثر أن السماع للصوت دون الرؤية للشخص إحدى درجات النبوة عندهم.

فالأئمة إذن أنبياء؛ لأنهم يسمعون أصوات الملائكة من غير أن يروهم.

الناس بطاعته، كما ورد ذلك عن أبي عبدالله، حيث قال: «أُشرِك بين الناس بطاعته، كما ورد ذلك عن أبي عبدالله، حيث قال: «أُشرِك بين الأوصياء والرسل في الطاعة»(٢) مما جعل بعض الشيعة يستفسر من جعفر الصادق عن مكانة الإمام الذي قد أمر بطاعته: أيوحَىٰ إليه أم لا؟ فأجاب أبو عبدالله ـ جعفر الصادق ـ بأنْ: نعم، كما رواه الكليني، حيث قال: «إن المفضل سأل أبا عبدالله بقوله: «جُعلتُ فداك، يَفرضُ الله طاعة عبد على العباد، ويَحجُبُ عنه خبر السماء؟ قال أبو عبدالله: لا، الله أكرم وأرحم وأراف بعباده من أن يفرض طاعة عبد على العباد، ثم يحجبُ عنه خبر السماء عبد على العباد، ثم يحجبُ عنه خبر السماء صباحًا ومساء»(٣).

الناس طاعة عبد، وهو ليس له من العلم ما يحتاجونه؟! بل اللَّهُ أعز ُ وأكرمُ الناس طاعة عبد،

⁽۱) «الكافي» (۳/ ۱۲۳).

⁽۲) «الكافى» (٤/ ٢١).

⁽٣) «الكافي» (٣/ ٢٤١).

من أن يُحجُب عنه عِلم سمائه وأرضه».

ولذلك الإماميةُ ذهبوا إلى أنَّ الإمامةَ لا تصلحُ إلا لمن له منزلةُ النبوة»(٢) .

الله عن كيفية العلم الذي وفي أثر آخر أن رجلاً سأل أبا عبدالله عن كيفية العلم الذي يأتيهم؟! فقال أبو عبدالله: «كما كان رسولُ الله عَلَيْهُ يعلمُ، إلا أنهم يرون ما كان رسولُ الله عَلَيْهُ يَرىٰ؛ لأنه كان نبيًّا وهم محدَّثُون»(٣).

□ ولهذا فإن الأنبياء والأوصياء متساوون في علومهم لتساويهم في مصدر التلقي، كما ورد ذلك في مخطوطة بعنوان «كتاب أنوار الإسلام في علم الإمام»، حيث قال مؤلفها: «أما العلم الحق، فهو علم الأنبياء والأوصياء، إذ لا يعتريه الخطأ ولا السهو ولا النسيان، فهو علم لَدُنِي شهودي صادر عن الوحي والحدس والإلهام، والله ضامن لصحة هذا العلم؛ لأنه من لَدُنه، وكل ما يحصل لغير المعصومين والأوصياء فكرا، يحصل لهم حدساً أو بداهة ، وما يحصل للناس بالحواس يتم لهم بالشهود والقياس.

وليس المقصود القياسُ العقلي، وإنما الانتقالُ من الظاهر إلى الباطن، وليس علمُهم وَقفًا على شرائع الدين وأحكامه، وإنما شؤون الدنيا كذلك، غير أن الشريعة تصدرُ عنهم عن وحي وما يتعلَّقُ بمسائلِ الدنيا عن إلهام»(٣).

⁽١) المصدر السابق (ص٣/ ٢٤٤).

⁽٢) المصدر السابق (٣/ ٢٠٥).

⁽٣) ذكر ذلك الدكتور أحمد محمود صبحي في كتابه «نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية» (ص١٤٥-١٤٦).

◘ وقد ادَّعُوا لأئمتهم أمورًا غيبيةً لا يعرفُها البشر إلاَّ بالوحي، وذلك تحت عناوينَ عِدَّةٍ في كتابهم ذلك ـ «أصول الكافي» ـ، وهذه بعض تلك العناوين:

- باب: أنَّ الأئمةَ يعلَمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلاَّ باختيارٍ منهم(١).

- باب: أنَّ الأئمةَ إذا شاؤوا أن يعلموا علِموا^(١).

- باب: أنَّ الأئمةَ عليهم السلام يعلمون ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم الشيءُ - صلوات اللَّه عليهم - (٣) .

ونحن نعلمُ أن معرفة الغيب خاصة بالله سبحانه وتعالى، ولا يصلُ إلى معرفته إلا صنف واحد من الخلق وهم «الرسل»، وذلك لإطلاع الله لهم، فإما أن يكون هؤلاء - أي: أئمتهم - آلهة أو رسلاً، وهم لا يَدَّعون لهم الألوهية - كالغلاة -، فإذن يكونون رسلاً، والرسلُ لا يعلمون ذلك إلا بالوحي، فأئمتهم إذن يوحَى إليهم على أقلِّ تقدير (١).

* يقول اللَّه - عزَّ وجلَّ - ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿ آَنَ اللَّهُ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً ﴿ آَنَ لَيَعْلَمَ اللَّهُ مِن ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن الدَّيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾

[الجن: ٢٦ - ٢٨].

 ⁽۱) «الكافي» (۳/ ۲۳۲).

⁽۲) «الكافي» (۳/ ۲۷۱).

⁽٣) «الكافي» (٣/ ٢٤٩).

⁽٤) أي: بهذه الأوصاف.

ولتكتملَ صفات الأنبياء في أئمتهم، فقد زعم بعضُهم أن الأئمةَ تَظهرُ على أيديهم المعجزات(١) .

* هذه هي عقائدُهم من أهم مصادرهم:

فقد رأينا أنهم بدؤوا بإثبات الوحي لفاطمة حتى ادَّعوا لها مصحفًا خاصًا نزل به عليها جبرائيل، ونَسَخه عليُّ بن أبي طالب، وهذا المصحفُ مستقلٌ عن القرآن، وليس فيه مَّا في مصحف المسلمين الذي أنزل اللَّه على محمد عَلَيْ ولا حرفُ واحد. . إلى آخِرِ تلك الدعاوى السابقة .

ثم لَمَّا مَهَّدوا لتلك العقيدة - نزول الوحي - بوقوعه لفاطمة بنت رسول اللَّه عَلَيْ ورضي اللَّه عنها، سَهُل عليهم أن يَصِلوا إلى إثباتِه للأئمة الذين هم الأوصياء على الشيعة بعد علي في الله عنها عن طريق سماع صوت الملك دون رؤية شخصه.

□ وهذه الطريقُ هي إحدىٰ طُرقِ الوحي في درجاتِ النبوة، كما تقدم في تقسيمهم الأنبياء إلى طبقات، قالوا فيها: «ونبيٌّ يَرىٰ في النوم، ويسمعُ الصوت، ولا يعاينه في اليقظة»، وكانت حُجَّتُهم علىٰ ذلك ـ كما سبق آنفًا ـ الصوت، ولا يعاينه في اليقظة»، وكانت حُجَّتُهم علىٰ ذلك ـ كما سبق آنفًا ـ أن اللَّهَ لا يأمرُ بطاعة عبد لا يأتيه الخبرُ من السماء، ولا شكَّ أن الخبرَ الذي يأتيهم من السماء هو وحيٌ يأتي به الملك، «لأن الإمامة لا تصلحُ إلا لمن له منزلةُ النبوة»، كما يقول شارح «الكافي».

⁽١) «مقالات الإسلاميين» (١/ ١٢٣) حيث ذكر اختلاف الروافض في ذلك، وهو يعني بهم الإمامية انظر (ص٨٨) من نفس الجزء.

□ وأخيرًا، فإنَّ «الشريعة تصدرُ عنهم عن وحيٍ، وما يتعلقُ بمسائلِ الدنيا عن إلهام»، كما في المخطوطة السابقة.

هذه هي عقيدتُهم في نزول الوحي على الأئمة كما صورتها مصادرُهم، وليست تلك العقيدة عند الإمامية من الأمور الخفيَّة التي لم تظهر إلا اليوم، بل هي أمرٌ واضح من قديم الزمن، فقد تحدَّث عنها أبو الحسن الأشعريُّ وحمه اللَّه في أواخرِ القرن الثالث، حيث ذكر أنه يوجد في طائفة الروافض الإمامية من يزعمُ نزول الملائكة على أثمَّتهم بالوحي، كما يذكر أن فيهم من جوزٌ نسخ الشرائع وتبديلها على أيديهم أن ، ممَّا يؤكِّد لنا أن هذه العقيدة قد عُرفت عنهم من قبلُ ، ثم لا تزالُ مراجعهم كما رأينا . تحتفظُ بها وترويها .

* وأنظر إلى ما خُلَعوه على الأئمة من أمور:

أولاً: تصريحُ الإمامية بأنَّ مرتبة «الإمامة» أعلى وأسمى من مرتبة «النُّبُوَّة»:

وقد صرَّح علماؤهم - بكلِّ جُرأة وتطاول - بذلك . . فممن قال بذلك : الله عند تفسيره للآية الميول آيتُهم العظمى «ناصر مكارم الشيرازي» عند تفسيره للآية الكريمة أن (١٢٤) من سورة البقرة في تفسيره «الأمثل» : «يتبيَّنُ من الآية الكريمة أن

⁽۱) في «مقالات الإسلاميين» (۱/ ۱۲۳)، وذكر النسخ صاحب «مختصر التحفة الاثنى عشرية» (ص١١٥)، وذكر الوحي الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحى الإسلام» (٣/ ٢١٤).

مَنزِلةً «الإمامة» الممنوحة لإبراهيم - بعد كلِّ هذه الاختبارات - تَفُوقُ منزِلةً «النبوة» و «الرسالة» . . فمنزلةُ «الإمامة» أسمى مِمَّا ذُكر، بل أسمى من النبوة والرسالة» .

ا وقال في «نفحات القرآن» (٩/ ١٩): «ما هو هذا المقامُ الذي ناله إبراهيمُ في آخِرِ عمره بعد نَيلِه مقامَ النبوة والرسالة، وبعد ذلك الجهاد الطويل؟ . . من المُسلَّم به أنه كان أسمىٰ وأرفع منهما جميعًا».

□ وقال أيضًا (ص١٧): «كما يُعيرُ القرآنُ أهميةً خاصةً للإمامة،
 ويعتبرُها آخِرَ مرحلةٍ من مسيرةٍ تكامُلِ الإنسان».

□ وقال أيضًا (٧/ ٨١): «على أية حال، إنه مقام الإمامة مقام يَفوقُ النبوة».

٢ ـ يقول آيتهم العظمئ «السيد كاظم الحائري» في «الإمامة وقيادة المجتمع» (ص٢٦): «إن الذي يبدو من الروايات أن مقام «الإمامة» فوق المقامات الأخرى ـ ما عدا مقام الربوبية قطعًا ـ التي يمكن أن يصل إليها الإنسان».

□ وقال (ص٢٨): «وكذا قولُه اللَّهُ! «إن اللَّه اتَّخذه خليلاً قبل أن يَتَّخذ إمامًا»، يدلُّ في ظاهره على تفوُّق مقام «الإمامة» على مقام «العبودية، النبوة، الرسالة، الخُلَّة»..».

□ وقال (ص٢٩): «فمقامُ «الإمام» إذن فوق مقام النبوة».

٣ ـ يقول «كمال الحيدري» في «العصمة» (ص١٧): «ومن خلال هذه الشواهد يَتَّضحُ لنا أن مقام «الإمامة» يختلف عن «النبوة والرسالة»،

بل هي أسمى منهما وأرفع». . ونسبه إلى الطباطبائي في «الميزان» (٢٦٧/١).

٤ ـ قال «هادي الطهراني» في «ودائع النبوة» (ص١١٤): «الإمامةُ أجلُّ من النبوة، فإنها مرتبةٌ ثالثةٌ شرَّفه اللَّه تعالى بها بعد النبوة والخُلَّة».
 نقلاً عن «أصول مذهب الشيعة» للقفازى (ص٢٥٦).

٥ - ذكر «ابن بابويه» في «إكمال الدين» (ص٦١٧ ـ ٦١٨) «والنبوة والرسالة من اللّه جل جلالُه سُنن، والإمامة فريضة، والسننُ تنقطع ويجوزُ تركها في حالات، والفرائضُ لا تزولُ ولا تنقطعُ بعد محمد علي فالرسالةُ والنبوة سُنن، والإمامة فرض».

آ - ذكر الحِلِّي في «الألفين» (ص٣): «الإمامة لُطفٌ عام، والنبوة لطفٌ خاص، لإمكان خلوِّ الزمان من نبيٍّ حيٍّ - بخلافِ الإمام -، وإنكارُ اللُّطفِ الخاص».

ثانيًا: تصريحُهم بأن الأئمة أفضلُ من الأنبياء:

□ وهذه أقوالُ علمائِهم في ذلك:

ا - ذكر الشيخ «المفيد» في «أوائل المقالات»، باب «القول في المفاضلة بين الأئمة والأنبياء» (ص٨٥): «قد قَطْع قومٌ من أهل الإمامة بفضل الأئمة (ع) من آل محمد عَلَيْ على سائر من تقدم من الرسل والأنبياء سوى نبينا محمد عَلَيْ ، وأوجب فريقٌ منهم الفضل على جميع الرسل والأنبياء سوى أولى العزم».

٢ - ذكر العلامة السيد «نعمة اللَّه الجزائري» في «الأنوار النعمانية»

(١/ ٢٠ - ٢١): «اعلم أنه لا خلاف بين أصحابنا ـ رضوان الله عليهم - في أشرفية نبينا محمد على سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ للأخبار المتواتر، وإنما الخلاف بينهم في أفضيلة أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام على الأنبياء ما عدا جدَّهم على الأنبياء ما عدا جدَّهم على الأنبياء ما خلا أولي العزم، فإنهم أفضلُ من الأئمة عليهم السلام، وبعضهم الكنبياء ما خلا أولي العزم، فإنهم أفضلُ من الأئمة عليهم السلام، وبعضهم الى المناواة، وأكثر المتأخرين إلى أفضلية الأئمة عليهم السلام على أولي العزم وغيرهم، وهو الصواب».

٣ ـ ذكر محدِّتُكم «الحر العاملي» في كتابه «الفصول المهمة في أصول الأئمة» (١/٣٠١) بعنوان: الأئمة» (١/٣٠١) ببنوان: «إن النبي والأئمة الاثني عَشَر أفضلُ من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء السابقين والملائكة وغيرهم، وأن الأنبياء أفضلُ من الملائكة»، وذكر روايتين تُرجِّحان عنوان الباب.

٤ ـ ذكر «ابن بابويه» في «عيون أخبار الرضا» (١/ ٢٦٢) فصلاً بعنوان «أفضلية النبي والأئمة على جميع الملائكة والأنبياء عليهم السلام».

٥ ـ قال السيد «أمير محمد كاظم القزويني» في كتابه «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» (ص٦٦): «فإنك تجد أن عليًا كان جامعًا لجميع هذه الصفات المتفرِّقة في هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من أولي العزم، وأنه المنافئ أفضلُ منهم».

وقال (ص٧٣) تحت عنوان «الأئمة من أهل البيت عليهم السلام

أفضلُ من الأنبياء عليهم السلام بنص القرآن»: «وأما تفضيلُ الشيعة لأئمتهم على الأنبياء عليهم السلام إلاَّ رسول اللَّه ﷺ . . لذا وجب أن يكونوا أفضلَ منهم».

٢- يقول آيتهم العظمى «الميرزة جواد التبريزي» تحت عنوان «التفضيل بين الأئمة والأنبياء» حول سؤالٍ وُجِّه إليه: «س: هل هناك تفضيلٌ بين الأئمة عليهم السلام والأنبياء باستثناء رسولِ اللَّه ﷺ؟ وإذا كان، فما هو الدليلُ على ذلك؟

ج: باسمه تعالى: أئمَّتُنا أفضلُ من الأنبياء ما عدا الرسول عَيَالِيَّة، واللَّه العالم»(١).

٧ - وختَمها «الخميني» في «الحكومة الإسلامية» بقوله: «وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغُه مَلَكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مُرْسَلْ»(٢).

ثالثًا: المَلَك الذي ينزلُ على الأئمة دون الأنبياء هو أعظمُ من جبريل:

دَّعت الإماميةُ أن هناك مَلكًا يُدْعيٰ «الرُّوح»، كان مع الأئمة يسدِّدهم ويُخبرُهم بأخبارِ السماء، ولهذا المَلكِ مِيزتان، كلُّ واحدةٍ منهما تدلُّ بصراحةِ على تفضيل الأئمة على الأنبياء هما:

أ ـ أنه أعظم من جبريل:

فبما أنهم يعتقدون بتفضيلِ الأئمة على الأنبياء، فيجبُ أن يكونَ الْلَكُ

⁽١) «الأنوار الإلهية في المسائل العقائدية» للميرزة جواد التبريزي (ص١٧٩).

⁽٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني (ص٤٧).

النازلُ عليهم أعظم من الملك النازل على الأنبياء.

ب _ أن هذا المُلكُ لم يكن مع الأنبياء، بل فقط مع الأئمة:

أي أن ما عند الأئمة أفضلُ مما عند الأنبياء؛ لأن هذا الملك - وهو الروح - كان مع الأئمة فقط، ولم يكن مع الأنبياء، وهو ما نَصَّت عليه الرواية الرابعة التالية بقوله: «لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد على وهو مع الأئمة يُسدِّدهم». فهو غير موجود مع الأنبياء السابقين لتستيقن بأنكم تُنزِّهون مرتبة الإمامة من أن تنحدر من عزِّها ورفعتها إلى مرتبة النبوة.

□ وإليك نص الروايات من أصح كتبهم ألا وهو «الكافي» للكلّيني:

١ - عن أبي بَصير قال: «سألت أبا عبداللّه اللّيكا عن قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإيمَانُ ﴾ [الشورى: ٥٢].

قال: خَلَقٌ مِن خَلقِ اللّه ـ عز وجل ـ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسولِ اللّه ﷺ يُخبِرُه ويُسدِّدُه، هو مع الأئمَّة مِن بعده».

٣ - عن أبي بصير قال: «سألت أبا عبداللّه اللّه عن قول اللّه ـ عز وجل ـ: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ١٨٥]. قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه ﷺ،

وهو مع الأئمة، وهو من المُلكوت».

٤ - عن أبي بصير قال: «سمعت أبا عبداللَّه اللَّهِ يقول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء: ٨٥].

قال: خَلَقُ أعظمُ من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غيرِ محمد عِلَيْهُ، وهو مع الأئمة يُسدِّدُهم، وليس كلُّ ما طُلب وُجد»(١).

رابعًا: تصريحُهم بأن الأنبياء مع عُلُو منزلتهم مأمورون باعتقاد إمامة الأئمة الاثنى عشر:

وقد ذكروا لذلك عِدَّةَ رواياتٍ صريحةٍ، ذكرها خاتمةُ مُحدِّثيهم «محمدُ باقر المجلسي» في كتابه «بحار الأنوار» منها:

ا - ابن يزيد، عن ابن محبوب، عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الليكا قال: «ولاية علي مكتوبة في جميع صُحف الأنبياء، ولن يَبعث اللّه نبيًا إلاّ بنبوة محمد ووصية علي صلوات اللّه عليهما».

٢ - أحمد بن محمد، عن العباس، عن ابن المغيرة، عن أبي حفص، عن أبي هارون العبدي معن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله عن أبي يقول: «يا علي ما بَعث الله نبيًا إلا وقد دعاه إلى ولايتك طائعًا أو كارهًا».

٣ ـ الحسن بنُ علي بنِ النعمان، عن يحيى بنِ أبي زكريا، عن أبيه،
 ومحمدُ بن سماعة، عن فَيض بنِ أبي شيبة، عن محمد بن مسلم قال:

 ⁽۱) «الكافي» (۱/ ۲۷۳).

سمعت أبا جعفر الليكا يقول: «إن اللَّه تبارك وتعالى أخذ ميثاق النبين على ولاية علي ، وأخذ عهد النبين بولاية علي ».

٤ ـ أحمد بن محمد بن علي بن الحكم، عن ابن عميرة، عن الحضرمي، عن حذيفة بن أسيد قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «ما تكاملت النبوةُ لنبي في الأظلة حتى عُرضت عليه ولايتي وولايةُ أهل بيتي، ومَثُلوا له، فأقرُّوا بطاعتِهم وولايتهم».

٥ ـ السِّنديُّ بن محمد، عن يونسَ بن يعقوب، عن عبدالأعلى قال: قال أبو عبداللَّه الطَّيَّةِ: «ما نُبِّئ نبيُّ قطُّ إلاَّ بمعرفة حقِّنا وبفضلنا على من سوانا».

7 ـ محمدُ بنُ عيسى، عن محمدِ بنِ سلمان، عن يونسَ بنِ يعقوب، عن أبي بَصير، عن أبي عبداللّه اللّه على قال: «ما مِن نبيٌّ نُبئ، ولا مِن رسولٍ أرسل، إلا بولايتنا وتفضيلنا على من سوانا».

٧ - ابن يزيد، عن يحيى بنِ المبارك، عن ابن جَبَلة، عن حُميد بن شعيب، عن جابر قال: قال أبو جعفر الليالية: «ولايتُنا ولايةُ الله التي لم يُبعث نبيًّا قطُّ إلاَّ بها».

٨ ـ محمدُ بنُ أحمد، عن ابنِ يزيد، عن ابنِ محبوب، عن محمدِ بنِ الفضيل، عن أبي الحسن الطَّيَالِا في قول اللَّه ـ عز وجل ـ : ﴿ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ ﴾ قال: «يُوفون بالنذر الذي أُخذ عليهم في الميثاق مِن ولايتنا».

٩ ـ أحمد بنُ محمد بنِ علي بنِ الحكم، عن داود العِجْلي، عن (١) «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (٢٦/ ٢٨٠).

زُرارة ، عن حُمران ، عن أبي جعفر اللَّيَا اللَّه تبارك وتعالى أخذ الميثاق على أولي العزم أني ربُّكم ، ومحمد رسولي ، وعلي أمير المؤمنين ، وأوصياؤه من بعده وُلاة أمري وخُزّان عِلمي ، وأن المهدي أنتصر به لِدِيني "(۱) .

فإمامةُ الأئمةِ إذًا عندهم من ضرورياتِ الأديان السماوية التي لم يُبعثُ نبيٌ إلا بالدعوة إليها، بل إن الأنبياء جميعهم كانوا مأمورين بالإيمان بإمامة علي وأولاده التي لا تُدانيها النبوةُ في الفضلِ والشرف، ولا تصلُ إلى عُشْرِ معشارِها، بل ولا إلى قطرةٍ من بحارها.

* خامسًا: تصريحهم بأنَّ الأنبياء ما نالوا الفضلَ والرِّفعةَ من جهةِ نبوَّتهم واصطفائهم من اللَّه تعالى، بل من جهة إقرارِهم بإمامة الأئمة والخضوع لهم:

□ وإليك روايتانِ تَذكُران هذا المعنى، هما:

ا - ذكر شيخُهم «المفيد» في كتابه «الاختصاص» (ص٢٥٠): «ابن سنان، عن المفضل بن عمر قال: قال لي أبو عبداللَّه الطَّيَا إِن اللَّه تبارك وتعالى تَوحَّد بُلِكه، فعَرَّفَ عبادَه نفسَه، ثم فَوَّض إليهم أمره، وأباح لهم جنته، فمن أراد اللَّهُ أن يُطهِر قلبَه من الجنِّ الإنس عَرَّفه ولايتنا، ومَن أراد أن يُطهس على قلبه أمسك عنه معرفتنا.

ثم قال: يا مفضًّل، واللَّهِ ما استوجب آدمُ أن يخلقَه اللَّه بيده وينفخَ

⁽١) «بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي (٢٦/ ٢٨٠ ـ ٢٨٢).

ثم قال: أجملُ الأمر ما استأهل خَلق من اللَّه النظر إليه إلاَّ بالعبودية لنا».

٢ ـ ذكر «المجلسي» في «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٨٢): «عن حَبَّةَ العُرنيِّ قال: قال أميرُ المؤمنين اللَّيُلِا: إن اللَّه عَرض ولايتي على أهلِ السماوات وعلى أهل الأرض، أقرَّ بها مَن أقرَ، وأنكرها مَن أنكر، أنكرها يونسُ فحبَسه اللَّهُ في بطنِ الحوت حتى أقرَّ بها».

فانظر إلى هذه المرتبة الخيالية للإمامة التي بفضل انحناء الأنبياء لها وخضوع أعناقهم أمامها نالوا ما نالوا من المراتب؛ لأن النبوة التي أنعم الله بها عليهم وبكل بساطة لا قيمة لها بدون إمامة الأئمة، حتى إن نبي الله تعالى يونس المليك لا أبى الإقرار بها وأنكرها ظنًا منه بأن النبوة أعلى منها بالشرف والأهمية حبسه الله تعالى في بطن الحوت عقوبة له، ولم يُخرِجُه منها إلا بعد خضوعه لها واعترافه بفضلها على نبوته المسكينة الخاضعة!!!(۱).

فهذه خمسُ مجموعات صرَّح بها علماءُ الإماميَّة بتفضيل مرتبة «الإمامة» على «النبوة»، وأنهم لن يرضوا أبدًا بأن يَهبِطوا بمرتبة الإمامة إلى مرتبة النبوَّة؛ لأن في هذا حَطًّا من قَدْرِها ورفعتها.

وبالجملة لا بُدَّ لنا من الإذعان بعدم كونهم - عليهم السلام - أنبياء ، وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبيِّنا عَلَيْهُ من السلام - أنبياء ، وبأنهم أشرف وأفضل من غير نبيِّنا عَلَيْهُ من (١) انظر «إمامة الشيعة دعوة باطنية لاستمرار النُّبُوّة» (ص١٢٤) لعبد الملك بن عبدالرحمن

الشافعي ـ مكتبة الرضوان.

الأنبياء والأوصياء »(١)

حتى إنه أورد بابًا في كتابه «المذكور» (٢٦/ ٢٦٧) بعنوان «تفضيلهم على الأنبياء وعلى جميع الخلق».

□ ودعوى الإمامية التفريقَ باختصاصِ النبيِّ بصفةِ الوحي وتكليمِ اللّك دون الإمام: لم يقفوا عندها، بل نسوق مَرْويَّات ونصوصَ علمائِهم التي أثبتت هذه الصفة للإمام صراحةً أوْ ضمنًا:

أولاً: أن المَلَك يُحَدِّثُ الإِمام ويُكلِّمه:

□ ومن رواياتهم التي أثبتت هذا: ما ورد في أصحِّ الكتب عندهم وهو «الكافي» للكليني:

ا ـ عن محمد بن مسلم قال: ذُكر «اللُّحدَّث» عند أبي عبداللَّه اللَّيَالَةِ فقال: «إنه يَسمعُ الصوتَ، ولا يرى الشخص. فقلت له: جُعلتُ فداك، كيف يَعلمُ أنه كلامُ اللّك؟ قال: إنه يُعطَىٰ السكينةَ والوقارَ حتى يعلمَ أنه كلامُ مَلَك».

٢-عن حُمرانَ بنِ أعينَ قال: «قال أبو جعفر الليكالة: إن عليًا الليكالة كان مُحدّثًا، فخرجتُ إلى أصحابي فقلت: جئتكم بعجيبة، فقالوا: وما هي؟ فقلت: سمعتُ أبا جعفر الليكالة يقول: كان علي ٌ الليكالة محدّثًا! فقالوا: ما صنعتَ شيئًا، ألا سألتَه مَن كان يُحدّثُه؟ فرجعتُ إليه، فقلت: إني حَدّثتُ أصحابي بما حدثتني، فقالوا: ما صنعتَ شيئًا، ألا سألتَه مَن كان يُحدّثُه؟، فقال لي: يُحدِّثُه مكك»(١).

⁽١) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٨٢).

⁽٢) «الكافي» للكليني (١/ ٢٧٠).

٣ ـ عن زُرارةَ قال: «سألت أبا جعفر الليكانية، قلت: الإمامُ ما منزلته؟ قال: يسمعُ الصوت، ولا يرى، ولا يُعاينُ المَلك»(١)

٤ - عن بُريد العجلي قال: «سألت أبا عبداللّه اللّه عن الرسول وَالنبي والمحدّث، قال: المحدّث الذي يسمع كلام الملائكة، ويُنقَرُ في أذنه، ويُنكَتُ في قلبه»(٢) .

٥ ـ عن أبي عبداللّه أنه قال: "إنَّ عِلَمنا غابرٌ ومزبور، ونَكْتٌ في القلوب، ونقرٌ في الأسماع، فقال: أما "الغابر»، فما تقدم من علمنا. . وأما "النّكْت» في القلوب فإلهام. . وأما "النّقْر» في الأسماع، فأمر المَلك» (٣) .

وهذه الروايات متضمّنة لمعنى الوحي؛ لأن نُزولَ المَلَكُ وتكليمَه للإمام لا يكونُ من تلقاء نفسه، وإنما بأمر من اللّه تعالى، كما قال تعالى على لسان الملائكة: ﴿ وَمَا نَتَنزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسيًّا ﴾ [مريم: ١٤].

ثانيًا: أنَّ المَلَكَ الذي يُكلِّمُ الإِمامَ هو جبريل اللَّيك اللَّهُ :

وهذا يُثبِتُ صفة الوحي للإمام بوضوح أقوى من سابقه؛ لأن مَلَكَ الوحي هو جبريل الليكالا، وهو أمينُ السماء، وقد أثبت الشيعة أنه هو المَلكُ الذي يُكلِّمُ الإمام، ويسمعُ الإمامُ كلامَه وحديثه، فمن نصوصهم في ذلك:

⁽۱) «الكافي» (۱/ ۱۷٦).

⁽٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٦/ ٧٤).

⁽٣) «الكافي» (١/ ٢٦٤).

الإمام في الروايات هو جبريل اللَّكِلْ ، حيث قال في «مفاهيم القرآن» الأيمام في الروايات هو جبرائل اللَّكِلْ ، حيث قال في «مفاهيم القرآن» (٣٩٠/٤): «الظاهر أن المراد من المَلَك في هاتيك الروايات هو جبرائيل».

٢ - يقول فيلسوفُهم «صدر الدين الشيرازي» في كتابه «الحجة» بأناً جبريل هو رُوح القدس، وذلك (ص٩١): «جبرائيل هو المسمَّىٰ بـ «روح القدس»..».

ثم أثبت بأن الإمام يسمع كلام الله تعالى بواسطة رُوح القدس - أي بواسطة جبريل -، فقال (ص٩٣): «قوله: «والإمام هو الذي يسمع الكلام ولا يرئ الشخص»، أي: يسمع كلام الله بواسطة الروح القدسي سماعًا في اليقظة لكن بصورة الألفاظ، ولا يرئ الواسطة متمثّلة متشخّصة، لا في اليقظة ولا في النوم أيضًا».

٣ ـ نستطيعُ أن نتيقَّنَ بأنه جبريل؛ لأن نَفْسَ اللَكِ الذي كان يُكلِّم الأنبياء والمرسلين كان يكلِّم الإمام؛ لأن الرواياتِ أثبتت أنه نفسُ المَلك لا غيره، وهو جبريلُ اللَيكالِي.

٤ - هناك روايات عديدة تُثبت أن جبريل الليكا كان يَنزلُ على الإمام
 ويُكلِّمُه أكثر من مرة، وفي أكثر من حادثة، فمنها:

أ-عن حُمران بنِ أعينَ قال: «قلت لأبي عبداللَّه اللَّهِ! جُعلتُ فداك، بَلَغني أن اللَّه تبارك وتعالى قد ناجي عليًّا اللَّهَالِا. قال: أجل، قد كان بينهما مناجاةٌ بالطائف، نزل بينهما جبرائيل»(١).

⁽١) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٧).

ب ـ عن عبداللَّه بن أبي يعفور قال: «قلت لأبي عبداللَّه اللَّكَالِّ: إنا نقول: إن عليًّا كان نقول: إن عليًّا كان محدَّثًا.

قال: فلما أكثرتُ عليه قال: إن عليًّا لَمَّا كان يومَ بني قريظة وبني النضير، كان جبرائيلُ عن يمينه وميكائيلُ عن يساره يُحدِّثانِهِ (١) .

د عن ابن سدير، عن أبي عبداللّه اللّه قال: سمعته يقول: «دعا رسولُ اللّه عَلَيْهِ عليًّا اللّه عَلَيْهِ ودعا بدفتر، فأملى عليه رسولُ اللّه عَلَيْهِ بَطْنَه، وأغمي عليه، فأملى عليه جبرائيلُ ظهره، فانتبه رسولُ اللّه عَلَيْهٍ فقال: مَن أملى عليك هذا يا عليُّ؟ فقال: أنت يا رسول اللّه، فقال: أنا أمليتُ عليك بطنه، وجبرائيل أملى عليك ظهره، وكان قرآنًا يُملى عليه»(٣).

والروايةُ الأخيرةُ تصرِّحُ بأن الذي أملاه جبريلُ على عليٍّ ولطَّ كان قرآنًا، فهل يوجدُ أصرحُ من ذلك على أن الوحيَ حاصلٌ للإمام.

⁽١) «بحار الأنوار» (٤٠/ ١٤٠).

⁽٢) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٢).

⁽٣) «بحار الأنوار» (٣٩/ ١٥٢).

ثالثًا: مفهومُ النبوَّةِ والوحي متحقِّقٌ في الإِمام، ولم يُنفَ عنه إِلاَّ اسمُها:

□ وهذا ثابت ـ وبكل صراحة ـ في الرواية الثابتة في «نهج البلاغة»، وهذا نصُها: «ولقد كنتُ أتبعهُ اتباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يَجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله علي وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة، ولقد سمعت رنّة الشيطان حين نزل الوحي عليه عليه عليه الله يا رسول الله، ما هذه الرّنة ؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته، إنك يسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي ولكنك وزير ، وإنك لعلى خير (١) ، ويكن إثبات ذلك من وجهين:

الأول: وهو المتعلِّق بقوله: «إنك تسمعُ ما أسمع، وترى ما أرى»، فهي تُثبت بأن الإمام يسمعُ ويرى الوحي كالنبي ﷺ حَذْو القُذَّة بالقُذّة دون أدنى فرق بينهما، وهذا يُبطلُ زَعْمَك بأن الوحي هو الفارقُ بين النبي والإمام؛ لأنه متحقِّقٌ في الإمام بنص الرواية، وإليك اعتراف علمائك عند شرحهم لهذه العبارة:

ا ـ يقول ابنُ ميثم البحراني: «ورُوي عن الصادق الليكا أنه قال: كان علي الليكا يُرى مع النبي ﷺ قبلَ الرسالة الضوء، ويسمعُ الصوت».

وقال في نفس الصفحة: «ويؤيِّدُ ذلك قولُه ﷺ حين سأله عن ذلك:

⁽١) "نهج البلاغة" ـ خطب الإمام علي (٢/ ١٥٧ ـ ١٥٨) خطبة (٢٣٤).

«إنك تسمعُ ما أسمع، وتَرىٰ ما أرىٰ، إلاَّ أنك لستَ بنيًّ»، فإنه شَهِد له في ذلك بالوصول إلىٰ مقام سماع الوحي وكلام المَلك وصوت الشيطان وسائر ما يراه عَلَيْهُ ويسمعه»(١).

فهو يُصرِّحُ بوصولِ الإمام إلى مقام يسمعُ فيه كلامَ الوحي والمَلكِ والسَيطان، ولم يَحصُرِ السماعَ في ذلك، بل زاد عليه وأطلقه بكلِّ ما يراه ويسمعُه النبيُّ عَلَيْ دون أدنى فَرق، فأين الفَرقُ باللَّه عليكم يا مُنصِفين؟!!.

٢ ـ يقول حبيب اللّه الهاشمي الخوئي: «ما أشار إليه بقوله: «إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى»، ظاهرُ هذا الكلام يُفيد أن الإمام يسمع صوت الملك ويُعاينه كالرسول»(٢).

٣ ـ يقول الحسيني الشيرازي: «ثم قال الرسول عَلَيْ لَعَلَيُّ اللَّهِ: «إنك تسمعُ ما أسمع» من صوتِ الوحي ورَنَّةِ الشيطان، وما أشبه. . «وترى ما أرى» من صُورةِ الملائكة والشيطان» (٣/ ٢٢٥).

الثاني: بالإضافة لما تقدَّم من نصِّ الرواية وتصريح العلماء، فإن الذي يؤكِّدُ أن مفهوم النبوة متحقِّقٌ في الإمام هو النفي الوارد في الرواية بقوله: «إلاَّ أنك لست بنبي»، وهذا يؤكِّدُ أن الوصف المتقدِّم ينطبقُ على مفهوم النبوة تمامًا، ممَّا اضطره لنفي الاسم عنه بعد ثبوت الوصف له، فيقول حبيب اللَّه الخوئي حول النفي الوارد: «ولَمَّا كان ظاهرُ قوله بَيْكِيَّةُ: «إنك

⁽١) «المصباح (الشرح الكبير) لميثم البحراني (٤/ ٣١٨).

⁽٢) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» للميزرا حبيب اللَّه الهاشمي الخوئي (١٢/ ٤٢ -

⁽٣) «توضيح نهج البلاغة» للسيد محمد الحسيني الشيرازي (٣/ ٢٤٤).

تسمع ما أسمع، وترى ما أرى» مُوهِمًا للمساواة (١) بينه الليَّا ، وبينه عَلَيْهُ، استدرك ذلك بقوله: «إلا أنك لست بنبي»..»(١).

□ ويقول الموسوي: «ثم لَمَّا أشار إلىٰ أن الإمام يسمع كما يسمع النبي ويرىٰ مِثلَما يرىٰ، ولَمَّا كان يَخشىٰ أن يظنَّ أحدٌ بتساويهما، نَفَى عنه النبوة»(٣).

بعنى أدق : إن نفي النبوة عن الإمام ليس من جهة عدم اتصافه بالنبوة وعدم تحقُّق مفهومها فيه ، بل من جهة أخرى ، وهي كونه علي خاتم النبيين فلا يجوزُ أن يُطلَق اسم «النبي» على أحد بعده (١٠) ، وإلا فوصف النبوة متحقِّق في علي خلي بنص الرواية وتصريح العلماء من سماعه ورؤيته للوحي وكلام الملك.

وهكذا تبيَّن لنا من خلال الوجهين أن مفهوم «النبوة» متحقِّقٌ في الإمام بنصِّ الرواية، ولم يُنْفَ عنه إلاَّ اسمُ النبوة دونَ حقيقتها.

رابعًا: إنَّ الاتصال بالسماء لم ينقطع بعد موتِ النبي ﷺ؛ لأنه ثابتٌ للأئمة، وهذا قد صرَّح به عالِمُهم «محسن الخرازي» معتمدًا على ما ورد

⁽١) في الكتاب «للسماوات»، ولعلَّ الأصح ما أثبتناه.

⁽٢) «منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة» (١٢/ ٤٢).

⁽٣) «شرح نهج البلاغة» للسيد عباس علي الموسوي (٣٤٨/٣).

⁽٤) ولذا ينقل حبيب اللَّه الخوئي في شرحه السابق للنهج (٢١/ ٤٣) قول النبي عَلَيْهُ لعلي النبوة»، وقال البحراني في النبوة»، وقال البحراني في «شرحه» (٣١٨/٤) ناقلاً نفس الحديث: «وقال له الرسول عَلَيْهُ: لولا أني خاتم النبيين لكنت شريكًا في النبوة».

عندهم من روايات، وذلك حين أورد عتراضًا على «خَتم النبوة» بأن فيه حرمان البشر من رحمة الاتصال بالملأ الأعلى، فقال: إن هذا الاتصال ثابت للأثمة بعد النبي عليه ولم ينقطع، حيث قال في كتابه «بداية المعارف الإلهية» (١/ ٢٨١): «ومنها أنَّ لازمَ خَتم النبوة هو قَطعُ ارتباط الأمة مع المبدأ الأعلى، وفيه أن الارتباط بالمبدأ الأعلى لا ينحصرُ في النبوة، إذ الارتباط بواسطة الأئمة ميسورٌ وممكن - بل واجب -، إذ الإمامةُ غيرُ منقطعة إلى يوم القيامة، والإمامُ محدَّث، والملائكة تتنزل إليهم وتُخبرُهم بما يكونُ في السَّنة من التقدير والقضاء والحوادث وبأعمال العباد وغير ذلك، لتواتر الروايات الدالية على ذلك، من جُملتها ما رُوي عن الباقر الميها في أن أوصياء محمد عليه وعليهم السلام محدَّثون». . ». «أصول الكافي» (١/ ٢٧٠).

فهو يُثبتُ الوحيَ للأئمة بكلِّ صراحة؛ لأنه نَفَىٰ حصولَ انقطاعِ الاتصال بالسماء بعد رحيلِ النبي عَلَيْكُ مؤكِّدًا استمرارَه وثبوتَه للأئمة، وبما أن الاتصال الذي كان للنبي عَلَيْكُ في السماء هو الوحيُ، فهو إذًا بعينه ثابتٌ للأئمة، ولم ينقطع بموت النبي عَلَيْكُ .

خامسًا: أن الأئمة يعلمون أخبار السماء صباحًا ومساءً عن طريق الملك:

لقد صرَّحوا بأن الإمام يعرفُ أخبارَ السماء صباحًا ومساءً، وهذا إمَّا أن يكونَ عن طريق وحي ظاهر وهو الملك، أو باطن وهو الإلقاءُ في القلب، ولكنهم قد أثبتوا له الوحي الظاهر، وهو تكليمُ الملكِ للإمام(۱)، (۱) سبق ذكر روايات الكليني التي تثبت تكليم الملك للإمام.

وهذا هو معنى الوحي الذي ينزلُ على الأنبياء، ولكنهم لم يُثبتوا هذا للإمام فحسب، بل جعلوا مَنْعَ اللَّه تعالى لهذا الوحي ـ وهو إخبارُ الإمام بأخبار السماء والأرض صباحًا ومساءً عن طريق الملك ـ عن الإمام مناف لرحمته ولطفه بعباده، وبالتالي يكون القولُ بانقطاع الوحي بعد النبي عَلَيْكُ ينافي رحمة اللَّه تعالى بعباده ولُطفَه بهم . . فمن رواياتهم التي أثبتوا فيها نفس المعنى الذي نقول به ما يلى:

أ ـ ذكر الكلِّيني في «الكافي» (١/ ٢٦١) الحديث (٣): «عن جماعة ابن سعد الخثعمي أنه قال: كان المفضَّلُ عند أبي عبداللَّه اللَّيَا فقال له المفضَّل: جُعلت فداك، يَفرضُ اللَّهُ طاعة عبد على العباد ويَحجُبُ عنه خبر السماء؟ قال: لا، اللَّهُ أكرمُ وأرحمُ وأرأفُ بعباده من أن يفرضَ طاعة عبد على العباد، ثم يَحجُبُ عنه خبر السماء صباحًا ومساءً».

ب - ذكر أيضًا (ص٢٦٢) الحديث (٦): «عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر يقول: لا واللّه لا يكونُ عالم (العالم الذي افترض اللّه طاعته) جاهلاً أبدًا، عالمًا بشيء جاهلاً بشيء، ثم قال: اللّه أجل وأعز وأكرم أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه، ثم قال: لا يحجب ذلك عنه».

وهذا هو بعينه الذي أثبته «الخرازي»، إذ أثبت أن الاتصال بالسماء عن طريق الملائكة حاصل للائمة، وهذا بلا شك هو مفهوم الوحي.

سادسًا: إِنَّ «رُوحَ القدس» الذي به تَحمَّلَ النبوة ، ينتقلُ من النبي إلى الإمام:

وقد أثبتوا هذه الروح - أي: روح القدس ـ في رواياتهم والتي ميَّزوها

عن باقي الأرواح بأنها لا تسهو ولا تلهو، وبها يَعلمُ النبيُّ والإمامُ أنباءَ الغيب من تحت عرشِ الرحمن إلىٰ ما تحت الثرىٰ - كما عَبَّر عنه شارح «الكافي» عند تعليقه علىٰ الرواية الثانية الآتية.

وهناك مَزِيَّةٌ أخرى لروح القدس، وهي أن النبوة تُحمل بها، فبروح القدس تُحمل النبوة ـ حيث صرَّح بذلك في الرواية الثالثة ـ..

والفاجعة التي سيصاب بها القارئ حين يعلم أن هذه الروح التي تُحمل بها النبوة قد انتقلت إلى الإمام، كما ورد في الرواية الثالثة بقوله: «وروح القدس فبه حَمل النبوة، فإذا قُبض النبي عَلَيْة، انتَقل رُوحُ القدس، فصار إلى الإمام».

بمعنى أن الإمام سيحملُ النبوة عن طريق روحِ القدس التي انتقلت الله، فكيف يزعمون بأنهم لم يُثبتوا النبوة للإمام.

□ ومن الروايات حول «روح القدس» هذه ما رواه الكليني في «الكافي» (١/ ٢٧١ ـ ٢٧٢):

آ ـ عن جابر الجُعْفيِّ قال: «قال أبو عبداللَّه اللَّهِ اللَّهِ عابر، إن اللَّه تبارك وتعالى خَلق الخلق ثلاثة أصناف، وهو قولُ اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلاثَةً ﴿ ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ فَلَ الْمَيْمَنَةِ فَلَ الْمَيْمَنَةِ فَلَ الْمَيْمَنَةِ فَلَ الْمَيْمَنَةِ فَلَ اللَّهُ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فَي وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فَي الواقعة: ٧ ـ ١١].

فالسابقون: هم رسل اللَّه عليهم السلام وخاصَّةُ اللَّه من خلقه، جَعل فيهم خَمسةَ أرواحٍ أيَّدهم برُوح القدس، فبه عَرفوا الأشياء، وأيَّدهم برُوح

الإيمان، فبه خافوا اللَّه ـ عز وجل ـ وأيَّدهم بُروح القوة، فبه قَدَروا على طاعة اللَّه، وأيَّدهم برُوح الشهوة، فبه اشتهَوا طاعة اللَّه ـ عز وجل ـ وكرِهوا معصيته، وجَعل فيهم رُوح المدرج الذي به يَذهبُ الناسُ ويجيؤون، وجَعل في المؤمنين وأصحاب الميمنة رُوح الإيمان، فبه خافوا اللَّه، وجَعل فيهم رُوح القوة، فبه قَدروا على طاعة اللَّه، وجَعل فيهم رُوح الشهوة، فبه اشتهوا طاعة اللَّه، وجعل فيهم رُوح المدرج الذي به يذهبُ الناس ويجيؤون».

٢-عن جابر، عن أبي جعفر الليكا قال: «سألته عن علم العالَم، فقال لي: يا جابر، إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح: روح القدس، ورُوح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة. فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى.

ثم قال: يا جابر، إن هذه الأربعةَ أرواح يصيبها الحَدَثانِ، إلاَّ رُوحَ القدس، فإنها لا تلهو ولا تلعب».

٣- عن المفضل بن عمر، عن أبي عبداللّه الليّه قال: «سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرخًى عليه ستره، فقال: يا مفضّل، إن اللّه تبارك وتعالى جعل في النبي عليه خمسة أرواح: رُوح الحياة، فبه دَبّ ودرج. ورُوح القوة، فبه نَهض وجاهد. وروح السهوة، فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال. ورُوح الإيمان، فبه امن وعدل. ورُوح القدس، فبه حَمَل النبوة، فإذا قُبض النبي عليه انتقل رُوح القدس فصار إلى الإمام، ورُوح القدس لا ينام ولا يغفل، ولا يلهو ولا يزهو، والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتزهو وتلهو، وروح القدس

کان یَریٰ به^{۱۱)} .

سابعًا: مفهوم «العصمة» يتضمن إِثبات الوحي، وهي متحقِّقةٌ في الإِمام:

العصمة المعصوم، فيذكر الدكتور «عبدالهادي الحسني» في كتاب وتصويبه للمعصوم، فيذكر الدكتور «عبدالهادي الحسني» في كتاب «العصمة» (ص٧١): «أي: أن الأئمة يُوحَىٰ إليهم، وإلا كيف تكونُ العصمة؟! أما قال الله ـ عز وجل ـ وهو يُخبِرُ عن عصمة نبيه ﷺ وكونها بالوحي ـ: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هُوَىٰ ﴿ نَ مَا ضَلَّ صَاحبُكُم ْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ نَ وَمَا بَعَدها مبينًا يَنطقُ عَنِ الْهُوَىٰ ﴾ [النجم: ١ - ٣]؟! وهذه هي العصمة؛ ثم قال بعدها مبينًا عليَّها وسببها: ﴿ إِنْ هُو إِلا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ عن طريق جبريل اللَّه الذي أخبر عنه بقوله تعالىٰ بعدها: ﴿ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوكَ ﴾ [النجم: ١ - ٥]».

ثامنًا: لم يُثبتوا نزول الوحي فقط على الإمام، بل زادوا عليه:
فقد أثبتوا للأئمة نزول مَلَك أعظم من جبريل الليه فلم يكتفوا بنزول جبريل على الإمام؛ لأن هذا في نظرهم شيء مشترك بينهم وبين الأنبياء، وبما أنهم يعتقدون علو منزلة الأئمة على منزلة الأنبياء، وأنها أعظم منها، فلابد أن يُضيفوا إليها تنزل ملائكة أعظم من جبريل وميكائيل، فمن الروايات التي أثبتت ذلك، والتي وردت في كتاب «الكافي» للكليني ما يلي:

العن أبي بصير قال: «سألت أبا عبدالله المليه عن قول الله تبارك المحقق الكتاب: «يعني ما غاب عنه في أقطار الأرض وما في عنان السماء، وبالجملة ما دون العرش إلى ما تحت الثرئ».

وتعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكَتَابُ وَلا الْإِيمَانُ ﴾ [الشورى: ٢٥]. قال: خَلقٌ من خَلقِ اللّه عز وجل ـ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول اللّه ﷺ يُخبره ويُسدِّدُه، وهو مع الأئمة مِن بعده».

٢ - عن أسباط بن سالم قال: «سأله رجلٌ من أهل «هيت» - وأنا حاضر - عن قول اللَّه - عز وجل -: ﴿ وَكَذَلِكَ أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ فقال: منذ أنزل اللَّه - عز وجل - ذلك الروح على محمد ﷺ، ما صَعد إلى السماء وإنه لفينا».

٣ - عن أبي بَصير قال: «سألتُ أبا عبداللَّه اللَّيَا عن قول اللَّه عز وجل -: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي ﴾ [الاسراء: ١٥٥]، قال: خَلقٌ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول اللَّه عَلَيْتُهُ، وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت».

٤ - عن أبي بَصير قال: «سمعت أبا عبداللَّه اللَّهِ يقول: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِي ﴾، قال: خَلَقٌ أعظمُ من جبرائيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى، غير محمد ﷺ، وهو مع الأئمة يُسدِّدُهم، وليس كلُّ ما طُلب وُجد».

وانظر بعين البصيرة لهذه العبارة عن هذا الملك الذي هو أعظمُ من جبريل وميكائيل، حيث قال عنه: «لم يكن مع أحدٍ ممن مضي، غيرِ محمد، وهو مع الأئمة يُسدَّدهم»، فهو غيرُ موجودٍ مع الأنبياء السابقين، ليستيقنَ بأنهم يُنزهون مرتبة الإمامة من أن تنحدر من عزِّها ورفعتها إلى

مرتبة النبوة»(١) .

تاسعًا: مفهوم «النُّبُوَّة التبليغيَّة» وتعريفُها ينطبقُ تمامًا على الأئمة ـ بزعمهم -:

يتبيّن لنا فيما تقدّم أن الإمامية يُثبتون الوحي للإمام المتمثّل بتكليم جبريل له وإملائه عليه قرآنًا وإخباره له بأخبار السماء صباحًا ومساءً (٢) ، بما يجعله في مصافّ الأنبياء لتحقُّق مفهوم النبوّة فيه ، دون أدنى فرق معقول ، وهذا التحقُّق يتأكّدُ أكثر من خلال طرحهم مفهومين للنبوة .

وهما النبوة التشريعية والتبليغية على ما صَرَّح به آيتهم العظمي «جعفر سبحاني» (٣) والذي عرَّفهما بقوله:

١ ـ النبوة التشريعية: هي أن يُبعث النبيُّ بشريعة جديدة وكتاب جديد،
 وهذه قد انحصرت في خمسة ذكرت أسماؤهم في القرآن الكريم.

النبوة التبليغية: هي أن يبعث النبي لغاية الدعوة والإرشاد إلى أحكام وقوانين سنتها الله تعالى على لسان نبيه المتقدم، وهم الأكثرية من

 ⁽١) «الكافي» للكليني (١/ ٢٧٣).

⁽٢) قال علاَّ متهم محمد جميل حمود مثبتاً الوحي للإمام بالإضافة لما تقدم في كتابه «الفوائد البهية» (٢/ ١٠٢): «فنزول جبرائيل ﷺ والملائكة المقربين على نبينا محمد وعترته الطاهرة. . وعليه فوساطة جبريل أو روح القدس في علمهم في هذه النشأة»، وقال عن الوحي الذي ينزل على الرسل وأولي العزم (٢/ ١٠٧): «وهذا القسم من الوحي يشمل العترة الطاهرة أيضًا لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فَعْلَ الْخَيْرَاتِ

وَإِقَامَ الصَّلاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٣]».

⁽٣) وذلك في كتابه «مفاهيم القرآن» (٣/ ٢١٧ ـ ٢١٨).

الأنبياء، حيث بُعثوا لترويج الدِّين الذي جاء به أُولو العزم الخمسة.

ولو تأملنا التعريفين بتجرُّد وإنصاف نستطيعُ أن ننفي عن الإمام النبوة التشريعية؛ لأنه لم يأت بشريعة جديدة غير شريعة نبيًّنا ﷺ، ولكنَّهم واللَّه لا يستطيعون إيجاد فَرق بين «النبيِّ التبليغي» الذي ينزلُ عليه الوحي، وبين «الإمام» لادعائهم نزول الوحي على الإمام أيضًا.

□ قال «جعفر سبحاني» عن وظيفة النبيِّ التبليغي وتعريفه: «بأنه الذي يقوم بنشرِ الشريعة وجِلائها وتجديدها لكي لا تندرس، ويتمُّ إبلاغُها من السلف إلى الخَلَف بأسلوبٍ صحيح»(١).

□ وفي الوقت نفسه، أثبتوا هذا للإمام، حيث يقول «مرتضاهم» الملقب «بعَلَم الهدئ»: «لأن أصحابنا قد ذكروا وجوه الحاجة إليه في ذلك، فمنها تأكيد العلوم وإزالة الشبهات. ومنها أن يُبيِّن ذلك ويُفصِّله، ويُنبِّه على مُشكِلِه وغامضه. ومنها كونه من وراء الناقلين، ليأمن المكلَّفون من أن يكونَ شيءٌ من الشرع لم يصل إليهم»(١).

□ وقال أيضًا: «فيجبُ أن يكونَ من وراءِ ما يُنقل إلينا بعد وفاته ﷺ
 من شريعته معصومٌ يتلافئ ما يُجري في الشريعة من زَللٍ وترك الواجب».

فانظر إلى ما اقترفوه، وانظر إلى هذا التطابق الذي يلوح لكلِّ ذي عَينْ بين النبي التبليغي وبين الإمام، حيث تحقَّق فيه مفهوم النبوة التبليغية تمامًا دون أدنى فَرق إلاَّ إطلاق الاسم، وما استطاع الكذَّابُ إيجاد فَرق

⁽۱) «مفاهيم القرآن» (٣/ ٢١٨).

⁽٢) «الشافي في الإمامة» للشريف المرتضى (١/ ٧٥ ـ ٧٦).

صحيح بين «النبي التبليغيِّ» وبين «الإمام» بعد الصفات التي خَلعوها على أئمتهم زُورًا وكذبًا وبهتانًا، عاملَهم اللَّهُ بما يستحقُّون.

□ يقول فيلسوفُهم الشيرازي: «لكنَّ النبوةَ خُتمت بالنبيِّ محمد عَلَيْكِيْ النبوة النبيِّ محمد عَلَيْكِيْ النبوة النبوة إلى يوم التي نبوة الرسالة والتشريع -، وبَقِيت الإمامةُ التي هي باطنُ النبوة إلى يوم القيامة»(١).

□ وقال في نفس الكتاب (ص٩٧): «فإن هذه الأحوالَ السَّنية مما يقع فيه الاشتراكُ بين الأنبياء والرسل والمُحدَّثين من هذه الأمة، بل أن الأرضَ ما خكت عن النبوة الباطنية إلاَّ نُبُوَّةَ التشريع وإطلاق الاسم».

عاشرًا: تصريح علماء الإمامية بأن الإمام يجب أن يتصف بصفات النبى:

فقد صرَّحوا بوجوبِ اتصافِ الإمام بصفاتِ النبيِّ؛ لأنه نائبٌ عنه، فيجب أن يكون مماثلاً له تمامًا ـ أي: نُسخةً طبِق الأصل -، فممن صرح بذلك من علمائهم:

١ ـ قال عبدالحسين دستيغيب في كتاب «الإمامة» من سلسلة «أصول الدين» (٦/٢): «يجبُ أن يكونَ الإمامُ مشابهًا للرسول عَلَيْكُ تَمَامًا».

الشخص، فخليفة الرسول عَلَيْ شخص نجب أن يكون مماثلاً لذلك الشخص، فخليفة الرسول عَلَيْ يجب أن يماثِل الرسول من حيث العلم والعمل، بحيث لو رآه أيُّ شخص فكأنما رأى الرسول عَلَيْ الله الله المنافق المنا

⁽١) «كتاب الحجة» لصدر الدين الشيرازي (ص١٣٣).

٢ ـ قال «محمد تقي مصباح اليزدي» (ص٣٦): «الإمامُ الذي يمتلكُ خصائص نبي الإسلام عَلَيْ كلَّها عدا النبوة والرسالة».

٣- قال «محسن الخرازي» في «بداية المعارف الإلهية» (١ / ١١): «كما أنه - أي: الإمام - يتَّصفُ بصفاتِ النبي أيضًا لكونه خليفةً له، فإنْ كان النبي معصومًا، فهو أيضًا معصوم. وهكذا فالإمامُ يقومُ مقام النبيِّ في جميع صفاته عدا كونه نبيًّا».

□ ويقول أيضًا (٢/ ٤٠): «فكلُّ ما كان النبيُّ معصومًا عنه، كذلك يكونُ الإمام معصومًا عنه».

□ وقال (٢/٤٤): "إن مقتضى كون الإمام قائمًا مقامَ النبي في جميع شؤونه إلاَّ تلقِّي الوحي، هو تخلُّقُه بأخلاقِه، واتصافُه بصفاته، إذ بدون ذلك لا يتمُّ اللَّطفُ، وهو نقضٌ ذلك لا يتمُّ اللَّطفُ، وهو نقضٌ للغرض، ومخالفٌ لمقتضى عنايتِه الأولى ورحيميته».

٤ - «محمد رضا المظفر» في «عقائد الإمامية» (ص١٠٤): «ونعتقد أن الإمام كالنبي، يُجب أن يكون معصومًا».

٥ - قال عالمهم وأبرزُ أعلام المذهب «علي بن موسى بن جعفر بن طاووس» في كتاب «الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف» (ص١٠): «وإن القائم مَقامَه على صفاتِ نبيّه في العصمة؛ وكلُّ ما يجبُ له يجب للنائب من صفاتِ الكمال».

فهم يوجبون أن يتَّصفَ الإِمامُ بصفاتِ النبي، فكيف تقولُ: «لَم نُشركُهم بالصفات»؟!.

* الحادي عشر: تصريح علماء الإماميّة بأهليّة الأئمة لنصب النّبُوّة لولا عقيدة «خَتم النبوة»:

ومِمَّن صَرَّح بذلك:

ا - المفيد في «أوائل المقالات» (ص٤٩ - ٥٠) باب «القول في الفرق بين الرسل والأنبياء»: «وإنما منع الشرع من تسمية أئمتنا بالنبوة دون أن يكون العقلُ مانعًا من ذلك».

أي: لولا الشرعُ لأطلقوا على أئمتهم لفظة النبي؛ لأن العقل يُجوِّزه.

٢ ـ قال «هبة الدين الشهرستاني» في «أوائل المقالات» (ص١٧٨): «وما يُدريك أنْ لو كانت النبوةُ باقيةً مستمرةً لكانت النبوةُ في هؤلاء متسلسلةً، فما قَصَروا عنها إلا لمانع في الحكمة الإلهية العامة، لا لقصور في استعداد هؤلاء خاصةً، والله أعلم بحقائق الأمور».

٣ ـ قال السيد «أمير محمد كاظم القزويني» في كتابه «الشيعة في عقائدهم وأحكامهم» (ص٧٧) حول استحقاق الأئمة للنبوة والمانع منه هو ختم النبوة: «ولا يَرِدُ عليه بأنه إذا كانت مرتبة الإمامة فوق مرتبة النبوة كان افتراق الإمامة عنها منافيًا لهذا القول؛ لأنه مردودٌ باستحقاق المرتبة العالية وهي الإمامة، متفرِّعٌ على استحقاق المرتبة التي هي دونها ـ أي: النبوة -، وهذا الاستحقاق ثابتٌ في الأئمة من البيت النبوي عَلَيْقٌ، وإنما كان المانعُ عنها هو مرتبة «ختم النبوة» الثابتة لرسول اللَّه عَلَيْقٌ».

* الثاني عشر: تصريح فليسوفهم الشيرازي بأن الإمامة هي نبوَّة باطنية وأنهما حقيقة واحدة:

 □ فقد اعترف «صدر الدين الشيرازي» في كتابه «الحجة» بأن الإمامة نبوة باطنية، وهي متفقة في حقيقتها مع النبوة، فمن أقواله:

ا - صرَّح بأن الإمامة هي باطن النبوة، فقال (ص١٣٣): «لكن النبوة خُتمت بالنبي محمد ﷺ أي: نبوة الرسالة والتشريع -، وبَقِيت الإمامة التي هي باطنُ النبوة - إلى يوم القيامة».

□ وقال (ص٩٧): «فإن هذه الأحوالَ السَّنية مِمَّا يقعُ فيه الاشتراكُ بين الأنبياء والرسل، والمُحدَّثين من هذه الأمة، بل إن الأرضَ ما خَلَت عن النبوة الباطنية إلاَّ نبوةَ التشريع وإطلاقَ الاسم».

٢ ـ قال (ص٥١): «فيجب أن لا تنقطع الإمامة ـ التي هي والنبوة حقيقة واحدة بالذات متغايرة بالاعتبار ـ عن ذريته، بل لابد أن لا ينقطع معنى النبوة وما يجري مجراه عن وجه الأرض أبدًا كما توضح سابقًا».

* الثالث عشر: آخِرُ قاصمة للظهر، صرَّح بها المجلسي بأن عقولهم لم تستطع الوقوف على فَرْق مُقنع بين النبي والإمام:

فمسكين مجلسيَّهُم هذا، رغم أنه خاتمة محدِّتي الشيعة، وألَّف كتاب «بحار الأنوار» والذي طبع مؤخراً فبلغت مجلداته (١١٠) مجلد لتتصور سعَة علمه واطلاعه على المذهب بمرواياته ونصوص علمائه، بعد أن أجهد نفسه ليجد فَرْقًا حقيقيًّا مقنعًا وليس فرقًا لفظيًّا أو شكليًّا وبين النبي وإمامهم المعصوم، عَجَز عن ذلك؛ لأن أوصافهم متطابقة تمامًا حكما نقلنا

قَدْرًا منها آنفًا .، فبعد أن غاص في بحار روايات الشيعة ونصوص علمائهم والتي بلغت (١١٠) أبحر - أي: بعدد مجلدات كتابه - والجهد المُضني الذي بَذُله، كتب لنا تقريرَه النهائيَّ واعترافه الخطيرَ الذي يُعدُّ بمثابة كلمة الفصل وصَفعة قوية لكلِّ مَن يزعمُ وجودَ فرق حقيقيِّ بين النبي وإمام الشيعة، بأن عقولَهم لَم تصلُ إلى فرق بين ظاهر بين النبي والإمام، واستغرب أيضًا لعدم وجود جهة وعلَّة مقنعة لعدم اتصافهم بالنبوة إلاَّ جهةً واحدةً، وهي أن الشرعَ قال: (لا، إن محمدًا عليهم السلام أنبياء، وبأنهم أشرفُ وأفضلُ من الإذعان بعدم كونهم عليهم السلام أنبياء، وبأنهم أشرفُ وأفضلُ من غير نبينا عليهم الأنبياء والأوصياء، ولا نعرف جهةً لعدم اتصافهم بالنبوة إلا رعاية جلالة خاتم الأنبياء، ولا تصلُ عقولُنا إلى فرق بين بين النبوة والإمامة، وما دلت عليه الأخبار فقد عرفته (۱) ، واللَّه تعالىٰ يعلم حقائقً أحوالهم صلوات اللَّه عليهم أجمعين (۱) .

وبعد: فهذه اثنا عشر وجهًا تُبطل محاولاتهم للتفريق بين النبي والإمام بفارق الوحي، وكلُّ واحد من هذه الوجوه كاف لوحده على أن يَجعلَ محاولة التفريق هباءً منثورًا، فكيف لو اجتمعت جميعُها؟!!.. أفبعد كلِّ ما نسبتموه للأئمة من صفات بعضُها لا يليقُ إلاَّ باللَّه، ومعظمُها

⁽١) فقال عن الأخبار التي ذكرت الفرق بين النبي والإمام قبل هذا الكلام بقليل: «بيان: استنباط الفرق بين النبي والإمام من تلك الأخبار لا يخلو من إشكال، وكذا الجمع بينها مشكل جداً».

⁽٢) «بحار الأنوار» للمجلسي (٢٦/ ٨٢)، وكرر نفس الكلام بنصِّه في كتابه «مرآة العقول» الذي شرح به كتاب «الكافي» للكليني وذلك في (٢/ ٢٩٠).

ينطبقُ على النبيِّ تَكذبون على أنفُسِكم وعلى الدنيا بأسرها؟! فواللَّه ما فتح البابَ إلى ادِّعاءِ النبوةِ من الدجَّالين إلاَّ عقائدكم الفاسدة، وحَظُّكم من مرتبة النبوة وإعلاء الإمامة فوقها.

الله وهكذا حَصَل التآمرُ من علماء الشيعة على مرتبة النبوة بالإجهاز عليها، وبالفعل قاموا بذبحها وسلْخها عن شرفها وفضلها بمرأى ومسمع من جميع المسلمين في العالم، غير مكترثين لهذا الأصل العظيم الشريف عند الله تعالى، حتى عدَّها سبحانه من أعظم النعَم على العباد، وذلك حين بيّن لنا سبحانه العباد الذين أنعم الله بنعمه وفضله عليهم ذاكراً في مقدمتهم الأنبياء؛ لأنهم فأزوا بوسام النبوة والسَّبق في القرب من الله تعالى، حيث قال: ﴿ وَمَن يُطِعِ الله وَالرَّسُولَ فَأُولئكَ مَعَ الّذينَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِن النَّبيّن والصَّالحين وحسن أولئك مَعَ الذين أَنْعَمَ الله عَلَيْهِم مِن النَّبيّن والصَّالحين وحسن وأصن يُطعِ الله والصَّالحين وحسن أولئك رَفيقاً ﴾ [النساء: ٦٩].

□ ويقول السيد «أبو الحسن الندوي» في كتابه «صورتان متضادتان» حول خُطرِ إمامة الشيعة على أصل النبوة (ص٩٧ - ٩٨): «يحسنُ بنا إلى تلقي نظرة على معتقدات فرقة الإثنا عشرية ومبادئها التي ننقلُها ملتقطة من كتابهم «أصول الكافي»، هذه الفرقة ترىٰ أن خليفة الرسول والخليفة الإمام أيضاً قدتم تعيينُهم من عند اللَّه، وهم كالنبي معصومون ومفترضوا الطاعة، وأن منزلتهم تُساوي منزلة رسول اللَّه على وتفوقُ منزلة الأنبياء الآخرين، وأن منزلتهم تُساوي منزلة بدون إمام، وأن هذا لا يتم ما لا يُعلم به، وأن الدنيا لا تقومُ من دون إمام، وأن معرفة الأئمة شرط للأيمان، وأن طاعة وأن الدنيا لا تقومُ من دون إمام، وأن الأئمة شرط للأيمان، وأن طاعة الرسل، وأن الأئمة لهم الخيار في تحليل الأشياء الأئمة واجبة كطاعة الرسل، وأن الأئمة كلهم الخيار في تحليل الأشياء

وتحريبها، وأنهم معصومون مثل الأنبياء، وأن المؤمن بالأئمة المعصومين من أهل الجنة وإن كان ظالًا وفاسقًا وفاجرًا، وأنَّ درجة الأئمة كدرجة الرسول على وأرفع من جميع الخلق ومن جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لقد كان الأئمة يتمتّعون بعلم ما كان وما يكون، وتُعرضُ أعمالُ العباد على الأئمة في ليلهم ونهارهم، وأن الملائكة تترددُ إلى الأئمة ليل نهار، وفي ليلة كلِّ جمعة يُكرمون بالمعراج، وعلى الأئمة ينزلُ كتابٌ من عند اللَّه كلَّ عام في ليلة القدر، والموت يكون في سلطتهم، وأنهم يملكون الدنيا والآخرة، في ليلة القدر، والموت يكون في سلطتهم، وأنهم يملكون الدنيا والآخرة، في عليه المفهوم من تصور الإمامة المذكور، فهذا البطريق «هوجيش» يقول: "إن هذا المفهوم من تصور الإمامة المذكور، فهذا البطريق «هوجيش» يقول: "إن الشيعة إنما يخلعون على الأئمة صفات اللَّه»، ومحقق آخر إيوانو» يقول: "إن استمرار ضوء الإمامة في العالم بصفة دائمة إنما يمنح النبوة مكانة جانبية»..».

الإمامية يُعرفُ من لفظ الإمام، فإن الإمام عندهم هو المعصوم المفترضُ الطاعة، الموصَىٰ إليه وحيًا باطنيًا، (بل إنه وحيٌ ظاهر بتكليم الملك، كما أثبتنا ذلك)، وهذا هو معنى النبي، فمذهبهم يستلزم إنكاراً النبوة».

نعم إن اعتقاد قضية الإمامة بمفهومها الشّيعي يُعطي النبوة مكانة جانبية، ونسطيع أن نَلمس هذا من خلال واقع تعامل الشيعة مع شخص نبينا محمد عَلَيْه ، إذ إنها تؤثّر على مكانته في قلوب المسلمين من خلال تقليلها لمحبته عَلَيْه عما أوجبه له دين الإسلام، حيث قال عَلَيْه فيما رواه

مسلم في "صحيحه" (١٩/١): عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللّه والله والناس وَلِيه ووالده والناس وَلِيه ووالده والناس أجمعين"، وروى البخاري (٢١٨/١): حدثني أبو عقيل زُهرةُ بنُ مَعبد أنه سَمع جدّه عبداللّه بن هشام قال: كنا مع النبي وهو آخذٌ بيد عمر بن الخطاب وطفي، فقال له عمر: يا رسول اللّه، لأنت أحبُ إليَّ من كلِّ شيء إلاَّ من نفسي. فقال النبي عَلَيْ له: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبُ اليك من نفسك». فقال له عمر فرفي : فإنه الآن واللّه لأنت أحبُ إليَّ من نفسي. فقال النبي عَلَيْ له: «لا والذي نفسي بيده، حتى أكونَ أحبُ اليكُ من نفسك». فقال له عمر فرفي : فإنه الآن واللّه لأنت أحبُ إليَّ من نفسي. فقال النبي عَلَيْ : «الآن يا عمر».

وهذا المعنى تضمَّنه قوله تعالى: ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

□ ويؤكّد السيد أبو الحسن الندوي ما أثبته الشرعُ من وجوب تفرُّد النبي ﷺ بحبة لا مشارِكَ ولا مزاحِمَ ولا مساوٍ له فيها مهما كان إيمانه وتقواه، فقال في كتابه «صورتان متضادتان» (ص٩٦-٩٧): «أما الشرطُ الرابع الذي كنا قد اشترطناه للنبوة الدائمة والأُمة الخالدة هو أن تكون شخصيةُ الرسولِ هي مركزُ الهداية ومحورُ العلاقة القلبية والتفويضِ العقليِّ للأمة، وأن يكون النبيُّ هو مصدرُ التشريع والمستحِقُّ لأن يُطاعَ ويُمتَثَلَ أمرُه، لا يشاركُه في ذلك أحدٌ من أفراد أمته».

□ وإلى أن قال (ص١٠٤): «أما شخصية الرسول ﷺ، فلا يكفينا أن نتَّصل بها اتصالاً قانونيًّا فحسب، بل المطلوب منا أن نرتبط بها ارتباطًا رُوحيًّا وعاطفيًّا، ونُحبَّه حبًّا خالصًا عميقًا يفوقُ كلَّ الحبِّ للمال والنفس والأهل والأولاد، ولا تُشارَكُ في ذلك أيُّ شخصية بعد ذات اللَّه تعالى،

وإن كان من كبار الأولياء، أو من الرجال الكاملين، أو فردًا عظيمًا من أفراد أهل البيت.

إنَّ النبي عَلَيْكُ شمس مشرقة للعالَم كلِّه، وكلُّ مَن عداه ـ سواء كان من الصحابة الكرام، أم المجدِّدين، أو مؤسسي الحكومات والممالك، أو قادة الثورات ـ، فهو ذَرَّة تستنير بنور هذه الشمس المشرقة وتُنير، وهو تراب يتحوَّل إلى أكسيد، وحديد «حجر الفلاسفة»، وهو أحقُّ وأجدر بالوصف الذي جاء في بيتين عربيين قديمين:

ألاً إِنَّ وادي الجِذعِ أضحى تُرابُ و وما ذاك إلاَّ أن هندًا عشيةً

في المسك كافورًا وأعواده رَنْدا عَشَّتَ وجَرَّت في جوانبه بُرْدا

فهذه المحبةُ التي أوجبها الشرعُ لنبينا عَلَيْ إلا أنها لم تَصْفُ ولم تَسلمُ للشيعة ـ بسبب عقيدة الإمامة ـ كما أمر بها الشرعُ ، وكما هي موجودةٌ عند أهل السنة ، لأنهم جَعلوا له مساويًا في الصفات ، ومن ثَمَّ يكونُ مساويًا له في الحب وهم الأئمة المعصومون ، وليس هذا افتراءً عليهم ، بل هو واقعٌ يلمسُه كلُّ من عاش بين أظهرهم » .

□ فها هو ـ وهو من عاش في بلادهم وطاف بها ـ مثبتًا ذلك، حيث يقول في كتابه "صورتان متضادتان" (ص١٠٥ ـ ١٠٦): "ولكنَّ هذه المعتقدات عن الإمامة والأئمة لا تُعارِضُ الإعجابَ والحُبَّ للنبي عَيَّ للهُ فحسب، بل إنها تضادُّه وتتصادمُ معه، فكانت النتيجةُ الطبيعيةُ والنفسيةُ أن الشيعةَ لم يتمكَّنوا من تأليف كتابٍ قويًّ مؤثِّرٍ في السيرة النبوية، ولا أن شُعراءَهم النابغين وقفوا إلى نَظْم نبوياتٍ قويةٍ مؤثِّرة، ومدائحَ نبويةٍ تتجلَّىٰ فيها العاطفةُ القلبيةُ في المديح الشِّعري للنبي عَيَّ اللهِ وتتدفقُ فيه القريحة فيها العاطفةُ القلبيةُ في المديح الشِّعري للنبي عَيَّ اللهِ وتتدفقُ فيه القريحة

الوقَّادة، كما نرىٰ ذلك في شِعر المراثي ومناقبِ أهل البيت وتصوير ما حدث في «كربلاء» بأسلوبٍ ساحرٍ وشاعريةٍ بليغة، ولا نَبّغ فيهم شاعرٌ للمديح يُضاهي شعراء الهند الذين علا كعبُهم في شِعر المديح - دع عنك شعراء الفارسية في المديح النبوي مثل القدسي والجافي ًـ، وهذا ما يقتضيه القياس، وهي قضيةٌ معلومة، ومن المناسب في هذه المناسبة أن أنقلَ ما قلتُه في رحلتي إلى إيران في كتاب «من نهر كابل إلى نهر اليرموك»: «إننا شعُرنا في كلِّ مجتمع ينتمي إلى الطريقةِ الإمامية أن الصِّلةَ العاطفيةَ والحماسَ الداخِليُّ في حُبِّ أهلِ البيت وتعظيم الأئمة الذين كانوا أئمة الهدى ومصابيح الدُّجي ـ و لا يَشكُّ في ذلك مسلم ـ كاد يَشغلُ كلَّ فراغ في النفس والعاطفة والعقل والضمير، ويُخشى أن يكون قد أخذ الشيءَ الكثيرَ من حقِّ النبوة التي هي مصدرُ كلِّ خيرٍ وسعادةٍ، ومن شخصيةِ الرسولِ الأعظم عَلَيْكَةً الذي نال به أهلُ البيت الشرفَ، واستحقوا الحبُّ والتعظيم، وأنه نما وازدَهُر على حساب الصِّلةِ العميقةِ التي يجبُ أن تكونَ بين المسلم ونبيِّه عَيَا اللَّهِ ١٠٠ على على المسلم ونبيَّه عَيَا الله الله على الله على الله على الله الله على الله عل

فالخَطبُ أدهى وأمرُّ، فقد أضافوا إلى ذلك الحَطَّ من شرف النبوة وقَدْرِها، وفتحوا البابَ إلى نَسفِ ختم النبوة. والعجيبُ أن أغلبَ مَن ادَّعُوا النبوة خرجوا مِن فِرَق تِفرَّعت عن فِرقتهم، فاللَّهُ يُحاسبهُم بما أوردوا الناسَ من مهالكَ ومخازِ.

* الفرْيَةُ الكُبرى للإِماميَّة: ادعاؤُهم تحريفَ القرآن والحَدْفَ والزيادةَ فيه:

أعظمُ جناية للإمامية وأكبرُ طعن لهم وعداء للنبي عَلَيْكُ : قولُ كبارِهم بتحريف القرآن بالزيادة فيه والنقصان، وكَذَّبوا صريح القرآن الذي تلاه محمدٌ عَلَيْكُ على صحابته ـ بل والدنيا بأسرها ـ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ

لَحَافظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

* وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ إِنَّهُ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مَنْ خَلْفه تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

* وقُوله تعالى: ﴿ وَتَمَّتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الانعام: ١١٥].

* وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

فكتب دجّ الوا الشيعة وكبار كذاً بيهم لعنهم الله على خير الأنام القرآن. ويُنكر متواترَه، فيطعنون في أُسِّ الإسلام، وما نزل على خير الأنام على الله على خير الأنام على الله والله يطعنون في القرآن. يوصي الأوائل منهم بذلك الأواخرَ. وكبارُهم المتقدِّمون منهم الصغارَ والعشائرَ. وهاك افتراؤهم.

□ أول كتاب من كتبهم الذي وردت فيه هذه الفرية هو كتاب «الكافي» وهو أجلُّ كتب الشيعة عندهم - لثقة الإسلام!! «محمد بن يعقوب بن إسحاق الكِلِّيني» المتوفى سنة ٣٢٨هـ وهو مجدِّدُ مذهب الإمامية على رأس المئة الثالثة، كما يقول مؤلف «الكافي» تحت باب «ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة»: «ثم قال(۱) : وإن عندنا لمصحف فاطمة - عليها السلام -، وما يُدريهم ما مصحفُ فاطمة - عليها السلام -؟ قال: قلت(۱) : وما مصحفُ فاطمة - عليها السلام -؟ قال: مصحفٌ فيه مثلُ قلت(۱) : وما مصحفُ فاطمة - عليها السلام -؟ قال:

⁽١) أي جعفر الصادق ـ رحمه اللّه ـ وهو من كبار العلماء الربانيين . . ومن كبار أهل البيت . . نسب إليه الشيعة ـ وهو من ذلك بريء كل البراءة ـ كلّ كذب وزور .

⁽٢) الراوي عن جعفر وهو أبو بصير ـ الكذّاب الدجَّال ـ.

قرآنِكم هذا ثلاث مرَّات، واللَّه ما فيه من قرآنكم حَرفٌ واحد، قال: قلت: هذا واللَّه العلم، قال: إنه لَعلمٌ وما هو بذاك. . "(۱) . لعن اللَّهُ الكليني.

□ ومن الكتب التي أُلِّفت في زمنِ الأئمة المعصومين «تفسير القُمِّي» الذي يبجِّلُونه كثيرًا ـ كما قال السيد «طيب موسوى الجزائري»: «إن هذا التفسير أصلُ أصول للتفاسير الكثيرة، ومؤلِّفُه كان في زمنِ إمامهم الحسن العسكرى ـ .

□ يقول القُمِّي في مقدمة تفسيره: «فالقرآنُ منه ناسخٌ ومنسوخ، ومنه مُحْكَمٌ ومتشابه، ومنه عامٌ ومنه خاصٌ، ومنه تقديمٌ ومنه تأخير، ومنه مُنقطع ومنه معطوف، ومنه حَرفٌ مكانَ حرف، ومنه على خلاف ما أنزل اللَّهُ القمى (٢).

□ ومن الكتب التي يعتمدها القومُ «تفسير العياشي» ـ محمد بن مسعود ـ أحدِ مشايخ الكُشِّي، ومن طبقة ثقة الإسلام «الكلِّيني» كما يذكر الطهراني في كتاب «الذريعة» (٤/ ٢٩٥)، حيث يذكرُ العياشي في مقدمة تفسيره عن ميسر عن أبي جعفر الميالية: «لولا أنه زيد في كتاب اللَّه ونُقص منه ما خَفَى حقُّنا على ذي حجى».

□ ورابعهم: «محمد بن الحسن الصفّار» صاحب كتاب «بصائر الدرجات»، حيث يُورِد في كتابه عقيدتَه في القرآن، فيذكر في «البرهان»

⁽۱) «الكافي» (۱/ ۲۳۹ ـ ۲٤٠).

⁽۲) «تفسير القمي» (۱/٥).

(١/ ١٥): "عن أحمد بن محمد، عن الحسن بن محبوب، عن عمرو بن أبي المقدام، عن جابر قال: سمعت أبا جعفر الله الله يقول: "ما من أحد من الناس ادَّعي أنه جَمع القرآن كلَّه كما أنزل الله إلاَّ كذَب، وما جَمَعه وحَفظه كما أنزله الله إلاَّ عليُّ بن أبي طالب والأئمة من بعده".

□ وخامسهم: «فرات بن إبراهيم الكوفي» الذي سرد روايات كثيرة تدلُّ دلالة واضحة على أن القرآن مُحرَّف فيه ومُغَيَّر فيه، كما أنه في مقدمة كتابه أورد رواية على بن أبي طالب: «أُنزل القرآن أربعة أرباع»(١) .

□ وسادسهم: محدِّث القوم السيد «نعمت اللَّه الجزائري» صاحب كتاب «الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية»، قال: «إن تسليم تواترها عن الوحي الإلهي، وكونَ الكلِّ قد نزل به الرُّوحُ الأمين يُفضي إلىٰ طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدَّالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادةً وإعرابًا، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها»(٢).

□ وسابعهم: «محمد بن مرتضى» المدعو بالمولى محسن الكاشاني صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة كـ «الكافي والوافي والشافي» إلى غير ذلك مما يقربُ من مئة تصنيف، المتوفى سنة (١٠٩١هـ)، قال هذا في تفسيره بعدما ذكر كلام الطبرسي والمرتضى: «أي أن العِلمَ بصحة نقل

⁽١) «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب. . عرض ونقد» تأليف الدكتور أحمد عثمان خليفة (ص٢٨) ـ دار السلف ـ الرياض.

⁽٢) «الأنوار النعمانية» لنعمت اللَّه الجزائري (٢/ ٣٥٧).

القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث»: «أقول: لقائلٍ أن يقول: كما أن الدواعي كانت متوفِّرةً على نَقلِ القرآن وحراسته والاعتناء به من قبل المؤمنين، فكذلك كانت هذه الدواعي متوفرةً لدى المنافقين على تغييره وتحريفه المغيِّرينِ للخلافة والمبدِّلينِ للوصية؛ لأنَّ هذا القرآنَ تضمَّن ما يخالفُ آراءهم وأهواءهم.

ولقائل أن يقول: «إنه ما تغيّر في نفسه، وإنما التغييرُ في كتابتهم إياه أو تلفُّظهم به، فإنهم ما حرَّفوا إلاَّ عند نَسْخهم من الأصل، وبَقِيَ الأصلُ على ما هو عليه عند أهله، وهم العلماء به».

فما هو عند العلماء به ليس بمحرَّف، وإنما المحرَّف ما أظهروه لأتباعهم»(١).

□ وثامنهم: عالمُ الإمامية الفقية صاحب كتاب «تفسير القرآن» السيد «هاشم البحراني»، قال ذلك في مقدمة تفسيره في الفصل الرابع تحت عنوان «بيان خلاصة أقوال علمائنا في تفسير القرآن وعدمه، وتزييف استدلال من أنكر التحريف.

□ وتاسعُهم: الشيخ «أبو علي الطبرسي» في «مجمع البيان» فقد قال:
 «وإلى طبقته لم يُعرَف الخلافُ صريحًا إلاَّ من هؤلاء المشايخ الأربعة»(٢).

والمشائخُ الأربعة هم مشايخُ الإمامية الذين قالوا بعدم تحريفِ كتاب الله بخلاف بقية علمائهم وهم: «ابن بابويه القُمِّي» أستاذ الفقيه المفيد الذي

⁽١) «الصافي» لفيض الكاشاني (١/ ٣٥، ٣٦)، المقدمة السادسة.

⁽٢) «فصل الخطاب» (ص٣٤).

لقبوه بالصدوق، وذلك في كتابه «الاعتقادات»، و«السيد المرتضى» مؤلف «نهج البلاغة» ومُرتَّبه المتوفى سنة ٤٣٦هـ، وثالث القوم «أبو جعفر الطوسي» تلميذ السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٦٠هـ، والرابع هو «أبو علي الطبرسي» المتوفى سنة ٥٤٨هـ صاحب تفسير «مجمع البيان».

□ ومنهم «آيةُ اللَّه ميرزا حسين نُوري المازندراني الطبرسي» المتوفيٰ سنة ١٣٢٠هـ والمدفون في عتباتهم المُقدَّسة بالنجف، وذلك ـ على حد زعمهم ـ تقديرًا لعلمه وفضله وغزارة إنتاجه وإثرائه المكتبة العربية الإسلامية بمؤلَّفاته وأسفاره التي منها كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» الذي يفضح خبايا نفوس القوم وحقيقة دعوتهم وادعائهم الإسلام، ويكشف زيفهم، ويَفضح أستار القوم، ويُبيِّنُ عَوارَهم، ويُشهِرُ زُورَهم وبهتانَهم وأضغانهم.

□ ومن علمائهم الدجَّالين اللعانين «المجلسي» صاحب «حياة القلوب».

□ و «ملا محمد تقي الكاشاني» في كتابه «هداية الطالبين» تحت فصل «مطاعن عثمان».

□ ومنهم الشيخ «علي أصغر البروجردي» من أعيان القرن الثالث عشر في كتابه «عقائد الشيعة».

□ ومنهم «زين العابدين الكرماني» في رسالته «تذييل في الرد على هاشم الشامي».

□ ومنهم السيد «حامد حسين الكهنوي» صاحب «استقصاء الأفهام واستيفاء الانتقام».

□ ومن كتبهم التي قالت ونصَّت على تحريف القرآن «تصحيف كاتبين أو تاريخه قرآن مبين» كما ذكره صاحب «الذريعة»:

«تصحيف كاتبين أو تاريخه قرآن مبين» لمرزا أحمد سلطان.

و «رشق النبال على أصحاب الضلال» للسيد ناصر حسين.

و «مصباح الظُّلَم» لشمس العلماء السيد إمداد الإمام زيدي المستبصر العظيم آبادي، مطبوع بلغة أردو.

و «ضربت حيدري» للسيد محمد دلدار على .

و «عماد الإسلام» لأبيه السيد دلدار علي، وقد ذكرهما سابقًا.

و «الإنصاف في الاستخلاف» للمرزا أحمد علي.

"الإنصاف في تحقيق آية الاستخلاف" لمرزا أحمد على الأمرتسري الهندي، المطبوع بلغة أردوا.

و «ضميمه مقبول ترجمة» للمولوي مقبول أحمد المتوفي سنة ١٣٤٠هـ، الذي ذكره الطهراني في «الذريعة» خُصَّص فيها بابًا لبيان هذه العقيدة.

□ ونختم بما قال «الطبرسي اللعين» في كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب»: «المقدمة الثالثة «في ذكر أقوال علمائنا رضوان اللَّه تعالىٰ عليهم أجمعين في تغيير القرآن وعدمه»: «فاعلم أن لهم في ذلك أقوالاً، مشهورُها اثنان:

الأول: وقوع التغييرِ والنقصانِ فيه.

وهو مذهب الشيخ الجليل «علي بن إبراهيم القمي» - شيخ الكليني في تفسيره -، ومذهب تلميذه ثقة الإسلام «محمد يعقوب الكليني» رحمه الله،

واستظهر المحقق السيد «محسن الكاظمي» في شرح «الوافية» مذهبه، وبه صرّح أيضًا العلامة «المجلسي» في «مرآة العقول»، وبهذا يُعلم مذهب الثقة الجليل «محمد بن الحسن الصفار» في كتاب «البصائر».. وهذا مذهب صريح الثقة «محمد بن إبراهيم النعماني» تلميذ الكليني صاحب كتاب «الغيبة» المشهور في تفسيره الصغير.

وصريح الثقة الجليل «سعد بن عبدالله القُمِّي» في كتاب «ناسخ القرآن وصريح ومنسوخه»، عقد فيه بابًا ترجمته «باب التحريف في الآيات»، وصريح السيد «علي بن أحمد الكوفي» في كتاب «بدع المحدثة».

وقد أجمع أهلُ النقل والآثار من الخاصِّ والعام أن هذا الذي في أيدي الناس من القرآن ليس هذا القرآن كلَّه! وأنه ذهب من القرآن ما ليس هو في أيدي الناس! .

وهو أيضًا ظاهر مذهب أجلّة المفسرين وأئمتهم الشيخ الجليل «محمد ابن مسعود العياشي» والشيخ «فرات بن إبراهيم الكوفي» والثقة النقة «محمد بن العباس الماهيار» وأنهم ملؤوا تفاسير هم من الأخبار الصريحة في هذا المعنى.

وممن صرَّح بهذا القول ونصره الشيخُ الأعظم «محمد بن محمد النعمان ـ المفيد»، فقال في «المسائل السروية»: «قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام: أما واللَّه لو قُرئ القرآنُ كما أُنزل لألفيتمونا فيه مسمَّينَ كما سمي مَن كان قبلنا»، وقال الملكة : «نزل القرآنُ أربعة أرباع: ربُع فينا، وربُع في أعدائنا، وربُع قصص وأمثال ، وربُع قضايا وأحكام».

◘ ثم قال: «غير أن الخبر قد صَح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد

أقرُّوا بقراءة ما بين الدفَّتين، وأن لا نتعدًاه إلى زيادة فيه ولا إلى نقصان منه إلى أن يقوم القائم لللكِّه فيقرأ الناسُ على ما أنزل اللَّه تعالى وجَمَعه أميرُ المؤمنين الملكِّة؛ لأنه متى قرأ الإنسانُ بما يخالفُ ما بين الدفتين غَرَّر بنفسه من المؤمنين الحلاف وأغرى به الجبَّارين وعرَّض نفسه للهلاك، فمنعونا من قراءة القرآن بخلاف ما أثبت بين الدفتين»!!!.

□ وقال في موضع من كتاب «المقالات»: «واتفقوا ـ أي: الإمامية ـ على أن أئمة الضلال خالفوا في كثيرٍ من تأليف القرآن، وعَدَّلُوا فيه عن موجب التنزيل وسُنَّة النبي ﷺ.

ويأتي إن شاء اللَّه ما رواه في «إرشاده» من الأخبار الصريحة في وقوع التغيير فيه (ص٢٦_٨).

"وعمن ذهب إلى هذا القول الشيخ الثقة الجليل الأقدم "فضل بن شاذان" في مواضع من كتاب الإيضاح، وعمن ذهب إليه من القدماء الشيخ الجليل "محمد بن الحسن الشيباني" (۱) صاحب تفسير "نهج البيان عن كشف معاني القرآن"، ومنهم الثقة "محمد بن خالد"، عد النجاشي من كتبه كتاب التنزيل والتغيير، ومنهم الشيخ الثقة "علي بن الحسن بن فضال" عد من كتبه كتاب "التنزيل من القرآن والتحريف"، ومنهم "محمد بن الحسن الصيرفي" في الفهرست له كتاب "التحريف والتبديل"، وكذا الشيخ "حسن بن سليمان الحيي " تلميذ الشهيد في "مختصر البصائر"، وسماه "التنزيل والتحريف"، ومنهم "محمد بن الحجام" والتحريف"، ومنهم "محمد بن العباس الماهيار" المعروف بـ "ابن الحجام"

⁽١) الشيعي وليس هو محمد بن الحسن الشيباني - رحمه اللَّه ـ تلميذ أبي حنيفة .

صاحب التفسير المعروف، وقد أكثر من نقل أهل التحريف في كتابه، ومنهم صاحب كتاب «الرد على أهل التبديل»، ذكره ابن شهر آشوب في «مناقبه» كما في «البحار»، ونقل عنه الأخبار على أن مراده من أهل التبديل هم العامة.

□ وقال السيد المحدث «الجزايري» في «الأنوار» ما معناه: «إن الأصحاب قد أطبقوا على صحّة الأخبار المستفيضة - بل المتواترة - الدالة بصريحها على وقوع التحريف في القرآن كلامًا ومادةً وإعرابًا».

□ وقال الشيخ الفاضل «يحيئ» تلميذ «الكركي» في كتاب «الإمامة»
 في الطعن التاسع على الثالث: «.. مع إجماع أهل القبلة من الخاص والعام
 أن هذا القرآن الذي في أيدي الناس ليس هو القرآن كلَّه».

والشيخ «أبو الحسن الشريف» جَدُّ شيخنا صاحب «الجواهر» وجعله التحريف في تفسيره المسمئ بـ «بمرآة الأنوار من ضروريات مذهب التشيع وأكبر مفاسد غصب الخلافة» (ص٢٨ ـ ٣٢).

الثاني: عدم وقوع التغيير والنقصان.

وإليه ذهب «الصدوق»(١) في عقايده، والسيد «المرتضى» و «شيخ الطائفة»(٢) في «التبيان»، ولم يُعرف من القدماء موافقٌ لهم.

□ ففي «العقايد»: «مَنْ نسب إلينا أنا نقولُ: إن القرآنَ أكبرُ من ذلك فهو كاذب».

ثم استدل على ذلك بإطلاق لفظ القرآن على هذا الموجود (ص٣٣). ثم لا يخفى على المتأمل في كتاب «التبيان» أن طريقتَه فيه على نهاية

⁽١) هو ابن بابويه القمي.

⁽٢) هو أبو جعفر محمد بن الحسن بن الطوسي صاحب «التبيان في تفسير القرآن».

المداراة والمماشاة مع المخالفين (۱) ، فإنك تراه اقتصر في تفسير الآيات على نقل كلام الحسن وقتادة والضحاك والسُّدِّي وابن جريج والجُبَّائي والزجَّاج وابن زيد وأمثالهم، ولم ينقل عن أحد من مفسِّري الإمامية، ولم يَذكر خبرًا عن أحد من الأئمة عليهم السلام إلاَّ قليلاً. . وممَّا يؤكِّد كونَ وَضْع هذا الكتاب على التقية ما ذكره السيد الجليل (علي بن طاوس) في «سعد السعود»، وهذا لفظه: «ونحن نذكر ما حكاه جَدي أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب «التبيان»، وحَمَلَتُه التقية على الاقتصار . . إلخ» (ص٥٥).

□ «ولم يُعْرَفِ الخلافُ صريحًا(٢) إلاَّ من هذه المشايخ الأربعة كذا ـ أي :
 الصدوق والمرتضي والطوسي والطبرسي ـ»، ولعل المتتبع يجدُ صدق ما قلناه، ومع ذلك كله فَالمُتَبَعُ هو الدليلُ وإن لم يذهب إليه إلا القليل» (ص٣٦).

لإمامية وآياتُهم الملاعين، القائلون بتحريف القرآن والتغيير، الحاطُّون من قَدْرِ كتابِ اللَّه وقَدْرِ مَن أُنزل عليه ﷺ، وهم أعداؤه

⁽۱) قوله: "طريقته فيه على نهاية المداراة والمماشاة مع المخالفين" يريد أن أسلوبه في الكتاب انبنى على أقصى درجات التقية، ومجاملة المخالفين من أهل السنة والجماعة. ومع ذلك فإن فيه من تحريف المعنى ما هو أشد من تحريف اللفظ، والنتيجة واحدة لإثبات تحريف القرآن لفظًا ومعنى، أو معنى فقط للتقية وانظر دراسة الشيخ الدكتور على السالوس لهذا التفسير فقد أتى بالأمثلة الواضحة الكثيرة المتنوعة لتحريف هذا الإمام، وهذا مهم؛ لأن تفسير الطبرسي "تفسير مجمع البيان" من أشهر تفاسيرهم.

⁽٢) قوله: «ولم يُعرف الخلاف صريحًا. . » أقول: وهو في هذا صادق. حيث لم يصرّح بعدم النقص والتحريف في القرآن خلافًا لما عليه الأئمة والعلماء وعامة أهل الطائفة إلا أربعة أشخاص على سبيل التقية. حيث من المعروف أن تكذيب الإمام، أو القول بخلاف ما يقوله ويراه، كفر في الدين ومحاربة للَّه رب العالمين في عقيدتهم لا يقدم عليه الشيعى إلا من باب التقية ويكون مع ذلك مأجورًا.

وشانؤوه والله وعلى الحقيقة . . فحَشَرهم اللَّهُ مع أبي جهل والوليد بن المغيّرة وغيرهما من المكذّبين للقرآن .

* الْخُميني، شيخ الكُفر، وكبير الإِماميَّة الاثنا عَشْرية في عَصرِنا:

* نُكَّفرُ الْخُميني بتفضيله مَهديَّ الشيعة المنتظر على النبيِّ محمد عَيْكِالله :

الله فقد قال الخُميني في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي - كما يعتقدون ـ في الخامس عشر من شهر شعبان • • ١٤ هـ، وأُذيع من راديو طهران: «لقد جاء الأنبياءُ جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة، لكنهم لم ينجَحوا، حتى النبي محمد خاتم الأنبياء ـ الذي جاء لإصلاح البشرية ـ لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر »(۱). * النُّبُوَّةُ عند الحُمينى:

أفرزت لَوثاتُ التصوُّفِ عند الخُميني دعوىٰ غريبةً وكفرًا صريحًا، حيث يرسمُ للسالك أسفارًا أربعة:

ينتهي السَّفرُ الأول إلى مقام «الفناء».

وينتهي السَّفر الثاني إلى «الفناء عن الفناء»، وتتم دائرة «الولاية».

أما في السَّفر الثالث، فإنه: «يَحصُلُ له الصَّحوُ التامُّ، ويبقى بإبقاءِ اللَّه، ويُسافرُ في عالَم الجبروت والملكوت والناسوت، ويَحصُلُ له حظُّ من النبوة، وليست له نبوةُ التشريع، وحينئذ ينتهي السَّفرُ الثالث، ويأخذُ في السفر الرابع»(٢).

⁽١) «مجلة المجتمع الكويتية» العدد (٤٨٨) في ٧/ / ١٩٨٠م، و «نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشار عَوّاد (ص٥٥ ـ ٤٧) ـ دار عمّار للنشر.

⁽٢) «مصباح الهداية» (ص١٤٩).

وبالسفر الرابع: «يكون نبيًّا بنبوةِ التشريع»(١) .

فمراحلُ السفر عنده هي: «الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء .، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة».

وقولُه هذا يتضمَّنُ أن النبوةَ مكتسبةٌ عن طريق «رياضات» و «مجاهدات» أهل التصوف. . ونحن نُكفِّرهُ بقوله هذا .

□ قال القاضي عياض: «نُكفِّرُ من ادَّعن النبوةَ لنفسه، أو جَوَّزَ اكتسابَها والبلوغَ بصفاءِ القلب إلى مرتبتها ـ كالفلاسفة وغُلاة الصوفية ـ»(٢).

□ وقد ذكر الخُميني في كتابه «الحكومة الإسلامية»: «أن الفقيه الرافضي عنزلة موسى وعيسى»(٣).

□ وادَّعنى فَخرُ الحجازي: «أن الخُميني أعظمُ من النبيِّ موسى وهارون»، فعينه نائبًا عن «طهران» ورئيسًا لمؤسسة المستضعفين أعظم مؤسسة مالية في البلاد(٤٠).

* الخُمينيُّ ضالٌٌ مُضلٌّ:

الخُميني ضالٌ مُضِلٌ، وارجع إلى كتابه «الحكومة الإسلامية» أو «ولاية الفقيه»، وكتابه «من هنا المنطلق»، وكتابه «جهاد النفس» أو «الجهاد الأكبر».

⁽١) «مصباح الهداية» (ص١٤٩).

⁽٢) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١).

⁽٣) «الحكومة الإسلامية» (ص٩٥).

⁽٤) «الثورة البائسة» لموسى الموسوي (ص١٤٧).



والأحاديثُ الواردةُ في الصِّحاح ـ والتي بدونها يضيعُ دينُنا ـ لا تَرِدُ على لسانه أبدًا، بل يَرِدُ في كتابه «الحكومة الإسلامية» (ص٣٧ وما بعدها) أنه لا يعترف بها.

□ يترحَّمُ الخُميني على «النوري» صاحب كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب ربِّ الأرباب»، والذي طُبع سنة ١٢٩٨هـ، وقد قال علماء الشيعة عنه: «إنه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال ِهذا القرن».

ويُحيل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» عند ذكره لأحد الأحاديث إلى كتاب «دعائم الإسلام»، وهو الكتاب الأكبر عند الإسماعيلية الباطنية الغلاة.

ويرجعُ الخُمينيُّ إلىٰ كتاب «الكافي» للكلِّيني، وفيه من الكفريات والضلالات الشيءُ الكثيرُ، كالأحاديث الواردة فيه بنقضِ القرآن وتحريفه، وأنَّ الأئمة يوحَى إليهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى عوتون، ولا يموتون إلاَّ باختيارٍ منهم، وفيه تكفيرُ أبي بكر وعمر وعمرو وعثمان، وعقيدةُ الكِلِّيني في القرآن أنه ناقصٌ محرَّف.

* الخُمينيُّ الضالُّ يَذهبُ إِلى تحريفِ القرآن ، ونحنُ نُكَفَرْه بهذا :

هناك إجماعٌ من الشّيعة - وعلى رأسهم الخميني - على تقدير «النوري»، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل»، ويترحَّمُ عليه، و«الكافي» للكلّيني، و«الوسائل» للحر العاملي، و«الاحتجاج» لأحمد الطبرسي. وكلُّها تقول بتحريف القرآن.

وبين أيدينا وثيقة ، وهذه الوثيقة كتاب باللغة الأردية موثّق من عدد من آياتهم المعاصرة - ومنهم الخميني -، وهو طبقًا لما جاء في صدر الكتاب مراعين في ذكرهم النص الأردي:

١ ـ آية الله العظمى . . محسن حكيم طباطبائي ، مجتهد أعظم نجف أشرف .

٢ - آية الله العظمي . . أبو القاسم خوئي نجف أشرف .

٣ ـ آية اللَّه العظميٰ . . روح اللَّه خميني .

٤ - آية الله العظمي . . محمود الحسيني .

٥ ـ آية اللَّه العظمي . . محمد كاظم شعر يعتمداري .

٦ مصدقة ماليجناب سيد العلماء علامة سيد علي تقي النقودي
 مجتهد لكهنو.

ويتضمن هذا الكتاب نصًّا بالعربية في حدود صفحتين، كلُّه يدورُ حولَ كيفية لعن صَنَمَيْ قريش، وهما حسب اعتقادهم - أبو بكر وعمر!! واتهامُهما بتحريف القرآن الكريم!! ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْواَهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذَبًا ﴾ [الكهف: ٥].

◘ وسنكتفي من هذا النصِّ بموضع الشاهد لحديثنا:

⁽١) «تحفة العوام» مقبول جديد (ص٢٢٤).

□ الخميني: الذي يقول في كتابه «جهاد النفس» (ص١٨) عن معاوية ولي النفي: «معاوية ترأَّس قومَه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسِبُ لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة».

□ ويقول في «الحكومة الإسلامية» (ص٧١): «ولم تكن حكومة معاوية تُمثِّلُ الحكومة الإسلامية أو تشبُهها من قريبٍ ولا بعيد».

ويَتَّهمُ الصحابيَّ الجليلَ «سَمُرةَ بنَ جندب» بأنه يفتري أحاديثَ تَمَسُّ من كرامة أمير المؤمنين (١) .

□ يعتقد الخميني في نصوص «الكافي» للكلّيني، وقد ورد فيه أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة.

□ الخميني: الذي يتهجَّمُ على هارونَ الرشيد، فيصفُه بالجهل، فيقول: «وها هو التاريخ يحدُّثنا عن جُهَّالٍ حَكموا الناسَ بغير جَدارةٍ ولا لياقة، هارون الرشيد، أيةُ ثقافةٍ حازها؟ وكذلك مَن قبله ومَن بعده»(٢).

□ الخميني: الذي يَطعنُ في خيارِ الإمة، وينالُ من شرف رُوَّادِها، يُثني على الأقرام الملاحدة ـ مثل النصير الطُّوسي ـ، فيقول: «ويَشعرُ الناسُ بالخسارة أيضًا بفقدانِ الخواجة «نصير الدين الطوسي» وأمثالِه ممن قَدَّموا خدمات جليلةً للإسلام»(٣).

والطُّوسيُّ هذا هو «محمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسن الخواجة» نصير الدين

⁽١) «الحكومة الإسلامية» للخميني (ص٧١).

⁽Y) «الحكومة الإسلامية» (ص١٣٣).

⁽٣) المصدر السابق (ص١٢٨).

الطوسي، المسؤول مع عدو الله «ابن العَلْقَمِيِّ» ومستشاره «ابن أبي الحديد» عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثنيُّ هو لاكو في أمة محمد عليُّ عند استيلائه على عاصمة الإسلام «بغداد» سنة ١٥٥هـ، وكان الطُّوسيُّ قبل ذلك من ملاحدة الإسماعيلية.

□ قال ابنُ القيم: "ولما انتهت النَّوبةُ إلىٰ نَصيرِ الشِّرك والكفرِ المُلحِدِ وزيرِ الملاحدة "النصير الطوسي" وزيرِ هولاكو، شفَىٰ نفسه من أتباعِ الرسول وأهلِ دينه، فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واستشفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمُحدِّثين. ونصر في كُتبه قِدمَ العالم وبُطلانَ المعاد. وبالجُملة فكان هذا المُلحِدُ هو وأتباعُه من الملحِدين الكافرين باللَّه وملائكتِه وكُتبِه ورُسلِه واليومِ الآخر"(١) .

* الخُميني الضالُّ المُضلُّ المغالي في أئمته الاثنا عَشر:

□ فيقول: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينيةً، تخضعُ لولايتها وسيطرتها جميعُ ذرَّات هذا الكون»(٢).

□ ويقول في (ص٥٢): «والأئمةُ كانوا قبلَ هذا العالَم أنوارًا، فجعلهم اللَّهُ بعرشه مُحدقِين، وجَعل لهم من المنزلة والزُّلفي ما لا يعلمُه إلاَّ اللَّه، وقد قال جبرائيل -كما ورد في روايات المعراج -: لو دنوتُ أُنملةً لاحترقتُ».

□ ويقول: «والأئمةُ الذين لا نتصوَّرُ فيهم السهو أو الغفلة »(٣) .

⁽١) "إغاثة اللهفان" لابن القيم (٢/ ٢٦٣).

⁽٢) «الحكومة الإسلامية» (ص٥٢).

⁽٣) المصدر السابق (ص٩١).



□ ويقول في (ص٥٢): «وإن من ضرورات مذهبنا: أنَّ لأئمتنا مقامًا
 لا يبلغُه مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌ مرسَل».

□ قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: «ومَن اعتَقَد في غيرِ الأنبياء كونَه أفضلَ منهم ـ أو مساويًا لهم ـ فقد كفر، وقد نَقل على ذلك الإجماع غيرُ واحدٍ من العلماء (١٠) .

وهذا هو مذهب علاة الرافضة ـ كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١٧٧/١) ـ.

□ ونحن نقول عن الخميني إمام «حزب اللَّه»: إنه إمامٌ من أئمة الكفر.

□ جاء في بيان التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وصف حُكم الخميني بأنه «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم» (٢) .

□ وقالت مجلة «الاعتصام»: «إن ردود الفعل التي أحدثتها «حركة الخميني» كان مبعثُها أن حركة الخميني حركة السلامية مئة في المئة»(٢).

* ونحن نقول عن الخميني: إنه إمامٌ من أئمَّة الكفر:

◘ ونُدلِّلُ على هذا بما سبق وقلناه عن عقيدته، وبالآتي أيضًا:

(١) الاتجاه الوثني عنده:

في كتابه «كشف الأسرار» تحت عنوان «ليس من الشِّرك طلبُ

⁽١) «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام ابن عبدالوهاب (ص٢٣).

⁽٢) انظر «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» وهو من سلسلة الكتب التي تصدرها دار المختار الإسلامي (ص٥٢).

⁽٣) «مجلة الاعتصام» - العدد الخامس - السنة الثانية والأربعون ربيع أول ٩٩ ١٣هـ.

الحاجة من الموتى»، يقول: «يمكنُ أن يقال: إن التوسُّلَ إلى الموتى وطلبَ الحاجة منهم شرك؛ لأن النبيَّ والإمامَ ليس إلاَّ جَمَادَينِ، فلا يُتوقَّعُ منهما النفعُ والضرر؟!.

والجواب: إن الشرك هو طلبُ الحاجةِ من غيرِ اللَّه، مع الاعتقاد بأن هذا الغيرَ هو إلهٌ وربٌّ.

وأمَّا إذا طَلب الحاجة من الغير من غيرِ هذا الاعتقاد، فذلك ليس بشرك، ولا فَرقَ في هذا المعنى بين الحيِّ والميت، ولهذا لو طَلب أحدٌ حاجته من الحَجَر والمَدر لا يكون شركًا، مع أنه قد فَعل فعلاً باطلاً!!.

ومن ناحية أخرى، نحن نستمدُّ من أرواح الأنبياء المقدَّسة والأئمة الذين أعطاهم اللَّه قُدرةً.

لقد ثَبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المُحكمة: حياةُ الروح بعد الموت، والإحاطةُ الكاملة للأرواح على هذا العالم!!»(١) .

(٣) اعتقادُه تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان، وهو قولُ الصابئة الكفار:

□ يقول الخُميني: «يُكره إيقاعُه ـ يعني: عقد الزواج ـ والقمرُ في برج «العقرب»، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كلِّ شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم٥، ويوم ١٣، ويوم ٢١، ويوم ٢٥، ويوم ٢٥.

⁽١) «كشف الأسرار» للخميني (ص٣٠).

⁽٢) «تحرير الوسيلة» للخميني (٢/ ٢٣٨).



□ ويقول صاحبُ «التحفة الاثنا عشرية»: «إن الصابئين كانوا يحترِزون عن أيام يكونُ القمرُ بها في العقرب، أو الطرف، أو المحاق، وكذلك الرافضة. . وكانت الصابئةُ يعتقدون أن جميع الكواكبِ فاعلةٌ مختارة، وأنها هي المدبِّرةُ للعالَم السُّفلي، وكذلك الرافضة»(١) .

(٣) قولُه بالحلول والاتحاد:

وله كتابان خطيران في ذلك: «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، و«سر الصلاة».

* قولُه بالحلول الخاص:

□ يقول عن أمير المؤمنين علي تطفيه: «خليفته [يعني: خليفة الرسول ويقيقية إلى القائم مقامَه في اللك والملكوت، والمتّحد بحقيقته في حضرة الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبئ، وحقيقة سدرة المنتهئ، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، مُعلِّمُ الرُّوحانيين، ومؤيِّدُ الأنبياء والمرسلين، علي معلم المؤمنين»(١).

الله ومن منطلق دعوى حلول الرب بعلي منطلق دعوى حلول الرب بعلي كما يَفتري - يَنسبُ الخمينيُ لأميرِ المؤمنين علي أنه يقول: «كنتُ مع الأنبياء باطنًا، ومع رسول الله ظاهرًا»(٣).

⁽١) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» (ص٢٩٩) لشاه عبدالعزيز الدهلوي، واختصره الشيخ محمد شكري الألوسي المطبعة السلفية ...

⁽٢) «مصباح الهداية» للخميني (ص١).

⁽٣) «مصباح الهداية» (ص١٤٢).

□ ويُعلِّقُ الخميني قائلاً: «فإنه الطَّكَالِ صاحبُ الولاية المطلقة الكُلِّية ، والولايةُ باطنُ الخلافة . . فهو الطَّكَالِ بمقام ولايته الكلية قائمٌ على كلِّ نَفْسِ بما كسبت (!!) ومع كلِّ الأشياء مَعيَّةً قيُّوميةً ظلِّيَّةً إلهيةً ، ظلَّ المعية القيومية الحقَّة الإلهية ، إلاَّ أن الولاية كمَّا كانت في الأنبياء أكثر ، خَصَّهم بالذِّكر »(١).

* ويقول في قوله - عز وجل - : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلْقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾ [الرعد: ٢]، قال: «أي: ربُّكم الذي هو الإمام»(٢).

ب: قولُه بالحلول والاتحاد الكُلِّي:

□ يقول: «النتيجة لكلِّ المقاماتِ والتوحيداتِ عدمُ رؤيةِ فعل وصفةٍ حتى من اللَّه تعالى، ونَفيُ الكثرةِ بالكلية، وشهودُ الوحدةِ الصرفة»(٣).

□ ثم ينقل عن أحد أئمته أنه قال: «لنا مع اللَّه حالاتٌ، هو هو، ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو»(٤).

□ ثم يُعلَّقُ على ذلك بقوله: «وكلماتُ أهلِ المعرفة ـ خصوصًا الشيخُ الكبير محي الدينَ مشحونةٌ بأمثالِ ذلك، مِثلُ قوله: الحقُّ خَلْق، والخَلقُ حق، والخلق خلق».

ويستدلُّ على مذهبه في «وحدة الوجود» بقول «ابن عربي»، والذي يَصِفُه بالشيخ الكبير (٥٠) ، و «القونوي»، ويَصِفُه بـ «خليفة الشيخ

⁽١) المصدر السابق (ص١٤٢).

⁽٢) «مصباح الهداية» (ص ١٤٥).

⁽٣) «مصباح الهداية» (ص١٣٤).

⁽٤) المصدر السابق (ص١١٤).

⁽٥) المصدر السابق (ص٨٤، ٩٤، ١١٢).

الكبير محي الدين "(١).

«وهكذا يتبيَّنُ أن الخُمينيَّ قد أخذ منهجَ أهلِ الحلول والاتحاد»(٢) .

* الخُميني يُكفّرُ صحابة رسولِ اللّه عَلَيْ عامةً ، ويُصرِّحُ بتكفيرِ الشيخين:

الأئمة في الصلاة (") . . وأعداء الأئمة في قاموس الشيعة هم صحابة رسول الله عَلَيْهِ إلا ثلاثة أو سبعة .

وهو في كتابه «كشف الأسرار» يُصرِّحُ بتكفيرِ الشيخين (١٤) .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في ترجمته لبعض نصوص «كشف الأسرار» ما يتضمن مجاهرة الخميني بهذا الكفر (٥٠) .

* تكفيرُ الأئمة للإماميَّة الاثنا عَشْريَّة الجعفرية «الرافضة»:

□ قال النووي: «إن المذهبَ الصحيحَ المختار الذي قاله الأكثرون والمُحقِّقون: إن الخوارجَ لا يَكفُرون كسائرِ أهلِ البدع»(٦) .

□ قال الشيخ مُلاً على القاري: «قلت: وهذا في غيرِ حقِّ الرافضةِ

⁽١) المصدر السابق (ص١١).

⁽٢) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري (٣/ ١١٥١).

⁽٣) «تحرير الوسيلة» للخميني (١/١٦٩).

⁽٤) «كشف الأسرار» (ص١١٢) وما بعدها، وانظر «صورتان متضادتان» لأبي الحسن الندوى (ص٥٧ ـ ٥٨).

⁽٥) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم على الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ـ ندوة العلماء ـ الهند . (٦) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٥٠).

الخارجة في زماننا، فإنهم يعتقدون كُفرَ أكثرِ الصحابة ِ فضلاً عن سائرِ أهل السنة والجماعة .، فهم كَفَرةٌ بالإجماع بلا نزاع».

وذَكَر النوويُّ في «شرح مسلم» أن الإِماميَّةَ لا يُكفِّرون الصحابة، ويرى أنَّ التكفير إنما هو عند غُلاة الشيعة.

فالإماميةُ في عصر النووي كانوا لا يُكفِّرون الصحابة، أو أن الإمامَ النوويَّ ـ رحمه اللَّه ـ لم يَعرفُ ذلك عنهم.

□ وكُتب الشيعة الاثنا عشرية الرئيسية تطفح بهذا الرُّكام: «الكافي» للكلِّيني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابويه القُمِّي، و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي، و«وسائل الشيعة» للحر العاملي، و«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.

□ وقد ذهب إلى كُفرهم الإمامُ مالكٌ، وأحمدُ، والبخاريُّ، وغيرهم
 - كالقرطبيِّ وابن تيميَّةَ والألوسي ـ:

□ الإمام مالك: رَوىٰ الحَلاَّلُ عن أبي بكر المَرُّوذي قال: «سمعت أبا عبداللَّه يقول: قال مالكٌ: الذي يَشتُمُ أصحابَ النبي عَلَيْكُ ليس لهم اسمٌ - أو قال: نصيب - في الإسلام»(١).

* قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّه وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّه وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإّنجيلِ سِيمَاهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإّنجيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتُوكَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ

⁽١) «السُنَّة» للخلاّل (٢/ ٥٥٧). وإسناده صحيح.

الْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩].

□ قال القرطبيُّ: «لقد أحسَنَ مالكُ في مقالته، وأصاب في تأويله، فمَن انتَقَص واحدًا منهم، أو طَعَن عليه في روايته، فقد رَدَّ على اللَّه ربِّ العالَمين، وأبطل شرائع المسلمين (٢٠).

□ الإمام أحمد: وردت عنه رواياتٌ عديدةٌ في تكفيرهم:

فقد روى الخَلاَّل عن أبي بكر المَرُّوذي قال: «سألت أبا عبداللَّه عمن يشتمُ أبا بكرٍ وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام».

□ وقد جاء في كتاب «السنة» للإمام أحمد قولُه عن «الرافضة»: «هم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد عَلَيْ ويَسُبُّونهم، وينتقصونهم، ويُكفِّرون الأئمة إلا أربعة: علي وعَمَّارٌ والمقدادُ وسَلْمان. وليست الرافضةُ من الإسلام في شيء»(٣).

□ وقال البخاري ـ رحمه الله ـ: «ما أُبالي صَلَيْتُ خَلْفَ الجهمي والرافضي، أم صلَّيتُ خلفَ اليهود والنصارى، ولا يُسلَّمُ عليهم، ولا

⁽۱) «تفسير ابن كثير» (۲۱۹/٤)، وانظر «روح المعاني» للألوسي (٢٦/٢٦)، فقد ذهب إلى تكفيرهم، وانظر أيضًا في استنباط وجه تكفيرهم من الآية في «الصارم المسلول» (ص٥٧٩).

⁽٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٧).

⁽٣) «السنة» للإمام أحمد (ص٨٢) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

يُعادون، ولا يناكَحون، ولا يُشهَدون، ولا تؤكُّلُ ذبائحُهم»(١) .

□ وقال عبدُالرحمن بنُ مَهدِي: «هما مِلَّتانِ: الجهمية والرافضة»(٢).

□ وسأل رجلٌ الفريابيَّ عمن يشتمٌ أبا بكر؟ قال: «كافر، قال: فيُصلَّىٰ عليه؟ قال: لا وقال: لا تَمسُّوه بأيديكم، ارفعوه بالخُشُب حتى تواروه في حَفرته»(٣).

ومِمَّن كَفَّرهم: أحمدُ بن يونس، وأبو زُرعةَ الرازي، وابنُ قُتيبة.

□ قال عبدُالقاهر البغدادي: «وأما أهلُ الأهواء من الجارودية والهِشامية والجهمية والإمامية ـ الذين أكفروا خيار الصحابة ـ ، فإنا نُكفِّرُهم، ولا تجوزُ الصلاةُ عليهم عندنا، ولا الصلاةُ خَلْفَهم (١٠٠٠).

□ وقال القاضي أبو يَعلى: «وأما الرافضةُ، فالحكم فيهم: إن كَفَّر الصحابةَ أو فَسَّقهم بمعنَّىٰ يستوجبُ به النار، فهو كافر».

□ وقال ابنُ حزم: «وأما قولهم - يعني: النصارئ - في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإنَّ الروافض ليسوا من المسلمين. . وهي طائفةٌ تجري مجرى اليهود والنصارئ في الكذب والكفر»(٥٠) .

□ ثم قال: «ومِن قولِ الإماميةِ قديمًا وحديثًا: إن القرآن مبدَّل».

□ ثم قال: «القولُ بأن بين اللوحين تبديلاً كُفرٌ صريح، وتكذيبٌ

⁽١) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري (ص١٢٥).

⁽٢) المصدر السابق (ص١٢٥)، والمجموع فتاوئ شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ٤١٥).

⁽٣) «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٠٧٥).

⁽٤) «الفرق بين الفرق» لعبدالقاهر البغدادي (ص٥٧).

⁽o) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢١٣).

لرسول اللَّه ﷺ "(').

□ وقال الإسفرايني: «ليسوا في الحال على شيءٍ من الدين، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر، إذ لا بَقاء فيه على شيءٍ من الدين».

□ وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرَّح مصرِّح بكفرِ أبي بكر وعمر وعمر في الله وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرَّح مصرِّح بكفرِ أبي بكر وعمر ووَدَّ ما جاء في حقِّهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحُكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدُّمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة».

شم قال: «فقائلُ ذلك ـ إنْ بَلَغَتْه الأخبارُ واعتَقَد مع ذلك كُفرَهم -،
 فهو كافر»(٢) .

□ وقال القاضي عياض - رحمه اللّه -: «نقطعُ بتكفيرِ غُلاةِ الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضلُ من الأنبياء».

والشِّيعةُ المعاصرون يَعُدُّون هذا من ضروراتِ مذهبِهم، ومُنكِرُ الضروريِّ كافرٌ عندهم.

□ وقال السَّمعاني: «واجتمعت الأُمةُ على تكفيرِ الإِمامية؛ لأنهم يعتقدون تضليلَ الصحابة، ويُنكِرون إجماعَهم وينسبونهم إلى ما لا يكيقُ بهم ("").

□ وقال شيخُ الإسلام ابن تيمية: «مَن زَعَم أن الصحابةَ ارتدُّوا بعد

⁽١) «الفصل» (٥/ ٠٤).

⁽٢) «فضائح الباطنية» لأبي حامد (ص١٤٩).

⁽٣) «الأنساب» للسمعاني (٦/ ٣٤١).

رسولِ اللّه ﷺ إلا فقرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عَشَر نَفْسًا، أو أنهم فَسَقُوا عامتهم، فهذا لا ريبَ-أيضًا في كُفرِه؛ لأنه مُكذّبٌ لِمَا نصَّه القرآنُ في غيرِ موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم. . بل مَن يُشكَّكُ في كفرِ مثلِ هذا؟ فإنَّ كُفْرَه متعيَّن (۱) .

□ وساق الإمامُ ابنُ كثير بعض الأحاديث الثابتة في السنة، والمتضمنة نَفْي دعوىٰ النصِّ والوصية التي تدَّعيها الرافضةُ لعليِّ، ثم قال بعدها معقبًا: "ولو كان الأمرُ كما زَعموا، لَما ردَّ ذلك أحدٌ من الصحابة، فإنهم أطوعُ للَّه ولرسوله في حياته وبعده وفاته من أن يفتاتوا عليه فيُقدِّموا غير من قدَّمه، ويؤخِّروا من قدَّمه بنصة، وحاشاً وكلاً، ومن ظن بالصحابة واليه ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطئو على معاندة الرسول، ومضادَّته في حُكمه ونصة، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام، فقد خلع ربْقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلَّ من إراقة المدام»(٢).

□ وكَفَرهم شيخُ الإسلام ابنُ عبدالوهاب في رسالته «الرد على الرافضة»، والشيخ شاه عبدالعزيز الدهلوي في «مختصر التحفة الاثنا عشرية» (ص٠٠٠).

☑ وكفَّرهم الإمامُ الشوكاني: فقال: «وبهذا يتبيَّنُ أن كلَّ رافضيًّ خبيثٍ يصيرُ كافرًا بتكفيره لصحابيٍّ واحد، فكيف بمن كفَّر كلَّ الصحابةِ

⁽۱) «الصارم المسلول» (ص٥٨٦ ـ ٥٨٧).

⁽٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٥٢).

واستثنى أفرادًا يسيرة »(١).

□ وعندما جاء بعض آياتهم لمناظرة العالم الرباني الشيخ الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» قال لهم: «لو كنّا نتّفق على أصول واحدة لناظرتُكم، ولكن لنا أصول ولكم أصول، وبصورة أوضح: لنا دين ولكم دين»(٢).

□ وكَفَّرهم الشيخ تقيُّ الدين الهلالي في رسالته «مناظرتان بين رجل سُنِّيًّ وإمامين مجتهدين شيعيين »(٣) .

* سَلُوا التاريخ يُخبِرْكم عن الرافضة الإِثني عشريَّة:

الستعصم، وقتلوا معه غَدْرًا وفي ساعة واحدة ـ مئتي ألف شخصية من العلماء والوجهاء والقضاة، واستمرت المدّابحُ فيها بضعًا وثلاثين يومًا، قُتِل فيها حوالَى ثمانمئة ألف مسلم ومسلمة؟!.

□ ومن الذي تسبّب في انحسار المدّ الإسلاميّ العثماني في أرجاء أوربة، وطَعَن الخليفة العثمانيّ في ظهره بزحفه على عاصمة الخلافة، بينما كان يتغلغلُ بجيوشه في أحشاء «النمسا» إلى أن دَخل قلب «فيينا»، وكادت أوروبا تدخلُ في حظيرة الإسلام، لولا اضطرارُ الجيشِ العثماني إلى الانسحاب والرجوع إلى الرافضة لدحرهم ودفعهم؟!»(١).

⁽١) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني.

⁽٢) «وجاء دور المجوس» (ص١٥١).

⁽٣) المصدر السابق (ص١٤٨).

⁽٤) انظر «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور =

□ ومَن الذي تحالَفَ مع مَلِكِ «المَجَر» ضدَّ الدولة العثمانية؟ (١) .

□ يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ: «كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارئ قديًا على بيت المقدس، حتى استنقَذَه المسلمون منهم»(١).

□ «ومَن الذي سَلَّم أرض المسلمين في «باكستان الشرقية» لُقمة سائغة للهندوس حتى يُقيموا عليها الدولة المَسْخ «بنجلاديش»؟»(٢) .

□ يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وها هي باكستانُ الشرقية ، ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة «يحيى خان» في أيدي الهندوس (٣).

* نقولُ للمخدوعين في رافضة إيران والعراق، ولبنان (٠٠٠ :

□ إنْ لم ترضوا بأقوال هؤلاء العلماء الجهابذة من أساطين الإسلام،

محمد عبداللطيف هريدي ـ دار الصحوة ـ القاهرة .

⁽١) مقدمة كتاب «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس والمقدمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم (ص٩ ـ ، ١) دار الإيمان.

⁽٢) «منهاج السنة» لابن تيمية (١١/٤).

⁽٣) مقدمة «حقبة من التاريخ» (ص١).

⁽٤) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير (ص١١).

⁽٥) «الأنباء الكويتية» ـ العدد ١٧ ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ (ص٧١ ، ٧٢).

⁽٦) رافضة لبنان هم «حزب اللَّه» وهو اثنا عشرية إمامية.

فاقرؤوا رسالة الشيخ «محب الدين الخطيب»: «الخطوطُ العريضةُ التي قام عليها دينُ الشيعة الإمامية الاثني عشرية»، والشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» (ص١٣١)، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، والدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه: «السنة ومكانتها في التشريع» (ص١٧)، وهو شيخُ الإخوان في سوريا ـ رحمه اللَّه ـ، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، وشيخ علماء الجزائر البشير الإبراهيمي، وأحمد أمين، والدكتور محمد رشاد سالم.

* الفلاسفة . . الفارابيُّ وابن سينا ومن عَلَى شاكلتهم ويقول برأيهم :

كان أبو حامد الغزالي واحدًا من جُملة أولئك الذين أظهروا للناس فساد الفلسفة، بعد أن أمضى قريبًا من سَنتَينِ يدرسُ غَوْرَ وغوائلَ هذا المذهب، حتى اطَّلع على ما فيه من خداع وتلبيس وتخييل، ومِن ثَمَّ قسَّمهم إلى ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: الدهريون.

والصنف الثاني: الطبيعيُّون.

والصنف الثالث: الإلهيُّون.

ثم قَطَعَ بتكفيرِ أصحاب الصّنف الثالث - وهم الإلهيُّون - وتكفير متّبعيهم من المتفلسفة الإسلاميين - كابن سينا والفارابي وغيرهما -، حيث إن أحداً من المسلمين لم ينقل عِلمَ «أرسطاطاليس» كقيام هذين الرجلين (١٠) . [على حد قوله].

⁽١) «المنقذ من الضلال» للغزالي (ص١٨ - ٢٢).

والسببُ في تكفيرهم بالإلهيات قولُ الغزالي بأنه قد كُثُرت فيها أغاليطُهم، فما قُدروا على الوفاء بالبراهين على ما شرطوه في المنطق، ومجموعُ ما غَلِطوا فيه يرجعُ إلى عشرينَ أصلاً، يجبُ تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعُهم في سبعة عَشر، وهذه الثلاثة هي كالآتي:

١ - قولُهم: «إن الأجسادَ لا تُحشر، وإنما المثابُ والمعاقبُ هي الأرواحُ المُجرَّدة، والمثوباتُ والعقوباتُ رُوحانيةٌ لا جُسمانية».

٢ - قولُهم: "إن اللّه يَعلمُ الكلّيّات دون الجزئيّات». . وهذا أيضًا كفرٌ صريح.

٣ - قولهم بقِدَم العالَم وأزليَّته (١) .

لقد كان هذا الموقفُ عظيمًا من الغزالي، حيث استطاع مجابَهتهم وتفنيد آرائهم، ثم أظهر تهافتها في كتابه المسمّى بـ «تهافت الفلاسفة»(") في الوقت الذي لم يكن فيه الكثيرُ من النُّظَّار قادرِين على ذلك، إذْ كان لدى الفلاسفة من الحجج الباطلة والقواعد الجدليَّة ما يُلبس ثوبَ الشكِّ لدى خصمهم في القُدرة على مواجهتهم بذلك، حتى جاء الغزاليُّ وأبطل هذه الحجج بقدم ثابتة، وثقة بالغة، وجُرأة نادرة، وسَجَّل له التاريخُ الإسلاميُّ هذا الفضل العظيم ("، ").

⁽١) نفس المصدر (٢٧ ـ ٢٨).

 ⁽٢) ذهب الغزالي إلى تكفير الفلاسفة بهذه المقولات الثلاثة في كتابه «تهافت الفلاسفة» ـ طبع دار المعارف.

⁽٣) «أبو حامد الغزالي والتصوف» (٦٨ ـ ٦٩) لعبدالرحمن دمشقية ـ دار طيبة الرياض.

⁽٤) أجاد الغزالي في الردّ على الفلاسفة، لكنه عاد وأظهرها في قالب التصوف والعبارت الإسلامية؛ وخاصةً في «الإحياء» و«مشكاة الانوار» و«معارج القدس» و«ميزان الإسلامية؛ وخاصةً في أصحابه وهو أبو بكر بن العربي حيث قال: «شيخنا أبو=

□ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «إن الفلاسفةَ الإلهيينَ المشّائين وغيرَهم متّفقون على الإقرارِ بواجبِ الوجود، وببقاء الرُّوح بعد الموت، وبأن الأعمالَ الصالحة تنفعُ بعد الموت، ويخالفُهم في ذلك فلاسفةٌ كثيرون من الطبيعيّين وغيرهم، بل وبين الإلهيين من الفلاسفة خلافٌ في بعض ذلك، حتى الفارابي وهو عندهم المعلّمُ الثاني - يُقال: إنه اختلف كلامُه في ذلك.

فقال تارةً ببقاء الأنفُسِ كلِّها، وتارةً ببقاء النفوس العالِمة دون الجاهلة، كما قاله في آراء المدينة الفاضلة، وتارةً كَذَّب بالأمريْن، وزَعَم الجاهلة، كما قاله في آراء المدينة الفاضلة، وتارةً كَذَّب بالأمريْن، وكلامُهم الضالُّ الكافرُ: أن النَّبُوَّة خاصَّتُها جَودَةُ تخييلِ الحقائق الرُّوحانية، وكلامُهم المضطربُ في هذا الباب كثير "(۱).

□ وقال ابنُ تيمية في كتابه «النبوّات»: «قد غَلِط في النبوة طوائفُ غيرُ الذين كَذَّبوا بها إما ظاهرًا وباطنًا، وإمّا باطنًا كالمنافق المَحْض، بل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزِل إلى الرسول وإلى مَن قَبْلَهَ -، وهم خَلْقٌ كثير فيهم شُعبةُ نفاقٍ - وإن لم يكونوا مُكذّبين للرسول مِن كلّ وجه -، بل قد يعظّمونه بقلوبهم، ويعتقدون وجوبَ طاعته في أمورٍ دون أمور.

وأبعد هؤلاء عن النبوة: المتفلسفة والباطنية والملاحدة؛ فإن هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام ، وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة، والفارابي جَعَلها من جنس المنامات فقط، ولهذا يُفضِّلُ هو وأمثالُه «الفيلسوف» على «النبي»، وابن سينا عَظَمها أكثر من ذلك، فجعل للنبي ثلاث خصائص:

⁼ حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم أراد أن يخرج فما قدر».

⁽۱) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (۲/ ۸٦).

□ أحدها: أن يَنالَ العلمَ بلا تَعلُّم، ويُسمِّيها «القوَّة القُدْسيَّة»، وهي «القُوَّةُ الحَدْسيَّة» عنده.

□ والثاني: أن يتخيّل في نفسه ما يَعلمُه، فيرى في نفسه صُورًا تكلّمُه، نورانيّةً، ويَسمعُ في نفسه أصواتًا، كما يرى النائمُ في نومه صُورًا تكلّمُه، ويسمعُ كلامَهم، وذلك موجودٌ في نفسه لا في الخارج.

فهكذا عند هؤلاء جميعُ ما يختصُّ بالنبي مما يراه ويَسمعُه دون الحاضِرِين، إنما يراه في نفسِه ويسمعه في نفسه، وكذلك الممرور عندهم.

□ والثالث: أن يكون له قوّةٌ يتصرّفُ بها في هيُّولَى العالم بإحداث ِ أمورٍ غريبة وهي عندهم آياتُ الأنبياء.

وعندهم ليس في العالم حادث إلا عن قوى نفسانية أو ملكية أو طبيعية ، كالنفس الفلكية والإنسانية والأشكال الفلكية ، والطبائع التي للعناصر الأربعة والمولدات، لا يُقرُّون بأن فوق الفلك نفسه شيءٌ يَفعلُ ولا يُحدثُ شيئًا ، فلا يتكلَّمُ ولا يتحرَّكُ بوجه من الوجوه لا ملك ولا غير ملك فضلاً عن ربِّ العالم .

والعقولُ التي يُثبتونها عندهم ليس فيها تحوُّلٌ من حالٍ إلى حالٍ ألبتة ، لا بإرادةٍ ولا قولٍ ولا عملٍ ولا غير ذلك ، وكذلك المبدأ الأول.

وهؤلاء عندهم جميعُ ما يحصلُ في نفوسِ الأنبياء إنما هو من فَيضِ «العقل الفعّال»، ثم إنّهم لَمَّا سَمعوا كلامَ الأنبياء أرادوا الجَمَع بينه وبين أقوالهم، فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم، ويُسمُّون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء، ثم يتكلّمون ويَصِفُون الكتب

بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء، فيَظنُّ مَن لم يعرف مُرادَ الأنبياء ومرادَهم أنهم عَنُوا بها ما عَنَتْه الأنبياءُ. . وضَلَّ بذلك طوائفُ، وهذا موجودٌ في كلام ابن سينا ومَن أخَذَ عنه، وقد ذَكَر الغزاليُّ ذلك عنهم تعريفًا بمذهبهم، وربَّما حَذَّر عنه، ووقع في كلامه طائفةٌ من هذا في الكتب المضنون بها على غير أهلها وفي غير ذلك، حتى في كتابه «الإحياء» يقول: «الملك والملكوت والجبروت»، ومقصوده الجسمُ والنَّفسُ والعَقل الذي أثبتته الفلاسفة، ويَذكُرُ اللوحَ المحفوظ، ومرادُه به النفسَ الفلكية. . إلى غير ذلك مما قد بُسط في غير هذا الموضع، وهو في «التهافت» وغيره يُكفِّرُهم، وفي «المضنون به» يذكرُ ما هو حقيقةُ مذهبِهم، حتى يَذكرَ في النبوَّات عَينَ ما قالوه، وكذلك في الإلهيات، وهذه الصفاتُ الثلاثُ التي جَعلوها خاصةً الأنبياء توجَدُ لعموم الناس، بل توجدُ لكثيرٍ من الكفار من المشركين وأهل الكتاب، فإنه قد يكونُ لأحدهم من العلم والعبادة ما يتميَّزُ به على غيره من الكفار، ويَحصلُ له بذلك حَدْسٌ وفراسةٌ يكون أفضلَ من غيره.

وأما التخييلُ في نفسه، فهذا حاصلٌ لجميع الناس الذين يَرُون في مناماتهم ما يَرُون، لكن هو يقولُ: إن خاصَّة النبيُّ أن يَحصُلُ له في القيظة ما حَصَلُ لغيرِه في المنام، وهذا موجودٌ لكثيرٍ من الناس، قد يحصلُ له في اليقظة ما يَحصُلُ لغيرِه في المنام، ويكفيك أنهم جَعلوا مثلَ هذا يحصلُ اليقظة ما يَحصُلُ لغيرِه في المنام، ويكفيك أنهم جَعلوا مثلَ هذا يحصلُ للممرور وللساحر، ولكن قالوا: الساحرُ قصدُه فاسد، والممرور ناقصُ العقل. فجعلوا ما يحصلُ للأنبياء من جنسِ ما يحصلُ للمجانين والسَّحَرة، وهذا قولُ الكفار في الأنبياء، كما قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى اللّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ آَنُ الصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ اللّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿ آَنُ الصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ

قُومٌ طَاغُونَ ﴾ [الذاريات: ٥١ -٥٦].

وهؤلاء عندهم ما يحصلُ للنبيِّ من المكاشفة والخطاب هو من جنس ما يحصُلُ للساحر والمجنون، لكنَّ الفَرْقَ بينه وين الساحر: أنه يأمرُ بالخير، وذلك يأمر بالشر، والمجنون ما له عقل، وهذا القَدْرُ الذي فرَّقوا به موجودٌ في عامةِ الناس، فلم يكن عندهم للأنبياء مَزِيَّةٌ على السَّحَرة والمجانين إلاَّ ما يُشاركُهم فيه عمومُ المؤمنين، وكذلك ما أثبتوه من القوَّة الفعَّالة المتصرِّفة، هي عندهم تَحصلُ للساحر وغيرِه، وذلك أنهم لا يَعرِفون الجنَّ والشياطين، وقد أخبروا بأمورٍ عجيبة في العالَم، فأحالوا ذلك على قوَّة نفسِ الإِنسان، فما يأتي به الأنبياءُ من الآيات، والسَّحَرةُ والكُهَّانُ وما يُخبِرُ به المصروعُ والممرورُ: هو عندهم كلُّه من قوَّة نفس الإنسان، فالخبرُ بالغيب هو لاتِّصالها بالنفس الفَلكية، ويُسمُّونها «اللوح المحفوظ»، والتصرُّفُ هو بالقوة النفسانية، وهذا حذقُ ابن سينا وتصرُّفه لَمَّا أَخبر بأمورٍ في العالَم غريبة لم يُمكنه التكذيبُ بها، فأراد إخراجَها على أصولهم وصرَّح بذلك في "إشاراته"، وقال: "هذه الأُمور لم نُثبتها ابتداءً، بل لَمَّا تحقَّقنا أن في العالَم أمورًا من هذا الجنس أردنا أن نبيِّن أسبابها».

وأما أرسطو وأتباعُه، فلم يعرِفوا هذه الأمور الغريبة، ولم يتكلَّموا عليها ولا على آياتِ الأنبياء، ولكنْ كان السحرُ موجودًا فيهم، وهؤلاءِ من أبعدِ الأُم عن العلوم الكليَّة والإلهية، فإنَّ حُدوثَ هذه الغرائبِ من الجنِّ واقترانَهم بالسَّحرة والكهَّان مما قد عَرَفه عامَّةُ الأم وذكروه في كتبهم غيرُ العرب، مثل الهند والترك وغيرهم من المشركين وعُبَّادِ الأصنام وأصحابِ الطلاسم والعزائم، وعَرفوا أن كثيرًا مِن هذه الخوارق هو مِن الجنَّ الطلاسم والعزائم، وعَرفوا أن كثيرًا مِن هذه الخوارق هو مِن الجنَّ

والشياطين، وهؤلاء الجهاّلُ لم يعرفوا ذلك، ولهذا كان من أصلهم أن النبوة مُكتسبة، وكان السَّهْرورديُّ المقتولُ يطلبُ أن يكون نبيًّا، وكذلك ابنُ سبعين وغيره، والنبوةُ الحقُّ هي أنباءُ اللَّه لعبده، ونبيُّ اللَّه مَن كان اللَّه هو الذي يُنبَّغه، ووَحْيُه من اللَّه، وهؤلاء وحيهم من الشياطين، فهم من جنس المتنبئين الكذاّبين كمسيلمة الكذاّب وأمثاله، بل أولئك أحذقُ منهم، فإنهم كانت تأتيهم أرواحٌ فتكلِّمُهم وتُخبرهم بأمورٍ غائبة، وهي موجودةٌ في الخارج - لا في أنفسهم -، وهؤلاء لا يعرفون مثل هذا، ووجودُ الجن والشياطين في الخارج وسماعُ كلامهم أكثرُ من أن يمكنَ سَطرُ عُشرِه هنا، وكذلك صرعهم للإنس وتكلُّمهم على ألسنتهم.

فلا الخبرُ كالخبر، ولا الأمرُ كالأمر، ولا مُخبِرُ هذا كمُخبِرِ هذا، ولا آمرُ هذا كآمرِ هذا، كما أنه ليس هذا مثلَ هذا، ولهذا قال تعالى لَمّا ذكر الذي جاء بالقرآن إلى محمد، وأنه ملَكُ منفصلٌ ليس خيالاً في نفسه ـ كما يقوله هؤلاء ـ: قال تعالى: ﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولَ كَرِيمٍ ﴿ آلَ فَي فَوْةً عندَ ذي يقوله هؤلاء ـ: قال تعالى: ﴿ إِنّهُ لَقَوْلُ رَسُولَ كَرِيمٍ ﴿ آلَ فَي فَوْةً عندَ ذي الْعَرْشِ مَكِينَ ﴿ آلَ مُ مُطَاعٍ ثَمّ أَمِينٍ ﴿ آلَ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونَ ﴿ آلَ وَلَقَدْ وَلَقَدْ وَمَا عَلَى الْغَيْبِ بِضَنينٍ ﴿ آلَ وَمَا هُو بَقُولُ شَيْطَانُ رَبِّهِ وَمَا هُو بَقُولُ شَيْطَانُ رَبِّهِ وَمَا هُو بَقُولُ شَيْطَانُ رَجِيمٍ ﴿ آلَ وَمَا هُو بَقُولُ شَيْطَانُ رَجِيمٍ ﴿ آلَ فَي الْعَلْمِينَ ﴾ [التكوير: ١٩-٢٧]. رَجْمِ مُولَ فَا فَانِينَ تَذْهَبُونَ ﴿ آلَ فَي إِلاَّ ذَكُرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [التكوير: ١٩-٢٧].

فالقرآنُ قولُ رسولٍ أرسله اللّه ـ لَم يُرسلْه الشيطانُ ـ ، وهو مَلَكٌ كريم ذو قوةٍ عند ذي العرش مَكينٌ ، مطاعٌ ثَمَّ أمين ، فهو مطاعٌ عند ذي العرش في الملأ الأعلى ، والشياطين لا يُطاعون في السموات، بل ولا يصعدون إليها»(۱).

□ وقال الذهبي: «قد سقتُ في «تاريخ الإسلام» أشياء اختصرتُها، وهو رأسُ الفلاسفة الإسلامية، لم يأت بعد الفارابيِّ مثله، فالحمدُ للَّه على الإسلام والسُّنَّة.

وله كتابُ «الشفاء» وغيرُه، وأشياءُ لا تُحتَمل، وقد كَفَّره الغزاليُّ في كتاب «المُنقِذ من الضلال»، وكفَّر الفارابي»(٢)

□ وقال ابنُ كثير عن أبي علي بن سينا، الحُسينِ بن عبداللَّه بن سينا: "وقد لَخَّص الغزاليُّ كلامَه في "مقاصد الفلاسفة"، ثم ردَّ عليه في "تهافت الفلاسفة" في عشرين مسألة، كفَّره في ثلاث مسائلَ منْهُنَّ؛ وهي قولُه بقدم العالَم، وعدم المعاد الجُسْمانيِّ، وأن اللَّه لا يَعْلمُ الجزئيات، وبَدَّعه في البواقي. ويُقال: إنه تاب عند الموت. فاللَّه سبحانه وتعالى أعلم" "

□ يقول شيخ الإسلام ـ رحمه اللّه ـ في كتابه «درء تعارض العقل والنقل» وهو بصدد البحث عن انحراف الفلاسفة: «ولهؤلاء في نصوصِ الأنبياء طريقتان: طريقةُ التبدليل، وطريقةُ التجهيل:

⁽١) «النُّبُوَّات» لابن تيمية (ص١٦٨ ـ ١٧٠) ـ طبع مكتبة السُّنة المحمدية .

⁽٢) "سير أعلام النبلاء" (١٧/ ٥٣٥).

⁽٣) «البداية والنهاية» (١٥/ ٦٦٨) ـ دار عالم الكتب.



أما أهل التبديل: فهم نوعان: أهلُ الوهم والتخييل، وأهلُ التحريف والتأويل.

فأهلُ الوهم والتخييل هم الذين يقولون: إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر، وعن الجنة والنار، وعن الملائكة، بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه، لكنهم خاطبوهم بما يتخيّلون به ويتوهّمون به أن اللّه جسم عظيم، وأن الأبدان تُعاد، وأن لهم نعيمًا محسوسًا، وعقابًا محسوسًا وإن كان الأمرُ ليس كذلك في نفسِ الأمر -، لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهّمون به ويتخيّلون أن الأمرَ هكذا، وإن كان هذا كذبًا فهو كذب لصلحة الجمهور، إذ كانت دعوتُهم ومصلحتُهم لا تُمكِنُ إلاّ بهذه الطريق.

□ وقد وضح ابن سينا وأمثاله قانونَهم على هذا الأصل، كالقانون الذي ذكره في رسالته «الأضحوية» (ص٤٤ ـ ٥١)، وهؤلاء يقولون: «الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبًا وباطلاً ومخالفة للحق، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة».

ثم من هؤلاء من يقول: «النبيُّ كان يَعلمُ الحقَّ، ولكن أظهَرَ خلافَه للمصلحة».

ومنهم من يقول: «ما كان يعلمُ الحقّ كما يعلمُه نُظَّارُ الفلاسفة وأمثالُهم».

وهُ وَلاء يُفضِّلُون الفيلسوفَ الكاملَ على النبي، ويُفضِّلُون الوَلِيَّ الكاملَ الذي له هذا المشهَد على النبي، كما يُفضِّلُ ابنُ عربي الطائي خاتَمَ الأولياء ـ في زعمه ـ على الأنبياء، وكما يُفضِّلُ الفارابي ومبشِّرُ بنُ فاتك

وغيرُهما الفيلسوفَ على النبي .

وأما الذين يقولون: "إن النبي كان يعلمُ ذلك"، فقد يقولون: "إن النبي أفضلُ من الفيلسوف؛ لأنه عَلِم ما عَلِمه الفيلسوفُ وزيادةً، وأمكنه أن يخاطِبَ الجمهور بطريقة يعجزُ عن مثلها الفيلسوفُ". . وابنُ سينا وأمثاله من هؤلاء.

وهذا في الجملة قولُ المتفلسفة والباطنية، كالملاحدة الإسماعيلية، وأصحاب رسائل "إخوان الصفا"، والفارابي وابن سينا والسُّهْرَوَرْدي القتول وابن رُشد الحفيد، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدِّمين من أهل الكتاب والسنة، كابن عربي وابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة "حي بن يقطان"، وخَلقٍ كثير غير هؤلاء"(١).

□ وقد خَصَّ شيخُ الإسلام قسمًا كبيرًا من هذا الكتاب العظيم في تتبُّع سَقَطاتِ ابنِ سينا وضلالاته، وبيان ما فيها من زيف وانحراف بالحُجَّة والبرهان على طريقة السلف الصالح من لدن صحابة رسول اللَّه ﷺ ومَن تَبِعهم بإحسانٍ من الأئمة والعلماء المشهود لهم بالعلم والإيمان والاستقامة والعرفان.

□ وقال ابن تيمية عن تسمية ابن سينا للَّوح المحفوظ بالنفس الفلكيَّة: «وقد بَيَّنا أن اللوحَ المحفوظ الذي ذُكَره اللَّه ورسولُه ليس هو «النَّفس الفلكية»، وابنُ سينا ومَن تبعه أخذوا أسماء جاء بها الشرع، فوضعوا لها مُسمَيَّاتٍ مخالِفة لمُسمَيَّاتٍ صاحبِ الشرع، ثم صاروا يتكلَّمون بتلك

⁽١) «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (١/ ٨).

الأسماء، فيَظنُّ الجاهلُ أنهم يقصدون بها ما قَصَده صاحبُ الشرع. . وهؤلاء أخذوا مُخَّ الفلاسفة، وكَسَوه لِحاء الشريعة»(١) .

□ وقال ابنُ سينا: «إن الشرائع واردةٌ لخطابِ الجمهور بما يفهمون بتقريب ما لا يفهمون إلى إفهامهم بالتشبيه والتمثيل، ولو كان غيرُ ذلك لما أغنت الشرائعُ ألبتة»(٢).

وهذه الدَّعُوىٰ من أخطر ما بنى عليه الفلاسفةُ والقرامطةُ منهجَهم في هَدم الإسلام والإعراضِ عن القرآن والسُّنة، والاستغناءِ عنهما بالفلسفة وتعاليم الأئمة المعصومين.

◘ ويرى ابن سينا أن النبيَّ له ثلاث قوًى :

الأولى: قوةٌ قُدسيَّة، وهي تابعةٌ لقوَّة العقل النظري، ويَتمكَّنُ بها النبيُّ من إدراك الحدِّ الأوسط دَفعةً واحدة.

الثانية: قوَّةُ التخييل والحسِّ الباطن: بحيثُ يتمثَّلُ له ما يَعلمُه في نفسه فيراه ويسمعه، فيرئ في نفسه صُورًا نورانيةً هي ملائكةُ اللَّه، ويسمعُ في نفسه أصواتًا هي عنده ـ كلامُ اللَّه، وذلك من جنسِ ما يحصلُ للنائم في منامه، ويحصلُ لغير الأنبياء بالرياضة.

الثالثة: قوةٌ نفسانيةٌ يتصرَّفُ بها في هَيولن العالَم، ويتمكَّنُ بها النبي والوليُّ في التأثير في مادة العلم، وهو يزعمُ أنَّ خوارقَ العاداتِ التي للأنبياء والأولياء هي من هذا النَّمَط»(٣).

⁽۱) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (۱/ ۲۰۲).

⁽٢) «رسالة أضحوية في أمر المعاد» (ص٣٩، ٥٠) لابن سينا تحقيق سليمان دنيا.

⁽٣) «الإشارات والتنبيهات» لابن سينا (٢/ ٣٦٨) تحقيق د. سليمان دنيا ـ و «الشفاء» =

□ وابنُ سينا هو أول من سَمَّى اللَّه بـ (واجب الوجود)(١) ، وهذا إلحادُ منه في أسماء اللَّه، وابن سينا وأمثالُه يُشبتون وجودًا مطلقًا بشرط الإطلاق، والموجودُ المطلقُ بشرط الإطلاق يُمتنعُ وجودُه خارجَ الذهن، فيكونُ وجودُ الربِّ وجودًا ذهنيًّا فقط(١) .

□ وإنما راج كلامُ ابنِ سينا على مَن سَلَك طريقَ المتفلسفة؛ لأنَّه قرَّب لهم معرفةَ اللَّه والنبوَّات بحسب أصولِ الصابئة، لا بحَسَبِ الحقِّ في نفسه كما فعل «نسطور»، و «يحيى بن عديٍّ النصرانيَّان (٣) .

□ ولقد ركّب ابنُ سينا فلسفته من كلام اليونان والجهميّة والصوفية وسكك طريقة الإسماعيلية دين أصحاب «رسائل إخوان الصفا»(١٠٠٠ .

□ يقول الذهبي في "سير أعلام النبلاء" (٥٣١/١٧): "كان أبوه كاتبًا من دُعاة الإسماعيلية، فقال: كان أبي تولَّى التصرُّفَ بقرية كبيرة، ثم نزل "بُخاري"، فقرأتُ القرآن وكثيرًا من الأدب ولي عشرٌ، وكان أبي عَن آخى داعي المصريين، ويُعَدُّ من الإسماعيلية».

□ ولا يُعظّمُ المتفلسفة ومذاهبهم إلا أبعدُ الناسِ عن العقل والدين
 كالقرامطة والباطنية (٥٠).

^{= «}النفس» (ص٢٤٤)، وانظر «الصفدية» لابن تيمية (١/٦-٧)، و «النبوات» (ص١٦٨، ٢٤٠) ط. دار الفكر.

⁽١) انظر «مجموع فتاویٰ ابن تیمیة» (٩/ ١٤٨، ١٤٩).

⁽۲) انظر «مجموع الفتاوی» (۲/ ۲۲، ۲۳، ۲۲، ۱۰۶ ـ ۱۰۹، ۱۷۹)، (۳/۷).

⁽٣) «مجموع الفتاويٰ» (٢/ ٥٨).

⁽٤) «مجموع الفتاوي» (۲۸۱/۱۷)، (۳۲/ ۱٤٠).

⁽٥) انظر «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٩/ ٩٥ ، ٩٦).

□ فقد قالت الفلاسفةُ: «إن الملائكةَ هي العقولُ العَشَرةُ، وإنها قديمةٌ أزلية، وإن العقلَ ربُّ ما سواه، وإن العقلَ الفَعَّال ـ وهو جبريلُ ـ مُبدعُ كلِّ ما تحت فَكَك القمر».

وهذا لم يَقُلُ مِثِلَه اليهودُ والنصارىٰ ومشركو العرب ولم يَصِلُ إلَيه كفرهم (١) .

* أما أبو نصر محمد بن محمد الفارابيُّ: التركي الذي من كُتبُه تَفَقَّه ابنُ سينا:

□ قال عنه ابن كثير: «وكان يقولُ بالمَعادِ الرُّوحانيِّ لا الجُثمانيِّ، ويُخَصِّصُ بالمَعادِ الأرْواحَ العالمةَ لا الجاهلةَ، وله مَذاهِبُ في ذلك يُخالِفُ المسلمين والفَلاسِفة مِن سَلَفِه الأَقْدَمِين، فعليه - إن كان مات على ذلك - لَعْنَةُ ربِّ العالمين.

مات بدمشق - فيما قاله ابنُ الأثيرِ في «كامله»(۱) ، ولم أر الحافظ ابن عساكر ذكره في «تاريخه» لنَتْنِه وقباحتِه . . فاللَّهُ أعْلمُ»(۱) .

* نظرية النُّبُوَّة عند الفارابي:

الفارابي: محمدُ بنُ محمدِ بنِ طَرْخانَ بنِ أولغ، شيخُ الفلاسفة، أخَذَ المنطقَ عن «مَتَّى بنِ يونُس» النصراني، وسار إلى «حَرَّان»، فلزم بها «يوحنَّا ابنَ جيلان» النصراني، ومُصنَّفاتُه مَن ابتَغى الهدى منها ضَلَّ وحَارَ، ومنها

⁽١) انظر «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٩/٥٥).

⁽۲) «الكامل» (۸/ ۱۹3).

⁽٣) «البداية والنهاية» (١٥/ ٢٠٧).

تخرَّج ابنُ سينا.

□ يقول الدكتور «إبراهيم مدكور»: «وقد كان فلاسفة الإسلام حريصين كلَّ الحرصِ على أنْ يُوفِّقوا بين الفسلفة والدِّين، وبين العقل والنقل. وبيَّنوا الدينَ في اختصارِ على أساسٍ عقليٍّ، فكوَّنوا نظرية «النبوَّة» التي هي أهمُّ محاولة قاموا بها للتوفيق بين الفلسفة والدين. والفارابيُّ هو أوَّلُ مَن ذَهَب إليها، وفَصَّل القولَ فيها، وقد كتَب الفارابيُّ كتابًا سمَّاه «آراء أهل المدينة الفاضلة»، جارئ فيه أفلاطون في كتابه «الجمهورية» إلى حَدِّ كبير، ويَحوي كثيرًا من الآراء الأفلاطونية التي ضمَّنها نظريتَه في النُّبُوَّة»(۱).

□ وتظهرُ تفاصيلُ هذه النظرة إلى «النبوَّة» عند الفارابي فيما وَضعَه من شروط لرئيسِ مدينتِه الفاضلة حيث يقول في ذلك: «وإذا جُعِلتِ الهيئةُ الطبيعيةُ (١٠) مادة العقلِ المنفعل (١٣) الذي صار عقلاً بالفعل (١٠) ، والمنفعلُ ماد

⁽١) «في الفلسفة الإسلامية. . منهج وتطبيق» للدكتور إبراهيم مدكور ـ (ص٦٩ ـ ٧٠) ـ دار المعارف.

⁽٢) هي النفسُ الناطقةُ القابلةُ للإدراك، والتي هي مادةُ العقلِ المنفعل. . انظر «المدينة الفاضلة» للفارابي (ص٧٤) تأليف الدكتور علي عبدالواحد، وهو عبارة عن نصوصٍ نقلَها المؤلفُ من كتاب «آراء أهل المدينة الفاضلة» للفارابي، ثم شرحها وعَلَق عليها .

 ⁽٣) العقلُ المنفعلُ عندهم هو العقلُ في حالةِ تقبُّلِه للصور الذهنية . . انظر «المعجم الفلسفي»
 (ص٠١٢).

⁽٤) ذهب أرسطو إلى أن هناك عقلاً بالفعل وعقلاً بالقوة، فأحدُهما فاعل، والآخر منفعل، ولا يستغني واحدٌ منهما عن الآخر. وذهب شُرَّاحُ فلسفتِه المُتأخِّرون إلى تسمية «العقل» بالفعل «عقلاً فعَّالاً»، وأغدقوا عليه صفات تسمُو به على عالَم المادة وتُبرِّئُه من الفناء.. وذهب «الفلاسفةُ المنتسبون إلى الإسلام إلى عَدِّ العقلِ الفعَّال في نهايةِ سلسلةِ العقول =

المستفاد، والمستفاد مادة العقل الفعال، وأُخذت جملة ذلك كشيء واحد، كان هذا الإنسانُ هو الذي يَحُلُّ فيه العقل الفعال، وإذا حَصَل ذلك في كلا جُزْئي قُوَّته الناطقة ـ وهما النظريَّة والعَمليَّة ـ ثن ، ثم في قُوَّته المُتخيِّلة، كان هذا الإنسانُ هو الذي يُوحَى إليه، فيكونُ اللَّه عزَّ وجلَّ يُوحي إليه بتوسطُ العقل الفعال، فيكون ما يَفيضُ من اللَّه تبارك وتعالى إلى العقل الفعال أيفيضُ ألى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد، ثم إلى قُوته المتخيِّلة؛ فيكونُ بما يَفيضُ منه إلى عقله المنفعل حكيمًا فيلسوفًا ومتعقلًا على التمام، وبما يَفيضُ منه إلى قُوته المتخيِّلة نبيًّا منذرًا بما سيكونُ، ومُخبرًا بما هو الآن . وهذا الإنسانُ هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكونُ نفسه مُتَّحدةً بالعقل الفعال على الوجه الذي قلنا . وهذا الإنسانُ هو الذي يَقفُ على كلِّ فعل يمكنُ أن يَبلغ به السعادة، فهذا أولُ شرائط الرئيس»(۱) .

□ فمن ها النصِّ نلاحظ الآتي:

١ ـ يُذهبُ الفارابي إلى أنَّ الوحيَ إنما يكونُ لمن حَلَّ العقلُ الفعَّالُ في

⁼ الفلكيَّة، وسَمَّوه «العقل العاشر» الذي يُديرُ شؤونَ الأرض. قال الفارابي: «العقلُ الفعَّالُ صورةٌ مُفارِقة، لم تكن في مادة ولا تكونُ أصلاً»، وعَدَّه ابنُ سينا حَلْقةَ الوصلِ بين عالَم الغيبِ وعالَم الشهادة». . انظر «المعجم الفلسفي» (ص١٢٠).

⁽١) يقصد ﴿بالعملية »: النَّاحية النُّزُوعيةَ المَتَّصلةَ بالفكر ، والتي تمثَّلُ في النزوع إلى فهم شيء ما . . أمَّا النواحي الأُخرىٰ من القوة العمليَّة النزوعية التي تمثَّل في عمل شيء ما أو إحساس شيء ما، فليست من القوَّة الناطقة في شيء . . انظر «المدينة الفاضلة» للفارابي تأليف د . على عبدالواحد وافي (ص٧٥) .

⁽٢) المرجع السابق (ص٧٤-٧٥).

قوَّتْيهِ الناطقة والمتخيِّلة. . ويَجعلُ هذه القوىٰ من خصائصِ النبوةِ التي تؤثِّرُ على الناطقة والمتخيِّلة . على العالَم الخارجيِّ، فتكونُ بذلك المعجزاتُ .

□ وفي هذا يقول الفارابي: «النبوةُ تختصُّ في رُوحها بقوةٍ قُدْسيَّةٍ تُذَعِنُ لها غريزةُ عالَم الخَلقِ الأكبر، كما تُذعِنُ لرُّوحِك ـ عالَم الخلقِ الأصغر ـ، فتأتي بمعجزات خارجة عن الحيلة»(١) .

٢ - يُسوِّي في الرُّبة بين الفلاسفة والأنبياء من حيث الأخذُ عن العقل الفَعَّال إلى الفَعَّال ، ثم يُقدِّمُ الفلاسفة على الأنبياء ، حيث جَعَل إفاضة العقل الفَعَّال إلى صاحب العقل المنفعل حكيمًا فيلسوفًا ومتعقِّلاً على التمَّام ، وبعد الإفاضة على العقل المنفعل - التي هي مرتبة الفلاسفة - ، تأتي الإفاضة على القوَّة المُتَخيِّلة ـ التي هي مرتبة الفلاسفة ، كذلك الإفاضة ألمُتَخيِّلة ـ التي هي مرتبة الأنبياء ـ مُتراخية عن رتبة الفلاسفة ، كذلك الإفاضة إذا كانت على العقول ، فهي أوْلَى من أن تكونَ على آلة الخيال .

" يقول الدكتور «على وافي» مُعلِّقًا على قول الفارابي: «فهذا أولُ شرائطِ الرئيس»: «ويلاحَظُ أنَّ هذا الشرطَ الرُّوحيَّ قد انفرد الفارابيُّ باشتراطه في رئيسِ المدينة الفاضلة دونَ فلاسفة اليونان الذين اغترَف فلسفتهم مِن مَعينِهم، فلم يَرِدْ لمثلِ هذا الشرطِ ذِكرٌ في «جمهوريَّة أفلاطون» التي اعتَمد عليها الفارابيُّ اعتمادًا كبيرًا».

فظَهَر بهذا سُوءَ اعتقاد الفارابيِّ في «النُّبُوَّة»، وأنه إذا وُجِد شخصٌ لديْه قوَّةُ تخيُّلِ سيكون نبيًّا، وسيستمرُّ وجودُ أنبياءَ إلى قيام الساعة.

وهذا ردُّ واضحٌ لعقيدة «خَتم النُّبُوَّة» بنبيِّنا محمد عَلَيْكَة ، بجانب اعتقاده

⁽١) «فصوص الحكم» (ص٧٧) للفارابي.

عدمَ اصطفاءِ اللَّه تعالى لأنبيائِه ورسُله ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم ـ:

□ وفي هذا المعنى يُعَلِّقُ ابنُ طُفيل () على مقالة للفارابي حولَ السعادة الإنسانية قائِلاً: «فهذا قد أيأسَ الخَلقَ جميعًا عن رحمة اللَّه تعالى، وصيَّر الفاضلَ والشِّريرَ في رُتبة واحدة؛ إذ جَعَل مصيرَ الكُلِّ إلى العَدَم، وهذه زَلَّةُ لا تُقالَ، وعَثْرةٌ ليس بعدُها جَبْرٌ. . هذا مع ما صرَّح به مِن سُوء مُعْتَقَدهِ في «النبوة»، وأنها ـ بزعمه ـ للقوة الخياليَّة، وتفضيله الفلسفةُ عليها»(٢) .

* على بن مسكُويه (٣) :

وممن تأثَّر بنظرية الفارابي في النُّبُوَّة «عليُّ بن مَسكُويه»، فنَجدُه قد فصَّل تلك النظرية ورتَّبها ترتيبًا زاد في وضوحها.

□ حيث يقول: «يرتقي الإنسانُ مِن قوة الحسِّ إلىٰ قوة التخيُّل، إلىٰ قوة الفكر، ومِن قوّة الفكر إلىٰ إدراك حقائق الأمور التي في العقل، فيؤثّر حينئذ العقلُ في القوة الفكرية، وتؤثّرُ القوة الفكريةُ في القوة المُتخيِّلة، وتؤثّرُ القوة المُتخيِّلة في الحسِّ، فيرىٰ الإنسانُ أمثلةَ الأمور المعقولة - أعني حقائق الأشياء ومباديها وأسبابها - كأنها خارجةٌ عنه، وكأنما يراها بنظره ويسمعُها بأذُنه، فإذا شاهد هذه الحالَ، ولاحظ تلك الأمور، لم يَشُكَّ في

⁽١) محمد بن عبدالملك بن طُفيل الأندلسي، فيلسوف صاحب القصة الفلسفية «حي بن يقطان» ت. سنة ٥٨١هـ انظر «الأعلام» للزركلي (٢٤٩/٦).

⁽٢) حي بن يقظان: لأبي بكر بن طُفيل الأندلسي (ص٦٢).

⁽٣) أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه. . اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق مدة، ت سنة ٢١١هـ. . «الأعلام» (١/ ٢١١).

صحَّتها، وخَضَعت لها نفسُه، واعتَرفت بها.

□ قال ابن تيمية: «فهؤلاء الفلاسفةُ ما قَدَروا النَّبُوَّةَ حقَّ قَدْرِها، وقد ضلَّ بهم طوائفُ من المتصوِّفةِ المُدَّعين للتحقيق وغيرُهم، وابنُ عربي وابنُ سبعين ضَلُّوا بهم، فإنهم اعتقدوا مذهبهم وتصوَّفوا عليه؛ ولهذا يقول ابنُ عربي: «إنَّ الأولياءَ أفضلُ من الأنبياء، وإن الأنبياءَ وسائر الأولياء عربي: «إنَّ الأولياء أفضلُ من الأنبياء، وإن الأنبياءَ وسائر الأولياء يأخذون عن خاتم الأنبياء علم التوحيد، وأنه هو يأخذُ من المعدن الذي يأخذُ منه المَلكُ الذي يُوحِي به إلى الرسول»، فإنَّ المَلكَ عنده، الخيالُ الذي في النفس وهو جبريلُ عندهم من الصوت في نفسه "(۱) .

* ابن الرَّاو ندي الزنديق المرتد:

□ قال ابن الجوزي: «كم من زنديقٍ في قلبه حقدٌ على الإسلام، خَرَج فبالغ، واجتهد فزخرف دعاوى يَلقَى بها من يَصحبُه، وكان غُورُ قصده في

⁽١) «الفوز الأصغر»، لأبي على أحمد بن مسكويه (ص١٠١ ـ ١٠٣).

⁽٢) «النبوات» لابن تيمية (ص٢٨٠).

الاعتقاد الانسلالَ من الدين، وفي العمل نيلَ الملذَّات، واستباحةَ المحظورات.

ومنهم مَن لم يَبْرَحُ على تعثيره، ففاتته الدنيا والآخرة؛ مثل ابن الراوَندي، والمَعرِّي.

□ وعن التنوخي قال: «كان ابن الراوندي ملازم الرافضة، وأهل الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم، ثم كاشف وناظر».

□ قال ابنُ الجوزي: «مَن تأمل حالَ ابنِ الراوندي، وَجَده من كبارِ الله قال ابنُ الجوزي: «مَن تأمل حالَ ابنِ الراوندي، وَجَده من كبارِ اللهجدة، وصَنَّف كتابًا سماه «الدامغ»، زعم أنه يَدمغُ به هذه الشريعة؛ فسبحان مَن دَمَغه، فأخذه وهو في شرخ الشباب!!».

وكان يعترضُ على القرآن، ويدَّعي عليه التناقضَ وعدمَ الفصاحة، وهو يعلمُ أن فُصحاءَ العرب تحيَّرت عند سماعِه، فكيف بالأَلْكَن؟!»(١).

□ قال ابنُ كثير: «أحدُ مشاهير الزندقة، كان أبوه يهوديًا، فأظهر الإسلام، ويقال: إنه حَرَّف التوراة، كما عادىٰ ابنه القرآن، وألحد فيه، وصَنَّف كتابًا في الردِّ على القرآن سماه «الدامغ»، وكتابًا في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه «الزمردة»، وكتابًا يقال له «التاج» في معنى ذلك.

□ قال الجُبَّائي: قرأتُ كتابَ هذا اللّحدِ الجاهلِ السفيهِ ابنِ الراوندي، فلم أُجِدْ فيه إلاَّ السَّفةَ والكذب والافتراء، قال: وقد وضع كتابًا في قدم العالم، ونَفي الصانع، وتصحيح مذهب الدهرية، والردِّ على أهل التوحيد، ووضع كتابًا في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عَشرَ موضعًا، ونَسَبه إلى الكذب يعني النبي ﷺ ، وطعَن على القرآن، ووضع

⁽١) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١١١ ـ ١١١) ـ مطبعه الجزيرة ـ دار السلام ـ مصر .

كتابًا لليهود والنصارى، وفَضَّل دينَهم على المسلمين والإسلام، يَحتجُّ لهم فيها على إبطال نبوَّة محمد عَلَيْكِيُّ، إلى غير ذلك من الكُتب التي تبيِّنُ خروجَه عن الإسلام. . نَقَلَ ذلك ابنُ الجوزي عنه .

الوقد أورد ابن الجوزي في «منتظّمه» طَرَفًا من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشريعة، ورد عليه في ذلك، وهو أقل وأخس وأذل من أن يُلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفَهه وتموهم، وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر؛ منها ما هو صحيح عنه، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله، وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة، يُخرجونها في قوالبَ مسخرة، وقلوبُهم مشحونة بالكفر والزندقة، وهذا كثيرٌ موجودٌ فيمن يَدَّعي الإسلام، وهو منافق، بالكفر والزندقة، وهذا كثيرٌ موجودٌ فيمن يَدَّعي الإسلام، وهو منافق، يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه، وهؤلاء ممن قال اللَّه تعالى فيهم: شوكن سألتهم ليقُولُنَ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وآياته وَرَسُوله كُنتُمْ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُنَ إِنَّما كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّه وآياته وَرَسُوله كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَنَ التَوبَة : ١٦٠ ـ ٢٦].

وقد كان أبو عيسى الوراق مصاحبًا لابن الراوندي ـ قبَّحهما الله ـ، فلما عَلِم الناسُ بأمرهما طَلَب السلطانُ أبا عيسى، فَأُودعَ السجن حتى مات . . وأما ابنُ الراوندي؛ فلجأ إلى «ابن لاوي» اليهودي، وصنَّف له في مُدة مُقامِه عنده كتابه الذي سمَّاه «الدامغ»، فلم يلبث بعده إلاَّ أيامًا يسيرة حتى مات ـ لعنه اللَّه ـ، ويقال: إنه أُخذَ وصُلبَ.

□ قال أبو الوفاء بن عقيل: «ورأيتُ في كتابٍ مُحقَّقٍ أنه عاش ستًا وثلاثين سنةً، مع ما انتهى إليه من التوغُّل في المخازِي في هذا العمر

القصير - لعنه اللَّه -، وقبَّحه ، ولا رَحِم عظامه »(١) .

□ قال الذهبي عنه: «الملحد، عدوُّ الدِّين، الرِّويندي، صاحبُ التصانيف في الحطِّ على المِلَّة».

□ قال ابنُ الجوزي: «كنتُ أسمعُ عنه بالعظائم، حتى رأيتُ له ما لم يَخطُرُ على قلب، ورأيتُ له كتاب «نعت الحكمة»، وكتاب «قضيب الذهب»، وكتاب «الزمردة»، وكتاب «الدامغ»، الذي نَقَضَه عليه الجُبَّائي، ونَقَض عبدُ الرحمن بنُ محمد الخَيَّاطُ عليه كتاب «الزمردة».

□ قال ابن عقيل: «عَجَبي! كيف لم يُقتل؟ وقد صَنف «الدامغ» يدمغُ
 به القرآن، و «الزمردة» يُزري فيه على النبوات؟!».

□ قال ابنُ الجوزي عن «الزمردة»: «فيه هَذَيانٌ بارد، لا يتعلَّقُ بشبهة، يقول فيه: «إن كلام أكثم بنِ صيفي فيه ما هو أحسنُ من سورة الكوثر، وإن الأنبياء وقعوا بطلاسم».

وألَّف لليهود والنصاري يحتجُّ لهم في إبطالِ نبوَّة سيِّد البشر».

□ قال أبو العباس بنُ القاصِّ الفقيه: «كان ابنُ الراوندي لا يستقرُّ علىٰ مذهبٍ ولا نحْلة، حتى صَنَّف لليهود كتابَ النصرة على المسلمين لدراهم أعطيها من يهود، فلما أخذ المال، رام نقضها، فأعطوه مئتي درهم حتى سكت».

قال في بعض المعجزات: «يقول المُنجِّمُ كهذا».

وقال: «في القرآن لَحن».

⁽١) «البداية والنهاية» (١١/ ١٢٠_ ١٢١).

وقال: «يقولون: «لا يأتي أحدٌ بمثل القرآن»، فهذا إقليدس لا يأتي أحدٌ بمثله، وكذلك بطليموس».

قيل: إنه اختلف إلى المُبرِّد، فقال المُبرِّد: لو اختلف إليَّ سنةً لاحتجتُ أن أقوم وأُجلسَه مكانى.

لعن اللَّه الذكاء بلا إيمان، ورَضي اللَّه عن البلادة مع التقويٰ ١٠٠٠ .

فكان جزاء الزنديق من جنسِ عمله، ودَمَغه اللَّه ولم يُمهِلْه بعدما اللَّف «الدامغ» جزاء وفاقًا.

□ قال ابنُ كثير بعد ذِكْرِهِ شيئًا مِن مَزَاعِمِ ابنِ الرَّاوَنْدِيِّ وافتراءاتِهِ وَتُرَّهاتِهِ: «إلى غيرِ ذلكَ مِن الكُتُبِ التي تُبَيِّنُ خُروجَهُ عن الإسلام».

الله وهُو أَقلُ وأَخَسُ وأَذَلُ مِن أَنْ يُلْتَفَتَ إليه وإلى جَهْلِهِ وكلامِه وهَذَيانِه وسَفَهِه وتَمْويهه».

وكانت نهاية هذا المُلحدِ الزِّنْديقِ أَنْ أَخَذَهُ أُولُو الأمرِ وصَلَبُوهُ؛ كما نَقَلُه ابنُ كَثيرِ (١١/ ١١٣).

* وصدق اللَّه تعالى القائل في أمثال ابن الراوندي: ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمًّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مَّمًّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩].

* وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ ﴾ [غافر: ٢٥].

* أبو العلاء المُعرّي المشهور بالزُّندقة:

أحمدُ بنُ عبدِ اللَّه بنِ سُليمانَ، أبو العلاء المُعَرِّي التَّنُوخيُّ الشاعر،

⁽۱) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٥٩ - ٢٢).

المشهور بالزندقة، اللُّغوي، صاحبُ الدواوين والمصنَّفات في الشعر واللغة(۱).

□ قال ابنُ الجوزي: «كم من زنديقٍ في قلبه حقدٌ على الإسلام، خَرَج فبالغ، واجتهد فزَخرف دعاوى يَلقَى بها مَن يَصحبُه، وكان غورُ قصده في الاعتقاد الانسلال من الدين، وفي العمل نَيلَ المَلذَّات، واستباحة المحظورات.

ومنهم مَن لم يَبرحُ على تعثيره، ففاتته الدنيا والآخرة؛ مثل ابن الراوَندي والمَعرِّي (١٠) .

وُلد المَعَرِّي سنةَ ثلاثٍ وستِّين وثلاثِمِئة، وكانت وفاتُه بـ «مَعَرَّة» عن ستٍّ وثمانينَ سنةً إلاَّ أربعةَ عَشَرَ يومًا.

□ قال ابنُ الجوزي: «وأما أبو العلاء المَعرِّي؛ فأشعارُه ظاهرةُ الإلحاد، وكان يُبالغُ في عَداوةِ الأنبياء، ولم يَزَلْ متخبِّطًا في تعثيرِه، خائفًا من القتل، إلى أن مات بخُسرانه (٣).

وكلُّ صاحبِ فِريةٍ ذليل؛ جَزاءً وفاقًا، أعثَرُ الناس، وأَخْسَوُهم قَدْرًا، وأردؤُهم عَيشًا.

◘ قال ابن كثير (١٠) : «قال الشِّعرَ وله إحدىٰ عشرةَ أو ثِنْتا عشرةَ سنةً ،

⁽۱) «البداية والنهاية» (۱۵/ ۷٤٥)، وانظر «تاريخ بغداد» (۶/ ۲٤٠)، و «سير أعلام النبلاء» (۱۸/ ۲۳)، و «المنتظم» (۱/ ۲۲)، و «وفيات الأعيان» (۱/ ۱۱۳).

⁽٢) «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١١١).

⁽٣) المصدر السابق (ص١١٢).

⁽٤) انظر ترجمته في «البداية والنهاية» (١٥/ ٧٤٥_ ٧٥٣).

ودخلَ بغدادَ سنةَ تسع وتسعين وثلاثِمئة، فأقام بها سنةً وسبعةَ أشهر، ثم خَرج منها طَريدًا مُنْهزمًا؛ لأنه قال شِعرًا يَدُلُّ على قِلةِ دينِه وعلمِه وعقلِه، وهو قولُه(١):

تَنَاقُصْ مَا لنا إلاَّ السُّكوتُ له وأنْ نَعوذَ بَوْلانا مِن النارِ السُّكوتُ له ما بالها قُطِعَت في ربُعِ دينارِ! يعدُّ بخمسِ مِثِينٍ عَسْجَدٍ فُدِيَتْ ما بالها قُطِعَت في ربُعِ دينارِ!

يقولُ: اليدُ دِيَّتُها حَمْسُمِئة دينارٍ، فما لكم تَقْطَعونها إذا سرَقَت ربع دينارٍ؟! وهذا مِن قَلَّة عقله وعلمه، وعَمَىٰ بَصيرته؛ وذلك أنها إذا جُنِي عليها يُناسِبُ أن يكونَ ديَّتُها كثيرةً؛ لينْزَجِرَ الناسُ عن العُدُون، وأما إذا جنت بالسرقة فيُناسِبُ أن تَقِلَّ قيمتُها؛ ليُنْزَجَرَ عن أخذ الأموال، وتُصانَ أموالُ الناس، ولهذا قال بعضُهم (۱): «كانت ثمينةً لَمَّا كانت أمينةً، فلما خانَت هانَت».

ولَمَّا عَزَم الفُقهاءُ على أخْذِه بهذا الكلام، هُرب ورجَع إلى بلدِه، ولَزِمَ منزلَه، فكان لا يَخرُجُ منه».

□ ويقول ابن كثير: «كان ذكيًّا، ولَم يكن زكيًّا، وله مصنفاتٌ كثيرةٌ أكثرُها في الشعر، وفي بعضِ أشعارِه ما يَدُلُّ على زندقة وانحلال، ومن الناس من يَعتذرُ عنه، ويقول: «إنه إنما كان يقول ذلك مُجونًا ولَعبًا، ويقول بلسانِه ما ليس في قلبِه، وقد كان باطنُه مُسلمًا».

⁽١) «البيتان في اللزوميات» (١/ ٣٨٦).

⁽٢) هو القاضي عبدالوهاب المالكي . . انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٣).

الله قال ابنُ عَقيل (1): «وما الذي كان يُلجِؤُه أن يقول في دارِ الإسلام ما يُكفِّرُه به الناسُ؟ قال: والمنافقون مع قلَّة عقلِهم وعلمهم ودينهم أجُودُ سياسةً منه، حافظوا على قَبائحهم في الدنيا، وهذا أظهر الكفر الذي تسلَّط به عليه الناسُ، واللَّهُ تعالى أعلمُ أن باطِنَه كظاهرِه».

□ قال ابنُ الجوزي(٢): «وقد رأَيْتُ لأبي العَلاءِ المَعرِّي كتابًا سمَّاه «الفُصول والغَاياتِ في مُعارَضة السُّورِ والآياتِ» على حُروف المُعْجَمِ في آخرِ كلماتِه، وهو في نهاية الرُّكاكة والبُرودة، فسبحانَ مَن أَعْمَىٰ بصره وبَصيرتَه».

🗖 قال: «وقد نَظَرْتُ في كتابِه الْمُسَمَّىٰ «لُزومَ ما لا يَلْزَمُ»..».

ثم أوْرَد ابنُ الجوزيِّ مِن أشعارِه الدالةِ على اسْتِهْتارِه أشياءَ كثيرةً، فمِن ذلك قولُه (٣):

إذا كان لا يَحْظَى برزقك عاقـلٌ وتَرْزُقُ مَجنوناً وتَرْزُقُ أَحْمقًا فلا ذنبَ يا ربَّ السَماءِ على امرِئ رأى منك ما لا يَشْتَهِي فتزَنْدَقَا و قولُه (١):

وهيهات (١٠) البَرِيَّة في ضَلال وقد نظر (١) اللَّبيبُ لِمَا اعْتَراها تقَدَّم صاحبُ التَّوراة موسى وأوْقع في الخَسارِ مَن افْتَراها

⁽۱) «المنتظم» لابن الجوزي (۱٦/ ٢٣)، وابن عقيل هو أبو الوفاء علي بن عقيل شيخ الحناملة.

⁽٢) «المنتظم» (١٦/ ٢٤).

⁽٣) المصدر السابق (١٦/ ٢٤، ٢٥).

⁽٤) في «اللزوميات» (٢/ ١٥، ١٦، ٤١٧).

⁽٥) في نسخة «ألا إن». (٦) في نسخة «فطن».

فقال رجالُه: وحْيُّ أتاه إذا رجَع الحليمُ إلى حجاً،

هَفَت الحَنيفةُ والنَّصارَى ما اهْتَدَتْ

فلا تَحْسَبْ مَقسالَ الرُّسْل حقًّا فكان الناسُ في عَيشش رَغيد

◘ ومن ذلك أيضًا قولُه(١):

إنَّ الشَّرائعَ أَلْقَت بينَنا إحَـنَّا(٧)

🖵 وقولُه(١) :

اثنانِ أهــلُ الأرضِ: ذو عقـلِ بلا

□ وقولُه'^(۲) :

وقلت^(۳) أنا في مُعارَضة هذا:

فلا تَحسَبْ مَقالَ الرُّسْلِ كَذْبًا(١) وكان الناسُ في جَهْــل عظيــــم

وقـــال النــاظـرون: بل افْتَـــراهــــا كووسُ الخمر تُشْرِب في ذُراها تهاوكن بالمذاهب وازْدراهما

ويهود حارَت والمجوس مُضَلَّلَهُ دينِ وآخرُ ديِّنٌ لا عقل له

ولكـــنْ قــــولُ زُور ســـطّـــروهُ فجاؤوا بالمُحالِ فكدرُّروهُ

ولكن قول حَقٌّ بلَّغوه فجاؤُوا بالبَيانِ فأذهبوه (°)

وأورر تتنا أفانين العسداوات

⁽۱) في «اللزوميات» (۲/۲۰۱).

⁽٢) في «المنتظم» (١٦/ ٢٥).

⁽٣) الكلام للإمام ابن الجوزي.

⁽٤) وفي نسخة: زورًا.

⁽٥) وفي نسخة: فأوضحوه.

⁽٦) في «اللزوميات» (١/ ١٨٦).

⁽٧) الإِحَن: جمع إحنة وهي الحقد.

وهل أُبِيح (١) نساءُ الرومِ عن عُرُضٍ □ وقولُه:

وما حَمْدي لآدم أو بَنيه ومن ذلك أيضًا قولُه (٣) : أفيقوا أفيقوا يا غُواة فإنا قضى اللَّهُ فينا بالذي هو كائن ومن ذلك أيضًا قولُه:

صرَّفُ الزمانِ مُفَرِّقُ الإلْفيْنِ أَنَّهُ الإلْفيْنِ أَنْهَيْتَ عن قتلِ النفوسِ تَعَمَّداً وزعَمْتَ أن لها مَعاداً ثانياً

□ ومن ذلك أيضًا قولُه (١): ضحكنا وكان الضّحْكُ منا سفاهةً تُحَطِّمُنا الأيامُ حتى كأننا(٥)

□ ومن ذلك أيضًا قولُه(١): أمور تَسْتَخِفُّ بها حُلومٌ كتابُ محمد وكتابُ موسى

للعُرْبِ إلاَّ بأحْكامِ النُّبُوَّاتِ

وأَشْهَدُ أَنَّ كلَّهِمُ خَسِيسٌ (١)

دياناتُكم مكرٌ مِن القُدَماءِ فتَمَّ وضاعتْ حِكمةُ الحكماءِ

فاحْكُم إلهي بينَ ذاك وبيني وبعَثْتَ أنت لقَبْضِها ملككَيْنِ؟! ما كان أغْناها عن الحاليْنِ؟!

وحُقَّ لسُكَّانِ البَسيطةِ أَن يَبْكُـوا زُجاجٌ ولكن لا يَعـودُ له سَبْكُ

وما يَدري الفتى لمن الشُّسورُ والزَّبُورُ وإنْجيلُ ابنِ مَرْيَسم والزَّبُورُ

⁽١) وفي نسخة: أُبيحت.

⁽۲) في «اللزوميات» (۲/ ۱۸).

⁽٣) في «اللزوميات» (١/ ٦٤).

⁽٤) في «اللزوميات» (٢/ ١٤٣).

⁽٥) في الديوان: يحطمنا ريب الزمان كأننا.

⁽٦) في «اللزوميات» (١/ ٣٢٤).

■ ومن ذلك أيضًا قولُه(١):

قالت مَعاشرُ: لم يَبْعـثْ إلهكُمُ وإنما جـعَلـوا الرحمـنَ مَأْكَلَـةً

إلى البريَّة عيساها ولا مُوسَا وصيَّروا دينَهم في الناسِ ناموساً

وذُكِر له أشياءً غير ذلك، وكلُّ قِطْعة مِن هذه تَدلُّ على كفرِه وانحلالِه وزندقتِه وضلالِه، ويقالُ: إنه أوْصَىٰ أن يُكُتَبَ علىٰ قبره:

يا مَن يَرَى مَدَّ البَعوضِ جَناحَها في ظُلْمةِ الليلِ البَهيمِ الألْيلِ لِ وَيَرَى مَناطَ عُروقِها في نحرِها والمُنتُ في تلك العظامِ النُّحَّلِ ويرَى مَناطَ عُروقِها في نحرِها ما كان منِّي في الرَمانِ الأوَّلِ المُننُ عليَّ بتوبةً تَمْحُو بها ما كان منِّي في الرَمانِ الأوَّلِ

وقد كانت وفاتُه في ربيع الأولِ من هذه السنة بَمَعَرة النَّعمان، عن ستٍّ وثمانين سنةً إلاَّ أربعة عشر يومًا، وقد رَثَاه جَماعة من أصحابِه وتَلامِدْتِه، وأُنْشِدَت عند قبرِه ثمانون مَرْثاة، حتى قال بعضُهم في مَرْثاتِه.

⁽۱) في «اللزوميات» (۲/ ۲۲، ۲۳).

⁽٢) «المنتظم» (١٥/ ٢٧).

مذهبه وطريقته.

وقد رأىٰ بعضُهم في المنام رجلاً ضَريرًا على عاتقيه حَيَّتانِ مُدَلَّيَتانِ إِلَىٰ صَدْرِهِ رَافِعتانِ رُؤوسَهما، وهما يَنْهَشان مِن لَحْمه، وهو يَسْتَغِيثُ، وقائلٌ يقولُ: هذا المَعَرِّيُّ المُلْحِدُ.

وقد ذكره ابنُ خَلِّكانَ في «الوفيات»، فرفَع في نَسَبِه كما ذكرْنا، وقد ذكر له من التصانيف كتبًا كثيرةً، وذكر أن بعضَهم وقَف على المجلد الأول بعدَ المئة من كتابه المُسَمَّى بـ «الأيْكِ والغُصونِ».

وهو المعروفُ بـ «الهَمْزِ والرَّدْف» وأنه أخَذ العربية عن أبيه، واشْتَعَلَ بحلَبَ على محمد بن عبداللَّه بن سعد النَّحْويِّ، وأخَذ عنه أبو القاسم عليُّ ابنُ المُحسِّنِ التَّنُوخيُّ، والخطيبُ أبو زكريا يَحْيَىٰ بنُ عليِّ التَّبريزيُّ، وذكر أنه مكَث خمسًا وأربعين سنة لا يَأْكُلُ اللحمَ على طريقة الحكماء، وأنه أوْصَىٰ أن يُكْتَبَ علىٰ قبره:

هـذا جَـناه أبــى عـلـي وما جَـنيْتُ عـلـى أحـد وما

قال ابنُ خَلَّكَانَ (۱) : «وهذا أيضًا مُتَعَلِّقٌ باعْتِقادِ الحُكماءِ، فإنهم يقولون: إيجادُ الولدِ وإخْراجُه إلىٰ هذا الوجودِ جِنايةٌ عليه، لأنه يتَعَرضُ للحَوادث والآفات».

قلتُ(۱): «وهذا يَدُلُّ على أنه لم يَتَغَيَّرُ عن اعْتِقادِ الحكماءِ إلى آخرِ وقت، وأنه لم يُقْلعُ عن ذلك كما ذكره بعضُهم، واللَّهُ أعلمُ بظُواهِرِ الأمورِ

⁽١) «وفيات الأعيان» لابن خلَّكان (١/ ١١٥).

⁽٢) الكلام للإمام ابن كثير.

وبُواطِنها .

وذكر ابن خلّكان (۱) أن عينه اليمنى كانت ناتئة، وعليها بياض، واليسرى غائرة، وكان نَحيفًا، ثم أوْرَد مِن أشعارِه الجيّدة أبياتًا، فمنها قولُه:

لا تَـطُـلُـبَنَّ بآلـة لك رُتبـة سكن السِّماكان(٢) السماء كلاهما

قَلَمُ البَليخِ بغيرِ جَدٍّ مغْزَلُ المَاليخِ بغيرِ جَدًّ مغْزَلُ اللهِ رُمْسحٌ وهذا أعْزلُ

□ يقول عنه الذهبي: أبو العلاء، شيخُ الآداب، اللُّغويُّ الشاعر،
 صاحبُ التصانيف السائرة، والمتَّهمُ في نحْلته.

ومِن أراد تواليفه: «رسالة الغفران» ـ في مجلد ـ، وقد احتَوَتْ على مَزْدَكة وفراغ . و «رسالة الملائكة»، و «رسالة الطير» على ذلك الأنموذج .

□ قال الباخرزي: أبو العلاء ضريرٌ ما له ضريب، ومكفوفٌ في قميص الفضل ملفوف، ومَحجوبٌ خَصْمُه الألدُّ مَحجوج، قد طال في ظلِّ الإسلام آناؤه، ورَشَحَ بالإلحاد إناؤه، وعندنا خَبَرُ بصره، واللَّهُ العالمُ ببصيرته، والمطَّلعُ على سريرته، وإنما تحدَّثت الألسُنُ بإساءته، بكتابه الذي عارض به القرآن، وعَنْونَه بـ«الفصول والغايات في معارضة السور والآيات».

وقال غرس النعمة محمدُ بنُ هلال بن المحسن: له شعرٌ كثير، وأدبٌ

⁽١) «وفيات الأعيان» لابن خلَّكان (١/ ١١٣).

⁽٢) السماكان: نجمان نيران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب وهو السماك الأعزل الوسيط (س مك).

غَزير، ويُرمَى بالإلحاد، وأشعارُه دالةٌ على ما يُزَنُّ به(١) .

ويُظْهِرُ الصومَ دائمًا، قال: ونحن نذكُرُ مما رُمي به، فمنه:

قَـرانُ الْمُشتَـرِي زُحَلاً يُرَجَّى تَقَضَّى النَّاسُ جيلاً بَعْدَ جيل تَقَـدَّمَ صَاحِبُ التَّوْرَاةِ مُوسَى وَمَا حَجِي إِلَى أَحْجَارِ بَيْت إِذَا رَجَعَ الْحكيمُ إلى حَجَاهُ

□ ومنه (۲):

قُلتُمْ لَنَا خَالِقٌ قَدِيمٌ زَعَمْتُمُ وهُ بِسَلاَ زَمَان هَدَا كَسلاَمٌ لَسهُ خَسبِيءٌ

🛭 و منه ^(۳) :

دينٌ وكُفْرُ وأَنْبَاءٌ تُقَالُ وَفُرْ في كُلِّ جِيلٍ أَبَاطِيلٌ يُدانُ بِهَا فأجنه:

نَعَمْ أَبُو الْقَاسِمِ الْهَادِي وأُمَّتُهُ

لإيقَاظ النَّواظر مَنْ كَراها وَخُلِّفَتَ النَّجاُومُ كَما تراها وَخُلِّفَتَ النُّجاُومُ كَما تراها وأوقع بالْخَسار من اقتراها كُوُوسُ الْخَمر تُشرَبُ في ذُراها تَهاونَ بالماذاهب وازْدراها

صَدَقتُ مُ هَكَذا نَـقُولُ ولا مَكَان أَلا فَـقُولُ مَكَان أَلا فَـقُـولُ مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَكُمْ عُـقُولُ مَعْنَاهُ لَيْسَتْ لَكُمْ عُـقُولُ

قَانٌ يُنَصِيُّ وتَوْرَاةٌ وإِنْجِيلُ فَهَلْ تَفَرَّدَ يَوْمَا بِالْهُدَى جِيلُ

فَ زَادَك اللَّهُ زُلاًّ يَا دُجَ يُجِيلُ

⁽١) ما يرمي به ويتهم.

⁽۲) «اللزوم» (۲/ ۲۷۰).

⁽٣) «اللزوم» (٢/ ٢٦٨)، وفيه: وأنباء تُقَصُّ بدل: تقال.

كَسْبُ الفَوَائد لاحُبُّ التِّلاوات

□ و منه (۱)

وإِنَّمَا حَمَّلَ التَّوْرَاةَ قَارِئَهَا وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ مَنْ عُرُض (٢)

بِيحَتْ نِسَاءُ الرَّومِ عَنْ عُرُضِ (٢) للعُسرْبِ إلاَّ بِأَحْكَامِ النَّبُواتِ اللهُ العَلاء:
اللهُ وعن التَّبريزي قال: لَمَّا قرأتُ على أبي العلاء:

تَنَاقُضٌ مَا لَنَا إِلاَّ السُّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُوذَ بِمَولاَنَا مِنَ النَّارِ يَنَا مِنَ النَّارِ يَدُّ بِخَمْسِ مِيءٍ " مِنْ عَسْجَدٍ وُدِيَتْ مَا بَالُهَا قُطِعَتْ في رُبُعِ دِينَارِ

سألته فقال: هذا كقول الفقهاء: «عبادةٌ لا يُعَقلُ معناها».

قال كاتبه: لو أراد ذلك، لقال: «تعبُّدٌ»، ولَمَا قال: «تناقضٌ»، ولَمَا أَدُو وَلَمَا أَدُو وَلَمَا أُردفه بيت آخَرَ يَعترضُ على ربِّه.

وبإسنادي: قال السِّلَفيُّ: إنْ كان قاله معتقدًا معناه، فالنارُ مأواه، وليس له في الإسلام نصيب، هذا ما يُحكى عنه في كتاب «الفصول والغايات»، فقيل له: «أين هذا من القرآن؟ فقال: لم تَصْقُلُهُ المحاريبُ أرْبَعَمِئة سنة».

□ قال الذهبيُّ: «ويَظهرُ لي من حالِ هذا المخذولِ أنَّه متَحيِّر، لم يَجزمُ بنحلةٍ.. اللَّهم فاحفظ علينا إيمانَنا».

قال الذهبي: «قد طال المقال، وما على الرجلِ أُنْسُ زُهَّادِ المؤمنين،
 واللَّهُ أعلم بما خُتم له. . ومن خبيث قوله (١٠) :

وَجَاءَ مُحَمَّدٌ بِصَلاَةٍ خَمْسِ

أَتَى عِيسَى فَبَطَّلَ شَـَرْعَ مُوسَى(٥)

⁽۱) «اللزوم» (۱/ ۲۲۸).

⁽٢) يضربون الناس عن عرض: لا يبالون من ضربوا.

⁽٣) ميء بميم مكسورة وهمز منونة: من جمع المئة وفي «اللزوم» (١/ ٥٤٤) بخمس مئين.

⁽٤) «اللزوم» (٢/ ٥٥ ـ ٥٦).

⁽٥) في «اللزوم»: دعا موسى فزال وقام عيسى.

فَضَلَّ النَّاسُ بَينَّ غَد وأَمْسِ (١) فَمَا تُخْليكَ منْ قَمَـر وَشَمْـس وإنْ قُلْتُ الْيَقِينَ أَطَلْتُ هَمْسى(١)

وَقَالُوا لاَ نَبِيٌّ بَعْدَ هَذَا ومَهْمًا عشت من دُنيَاكَ هَــدى إِذَا قُلْتُ الْمُحَالَ رَفَعْتُ صَوْتي

◘ قال طه حسين في «تجديد ذكرئ أبي العلاء»: «أبو العلاء كان مُنكِرًا للنبوَّات، جاحدًا لصحَّتها، وقد نَصَّ علىٰ ذلك في «اللزوميات» صراحةً غيرَ مَّرة، فَطوْرًا يُثبتُ أنها «زُور»، وطورًا يجعلها «مصدر الشرور»، وافتَنَّ في ذلك افتنانًا عجيبًا، فلم يكتف بإنكار النبوَّات، حتى أنكر الديانات عامةً. ◘ ويقول في التعريض بالإسلام خاصَّةً:

وَقَالُوا صَدَقْنَا فَقُلْنَا نَعَمَ تَلَوْا بَاطِلاً وَجَلَوْا صَارِمًا

🛚 ويقول في التعريض بالنبي ﷺ:

وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّ الشُّهْبَ يَوْمًا لَبَعْث مُحَمَّد جُعلَت رُجُوما

ويقول في ذلك معرِّضًا بقصَّة «خيبر»:

ومحمــدٌ وهو المُنبَّـأُ يَشتكي لمكان أَكْلَته انقطاعَ الأَبْهُرِ

□ ويقول:

وَإِذَا مَا سَأَلْتَ أَصْحَابَ دين لا يَدينُونَ بالْعُقُول ولَكن الله عَلَي الله عَلَيْ الله عَلَيْكُونُ الله عَلَيْ عَلَيْ الله عَلَيْ عَلَّ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَّ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ عَلَيْ 🛭 ويقول:

بَنْت النَّصَارَى للْمسيح كَنَائسًا

غَيَّرُوا بالْقياس مَا رَتَّبُوهُ بِأَبَاطِيــلِ زُخْرُف كَذَّبُــوهُ

كَادَتْ تَعِيبُ الْفعْلَ مِنْ مُنْتَابِهَا

(١) في «اللزوم»:

وَقِيلَ يَجِيءُ دِينٌ غَيْرُ هذا

وَأُوْدَىٰ النَّاسُ بَيْنَ غَدِ وَأَمْسِ

⁽٢) وإن قلت الصحيح . . . «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٢٣ ـ ٣٩).

وَمَتَى ذَكَرْتَ مُحَمَّدًا وَكتَابَهُ

□ وانظر إلى السخرية في قوله:
 أَفَمِلَّةَ الإسْلاَمِ يُنْكِرُ مُنْكِرْ
 □ ويقول:

غَداً أَهْلِلُ الشَّرَائِعِ في اخْتلاَف فَقَدْ كَذَبَتْ عَلَى عِيسَى النَّصَارَى

□ وانظر إلى تعريضه بالإسلام:
 وَلَمْ تَسْتَحُدث الأَيَّـامُ خَلْقًا

وَلاَ حَالَت مِنَ الزَّمَـنِ الْعُهُـودُ

جَـاءَتْ يَهُــودُ بِجَحْدها وَكتَابها

وَقَضَاءُ رَبِّك صَاغَهَا وَأَتَى بِهَا

تُقَـضُّ به الْمَضَاجعُ وَالْمُهُـودُ

كَمَا كَذَبَّتُ عَلَى مُوسَى الْيَهُــودُ

ومثلُ هذا كثيرٌ في «اللزوميات»، لم نَشَأْ أَن نُسرِفَ في روايتِه اتقاءَ الإطالة، وخشيةَ الإملال، وهو يدلُّ علىٰ أَن رُوحَ الرجل لم يكن رُوحَ مؤمنٍ بالنبوَّات، ولا مُصدِّقٍ للأنبياء»(١).

◘ وقال أيضاً: «وقال في إنكار ما في القرآن من تقسيم فرائض ليراث:

حَيْسرَانُ أَنْتَ فَأَيَّ النَّاسِ تَتَبِسعُ تَجْرِي الْحُظُوظُ وَكُلُّ جَاهِلٌ طَبِعُ وَالْأُمُّ بِالسُّدْسِ عَادَتْ وَهِيَ أَرْأَفُ مِن بِنْتِ لَهَا النِّصْفُ أَوْ عِرْسِ لَهَا الرَّبُعُ

وقد أجمع المؤرِّخون على أنَّ أبا العلاء، عارَضَ القرآنَ بكتابِ سماه: «الفصول والغايات في محاكاة السور والآيات»، وأبو العلاء نفسه لم يُنكِرْ هذا الكتاب، بل أثبته في ثَبَت كُتبه، الذي رواه القفطيُّ والذهبي، والناسُ يُكفِّرون أبا العلاء بهذا الكتاب، وبما في «رسالة الغفران» من سخرية، وبما

⁽١) "تجديد ذكرى أبي العلاء" لـ (طه حسين) طبع دار المعارف (ص٢٦٩ ـ ٢٧١).

في «اللزوميات» من إنكار النبوات»(١)

* أمًّا مَوْقِفُهُ مِنَ الْبَعْثِ:

□ فيقول طه حسين: «اضطرب رأي أبي العلاء في البَعْثِ اضطرابًا شديدًا، فمرةً أثبَتَه، فقال:

قال الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِبُ كِلاَهُما لا تُحْشَرُ الأَجْسَامُ قُلْتُ إِلَيْكُمَا أَن رَأَيْكُمَا وَلَيْخَسَارُ عَلَيْكُمًا إِلَيْكُمًا إِلَيْكُمَا اللَّهُ اللَّالَّةُ اللَّهُ اللَّ

وتَارةً يُنكِرُه نصًا، بل نفاه أكثَرَ من ستِّينَ مرةً في «اللزوميات» ومِن أشنع قوله في ذلك:

وزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَادًا ثَانِيًا مَا كَانَ أَغْنَاهَا عَنِ الْحَالَيْنِ وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهَا مَعَادًا ثَانِيًا وَوَلَى الْحَالَيْنِ وَتَارَةً يقفُ في أمر البعث موقف الشك فيقول:

يا مَرْحَبًا بِالْمَوْتِ مِن مُتَنظَّرٍ إِنْ كَانَ ثَمَّ تَعَارُفٌ وتَلاَقِ (")

* الْجِنُّ والْمَلَائِكَةُ:

قال طه حسين: «أبو العلاء أنكر الجِنَّ والملائكة في «اللزوميات» نصًّا، فقال:

قد عِشْتُ عُمْرًا طَوِيلاً ما عَلِمْتُ بِهِ حِسًّا يُحَسُّ لِجِنِّيٍّ ولاَ مَلكِ وقال:

فاحْشَ الْمَلِيكَ ولا تُوجَد على رَهَب إِن أَنْتَ بِالْجِنِّ في الظَّلْمَاءِ خُشِّيتًا

⁽١) «تجديد ذكرئ أبي العلاء» (ص٢٧٢ ـ ٢٧٣).

⁽٢) «تجديد ذكرى أبي العلاء» (ص٢٧٤ ـ ٢٧٦).

⁽٣) المصدر السابق (٢٦٩).

فَإِنَّما تِلْكَ أَخْبَارٌ مُلَفَّ قَةٌ لِخِدْعة الْغَافلِ الْحَشُويِّ حُوشِيتًا و «رسالة الغفران» عملوءة بالسخرية المؤلمة من الجن والملائكة جميعًا، وقد نَظَم الشِّعرَ في «رسالة الغفران» على ألسِنَة الجن الذين دَخلوا الجنة، فقال: وإنما يُريدُ الهُزْءَ والسخرية:

مَكَّةُ أَقْوَتْ مِن بَنِي الدَّرْدبسْ فَمَا لِجِنِّي إللَّه عَسِيسٌ

* أصل الإنسان: «شكَّ في أصل الإنسان، فقال:

جَائِزٌ أَن يَكُونَ آدَمُ هَذَا قَبْلَهُ آدَمٌ عَلَى إِنْ رِ آدَمْ

ثم جزم بذلك، فقال:

وما آدمٌ في مَذْهَبِ الْعَقْلِ وَاحِدٌ وَلَكِنَّـهُ عِنْدَ الْقِيَاسِ أَوَادِمُ وَمَا آدَمٌ في وَعَنَّىٰ أبو العلاء لو أَنَّ الإِنسانَ لم يُوجَد؛ لأنه شريرٌ مُفسِدٌ في الأرض، فقال:

يا لَيْتَ آدَمَ كَانَ طَلَّقَ أُمَّهُمْ أُو كَانَ حَرَّمَ هَا عَلَيْهِ ظَهَارُ وَلَدَتْهُمُ فَي غَيْرِ طُهُرٍ عَارِكًا فَلِذَاكَ تُفْقَدُ فِيهِمُ الأَطْهَارُ وَلَدَتْهُمُ فِي غَيْرِ طُهُرٍ عَارِكًا فَلِذَاكَ تُفْقَدُ فِيهِمُ الأَطْهَارُ

وهو لا يُفرِّقُ في حُكم العقل بين ابنِ الحُرَّةُ وابنِ الزانية، فيقول:

وسِيَّانِ مَن أُمُّهُ حُرَّةٌ حَصَانٌ ومَن أُمُّهُ وَانِيه و و مَن أُمُّه وَ الْمَانِ و مَان أُمُّه و الله و مقول:

ما مَـيَّزُ الأَطْفَ ال في أَشْبَاحِهَا لِلْعَيْنِ حِـلُّ وِلاَدَة وَظِهَ ارُ وبالغ أبو العلاء في كُره الوجود حتى استَحسَنَ مِن وَأُدِّ البنات ما

ودَفْنٌ والْحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ لإحْداَهُنَّ إحْدَى الْمَكْرُمَات

واستَحسَنَ غيرَ مرة تحريقَ الهند موتاهم وأحبُّه، وفي ذلك يقول:

وَذَاكَ أَرْوَحُ من طُولِ التَّبَارِيحِ تَسْرِي إِلَيْهِ ولا خَفِيٍّ وتَطرِيحِ غبًّا وأَذْهَبُ للنَّكراء والرِّيح فَاعْجَبْ لِتَحْرِيقِ أَهْلِ الهِنْدِ مَيِّتَهُمْ إِنْ حَرَّقُوه فَمَا يَخْشَوْنَ مَنَ ضَبُعِ وِالنَّارُ أَطيب مِنْ كَافُورِ مَيِّتِنَا

وذَهَب المَعرِّي إلى تحريم أكل الحيوان وما يَخرجُ منه، فمن ذلك قوله:

لتَسْمَعَ أَنْبَاءَ الأُمُورِ الصَّحَائِحِ
ولا تَبْغِ قُوتًا من عَريضِ الذَّبَائِحِ
لأَطفَالهَا دُونَ الْغَوانِي الصَّرَائِحِ
بِمَا وَضَعَتْ فَالظُّلْمُ شرُّ الْقَبَائِحِ
كَواسِبَ من أَزهَارِ نَبْت فَواتِحِ
ولا جَمَعْتُهُ للنَّدَى والمَنائِحِ
أَبَهْتُ لِشَانِي قَبْلَ شَيْبِ المَسَائِحِ

غَدَوْتَ مَرِيضَ العَقْلِ والدِّينِ فَالْقَني فَلاَ تَأْكُلُنْ مَا أَخْرَجَ الْبَحْرُ ظَالِمًا وَلا بَبْضَ أُمَّات أَرَادَتْ صَرِيحَهُ ولا بَبْضَ أُمَّات أَرادَتْ صَرِيحَهُ ولا تَفْجَعَنَ الطَّيْرَ وهي غَوافِلُ وَدَعْ ضَرَبَ النَّحلِ الَّذي بَكَرَتُ لَهُ فَمَا أَحْرزَتُهُ كَيْ يَكُونَ لغَيْمِهَا فَمَا أَحْرزَتُهُ كَيْ يَكُونَ لغَيْمِهَا مَسَحْت يُدِي مِنْ كُلِّ هَذَا فَلَيْتَنِي مَسَحْت يُدي مِنْ كُلِّ هَذَا فَلَيْتَنِي

وجازاه اللَّهُ بنِحْلَتِه، وبما قال عن مِلَّتِه بحَبسِ الدنيا قبل الآخرة، فحَبَسَه في جَسَده، وهذا أشدُّ الحَبْس.

واللفظُ الذي اختاره لنفسه، وكان أن ينادَىٰ به «رهينَ المَحْبَسَينِ»، وإنما أراد بالمحسبين منزلَه الذي احتَجَب فيه، وبَصَرَه، على أنه ذكر لنفسه في «اللزوميات» سُجونًا ثلاثةً:

أحدها: منزله، والآخر: ذَهابُ بصره، والثالث: جِسمُه الماديُّ الذي احتَبَست فيه نَفْسُه أيامَ الحياة، وذلك حيث يقول:

أُرَانِي في الثَّلاَثَةِ من سُجُونِي فَلاَ تَسْأَلُ عن الْخَبَرِ النَّبِيثِ

لفَقْدي نَاظري ولُزُومُ بَيْتي وكَوْنُ النَّفْس في الْجسم الْخَبيث

فهذه صورةُ الأديبِ الفليسوف الذي خُدع الناسُ به طويلاً، والذي أنكر النبُّوات، وعُرَّض بالتكليف، وعارض القرآن، وهَزَء بشيءٍ من أحكامه(١)

سَيسُ أَلُ قَوْمٌ مَا الْحَجيجُ ومَكَّةٌ

هذا الذي رأى التَّقيَّة:

لا تُخبررَنَّ بكُنْه دينكَ مَعْشَرًا

شُطُرًا وإنْ تَفْعَلُ فَأَنْـتَ مُغَــرَّرُ

كما قال قَوْمٌ ما جَديسٌ وما طسَمْ

فَاكْتُمْ حَديثَكَ لا يَشْعُرْ به أَحَدٌ منْ رَهْط جبْريلَ أو منْ رَهْط إبْليس

لقد حُبس في جسده ذليلاً في دار الدنيا، واللَّهُ الموعد، ويكفيك أنه رأىٰ أنَّ منَ الظُّلم أن يُضافَ إلى التصعيد والعُلو، وإنما العَدلُ أن يُضافَ إلى السقوط والهبوط، وبها نَطَقَ جزاءً وفاقًا، فقال:

ولَكَ نَّ الصَّحيح أَبَا الــُلُّــزُول دُعيتُ أَبَا الْـعَـلاَء وذَاكَ مَـيْنٌ * في «أباطيل وأسمار» يُفنَّدُ الشيخ محمود محمد شاكر خَبَرَ لقاء المَعَرّيّ بالراهب:

يَذُهبُ الشيخ محمود شاكر إلى أنَّ خَبَرَ لقاء المَعَرِّيِّ بالراهب الذي أفسَدَ عليه دينَه خَبَرٌ باطل، واستعان على ذلك بقول ثلاثة من المعاصرين لأبي العلاء، وهم «الثعالبي» مُسنِدًا ذلك إلى أبي الحسن الدُّلفيِّ المِصِّيصِي

⁽١) انظر «تجديد ذكري أبي العلاء» لـ «طه حسين» ـ دار المعارف ـ .

الشاعر، و «الخطيب البغدادي»، والمعاصر الثالث وهو «الباخرُزيُّ» (١٦٥هـ): القائل عن المعري: «وقد طال في ظلال الإسلام أناؤه، ولكن ربَّما رَشَحَ بالإلحاد إناؤه»

ويَذهبُ الشيخ محمود شاكر إلى أنه «إلى أن كانت سنة ٣٩٨ من الهجرة على الأقلّ، لم يكن دينُ أبي العلاء موضع تُهمة، ولا كانت مقالةُ السُّوء قد سارت عنه في الناس، وهو يومئذ في الخامسة والعشرين شابًا ملء شبابه رُجولته، وفي أوّل الطريقِ الأعظم إلى الشهرة التي سوف تتردّدُ في جنبات بلاد الإسلام.

□ قال الثعالبي في «تَتِمّة يتيمة الدهر» (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ): «كان حَدّتني أبو الحسن الدُّلفي الصيّصي الشاعر «والمصيّصة التي ينسب إليها ببلاد الشام»، وهو ممّن لقيتُه قديمًا وحديثًا في مدة ثلاثين سنةً، قال: لقيتُ بالمَعرَّة عجبًا من العجب! رأيتُ أعمى شاعرًا، ظريفًا، يُكنى «أبا العلاء»، يَلعبُ بالشّطْرنج والنّرْد، ويدخُلُ في كُلِّ فن من الجدِّ والهَزْل، وسمعتُه يقول: أنا أحمدُ اللّه على العمى، كما يحمده غيري على البصر، فقد صنع لي وأحسن بي إذْ كفاني رؤية الثقلاء البُغضاء.. قال: وحضرتُه يومًا وهو يُملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء، ثم ذكر ثلاثة أبيات أملاها الشاعرُ الأعمى، ولم يَزِدْ على ذلك شيئًا، وهو خِلْو «أي خال خُلُوًا تامًا» من كلّ إشارة إلى اتهام الرجُل في دينه (۱).

وتحايلُ خبرِ الثعالبيِّ المعاصر الأوَّل له مسنَّدًا إلى أبي الحسن الذي رآه

⁽١) «أباطيل وأسمار» (١/ ٤٥) للشيخ محمود محمد شاكر ـ مكتبة الخانجي.

بعينيه في «مَعَرَّة النعمان» مرارًا، قد دلَّ دلالةً قاطعةً على أن هذه القالَة لم تكن إلاَّ بعدَ عودتِه من العراق، واعتزاله، وتأليفه ما كُثُرت عليه فيه المآخذ، كلزوم ما لا يكزم، و «استغفر واستغفري» بعد (سنة ٤٠٠ من الهجرة)(١).

والعلم عند اللَّه تعالى، وقد أفضى الرجل إلى ما قدَّم.

* ابنُ المُقفّع . . المشهورُ بالزندقة :

أَعلىٰ من شأنِه طه حُسين وأحمد أمين وبطرس البستاني، ويُقرِّرُ طه حسين كتاب «كليلة ودمنة» مع ما فيه من سموم على طُلاَّبِ المدارس الثانوية.

□ قال الخليفة «المهديُّ» عن ابن المقفَّع: «ما وجدتُ كتابَ زندقةٍ قطُّ إلاَّ وأصلُه ابنُ المقفَّع».

ووصف دُعاةُ التغريب ابنَ المقفَّعِ بأنه من أعلام الفكر الحُرِّ، وأنه مُصلح الجتماعيُّ (!!). وهم يَعلمون أنه أكبرُ طاعنٍ على الإسلام، قدَّم أولَ ما قَدَّم ـ للقضاء على نظام الإسلام الاجتماعي ـ «كتاب مَزْدك»، ثم كتاب «بروزيه»، ليُثبِت تناقض الأديان ـ وبخاصة الإسلام ..

وكشف إبراهيم أبو القاسم في كتابه «الردُّ على اللعين عبداللَّهِ بن المقفَّع» أنه كان يُعارض القرآن.

ويكفي لزندقته «باب بروزيه» الذي أضافه أضافه إلى كتاب «كليلة ودمنة» قاصدًا به تشكيك الناس في دينهم.

⁽١) «أباطيل وأسمار» (١/ ٤٧) للشيخ محمود محمد شاكر ـ مكتبة الخانجي ـ القاهرة .

ثم اتصالاتُه بخلفاء الشعوبيِّين والمُجَّانِ المَّهمين بالزندقة من أمثالِ «إقبال البقلي» الذي أنكر البعث والقيامة، و«عَمَّارِ بن حمزة»، و«أبانَ اللاحقي»، و«سهل بن هارون»، و«حمَّاد عجرد». . ولقد ارتبط اسمُ ابن المقفَّع بالزندقة عند ابن خلِّكان والبَيروني والصَّفَدي(۱) .

* أبو بكر الرَّازي الزنديق:

نَبَش المستشرق «باول كراوس» في كتابات «أبي بكر الرازي» وهي تفوقُ الحَصْر في الطبِّ والعلوم حتى عَثْر فيها على أقوال فيها زندقة، فنشرها سنة ٩٣٩م في القاهرة تحت عنوان «رسائل فلسفية» تحدَّث فيها عن كتابين من الميراث الإلحادي للرازي هما «مخاريق الأنبياء» و«نقض الأديان».

□ يقول أبو بكر الرازي مشكّكًا في الدين: «من أين أوجَبْتُم أنَّ اللَّهَ اختَصَّ قومًا دون قوم، وفَضَّلهم على الناس، وجَعَلهم أدلَّةً لهم، وأحوجَ الناس إليهم؟ ومن أين أجَزْتُم في حكمة الحكيم أن يختار لهم ذلك ويُعلي بعضهم على بعض، ويؤكِّدُ بينهم العداوات، ويُكثِرُ المحاربات، ويُهلِكُ بذلك الناس؟!».

□ ويقول أبو بكر الرازي أيضًا: «إنكم تَدَّعون أنَّ المعجزةَ قائمةٌ موجودة وهي القرآن، وتقولون: من أنكر ذلك فليأت بمِثله».

□ ثم قال: "إن أردتُم "مِثلِه" في الوجوه التي يتفاضلُ بها الكلام،
 فعلينا أن نأتيكم بألف مِثلِه من كلام البُلغاء والفُصَحاءِ والشعراء، وما هو

⁽١) «مقدمات العلوم والمناهج» للأستاذ أنور الجندي (١/١٥).

أطلقُ منه ألفاظًا، وأشدُّ اختصارًا في المعاني، وأبلغُ أداءً وعبارةً، وأشكَلُ سَجعًا؛ فإن لم تَرضَوا بذلك، فإنا نُطالبُكم بمِثلِ الذي تطالبونا به».

□ ويقول: "وأيمُ اللَّه، وأقسِمُ باللَّه لو وَجَبَ أن يكونَ كتابٌ حجةً لكانت كُتُبُ أصول الهندسة والمجسطي "كتاب الفلك تأليف بطليموس" الذي يؤدِّي إلى معرفة حركات الفلك والكواكب، وكُتبُ المنطق، وكتبُ الطبِّ التي فيها علومُ مصلحة الأبدان: أولى بالحُجَّة مَّا لا يُفيدُ نَفعًا ولا ضَرًّا، ولا يكشِفُ مَستورًا». . "يعني القرآن الكريم».

□ ويقول أيضًا: «مَن ذَا يَعجزُ عن تأليف الخرافات بلا بيان ولا برهان الأ دعاوَىٰ أن ذلك حُجَّةٌ؟! وهذا بابٌ إذا دعا إليه الخصرُ سلَّمناه وتركناه وما قد حَلَّ به من سكرة الغَفلة والهوىٰ، مع أننا نأتيه بأفضل منه من الشَّعر الجيِّد، والخُطَب البليغة، والرسائل البديعة عمَّا هو أفصحُ وأطلقُ وأسجعُ منه، وهذه معاني تفاضل الكلام في ذاته، فأما تفاضلُ الكلام على الكتاب، فلأمور كثيرة، فيها منافع كثيرة وليس في القرآن شيءٌ من ذلك الفضل، إنما هو في باب الكلام والقرآن خلوٌ من هذه التي ذكرناها».

لولا أن ناقلَ الكفرِ ليس بكافر، ولولا أن كَشفَ ما يفعلُه المستشرقون يستلزمُ تقديمَ نماذجَ عمَّا يقولون وما يستندون إليه من كتابات الزنادقة المسلمين، لَمَا وجدتُ في نفسي الجُرأة على كتابة مثل هذا الكلام السفيه، وتعالى اللَّه عما يصفون.

* قسطا بن لوقا:

ولكنْ مُسيلِمةُ الكذابُ وابنُ المقفّع والرازي لم يكونوا وحدَهم،

ولكن هناك غيرُهم مثل «قسطا بن لوقا» (٨٢٠-٩١٢).

الأطباء»: «قسطا بن لوقا البَعْلُبكِّيُّ، قال سليمانُ بنُ حسانَ: إنه طبيبٌ الأطباء»: «قسطا بن لوقا البَعْلُبكِّيُّ، قال سليمانُ بنُ حسانَ: إنه طبيبٌ حاذقٌ نبيلٌ، فيلسوفٌ، مُنجِّمٌ عالِمٌ بالهندسة والحساب، وكان في أيام «المقتدر باللَّه». ونَقَل كُتبًا كثيرةً من كُتب اليونانين إلى اللغة العربية، وكان جيِّد النقل، فصيحًا باللسان اليوناني والسرياني والعربي، وأصلح نقولاً كثيرة، وأصلُه يونانيٌّ، وله رسائلُ كثيرةٌ في صناعة الطب وغيرها، وكان حَسنَ العبارة جيِّد القريحة. وكتب أبو عيسى «يحيى بن المنجِّم» إلى قسطا بن لوقا وحنين بن إسحاق رسالةً في إثبات نبوّة محمد ﷺ، فكيف كان رَدُّ قسطا بن لوقا على هذه الرسالة؟ لقد سعى إلى التشكيك في أسسِ الإسلام متهكمًا على نظرية إعجاز القرآن، مهاجمًا لغة الوحي، طاعنًا في صححة الإسلام».

الى أن يقول: «ولم أرَ الأمرَ في كتابك ـ القرآن ـ جاريًا على هذا المجرى، فإنك لا تَرجعُ فيه إلى صَنعة من الصناعات، فيقول من حفظه وفهمه أقصى فهم: إنَّ أخبارَه جَعَلته في تلك الصناعة رئيسًا، فإنك إنْ

ذَكَرت الإعراب كان الذي يُفادُ عن الأعراب من كتاب سيبويه وغيره من كتب العرب أكثر من الذي يُفاد منه «أي: من القرآن»، وإن ذكرت الفقه كان الذي يُفادُ من كتب أبي حنيفة وابن عُليّة وغيرهما من الفقهاء أكثر من الذي يُفادُ منه «القرآن»، وإن ذكرت الشّعر والخُطَب كان الذي يُفادُ من علمهما من الكتب بهما أكثر من الذي يُفاد منه «القرآن»، وإن ذكرت الأخبار كان في التوراة والمُسنَد وغير ذلك من كتب الأخبار أكثرُ ممّا فيه «القرآن». ».

□ ويواصلُ طَعْنَه في القرآن، فيقول قسطا بن لوقا: "علىٰ أني رأيتُ قومًا يأتون بلفظ من هذا الكتاب "القرآن"، ويُقيمون لفظًا آخر بحذائه، ويقولون: لو حَصَلت هذه اللفظةُ لكان أحسنَ وأليقَ بالمعنى، من ذلك قولُهم: "لو كان مكان قوله "تعالى" ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾، يقول: "والنجم إذا علا" لكان ذلك أقرب إلى المعنى، لأن ذلك حَلفٌ، ولا يُحلفُ بالنجم في هُويّة، بل في أحسنِ حالاته، أعني علوه وارتفاعَه".

ومثل هذه الأقوالُ يَبحثُ عنها المستشرِقون ليستخدموها في تعميقِ الكراهيةِ والعِداءِ للإسلام في الغرب.

* إبراهيمُ الفَزَارِيُّ، الشاعرُ الزنديق، عدوُّ رسولِ اللَّه ﷺ، يتحوَّلُ عن القبلة عند الموت:

الله في القاضي عياض من كتاب «المُعْرِب عن أخبار المغرب» أنه في أيام أبي العبَّاسِ عبدِ اللَّه بنِ طالبِ التَّميميِّ - قاضي «القيرُوان» -، تمَّ إعدامُ إبراهيمَ الفَزاريُّ».

□ ثم قال: «وكان إبراهيمُ شاعرًا متفنّنًا في كثيرٍ من العلوم، مع استهزاءٍ

وطَيش، وكان يَحضُرُ مجلسَ ابنِ طالب لِمُناظرةِ الفقه، فقيل: إنه كان يُزرِي به، ويتضاحكُ بأمره، ونَمَتْ عنه أمورٌ منكرة، فانتهى ذلك إلى ابنِ طالب، فطلبه وحبسه، وشَهد عليه أكثرُ من مئتينِ بالاستهزاء باللَّه وبكتابِ اللَّه وأنبيائه وبنبيِّنا عَلَيْقُ . . قيل: وكانِ منهم ثلاثون عدلاً .

فجَلَس له ابن طالب، وأحضر العلماء يحيى بن عُمر وغيره -، وأُمَر بقَتله، فطُعن بسكِّينٍ في حَنجرته، وصُلِب مُنكَّسًا، ثم أُنزِل بعد ذلك، وأحرِق بالنَّار.

وحكى بعضُهم أنَّه لَمَّا رُفِعت خَشبتُه، وزالت عنه الأيدي استدارت وتحوَّلت عن القبلة، فكانت آيةً للجميع، فكبَّر الناس، وجاء كلبٌ فولَغ في دَمِه، فقال يحيى بنُ عمر: صَدَق رسولُ اللَّه ﷺ . . وأسند حَديثًا عنه ﷺ أنه قال: «لا يَلغُ الكلبُ في دَمِ المُسْلم» . . "(1) .

* * *

* الحَلاَّج، زنديقُ الصوفية، ورأسُ أهلِ الحلول والاتحاد:

هو الحُسينُ بنُ منصورِ بنِ مَحْمِيِّ الحَلاَّجُ أبو مُغيث، رأسُ أهلِ الحلول والاتحاد.

□ قال سفيانُ بن عيينة: «مَن فَسَد من علمائنا كان فيه شبَةٌ من اليهود،
 ومَن فَسَد من عُبَّادِنا كان فيه شبَهٌ من النصارئ».

ولهذا دَخَل على الحلاَّج الحُلول، فصار من أهل الانحراف.

⁽۱) «ترتیب المدارك» (٤/ ٣١٣).

□ صَحَ عنه أنه دَخَل إلى الهند، وتعلَّم بها السِّحر، وقال: «أدعو به إلى اللَّه».

□ وكان أهلُ الهند يكاتبونه «بالمغيث»، ويكاتبُه أهلُ سركسان بد «المُقيت»، وأهلُ فارس بد «أبي عبدالله بد «المُقيت»، وأهلُ خراسان بد «المميز»، وأهل فارس بد «أبي عبدالله الزاهد»، وأهل خُوزستان بد «حلاَّج الأسرار»، وكان بعضُ البغاددة يقولون له: «المصطلَم»، وأهل البصرة يقولون له: «المحيَّر».

🛭 ومن شعره:

سِرُّ سَنَا لاَهُوتِهِ الشَّاقِبِ في صُورَةِ الآكِلِّ وَالشَّارِبِ كَلَحْظَة الْحَاجِبِ بالْحَاجِب سُبْحَانَ مَنْ أَظْهَرَ نَاسُوتَهُ ثُمَّ بَدا فِي خَلْقِه ظَاهِرًا حَتَّى لَقَدْ عَابَنَه خَلْقُهُ

□ قال عمرُو بن عثمان المكي: «كنت أُماشي الحلاَّجَ في بعض أزقَّة مكة، وكنت أقرأُ القرآن، فسمع قراءتي، فقال: يمكنني أن أقولَ مثلَ هذا؛ ففارقته».

□ وقال القُشيري في «رسالته» في باب «حفظ قلوب المشايخ»: «إن عمرو بن عثمان دخل على الحلاَّج، وهو بمكة، وهو يكتبُ شيئًا في أوراق، فقال له: ما هذا؟ فقال: هو ذا أُعارِضُ القرآن».

وكتب عمرو بن عثمان إلى الآفاق كتبًا كثيرةً يلعنه فيها، ويُحذِّرُ الناسَ منه، فشرَد الحلاَّجُ في البلاد، فعاث يمينًا وشمالاً، وجَعَل يُظهرُ أنه يدعو إلى الله، ويستعينُ بأنواع من الحيل، ولم يَزَلُ ذلك دَأَبَه وشأنه حتى أحلَّ الله به بأسه الذي لا يُردُّ عن القوم المجرمين، فقتله بسيف الشرع الذي

لا يقع إلا بين كَتِفَيْ زنديق، واللَّهُ أعدلُ مِن أن يُسلِّطه على صِدِّيق، فكيف وقد تَهجَّم على القرآن العظيم، وقد أراد معارضتَه في البلد الحرام؛ حيث نزل به جبريل، وقد قال: ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيه بِإِلْحَاد بِظُلْم نُذقهُ مِنْ عَذَاب أليم ﴾ والحج: ٢٥]! ولا إلحاد أعظمُ من هذا.

وقد أشبه الحلاجُ كفارَ قريش في معاندتهم، كما قال تعالى عنهم: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾ (١) [الانفال: ٣١].

□ قال الذهبي: «كان يُصحِّحُ حالَه ابنُ عطاء، ومحمدُ بنُ خفيف، وإبراهيمُ أبو القاسم النصر آباذي، وتبرأ منه سائرُ الصوفية والمشايخ والعلماء؛ لسُوءِ سيرته ومُروقِه، ومنهم مَن نَسَبه إلى الحلول، ومنهم مَن نَسَبه إلى الزندقة، وإلى الشَّعبذة والزُّوكرة، وقد تستَّر به طائفةٌ من ذَوِي الضلال والانحلال، وانتحلوا وروَّجوا به على الجهال.

□ وقال له الجُنيد يومًا: «أيُّ خشبةٍ تفسدها؟ يريدُ أنه يصلب».

□ وقال عنه إبراهيمُ بن شيبان: «مَن أحبَّ أن ينظرَ إلى ثمراتِ الدعاوَىٰ الفاسدة، فلينظرُ إلى الحلاج، وما صار إليه».

□ وكان يقول: «ما انفصلت البشريةُ عنه، ولا اتَّصلت به».

لَمَّا أحضَره الوزيرُ عليُّ بنُ عيسى فلم يجده يُحسِنُ القرآنَ وَالفقهَ ولا الحديث، فقال: تعلُّمُك الفرضَ والطُّهور، أجدى عليك من رسائلَ لا

⁽١) ترجمة الحلاج كاملة مفصلة في «سير أعلام النبلاء» (٣١٣ /١٤ - ٣٥٥)، و «البداية والنهاية» (١٤ / ١٤١ ـ ١٥٤)، وهنا سأجمع بين الكتابين، وأنقل مقتطفات.

تدري ما تقول فيها، كم تكتبُ ـ ويلك ـ إلى الناس: «تباركُ ذو النور الشعشعاني»؟! ما أحوجَك إلى أدب! وأمر به فصُلب، ووُجد في كتبه: «إني مُغرِقُ قومٍ نوح، ومُهلِكُ عادٍ وثمود».

□ وكان يقول للواحد من أصحابه: «أنت نوح»، ولآخر: «أنت موسى»، ولآخر: «أنت محمد».

☐ قال ابنُ عقيل: «قد قُتل بإجماع فقهاء عصره، فأصابوا، وأخطأ هو وحدَه».

* صِفَةُ مَقْتَلِ الْحَلاَّجِ:

□ قال الخطيبُ البغدادي: «كان الحلاجُ قد قَدمَ آخِرَ قَدْمة إلى بغداد، فصَحِبَ الصوفية وانتسب إليهم، وكان الوزيرُ إذ ذاك «حامد بن العباس»، فبلَغه أن الحلاج قد أضلَّ خلقًا مِن الحَشَم والحُجَّاب في دار السلطان، ومِن غلمانِ «نصر القشوري» الحاجب، وجعل لهم في جُملة ما ادعاه أنه يُحيي الموتى، وأن الجنَّ يَخدمونه، ويُحضرون له ما شاء، وقال: إنه أحيا عدةً من الطير، وسُلِّم إلى الوزير حامد بن العباس، فحبَسه في قيود كثيرة في رجليه، وجَمع له الفقهاء، فأجمعوا على كُفره وزندقته، وأنه ساحرٌ مُمَخْرِق.

ولَمَّا كان آخِرُ مجلس، أحضر الوزيرُ حامدُ بنُ العباس القاضي أبا عُمرَ محمدَ بنَ يوسف، وجيء بالحلاج، وقد أحضر له كتابًا من دُورِ بعض أصحابه، وفيه: «ومَن أراد الحجَّ، ولم يتيسَّرْ له، فلْيَبْنِ في داره بيتًا، لا ينالُه شيءٌ من النجاسة، ولا يُمكِّنْ أحدًا من دخوله، فإذا كان في أيام الحج، فليصم ثلاثة أيام، وليكف به كما يُطاف بالكعبة، ثم يَفعلُ في دارِه ما يفعلُه الحجيج بمكة، ثم يستدعي بثلاثين يتيمًا؛ فيُطعمهم من طعامه، ويتولَّىٰ خدمتهم بنفسه، ثم يكسوهم قميصًا قميصًا، ويُعطي كلَّ واحد منهم سبعة دراهم، فإن فعَل ذلك قام له مَقامَ الحج. وإنَّ مَن صامَ ثلاثة أيام لا يُفطرُ إلاَّ في اليوم الرابع على ورقات هُندُبا أجزأه ذلك عن صيام رمضان. ومن صلَّىٰ في ليلة ركعتين من أول الليل إلى آخرِه أجزأه ذلك عن الصلاة بعد ذلك . وأنَّ مَن جاور بمقابرِ الشهداء، وبمقابرِ قريش عَشرة أيام يُصلِّي ويدعو ويصوم، ثم لا يُفطرُ إلاَّ على شيءٍ من خُبزِ الشعير، والملح الجريش، أغناه ذلك عن العبادة في بقية عمره.

فقال له القاضي أبو عمر: مِن أين لك هذا؟ فقال: من كتاب «الإخلاص» للحسن البصري».

فقال له: كذبت يا حكلال الدم، قد سمعنا كتاب «الإخلاص» للحسن بمكة، ليس فيه شيء من هذا، فأقبل الوزير على القاضي، فقال له: قد قلت : «يا حلال الدم»، فاكتب ذلك في هذه الورقة، وألح عليه، وقد م للدواة، فكتب ذلك في تلك الورقة، وكتب من حَضَر خُطوطَهم فيها، وأنفذها الوزير إلى المقتدر.

فجاء الجوابُ بأن يُسلَّمَ إلى محمد بن عبدالصمد، صاحب الشرطة، ولْيَضْرِبْه ألفَ سَوط، فإن مات، وإلاَّ ضُربت عُنقه.

وبُعث به إليه، وهو راكبٌ على بَغلٍ عليه إكاف، وحَولَه جماعةٌ من السيَّاسة، على مثل شكله، فاستقرَّ منزلُه بدارِ الشرطة في هذه الليلة، فذُكر أنه بات يُصلِّى تلك الليلة، ويدعو دعاءً كثيرًا.

وقالوا: ولَمَّا أُخرِج الحلاج من المنزل الذي بات فيه لِيذهبَ إلى القتل

طَلَبْتُ الْمُسْتَقَرَّ بِكُلِّ أَرْض وَذُقْتُ مِنَ الزَّمَانِ وَذَاقَ مِنِّي أطَعْتُ مَطَامِعِي فَاسْتَعْبَدَتْنِي

فَلَمْ أَرَ لِي بِأَرْضِ مُسْتَقَرًّا وَجَدْتُ مَذَاقَهُ حَلُوا وَمُسراً وَلَوْ أَنِّي قَنعْتُ لَعَشْتُ حُــرًّا

فَلَمَّا أُخرِج للصَّلْبِ مَشْيَ إليه، يتبختر في مشيته، وفي رِجليه ثلاثةً

عَشَر قيدًا وجعل ينشد ويتمايل:

إِلَى شَيْء من الْحَيْسف فَعْسِلُ الضَّيْفِ بالضِّيْف دَعَا بالنِّطْع وَالسَّيْف

نَديمي غَيْرُ مُنْسُوب شربنكا مثل مَا يَشْرَبُ فَـلَـمَّـا دَارَت الْكَـاسُ كَذَا مَنْ يَشْرَبُ السرَّاحَ مَعَ التِّنِّين في الصَّيْف

ثم قُدِّمَ، فضُرب ألفَ سوط، ثم قُطعت يداه ورِجلاه، وهو في ذلك كلُّه ساكت، ما نَطَق بكلمة، ولم يتغيَّر لونه.

◘ وقال الخطيب: قال لنا أبو عمر بن حيُّويه: «لَمَّا أُخرج الحسينُ بنُ منصور الحلاَّج؛ ليُقْتَلَ مَضَيْتُ في جُملة الناس، ولم أزل أزاحمُ عليه حتى رأيتُه، فدنوتُ منه، فقال لأصحابه: «لا يَهولَنَّكم هذا الأمرُ، فإني عائدٌ إليكم بعد ثلاثينَ يومًا» . . ثم قُتل فما عاد! .

□ قال الذهبي: «هذه حكايةٌ صحيحة، توضِّحُ لك أن الحلاجَ مُمَخْرِقٌ كذَّاب، حتى عند قتله (١). . ثم قُطعت يداه ورجلاه، وحُزَّ رأسه، وأُحرقت (۱) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٤٦). جُثَّتُه، وأُلقي رَمادُها في «دِجْلة»، ونُصب الرأسُ يومين ببغداد على الجِسر، ثم حُمل إلى خُراسانَ، وطيف به في تلك النواحي».

□ قال الإمامُ الفقيه المُحدِّثُ بقية السلف ـ كما يقول الذهبي ـ ابن أيوب: «لا شك أن الحَجَّاجَ قَتَل من العلماء خلائقَ يتعسَّرُ حَصْرُهم، وشَتَّت شملَهم وأبادهم، وقتل سعيد بن جبير، وأهلُ الأرض محتاجون إلى عمله، وخلَعه العلماء، وخرَجوا عليه، وقاتلوه، ومع هذا كلِّه لم يَقُلْ أحدٌ منهم: «إنه كافر»، بل قالوا: إنه من عُصاة المسلمين؛ لا تَحلُّ إمرتُه لذلك، والحَلاَّجُ ما تعرَّض لأحد من أهل العلم بأذًى في دنياه، وأجمع أهلُ زمانه منهم على كُفره، واستباحة دمه، فلو كان العلماءُ يقولون بالهوى، لقالوا في الحجاج الذي ما تَرك نوعًا من الأذى حتى رماهم به، فثبت أنهم لا يقولون بالهوى» اهـ.

□ ورد في «الطواسين» للحلاج أنه قال:

رَكَبْتُ الْبَحْرَ وَانْكَسَرَ السَّفْينَهُ فَلاَ الْبَطْحَا أُرِيدُ وَلاَ المدينَــهُ

أَلاَ أَبْلِ عُ أُحِبَّ إِلَيْ بِأَنِّي عَلَى دِينِ الصَّلِيبِ يَكُونُ مَوْتِي فَصُلْبَ ؟ جزاءً وفاقًا.

المن كلمات هذا الزنديق: «أُنَزِّهُك عما قَرَفَك به عِبادُك، وأَبرأُ إليك عما وَحَدك به الموحِّدون».

🗖 قال الذهبي : «هذا عينُ الزندقة» .

□ وجدوا كتابًا للحلاَّج عنوانه: «من الرحمن الرحيم إلى فلان بن فلان»، فوُجِّه إلى بغداد، فأُحضِر وعُرض عليه، فقال: «هذا خَطِّي وأنا

كتبته، فقالوا: كنتَ تدَّعي النبوة، صرتَ تدَّعي الربوبية؟! قال: لا، ولكن هذا عَينُ الجَمع عندنا، هل الكاتبُ إلاَّ اللَّهُ وأنا؟ فاليدُ فيه آلة».

بات الحلاَّجُ في جامع «الدِّينُور» ومعه جماعة، فسأله واحدٌ منهم، فقال: «يا شيخُ، ما تقول فيما قال فرعون؟ قال: قال كلمة حقً، قال: فما تقولُ فيما قال موسى المَّلِيَّةِ؟ قال: قال كلمة حق؛ لأنهما كلمتان جَرَتا في الأبد، كما أُجرِيَتا في الأزل»(١).

◘ وقال: «ما وَحَّد اللَّهَ غيرُ اللَّه».

□ وقال: «الكفرُ والإيمان يفترقانِ من حيث الاسم، فأما من حيثُ الحقيقة، فلا فرقَ بينهما».

□ عن جُندب بن زاذان تلميذ الحلاَّج قال: «كتب الحسينُ إليَّ: السلام عليك يا ولَدي، سَتَر اللَّهُ عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر، فإن ظاهر الشريعة كفر، وحقيقة الكفر معرفة جليلة، وإني أوصيك ألاَّ تغترَّ باللَّه، ولا تيأس منه، ولا ترغب في محبَّته، ولا تَرْض أن تكون غير مُحب، ولا تقل بإثباته، ولا تَمِلْ إلى نَفيه، وإياك والتوحيد، والسلام»(١٠).

* ابنُ عربي، دَجًالُ الصوفية، القائلُ بتفضيلِ خاتم الأولياء (") على خاتم الأنبياء عَلَيْتُهُ: الأنبياء عَلَيْتُهُ:

مُحيي الدين بنُ عربي الحاتمي الذي تُطلِقُ عليه الصوفية لقبَ «الشيخ

⁽۱) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٥٤).

⁽٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٥٣ ـ ٣٥٣).

⁽٣) يعني نفسه .

الأكبر»(١) والذي «كانت ولايته أعلى قمة بلغها التصوف (٢) عندهم، حتى عُد رئيس مدرسة التصوف المتأخّر (٢).

وقد كانت ولادته بـ «مَرَسية» في الأندلس عام ٥٦٠هـ، وانتقل إلى «أشبيلية»، وقام برحلة زار فيها الشام وبلادَ الروم والعراقَ والحجازَ، واستقرَّ أخيرًا بدمشق، وتُوفي بها عام ٦٣٨(،) .

الرسل عليهم السلام، وخَتم بشرعه جميع الشرائع، فلا رسول بعده يُشَارِّع، ولا شريعة بعد شريعتِه تنزلُ من عند اللَّه (٥٠٠).

ونلاحظُ في هذه الجمل الأربع التي عَرَض بها عقيدته أنه يحتاطُ في كلِّ جملة منها بلفظ يُوهِمُ مشاركتَه للأمة في عقيدتها، ولكنه في الواقع غيرُ ذلك، وبتحليل ذلك يتضحُ الأمر في الأذهان:

(۱) قوله: "وختم بمحمد عَلَيْ جميع الرسل"، نعم هذا صحيح، ولكنه هنا يَستبدلُ لفظ "الرسل" بلفظ "النبيين" الذي وَرَد في الآية ﴿ وَخَاتَمَ النبيين ﴾ [الاحزاب: ٤٠]، وقد ورد كما سبق في حديث رسول الله عَلَيْهُ: "وختم بي النبيون" فلماذا يفعلُ ابنُ عربي ذلك؟ يفعلُه لأن النبيَّ أعمُّ من الرسول، ونَفْيُ النبوة يعني: نَفْيَ الوحي - كما تقدم -، أما نفيُ الرسالة فلا

⁽١) «هذه هي الصوفية» للوكيل (ص٢٣).

⁽٢) «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص٣٧٦) للدكتور كامل مصطفى.

⁽٣) المصدر السابق (ص٣٧٨).

⁽٤) «البداية والنهاية» (١٣/ ١٥٦)، و «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٥٨).

⁽٥) «الفتوحات المكية» (٤/ ٧٥).

يلزمُ منه نَفيَ الوحي؛ لأنه قد يَنزلُ الوحيُ فيُكسِبُ صاحبَه صفةَ النبوة، ولا يُكسِبُه صفةَ الرسالة، وذلك إذا لم يطالَبْ بالتبليغ، وابنُ عربي يفهمُ ذلك ويُدرِكُه حقَّ الإدراك، فلو التزم باللفظ القرآني لَقَطع على نفسِه منزلة الولاية كما يتصوَّرها هو، والتي يتلقَّى صاحبُها الوحيَ من اللَّه سبحانه.

(٢) قوله: «وختم بشرعه جميع الشرائع»، وهذه كذلك لازمةٌ للختم الذي انقطع به الوحي، فكأنه يُكثِّرُ العبارات للدلالة على إيمانه بالختم ـ كما يريده هو ـ، لأنه لا يدَّعي هو نزولَ شرع جديد.

(٣) قوله: "فلا رسول بعده يُشرِّع"، وهذا تأكيدٌ ثالثٌ لصورة تلك العقيدة التي يؤمن بها، فيكرِّرُ نفي الرسالة مرةً أخرى، ثم يؤكد بصفة أخرى يُغني عنها لفظُ الرسول؛ لأن الرسول لا يكونُ إلا مشرَّعًا، ولكنْ لعله يريدُ أن يدَّعي الرسالة التي لا شرع معها ـ كذلك ـ ، فيُمهِّدُ بهذا القَيد.

□ فقد قال في «الفتوحات»: «اعلم ـ وفقنا اللَّه واياك ـ أنه من كرامة محمد ﷺ على ربَّه أنْ جَعَل مِن أُمته رُسلاً، ثم إنه اختص من الرسل مَن بَعُدت نسبتُه من البشر، فكان نصفُه بشراً، ونصفُه الآخرُ رُوحاً مطهَّرة ملكاً؛ لأن جبريل وَهَبه لمريمَ بشراً سويًّا... "(1) إلخ قوله ذلك الذي بدأه بإثبات الرسل بعد رسول اللَّه ﷺ.

فهذه هي عقيدتُه، لم يَنْفِ نزولَ الوحي، بل كلُّ عبارةٍ فيها تُمهِّدُ لِمَا سيدَّعيه من الاتصال بخبر السماء.

وبعد هذه المقدمة لعقيدته في «ختم النبوة»، نعرضُ طريقتَه في فهم

⁽١) «الفتوحات المكية» (٤/ ٥٨).

النصوص النبوية المتعلقة بهذه العقيدة، لنرى مدى محاولاته المتنوعة في تطويع كلِّ شيء في هذه العقيدة لفكره الصوفي، فهو عندما يركى النصَّ النبوي: «لا نبيَّ بعدي» يُسارعُ في تقييده بقوله: «إنما ارتفعت نبوة التشريع»(۱).

☑ ويؤكِّدُ ذلك وَيزيدُه إيضاحًا بقوله: «أي: لا شرع خاصةً، لا أنه لا يُكونُ بعدَه نبيٌ (٢٠) .

وكأنه يستدرك على اللفظ النبوي في صورة النفي التي وردت باستعمال نفي النبوة، وقد صرَّح بأن هذا الحديث قد أزَعج إخوانه الأولياء، فقال: "إن حديث «لا نبي بعدي» قد قصم ظهور الأولياء»(٣).

فلماذا يقصم ظهورهم؟ ألا يرضون ما رَضيه اللَّه لهم ورسولُه؟ ألا يكفيهم ما تركه لهم رسولُ اللَّه ﷺ من الكتاب والسنة؟ ولكنَّ الفيلسوف الصوفيَّ يُطمئنُهم، ويُخفِّفُ من انزعاجهم بإخبارهم: «أنَّ اللَّه لَطَف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها»(1).

□ والمرادُ بعباده هنا هم الأولياء، كما ذكر ذلك في موطنٍ آخرَ بقوله: «واعلم أن الولاية هي الفلكُ المحيطُ العامُ، ولهذا لم تنقطعْ، ولها الإنباءُ العام، أما نبوةُ التشريع والرسالة، فمنقطعة»(٥).

⁽١) «الفتوحات المكية».

⁽٢) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

⁽٣) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

⁽٤) «فصوص الحكم» (ص٤١).

⁽۵) «فصوص الحكم» (ص١٣٤).

فالأولياء هم الذين لهم الإنباءُ العام، وبهذا يتضحُ أنه يعتقدُ بقاءَ النبوةِ بعد رسول اللّه عِيَالِيةٍ.

وليس لأحد أن يسأله؛ لأن علوم الأولياء لها مصدرٌ فوق النقد، كما ورد عن أحد أسلافه من أقطاب الصوفية وهو يَزيدُ البِسْطامي، حَيثُ قال: «أخذتم علِمكم ميتًا عن مَيْت، وأخذنا عِلمنا عن الحيِّ الذي لا يموت»(١).

□ وبعد هذا التقرير النظري الذي انتهى منه ابنُ عربي إلى إثبات النبوة العامة، يَشْرَعُ هو في دعوى الاتصال باللّه، وأنه كتب كتابه «فصوص الحكم» «تحت تأثير من الوحي والإلهام فأنزل في سطورها ما أنزل به عليه، لا ما قضى به منطقُ العقل»(٢) كما ورد نصُّ ذلك في مقدمة «الفصوص» حيث قال: «فما أُلقي إلاّما يُلقَى إليّ، ولا أُنزل في هذا المسطور إلاّ ما يُنزل به على "(٢).

□ ولَمَّا كان يدَّعي أن الولاية كالنبوة لها خاتم «واحد لا في كلِّ زمان، بل هو واحدٌ في العالَم يَختمُ به اللَّه الولاية المحمدية، فلا يكونُ في الأولياء المحمدين أكبرُ منه»(١٠).

□ فإنه يزعمُ أنه هو ذلك الخاتمُ بقوله: «فإني أنا الحَتمُ، لا وَلِيَ بعدي ولا حاملَ لعهدي بفقدي، تذهبُ الدول وتلتحقُ الأُخريات بالأول»(٥).

⁽١) «الفتوحات المكية» (٢/ ١٣٥).

⁽٢) «محقِّق الفصوص» أبو العلا عفيفي (ص١٠).

⁽٣) «فصوص الحكم» (٤٨).

⁽٤) «الفتوحات» (٢/ ١١).

⁽٥) «عنقاء مغرب» (ص١٥) من «الصلة بين التصوف والتشيع» (ص٤٧٣).

الذي يوحى به إلى الرسل " وأنهم لا يقتبسونه "إلاَّ من مشكاة خاتم الأولياء "(١) ؛ وذلك لأنه أخذ علمه "من المعدن الذي يأخذُ منه المَلكُ الذي يوحَى به إلى الرسل "(١) .

ولذلك فإن الولي بَلَغ درجة من العلم الصحيح دونه كل الرسل، بل حتى خاتم الرسل محمد على الله الولي يَرى العلوم على صُورتها الصحيحة كما هي في علم الله، أما الرسل، فقد يرون الظواهر ولا يصلون إلى بواطن الأمور، حتى لو كان ذلك سيِّد البشر عَلَيْ الله الله المن المنتخ عا يأتى:

• قال عَلَيْهِ: «مَثَلَي ومَثَلُ الأنبياء قَبْلي كَمَثْلِ رجل بني بيتًا، فأحسنه وأَجمَله إلا موضع لَبنة من زاوية، فَجعَل الناسُ يَطوفون به ويتعجّبون له، ويقولون: هلاَّ وُضِعَت هذه اللبنة أ قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين (٣) .

فهو يُقرِّرُ في هذا الحديث أن الدار التي مَثَّل بها كَمُل بناؤها، ولم يَبْقَ فيها إلا موضعٌ واحدٌ فقط لا يَتَسعُ إلاَّ للبنة واحدة، ثم كان عَلَيْهُ هو تلك اللبنة .

□ وابنُ عربي يرىٰ أن تلك الرؤيـةَ منه ﷺ رؤيةٌ ناقصـة ـ وحاشـاه عَيْكِ وَابنُ عربي يرىٰ أن تلك الرؤيـةَ منه عَيْكِ وَابنَ الواقع أن الدارَ بَقيَ فيها موضعُ لبنتين : إحداهما فضة، والأخرىٰ ذهب. . والرسولُ هو اللبنةُ الأقل ثمنًا وقيمةً ، والوليُّ هو اللبنةُ والأخرىٰ ذهب. .

⁽١) «الفصوص» (ص٦٢).

⁽٢) السابق (ص٦٣).

⁽٣) رواه البخاري ومسلم وأحمد والحميدي.

□ ولذلك فالولي مستقل في الشريعة وإن كان يبدو «أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهر»(١) ؛ لأنه بناء على تلك النظرة السابقة أعلى مكانًا من الرسل وأصح علمًا منهم، وإنْ بدا للناس أن متبع للشرع ظاهرًا، فالصحيح أنه «أخذ عن الله في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متَبعٌ فيه»(١) .

وهكذا ينتهي ابنُ عربي في تدرُّجه ذلك إلى «الخروج على عقيدة ختم النبوة» التي قرَّرها اللَّهُ عزَّ وجلَّ ورسولُه ﷺ، وأجمعت الأمةُ عليها، ثم لا يكتفي بذلك الخروج فقط، بل ويصلُ به الأمرُ إلى أنْ جَعَل الأولياء يستدركون على الأنبياء، ويُصحِّحون علومَهم؛ لأن رؤية الأولياء هي المطابقةُ للواقع الذي خَفِي على الرسل؛ وذلك لأنَّ الأولياء يتلقَّون العلوم تلقيًّا مباشراً. أما الأنبياء، فيأتيهم بالعلوم وسطاءُ بينهم وبين اللوح المحفوظ . ولذلك، فإنَّ الوليَّ وإنْ بدا أنه متبعٌ في الظاهر للرسول ﷺ . فهو في الحقيقة مستقلٌ في التشريع لاستقلاله في تلقي العلوم . وأما المتابعة، فإنما هي للعوام الذين لم يَبلُغوا ذلك، فيكفيهم تلك الظواهرُ التي أخذوها عن الأموات، ومرةً أخرى ندرك معنى «أخذتم علمكم ميتًا عن أخذوها عن الأموات، ومرةً أخرى ندرك معنى «أخذتم علمكم ميتًا عن

⁽۱) «الفصوص» (ص٦٣).

⁽٢) «الفصوص» (ص١٦٣).

⁽٣) «الفصوص» (ص١٦٣).

مَيتٍ، وأخذنا عِلمَنا عن الحيِّ الذي لا يموت»!!.

□ وذلك التدرُّجُ وتلك النهايةُ التي وصل إليها ابنُ عربي هي التي جَعلت ابنَ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ يقول: «ففي هذا الكلام من أنواع الإلحاد والكفر وتنقيص الأنبياء والرسل ما لا تقولُه لا اليهودُ ولا النصارئ، وما أشبَهه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل: «فخرَّ عليهم السقف من تحتهم»: «إنَّ هذا لا عَقْلَ ولا قرآن»، وكذلك ما ذكر هنا من أن الأنبياء تستفيدُ من خاتم الأولياء الذي بعدَهم هو مخالفٌ للعقل، فإنَّ المتقدِّم لا يستفيدُ من المتأخِّر، ومخالفٌ للشرع، فإنه معلومٌ بالاضطرار من دين الإسلام أن الأنبياء والرسلَ أفضلُ من الأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رُسلاً»(۱).

* مناقشة ابنِ عربي:

في هذا العَرضِ الموجَز لكلام ابن عربي تتبيّن لنا عقيدتُه في بقاء النبوة بعد رسول اللّه عَلَيْهُ، حيث يَرىٰ أن النبوّة لا تزالُ باقيةً، ولا يزالُ هناك أنبياء.. ولما كانت تلك العقيدة تتعارضُ مع عقيدة ختم النبوة بنبوة محمد عليه لا يد من وقفة مع عقيدة ابن عربي تلك التي تخالفُ عقيدة الإسلام وتُناقضه.

أولاً: العبارة التي يُبِينُ بها ابنُ عربي عقيدتَه في ختم النبوة، حيث قال: «وخَتَم بمحمد عَلَيْكِ جميع الرسل» عبارةٌ قاصرةٌ عن أداء المعنى الشرعي كما وردت به النصوص، ففي القرآن الكريم: ﴿ وَخَاتَمَ النّبيّينَ ﴾ [الأحزاب:

⁽١) من رسالة حقيقة مذهب الاتحادية ضمن مجموع «المسائل والرسائل» (٤/ ٨٥).

13]، وفي الحديث: «وخُتم بي النبيون»، إذ في هذه النصوص أن الرسول ويُكُلُّ خاتمُ النبين، والنبوَّةُ أعمُّ من الرسالة، ونفيها نَفيٌ لها وللرسالة. ولهذا فالنصوصُ الشرعيةُ لا تتركُ مَنفذًا لدعوىٰ نبوة جديدة أو رسالة جديدة. أما ابنُ عربي، فلا يَنفي النبوة، وإنما ينفي الرسالة، فيبقىٰ احتمال وجود النبوة، وهذا ما أراده هو بهذه العبارة، وذلك ليتسنَّىٰ له فيما بعدُ أن يدَّعيَ بقاءَ النبوة وقد فعل -، حيث زَعَم بقاءَ النبوة العامة.

ثانيًا: تقييدُه نصَّ الحديث النبوي: «لا نبيَّ بعدي» بنفي النبوة التشريعية تقييدٌ باطل، وذلك أن نفي النبوة - كما رأينا من قبلُ مرارًا - أعمُّ من نفي الرسالة، والذي يتلقَّىٰ النبوة قد يؤمرُ بتبليغ ما أُوحىٰ إليه من تشريع أو غيره، فيصبح نبيًّا رسولاً، وقد لا يؤمرُ بذلك، فيكون نبيًّا فقط، والنصوصُ الشرعية قد نَفَت كلتا الحالتين، وذلك بنفي الأعمِّ - وهو النبوة وانتفاء النبوة يعني انقطاع الوحي، وهذه هي عقيدة الأمة الإسلامية من عهد الصحابة وهي إلى اليوم، ولمَّا قيل لابن عمر: «إن المختار يزعمُ أنه يوحىٰ السحابة وأن المن الموحى أنه يوحىٰ إلى أوليائهِمْ ليُجَادلُوكُمْ وَإِنْ المعتموهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الانعام: ١٢١]»، فهو يَرىٰ أن الوحي الربّانيَّ قد انقطع، وإنما هو الوحي الشيطانيُّ . ولو لم يكن كذلك لَمَا سارعَ بذلك الوحي الربّانيَّ بذلك

ثالثًا: قولُ ابن عربي: "إن حديث: "لا نبيّ بعدي"، قد قَصَم ظهورَ الأولياء"، يكشفُ لنا عن موقف أولياء الصوفية من النصوص الشرعية، وهو موقفٌ لا يتفقُ مع الولاية الصحيحة. وإلا فأي ولاية تلك التي لا ترضى ما قضى الله به عزّ وجلّ ـ؟ واللّه يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةً

إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الاحزاب: ٣٦]، واللَّه يقول كذلك: ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٢٥]، فهو التحكيمُ إلى رسول اللَّه ﷺ، ثم انتفاءُ الحرج من النفس، وأخيرًا التسليمُ الكاملُ الذي ينتفي معه حَظُّ النفس، وإلاَّ فقد عرَّض نفسه لنقص الإيمان أو نقضه، وقد كان ينبغي عليهم - وهم يزعمون الولاية - أن يستقبلوا شرعَ اللَّه وقضاءَه بقلوبٍ طائعة راضية ، وذلك ما يستقيمُ مع دعوى الولاية .

ثم إن ابن عربي يُخفِّفُ على الأولياء بأنَّ اللَّه لَطَفَ بعباده فأبقى لهم النبوة العامة!! يا لها من جُرأة تلك التي أقدم عليها ابنُ عربي!! فمن أين له تلك القولة؟! فالقرآنُ والسُّنةُ وإجماعُ الأمة، كلُها تثبتُ انقطاعَ النبوة مطلقًا، فكيف أقدم ابنُ عربيًّ على هذه القولة العظيمة التي تُعارضُ كلام اللَّه سبحانه وتعالى وكلام رسوله عَلَيْهُ؟! إذ يخبرُنا اللَّه ورسولُه بانقطاع النبوة، وابنُ عربي يدَّعي بقاءَها واستمرارَها! فهل استجدَّ في علم اللَّه النبوة، وابنُ عربي يدَّعي بقاءَها واستمرارَها! فهل استجدَّ في علم اللَّه سبحانه وتعالى جديدٌ، ثم أخبر به ابنَ عربي بعد أن قضى على لسان رسولِه عليه أنْ لا نبوة بعدَه، وأنه آخرُ الأنبياء؟! اللَّهم إنها قَولةٌ كاذبة لا تصدرُ مِن مُسلم عاقل، بَلْهَ أن يكون وليًّا يزعمُ أنه خاتمُ الأولياء.

رابعًا: ادَّعيٰ أنه كَتب كتابه «الفصوص» بوحي من اللَّه، حيث قال: «فما أُلقِي إلاَّ ما يُلقيٰ إليَّ، ولا أُنزل في هذا المسطور إلاَّ ما يُنزَلُ به عليَّ».

فهذا الكتابُ المذكور أأُنزل موافقًا للقرآن أم مخالفًا له؟ فإنْ كان موافقًا فما الحاجةُ إليه؟ وإن كان مخالفًا، فهل هو مخالفٌ للأحكام أم للأخبار؟ فإنْ كان مخالفًا للأحكام فهذا نَسخٌ، وقد ادَّعيٰ هو أنه يعتقدُ أنْ لا شرعَ بعد

شرع الإسلام. . وإن كان في الأخبار، اقتضى تكذيبَ القرآن والقرآنُ وحيُ اللَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ إلى محمد ﷺ، والوحيان الثابتان لا يتناقضان .

ثم ما يُدرينا صدق تلك الدعوة؟ وما الفرقُ بينها وبين دعوىٰ أيِّ كاتب آخر ادَّعىٰ أن كتابه وحي من اللَّه؟ فلابدَّ إذن من برهان مُعجز ليضمن لنا صدق دعواه.. وذلك لم ولن يتمَّ؛ لأنه من خصائص الأنبياء فقط، والنبوةُ قد انقطعت، والمعجزةُ هي التي تؤكِّد لصاحبها ولغيره صدق دعواه تلك. وإلا فما يُدرينا أن ذلك الوحي من وحي الشياطين. وهو الوحي الذي لم يُختَمْ بعد.

خامسًا: ابتدع ابنُ عربي اصطلاح َ "خاتم الأولياء"، وأحاطه بهالات من التقديس والتعظيم حتى جَعَله مصدر علوم الرسل. وتلك بدعة لا أصل لها في شرع الله عز وجل مع وهو إحدى حلقات تلك السلسلة من الأدمّ عاءات المجردة من الأدلة الشرعية، ويكفي ذلك إبطالاً لها، ثم إن دعواه تلك تعني انتهاء بقاء أولياء بعده كما صرح بذلك بنفسه، حيث يقول: "بفقدي تذهبُ الدولُ، وتَلحَقُ الأُخرَياتُ بالأول».

 يقل: «إن أولياء الله الذين كان يُوحَى إليهم». . فالمؤمنون المجاهدون في الحديث لا شك أنهم متَّقون، وهم على الحق، وقد وعد الرسولُ عَلَيْكَ بِعائهم، وهي نبوة صدق وحقً.

□ يقول ابنُ تيمية ـ رحمه اللّه ـ: «وخاتمُ الأولياء كلمةٌ لا حقيقة لفضلها ومرتبتها، وإنما تكلم أبو عبداللّه الترمذي بشيء من ذلك غلطًا لم يُسبق إليه، ولم يتابع عليه، ولم يَستند فيه إلى شيء، ومسمّى هذا اللفظ هو آخرُ مؤمنٍ يبقى، ويكون بذلك خاتم الأولياء، وليس ذلك أفضل الأولياء باتفاق المسلمين، بل أفضلُ الأولياء سابقُهم وأقربُهم إلى الرسول، وهو أبو بكر، ثم عمر، إذ الأولياء يستفيدون من الأنبياء، فأقربُهم إلى الرسول أفضلُ أفضلُ من الأنبياء، فأقربُهم إلى الرسول غيره، فقياسُ مسمّى أحد اللفظين على الآخرِ في وجوب كونه أفضلَ، من أبعد القياس»(١).

سادسًا: وأما زَعمُه بأن الرسل لا يقتبسون علمهم إلا من مشكاته فهذا في غاية السَّفة والإزراء بمقام الأنبياء، كما أنه مخالفٌ للعقل أن يتلقَّى الحيُّ الموجود من إنسان لم يُخلق بعد، ويكفي ردًّا على هذا الادعاء ما سبق من قول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ .

سابعًا: دعواه أن سيد الخلق محمدًا ﷺ لم يَر إلا موضع لبنة واحدة، مع أنه موضع لبنة الذهب والنبي النه موضع لبنة الذهب والنبي لبنة الفضة.

⁽١) «بغية المرتاد» (ص٨٤)، «ضمن الفتاوي الكبري» (ج٥).

دعوىٰ ابنِ عربي هذه يَصلُ بها إلىٰ آخِرِ درجاتِ الهبوط العقلي التي يُصاب بها كلُّ مَن تجارت به الأهواء وعَبَثت بخياله الشياطين. إذ كيف يكونُ أشرفُ البشر على الإطلاق وسيدُ ولد آدم وقائدُ الأنبياء وأكرمُهم على الله، والذي أُعِدَّ له في أعلى الجنة مكانٌ لا يَصِلُ إليه سواه؛ لما له عند الله من المكانة والتكريم: كيف يكونُ أقلَّ من أحد أتباعه ممَّن يزعُمون لأنفسهم الولاية والتي لا تُنالُ إلاَّ بمتابعته عَلَيْهُ، فلا يَرىٰ الأمورَ على حقيقتها حتى يأتي ابنُ عربي في أعقابِ الزمن ينعى عليه عليه عليه ويتهمُه بفسادها. وإنها تهمة تتعدَّىٰ مقامَ النبي عَلَيْهُ إلى مقام الله سبحانه وتعالى بفسادها. وإنها تهمة تتعدَّىٰ مقامَ النبي عَلَيْهُ إلى مقام الله سبحانه وتعالى الذي أخفىٰ عن رسوله الصورة الصحيحة وأراه خلافَها.

وإن ذلك الاتهامَ ليهدمُ الإسلامَ من أساسه، إذ مَن يَعجزُ عن رؤيةِ أحدِ أصولِ العقيدة على حقيقته عاجزٌ عن أن يَرىٰ بقيةَ أمورِ الشريعة على حقيقتها، فلا يؤمنُ جانبُه في تبليغ شرع الله. . هذا ما تَعنيه تلك القولةُ الآثمةُ التي تَحُطُّ من قَدرِه ﷺ وحاشاه عن ذلك .

ثامنًا: يدَّعي ابنُ عربي أن الوليَّ متبعٌ ظاهرًا مستقلٌ باطنًا، حيث قال: «أخذ عن اللَّه في السر ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه»، وهذه نتيجةٌ طبيعيةٌ يصلُ إليها ابنُ عربي بعد تلك الضلالات المتراكمة، فمادام أن الوليَّ يتلقَّىٰ الوحيَ من اللَّه، وأن رؤيته أصحُّ من رؤية النبي، فلا حاجة له إلىٰ الأخذ عن النبي؛ لأنه أصحُّ رؤيةً وأصدقُ تصورًا منه.

تاسعًا: إن جميع هذه المصطلحات التي جاء بها ابن عربي: «من قوله: «إنما ارتفعت نبوة التشريع»، وقوله: «لا شرع خاصة، لا أنه يكون بعده نبي»، وقوله: «إن الله لطف بعباده فأبقئ لهم النبوَّة العامة التي لا تشريع

فيها»، وقوله: "إني أنا الختمُ لا وليَّ بعدي»، بعد أن ذَكَر أن هناك خاعًا للأولياء، وزَعْمِه أن الرسل لا يقتبِسون علومَهم "إلا من مشكاة خاتم الأولياء»، وزعمه أن الوليَّ يرى موضع لبنتين لا كما رآها النبيُّ موضع لبنة واحدة، وأن أحدهما فضة هي النبيء، والأخرى ذهب وهي الولي -.

ثم أخبرًا الوليُّ مستقلُّ بـ «أخذ عن اللَّه في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متبعٌ فيه». . إن هذه المصطلحات التي أحدثها ابن عربي، وبنى عليها مذهبه في القول بتجدُّد الوحي باطلةُ الأساس لا يثبتُ عليها بناء . . وهي مصطلحاتٌ مبتدَعةٌ دخيلة على التصوُّر الإسلامي لا تصدرُ عن مسلم يحترمُ عقلَه ودينه . إذ كلُّ واحدة منها تكفي لتكفير صاحبها وإخراجه من يحترمُ عقلَه ودينه . إذ كلُّ واحدة منها تكفي لتكفير صاحبها وإخراجه من دين الإسلام؛ لأنها تعارضُه فيما قرَّره من الأصول الثابتة التي تُعرفُ من دين الإسلام بالضرورة ، فكيف بها إذا اجتمعت؟! .

□ ولابن عربي بعضُ العبارات الأخرى التي توحي لقارئها بأنه سَلَفيٌ متبعٌ يقفُ عند كلِّ حدِّ من حدود اللَّه لا يتجاوزُه ولا يتعدَّاه، ومن ذلك قوله في أول كتاب «الفصوص»: «ومن اللَّه أرجو أن أكونَ ممن تأيَّد فتأيَّد، وقُيِّد بالشرع المحمدي المطهَّر فتقيد وقُيِّد»(١).

ولكنه لم يُقيَّد ولم يتقيَّد، وإلا لَمَا اشتَطَّ به الفكرُ والهوىٰ إلىٰ تلك الضلالات المخالفة لعقيدة الإسلام. . وإن هذا التناقض قد يؤيِّدُ قولَ الذهبيِّ فيه : إنه «أثَّرت فيه تلك الخَلُواتُ والجوعُ فسادًا وخيالاً وَطَرفَ جُنون "(٢) .

⁽١) «فصوص الحاكم» (ص٤٨).

⁽٢) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٢٥٩).

إذ الرجل كان من أربابِ التصوف والرياضاتِ النفسيه.

وإنا لنرجو أن يكونَ قد تاب مِن هذه الشطحات، ومات على حالٍ أخرى (١) .

□ قال شيخُ اليمن الإمامُ ابنُ المُقرِئِ الشافعيُّ مبيِّنًا حالَ ابنِ عربيًّ زنديقِ الصوفية وإمام لقائلين بوحدة الوجود:

غَيُـُــور على حُرُمَــاته والشَّعائر ألاً يا رسولَ اللَّه غَـارَةَ ثـائـر يُحاطُ بها الإسلامُ ممَّن يكيـــدُهُ . ويرميه من تلبيسه بالفواقر فقد حَدَثَت بالمسلمين حَوادث كبارُ المعاصي عندها كالصغائر وغَــرَّ مَن غُــرَّ بين الحـواضِــرِ حَوَتْهُ نَّ كُتُبٌ حارَبَ اللَّهَ رَبُّها على اللَّه فيما قال كلَّ التجاسُـر تجاسَر فيها ابن عربي واجترى فقال بأنَّ الربُّ والعَسِدَ واحدٌ فربّي مربوبي بغير تغاير وأنكر تكليفًا، إذ العبدُ عند، إلهٌ وعبدُه، فهو إنكارُ فاجــر وخَطَّأُ إلاَّ مَن يَـرى الخَلْقَ صورةً وهُــويــــةً للَّه عنـــدَ التنــاظُــر وقال: وتَجلَّى الحقُّ في كلِّ صورة تجلَّى عليها فهي إحدى المظاهر وأنكر أنَّ اللَّه يَسغني عن السوري ويغ نسون عنمه لاستواء المقادر كما ظلَّ في التهليل يَهـزء بنَفيه وإثباته مستجملاً للمغاير وقال: الذي يَنفيه عينُ الذي أتى به مشبتًا لا غير عند التجاور فأفسد معنى ما به الناس أسلموا وألغاه إلغًا بيِّنسات التهاتسر

(۱) «عقيدة ختم النبوة» (ص١٥٧ ـ ١٦٦) لأحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ـ دار طيبة الرياض.

أعاد به من أمثال هذي الكبائر يُنَعِّمُ في نيرانه كلَّ فاجر فما ثَمَّ مُحتاجٌ لعاف وغافرر فما كافر إلا مُطيعُ الأوامر سعيدٌ فما عاص لديه بخاسر وقد آمنوا غير المفاجأ المسادر لدى موته بل عم كل الكوافر وإلاَّ فصَدِّقْه تكن شهراً كافر إلى تَـرك وُدِّ أو سُـواعَ وناسر على تركها قولَ الكفور المُجاهر وردَّ على مَن قال ردَّ المُناكر من العلم والباري لهم خير أناصر منَ اللَّه في الدنيا وفي اليوم الآخِر وإبعادهم فاعجَب له من مُكابر أنا الربُّ الأعلى وارتَضَى كلَّ سامر وقال: بموسى عَجْلَةَ المتبادر ورؤيا ابنــه تحتاجُ تعبيـــرَ عــابــر يعاملُهم إلاَّ بحطِّ المقادر لها عابداً عن عَصَى أَمْرُ آمر وتحريف آيسات لسُسوء تفياسُس

فسبحان ربِّ العرش عما يقولُه فقال: عذابُ اللَّه عَذبٌ وربَّنا وقال بأنَّ اللَّهَ لَم يُعص في الورى وقال: مراد الله وفـــق لأمـره وكلُّ امريء عند المهيمـن مرتَضًى وقال: يموتُ الكافرون جميعُهم وما خُصَّ بالإيمان فرعـونَ وحدَه فكذِّبُه يا هذا تكن خير مؤمن وأثنى على مَن لَم يُجبُ نُوحًا إذ دعاً وسَمَّى جهولاً من يطاوعُ أمرَه ولَم ير بالطوفان إغراق قومــه وقال: بلى قد أُغرقوا في معارف كما قال: فازت عادٌ بالقُرب واللِّقا وقد أخَبَــر البـــاري بلعنتـــه لهم وصَدَّق فرعونًا وصَحَّح قولَه وأثنى على فرعون بالعلم والذكا وقال: خليلُ اللَّه في الذبح واهمُّ يُعظِّمُ أهلَ الكفر، والأنبياءُ لا ويُثني على الأصنام خيرًا ولا يَرى وكم من جَراءات على اللَّه قالها

ولَم يَبْقَ كَفَرُ لَم يُلابسُه عامدًا وقال: سيأتينا من الهين خاتم له رُتبةٌ فوق النبيِّ ورتبةٌ فرتبته العكيا تقول لأخذه ورتبتك الدنيا تقول لأنه وقال اتِّباعُ المصطفى ليس واضعًا فإنْ تَدْنُ منه لاتّباع فإنــه ترى حال نُقصان له في اتباعه فلا قدَّس الرحمنُ شخصًا يُحبُّه وقال بأنَّ الأنبياء جَميعهم وقال: فقال اللَّه لي بعد مُــدة أتاني ابتدأ بيضاء سطَّر ربُّناً وقال: فلا تَشْغَلْك عنِّي ولايـــةٌ فرفْدُك أجزَلْنا وقصدكُ لَم يَخبُ بأكذب من هذا وأكفر في الورى فلا يدعو مَن صدَّقوه ولايسةً فيا لَعباد اللَّه ما ثُـم َّ دُو حجَّى إذا كان ذو كفرر مطيعًا كمؤمن كما قال هذا: إنَّ كلَّ أوامرر فلمَ بُعثت رُسُلٌ وسُنَّت شرائعٌ

ولَم يتورَّطْ فيه غيرَ مُحاذر من الأولياء للأولياء الأكابر له دُونَه فاعْ جَ ب لهذا التنافُر عن اللَّه لا وحيًّا بتــوسيط آخَــر من التابعيَّة في الأمــور الظواهـــــر لمقداره الأعلى وليس بحاقر يُـرى منه أعلى من وجوه أواخر لأحمد حتى جاء بهذي المعاذر على مَن يَرى من قُبح هذه المَخابر بمشكاة هذا تستضيء في الدياجر بأنك أنت الخَتـمُ ربُّ المَفـاخر بإنقاده في العالمين أوامري وكنْ كلَّ شهر طُولَ عُمرك زائري لدينا، فهل أبصرتَ يا ابنَ الأخاير وأجراً على غَشَيان هذي الخواطر؟! وقد خُتمت فليؤخـَذوا بالأقـــادر له بعض تمييز بقلب وناظر؟! فلا فَرُقَ فينا بين برٍّ وفاجر منَ اللَّه جاءت فهي وفقٌ المقادر وأُنزل قرآنٌ بهــذي الزواجـــر؟!

بقُول غريق في الضلالة جائر لأقوال هذا الفيلسوف المعادر وما في «فتوحات» الشرور الدوائر مساعر نار قُبِّحَت من مساعر يُمنِّيكم بعضُ الشيوخ المدابر به الجلدُ إن يَنْضَع يُبدَلُ بآخر إذا لَم يتوبوا اليوم علم مُباشر ومَن سَنَّ علمَ الباطل المتهاتر فأهلك أغمارًا به كالأباقر وما للنبيِّ المصطفى من مـآثـــر فليس كنور الصبح ظكماء الدياجر فما آمنٌ في دينــه كمُخـاطـر يَعُــومــون في بحر للكفر زاخر على هديه راحُوا بصفقة خاسر بإسلامه المقبول عند التجماور خواتهم سوء غيرها بالخناصر وقوم مَضَوا مثلَ النجوم الزواهـر ولا لحلول الحسقِّ ذكر للذاكر لقوم ولكن بُلْغَةُ للمسافر

أيخلَعُ منكم ربُّقةَ الدين عاقـــلُ ال ويَتركُ ما جاءت به الرُّسلُ من هُـدّى فيا مُحسني ظنًّا بما في «فصوصه» عليكم بدين اللَّه لا تُصبحوا غداً فليس عذابُ اللَّه عذابًا كمثل ما ولكنْ أليم مشل ما قال ربنا غدًا يعلمون الصادق القول منهما ويبدو لكم غير الذي يعدونكم ويْحكم ربُّ العرش بيَّنَ لمحمد ومَن جاء بدين مُفترًى غير دينه فلا تَخدَعَنَّ المسلمين عن الهدى ولا تؤثروا غيرَ النبيِّ على النبيِّ دَعُوا كلَّ ذي قسول لقول مُحَمَّد وأمَّا رجالاتُ «الفصوص» فإنهم إذا راح بالرِّيح المتابع أحمداً سيحكي لهم فرعون في دار خُلده ويا أيها الصوفي خَف من «فصوصه» وخُذْ بنهج سَهل والجُنيد وصالح على الشرع كانوا ليس فيهم لوحدة رجالٌ رأوا ما الدارُ دارُ إقامة

فأحيوا لياليهم صلاة وبيتسوا مَخافَة يسوم مستطير بشرة فقد نَحلت أجسادُهم وأذابها أولئك أهلُ الله فالزم طريقهم

بها خوف ربِّ العرشِ صومَ البواكرِ عَبوسِ المُحيَّا قمطريرِ المظاهِرِ قيامُ لياليهم وصومُ الهواجرِ وعُدْ عن دواهي الابتداعِ الكوافرِ(')

* كلامُ ابنِ عربي في الأخذ عن اللَّه مباشرةً بدون وساطة النبي عَلَيْكَ :

□ قال العلاّمة المُقْبَليُّ ـ رحمه اللَّه ـ في «العكم الشامخ» (٥٥٧) ما نصه: «ومن نصوصهم على الأخذ عن اللَّه بجميع الشريعة بدون واسطة النبي: قولُ ابن عربي في «الفصوص» قال: «دقيقةٌ لا يعلمها إلاَّ أمثالُنا، وذلك في أخذ ما يَحكُمون به مما شُرع للرسول عَلَيْهُ، فالخليفةُ عن الرسول يَلِيُّهُ، فالخليفةُ عن الرسول يَلِيُّهُ، فالخليفةُ عن الرسول يَلِيُّهُ، وبالاجتهاد الذي أصلُه أيضًا منقولٌ عنه عَلَيْه، وبالاجتهاد الذي أصلُه أيضًا منقولٌ عنه عَلَيْه، وفينا مَن يأخذُ الحُكم، يأخذُ الحُكم، فيكونُ خليفةً عن اللَّه بعين ذلك الحُكم، فتكونُ المادةُ له من حيثُ كانت المادةُ لرسول عَلَيْهُ، فهو في الظاهر متبعٌ لعدم مخالفته في الحُكم، كعيسي عَلَيْهُ إذا نزل فيَحكمُ كالنبي عَلَيْهُ في قوله تعالى: هُولُئكُ اللَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبهُدَاهُمُ اقْتَدِهُ قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُو إِلاً فَرُكُونَى للْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٩٠]».

□ إلى أن قال هذا المارق الزنديق: «وكذلك أُخذُ الخليفة عن اللّه غيرُ
 ما أُخذه منه الرسولُ، فنقول فيه بلسانِ الكشف: «خليفة اللّه»، وبلسان

⁽۱) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي (۲/ ۱۹۲) ـ نشر محمد سرور الصبان ـ مكة المكرمة، و«كتاب ابن عربي الصوفي في ميزان البحث والتحقيق» لعبد القادر بن حبيب الله السندي (ص۸۶-۸۲) ـ نشر دار البخاري ـ بريدة .

الظاهر: «خليفة رسول اللَّه عَلَيْهِ»، ولهذا مات رسولُ اللَّه عَلَيْهِ وما نصَّ بخلافة عنه إلى أحد، ولا عَيَّنه لعلمه أنَّ في أُمتِهِ مَن يأخذُ الخلافة عن ربَّه فيكونُ خليفة عن اللَّه مع الموافقة بالحُكم المشروع، فلما عَلِم ذلك عَلَيْهِ لَم يُحجِّرِ الأمر، فللَّه خلفاء في أرضه يأخذون عن معدنِ الرسول عَيَلِيَهِ ». . »اه.

وَلَا نَدُو وَمُنِ فَالَ العلامة عبدالقادر بن حبيب السنّدي: «قلت: هذا نص كلام ابن عربي نقله عن «فصوصه»، وكلامه هذا واضح ومبين في الإلحاد والزندقة والكفر بجميع معانيه الظاهرة والباطنة، وكما أنه صرّح أن الخليفة يأخذُ عن اللّه غير ما أخذه منه الرسول على الله وهذا يُبيّنُ ويوضّحُ ما عندهم من الكفر والإلحاد، ثم ينسبونه إلى اللّه تعالى ظُلمًا وعدوانًا وبهتانًا، وإلى هذا يشير قول ربنا جل وعلا في عدّة سُورٍ قرآنية، ومنها قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مَمّنِ افْتَرَى عَلَى اللّه كَذبًا أَوْ قَالَ أُوحِي إِلَيْ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأَنزِلُ مثلَ مَا أَنزلَ اللّه كَذبًا أَوْ قَالَ أُوحِي إِلَيْ وَلَمْ غَمَرات الْمَوْت وَالْمَلائِكة بَاسطُوا أَيْديهم أُخْرِجُوا أَنفُسَكُم الْيَوْمَ تُجْزُونَ عَمَرات الْهُون بِمَا كُنتُم تَقُولُونَ عَلَى اللّه غَيْرَ الْحَقّ وَكُنتُم عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُرُونَ عَلَى اللّه غَيْرَ الْحَقّ وَكُنتُم عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُرُونَ عَلَى اللّه عَيْرَ الْحَقّ وَكُنتُم عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُرُونَ ﴾ عَذَابَ الله وَلَوْ تَرَى الْمَوْت وَالْمَلائِكَة بَاسطُوا أَيْديهم أَخْرِجُوا أَنفُسَكُم الْيُومَ تَحْرُونَ ﴾ عَذَابَ الله عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُرُونَ اللّه عَيْرَ الْحَقّ وَكُنتُم عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُرُونَ اللّه وَلَوْتَ عَلَى اللّه عَيْرَ الْحَقّ وَكُنتُم عَنْ آيَاتِه تَسْتَكْبُونَ اللّه عَنْ آيَاتِه الله عَنْ آيَاتِه اللّه عَنْ آيَاتِه اللّه عَنْ آيَاتِه اللّه عَنْ آيَاتِه اللّه عَنْ آيَاتِه عَنْ آيَاتِه عَنْ آيَاتِه اللّه عَنْ آيَاتِه الله اللّه عَنْ آيَاتُه اللّه عَنْ آيَاتُه اللّه عَنْ آيَاتُه عَنْ آيَاتُه اللّه عَنْ آيَاتُه عَنْ آيَاتُه اللّه عَنْ آيَاتُه عَنْ آيَاتُه عَنْ آيَاتُه عَنْ آيَاتُهُ اللّه عَنْ آيَاتُهُ عَنْ آيَاتُهُ عَالِهُ اللّه عَنْ اللّه عَلْ اللّه عَلْ اللّه عَلْ اللّه عَنْ اللّه عَنْ اللّه عَنْ اللّه عَن

هكذا فَصَّلَ القرآن الكريم ووضَّح وبيَّن كُفْرَهم وزَندقتَهم وإلحادَهم في القول على اللَّه كذبًا وزورًا وبهتانًا بجميع الوانه وأشكالِه وأنواعه دونَ حياء ولا خجل. . واللَّه أعلم "()

⁽١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (١٣٥ ـ ١٣٦).

* تفضيل نفسه على الأنبياء:

□ ثم قال العلامة الشيخ صالح المَقْبَلي في «العَلَم الشامخ» (ص٥٥٥) في ابن عربي هذا: «ولَمَّا كُثُر تبجُّحُ ابن عربي وادعاؤه لِمَا فوق الفوق، كما يَخافُ المؤمنُ من إملاء كلامه الخَسْفَ ـ نعوذ باللَّه من الضلال ـ، ولَمَّا خاف من التشنيع ونُفْرة مَن بقي فيه رائحةٌ من الإسلام من حظ ما رَفَع اللَّه من درجات الأنبياء، قال ما معناه: «إنَّ رَفْعنَا على الأنبياء تابعٌ لرفع مَن نحنُ تَبعٌ له، ومثالُه: أن يكون للمَلك وزيرٌ فوق جميع رعيته، وهذا الوزيرُ نحنُ جَمع مقامَهم على سائر الأمراء يُستخلفُ وزراء، فإذا جاء المستخلفون ورَفَع مقامَهم على سائر الأمراء وأدخلهم حَضْرَته ـ والأمراء خارج الحضرة ـ كان ذلك مناسبًا».

وهذا المثالُ إنما قُرِّر لرِفعة أصحابه على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، على أنهم متحجبون بذلك لفظًا ومعنى اله (١) .

* قولُ ابنِ عربي في الولايةِ والنبوة:

□ ثم قال العلاّمة المَقْبَلي في «العَلَم الشامخ» (ص٥٥٥) ـ مشيراً إلى أن عربي كان يُفضِّلُ الولاية على النبوة ـ: «إذ قال ـ عاملَه اللَّه تعالىٰ بما يستحقه، كما نُقل عنه من «فصوصه» في «الكلمة العزيزية» ـ: واعلمْ أن الولاية هي الفلكُ المُحيطُ العامُّ، ولهذا لم تنقطع، ولها الإنباءُ العام، وأما نبوةُ التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد ﷺ قد انقطعت، فلا نبيّ بعدَه ـ يعني مشرِّعًا ـ، أو مشرِّعًا له، ولا رسولَ وهو المشرِّع» . . إلى قوله: «واللَّهُ لم يَتَسَمَّ بنبيًّ، ولا رسول، وتسمَّى بالولي» . . إلى قوله: «إلاَّ أن اللَّه لم يَتَسَمَّ بنبيًّ، ولا رسول، وتسمَّى بالولي» . . إلى قوله: «إلاَّ أن اللَّه

⁽١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (١٣٤).

لطيف بعباده، فأبقى لهم النبوة العامة التي لا تشريع فيها. . »، إلى سائر ما ذكره من هذا النمط من الحط على الأنبياء، حتى في الكتاب المذكور: «أنه لا شيء لهم - أي: الأنبياء - من النظر، بل عقولُهم ساذجة»، قال: «يدلُّك على سذاجتها قول عُزير: ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ليس لهم إلاَّ ما يتلقَّونه من المَلك ثم يُلقُونه »(١) . . » اهد.

□ قال عبدالقادر السندي: «قلت: هذا الكفرُ الصريح لم يصدُرْ عن أحد من الفرق الكفرية الضّالَة مثلُه إلا هذا الزنديق المارق، كما ترى قولَه واضحًا جليًّا ـ الذي نقله العكلَّمة المَقْبَليُّ من «فصوصه» ـ بهذه الجُرأة الكافرة الفاجرة التي اتَّسم بها في تفضيله الولاية التي في نظره ونظر أتباعه ـ أهل الزيغ والفساد ـ بذلك الدليل الباطل الذي ساقه في تفضيل الولاية على النبوة، ثم طَعنه في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام بقوله: « إن عقولَهم ساذجة».

ربًّا يَقصِدُ ابنُ عربي من كلمتِه الخبيثة مشيرًا إلى الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام - والتي نَقَلَها عن «فصوصه» الكفريِّ والإلحادي العلامةُ المَقْبَليُّ في «العَلَم الشامخ»: «لا شيء لهم من النظرِ، بل عقولُهم

⁽۱) لعن اللَّه من يقول: إن عقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والرسل ساذجة ، بل إنهم أرفع وأعظم منزلة وأسمى مكانة أعطاهم اللَّه تعالى إياهم ، وقد اختارهم واصطفاهم ربهم جل وعلا على حمل هذه الأمانة المقدسة التي أدَّوها بالوفاء والتمام والشمول لما علم منهم جل وعلا بعلم أزلي أبدي صفاء العقول والضمائر ونقاء قريحتهم الفطرية ، لم يسبق أحد إليها قبلهم ولا بعدهم ، مع تفضيله إياهم على سائر الكائنات ، وابن عربي هو القائل: «وخُضْنا بحراً وقف الأنبياء بساحله . . » .

ساذجة، فقال: يدلُّ على سذاجتها قولُ عُزير . . "إلخ .

وقد قَصَد منها بأن عقولَ الأنبياء فارغةٌ وخاليةٌ من أيِّ فقه أو رُشدٍ أو عقلٍ أو إدراكٍ وغيرِ ذلك، وهذا هو الكفرُ الصريحُ، والإلحادُ الظاهرُ، والزندقةُ العلمانية اللادينية التي اتصف بها هذا الرجل.

□ فأقول لهؤلاء الذين قد يتمسكون باستدلاله هذا على ما ذهب إليه من الباطل والفساد والتحريف والتبديل والتغيير لمعاني الكتاب الكريم ـ كما نُقل سابقًا من قول العَلاَّمة المِزِّي وغيره من أئمة السنة والحديث والتفسير في هذا التحريف الخطير ـ:

لقد استَعمل ربُّنا ـ عز وجل ـ في كتابه الكريم «الولي» بمعنيين:

١ - الولي: هو الذي يتولَّى اللَّه سبحانه وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه التي جاءت على لسان نبيه محمد على كتابًا وسُنة، وقد وَضَّح القرآنُ الكريم في عدَّة آياته وسُوره هذا المعنى، ومنها قوله تعالى في سورة «البقرة» إذا قال ـ جل وعلا ـ: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا وُهُمُ الطَّاعُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى النُّورِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْليَا وُهُمُ الطَّاعُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى النُّورِ إلى النُّورِ إلى النَّورِ إلى النَّورِ إلى النَّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْليَا وُهُمُ الطَّاعُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إلى الظَّلُمَاتِ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فَيهَا خَالِدُونَ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، فهذه الآية الكريمة جَمَعت المعنيين للولي الذي زَعَمه ابنُ عربي بأن اللَّه تسمَّىٰ به ـ أي: الكريمة جَمَعت المعنيين للولي الأمرَ واضح جَلِيٌّ لا يَخفَى على أحد إلاَّ مَن بالولي وحده ـ، ومع أن هذا الأمرَ واضح جَلِيٌّ لا يَخفَى على أحد إلاَّ مَن

كان جاهلاً بعيداً عن العلم، أو كان زنديقاً ملحداً معانداً ومكابراً، فاللّه تعالى قال في هذه الآية: بأنه «ولي للذين آمنوا» سواء كانوا أنبياء أو رسلاً، أو كانوا صالحين أو صديقين أو شهداء، وحسن أولئك رفيقاً، ثم تُنّى اللّه تعالى في هذه الآية الكريمة، إذ قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطّاغُوتُ ﴾، فالكافر وليه الطاغوت ـ وهو الشيطان.

* ومن هنا عرفنا تمامًا بأنَّ الوليَّ يُستعمل في المعنيين معًا: "وليُّ للَه تعالى"، و"ولي للشيطان"، وهكذا الولايةُ التي زعمها ابنُ عربي، وهي ولايةُ الشيطان لمن تمسَّك بالشيطان خُلقًا وعقيدةً وكفرًا وشركًا وانحرافًا وإلحادًا وزندقة وغير ذلك من المعاني السيئة -، وأصرحُ من هذه الآية الكريمة ما قاله - جلا وعلا - في سورة "الجائية" إذ قال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَة مِّنَ الأَمْرِ فَاتَبَعْهَا وَلا تَتَبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴿ آلُهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ عَنكَ مِنَ اللَّه شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

[الجاثية: ١٨ - ١٩].

* وقد سَبَق أن قال ـ جلا وعلا ـ في سورة النساء : ﴿ إِنَّ اللَّهُ لَا يَغْفُرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لَمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً عَيْثُ إِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَاناً مَّرِيداً ﴿ اللَّهُ لَعَنهُ اللَّهُ وَقَالَ لَا تَّخذَنَ مَنْ عَبَادكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴿ اللَّهُ وَمَن يَتَّخذَنَ مَنْ عَبَادكَ نَصِيباً مَّفْرُوضاً ﴿ اللَّهُ وَمَن يَتَّخذَ الشَّيْطَانَ وَلاَّمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخذ الشَّيْطَانَ وَلاَّمُرَنَّهُمْ وَلاَّمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخذ الشَّيْطَانَ وَليًا مِن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٦ ـ ١١٩]، والشاهد في هذه الآيات الكريات الكريات وهو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِن دُونِ

الله. ﴾ الآية.

وهنا في هذه الآية الأخيرة قد نَسَب اللَّه تعالى الولاية للشيطان اللعين فابنُ عربيٍّ قد اتخذ الشيطان وليًّا دونَ أن يشعر به أو يُحِسَّ، وقد فَقَد عقلَه ورُشدَه وبصيرته في هذا التحريف أو المغالطة كما ترى واضحًا جليًّا.

* وهكذا وَضَّح القرآن الكريم هذا المعنى على لسان نبيه وخليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما في سورة «مريم»، إذ قال ـ جلا وعلا ـ: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [ميم: ٤٥].

فكلُّ من يخالفُ طريقَ الحقِّ والصواب والرشد وهي طريق سائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إلى دعوتهم إلى توحيد اللَّه تعالى الذي خالفه هؤلاء الزنادقة .، فسمَّاه اللَّه تعالى وليًّا للشيطان اللعين أو الطاغوت، فسمَّى الشيطانَ وليًّا أيضًا لأولئك الذين يتبعونه في غيه وضلاله وكفره وإلحاده بَجَميع معانيه الظاهرة والباطنة، فلم يَبْقَ أيُّ إشكال أثاره ابن عربي كما نقل عن «فصوصه» ـ الخبيث ـ العلامةُ الشيخُ صالح المَقْبَلي اليماني في «العَلَم الشامخ» كما مضى نقله وبيانه . واللَّه أعلم»(۱) .

* عودةٌ إلى كلام المَقْبَليّ في ابن عربي:

□ ثم قال العلامة المَقْبَليُّ في ابن عربي هذا في «العلم الشامخ» (ص٥٥٥): «وعلى الجُملة، فقد رَفع أعداء الأنبياء عليهم السلام، لتصويبه السامريَّ، وتخطئة هارون ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكذلك قومُ

⁽۱) «كتاب ابن عربي» (ص١٣٦ ـ ١٣٩).

نوح وقومُ هود، وأبو جهل وأصحابه، فتتبَّعُ كتابَه تعلمُ ما قلنا ـ إن كنت من المسلمين ـ.

ال وقد حَطَّ في أول الكتاب على الملائكة أشدَّ الحط، ثم دار كلامُه إلى رَفع أهل نحلته، ثم رَفع نفسه بأنه «الختامُ الذي لا يستضيءُ الأنبياءُ والأولياءُ إلاَّ من مشكاته، وما بقي إلاَّ اللَّهُ سبحانه وتعالى بعد، فأخذ ينازعُه في مُلكه»، فأدَّعى أنه فَوَّضه في العالمين، ثم في ألوهيته، فإنه تقدس ليس يستقلُّ بكماله، فقال في «المقالة الإبراهيمية» كلامًا فظيعًا، ثم عَقَده بقوله:

ويَعبُدُني وَأَعبُدُهُ وفي الأحوال أَجحَدُهُ وأعرفُدهُ فأشهدهُ أساعدُه وأسعدُهُ فأعْلَمُد فأُوجدهُ وحُقِّق في مقصده فيَحمَدُني وأَحْمَدُه ففي حال أُقربُه ففي حال أُقربُه فيعرفُنسي وأُنكِرهُ فأنَّسى بالغنَسى وأنا لذاك الحق أوجَدني بذا جاء الحديث لنا

□ وانظر قوله: «فأنى بالغنى»، أي: من أين للَّه الغنى، تعالى اللَّه عما يقول الكافرون علوًا كبيرًا. اهـ.

□ قال الشيخ عبدالقادر السندي: «قلت: هذا كلامُ ابنِ عربي الزنديق، نَقَله عن «فصوصه» الكفرية العلاَّمةُ الشيخ صالح المَقْبَلي - رحمه اللَّه تعالى - في كتابه «العَلَم الشامخ» وهو ثقةٌ وفَهِمٌ وعَدْلٌ فيما ينقُلُه عن هؤلاء الملاحدة والزنادقة، وانظر بدقةٍ وتعمُّقٍ في هذا الكلام الكفري في

أبياته ونثره، وهو نص وظاهر على الكفر والإلحاد لَم يَسبق له أحدٌ من الكفار الأولين من اليهود والنصارى والمجوس عليهم لعائن اللَّه تعالى في هذا الكفر فيما علمت ، وعَلِم معي آلاف من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها . إلى أن قال العلامة المقبلي في «العكم الشامخ» (٥٥٩): وحاصل زعمه الخبيث احتياج الباري تعالى إلى المظهر ، وإنما يتعلق علمه مثلاً بمعلوم على ما المعلوم عليه في نفسه . فالحكم عليه ونحو ذلك ، وهو مصرح بهذه الجهالات متبجع بها ، وحاصلها مبارزة الله بأنه يحتاج إليه ، مصرح بهذه الجهالات متبجع بها ، وحاصلها مبارزة الله بأنه يحتاج إليه ، مع تصريحه أيضًا بأن العالم قديم ، فيكون مستغنيًا عن العالم ، إذ لا ظهور كم تصريحه أيضًا بأن العالم قديم ، فيكون مستغنيًا عن العالم ، إذ لا ظهور ولوازمها السخيفة أطول وأوسع ، وعباراته أقطع ممّا يحكي الحاكي وأشنع ، فانظرها ـ إن شئت ـ وطَهر قلبك من دُحَانها بكلمة الإسلام : أشهد وأشنع ، فانظرها ـ إن شئت ـ وطَهر قلبك من دُحَانها بكلمة الإسلام : أشهد

* كَفْرُ ابنِ عربي لِحُكمه بإيمان فرعونَ وتفضيلِه السامرِيُّ على هارونَ، وتصويبِه قولَ فرعون ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ :

□ قال ابنُ عربي في «فصوص الحكم» ـ وهو الكُفرُ ظاهرًا وباطنًا، وهو واللَّه فصوصُ الكفر ـ، قال بعد ذكرِ أخذ فرعونَ لتابوت موسى الليكالا وأنه أراد قتلَه، وأن امرأته والله فالت: ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي ولَكَ ﴾، فبه قرَّت عينُها بالكمال الذي حَصل لها كما قلنا قال: «وكان قرَّةَ عينٍ لفرعون بالإيمان الذي أعطاه اللَّهُ عند الغرق، فقبَضه طاهرًا مُطَهَّرًا، ليس فيه شيءٌ

⁽١) «كتاب ابن عربي الصوفي» (ص١٤٠).

من الخَبَث؛ لأنه قَبَضه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلامُ يَجُبُّ مَا قَبْلَه، وجَعَله آيةً على عنايته سبحانه وتعالى بَمن شاء، حتى لا ييئاس أحدٌ من رحمة اللَّه، فإنه ﴿لا يَيْأُسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ييئاس أحدٌ من رحمة اللَّه، فإنه ﴿لا يَيْأُسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧]»(١)

* وكلُّ مَن شمَّ رائحة العلم من المسلمين ـ أو غيرهم ـ يعلم كُفرَ فرعونَ بالمتواتر من كتاب اللَّه ـ عز وجل ـ ، وقول اللَّه تعالى في دعاء موسى اللَّهِ فلا يُؤْمنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ ﴾ الآية [يونس: ٨٨] مع قوله تعالى : ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعُوتَكُما ﴾ الآية [يوسف: ٨٩]، وقوله تعالى مُنكرًا على فرعون أجيبَت دَّعُوتَكُما ﴾ الآية [يوسف: ٨٩]، وقوله تعالى مُنكرًا على فرعون ﴿ آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٩١].

* وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٥] . * وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ . [يونس: ٨٣]

* وقوله ـ تعالى ـ : ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [غافر: ٤٣].

• وأمَّا السُّنَّة: فعن ابنِ عباس وَ عن النبي عَيَّالِيَّةِ قال: «قال جبريلُ: لوْ رَأَيْتَني وأنا آخِذٌ مِنْ حَمَاءِ البَحْرِ، فَأَدُسُّهُ في فِيْ فِرْعَونَ؟ مخافة أن تُدْرِكَهُ الرَّحْمَة»(٢).

⁽١) «فصوص الحكم» (ص٢٠١)، وانظر «مصرع التصوف» أو «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي» (ص١٢٧ ـ ١٢٨) لبرهان الدين البقاعي ـ تحقيق عبدالرحمن الوكيل.

⁽٢) صحيح: رواه أحمد، والحاكم عن ابن عباس، ورواه الطيالسي، والترمذي، وابن جرير والخطيب وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٣٥٣).

* فرعون عند ابن عربي ربُّ موسى وسيده:

□ قال ابنُ عربي في «فصوص الحكم»: «وهنا سرُّ كبير، فإنه ـ أي موسى الله أجاب بالفعل لمن سألوه عن الحدِّ الذاتي ـ أي: بقوله: وما ربُّ العالمين؟ ـ، فجعل الحدَّ الذاتي عينَ إضافته إلى ما ظَهَر به من صُورِ العالم، أو ما ظَهَر فيه مِن صُورِ العالم() ، فكأنه قال في جواب قوله: ﴿ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٣٢] قال: الذي تظهرُ فيه صورةُ العالمين مِن عُلوِّ ـ وهو المارض ـ ﴿ إِن كُنتُم مُوقيينَ ﴾ [الشعراء: ٢٤]»() .

□ ثم قال: «فلماً جَعَل موسى المسؤول عنه عين [صور] العالم، خاطبه فرعون بهذا السؤال والقوم لا يشعرون ون فقال له: ﴿ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَها غَيْرِي لاَ جُعَلَنَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٩]، والسين في «السّجن» من حوف الزوائد، أي: لأسترنّك، فإنك أجبت بما أيّدْتني به، أن أقول لك مثل هذا القول، فإن قلت لي: فقد جهلت يا فرعون بوعيدك إياي والعين واحدة وكيف فرّقت؟ فيقول فرعون : إنما فرّقت المراتب العين، ما تفرّقت والعين ولا انقسمت في ذاتها، ومرتبتي الآن التحكم فيك يا موسى بالفعل، وأنا أنت بالعين، وغيرك بالرّتبة»(٣).

□ ثم قال: «ولَمَّا كان فرعونُ في منصبِ التحكُّمِ صاحبَ الوقت،
 وأنه الخليفةُ بالسيف، وإن جار في العُرف الناموسيِّ، لذلك قال: ﴿أَنَا

⁽١) يفتري هذا الزنديق العربيد على موسى بأنه أجاب أن اللَّه عين كل شيء.

⁽٢) «فصوص الحكم» (ص٢٠٨).

⁽٣) نفس المصدر السابق (ص ٢٠٩).

رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] أي: وإنْ كان الكلُّ أربابًا بنسبةٍ ما، فأنا الأعلى منهم، بما أُعطيتُه في الظاهر من التحكم فيكم، ولمَّا عَلمَتِ السحرةُ صدقَه فيما قاله، لم يُنكروه، وأقرُّوا له بذلك، فقالوا له: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [طه: ٢٧] فالدولةُ لك، فصحَّ قوله: «أنا ربكم الأعلى »، وإنْ كان عينَ الحق، فالصورةُ لفرعون، فقطع الأيدي والأرجل، وصلّب بعين حق في صورة باطل.. »(١).

□ ويقول ابن عربي في تعليله لإنكار موسى على السامري : «وكان موسى يُربِّي هارون ـ عليهما السلام ـ تربية علم ـ وإنْ كان أصغر منه في السن من ولذلك لما قال له هارون ما قال، رجع السامري ، فقال له : ﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِي ﴾ [طه: ٩٥]، يعني : فيما صنعت من عُدُولِك إلى صورة العجل على الاختصاص، وصنعك هذا الشبح من حُلي القوم، حتى أخذت بقلوبهم من أجل أموالهم (٢) ، وليس للصور بقاء ، فلابد من ذهاب صورة العجل ـ لو لم يستعجل موسى بحرقه ـ ، فغلبت عليه الغيرة ، فحرقه ، من ضَمَّ من مَادَ تلك الصورة في اليم نَسْفًا ، وقال له : انظر إلى إلهك ، ثم نَسفُ رَمَادَ تلك الصورة في اليم نَسْفًا ، وقال له : انظر إلى إلهك ،

⁽۱) «فصوص الحكم» (ص۲۱).

⁽٢) «يريد هذا الزنديق بتصويب عبادة العجل، فيزعم أن السامري لم يخطئ إلا في أنه فهم أن الذات الإلهية تعيَّنت في العجل وحده، فدعا قومه إلى عبادته لهذا، على حين أن كل شيء لا العجل وحده هو اللَّه!! فلو أن السامري كان عارفًا مكمِّلاً لأمر قومه بعبادة كل شيء مع عبادة العجل!! بيْد أن السامري عند ابن عربي أعرف بالحقيقة من هارون، إذ علم وهارون جهل!! - أن العجل إله حق يجب أن يُعبد؛ لأنه مجلى إلهي!! . . » قاله الشيخ عبدالرحمن الوكيل في هامش (ص ٢٤٤) من «تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي».

فسمَّاه (۱) «إلهًا» بطريق التنبيه، للتعليم؛ لِمَا عَلم أنه بَعضُ المجالي الإلهية (۲)، ﴿ لِأُحرِقَنَّهُ ﴾ فإن حيوانية الإنسانِ لها التصرُّفُ من حيوانية الحيوان..» (۳).

□ قال الشيخ زَينُ الدين العراقي: «قوله في قول فرعون: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]: أنه صحَّ قولُه ذلك، مستدلاً عليه بأنَّ السَّحَرة صدَّقوه، كذبُ وافتراء على السحرة، فلقد كَذَبوه، وخالفوه، ودعواه كاذبة، وبها أُخذ اللَّهُ فرعونَ وأهلكه، فقال تعالىٰ حكايةً عنه: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿ آَنَ لَهُ فَرَعُونَ وأهلكه، فقال تعالىٰ حكايةً عنه: ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿ آَنَ لَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴿ يَنِ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٣-٢٥]».

□ ثم قال: «ولا شك أن من صَحَ عنه أنه قال هذا؛ واعتقده مع وجود عقله، وهو غير مُكْره، ولا مُجْبَر الإجبار المُجَوِّز للكُفر، فهو كافر، ولا يُقبل منه تأويلُها على ما أراد، ولا كرامة، كما قدمنا ذكره، وهذا ما لا نعلم فيه خلافًا بين العلماء بعلوم الشريعة المطهَّرة في مذاهب الأئمة الأربعة، وغيرهم من أهل الاجتهاد الصحيح.. واللَّه أعلم»(١٠).

□ قال ابن عربي في «فصوص الحكم» (ص١٩٢): «وكان موسى الحكم» (طالكة أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه عَلم ما عَبَده أصحاب العجل، لعِلْمه بأن الله قد قضى ألا نعبُد إلا إيًاه، وما حكم الله بشيء إلا وقع، فكان عَتْبُ

⁽١، ٢) الضمير راجع إلى عجل السامريّ.

⁽٣) «فصوص الحكم» (ص١٩٢).

⁽٤) «مصرع التصوف» (ص ١٣٤).

موسى أخاه هارون؛ لَمَّا وقع الأمرُ في إنكاره وعدم اتساعه، فإنَّ العارفَ مَن يرى الحقَّ في كلِّ شيءٍ، بل يراه عينَ كلِّ شيء».

* تكفير شيخ الإسلام العراقي لابن عربي:

□ قال الشيخ زينُ الدين العراقي: «هذا الكلامُ كُفْرٌ مِن قائله منِ وُجُوه:

أحدها: أنه نَسَب موسى الليكا إلى رضاه بعبادة قومه للعجل.

الثاني: استدلاله بقوله تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] على أنه قَدَّر أن لا يُعبَدُ إلاَّ هو، وأن عابدَ الصنم عابدٌ له.

الثالث: أن موسى الليكا عُتَبَ على أخيه هارون ـ عليهما السلام ـ إنكارَه لِمَا وقع، وهذا كذب على موسى الليكا، وتكذيب لله فيما أُخبَر به عن موسى من غَضبه لعبادتهم العجل.

الرابع: أن العارفَ يَرىٰ الحقَّ في كلِّ شيء، بل يراه عَينَ كلِّ شيء، فجَعَل العجلَ عينَ الإله المعبود.

فلْيَعْجَب السامعُ لمثلِ هذه الجُرأة التي تصدرُ ممن في قلبه مثقالُ ذرَّة من إيان»(١) .

* تحريفُ ابن عربي لآيات اللَّه:

وانظر إلى زنديق الصوفية وهو يُكذِّب صريح القرآن ويُحَرِّفه:

◘ قال ابن عربي في «فصِّ حِكمةٍ أحديةٍ في كلمةٍ هُودية»: ﴿ مَّا مِن

⁽١) «مصرع التصوف» للبقاعي (ص١٢١ ـ ١٢٢).

دَابَةً إِلاَّ هُو آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [هود: ٥٦]: «فكلُّ ماشٍ [فعلى] صراط الربِّ المستقيم، فهم غيرُ مغضوبٍ عليهم من هذا الوجه، ولا ضالُون، فكما كان الضلالُ عارضًا، فكذلك الغضبُ الإلهي عارضٌ، والمآلُ إلى الرحمةِ التي وسعت كل شيء (١).

□ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «وابنُ عربي يُكذِّب بها البهتانُ قولَه سبحانه: ﴿ اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ صَرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ قُولَه سبحانه: ﴿ اهْدِنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ صَرَاطَ اللّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِينَ ﴾ وغيرَها من الآيات، فالقرآنُ يقرِّر أن غيرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِينَ ﴾ وغيرَها من الآيات، فالقرآنُ يقرِّر أن الناسَ بالنسبة إلى الحقِّ ثلاثةُ أقسام:

قومٌ عَرَفوا الحقُّ وآمنوا به، وهم الذين وَصَفهم اللَّهُ بأنهم على صراطٍ مستقيم.

وقومٌ عرفوا الحقّ وأعرضوا عنه كُفْرًا وجحودًا، وهم المغضوبُ عليهم (٢).

وقومٌ لم يحاولوا معرفة الحقِّ فلم يهتدوا، وهم الضالُّون(٣).

وقد خَصَّ اللَّهُ الفريقَ الأول برضاه ورحمتِه، والآخَرينِ بغضبه ولعنته، ولكنَّ ابنَ عربي يجعلُ الجميعَ سواءً، هادفًا من وراء ذلك إلى تقريرِ أسطورة (وحدة الأديان) التي تَزعمُ أن الأديانَ ـ سماويَّها وَوَضْعيَّها ـ واحدٌ، وأن الحقَّ والهدى فيها جميعًا، لا يختصُّ بها دينٌ عن دين، فالشِّركُ عينُ

⁽۱) «فصوص الحكم» (ص١٠٦).

⁽٢) وهو اليهود كما جاء في حديث رسول اللَّه ﷺ.

⁽٣) وهم النصاري كما جاء في الحديث الصحيح.

التوحيد، والمجوسية عين الإسلام، فعابدُ العجلِ عندَهم كعابدِ الله، يقول لك الصوفية (١): كنْ مشركًا، كنْ بوذيًا، كن يهوديًا، فأنت على صراط مستقيم».

□ وانظر إلى تحريف هذا الزنديق الفاحش لكلام اللّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴿ حَتَمَ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ اللّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢-٧].

□ قال أبو زرعة العراقي: «سمعتُ والدي ـ رحمه اللَّه ـ غيرَ مرة يقول: سمعتُ قاضي القضاة برهان الدين بنَ جَماعة يقول: نقلتُ من خطَّ الحافظ جمال الدين المزِّي قال: نقلتُ من خطِّ ابن عربي في الكلام على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الآية: ستَروا محبَّتهم، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَمْ لَمْ تُنذرهُمْ ﴾ استوىٰ عندهم إنذارك وعدمُ إنذارك، لما جَعلنا عندهم، ﴿لا يُؤْمنُونَ ﴾ بك ولا يأخذون عنك، إنما يأخذون عنّا، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾، فلا يعقلون إلاَّ عنه، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾، فلا يسمعون إلاَّ منه، ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾، فلا يسمعون إلاَّ منه، ﴿ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهُمْ غُشَاوَةٌ ﴾ فلا يُبصرون إلاَّ منه، ولا يلتفتون إليك وإلىٰ ما عندك بما جَعلناه عندهم، والْقَيْنا إليهم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ ﴾، من العذوبة ﴿عَظِيمٌ ﴾ انتهى اله.

 ⁽١) يعني فلاسفة الصوفية كابن عربي وابن الفارض والعفيف التلمساني القائلين بوحدة
 الوجود أو الاتحاد وليس كل الصوفية .

⁽٢) هامش (ص٨٨) من «مصرع التصوف».

□ وكلام هذا الزنديق يخالفُ تفسيرَ ابنِ عباسٍ لهاتين الآيتيْن؛ إذ قال ولا الله وله الله والله والل

□ وساق ابنُ جرير بإسنادِه عن ابن عباس راه الله الله الله مكثر سورة البقرة إلى المئة منها نزل في رجالٍ سمّاهم بأعيانهم وأنسابهم من أحبارِ البهود ومن المنافقين من الأوس والخزرج»(١).

* ذُمُّ ابنِ عربيٍّ لنبي اللَّه نوح اللَّيْلاِ:

□ قال ابنُ عربي: «لو أنَّ نوحًا جمع لقومه بين الدعوتيْن لأجابوه، فدعاهم جِهارًا، ثم دعاهم إسْرارًا، ثم قال لهم: ﴿ اسْتَغْفُرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿ .. إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿ فَ فَلَمْ غَفًارًا ﴾ [نوح: ١٠]، وقال: ﴿ .. إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا ﴿ فَ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلاَّ فِرَارًا ﴾، وذكر عن قومه أنهم تصامَمُوا عن دعوته، لعلمهم عن إجابة دعوته، فعلمُ العلماء باللَّه ما أشار إليه نوحٌ اللَّهُ في حقِ قومِه من الثناء عليهم بلسانِ الذمِّرِ" ، وعَلِم أنهم إنما لَم يُجيبوا في حق قومِه من الثناء عليهم بلسانِ الذمِّرِ" ، وعَلِم أنهم إنما لَم يُجيبوا دعوته لِمَا فيها من الفرقان، والأمرُ قرآنٌ لا فرقان، ومَن أقيم في القرآنِ لا يُصغِي إلى الفرقان، وإنْ كان فيه، فإن القرآن وَّنَ يتضمَّنُ الفرقان، والفرقان، والفرقان

⁽١) كتاب «ابن عربي الصوفي» (ص٨١، ٨٢)، و «تفسير ابن جرير» (١/ ١٠٨ ـ ١١٥).

⁽٢) لعن اللَّه القائل هذا، فهو بهذا يذهب إلى ثناء نوح اللَّهِ على قومه بعبادتهم للأوثان!!. وفي هذا من الكفر باللَّه ما فيه. . فحاشا لنبي اللَّه نوح اللَّهِ أن يفعل هذا، وقاتل اللَّه ابن عربى الأفّاك الزنديق.

⁽٣) يريد ابن عربي بالقرآن: الجمع بين الحق والخلق، أي: إدراك أنهما وجهان لحقيقة =

لا يتضمَّنُ القرآن، ولهذا ما اختصَّ بالقرآن إلاَّ محمد عَلَيْكُ ، وهذه الأمةُ التي هي خير أمة أخرجت للناس، في ﴿ لَيْسَ كَمِثْلُه شَيْءٌ ﴾ يَجمعُ الأمريْن في أمر واحد، فلو أن نُوحًا أتى بمثل هذه الآية لفظًا أجابوه، فإنه شُبَّه ونَزَّه في آيةٍ واحدة، بل في نصف آية، ونوح دعا قومه «ليلاً» من حيث عقولهم، ورُوحانيَّتهم، فإنها غَيبٌ، و «نهارًا» دعاهم أيضًا من حيث ظاهرِ صُورِهم وحسِّهم، وما جمع في الدعوة مثل: ﴿ لَيْسَ كَمثْلُه شَيْءٌ ﴾ فَنَفَرت بواطُّنهم لهذا الفرقان [فزادهم] فِرارًا، ثم قال عن نفسه: إنه دعاهم ليغفر لهم، لا ليكشفَ لهم، وفهِموا ذلك منه ﷺ، لذلك ﴿ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فَى آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشُواْ ثَيَابَهُمْ ﴾، وهذه كلُّها صورةُ السِّر التي دعاهم إليها، فأجابوا دعوته بالفعل، لا بلبَّيْك، ففي ﴿ لَيْسَ كَمثْله شَيْءٌ ﴾ إثباتُ المثْل ونَفيه، وبهذا قال عن نفسه عَلَيْكُ: «إنه أوتي جوامع الكلم»، فما دعا محمدٌ قومه ليلاً ونهارًا، بل دعاهم ليلاً في نهار، ونهارًا في ليل، فقال نوحٌ في حكمته لقومه: ﴿ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مَدْرَارًا ﴾ [نوح: ١١]، وهي المعارفُ العقليَّةُ في المعاني والنظرِ الاعتباري، ﴿ وَيُمدُدْكُم بِأَمْوَالِ ﴾، أي: بما يَميلُ بكم إليه، فإذا مال بكم إليه، رأيتم صورتكم فيه، فمن تَخيَّل منكم أنه رآه فما عَرَف، ومَن عَرَف منكم أنه رأى نفسه، فهو العارف، فلهذا انقسم الناس

⁼ واحدة سُمِّيت حقًّا باعتبار باطنها، وخَلْقًا باعتبار ظاهرها.

ويريد بالفرقان: التفرقة بينهما.

ولهذا يبهت نوحًا عليه بأنه جهل حقيقة الدعوة إلى اللَّه سبحانه، أو أنه مكر بقومه في دعوته؛ إذ دعاهم إلى الإيمان بالحق مجرَّدًا عن الخلق. «قاله الشيخ عبدالرحمن الوكيل هامش (ص٤٦) من «مصرع التصوف» للبقاعي.

إلى غيرِ عالمٍ، وعالمٍ، ﴿ وَوَلَدُهُ ﴾ وهو ما أنتجه لهم نظرُهم الفكريُّ، والأمرُ موقوفٌ عِلْمُه على المشاهدة، ﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴾ لأن الدعوة إلى اللَّه تعالى مَكْرٌ بالمدعُوِّ؛ لأنه ما عُدم من البداية، فيُدعَى إلى الغاية ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّه ﴾ فهذا عين المكر»(١).

□ قال الإمام البقاعي: «فهذا، وأشكالٌ من قوله ـ كما يأتي في الفصّ اليُوسفي ـ يُدَنْدِن به على تصحيح قول الكفار: «إن القرآن سحر»، ولا يقدر على التصريح به»(٢) .

□ ثم يقولُ ابن عربي: «فقالوا(") في مكرهم: ﴿ لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدَّا وَلا سُواعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، فإنهم إذا تركوهم جَهِلوا من الحقِّ على قَدْرِ ما تركوا من هؤلاء ، فإن للحقِّ في كلِّ معبود وجهًا يعرفُه مَن عرفه ، ويجهلُه مَن جَهِله في المحمديّين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ مَن عرفه ، ويجهلُه مَن جَهِله في المحمديّين: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٣٣] ، أي: حكم (ن) ، فالعالم يعلم مَن عبد، وفي أي صورة ظَهَر حتى عبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصور المحسوسة ، وكالقوىٰ المعنويّة في الصورة الرُّوحانية ، فما عُبد غيرُ اللَّه في كلِّ معبود "(٥) .

□ وقالُ ابن عربي الزنديق في «الفصِّ النوحي» أيضًا: « ﴿ وَقَدْ أَضَلُوا كَثِيرًا ﴾ ، أيْ: حَيَّروهم في تعدادِ الواحد بالوجوه والنِّسب، ﴿ وَلا تَزِدِ

⁽١) «فصوص الحكم» (ص٧٧٢).

⁽٢) «مصرع التصوُّف» (ص٠٥).

⁽٣) يعني قوم نوح الوثنيين.

⁽٤) بل أمر ووصَّىٰ .

⁽٥) «فصوص الحكم» (ص٧٧).

الظَّالِمِينَ ﴾ (١) لأنفسهم «المصطفَيْن» الذين أُورثوا الكتاب، فهم أول الثلاثة، فقدّمه على المقتصد والسابق ﴿ إِلاَّ ضَلالاً ﴾ إلاَّ حيرة المُحَمَّدي: «زِدْني فيك تحيُّرًا» (٢) .

﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ ﴾ (٣) فهي التي خَطَت بهم، فغرقوا في بحار العلم باللَّه، وهو الحيْرة. ﴿ فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾، فكان اللَّهُ عينَ أنصارِهم، فهلكوا فيه إلى الأبد. . (١٠) .

فأيُّ زندقةٍ وإفكٍ وفجورٍ يحوي كلامُ ابن عربي!!.

◘ قال البقاعيُّ في «مصرع التصوف»: «وقال شيخُ شيوخنا الإِمامُ

(١) يقصد ويشير إلى الثلاثة الذين ذُكروا في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ اللَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عَبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [فاطر: ٣٦]، وقد سوّىٰ ابن عربي بين مفهوم «الظلم» هنا، وبين مفهوم «الظلم» في قوله: ﴿ وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالاً ﴾، يهدف بهذه التسوية إلى تقرير أن عُبَّاد الأصنام من قوم نوح من الذين اصطفاهم الله سبحانه!! ناسيًا عن عمد كفور أن الظلم في قوله سبحانه: ﴿ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ [الكهف: ٣٥] مُقيَّد، وأنه هناك مطلق، وأن الظالم لنفسه في الآية مذكور في مقام ثناء بخلاف الظالمين من قوم نوح ذُكروا في مقام الذم.

(٢) لا يصح: قال أبن تيمية في «مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٤٥): «لم يرو هذا الحديث أحدٌ من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث».

(٣) يقصد قوله تعالى عن قوم نوح: ﴿ مَمَّا خَطَيْنَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارً ﴾ [نوح: ٢٥]، ويُمجِّد الفاجر الزنديق خطايا الوثنيين من قوم نوح، ويزعم أنها خَطَت بهم إلى قدس أقداس الحقيقة، فعرفوا أنهم أرباب تُعبد آلهة، ويُفسِّر الإغراق بأنه إغراق في بحار العلم باللَّه!.

(٤) «فصوص الحكم» (ص٧٧ ـ ٧٤).

القدوة العارف شيخ الإسلام حافظُ عصره الشيخ زَينُ الدين عبدُ الرحيم بنُ الحُسين العراقي في كرَّاسةٍ أجاب فيها سؤالَ مَن سأله عن بعضِ كلام ابن عربي هذا: «وقوله في قوم نوح ﴿ لا تَذَرُنُ آلِهَتَكُمْ.. ﴾ إلى آخره، كلامُ ضلالٍ وشرك واتحاد وإلحاد، فجعَلَ تَرْكَهم لعبادة الأوثان التي نهاهم نوحٌ عن عبادتها جَهْلاً يُفَوِّت عليهم من الحقِّ بقَدْرِ ما تركوا» انتهى (١).

□ وانظر إلى تحريفه لِمُحكم الذّكر، ولصريح القرآن، قال: «ألا ترى عادًا قوم هود كيف قالوا: ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُمْطُرُنا ﴾ [الاحقاف: ٢٤]، فظنُّوا خيرًا باللّه تعالى ـ وهو عند ظنِّ عبده به ـ، فأضرب لهم الحقُّ عن هذا القول، فأخبرهم بما هو أتمُّ وأعلى في القرب، فإنه إذا أمطرهم، فذلك حظُّ الأرض، وسَقْيُ الحَبِّ، فما يَصلون إلى نتيجة ذلك المطر إلاَّ عن بُعد، فقال لهم: ﴿ بَلْ هُو مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾، فجعل الريح إشارة الى ما فيها من الراحة ؛ فإنَّ بَهذه الرّبح أراحهم من هذه الهياكل المظلمة ، والمسالك الوعرة، والسنَّدَف المدلهمة ، وفي هذه الريح عذاب، أي: أمر والمسالك الوعرة ، إلا أنه يُوجعهم لغرقة المألوف».

وهو يُكذِّبُ أصدقَ القائلين في قوله: ﴿ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِن رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ ﴾ [الاعراف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَات رَبِّهِمْ وَغَضَبٌ ﴾ [الاعراف: ٧١]، وقوله تعالى: ﴿ وَتَلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَات رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلُهُ وَاتَّبَعُوا فِي هَذَهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقَيَامَةِ أَلا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ ﴾ [هرد: ٥٥ ـ ٢٠].

⁽١) «مصرع التصوف» (ص٥٢).

* كَذَبُ ابن عربي وإفكه على رسول الله عَلَيْ :

التي جاء بها في «فصوص الحكم» إلى إذن رسول الله على الماحي لجميع الإشراك، المُخلّص لمنتبعيه من حبائل سائر الأشراك، فقد قال ابن عربي في الإشراك، المُخلّص لمنتبعيه من حبائل سائر الأشراك، فقد قال ابن عربي في خُطبة كتاب «فصوص الحكم»: «أما بعد، فإني رأيتُ رسول الله على في مُبشّرة [أريتُها في العشر الآخر من محرم سنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق] وبيده كتاب، فقال لي: هذا كتابُ «فصوص الحكم»، خُذه، واخرج به إلى الناس ينتفعوا به، فقلت: السمعُ والطاعة لله ولرسوله وأولي الأمر منا كما أمرنا، فحققتُ الأمنية، وأخلصتُ النيَّة، وجَرَّدتُ القصدُ والهمة إلى إبرازِ هذا الكتاب كما حَدَّه لي رسولُ الله على من غير زيادة ولا نقصان. فمن الله فاسمعوا. وإلى الله فارجعوا. » انتهى.

ولاشك أن النوم والرؤيا في حدِّ ذاتهما في حيِّز الممكن، لكن ما أصَّله من مذهبه الباطل ألزمه أن يكون ذلك مُحالاً، وذلك أن عنده أن وجود الكائنات هو اللَّه، فإذن الكلُّ هو اللَّه لا غير، فلا نبيَّ ولا رسول، ولا مُرسِل، ولا مُرسَل إليه، فلا خفاء في امتناع النوم على الواجب، وفي امتناع افتقار الواجب إلى أن يأمره النبيُّ بشيء في المنام، فمن هنا يُعلم أنه لا يتحاشى من التناقض لهدم الدين بنوع مما ألفه أهله. . نبَّه على ذلك الإمام علاء الدين البخاري «فاضحة الملحدين، وناصحة الموحِّدين» . . "(1)

⁽١) «مصرع التصوف» (ص٣٧).

* طُعنُ أبو زُرعَة أحمد بنِ شيخ الإِسلام العراقي في ابن عربي:

□ قال العلامة الفاسي المكي في «العقد الثمين»: «وسئل شيخنا العلاَّمة المحقِّق، الحافظ المفتي، المصنِّف أبو زرعة أحمدُ ابنُ شيخنا الحافظ العراقي الشافعي ـ أبقاه اللَّه تعالى ـ ، فقال: لا شكَّ في اشتمال «الفصوص» المشهورة على الكفر الصريح الذي لا يُشكُّ فيه، وكذلك «فتوحاته المكيَّة»، فإن صحَّ صدورُ ذلك عنه واستمر إلى وفاتِه، فهو كافر مُخلَّد في النار بلا شك»(۱) اه.

* قولُ عزِّ الدين بن عبدالسلام في ابن عربي:

□ حكى العلامة ابنُ دقيق العيد أنه سمع الشيخ عزَّ الدين ابنَ عبدالسلام يقول عن ابن عربي أنه: «شيخُ سوءُ كذَّاب، يقول بقِدَم العالَم ولا يُحرِّمُ فَرْجًا».

□ وقال ابنُ دقيق العيد أيضًا: «سمعت الشيخ عزَّ الدين ـ وجَرَىٰ ذِكرُ ابنِ عربيًّ الطائي ـ ، فقال: هو شيخُ سوء مقبوحٌ كذَّاب»(١) اهـ .

* قول الذهبي عن ابن عربي:

التصانيف في تصوتُف الفلاسفة وأهل الوحدة، فقال أشياء مُنكرة عَدَّها طائفةٌ من العلماء مُروقًا وزندقةً».

□ ثم قال: «وكذلك من أمعن النظر في «فصوص الحِكَم» أو أمعن التأمُّلَ

⁽۱) «العقد الثمين» للفاسي (۲/ ۱۹۰).

⁽٢) كتاب «ابن عربي الصوفي» (ص١١٠).

لاح له العَجَب، فإن الذكي اذا تأمّل في تلك الأقوال والنظائر والأشباه، فهو أحدُ رجليْن: إمّا من الاتحادية في الباطن، وإمّا من المؤمنين باللّه الذين يعُدّون أن هذه النّحُلة من أكفر الكفر. نسأل اللّه العفو، وأن يكتب الإيمان في قلوبنا، وأن يُثبّتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فواللّه لأنْ يعيش مُسْلمٌ جاهلا خَلْف البقر لا يعرف من العلم شيئًا سوى سُورٍ من القرآن يُصلِّي بها الصلوات ويؤمنُ باللّه واليوم الآخر: خيرٌ له بكثيرٍ من هذا العرْفان وهذه الحقائق، ولو قرأ مئة كتاب أو عمل مئة خلوة (۱) اه.

ا وقال عنه في «سير أعلام النبلاء»: «تَزَهَد، وتفرَّد، وتعبَّد، وتعبَّد، وتوحَّد، وسافر، وتجرَّد، وأَتْهَمَ، وأَنْجَدَ، وعَملِ الخَلَوات، وعَلَق شيئًا كثيرًا في تصوُّف أهل الوحدة، ومَن أراد تواليفه فعليه بكتاب «الفصوص»، فإنْ كان لا كُفرَ فيه، فما في الدينا كُفر، نسأل اللَّه العفو والنجاة، فواغوثاه باللَّه، وقد عظَّمه جماعةٌ، وتكلَّفوا لِما صَدَر منه ببعيد الاحتمالات»(٢).

□ ثم نقل قول عزِ الدين بن عبدالسلام عنه بأنه «شيخُ سُوءٍ كذَّابٌ، يقول بقدَم العالم ولا يُحرِّمُ فَرْجًا».

□ وقال الذهبي في كتابه «تاريخ الإسلام» بعد خطِّ الحافظ سيف الدين ابن المجد علي الحريري المتصوِّف: «فكيف لو رأى الشيخُ كلامَ ابنِ عربيِّ الذي هو مَحضُ الكفرِ والزندقة، لقال: «هذا الدجَّال المنتظر»، ولكن كان ابنُ عربي منقطعًا عن الناس، إنما يجتمعُ به آحادُ الاتحادية، ولا يُصرِّح بأمرِه لكلِّ أحد، ولم تُشتَهَرْ كُتبُه إلاَّ بعد موته، ولهذا تمادَىٰ أمرُه، فلما كان

⁽١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٢٥٩ ـ ٦٦٠) ترجمة (٧٩٨٤).

⁽۲) «سير أعلام النبلاء» (۲۳/ ۲۸ ـ ۶۹) ترجمة (۳٤).

علىٰ رأس السَّبْعِمئة جَدَّد اللَّهُ لهذه الأمة دينَها بهَتْكِه وفضيحتِه، ودار بين العلماء كتابه «الفصوص»، وقد حَطَّ عليه الشيخُ القدوة الصالح إبراهيم بن معضاد الجُعْبَري فيما حَدَّثني به شيخُنا ابنُ تيمية عن التاج البارنباري أنه سمع الشيخ إبراهيم يذكر ابن عربي: كان يقولُ بقدَم العالَم، ولا يُحرِّمُ فرْجًا، وحكىٰ عنه ابنُ تيمية أنه لما اجتمع بابن عربي قال: رأيتُ شيخًا نَجِسًا يُكذِّب بكلِّ كتاب أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيٍّ أرسله اللَّه»(۱).

* رأي شيخ الإسلام البُلقِيني في ابن عربي:

□ قال الإمام البقاعي بعد نقله طائفةً مَّن كفَّروا ابن عربي: "ومنهم شيخُنا شيخُ الإسلام حافظُ عصرِه قاضي القضاة أبو الفضل ابن حجر، وشيخُه شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن رَسْلان البُلقيني، فقال في ترجمة عمر بن الفارضي في "لسان الميزان" بعد أن ذكر ترجمة الذهبي له بأنه شيخُ الاتحادية، وأنه يَنعقُ بالاتّحاد الصريح في شعره: "وقد كنتُ سألتُ شيخنا سراج الدين البُلقيني عن ابن عربي، فبادر بالجواب بأنه كافر، فسألتُه عن ابن الفارض، فقال: لا أحبُّ التّكلُّم فيه، فقلتُ: فما الفرقُ بينهما، والمَهْيعُ واحد؟! وأنشدتُه من "التائية"، فقطع عليَّ بعد إنشادِ عِدَّة بينهما، والمَهْيعُ واحد؟! وأنشدتُه من "التائية"، فقطع عليَّ بعد إنشادِ عِدَّة أبيات بقوله: هذا كُفرٌ، هذا كفر". . "(*).

* قول الحافظ ابن حجر العسقلاني فيه:

□ قال الحافظُ ابنُ حجر في «اللسان» بعد أن نَقَل قولَ الذهبي في

⁽۱) «تاريخ الإسلام»، و«مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (۲٦/٤)، و«مصرع التصوف» للبقاعي (ص١٧٨).

⁽۲) «لسان الميزان»، و «مصرع التصوف» (ص١٧٦).

«ميزان الاعتدال»: «وكان ظاهريَّ المذهب في العباداتِ، باطنيَّ النظر في الاعتقادات..».

الى أن قال: «وله مصنّفاتٌ عديدة وشعرٌ كثير، وله أصحابٌ يعتقدون فيه اعتقادًا عظيمًا مُفرِطًا يتغالون فيه، وهو عندهم نحو درجة النبوة، ولم يَصحَبُه أحدٌ إلا وتغالى فيه، ولا يَخرجُ عنه أبدًا، ولا يُفضّل عليه غيرَه، ولا يُساوي به أحدًا من أهل زمانه، وتصانيفُه لا يُفهم منها إلا القليل، وفي تصانيفه كلماتٌ ينبو السمعُ عنها، وزَعَم أصحابُه أن لها معنى باطنيًا غير الظاهر»(۱) اهد.

* دعاءٌ ومباهلة:

□ قال البقاعي بعد انتهائه من نقد «فصوص الحكم»: «هذا آخِرُ الكتاب، المباعد للصواب، المراد للشكِّ والارتياب، لَعنةُ اللَّه على معتقده، ورحمةُ اللَّه على منتقده، قدتم وللَّه الحمد ما أردتُ انتقاده منه، مُترْجمًا بسُوء السيرة وقُبح السريرة عنه، وانتهى ما وقع انتقادي عليه، وأدَّانى الجتهادي إليه: من واضح كُفره، ودقيق مكْره، وجَلِيِّ شره، أعاذنا اللَّه بحوله وقوَّته من شُكوكه، وعصممنا من زيغ طريقه، وباعدنا من سلوكه، ورأيتُ أن أختم ذلك بحكاية طالما حدَّثنا بها شيخُنا شيخُ الإسلام حافظُ العصر، قاضي القضاة، أبو الفضل شهابُ الدين أحمدُ بنُ علي بن حَجر الكناني، العسقلاني الأصل، المصري الشافعي، ثم رأيتُها منقولةً عن كتاب الحافظ تقيِّ الدين الفاسي في تكفير ابن عربي، وقد أصلَحَ شيخنا بعضها الحافظ تقيِّ الدين الفاسي في تكفير ابن عربي، وقد أصلَحَ شيخنا بعضها

⁽١) «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني (٥/ ٣١١ ـ ٣١٥).

بخطِّه، قال: كان في أيام الظاهر برقوق شخص يقال له: «ابن الأمين»، شديدُ التعصُّبِ لابن عربي صاحبِ هذا «الفصوص»، وكنتُ أنا كثيرَ البيانِ لعُواره، والإظهار لعاره وعثاره، وكان بمصر شيخ يقال له: «الشيخ صفا»، وكان مقرَّبًا عند الظاهر، فهدَّدني المذكورُ بأنه يُعرِّفه بي، ليذكر للسطان أن بمصرَ جماعةً ـ أنا منهم ـ يذكرون الصالحين بالسوء، ونحو ذلك، وكانت تلك الأيامُ شديدةَ المظالم والمصائبِ والمغارم، وكنتُ ذا مالٍ، فخفتُ عاقبتُه، وخَشيتُ غائلتَه، فقلتُ: إنَّ هنا ما هو أقربُ مما تريد، وهو أن بعضَ الْحُفَّاظ قال: إنه وقع الاستقراءُ بأنه ما تَباهَلَ اثنان على شيء، فحال الحَولُ على المُبْطِل منهما، فَهَلُمَّ، فلنتباهلْ، ليعْلَم المُحقُّ منا من المُبْطل، فتباهلتُ أنا وهو ، فقلت له: قل: اللَّهمَّ إِنْ كان ابنُ عربيٍّ على ضلال، فالْعَنِّي بلعنتك، فقاله، فقلتُ أنا: اللَّهم إن كان ابنُ عربيٍّ علىٰ هُدِّي فالعني بلعنتك... وافترقنا، وكان يسكن «الرُّوضة»، فاستضافه شخصٌ من أبناء الجُند جميلُ الصورة، ثم بدا له أن يتركّهم، فخرج في أولِ الليل، فخرجوا يُشيِّعونه فأحسَّ بشيء مَرَّ على رِجله، فقال لأصحابه: مَرَّ على رِجله شيءٌ ناعم، فانظروا ما هو؟ فنظروا فلم يجدوا شيئًا، فذهب، فما وصل إلى منزله إلاَّ وقد عَمِيَ، ولَم يُصبح إلاَّ وهو مَيتٌ، وكان ذلك في ذي القَعدة سنةَ سبع وتسعين وسُبْعمئة، وكانت المباهلةُ في رمضانَ منها، قال: وكنتُ عند وقوع المباهلة عُرَّفَتُ مَن حَضَر أَنَّ مَن كان مُبْطلاً في المباهلة لا تمضى عليه السَّنة، فكان وللَّه الحمد ذلك، واسترحتُ من شرِّه، وأمنتُ من عاقبةِ مكره»(١).

⁽۱) «مصرع التصوف» (ص١٤٩ ـ ١٥٠).

□ وقال العلاّمة الإمامُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: «محيي الدين ابنُ عربي صاحبُ «الفصوص» وغيره». ثم ذكر اسمه ونسبه، ثم قال: «طاف البلاد، وأقام بمكة مدّةً، وصَنَّف فيها كتابَه المسمَّى به «الفتوحات المكية» في نحو عشرين مُجَلَّدًا منها ما هو يُعْقَل، وما لا يُعقَل، وما يُنكرُ وما لا يُعرَف وما لا يُعرَف وما لا يُعرَف وما لا يُعرَف وما كثابُه المسمَّى به «فصوص الحكم» فيه أشياءُ كثيرةٌ ظاهرُها كفرٌ صريح»(۱) .

□ وقال ابنُ طولون (٢) في «القلائد الجوهريَّة في تاريخ الصالحية (٣) عن العلماء الذين يعتقدون ضلاله: «وفرقةٌ تعتقدُ ضلاله، وتَعُدُّه مبتدعًا اتحاديًّا كافرًا، وهم غالبُ فقهاء أبناء العرب وجميعُ المحدِّثين، وقد سَمعَتُ وعدَّهم بعضُ المتأخِّرين إلى نحو خَمْسمئة والقضاة على القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز المصري، والعلاَّمةُ شهابُ الدين أحمدُ بنُ حَمْدانَ الحرَّاني نزيلُ حلَب، وعلاَّمةُ زمانِه تقيُّ الدين ابن تيميَّة، والعلاَّمةُ كمالُ الدِّين جعفرُ الإِدْفُوي، والعلاَّمة شهابُ الدين أحمدُ بنُ يحيى بنِ أبيٍّ، والحافظُ عمادُ الدينِ بنُ كثير، ونادَرةُ زمانِه علمًا وعملاً علاءُ الدِّين محمد البخاري، وقاضي كثير، ونادَرةُ زمانِه علمًا وعملاً علاءُ الدِّين محمد البخاري، وقاضي القضاء بَدرُ الدين أبو زُرعةَ أحمد العراقي، وقاضي القضاء بَدرُ الدين محمودٌ العيني، وشيخُ الإسلام شمسُ الدين البلاطنسي، والعلاَّمة محمدُ ابنُ إمام الكاملية الصُّوفي، وحافظُ العصر شهابُ الدين أحمدُ بنُ حجر،

⁽۱) «البداية والنهاية» (۱۳/ ١٥٦).

⁽٢) المتوفئ سنة ٩٥٣هـ.

⁽T) (Y/ ATO_PTO).

والفقيهُ الأصوليُّ تقيُّ الدين بنُ الصلاح، وقاضي القضاة تقيُّ الدين بنُ دقيق العيد، وقاضي القضاة بَدرُ الدين بن جَماعة، وشيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكي»(١) اه.

□ ومِمَّن كفَّره من العلماء الشيخُ العلامة محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ ابنِ عليِّ بنِ يوسف المعروف بابن الجَزري الشافعي (٢) .

□ وممن تابعهم في الإنكار الشيخُ الإمامُ بركةُ الإسلام قُطبُ الدين ابنُ القُسْطُلاَّني، وحَذَّرَ الناسَ من تصديقه، وبيَّن في مصنَّفاته فسادَ قاعدته، وضلالَ طريقه في كتاب سماه بـ: «الارتباط»، ذكر فيه جماعةً من هؤلاء الأنماط، ومنهم قاضي القضاة قُدوةُ أهلِ التصوف إمامُ الشافعية بدرُ الدين محمد بن جَماعة قال: «وحاشا رسولَ اللَّه ﷺ أن يأذنَ في المنام فيما يُخالفُ، أو يضادُ قواعدَ الإسلام (٣٠٠)، بلُ ذلك من وساوسِ الشيطانِ ومحنته، وتلاعبه برأيه وفتنته، وأمَّا إنكارُه - يعني ابن عربي - ما ورد في الكتاب والسُّنة من الوعيد، فهو كافرٌ به عند علماء التوحيد، وكذلك قولُه في نوح وهود - عليهما السلام - قولٌ لَغوُ باطلٌ مردودٌ (١٠٠).

□ والقدوةُ العارفُ عمادُ الدين أحمدُ بنُ إبراهيم الواسطي(٥) ، وقال:

⁽١) نقلاً عن «مصرع التصوف» (ص١٥١).

⁽٢) وُلِد بدمشق سنة ٧٥١هـ، وتُوفي سنة ٨١٤هـ.

⁽٣) رد على ما زعمه ابن عربي في خطبة الفصوص أنه رأى الرسول على في النوم، وأنه قال له: هذا كتاب الفصوص خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، وعلى ما زعمه ابن الفارض من مثل هذا بالنسبة للتائية الكبرى.

⁽٤) انظر نص هذه الفتوى في «العلم الشامخ» للمقبلي (ص٤٩٤).

⁽٥) ولد سنة ٦٥٧ وتُوفي سنة ٧١١هـ.

"إنه عَلَق في ذَمِّ هذه الطائفة (١) ثلاث كراريس، الأول سماه: «البيان المفيد في الفَرق بين الإلحاد والتوحيد»، والثاني: «لوامع الاسترشاد في الفرق بين التوحيد والإلحاد»، والثالث: «أشعة النصوص في هَتَكُ أستار الفصوص».

كلُّ ذلك ليبقى المؤمنون منهم على بصيرة، يَحذَرون مِن طُرُقِهم وزَندقتِهم، وحاصل ذلك كلِّه بكلام وجيز مختصر: «أن هؤلاء جَميع ما يُبدونه من الكلام الحَسن في مصنفاتهم إنما هو ربطُ واستجلاب، فإن الدعاة إلى البدعة إنْ لم يكونوا ذوي بصيرة يستدرِجون الخَلْقَ في دَعوتهم، حتى يَحُلُّوهم عَن أديانهم لا يستجابُ لهم.

هذا ابنُ عربي، عنده في أصوله: أنه يَجعلُ المعدوماتِ أشياء ثابتةً علويها وسُفْليها قبلَ وجودها، فهي عنده ثابتةٌ في القدم، لكن ليس لها وجود، ثم أفاض الحقُ عليها من وجوده الذاتيّ، فقبل كلُ موجودٍ من وجود عين الحقّ بحسب استعداده، فظهر الكونُ بعينِ وجود الحق، فكان الظاهرُ هو الحق، فعنده: أنه لا وجود إلا للحقّ، ويستحيلُ عنده أن يكون ثمّ وجودٌ مُحدَث، كما يقولُه أهلُ الحق، فإنهم يقولون: «وجودٌ قديم، ووجودٌ حادث»، وهذا عنده، وعند أصحابه: أنه ليس بوجود حادث، وليس ثم إلا وجودُ الحق الذاتي، وهو الذي فاض على الأعيان والمكنات، وهو من حديثُ الوجود عينُ الموجدات، ومن شك أنَّ هذا اعتقاده، فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره، وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه «الفصوص»(۱) وغيره وعنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عينُ فليراجع كتابَه المُن على الأكوانِ عين فليرا عين فيره و عنده أنه لَمَّا فاض على الأكوانِ عين في المُن عين في المُن على الأكوانِ عين في المُن عين في المُن عين في المُن على الأكوانِ عين في المُن على المُن على الأكوانِ عين في المُن عين في المُن عين ألمَن عين ألمَن عين عين المُن عين عين المُن عين المُن عين عين ألمَن عين ألمَن عين ألمَن عين ألمَن عين عين المُن عين عين أل

⁽١) طائفة ابن عربي ومن دان دينه.

⁽۲) «فصوص الحكم» (ص٧٦).

وجود الحق، كان هو الظاهر فيها بحكم الوجود، وكانت هي الظاهر فيه بحكم الأسماء، فإنها كثيرة متعددة (١) ، وعنده أن الكون افتقر إلى الحق بسبب إفاضة الوجود، وأن الحق أيضًا افتقر إلى الكون لظهور أسمائه، وكل منهما يَعبدُ الآخر».

□ ومن جوابه: "وقولُه في قوم هود كفرٌ؛ لأن اللَّه تعالى أخبَر في القرآن العظيم عن عادٍ: أنهم كَفَروا بربهم، والكفارُ ليسوا على صراط مستقيم، فالقول بأنهم كانوا عليه، مكذّب ٌ لصريح القرآن، ويأثمُ مَن سَمِعه، ولَم ينكِرْه إذا كان مكلَّفًا، وإنْ رَضِيَ به كَفَر ».

* ومنهم أبو حيَّان الأندلسي:

الإمام أبو حيانَ محمدُ بنُ يوسفَ الأندلسي (") ، ذكر ذلك في تفسير سورة المائدة عند قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١٧] الآية في أوئلها: «ومن بعض اعتقاد النصارى استَنْبَطَ مَن أقرَّ " بالإسلام ظاهرًا، وانتمى إلى الصوفية: حلول اللَّه في الصور الجميلة، ومَن ذهب مِن ملاحِدتهم إلى القول بالاتّحاد والوحدة: كالحلاّج

⁽١) قال القاشاني في «شرح الفصوص»: «للذات بحسب كلِّ عين اسمٌ، وتلك الأعيانُ أيضًا أسامٍ، لكونها عينَ الذات مع التعين»، ويقول أبن عربي: «فأسماؤنا أسماء اللَّه تعالى».

⁽٢) ولد سنة ٢٥٤هـ. قال عنه الذهبي: «حجة العرب وعالم الديار المصرية»، كان من خلصاء ابن تيمية، حتى لقد امتدحه بقصيدة منها:

قام ابنُ تيمية في نصرِ شرعتنا مقام سيِّد تَيْم إذ عَصَت مُضرُ وفي مناظرة بينهما خطأ ابن تيمية سيبويه، فلم يطقها منه أبو حيان، فكان أن بَهتَه أبو حيان في تفسيره «البحر».

⁽٣) في «البحر»: تستر.

والشعوذي وابن أحلى وابن عربي المقيم بدمشق، وابن الفارض، وأتباع هؤلاء كابن سبعين، والتُستري تلميذه، وابن مطرف المقيم بمرسية، والصَّفَّار المقتول بغرناطة، وابن اللبَّاج، وأبو الحسن المقيم كان بلورقة، ومن رأيناه يَرمي بهذا المذهب الملعون: العفيف التِّلمساني، وله في ذلك أشعار كثيرة، وابن عياش المالقي الأسود الأقطع المقيم كان بدمشق، وعبد الواحد بن المؤخر المقيم كان بصعيد مصر، والأيكي العجمي الذي كان تولَّى المشيخة بخانقاه سعيد السعداء بالقاهرة من ديار مصر، وأبو يعقوب بن مبشر تلميذ التستري المقيم كان بحارة زويلة، والشريف عبد العزيز المنوفي، وتلميذ عبد الغفار القوصي.

وإنما سردت هؤلاء نُصحًا لدين الله، يَعلمُ الله ذلك، وشَفقةً على ضُعفاء المسلمين، وليحذروا، فهم شرٌّ من الفلاسفة الذين يُكذِّبُون الله ورُسُله، ويقولون بقدَم العالم ويُنكرون البعث، وقد أولع جَهَلةٌ ممن ينتمي إلى التصوُّف بتعظيم هؤلاء، وادِّعائهم أنهم صَفوةُ الله وأولياؤه، والردُّ على النصاري، والحلولية والقائلين بالوحدة هو من علم أصول الدين (۱).

* ومنهم شيخُ الإسلام تقيُّ الدين السُّبكي:

□ قال العلاَّمة قاضي القضاة شيخُ الإسلام تقيُّ الدين عليُّ بنُ عبد الكافي السُّبكي الشافعي: «ومَن كان مِن هؤلاء الصوفية المتأخِّرين كابنِ عربيًّ وغيره، فهم ضُلاَّلٌ جُهَّال، خارِجون عن طريقة الإسلام، فضلاً عن العلماء».

⁽١) انظر تفسير سورة المائدة من «البحر» لأبي حيَّان.

قال ذلك في «باب الوصيَّة» من «شرح المنهاج»، ونَقَله الكمالُ الدُّمَيْري، والتقيُّ الحصني.

□ وقال الحافظ تقيُّ الدين الفاسي في كتابه فيه: «وقد أحرقتُ كتب ابنِ عربيٍّ غير مرَّةٍ».

◘ ومنهم العلاَّمة القاضي شَرفُ الدين عيسىٰ بنُ مسعود الزواوي(١) المالكي شارح «صحيح مسلم»، فقال(٢): «وأما ما تضمَّنه هذا التصنيفُ من الهذيان، والكفر والبهتان، فهو كلُّه تلبيسٌ وضَلال، وتحريفٌ وتبديل، فمن صَدَّق بذلك واعتقد صحَّته كان كافرًا ملحدًا، صادًّا عن سبيل اللَّه، مخالفًا لسُنَّة رسول اللَّه ﷺ، مُلحدًا في آيات اللَّه، مُبَدِّلاً لكلماته، فإنْ أَظْهَرَ ذَلك، وناظَرَ عليه، كان كافرًا يُستتاب، فإن تاب، وإلاَّ قُتل، وإن أَخفىٰ ذلك، وأسرَّه كان زنديقًا، فيُقتل متىٰ ظَهَر عليه، ولا تُقبل توبتُه إن تاب؛ لأن توبتُه لا تُعرف، فقد كان قبلَ أن يظهر عليه يقولُ بخلاف ما يُبطِن، فعُلم بالظهور عليه خُبثُ باطنِه، وهؤلاء قومٌ يسمُّون «الباطنية»، لَم يزالوا من قديم الزمان ضُلاًّا لا في الأمة، معروفِين بالخروج من المِلَّة، يُقتلون متى ظَهَر عليهم، ويُنفَون من الأرض، وعادتُهم التَّمَصْلح والتديُّن، وادعاءُ التحقيق، وهم على أسوإ طريق، فالحذر كلَّ الحذر منهم، فإنهم أعداءُ اللَّه، وشرٌّ من اليهودِ والنصارى؛ لأنهم قومٌ لا دينَ لهم يتَّبِعونه، ولا ربَّ

⁽۱) ولد سنة ٦٦٤هـ، وتوفي سنة ٧٤٣هـ، وانتهت إليه رئاسة الفتوى في المذهب المالكي بمصر والشام، وقد شرح «صحيح مسلم» في اثني عشر مجلَّدًا وسماه «إكمال الإكمال». (٢) انظر نص الفتوى في «العلم الشامخ» (ص٤٩٨).

يَعبُدونه، وواجبٌ على كلِّ مَن ظَهَر على أحد منهم أن يُنهِي أمره إلى ولاة المسلمين، ليحكموا فيه بحكم اللَّه تعالى، ويجبُ على مَن وَلِيَ الأمر إذا سَمع بهذا التصنيف البحثُ عنه، وجَمْعُ نُسَخِه حيثُ وَجَدها وإحراقُها، وأدَّب مَن اتُّهم بهذا المذهب، أو تسبَّب إليه، أو عُرف به، على قَدْرِ قُوَّة التهمة عليه ؟ حتى يعرفه الناسُ ويَحذروه».

◘ ومنهم الشيخ الإمامُ المحقِّق الزاهدُ القدوةُ العارفُ نورُ الدين عليُّ ابنُ يعقوب البكري الشافعي، قال: «وأما تصنيفٌ تُذكر فيه هذه الأقوال، ويكون المرادُ بها ظاهرُها، فصاحبُها ألعَنُ وأقبحُ مِن أن يُتَأُوَّل له ذلك، بل هو كاذبٌ فاجر، كافرٌ في القول والاعتقاد، ظاهرًا وباطنًا، وإن كان قائلُها لَم يُرِد ظاهرها، فهو كافرٌ بقوله، ضالٌّ بجهله، ولا يُعذَرُ في تأويله لتلك الألفاظ إلاَّ أن يكون جاهلاً بالأحكام جَهلاً تامًّا عامًّا، ولا يُعْذَرُ في جهله لمعصيته، لعدم مراجعة العلماء والتصانيف على الوجه الواجب من المعرفة في حقِّ مَن يَخوضُ في أمرِ الرُّسُل ومُتَّبعيهم، أعني معرفة الأدبِ في التعبيرات، على أنَّ في هذه الألفاظ ما يتعذَّر، أو يتعسَّرُ تأويله، بل كلُّها كذلك، وبتقديرِ التأويل على وجه يصحَّ في المراد، فهو كافرٌ بإطلاقِ اللفظ على الوجه الذي شرحناه . . وأما دلائلُ ذلك، فهي مذكورةٌ في تصانيف العلماء، وفيما ألَّفتُه أيضًا في بعض المسائل، وليست هذه الورقةُ مما تَسَعُ الكلام على أقوال هذا المصنَّف(١) لفظةً لفظة».

⁽١) يعني: «فصوص الحِكَم».

* ابن هشام النحوي:

□ ومنهم العلاَّمة جمالُ الدين عبداللَّه بن يوسف بن هشام (١) صاحبُ «المغني» وغيره من المصنفات البديعة، وكَتَب على نُسخةٍ من كتاب «الفصوص»:

هذا الذي بضلاله ضلَّت أوائلُ معْ أواخرْ مَن ظنَّ فيه غيرر ذا فلينا عني، فهو كافرْ

هذا كتاب فصوص الظُّلَم، ونَقيضُ الحِكَم، وضلالُ الأم، كتابٌ يَعجزُ الذَمُّ عن وصفه، قد اكتنفه الباطلُ من بين يديه ومن خَلفه، لقد ضَلَّ مؤلِّفُه ضلالاً بعيدًا، وخَسرِ خُسرانًا مبينًا؛ لأنه مُخالفٌ لِمَا أرسل اللَّه به رُسُلَه، وأنزل به كُتُبَه، وفَطَر عليه خَليقتَه» اهـ.

* ابنُ خلدون:

□ ومنهم العلاَّمة قاضي القضاة أبو زيد عبدُالرحمن بنُ خلدون (٢) ،
 حيث قال: «إنَّ طريقَ المتصوِّفةِ منحصرُ في طريقتيْن:

الأولى: وهي طريقة السُّنة، طريقة سلَفِهم الجارية على الكتاب والسُّنة (٣) ، والاقتداء بالسَّلف الصالح من الصحابة والتابعين.

⁽١) ولد سنة ٧٠٨هـ وتوفي سنة ٧٦١هـ، يقول عنه ابن خلدوان: «ما زلنا ـ ونحن بالمغرب ـ نسمع أنه ظهر بمصر عالم بالعربية يقال له: ابن هشام، أنحى من سيبويه».

⁽٢) ولد سنة ٧٣٢هـ وتوفي سنة ٨٠٨هـ تولى قضاء المالكية بمصر، يقول عنه المستشرق ديبور في كتابه «تاريخ الفلسفة في الإسلام»: «مفكر متزن يحارب صناعة النجوم بالأدلة العقلية، وكثيرًا ما يعارض النزعة الصوفية العقلية عند الفلاسفة بمبادئ الدين».

⁽٣) لم يُسَمَّ واحد من الصحابة و لا التابعين «صوفيًّا»، وهذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة =

والطريقة الثانية: وهي مَشُوبةُ بالبدع، وهي طريقةُ قومٍ من المتأخّرين، يجعلون الطريقةَ الأولى وسيلةً إلى كشف حِجابِ الحِسِّ؛ لأنها من نتائجها.

ومن هؤلاء المتصوِّفة: ابن عربي، وابن سبعين، وابن بَرْجان وأتباعُهم مَّن سَلَك سبيلَهم، ودانَ بنِحْلتِهم، ولهم تواليفُ كثيرةٌ يتداولونها مشحونة بصريح الكفر ومستهجن البدع، وتأويل الظاهر لذلك على أبعد الوجوه، وأقبحها مما يَستغربُ الناظرُ فيها من نسبتها إلى الملَّة، أوْ عَدِّها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حُجَّة، ولو بَلَغ المُثني ما عَسَىٰ أن يَبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسُّنَّة أبلغُ فضلاً أو شهادةً من كل أحد.

وأما حُكم هذه الكتب المتضمّنة لتلك العقائد المُضِلَّة، وما يوجَدُ من نُسخها بأيدي الناس مثل «الفصوص» و «الفتوحات المكية» لابن عربي و «البد» لابن سبعين ، و «خلع النَّعْلَيْن» لابن قسي، و «عين الرجاء» لابن برجان، وما أجدر الكثير من شعر ابن الفارض، والعفيف التلمساني، وأمثالهما أن يُلحق بهذه الكتب، وكذا شرحُ ابن الفرغاني للقصيدة «التائية» من نَظْم ابنِ الفارض، فالحكمُ في هذه الكتب وأمثالها إذهابُ أعيانها متى وُجدَت بالتحريق بالنار، والغسل بالماء، حتى يمنحي أثرُ الكتاب؛ لِما في ذلك من المصلحة العامَّة في الدين بَحْو العقائد المُختَلقه، فيتعيّنُ على ولي قائم إحراقُ هذه الكتب دَفعًا للمَفْسَدة العامَّة، ويتعيّنُ على مَن كانت عنده الأمر إحراقُ هذه الكتب دَفعًا للمَفْسَدة العامَّة، ويتعيّنُ على مَن كانت عنده

⁼ في الملة كما يقول ابن خلدون. ولكن ابن خلدون يعني هنا أولياء الرحمن كالجنيد وإبراهيم بن أدهم وسهل بن عبدالله التستري، وقد أثنى عليهم ابن تيمية وعلماء الأمة.

التمكينُ منها للإحراق»(١) .

* عزُّ الدين بنُ عبدالسلام:

المحدّثني شيخُ الإسلام العلاّمة قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ الحدّثني شيخُ الإسلام العلاَّمة قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الحسن عليُّ بنُ عبد الكافي السُّبكي، حَدَّثنا الشيخُ العلاَّمة شيخُ الشيوخ قاضي القضاة تقيُّ الدين أبو الفتح مُحمدُ بنُ عليِّ القُشيريُّ المعروف بابن دقيق العيد القائلُ في الدين أبو الفتح مُحمدُ بنَ عليٍّ القُشيريُّ المعروف بابن دقيق العيد القائلُ في آخرِ عمره: لي أربعون سنةً ما تكلَّمتُ بكلمة إلاَّ أعددتُ لها جوابًا بين يدي اللَّه تعالى، قال: سألت شيخنا سلطانَ العلماء عزَّ الدين أبا مُحمد عبدالعزيز بنَ عبدالسلام الدمشقيَّ عن ابن عربي، فقال: شيخُ سَوءٍ كذَّاب، يقولُ بقِدم العالَم، ولا يُحرِّمُ فرجًا».

□ وقال ابنُ تيمية في جوابِ السيف السعودي: «فكفَّره الفقيه أبو محمد بذلك، ولَم يكن بَعْدُ ظَهَرَ من قوله: إنَّ العالَم هو اللَّه، والعالَم صورةُ اللَّه، وهُويَّةُ اللَّه».

* شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة يَكشِفُ عَوارَ ابنِ عربي ومَن تابَعَه مِن أهلِ وِحدة الوجود:

الدين المنطق المنطق المنطق الله علماء الله علماء المنطق الدين المنطق ا

فيه: «إن آدم الليكالية إنما سُمِّي «إنسانًا» لأنه للحقِّ تعالى بمنزلة إنسان العينِ من العين، الذي يكون به النظر». وقال في موضع آخر: «إنَّ الحقَّ المنزَّه هو الخَلْقُ المُشبَّه». وقال في قوم نوح الليكالية: «إنهم لو تركوا عبادتَهم لودًّ، وسُواع، ويَغوث، ويَعُوق، ونَسر: لَجَهلوا من الحقِّ بقَدْر ما تركوا من هؤلاء»، ثم قال: «فإن للحقِّ في كلِّ معبودٍ وجهًا، يعرفُه مَن عَرفه، ويَجهله مَن جَهله، فالعالمُ يعلم مَن عَبد، وفي أيِّ صورة ظهر حتى [عُبد]، وإن التفريق والكثرة: كالأعضاء في الصورة المحسوسة».

ثم قال في قوم هود الليكانية: «بأنهم حَصَلُوا في عينِ القُرب، فزالَ البُعد، فزال مسمَّى «جهنم» في حقِّهم، ففازوا بنعيم القُرب من جهة الاستحقاق بما أعطاهم هذا المقامُ الذوقيُّ اللذيذ من جِهةِ المنَّة، فإنما أخذوه بما استحقَّتُه حقائقُهم من أعمالِهم التي كانوا عليها، وكانوا على صراط الربِّ المستقيم».

ثُم إنه أنكر فيه حُكم الوعيد، في حقّ كلّ مَن حقّت [عليه] كلمة العذاب من سائر العبيد، فهل يكفُرُ مَن يُصِدّقُه في ذلك أم لا، أو يرضى به منه أم لا؟ وهل يأثم سامِعُه إذا كان عاقلاً بالغاً ولم يُنكِرْه بلسانِه أو قلبه أم لا؟.

أفتونا بالوضوح والبيان، كما أُخذ الميثاق للتبيان، فقد أضرَّ الإهمالُ بالضعفاءِ والجُهَّال، وباللَّه المستعان، وعليه الاتكالُ أن يُعجِّل بالملحدين النَّكال؛ لصلاح الحال، وحَسْم مادة الضلال.

الله فأجاب: الحمد لله، هذه الكلماتُ المذكورة المنكورة، كلُّ كلمةٍ منها هي من الكفر، الذي لا نِزاعَ فيه بين أهلِ الملل؛ من المسلمين؛ واليهود

والنصارى؛ فضلاً عن كونِه كفرًا في شريعة الإسلام.

فإن قولَ القائل: «إن آدمَ للحقِّ تعالى بمنزلة إنسانِ العَين من العين، الذي يكونُ به النظر»: يقتضى أن آدمَ جُزءٌ من الحقِّ تعالى وتقدَّس، وبعضٌ منه، وأنه أفضلُ أجزائِه وأبعاضِه؛ وهذا هو حقيقةُ مذهبِ هؤلاء القوم، وهو معروفٌ من أقوالهم.

الكلمةُ الثانية: تُوافِقُ ذلك، وهو قوله: «إن الحقَّ المنزَّه، هو الخَلقُ المشبَّه».

ولهذا قال في تمام ذلك: «فالأمرُ الخالقُ المخلوق، والأمرُ المخلوقُ المخلوقُ المخلوقُ المخلوقُ المخلوقُ الحالق، كلُّ ذلك من عين واحدة، لا بل هو العينُ الواحدة، وهو العيونُ الكثيرة ﴿فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ ﴿ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ﴾ والولدُ عينُ أبيه، فما رأى يَذبحُ سوى نفسه ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، فظهر بصورة كبش: مَن ظهر بصورة إنسان وظَهر بصورة ؟ لا بحكم ولد مَن هو عينُ الوالد، ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، فما نكح سوى نفسه » .

وقال في موضع: «وهو الباطنُ عن كلِّ فهم، إلاَّ عن فهمٍ مَن قال: إن العالَم صورتُه وهُويته».

وقال: «ومن أسمائه الحسنى «العَلِيُّ»، على من! وما ثم إلاَّ هو، وعن ماذا! وما هو إلاَّ هو، فعُلُوَّه لنفسه، وهو من حيثُ الوجود عينُ الموجودات، فالمسمَّى مُحدَثات هي العليَّة لذاتها، وليست إلاَّ هو»، إلى أن قال: «فهو عينُ ما ظَهَر، وهو عينُ ما بَطَن في حال ِ ظُهوره، وما ثم مَن يراه غيرُه، وما ثم مَن ينطِقُ عنه سواه، فهو ظاهرٌ لنفسه باطنٌ عنه وهو المسمَّى غيرُه، وما ثم مَن ينطِقُ عنه سواه، فهو ظاهرٌ لنفسه باطنٌ عنه وهو المسمَّى



أبو سعيد الخراز ـ وغير ذلك من أسماء المُحدَثات».

إلى أن قال: «فالعَلِيُّ لنفسه: هو الذي يكونُ له الكمال، الذي يستغرقُ به جميع الأمور الوجودية، والنِّسب العدَميَّة، سواءٌ كانت محمودة عُرفًا وعقلاً وشَرعًا، وليس ذلك إلاَّ لمسمَّى عُرفًا وعقلاً وشَرعًا، وليس ذلك إلاَّ لمسمَّى اللَّه خاصة ». وقال: «ألا ترى الحق يظهرُ بصفات المُحدَثات؟ وأخبر بذلك عن نفسه، وبصفات النقص والذمِّ، ألاَ ترى المخلوق يظهرُ بصفات الحق؟! فهي من أوَّلها إلى آخرِها صفات له، كما هي صفات المُحدَثات حق للحق». وأمثالُ هذا الكلام.

فإنَّ صاحبه القونوي، والتلمساني، وابن سبعين، والششتري، وابن مثل صاحبه القونوي، والتلمساني، وابن سبعين، والششتري، وابن الفارض وأتباعهم، مذهبهم الذي هم عليه: أن الوجود واحدٌ، ويُسمّون «أهل وحدة الوجود»، ويدَّعون التحقيق والعرفان، وهم يجعلون وجود الخالق عين وجود المخلوقات، فكلُّ ما يتَّصفُ به المخلوقاتُ مِن حُسن، وقبح، ومَدح، وذَمِّ ، إنما المتَّصفُ به عندهم: عينُ الخالق، وليس للخالق عندهم وجودٌ مباين لوجود المخلوقات منفصلٌ عنها أصلاً؛ بل عندهم ما ثَمَّ عيرٌ أصلاً للخالق، ولا سواه.

ومن كلماتهم: «ليس إلا الله».. فعُبَّادُ الأصنام لَم يعبُدوا غيرَه عندهم؛ لأنه ما عندهم له غيرٌ؛ ولهذا جعلوا قولَه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاً تَعبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] بمعنى «قَدَّرَ ربُّك أنْ لا تعبدوا إلاَّ إياه»، إذ ليس عندهم غيرٌ له تُتصورَّ عبادتُه، فكلُّ عابد صنمٍ إنما عَبَدَ اللَّه.

ولهذا جَعل صاحبُ هذا الكتاب: عُبَّادَ العِجلِ مُصيبين، وذَكر أن

موسى أنكر على هارون إنكاره عليهم عبادة العجل، وقال: «كان موسى أعلم بالأمر من هارون؛ لأنه عَلم ما عبده أصحاب العجل؛ لعلمه بأن الله قد قَضَى أنْ لا يعبدوا إلا إياه، وما حكم الله بشيء إلا وقع؛ فكان عتب موسى أخاه هارون، لِما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتباعه، فإن العارف من يرى الحق في كل شيء، بل يراه عين كل شيء».

ولِهذا يجعلون فرعون من كبارِ العارفين المحقّقين، وأنه كان مُصيبًا في دعواه الربوبية، كما قال في هذا الكتاب: «ولَمَّا كان فرعونُ في مَنصِب التحكُّم صاحبَ الوقت، وأنه جارٍ في العُرفِ الناموسيِّ لذلك، قال: ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤] أي: وإنْ كان الكلُّ أربابًا بنسبة ما: فأنا الأعلى منهم؛ بما أعطيتُه في الظاهر من الحكم فيهم. ولَمَّا عَلمتُ السحرةُ صدق فرعون فيما قاله: لم يُنكروه، بل أقرُّوا له بذلك وقالوا له: ﴿ فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ ﴾ [طه: ٢٧]، فالدولةُ لك، فصح قولُ فرعون: ﴿ أَنَا رَبُكُمُ الأَعْلَىٰ ﴾، وأنه كان عين الحق»!!.

ويكفيك معرفة بكفرهم: أنَّ مِن أخف أقوالهم: "إنَّ فرعونَ مات مؤمنًا؛ بريًّا من الذنوب»، كما قال: "وكان موسى قُرَّة عَين لفرعون بالإيان، الذي أعطاه اللَّه عند الغَرَق، فَقَبضه طاهرًا مطهرًا، ليس فيه شيءٌ من الخبث؛ لأنه قَبضه عند إيانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يُجُبُّ ما قَبْله».

وقد عُلم بالاضطرار من دينِ أهلِ المِلل ـ المسلمين، واليهود، والنصارئ ـ: أن فرعون مِن أكفرِ الخَلقِ باللَّه؛ بل لَم يَقُصَّ اللَّهُ في القرآنِ قِصَّةَ كافرِ باسمه الخاصِّ، أعظم من قصة فرعون، ولا ذَكر عن أحدٍ من

الكفار مِن كُفرِه، وطُغيانه وعُلوِّه: أعظمَ مما ذَكر عن فرعون.

وأخبر عنه وعن قومه أنهم يدخُلون أشدَّ العذاب، فإن لفظ «آل فرعون» كلفظ «آل إبراهيم»، و«آل لوط»، و«آل داود»، و«آل أبي أوفى»، يدخلُ فيها المضافُ باتِّفاقِ الناس، فإذا جاؤوا إلى أعظم عدوًّ للَّه من الإنس، أو من هو من أعظم أعدائه: فجعلوه مصيبًا، محقًّا فيما كفَّره به اللَّه: عُلم أن ما قالوه أعظمُ من كفرِ اليهود والنصارئ، فكيف بسائر مقالاتهم؟.

وقد اتَّفق سَلَفُ الأمةِ وأئمَّتُها: على أن الخالقَ تعالى بائنٌ من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيءٌ من ذاته.

والسلفُ والأئمةُ كَفَّروا الجهميَّة لَمَّا قالوا: «إنه في كلِّ مكان»، وكان ما أنكروه عليهم: أنه كيف يكونُ في البطون، والحشوش، والأخلية؟ تعالى اللَّه عن ذلك . . فكيف بمن يَجعلُه نَفْسَ وجودِ البطونِ، والحشوش، والأخلية، والنجاسات، والأقذار؟! .

وكان عبدُ اللّه بنُ المبارك يقول: «إنا لَنحكي كلامَ اليهود والنصارى، ولا نستطيعُ أن نحكي كلامَ الجهميَّة»، وهؤلاء شرُّ مِن أولئك الجهميَّة؛ فإن أولئك كان غايتُهم القولُ بأن اللَّه في كلِّ مكان، وهؤلاء قولُهم: إنه وجود كلِّ مكان، ما عندهم موجودان؛ أحدُهما حالٌ والآخر مَحِل.

ولهذا قالوا: «إن آدم من الله بمنزلة إنسان العين من العين»، وقد عكم المسلمون، واليهود، والنصارئ؛ بالاضطرار من دين المرسلين: أن من قال عن أحد من البشر: «إنه جزءٌ من الله»، فإنه كافرٌ في جميع الملل، إذ

النصارىٰ لَم تَقُل هذا ـ وإن كان قولُها مِن أعظم الكفر ـ لَم يقُلْ أحدٌ: إن عينَ المخلوقات هي جزءُ الخالق، ولا أنَّ الحالقَ هو المخلوق، ولا الحقُّ المنزَّهُ هو الحَلَقُ المشبَّه .

وكذلك قولُه: «إن المشركين لو تَركوا عبادةَ الأصنام لجهلوا من الحق بقدر ما تركوا منها»: هو من الكفر المعلوم بالاضطرار من جَميع الملل، فإنَّ أهلَ الملل متَّفقون على أن الرسل جميعهم نَهوا عن عبادة الأصنام، وكفَّروا من يفعلُ ذلك، وأن المؤمن لا يكونُ مؤمنًا حتى يتبرَّ من عبادة الأصنام، وكلِّ مبعود سوى اللَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي وَكلِّ مبعود سوى اللَّه، كما قال اللَّه تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَاللَّذينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لقَوْمِهِمْ إِنَّا بُراء منكم ومماً تَعْبُدُونَ من دُونِ اللَّه كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَا وبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ والبَغْضَاء أَبَدًا حَتَىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّه وَحْدَه ﴾ كَفَرْنَا بِكُمْ وبَدَا بَيْنَا وبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ والبَغْضَاء أَبَدًا حَتَىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّه وَحْدَه ﴾

وقال الخليلُ: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿ ثَنَ النَّمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿ ثَنَ الْعَالَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٧٠-٧٧].

وقال الخليل: ﴿ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿ آَنِ ۗ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾ [الزخرف: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال الخليل ـ وهو إمامُ الحنفاءِ الذي جَعل اللَّه في ذرِّيتَه النبوةَ والكتاب، واتَّفق أهلُ المِللِ على تعظيمه لقوله: ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿ يَكُونَ ﴿ يَكُونَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا لَمُشْرِكُونَ ﴿ يَكُونَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام: ٧٨-٧٩].

وهذا أكثرُ وأظهرُ عند أهل الملل من اليهود والنصاري ـ فضلاً عن

المسلمين ـ مِن أن يَحتاج أن يُستشهد عليه بنص خاص ، فمن قال: إن عُبّاد الأصنام لو تركوهم لَجَهلوا من الحق بقد ما تركوا من هؤلاء ، فهو أكفر من اليهود والنصارى ، ومَن لَم يُكفّرهم فهو أكفر من اليهود والنصارى ؛ فإن اليهود والنصارى ؛ فإن اليهود والنصارى يُكفِّرون عُبّاد الأصنام ، فكيف مَن يَجعلُ تارك عبادة الأصنام جاهلاً من الحق بقد ما ترك منها ؟ مع قوله : «فإن العالم يَعلم مَن عَبد، وفي أي صورة ظهر حتى عَبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في عبد، وإن التفريق والكثرة كالأعضاء في الصورة المحسوسة ، وكالقُوى المعنوية في الصورة الرُّوحانية ، فما عُبد غير الله في كلِّ معبود » ، بل هو أعظمُ من كُفرِ عُبّاد الأصنام ؛ فإن أولئك الله اتخذوهم شُفعاء ووسائط ، كما قالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقرِّبُونَا إِلَى اللهِ وَلْفَيْ اللهِ وَالرَّو عَلَا اللهِ اللهِ وَالرَّو عَلَا اللهِ وَالرَّو عَلْمُ مَن كُفر عُبَّاد الأصنام ؛ فإن أولئك اللهِ وَلَا اللهِ اللهِ وَالرَّونَ اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهُ وَلَا اللهُ وَلَا اللهِ وَلَا اللهِ وَلَا

* وقال اللَّه تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَ لَوْ كَانُوا لا يَمْلُكُونَ شَيْئًا وَلا يَعْقُلُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣].

* وكانوا مُقرِّين بأن اللَّه خالقُ السماوات والأرض، وخالقُ الأصنام، كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان: ٢٥].

* وقال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾

[يوسف: ١٠٦].

□ قال ابنُ عباس وظين : «تسألُهم: مَن خَلَق السماواتِ والأرض؟ فيقولون: اللَّه.. ثم يعبدون غيره»، وكانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك لا شريك لك، إلاَّ شريك هو لك، تَملكُه وما مَلَك»، ولهذا قال تعالى:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّشَلاً مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَكُم مِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِن شُركَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فيه سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخيفَتكُمْ أَنفُسكُمْ ﴾ [الروم: ٢٨].

وهؤلاء أعظمُ كفرًا، مِن جهة أن هؤلاء جَعلوا عابدًا الأصنام عابدًا للّه لا عابدًا لغيره، وأنّ الأصنام من اللّه؛ بمنزلة أعضاء الإنسان من الإنسان، وبمنزلة قُوئ النفس من النفس؛ وعُبّادُ الأصنام اعترفوا بأنهم غيرُه، وأنها مخلوقة، ومِن جهة أن عُبّادَ الأصنام من العرب كانوا مُقرِّين بأن للسماوات والأرض ربًّا غيرهما خَلَقهما، وهؤلاء ليس عندهم للسماوات والأرض وسائر المخلوقات و ربُّ مُغايرٌ للسماوات والأرض وسائر المخلوقات، بل المخلوق هو الخالق!

ولهذا جَعل قومَ عاد ـ وغيرَهم من الكفار ـ على صراطِ مستقيم، وجَعَلهم في عَينِ القرب، وجَعَل أهلَ النار يتمتَّعون في النار، كما يتمتَّعُ أهلُ الجنة في الجنة.

وقد عُلم بالاضطرار مِن دِينِ الإسلام: أن قومَ عادٍ وثمودَ وفرعونَ وقومَه وقومَه وسائرَ مَن قَصَّ اللَّه قصَّته من الكفار - أعداءُ اللَّه، وأنهم معذَّبون في الآخرة، وأن اللَّه لَعنهم وغَضِبَ عليهم، فمن أثنى عليهم وجعَلهم من المقرَّبين ومن أهل النعيم: فهو أكفرُ من اليهودِ والنصاري، مِن هذا الوجه.

وهذه الفتوى لا تَحتملُ بَسْطَ كلام هؤلاء وبيانَ كُفرِهم وإلحادهم، فإنهم من جنسِ القرامطة الباطنية والإسماعيلية، الذين كانوا أكفر من اليهود والنصارى، وإن قولَهم يتضمَّنُ الكفر بجميع الكتب والرسل، كما قال الشيخ إبراهيمُ الجعبري، لَمَّا اجتَمَع بابن عربي عاحب هذا الكتاب فقال: «رأيتُه شيخًا نجسًا، يُكذِّبُ بكلِّ كتابٍ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيًّ فقال: «رأيتُه شيخًا نجسًا، يُكذِّبُ بكلِّ كتابٍ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيً

أرسله الله».

وقال الفقيه أبو محمد بن عبدالسلام ـ لَمَّا قَدِمَ القاهرة وسألوه عنه ـ قال: «هو شُيخُ سَوءٍ كذَّابٌ مقبوح، يقول بقدَم العالَم، ولا يُحرِّمُ فَرجًا».

فقوله: "يقول بقدَم العالَم"؛ لأن هذا قولُه، وهذا كُفرٌ معروف، فكفَرَه الفقيهُ أبو محمد بذلك، ولم يكن بعدُ ظَهَر مِن قوله: "إن العالَم هو اللَّه، وإنَّ العالَم صورةُ اللَّه وهُويَّةُ اللَّه»، فإنَّ هذا أعظمُ من كُفرِ القائلين بقدَم العالَم، الذين يُشِتون واجبَ الوجود، ويقولون: "إنه صَدَر عنه الوجودُ المُمكن".

□ وقال عنه مَن عاينه من الشيوخ: «إنه كان كذّابًا مفتريًا»، وفي كتبه - مثل «الفتوحات المكية» وأمثالها - من الأكاذيب ما لا يَخفى على لبيب، هذا وهو أقرب إلى الإسلام من ابن سبعين، ومن القونوي، والتلمساني، وأمثاله من أتباعه، فإذا كان الأقرب بهذا الكفر - الذي هو أعظمُ من كفر اليهود والنصارئ -، فكيف بالذين هم أبعد عن الإسلام؟ ولم أصف عُشْرَ ما يذكرونه من الكفر.

ولكن هؤلاء التبس أمرُهم على مَن لَم يَعرِفْ حالَهم، كما التبس أمرُ القرامطة الباطنية لَمَّا ادَّعُوا أنهم فاطميُّون، وانتسبوا إلى التشيُّع، فصار المتَّبِعون مائلين إليهم، غير عالِمِين بباطن كُفرهم.

ولهذا كان مَن مال إليهم أحدَ رجلين: إما زنديقًا منافقًا؛ وإما جاهلاً ضالاً.

وهكذا هؤلاء الاتِّحادية: فرؤوسُهم هم أئمةُ كُفرٍ يَجِبُ قَتلُهم، ولا

تُقبلُ توبةُ أحدٍ منهم - إذا أُخذ قبل التوبة -، فإنه من أعظم الزنادقة الذين يُظهرون الإسلام، ويُبطنون أعظم الكفر، وهم الذين يَفْهَمون قولَهم، ومُخالفتهم لدينِ المسلمين، ويجبُ عقوبةُ كلِّ مَن انتسَبَ إليهم، أو ذَبَّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عَظَم كُتبَهم، أو عُرِف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كَرِهَ الكلامَ فيهم، أو أَخذ يعتذرُ لهم بأن «هذا الكلامَ لا يُدرَى ما هو؟» أو: همن قال: إنه صنَّف هذا الكتاب؟»، وأمثالُ هذه المعاذير، التي لا يقولُها إلا جاهل، أو منافق؛ بل تجبُ عقوبةُ كلِّ مَن عَرَف حالَهم، ولَم يعاونْ على القيام عليهم، فإن القيامَ على هؤلاء من أعظم الواجبات؛ لأنهم أفسَدوا العقولَ والأديان على خلقٍ من المشايخ والعلماء، والملوك والأمراء، وهم العقون في الأرض فسادًا، ويصدُّون عن سبيل اللَّه.

فضررُهم في الدين أعظمُ من ضرر من يُفسِدُ على المسلمين دنياهم، ويتركُ دِينَهم كَقُطَّاعِ الطريق، وكالتتارِ الذين يأخذون منهم الأموال، ويُبقُون لهم دينهم، ولا يستهينُ بهم مَن لَم يعرفهم، فضلالُهم وإضلالُهم أعظمُ مِن أن يوصف، وهم أشبهُ الناس بالقرامطة الباطنية.

ولهذا هم يريدون دولة التتار، ويختارون انتصارَهم على المسلمين، إلاَّ مَن كان عامِّيًّا مِن شْيَعهِم وأتباعهم؛ فإنه لا يكونُ عارفًا بحقيقة أمرهم.

ولهذا يُقرُّون اليهودَ والنصارىٰ علىٰ ما هم عليه، ويَجعلونهم علىٰ حقٍّ، كما يَجعلون عُبَّادَ الأصنام علىٰ حقٍّ، وكلُّ واحدةٍ من هذه مِن أعظمِ الكفر، ومَن كان مُحسنًا للظن بهم - وادَّعىٰ أنه لَم يعرِفْ حالَهم - عُرِّف حالَهم، فإنْ لم يباينهم ويُظهر ْلهم الإنكار، وإلاَّ أُلْحِقَ بهم وجُعل منهم.

وأمًّا مَن قال: «لكلامهم تأويلٌ يوافقُ الشريعة»؛ فإنه من رؤوسهم

وأئمتهم؛ فإنه إن كان ذكيًّا فإنه يَعرِفُ كَذبَ نفسه فيما قاله، وإن كان معتقِدًا لهذا باطنًا وظاهرًا فهو أكفرُ من النصارئ، فمن لم يُكفِّر هؤلاء، وجَعل لكلامهم تأويلاً كان عن تكفيرِ النصارئ بالتثليث والاتحاد أبعد.. واللَّه أعلم»(۱).

□ ومذهب ابن عربي له أصلان:

أولهما: أن المعدومَ شيءٌ ثابتٌ في العدم.

الثاني: أن وجودَ الأعيانِ نفسُ وجودِ الحقِّ.

* بعضُ أَلفاظ ابن عربي التي تُبيِّنُ مذهبه الذي قد لا يَفهمُه أكثرُ الناس:

□ قال في «فص يوسف» ـ بعد أن جَعل العالَم بالنسبة إلى اللَّه كظلِّ الشخص، وتناقَضَ في التشبيه ـ : «فكلُّ ما تُدرِكُه فهو وجودُ الحقِّ في أعيانِ المكنات، فمن حيث هُويَّة الحقِّ هو وجوده، ومن حيث اختلاف الصُّور فيه هو أعيانُ المكنات، فكما لا يزولُ عنه باختلاف الصور اسمُ «الظل»، كذلك لا يزولُ عنه باختلاف الصور اسمُ «العالَم» أو اسمُ «سوئ الحق»، فمن حيث أحديَّة كونه ظلاً هو الحقُّ؛ لأنه الواحدُ الأحد، ومن حيث كثرة الصُّور هو العالَم، فتفطَّنُ وتحقَّقُ ما أوضحناه لك.

وإذا كان الأمرُ على ما ذكرتُه لك: فالعالَم متوَّهمٌ ما له وجودٌ حقيقي، وهذا معنى الخيال، أي: خُيِّل لك أنه أمرٌ زائدٌ قائم بنفسه، خارجٌ عن الوجود الحق، وليس كذلك في نفسِ الأمر؛ ألا تراه في الحسِّ متَّصلاً بالشخص الذي امتدَّ عنه، يستحيل عليه الانفكاكُ عن ذلك الاتصال؛ لأنه

⁽۱) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (۲/ ۱۲۱ ـ ۱۳۳).

يستحيلُ على الشيء الانفكاكُ عن ذاته، فاعرِفْ عَيْنَك ومَن أنت وما هُويتك؟ وما نسبتُك إلى الحق، وبما أنت حقٌ، وبما أنت عالَم، وسوًى، وغيرٌ؟ وما شاكلَ هذه الألفاظ».

□ وقال في أول «الفصوص» ـ بعد «فص: حكمة إلهية في كلمة آدمية»، وفص: حكمة نفسية، في كلمة شيئية» ـ: «وقد قُسم العطاءُ بأمرِ اللَّه، وإنما يكون عن سؤالٍ وعن غير سؤال ـ وذكر القِسمَ الذي لا يُسأل ـ ؟ لأن شيئًا هو هبةُ اللَّه».

□ إلى أن قال: "ومن هؤلاء من يَعلمُ أن عِلمَ اللَّه به في جميعِ أحوله: هو ما كان عليه في حالِ ثُبوتِ عينه قبل وجودها، ويَعلمُ أن الحق لا يُعطيه إلا ما أعطاه عينه من العِلم به، وهو ما كان عليه في حال ثبوته، فيَعلمُ عِلمَ اللَّه به مِن أين حصل، وما ثَمَّ صِنفٌ من أهلِ اللَّه أعلا وأكشفُ من هذا الصَّنف، فهم الواقفون على سِرِّ القدر، وهم على قسمين:

منهم مَن يعلمُ ذلك مُجمَلاً، ومنهم مَن يعلمُ ذلك مفصَّلاً.

والذي يعلمُه مفصًّلاً أعلا وأتم من الذي يَعلمُه مُجمَلاً، فإنه يَعلمُ ما تعيّن في علم اللّه فيه، إمّا بإعلام اللّه إياه بما أعطاه عَينه من العلم به، وإمّا بأن يكشف له عن عينه الثابتة، وعن انتقالات الأحوال عليها إلى ما لا يتناهى، وهو أعلا، فإنه يكونُ في علمه بنفسه بمنزلة علم اللّه به؛ لأنّ الأخذ من معدن واحد، إلا أنه من جهة العبد عناية من اللّه سَبقت له، هي من جُملة أحوال عينه، يعرفها صاحبُ هذا الكشف إذا أطلعه اللّه على ذلك - أيْ على أحوال عينه . فإنه ليس في وسع المخلوق إذا أطلعه اللّه على أحوال عينه الثابتة ـ التي تقع صورة الوجود عليها ـ أن يَطلع في هذه الحال أحوال عينه الثابتة ـ التي تقع صورة الوجود عليها ـ أن يَطلع في هذه الحال

على اطِّلاع الحقِّ على هذه الأعيانِ الثابتة في حال عَدَمِها؛ لأنها نِسَبُّ ذاتية لا صورة لها.

فبهذا القَدْر نقول: إن العناية الإلهية سَبقت لهذا العبد بهذه المساواة في إفادتها العلم، ومن هنا يقول اللَّه: «حتى نعلم» وهي كلمة محققة المعنى، ما هي كما يَتوهَّم مَن ليس له هذا المَشْرَب، وغاية المُنزِّه أن يجعل ذلك الحدوث في العلم للتعلُّق، وهو أعلا وجه يكون للمتكلِّم يعقلُه في هذه المسألة، لولا أنه أثبت العلم زائدًا على الذات، فجعل التعلُّق له لا للذات، وبهذا انفصل عن المحقِّق من أهل اللَّه صاحب الكشف والشهود.

ثم نرجع إلى الأعطيات فنقول: إن الأعطيات إما ذاتية أو أسمائية ، فأما المنتح والهبات ، والعطايا الذاتية ، فلا تكون أبدًا إلا عن تَجَلِّ إلهي ، والتجلِّي من الذات لا يكون أبدًا إلا لصورة استعداد العبد المتجلَّى له ، وغير ذلك لا يكون ، فإذن المتجلَّى له ما رأى سوى صورته في مرآة الحق ، وما رأى الحق ، ولا يمكن أن يراه مع علمه أنه ما رأى صورته إلا فيه ، كالمرآة في الشاهد ، إذا رأيت الصور فيها لا تراها مع علمك أنك ما رأيت الصور أو صورتك إلا فيها .

فأبرز اللَّهُ ذلك مثالاً نصبه لتجلِّه الذاتي، ليعلم المتجلَّى له أنه ما رآه، وما ثَمَّ مثالٌ أقربُ ولا أشبه بالرؤية والتجلِّي من هذا، واجهد في نفسك عندما ترى الصورة في المرآة أن ترى جرْمَ المرآة، لا تراه أبدًا ألبتة، حتى إن بعض مَن أدرك مثل هذا في صورة المرئيّ: ذَهَب إلى أن الصورة المرئية بين بصر الرائي وبين المرآة، هذا أعظمُ ما قَدَر عليه من العلم، والأمرُ كما قلناه وذهبنا إليه.

وقد بيّنًا هذ في «الفتوحات المكيّة»، وإذا ذُقت هذا: ذُقت الغاية التي ليس فوقها غاية في حقّ المخلوق، فلا تطمع ولا تُتعب نفسك في أنْ تَرْقَى أعلا من هذا الدَّرج، فما هو ثَمَّ أصلاً، وما بعده إلاَّ العدمُ المحض، فهو مِراتُك في رؤيتك نفسك، وأنت مراتُه في رؤيته أسماء وظهور أحكامها، وليست سوئ عَينه، فاختلط الأمرُ وانبهم، فمنا من جَهل في علمه، فقال: «والعجزُ عن دَرك الإدراك إدراك»، ومنّا من علم فلم يقل مثل هذا القول، وهو أعلا القول، بل أعطاه العلمُ السكوت ما أعطاه العجز، وهذا هو أعلا عالم بالله.

وليس هذا العِلمُ إلاَّ لخاتَم الرسل، وخاتَم الأولياء، وما يراه أحدٌ من الأولياء إلاَّ النبياء والرسل إلاَّ من مِشكاةِ الرسول الخاتم، ولا يراهُ أحدٌ من الأولياء إلاَّ من مِشكاةِ الوليِّ الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه متى رأوه إلا من مشكاةِ خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ـ أعني نبوة التشريع ورسالته ـ ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا.

فالمرسكون من حيث كونُهم أولياء: لا يَرَون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونَهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعًا في الحُكم لِمَا جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يَقدحُ في مقامه، ولا يُناقضُ مَا ذَهَبْنا إليه، فإنه مِن وجه يكون أنزلَ، كما أنه من وجه يكون أعلا.

وقد ظَهَر في ظاهرِ شرعنا: ما يؤيِّدُ ما ذَهَبْنا إليه في فَضلِ عمر: في أسارى بدرٍ بالحُكم فيهم، وفي تأبيرِ النخل؛ فما يكزمُ الكاملَ أن يكونَ له التقدَّمُ في كلِّ شيء وفي كلِّ مرتبة، وإنما نَظَرُ الرجالِ إلى التقدم في مرتبة العلم باللَّه، هنالك مَطلبُهم. . وأما حوادثُ الأكوانِ، فلا تَعَلَّقَ لخواطرهم

بها، فتحقُّقْ ما ذكرناه.

النبيُّ عَلَيْهُ النبيُّ عَلَيْهُ النبوة بالحائط من اللَّبِن وقد كَمُل سوى موضع البنة، فكان النبيُّ عَلَيْهُ تلك اللبنة، غير أنه عَلَيْهُ لا يراها ـ إلاَّ كما قال ـ لبنة واحدة.

الله وأمَّا خاتمُ الأولياء: فلابدَّ له من هذه الرؤية، فيرى ما مَثَّل به رسولُ اللَّه وَيَكِيُّهُ، فيرى في الحائط موضع لبنتين، واللَّبِن من ذَهَبٍ وفضة، فيرى اللبنتين اللتين يَنقصُ الحائطُ عنهما ويَكمُلُ بهما لَبنة ذهبٍ ولبنة فضة، فلا بد من أن يَرى نفسَه تنطبعُ في موضع تَينِكَ اللبنتين، فيكون خاتمُ الأولياء تَينكَ اللبنتين، فيكون خاتمُ الأولياء تَينكَ اللبنتين، فيكول الحائط.

والسببُ الموجبُ لكونه رآها لَبِنتين: أنه تابعٌ لشرع خاتم الرسل في الظاهر، وهو موضعُ اللبنةِ الفضة وهو ظاهره، وما يَتبعُه فيه من الأحكام كما هو آخِذٌ عن اللَّه تعالى في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة مُتَّبع فيه؛ لأنه رأى الأمرَ على ما هو عليه، فلابَّد أن يراه هكذا، وهو موضعُ اللبنةِ الذهبيةِ في الباطن، فإنه آخِذٌ من المعدنِ الذي يأخذُ منه الملك، الذي يوحِي به إلى الرسول.

فإن فهمتَ ما أشرتُ به، فقد حَصَل لك العلمُ النافع، فكلُّ نبيًّ مِن لدن آدمَ إلى آخرِ نبيًّ، ما منهم أحدُّ يأخذُ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإنْ تأخَّر وجودُ طينته، فإنه بحقيقته موجود، وهو قولُه عَيْنِهُ: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين»، وغيرُه من الأنبياء ما كان نبيًّا إلاَّ حينَ بُعث.

وكذلك خاتمُ الأولياء، كان وليًّا وآدمُ بين الماء والطين، وغيرُه مِن الأولياء ما كان وليًّا إلاَّ بعد تحصيلِه شرائطَ الولاية، مِن الأخلاق الإلهية، والاتصافِ بها من أجلِ كُونِ اللَّهِ يسمَّى بالولي الحميد.

فخاتم الرسل من حيثُ ولايتِه، نِسبتُه مع الختم للولاية مِثلُ نسبةِ الأنبياء والرسلِ معه، فإنه الوليُّ الرسولُ النبي.

□ وخاتمُ الأولياء: الوليُّ الوارث، الآخِذُ عن الأصلِ المشاهِد للمراتب، وهو حَسنةُ من حسنات خاتم الرسلِ محمد ﷺ، مقدَّم الجماعة، وسيِّد ولد آدم في فتح باب الشفاعة؛ فعيَّن بشفاعته حالاً خاصًا ما عمم؛ وفي هذه الحال الخاص تقدَّم على الأسماء الإلهية؛ فإنَّ الرحمنَ ما شَفَع عند المنتقم في أهلِ البلاء إلاَّ بعد شفاعة الشافعين، ففاز مُحمَّدٌ بالسيادة في هذه المقام الخاص.

فمن فَهم المراتب والمقامات لَم يَعسُر عليه قبولُ مثل هذا الكلام» اه. * بطلان مذهب ابن عربى:

فهذا «الفصُّ» قد ذكر فيه حقيقة مذهبه التي يبني عليها سائر كلامه، فتدبر ما فيه من الكفر الذي: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُ الأَرْضُ وَتَخِرُ الْجِبَالُ هَدًا ﴾ [مرم: ٩٠]، وما فيه من جَحد خلق اللَّه وأمره، وجُحود ربوبيته وألوهيته وشتَّمه وسبَّه، وما فيه من الإزراء برسُله، وصديقيه، والتقدُّم عليهم بالدعاوك الكاذبة، التي ليس عليها حُجَّة، بل هي معلومة الفساد بأدني عقل وإيمان وأيسر ما يُسمَعُ من كتاب وقرآن، وجَعَل الكفار والمنافقين والفراعنة هم أهلُ اللَّه وخاصَّته أهلَ الكشوف، وذلك باطلٌ من وجوه:

أحدها: أنه أثبت له عَينًا ثابتةً قبلَ وجودِه ولسائرِ الموجودات، وإن ذلك ثابتٌ له ولسائرِ أحوالِه، وكلُّ ما كان موجودًا من الأعيان والصفات

والجواهر والأعراض، فعينُه ثابتةٌ قبلَ وجوده. . وهذا ضلالٌ قد سبق إليه كما تقدم.

الثاني: أنه جَعل عِلمَ اللَّه بالعبد إنما حَصَل له مِن علمِه بتلك العينِ الثابتةِ في العَدَم التي هي حقيقة العبد، لا من نفسه المقدَّسة، وأن عِلمه بالأعيان الثابتة في العدم وأحوالِها تمنعه أن يَفعلَ غيرَ ذلك، وأنَّ هذا هو سرُّ القَدر.

فتضمَّن هذا وصفَ اللَّه تعالى بالفقر إلى الأعيان وغناها عنه، ونَفْي ما استحقَّه بنفسه من كمال علمه وقُدرته، ولزوم التجهيل والعجيز، وبعض ما في هذا الكلام مضاهاةٌ لَما ذَكره اللَّهُ عمَّن قال فيه: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّه فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنياء ﴾ [آل عمران: ١٨١] الآية، فإنه جَعَل حقائق الأعيان الثابتة في العدم غَنيَّة عن اللَّه في حقائقها وأعيانها، وجَعَل الربَّ مفتقرًا إليها في علمه بها، فما استفاد علمه بها إلاَّ منها، كما يستفيد العبد العلم بالمحسوسات من إدراكه لها، مع غنى تلك المدركات عن المدرك.

والمسلمون يعلمون أن اللَّه عالِمٌ بالأشياء قبل كونها بعلمه القديم الأزليِّ الذي هو من لوازم نفسه المقدَّسة، لَم يستفِدْ عِلْمَه بها منها: ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُو اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾، فقد دلَّت هذه الآية، على وجوب علمه بالأشياء.

الثالث: أنه زَعَم أن من الصنفِ الذي جَعَله أعلا أهلِ اللَّه مَن يكونُ في علم عنزلة علم اللَّه؛ لأن الأخذَ مِن مَعدِن واحد إذا كُشف له عن أحوال

الأعيانِ الثابتة في العدم، فيعلمُها من حيث عَلمَها اللّه، إلاّ أنه من جهة العبد عناية من الله سبقت له، هي من جُملة أحوال عينه، يعرفُها صاحب هذا الكشف إذا أطْلَعَه اللّه على ذلك، فجعل عِلمَه وعِلمَ اللّه من معدنِ واحد.

الرابع: أنه جَعل اللَّه عالِمًا بها بعد أن لَم يكن عالِمًا، واتَّبَعَ المتشابِهُ الذي هو قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ [محمد: ٣١]، وزَعَم أنها كلمة محقَّقة الذي هو قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ﴾ [محمد: ٣١]، وزَعَم أنها كلمة محقَّقة المعنى، بناءً على أصله الفاسد أن وجود العبد هو عين وجود الربِّ، فكل مخلوق علم ما لَم يكن عَلِمَه، فهو اللَّهُ عَلِم ما لَم يكن عَلِمَه.

وهذا الكفرُ ما سبقه إليه كافر، فإنَّ غاية المكذِّبِ بقَدرِ اللَّه أنْ يقول: إن اللَّهَ عَلِم ما لَم يكن عالِمًا؛ أمَّا أنه يَجعلُ كلَّ ما تجدَّد لمخلوقٍ من العلم فإنما تجدَّد للَّه، وأنَّ اللَّه لم يكنْ عالِمًا بما عَلِمه كلُّ مخلوق، حتى عَلِمَه ذلك المخلوق، فهذا لم يَفْتَرِه غيرُه.

الخامس: أنه زَعم أن التجلِّي الذاتي، بصورة استعداد المتجلِّي والمتجلَّى والمتجلَّى له، ما رأى سوى صورته في مرآة الحق، وأنه لا يمكنُ أن يَرى الحقَّ مع علمه بأنه ما رأى صورته إلاَّ فيه، وضَرَبَ المَثَلَ بالمِرآة؛ فجَعَل الحقَّ هو المرآة، والصورة في المرآة هي صورته!

وهذا تحقيقُ ما ذكرتُه من مذهبه: أنَّ وجود الأعيانِ عنده وجودُ الحق، والأعيانُ كانت ثابتةً في العدم، فظهَر فيها وجودُ الحق، فالمتجلَّىٰ له وهو العبدُ لا يرىٰ الوجودَ مجرَّدًا عن الذوات، ما يَرىٰ إلاَّ الذوات التي ظهر فيها الوجودُ، فلا سبيل له إلىٰ رؤية الوجود أبدًا، وهذا عنده هو الغايةُ التي ليس فوقها غايةٌ في حقِّ المخلوق، وما بعدَه إلاَّ العدمُ المَحضُ، فهو مرآتُك

في رؤيتك نفسك، وأنت مِرآتُه في رؤيته أسماءًه وظهور أحكامِها.

وذلك لأنَّ العبد لا يرئ نفسه - التي هي عينه - إلاَّ في وجود الحق، الذي هو وجود، والعبدُ مِراَتُه في رؤيته أسماء وظهور أحكامها؛ لأنَّ أسماء الحقِّ عنده هي النِّسَبُ والإضافات، التي بين الأعيان وبين وجود الحق؛ وأحكام الأسماء هي الأعيان الثابتة في العدم، وظهور هذه الأحكام بتجلِّي الحقِّ في الأعيان.

والأعيان التي هي حقيقة العيان: هي مرآة الحقّ، التي بها يرى أسماء و ظهور أحكامها، فإنه إذا ظَهَر في الأعيان، حَصَلت النسبة التي بين الوجود والأعيان وهي الأسماء -، وظهرت أحكامها وهي الأعيان -، ووجود هذه الأعيان هو الحق؛ فلهذا قال: «وليست سوى عينه»، فاختلط الأمر وانبهم.

فتدبر هذا من كلامه وما يناسبه؛ لتعلم ما يعتقدُه من ذات الحق وأسمائه، وأن ذات الحق عنده هي نفسُ وجود المخلوقات وأسماء هي النسب التي بين الوجود والأعيان، وأحكامها هي الأعيان، لتعلم كيف اشتمل كلامه على الجحود لله ولأسمائه ولصفاته وخلقه وأمره، وعلى الإلحاد في أسماء الله وآياته! فإن هذا الذي ذكره غاية الإلحاد في أسماء الله وآياته؛ الآيات المخلوقة والآيات المتلوقة، فإنه لم يُشت له اسمًا ولا آيةً، إذ ليس الإله وجودًا واحدًا؛ وذاك ليس هو اسمًا ولا آيةً، والأعيانُ الثابتة ليست هي أسماء ولا آياته؛ ولما أثبت شيئين فرق بينهما بالوجود والشوت وليس بينهما فرق ـ اختلط الأمرُ عليه وانبهم.

وهذا حقيقة قوله وسرُّ مذهبه؛ الذي يدَّعي أنه به أعلمُ العالَم باللَّه،

وأنه تقدَّم بذلك على الصِّدِّيق، الذي جَهِل فقال: «العجزُ عن دَركِ الإدراكِ إدراكِ الدراكُ»؛ وتقدَّم به على المرسلين، الذين ما عَلِموا ذلك إلاَّ من مِشكاته، وفيه مِن أنواع الكفر والضلال ما يطولُ عدُّها:

منها: الكفرُ بذات اللَّه، إذ ليس عنده إلاَّ وجودُ المخلوق.

ومنها: الكفر بأسماء اللّه، فإنها ليست عنده إلاّ أموراً عَدَميّة، فإذا قلنا: ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ إِنَّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، فليس الربُّ عنده إلاَّ نِسبةً إلى الثبوت.

السادس: أنه قال: «فاختلط الأمرُ وانبهم»، أو هو على أصله الفاسد مختلطٌ منبهم، وعلى أصل الهدى والإيمان متميِّزٌ متبيِّن، قد بيَّن اللَّهُ بكتابه الحقَّ من الباطل والهُدى من الضلال.

قال: «فمنا مَن جَهِل في علمه، فقال: العجزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكِ إدراكِ ، وهذا الكلامُ مشهورٌ عندهم نسبتُه إلى أبي بكر الصديق، فجعله جاهلاً، وإن كان هذا اللفظُ لَم يُحفظ عن أبي بكر، ولا هو مأثورٌ عنه في شيءٍ من النقول المعتمدة، وإنما ذكر ابن أبي الدنيا في كتاب «الشكر» نحواً من ذلك عن بعض التابعين غير مُسمَّى، وإنما يرسَلُ عنه إرسالاً من جهة مَن يكثُرُ الخطأُ في مراسيلهم.

* تفضيلُه نفسه على الرسل:

السابع: أنه قال: «ومنَّا مَن عَلِم فلم يَقُلْ مثلَ هذا، وهو أعلى القول، بل أعطاه العلم والسكوت ما أعطاه العَجْز، وهذا هو أعلا عالِم باللَّه، وليس هذا العِلمُ إلاَّ لِخاتَم الرسلِ وخاتَم الأولياء، وما يراه أحدٌ من الأولياء

والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، ولا يراه أحدٌ من الأولياء إلا من مشكاة خاتم مشكاة الله عنه المؤلياء المناتم؛ حتى إن الرسل لا يَرَونه متى رأوه، إلا من مشكاة خاتم الأولياء.

فإنَّ الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - ينقطعان، والولاية لا تنقطع أبدًا؛ فالمرسكون من كونهم أولياء : لا يَرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء ؟ وإن كان خاتم الأولياء تأبعًا في الحُكم لِمَا جاء به خاتم الرسل من التشريع، فذلك لا يقدح في مقامه، ولا يناقض ما ذهبنا إليه، فإنه من وجه يكون أَنْزَلَ، كما أنه من وجه يكون أَنْزَلَ، كما أنه من وجه يكون أعلا». . إلى قوله : «ولَمَّا مَثَّل النبيُّ عَلَيْكُ النبوة بالحائط من اللبن. . . الى قوله : «ولَمَّا مَثَّل النبي النبوة بالحائط من اللبن. . ».

ففي هذا الكلام من أنواع الإلحاد والكفر، وتنقيص الأنبياء والرسل ما لا تقولُه لا اليهودُ ولا النصارئ: وما أشبَهَه في هذا الكلام بما ذُكر في قول القائل: «فَخَرَّ عليهم السقفُ مِن تحتهم»: «إن هذا لا عقلَ ولا قرآن».

وكذلك ما ذكره هنا من أن الأنبياء والرسل تستفيد من خاتم الأولياء الذي بعد هم مخالف للعقل، فإنا المتقدم لا يستفيد من المتأخر، ومُخالف للشرع، فإنه معلوم بالاضطرار من دين الإسلام: أن الأنبياء والرسل أفضل من الأولياء، الذين ليسوا أنبياء ولا رُسلاً.

وقد يزعُمُ أنَّ هذا العِلمَ - الذي هو عنده - أعلى العلم «وهو القول بوحدة الوجود»، وأن وجود الخالق هو وجود المخلوق، وحقيقتُه تعطيلُ الصانع وجَحدُه، وهو القولُ الذي يُظهِرُه فرعون، فلم يَكْفه زعمُه أن هذا حَقَّ، حتى زعم أنه أعلا العِلم، ولَم يَكَفهِ ذلك حتى زَعَم أن الرسلَ إنما

يرَونه من مشكاةٍ خاتم الأولياء.

فجعل خاتَمَ الأولياء أعلمَ باللَّه من جميعِ الأنبياء والرسل، وجَعَلهم يَرَون العلمَ باللَّه من مِشكاته.

ثم أخذ يُبيّنُ ذلك، فقال: «فإنّ الرسالة والنبوة - أعني نبوة التشريع ورسالته - ينقطعان والولاية لا تنقطع أبدًا، فالمرسكون من كونهم أولياء لا يرون ما ذكرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف بالأولياء الذين ليسوا أنبياء ولا رُسلاً؟»، وذلك أنه لم يُمكنهم أن يَجعلوا بعد النبي على نبيًّا نبيًا ورسولاً، فإن هذا كفر ظاهر، فزعموا أنه إنّما تنقطع نبوة التشريع ورسالته، يعني وأمّا نبوة التحقيق ورسالة التحقيق - وهي الولاية عندهم - فلم تنقطع، وهذه الولاية عندهم هي أفضل من النبوة والرسالة، ولهذا قال ابن عربي في بعض كلامه:

مقام النبوَّةِ في بَرزَخٍ فُويقَ الرسولِ ودُونَ الوليِّ

□ وقال في «الفصوص» في: «كلمة عُزيريَّة»: «فإذا سمعت أحدًا من أهلِ اللَّه تعالىٰ يقولُ أو ينقُل إليك عنه، أنه قال: «الولايةُ أعلىٰ من النبوة»، فليس يريدُ ذلك القائلُ إلاَّ ما ذكرناه.

أو يقول: إن الولي فوق النبي والرسول؛ فإنه يعني بذلك في شخص واحد، وهو أن الرسول الليكا من حيث هو نبي من منه من حيث هو نبي ورسول الما التابع له أعلا منه، فإن التابع لا يُدرِكُ المتبوع أبدًا فيما هو تابع له فيه، إذ لو أدركه لَم يكن تابعًا له».

وإذا حُوققوا على ذلك قالوا: «إن وَلايةَ النبيِّ فوقَ نبوَّته، وإن نبوَّته



فوقَ رسالته؛ لأنه يأخذ بولايته عن الله».

ثم يَجعلون مثلَ ولايتِه ثابتةً لهم، ويَجعلون ولايةَ خاتم الأولياء أعظمَ من ولايته، وأن ولاية الرسول تابعةٌ لولاية خاتم الأولياء الذي ادَّعوه».

وفي هذا الكلام أنواعٌ قد بيَّناها في هذا الموضع:

منها: ما ادَّعاه من «خاتم الأولياء» الذي يكون في آخِرِ الزمان، وتفضيله وتقديم على من تقدَّم من الأولياء، وأنه يكونُ معهم كخاتم الأنبياء مع الأنبياء. وهذا ضلالٌ واضح؛ فإنَّ أفضلَ أولياءِ اللَّه من هذه الأمة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وأمثالُهم من السابقين الأوَّلين مِن المهاجرين والأنصار، كما ثبت ذلك بالنصوص المشهورة.

ثُم إنَّ «خاتم الأولياء» هذا صار مرتبةً موهومةً لا حقيقة له، وصار يدَّعيها لنفسه أو لشيخه طوائف، وقد ادَّعاها غيرُ واحد، ولَم يَدَّعها إلاَّ مَن في كلامه من الباطل ما لَم تَقُلُه اليهودُ ولا النصاري، كما ادَّعاها صاحب «الفصوص»، وتابعه صاحب «الكلام في الحروف»، وشيخ من أتباعهم كان بدمشق، وآخرُ كان يزعمُ أنه «المهديُّ» الذي يُزوِّجُ بنتَه بعيسى بن مريم، وأنه خاتمُ الأولياء، ويدَّعي هؤلاء وأمثالُهم مِن الأمور ما لا يصلحُ إلاَّ للَّه وحده، كما قد يدَّعي المُدَّعي منهم لنفسه أو لشيخه ما ادَّعته النصاري في المسيح.

ثم صاحب «الفصوص» وأمثالُه بَنُوا الأمرَ على أنَّ الوليَّ يأخذُ عن اللَّه بلا واسطة، والنبيُّ يأخذُ بواسطة اللَك؛ فلهذا صار خاتمُ الأولياء أفضلَ عندهم من هذه الجهة، وهذا باطلٌ وكذب، فإنَّ الوليَّ لا يأخذُ عن اللَّه إلاَّ

بواسطة الرسول إليه، وإذا كان مُحدَّثًا قد أُلقِيَ إليه شيءٌ: وجب عليه أن يَزِنَه بما جاء به الرسولُ من الكتاب والسُّنة.

ومِن الأنواع التي في دعواهم أن خاتم الأولياء أفضلُ من خاتم الأنبياء، من بعض الوجوه، فإن هذا لَم يَقُلُه أبو عبداللَّه الحكيمُ الترمذي، ولا غيرُه من المشايخ المعروفين، بل الرجلُ أجلُّ قَدْرًا، وأعظمُ إيمانًا، من أن يَفتري هذا الكفر الصريح، ولكن أخطأ شبرًا، ففرَّعوا على خَطئه ما صار كُفرًا.

وأعظمُ من ذلك: زَعمُهم أن الأولياءَ والرسلَ من حيثُ وَلايتِهم تابعون لخاتم الأولياء، وآخِذون من مشكاته، فهذا باطلٌ بالعقل والدين، فإنَّ المتقدِّمَ لا يأخذُ من المتأخر، والرسلُ لا يأخذون من غيرهم.

وأعظم من ذلك: أنه جَعلهم تابعين له في العلم باللَّه ـ الذي هو أشرف علومهم ـ، وأظهرُ من ذلك أنه جَعل العلمَ باللَّه هو مذهبُ أهلِ وحدة الوجود، القائلين بأن وجود المخلوق هو عينُ وجود الخالق.

فلْيتدبَّرِ المؤمنُ هذا الكفرَ القبيح درجةً بعد درجة، واستشهادَه على تفضيلِ غيرِ النبي عليه بقصَّة عمر، وتأبيرِ النخل، فهل يقولُ مسلمٌ: "إن عمر كان أفضل من النبي عليه برأيه في الأسرىٰ؟!! أو إن الفلاحين الذين يُحسِنون صناعة التأبير أفضلُ من الأنبياء في ذلك؟»!!.

ثم ما قَنع بذلك حتى قال: «فما يلزمُ الكاملَ أن يكونَ له التقدُّمُ في كلِّ علم وكلِّ مرتبة، وإنما نَظرُ الرجالِ إلى التقدُّم في مرتبة العلم باللَّه، هنالك مطلبُهم».

فقد زَعَم أنه أعلم باللَّه من خاتم الأنبياء، وأن تقدُّمَه عليه بالعلم باللَّه،

وتقدَّمَ خاتم الأنبياء عليه بالتشريع فقط؛ وهذا من أعظم الكفر الذي يقعُ فيه غاليةُ المتفلسفة، وغاليةُ المتصوِّفة، وغاليةُ المتكلِّمة، الذين يزعُمون أنهم في الأمور العلميَّة أكمل من الرسل، كالعلم باللَّه ونحو ذلك، وأن الرُّسُلَ إنما تقدَّموا عليهم بالتشريع العامِّ، الذي جُعل لصلاح الناس في دنياهم.

وقد يقولون: «إن الشرائع قوانينُ عَدْليَّةُ، وُضعت لمصلحة الدنيا»، فأمَّا المعارفُ والحقائقُ والدرجات العاليةُ في الدنيا والآخرة: فيُفضَّلون فيها أنفسَهم، وطُرُقهم على الأنبياء وطُرُق الأنبياء.

وقد عُلم بالاضطرار من دينِ المسلمين أن هذا من أعظم الكفر والضلال، وكان ذلك من سبب جَحد حقائقِ ما أخبرت به الرسل، مِن أمرِ الإيمانِ باللَّه واليوم الآخر، وزَعْمِهم أن ما يقولُه هؤلاء في هذا الباب هو الحق.

وصاروا في أخبارِ الرسل، تارةً يُكذِّبونها، وتارةً يُحرِّفونها، وتارةً يُفوِّضونها، وتارةً يزعُمون أن الرُّسُلَ كذَبوا لمصلحةِ العموم.

ثم عامَّةُ الذين يقولون هذه المقالات: يُفضِّلون الأنبياءَ والرسلَ على أنفسهم، إلاَّ الغاليةَ منهم ـ كما تقدم ـ ، فهؤلاء من شرِّ الناس قولاً واعتقاداً .

وقد كان عندنا شيخٌ من أجهلِ الناس، كان يُعظِّمُه طائفةٌ من الأعاجم، ويُقال: "إنه خاتمُ الأولياء"، يَزعمُ أنه يُفسِّرُ العلمَ بوجهين، وأن النبي عَلَيْكُ إنما فسَّره بوجه واحد، وأنه هو أكملُ من النبي عَلَيْكُ، وهذا تلقّاه من صاحب "الفصوص"، وأمثالُ هذا في هذه الأوقات كثيرون، وسبب ضلال المتفلسفة وأهل التصوف والكلام: الموافقة لضلالهم، وليس هذا

موضع الإطنابِ في بيان ضلالِ هذا، وإنما الغرضُ التنبيهُ على أن صاحب «الفصوص» وأمثالَه قالوا قولَ هؤلاء.

فأمَّا كُفرُ مَن يُفضِّلُ نفسَه على النبي ﷺ عما ذكر صاحب «الفصوص» ـ فظاهر؛ ولكنْ مِن هؤلاء مَن لا يرى ذلك؛ ولكنْ يرى أنَّ له طريقًا إلى اللّه غيرَ اتِّباعِ الرسول، ويُسوِّغُ لنفسه اتِّباعَ تلك الطريقِ ـ وإنْ خالَفَ شَرْعَ الرسول ـ، ويحتجُّون بقصة موسى والخَضِر.

الوجه الثامن: أنه قال: «ولَمَّا مَثَّل النبي ﷺ النبوَّةَ بالحائط..»، إلى آخِرِ كلامه وهو متضمِّنُ أنَّ العلمَ نوعان:

أحدهما: علمُ الشريعة، وهو يأخذُ عن اللَّه كما يأخذُ النبيُّ، فإنه قال: «والسببُ الموجبُ لكونه رآها لَبِنتَينِ أنه تابعٌ لشرع خاتَم الرُّسُلِ في الظاهر وهو موضعُ اللبنةِ الفضيَّة، وهو ظاهرُه، وما يَتبعُه فيه من الأحكام، كما هو آخِذٌ عن اللَّه في السرِّ ما هو بالصورة الظاهرة متَّبعٌ فيه؛ لأنه يَرىٰ الأمر على ما هو عليه، فلابدَّ أن يراه هكذا».

وهذا الذي زَعَمه ـ من أن الولي يأخذُ عن الله في السرِّ ما يتبعُ فيه الرسلَ كأئمة العلماء مع أتباعهم ـ فيه من الإلحاد ما لا يَخفَى على مَن يؤمنُ بالله ورُسُله، فإن هذا يدَّعي أنه أُوتي مثلَ ما أُوتي رُسلُ الله، ويقول: «إنه أُوحي إلي الي الله ولم يُوح إليه شيء، ويَجعلُ الرسلَ بمنزلة معلم الطب والحساب والنحو وغير ذلك إذا عَرف المتعلم الدليلَ الذي قال به مُعلمه، فينبغي موافقتُه له لمشاركته له في العلم، لا لأنه رسولٌ وواسطةٌ من الله إليه في تبليغ الأمر والنهي.

وهذا الكفرُ يُشبِهُ كُفرَ مُسيلِمةَ الكذَّابِ ونحوه ممن يدَّعي أنه مشارِكُ للرسول في الرسالة، وكان يقولُ مؤذِّنه: «أشهدُ أن محمدًا ومسيلِمةَ رسولاً اللَّه».

والنوع الثاني: عِلمُ الحقيقة، وهو فيه فوقَ الرسول، كما قال: «هو موضعُ اللبنةِ الذهبيةِ في الباطن، فإنه أخذٌ من المعدنِ الذي يأخذُ منه المَلك، الذي يوحَى به إلى الرسول».

فقد ادَّعىٰ أن هذا العلم الذي هو موضع اللبنة الذهبية وهو علم الباطن والحقيقة هو فيه فوق الرسول؛ لأنه يأخذُه من حيث يأخذ الملك العلم الذي يُوحِي به إلى الرسول، والرسول يأخذُه من الملك، وهو يأخذُه من فوق الملك، من حيث يأخذُه الملك، وهذا فوق دعوىٰ مسيلمة الكذّاب، فإنّ مسيلمة لم يَدَّع أنه أعلا من الرسول في علم من العلوم الإلهية، وهذا ادّعىٰ أنه فوقه في العلم بالله.

ثم قال: «فإن فهمت ما أشرت به: فقد حصل لك العلم النافع».

ومعلومٌ أن هذا الكفر فوق كفر اليهود والنصارى، فإن اليهود والنصارى لا ترضَى أن تجعل أحدًا من المؤمنين فوق موسى وعيسى، وهذا يزعمُ أنه هو وأمثالُه عن يدَّعي أنه خاتمُ الأولياء - أنه فوق جميع الرسل، وأعلمُ باللَّه من جميع الرسل؛ وعقلاءُ الفلاسفة لا يَرْضَون بهذا، وإنما يقولُ مثلَ هذا غُلاتُهم وأهلُ الحُمقِ منهم، الذين هم من أبعد الناس عن العقل والدين.

التاسع: قوله: «فكلُّ نبيٍّ مِن لَدُن آدم. . » ـ إلى آخِرِ الفصل ـ ، تضمن

أن جميع الأنبياء والرسل لا يأخذون إلا من مشكاة خاتم النبيين، ليوطّن لنفسه بذلك أن جميع الأنبياء لا يأخُذون إلا من مشكاة خاتم الأولياء، وكلاهما ضلال، فإن الرسل ليس منهم أحد يأخُذُ من آخر، إلا من كان مأمورا باتباع شريعته، كأنبياء بني إسرائيل والرسل الذين بُعثوا فيهم الذين أمروا باتباع التوراة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التّوْرَاةَ فِيها هُدًى وَنُورٌ ﴾ الآية [المائدة: ٤٤].

وأمَّا إبراهيم: فلم يأخُذْ عن موسى وعيسى، ونوحٌ لَم يأخذ عن إبراهيم، ونوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى لَم يأخذوا عن محمد، وإن بشَّروا به وآمنوا به، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كَتَابِ وَحَكْمَة ﴾ الآية [آل عمران: ٨١].

□ قال ابن عباس والشاعات : «ما بَعَث اللَّهُ نبيًّا إلاَّ أَخَذ عليه العهدَ في أمرِ محمد، وأَخَذ العهدَ على قومِه ليؤمنُنَّ به، ولئن بُعث وهم أحياءٌ ليَنصُرُنَّه».

العاشر: قوله: «فإنه بحقيقته موجود، وهو قولُه: «كنت نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين»، بخلافِ غيره من الأنبياء، وكذلك خاتمُ الأولياء، كان وليًّا وآدمُ بين الماء والطين»: كذبٌ واضح، مخالفٌ لإجماع أئمة الدين، وإن كان هذا يقولُه طائفةٌ من أهل الضلال والإلحاد.

فإنَّ اللَّه عَلِمَ الأشياء، وقَدَّرها قبل أن يُكوِّنها، ولا تَكونُ موجودةً بحقائقها إلاَّ حين تُوجد، ولا فَرْقَ في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكنْ حقيقتُه عَيَّا موجودةً قبلَ أن يُخلق، إلاَّ كما كانت حقيقة غيره، بمعنى أن اللَّه عَلمها وقدَّرها.

لكن كان ظُهورُ خَبَرِه واسمه مشهوراً أعظم من غيره، فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الإمام أحمد في «مسنده»، عن العرباض بن سارية، عن النبي عليه قال: «إني لَعبد الله، مكتوب «خاتم النبيين» وإن آدم لَمُنْجَدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أُمِّي، رأت حين ولَدتني كأنه خَرَج منها نور أضاءت له قصور الشام».

وحديثُ مَيْسَرَةَ الفجرِ: قلت: يا رسول اللّه، متى كنتَ نبيًّا؟ ـ وفي لفظ ن متى كُتب نبيًّا؟ ـ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، وهذا لفظ الحديث.

وأما قوله: «كنتُ نبيًّا وآدمُ بين الماء والطين»، فلا أصل له، لَم يَرْوِهِ أحدٌ من أهلِ العلم بالحديث بهذا اللفظ، وهو باطلٌ، فإنه لم يكنْ بين الماء والطين، إذ الطينُ ماءٌ وتراب، ولكن لَمَّا خَلَق اللَّه جَسَدَ آدمَ قبل نَفخ الروح فيه: كَتَبَ نبوَّةَ محمد عَلَيُّ وقدَّرها، كما ثبت في «الصحيحين» عن ابن مسعود، قال: حَدَّثنَا رسولُ اللَّه عَلَيْ وهو الصادق والمصدوق -: «إنَّ خَلقَ أحدكم يُجعل في بطن أُمِّه أربعينَ يومًا نطفة، ثم يكونُ عَلَقةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يكونُ مُضغةً مثلَ ذلك، ثم أبعث إليه الملكُ، فيؤمرُ بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه، وعَملَه، وأجلَه، وشقيًّا أو سعيدًا، ثُم يُنفخ فيه الروحُ».

فأين الكتابُ والتقديرُ من وجود الحقيقة؟ .

الحادي عشر: قوله: «وخاتم الأولياء كان وليًّا وآدمُ بين الماء والطين..»، إلى قوله: «فخاتمُ الرسلِ من حيثُ ولايته، نِسبتُه مع الخَتم للولاية، كنسبة الأولياءِ والرسل معه..» إلى آخر الكلام.

ذَكر فيه ما تقدَّم من كون رسول اللَّه ﷺ مع هذا الختم المدَّعيٰ كسائر الأنبياء والرسل معه، يأخذُ من مشكاته العلم باللَّه ـ الذي هو أعلىٰ العلم، وهو وحدةُ الوجود ـ، أنه مقدَّمُ الجماعة، وسيِّدُ ولد آدم في فتح باب الشفاعة، فعيَّن حالاً خاصًا ما عَمَّم. . إلىٰ قوله: «ففاز محمدٌ بالسيادة في هذا المقام الخاصِّ».

فكذَبَ على رسول اللَّه ﷺ في قوله: «إنه قال: أنا سيِّدُ ولد آدمَ في الشفاعة خاصةً»، وألْحَدَ وافترى من حيثُ زَعَم أنه سيِّدٌ في الشفاعة فقط، لا في بقية المراتب؛ بخلاف الختم المفترَى، فإنه سيِّدٌ في العلم باللَّه، وغير ذلك من المقامات.

ولقد كنتُ أقول: لو كان المخاطِبُ لنا مَّن يُفضِّلُ إبراهيم أو موسى أو عيسى على محمد على محمد على محمد على محمد على محمد، لا يَحتملُها المسلمون، فكيف بمن يُفضِّلُ رجلاً من أُمَّة محمد على محمد، وعلى جميع الأنبياء والرسل في أفضل العلوم؟! ويدَّعي أنهم يأخذون ذلك من مشكاته؟.. وهذا العلم هو غايةُ الإلحاد والزندقة.

وهذا المُفضِّل مِن أَضلِّ بني آدم، وأبعدهم عن الصراط المستقيم، وإن كان له كلامٌ كثير، ومصنَّفاتٌ متعدِّدة، وله معرفةٌ بأشياء كثيرة، وله استحواذٌ على قلوب طوائف من أصناف المتفلسفة، والمتصوِّفة، والمتكلِّمة، والمتفقِّة، والعامة، فإن هذا الكلام من أعظم الكلام ضلالاً، عند أهل العلم والإيمان واللَّه أعلم.

وقد تبيَّن أن في هذا الكلام من الكفرِ، والتنقيصِ بالرسل، والاستخفافِ بهم، والغَضِّ منهم؛ بل والكفرِ بهم، وبما جاؤوا به: ما لا

يَخفَى على مؤمن، وقد حدَّثني أحدُ أعيانِ الفضلاء: أنه سَمع الشيخَ إبراهيمَ الجعبري ـ رحمة اللَّه عليه ـ يقول: «رأيتُ ابنَ عربي ـ وهو شيخٌ نجس ـ يُكذِّبُ بكلِّ كتابِ أنزله اللَّه، وبكلِّ نبيِّ أرسله اللَّه»، ولقد صدق فيما قال؛ ولكنَّ هذا بعضُ الأنواع التي ذكرها من الكفر.

◘ وكذلك قولُ أبي محمد بنِ عبدالسلام: «هو شيخُ سَوءٍ، مقبوحٌ كذاب، يقول بقدَم العالَم، ولا يُحرِّمُ فَرْجًا»، هو حقٌّ عنه؛ لكنه بعضُ أنواع ما ذكره من الكفر، فإن قوله [هذا حين] لم يكن قد تبيَّن له حاله وتحقَّق، وإلاَّ فليس عنده ربِّ وعالَم، كما تقوله الفلاسفة الإلهيُّون، الذين يقولون بوجب الوجود، وبالعالم الممكن، بل عنده وجودُ العالَم هو وجودُ اللَّه، وهذا يطابقُ قولَ الدهرية الطبائعية، الذين يُنكرون وجودَ الصانع مطلقًا، ولا يُقرُّون بوجود واجب غيرِ العالَم ـ كما ذَكر اللَّهُ عن فرعون وذَويه _، وقولُه مطابقٌ لقول فرعون، لكنَّ فرعونَ لم يكن مقرًّا باللَّه، وهؤلاءُ يقرُّون باللَّه، ولكن يُفسِّرونه بالوجود الذي أقرَّ به فرعون، فهم أجهلُ من فرعونَ وأضلُّ، وفرعونُ أكفرُ منهم: إذ في كُفره من العناد والاستكبارِ ما ليس في كفرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتُهَا أَنفَسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، وقال له موسى الطَّيَكَا ۚ: ﴿ لَقَدْ عَلَمْتَ مَا أَنزَلَ هَؤُلاء إِلاَّ رَبُّ السَّمَوَات وَالأَرْض بَصَائرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

□ وجُمَّاعُ أمرِ صاحبِ «الفصوص» وذَويه: هدمُ أصولِ الإيمان الثلاثة؛ فإن أصول الإيمان: «الإيمان باللَّه؛ والإيمان برُسُله، والإيمان باليوم الآخر».

فأما الإيمانُ بالله: فزَعموا أن وجوده وجودُ العالَم، ليس للعالَم
 صانعٌ غيرُ العالَم.

□ وأما الرسول: فزعموا أنهم أعلمُ باللَّه منه، ومن جميع الرسل، ومنهم من يأخذُ العلم باللَّه ـ الذي هو التعطيلُ ووحدةُ الوجود ـ من مِشكاته، وأنهم يُساوُونه في أخذِ العلم بالشريعة عن اللَّه.

◘ وأما الإيمان باليوم الآخر، فقد قال:

فَلَم يَبْقَ إِلاَّ صادقُ الوعدِ وَحده وبالوعيد الحقِّ عينُ تُعايِنُ وإنْ دَخَلوا دارَ الشقاءَ فإنهم على لذَّةٍ فيها نعيمٌ يُساينُ

فهذه أقوالُ الزنديقِ الفاجرِ، نقلناها لنُبيِّن عَوَارَ دجَّالِ الصوفيَّة (١) الأكد.

* العفيفُ «أو الفاجر» التِّلمِساني . . شيطانُ وحدة الوجود :

□ قال ابنُ تيمية ـ رحمه الله ـ : «حَدَّثني الشيخُ العالمُ العارفُ ، كمالُ الدين المراغي شيخُ زمانه ، أنه لَمَّا قَدِم وبَلَغه كلامُ هؤلاء في التوحيد قال : قرأتُ على العفيف التلمساني من كلامهم شيئًا ، فرأيته مخالفًا للكتاب والسُّنَّة ، فلمَّا ذكرتُ ذلك له قال : «القرآن ليس فيه توحيد ، بل القرآن كلُّه شرك ، ومن اتَّبع القرآن لم يَصِلُ إلى التوحيد ، قال : فقلتُ له : ما الفرقُ عندكم بين الزوجة والأجنبية والأخت ، الكلُّ واحد؟! . قال : لا فرق بين ذلك عندنا ، وإنما هؤلاء المحجُوبون اعتقدوه حرامًا ، فقلنا هو حرامٌ عليهم عندنا ، وأما عندنا ، فما ثمَّ حرام» .

⁽١) انتهى ملخصًا من «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٤٢).

وحدَّ ثني كمالُ الدين المراغي، أنه لما تحدَّث مع التلمساني في هذا المذهب قال: «وكنتُ أقرأُ عليه في ذلك، فإنهم كانوا قد عَظَّموه عندنا، ونحن مشتاقون إلى معرفة «فصوص الحكم»، فلما صار يشرحُه لي أقولُ: هذا خلافُ القرآن والأحاديث، فقال: ارْم هذا كلَّه خلفَ الباب، واحضر بقلب صاف، حتى تتلقَّى هذا التوحيد ـ أو كما قال ـ ثم خاف أن أُشيع ذلك عنه، فجاء إليَّ باكيًا وقال: استُرْعني ما سمعتَه مني».

وحدَّثني أيضًا كمالُ الدين، أنه اجتمع بالشيخ أبي العباس الشاذلي ـ تلميذ الشيخ أبي الحسن -، فقال عن التمساني: «هؤلاء كُفَّارٌ، هؤلاء يعتقدون أن الصَّنعة هي الصانع»(١)

□ قال ابنُ تيمية: «أما الفاجرُ التلمساني، فهو أخبثُ القومِ وأعمقُهم في الكفر؛ فإنه لا يُفرِّق بين الوجود والثبُوت كما يُفرِّقُ ابنُ عربي، ولا يُفرِّقُ بين المطلق والمعيَّن كما يُفرِّقُ الرُّومي(٢)، ولكن عنده ما ثَمَّ غيرٌ ولا سوكى بوجه من الوجوه، وإن العبدَ إنما يشهدُ السوكى ما دام محجوبًا، فإذا انكشف حجابُه رأى أنه ما ثَمَّ غيرٌ يُبيِّنُ له الأمر. . ولهذا كان يَستحِلُّ جميعَ المحرَّمات.

وكان يقولُ: «القرآن كلُّه شركٌ ليس فيه توحيد، وإنما التوحيدُ في كلامنا».

وكان يقول: «أنا ما أُمسِكُ شريعةً واحدة، وإذا أحْسَنَ يقول: «القرآن

⁽١) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

⁽٢) أي الصدر الرومي.

يُوصِّل إلى الجنة، وكلامُنا يُوصِّل إلى اللَّه تعالى».. وصنَّف للنصيرية عقيدة»(١).

□ ويقولُ أيضًا ابنُ تيمية: «وقد قال مرةً شيخُهم الشِّيرازي، لشيخه التلمساني ـ وقد مرَّ بكلبٍ أجربَ ميِّت ـ: هذا أيضًا مِن ذات اللَّه؟ فقال: وثَمَّ خارجٌ عنه؟ ومرَّ التلمسانيُّ ومعه شخصٌ بكلبٍ، فركضه الآخرُ برجلِه، فقال: لا تَرْكُضِيهِ فإنه منه».

وهذا من أعظم الكفر والكذب الباطل في العقل والدين »(٢) .

□ وقال ابنُ تيمية: "وهذا الرجلُ وابنُ عربيٌ يشتركانِ في هذا ـ أي: في القول بوحدة الوجود ـ ، ولكن يفترقانِ من وجه آخرَ: فإن ابن عربي يقول: وجودُ الحق ظَهَر في الأعيان الثابتة في نفسها، فإنْ شئت قلت: "هو الحق الحق"، وإن شئت قلت: "هو الحق الحق"، وإن شئت قلت: "هو الحق والخلق"، وأن شئت قلت: "هو الحق والخلق". وأما التلمساني، فإنه لا يُثبت تعدُّدًا بحالٍ، فهو مثلُ يَعاقبة النصاري، وهم أكفُرهم" .

□ وقال: "إن هذا الملحد في أسماء اللَّه جَعَل هذه العُقدةَ ـ التي سمَّاها "عقدة حقيقة النُّبُوَّة"، وجَعَلها صورة علم الحقِّ بنفسه، وجَعَلها مرآةً لانعكاسِ الوجود المطلق ـ: محلاً لتميُّز صفاته القديمة، وأنَّ الحقَّ ظَهَر فيه بصورته واصفًا يَصِفُ نفسَه، ويُحيط به، وهو المُسمَّى بالرحمن، ثم ذكر أنه

⁽۱) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٢/ ٢٧١ ـ ٢٧٢).

⁽٢) «مجموع الفتاوي» (٢/ ٣٠٩).

⁽٣) «مجموع الفتاويٰ» (٢/ ١٨٥).

أعطى محمداً هذه العُقدة.

* ومعلوم أن المسمَّىٰ بالرحمن هو المسمَّىٰ باسم اللَّه، كما قال تعالىٰ:
وقُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالإسراء:
وقُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَالإسراء:
وأن كانت صفة له أو غيره، فتكونُ هي الرحمن، فهذا المُلحِدُ دائرٌ بين أن يكونَ الرحمن هو خَلْقٌ مِن خَلقِ اللَّه أو صفةٌ من صفاته، وبين أن يكونَ الرحمنُ قد وَهبَه اللَّهُ للحمد، وكلُّ من القسميْن من أسمج الكفر وأبشعه (۱).

فلعنةُ اللَّه على الفاجر التلمساني زنديقِ الصوفية.

* ابن الفارض، صاحب «التائيَّة» الكُفْرِيَّة:

أبو حفص وأبو القاسم عمرُ بنُ عليِّ بنِ المرشدِ بنِ علي، حَمَوِيُّ الأصل، مصريُّ المولدِ والدارِ والوفاة، وُلد في الرابع من ذي القعدة سنة ٥٧٦هـ، وتُوفِّي في الثاني من جُمادىٰ الأولىٰ سنة ٦٣٢هـ(١).

الله وقال الذهبي عنه: «شاعرُ الوقت، شرفُ الدِّين عمرُ بنُ عليِّ بنِ مُرشد، الحَمَويُّ ثم المِصريُّ، صاحب الاتحاد (٣) الذي قد ملأ به «التائية». فإنْ لم يكن في تلك القصيدة صريحُ الاتحاد الذي لا حِيلةَ في وجودِه، فما في

⁽۱) «مجموع الفتاويٰ» (۲/ ۱۸۲).

⁽٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٢٣، ٤٠) للدكتور محمد مصطفئ حلمي ـ دار المعارف ـ.

⁽٣) يعني: وحدة الوجود وهو نفس مذهب ابن عربي. . أما الحلول والاتحاد فمذهب ابن الفارض.

العالم زَندقةٌ ولا ضلال، اللَّهم ألهِمْنا التقوىٰ، وأعِذْنا من الهوىٰ، فيا أئمةَ الدِّين، ألا تغضبون للَّه؟! فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاَّ باللَّه »(١) .

الله وقال في «ميزان الاعتدال»: «حَدَّث عنه القاسمُ بنُ عساكر، يَنعِقُ بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بليَّةٌ عظيمة، فتدبَّر نَظْمَه ولا تستعجلُ، ولكنك حَسَنُ الظن بالصوفيَّة، وما ثَمَّ إلا زِيُّ الصوفية وإشاراتٌ مُجمَلةٌ، وتحت الزيِّ والعبارة فلسفةٌ وأفاعٍ فقد نصحتُك، واللَّه الموعد»(٢).

□ وقال الحافظُ ابن كثير: «ابنُ الفارض، ناظم «التائية في السلوك» على طريقة المتصوِّفة المنسوبين إلى الاتحاد، كان أبوه يكتبُ فروضَ النساء والرجال، وقد تكلَّم فيه غيرُ واحد من مشايخنا بسبب قصيدته المشار إليها، وقد ذكره شيخُنا أبو عبداللَّه الذهبي في «ميزانه» وحَطَّ عليه»(٣).

□ وحين تكلَّم عن ابنِ إسرائيلِ الحَريري قال: "ولكن في كلامه ونَظمه ما يُشيرُ إلى نوعٍ من الحلول والاتحاد على طريقة ابنِ عربيِّ وابنِ الفارض وشيخه الحريري»(١).

□ وقال عنه الحافظ ابنُ حَجَر العسقلاني بعد أن نَقَل كلامَ الذهبي في «ميزان الاعتدال»: «وابنُ الفارض المذكورُ له صورةٌ كبيرة عند الناس، لما كان فيه من الزهد والانقطاع، قد عَمِلَ له سبْطُه ترجمةً حكى فيها أشياء عجيبةً من أموره، وكان أبوه يتلو الفروض بالقاهرة».

⁽١) "سير أعلام النبلاء" (٢٢/ ٣٦٨).

⁽٢) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للذهبي (٣/ ٢١٤_٢١٥).

⁽٣) «البداية والنهاية» (١٧/ ٢٢٢).

⁽٤) «البداية والنهاية» (٤/ ٠٥٠).

□ وقال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: «كان سيِّدَ شعراء عصره وشيخ الاتحادية».

□ وقال المنذري: «سمعت منه من شعره».

□ وقال في «التكملة»: «كان قد جُمَع في شعره بين الحوالة والحلاوة».

□ قال الذهبي: «إلا أنه شابه بالاتحاد في ألذ عبارة وأرق استعارة كفالوذج مسموم» ثم أنشد من التائية التي سَمَّاها «نظم السلوك» أبياتًا منها:

لها صلُواتي بالمُقام أُقيمُها وأَشْهَدُ فيها أنها لي صَلَّتِ كُلِّ سَجْدُةً وَلَا مُصلٌ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقتُه بالجَمْعِ في كُلِّ سَجْدَةً

□ ومنها:

وها أنا أُبدي في اتِّحادي مبدأي وفي موقفي لا بَلْ إلى توجُّهي

□ ومنها:

ولا تكُ ممَّن طَيَّشَتْهُ دُروسُه فَثَمَّ وراءَ العقل علمُ يَدقُّ عن تلقيتُه عنِّي ومني أخسنة تُه

□ ومنها:

وما عَقَدَ الزُّنَّارَ حُكمًا سوى يَدي وإنْ خَرَّ للأحجار في البُدِّ عاكفٌ وإن عَبَد النارَ المجوسُ ومَا انطَفَتْ

وأُنهِي انتهائي في مواضع رِفعتي ولكنَّ صـــــلاتي لي ومِنِّي كعــــبتي

بحيث استقلَّتْ عَقْلَه واستفرَّتِ مَدارِك غايات العقول السَّليمة و ونفسي كانت من خطاتي محيدتي

وإنْ حَلَّ بالإقرار فهي أحلَّت في المحسَبيَّة في المعرَّبيَّة في المعروا غيري الأنوار عِرَّتي

◘ قلتُ(١): ومن هذه القصيدة:

وَجُد في فنــونِ الاتّحادِ ولا تَحِدْ إلى فئة في غُـرّةِ العمــرِ أَصْبَتِ

⊈ومنها:

إليَّ رسولاً كنتَ مِنِّي مُرْسَلاً وذاتي أمانيي عليَّ استَقَلَّتِ

وفي قصائده من هذا النمط فيما يتعلَّقُ بالاتحاد شيءٌ كثير، وقد كنتُ سألتُ شيخنا الإمام سراج الدِّينِ البُلقينيَّ عن ابن عربي، فبادر الجواب بأنه كافر، فسألته عن ابن الفارض فقال: لا أحبُّ أن أتكلَّم فيه. قلتُ: فما الفرقُ بينهما والموضعُ واحد وأنشدتُه من «التائية» -، فقطع علَيَّ بعد إنشادِ عدَّة أبيات بقوله: «هذا كفرٌ هذا كفر».

ورأيتُ في كتاب «التوحيد» للشيخ عبدالقادر القوصي قال: حكىٰ لي الشيخُ عبدُالعزيز بنُ عبدالغنيِّ المُنوفي قال: كنتُ بجامع مصر وابنُ الفارض في الجامع وعليه حكلقةٌ، فقام شابٌ من عنده وجاء إلى عندي، وقال: جَرَىٰ لي مع هذا الشيخ حكايةٌ عجيبة ـ يعني ابن الفارض ـ قال: دَفَعَ إليَّ دراهم، وقال: اشتر لنا بها شيئًا للأكل، فاشتريتُ، ومَشَيْنا إلىٰ الساحل، فنزلنا في مركب حتى طلع النهنسا(۱) فطرق بابًا، فنزل شخصٌ، فقال: «بسم الله»، وطلك الشيخ، فطلعت معه، وإذا بنسوة بأيديهم الدُّفوفُ والشبَّابات وهم يغنُّون له، فرقص الشيخُ إلىٰ أن انتهىٰ وفرغ، ونزلنا وسافرنا حتىٰ جئنا إلىٰ مصر، فبقي في نفسي، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخصُ الذي فتَح مصر، فبقي في نفسي، فلما كان في هذه الساعة جاءه الشخصُ الذي فتَح له الباب، فقال له: يا سيدي، فلانة ماتت ـ وذكر واحدةً من أولئك

⁽١) الكلامُ السالف كلُّه للحافظ ابن حجر، وما يأتي أيضًا.

⁽٢) قرية بصعيد مصر بمحافظة المنيا.

الجواري ـ، فقال: اطلبو الدَّلاَّل، وقال: اشتَرِ لي جاريةً تُغَنِّي بَدَلَها، ثم أَمسك أُذُني، فقال: لا تُنْكِر على الفقراء»(١).

* كَذِبُ ابنِ الفارض على رسول اللَّه عَلَيْ اللَّه عَلَيْ اللَّه عَلَيْ اللَّه عَلَيْ اللَّه

ابنُ الفارض أن النبيَّ عَلَيْكُ هو الذي اختار له اسمَها ـ كما هو مذكور في ابنُ الفارض أن النبيَّ عَلَيْكُ هو الذي اختار له اسمَها ـ كما هو مذكور في «ديباجة ديوانه» ـ: «سأل النبيُّ اللَّكُ إبنَ الفارض مرَّةً أخرىٰ في المنام عن قصيدته «التائية الكبرىٰ»: «ماذا سمَّاها؟»، فأجابه بأنه سمَّاها «لوائح الجَنان وروائح الجِنان»، فقال له النبيُّ: لا، بل سَمِّها «نظم السلوك». . »(٢) .

ومن هنا كانت شهرةُ هذه القصيدة بهذا الإسم.

فكيف يَفتري على رسول اللَّه عَلَيْ أنه هو الذي سمَّى له هذه الكلمات الكفرية؟! حاشاه.

ولي حانةُ الخَمَّارِ عَينُ طليعة وإن حُلَّ بالإقرار بي، فهي حَلَّت فما بارَ بالإنجيل هيكلُ بيعة يناجي بها الأحبار في كلِّ ليسلة فلا تعسد بالإنكار بالعصبية * وحدة الأديان عند ابن الفارض: فبي مجلس الأذكار سَمْع مطالع وما عَقَدَ الزُّنَّارَ (٣) حُكمًا سوى يَدِي وإن نَارَ بالتنزيل محراب مسجد وأسفار تسوراة الكليم لقومة وإن خرَّ للأحجار في البُدِّ عاكفٌ

⁽١) «لسان الميزان» لابن حجر (٤/ ٣١٧ ـ ٣١٩) مؤسسة الأعلمي - بيروت.

⁽٢) «ديباجة ديوان ابن الفارض» لسبط ابن الفارض (ص٦-٧).

⁽٣) الزنَّار: ما على وسط النصاري والمجوس.

فما زاغت الأبصارُ مِن كلِّ مِلَّة وما رَاغَتِ الأفكارُ مِن كلِّ نِحْلةِ وما رَاغَتِ الأفكارُ مِن كلِّ نِحْلةِ وما اختار مَنْ للشميس عُن غُرَّة صبا

وإشراقُها من نــورِ إســفــارِ غُــرَّتـــي وإنْ عَبَدَ النـــارَ المجـــوسُ وما انْطَفَتْ

كما جاء في الأخبار في ألف حِجةِ فما عبدوا غيري، وإنْ كان قصدُهم سواي وإنْ لَم يَعقدوا عَقْد نيَّتِي

رَأُواْ ضوء نارِي مسرة فنوهمو مُ فضلُوا في الهسدى بالأشعسة

□ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: «يحكمُ سلطانُ الزنادقة بأن أولئك جميعًا وهم المجوسُ، والوثنيون، واليهود، والنصارئ مؤمنون موحدون، لم يَعبُدوا غيرَ اللَّه، إذ كلُّ ما ـ أوْ مَن ـ عبدوه ليس شيئًا غيرَ اللَّه».

* الوحدة عند ابن الفارض:

🗖 قال ابن الفارض:

فلا تَكُ مفتونًا بحسل مع بجبًا وفارق ضلال الفرق فالجمع منتج وصرت بإطلاق الجَمال ولا تقلل فكل مليح حسنه من جمالها بها قيس لبنى هام، بل كل عاشق فكل صبًا منهم إلى وصف لبسها

بنفسك موقوفًا على لَبْسِ غَرَّةً مُدَى فُرْقَة بالاتحساد تَحَدَّتَ بتقييده مَيْلًا لزخرف زينسة مُعَارُله، أو حُسْنُ كلِّ مليحة كمجنون ليلى، أو كُتُسيِّر عَرَّةً لصورة حُسْنِ طورة وصورة حُسْنِ صورة

وما ذاك إلاَّ أنْ بَـــدَتْ بمظـــاهر بَدَتُ باحتجاب، واختفت بمظاهر ففي النشأة الأولى تراءت لآدم فهام بها كيما يصير بها أباً وما بَرحَت تبدو وتَخفَى لعلَّة وتَظهرُ للعشَّاق في كلِّ مَظهر ففي مرة لُبْنَي، وأخــرى بثيــنـــةٌ وَلَسْنَ سواها، لا ولا كُنَّ غـيرَها كذلك بحكم الاتّحاد بحسنها بَدَوْتُ لها في كلِّ صَبٍّ متيَّمٍ وليســوا بغيري في الهوى لتَقَدُّم وما القومُ غيري في هــواها وإنما ففي مرة قيسًا، وأخررى كُثيِّراً تَجلَّيتُ فيهم ظاهرًا واحتجبتُ با أسام بها كنتُ المسمَّى حقيقــةً

فظنُّـوا سواها، وهي فيها تجلَّت على صبَغ التلوين في كلِّ بَرْزَة (١) بمظهر حَوًّا قبل حُكم الأمــومـــة ويظهَ رُ بالزَّوجَين حُكمُ البُـنُوَّة على حَسَب الأوقات في كلِّ حقبة من اللَّبْس في أشكال حُسن بديعة وآوندةً تُدعى بعَدزَّة عدزَّت وما إنْ لها في حُسنها من شريكة(٢) كما لي بَدَتُ في غيرها، وتَـزَيَّت بأيِّ بديع، حسنه وبأيَّت (٣) عَلَيَّ لسَبْق في الليالي القديمة ظهرتُ لهم للَّبْس في كلِّ هيـــــــة وآونة أبدو جميل بشينة طنًا بهم فاعجَب لكَشْف بسُتْرة وكنتُ ليَ البادي بنَفْس تَخَفَّت

⁽١) البَرْزَة: المرَّة من البروز، أو المرأة العفيفة تَبرُزُ للرجال، وتتحدَّثُ معهم.

⁽٢، ٣) يفتري سلطانُ الزنادقة أن الذاتَ الإلهيةَ تتجلَّى في صورِ النساء الجميلات، ويَفتري أنها تجلَّت في صورِ «ليلى وبُثينة وعزَّة»، وقَدْ رَمَزَ بِهِنَّ عن كلِّ امرأةٍ جميلةٍ عاشقةٍ معشوقة، ثم يفتري أيضًا بأن العاشقَ ليس غيرَ العشيقة، بل هو هي!.

ولا فَرْقَ، بل ذاتي لذاتي أُحَبَّت (١) مَعِيَّةُ لَم تخطر على أَلمعِيَّتي (٢)

وما زِلتُ إِيَّاها، وإِيَّايَ لَم تَـزَلُ وليَّايَ لَم تَـزَلُ وليس معي في الكونِ شيءٌ سواي وال * إِفْكٌ على اللَّه:

□ يقول ابنُ الفارض في ضلاله: وجاء حديثٌ في اتّحادي ثابتٌ مشيرًا بحبّ الحقّ بعد تقررُب وموضع تنبيه الإشارة ظاهر ً فكلّ لكُلل لكُلل على طالبٌ متوجّه فكلًى لكُلل على طالبٌ متوجّه فكلًى لكُلل على المالية عنوجه في المنتوجة في المنتوبة في

روايتُه في النَّق لِ غيرُ ضَعيفة إليه بَنقْ لل أو أداء فريضة ب «كنتُ له سَمعًا كنور الظَّهيرة» وبَعضي لبعض جاذبٌ بالأعنَّة

(١) هذا وما قبلَه بيِّن الدلالة على إيمان ابنِ الفارض بالوحدة، لا بالاتحاد، فإنه حين عَبَر بقوله: «وما زلتُ إياها» خَشِيَ أن يقال عنه: إنه ما زال يستشعرُ إثنينيةً ما لوجود محمول وموضوع في تعبيره، وإن كان الحملُ صُوريًّا، إذ المجمولُ عَينُ الموضوع -، أقولَ: خَشِيَ أن يقال عنه هذا، فعقَّبه بقوله: «ولا فرق»، حتى لا تفهم أن الذات المعبرَ عنها بضميرِ المتكلِّم، وهو التاء في «ما زلتُ» غيرُ المعبَرِ عنها بضمير الغائب في «إياها»، وإنما هي

وزاد ابنُ الفارض إيغالاً في كفره، فقال: «بل ذاتي لذاتي»، ليُجرِّد الذات الإلهية من وجود ها الخاص، وليؤكِّد أنْ ليس لها من وجود إلاَّ هذا الوجود المقيَّد المتعيَّن في هذا أو ذاك من أفراد الخَلْق، ولإثبات الوحدة التامة بين الحقِّ والخلق لا في الباطن فحسب بل في الظاهر، ثم لغرض آخر، وهو أن الذات الإلهية، نالت كمالها بتعيُّنها في صورة ابن الفارض.

هذا هو دينُ مَن لا يزالُ كِبارُ الشيوخ ـ بَلْهَ الزنادقة الصوفية ـ يُلقِّبونه: «سلطان العاشقين». (٢) هذا توكيدٌ لَمَا يَدينُ به من الوحدة، ولذا يُلحُّ في نَفْي المعيَّة، نَفْي أن يكونَ ثَمَّ في الكون «غير» أو سوئ» إذ ما ثَمَّ إلاَّ حقيقةٌ واحدة، هي هُويَّةُ الحق، تكثرت بمظاهرِها الخَلْقية والألمعية: الذكاة والفطنة.

وعنِّي البوادي بي إليَّ أُعيد ثُت فحقَقَت أني كنت أدم سَجُد تي (١)

ومنِّسي بَدا لي ما عَلَيَّ لَبستُه وفيَّ شَهِدَتُ الساجدين لَمظْهَري

تعانَقَتِ الأطرافُ(۱) عندي وانطوى الطلق السَّويَ عند السَّويَ السَّونَ السَاسَلَ السَّونَ السَاسَلَ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّونَ السَاسَاطُ السَّالَ السَّونَ السَاسَاطُ السَّاسَاطُ السَّاسَاطُ السَّاسَاطُ السَّالَ السَّاسَاطُ السَّاسَاطُ السَّاسَاطُ السَّاسَ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ السَّاطُ

(۱) قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل: "وأقولُ في قصة آدم، وأمرِ الملائكة بالسجود له، وطاعتهم لهذا الأمر، وتَمرُّد إبليس عليه: في كلِّ هذا ما يَنقضُ دعاوى الصوفية في الحلولِ والوحدة والاتحاد؛ لأنها - أي القصة - تُشبِتُ ربًا آمراً بالسجود، وتثبت أغياراً كثيرين هم: آدم، والملائكة، وإبليس، لهذا يُحاولُ ابنُ الفارض تصوير القصة، بما يتواءمُ وهوى زندقته، أي: بما يرفعُ في زَعمه هذا التعدُّد في الوجود والذوات، ويرفعُ المُغايرة بين الماهيات، فيقول: لا تحسبن الآمر بالسجود غير من أمروا به، أو غير من وقع الملائكة له ساجدين، أو غير من تمرَّد على هذا السجود، فإنهم جميعًا عينٌ واحدة، هي الذات الإلهية، فالآمرُ هو اللَّه باعتبار الهُوية المجرَّدة عن التعين، وآدمُ هو مظهرُ تعين الذات أو الهوية، والملائكة هم تعينات الصفات، وكذلك إبليسُ، فلا تعدُّد في الوجود، ولا غيريَّة في الماهيات، فآدم هو الذاتُ، والملائكة وإبليسُ هم الصفات، وما كان السجودُ الذي وقع سجودَ ذات لغيرها، بل كان من صفات لموصوفها. ثم ينتقل ابنُ الفارضُ من هذا التصوير الصوفي ً إلى تقريرِ أنه كان عين آدم، وكان عين الملائكة، أي: الفارضُ من هذا التصوير الصوفي ً إلى تقريرِ أنه كان عين آدم، وكان عين الملائكة، أي: عينَ الذات الإلهية، وعينَ صفاتها! هذا هو دينُ سلطان العاشقين، أو قل: هذه زندقة شيخ الصوفين!!» انتهى بتصرف.

(٢) يزعمُ أنه ليس في الوجود متناقضاتٌ، ولا أضدادَ ولا أغيارَ ـ بل ولا أمثال ـ ، إذ الوجودُ كلُّه حقيقةٌ واحدة ، والحقيقةُ الواحدةُ لا يقالُ عنها: إنها تُنَاقِضُ أو تُضادُّ ، أو تغايرُ ، أو تُعايرُ ، أو تُماثلُ نفسها ، ولهذا يؤمنُ الزنديقُ أن القدَمَ عَينُ الحدوث والفوقَ عينُ التحت ، والنورَ عينُ الظلمة ، والأولَ عينُ الآخرِ ، والأزلَ عينُ الأبد ، والآنَ عينُ الماضي وعينُ المستقبل ، وهذه هي الأطرافُ الوجوديةُ والمكانيةُ والزمانيةُ التي يزعمُ ابنُ الفارض أنها تعانقت عنده ، والتي يقولُ بعدَها : إنه حين رأىٰ النقيض عينَ نقيضه ، والضدَّ والغير نفسَ ضدّه وغيرِه ، انجَلَت عن بصيرته أوهامُ السَّوية ، والغيرية ، فبَدَت له الحقيقةُ التي غَلَقتها بالسَّر = وغيرِه ، انجَلَت عن بصيرته أوهامُ السَّوية ، والغيرية ، فبَدَت له الحقيقةُ التي غَلَقتها بالسَّر =

وليس «ألستُ»(١) الأمس غَيْرًا لمن غَـداً

وجُنْحي غَدًا صُبْحي ويَــومــي لَيــلتي

وإثباتُ معنَى الجمع نَفْيُ المعيَّة(٢) مجازاً بها للحُكم نفسي تَسَمَّت على ما وراءَ الحسِّ في النَفْس وَرَّت جَوازَ الأسرار بها الرُّوحُ سَرَّت

وسررُّ «بلى» للَّه مرآةُ كشفها ظهورٌ صفاتي عن أسامي جُوارحي رُقُومُ علوم في سُتورِ هيـــاكل وأسماءُ ذاتي عن صفات جوانحي

مظاهر لى بسدوت فيها، ولَم أكن الم

عَلَىَّ بخاف قَبْــلَ موطـن بَــرْزَتي وَلَّا شَعَبْتُ الصَّدْعَ، والتامَتْ فطو

رُ شمل بفَـرق الوصف غيـرُ مشتَّت^(٣)

تحقُّقتُ أَنَّا في الحقيقة واحدٌ وأَثْبَتَ صحو الجَمع محو التَّشَتت(١)

أوهامُه، تلك هي أن الوجود حقيقةٌ واحدة، وأن الخالق عينُ الخلق!!! هذا دينُ سلطانِ العاشقين ـ كما يُسمُّونه ـ .

⁽١) يعني قولَه سبحانه: ﴿ألستُ بربِّكم قالوا بلي﴾ ويريدُ بالغد في هذا البيت «يوم القيامة» في

⁽٢) يشيرُ بـ "بلنى" في قوله: "وسر بلنى" إلخ إلى قوله سبحانه: ﴿الستُ بربُّكم قالوا بلى ﴾: الجوابُ بـ «بلي» يستلزم وجودَ سائل ومُجيب، أعنى يستلزمُ الإثنيية، بيدَ أن ابنَ الفارض يدُّعي هنا أن السائلَ عينُ المجيب، وهذا في قوله: «وإثباتُ معنى الجمع نفي المعية».

⁽٣، ٤) يقول: لَمَّا جَمَعتُ ما تفرَّق في الوجود، مِن صفاتٍ وأسماءٍ وأفعال، تيقَّنتُ أنَّ كلَّ شيءِ هو عينُ الذات الإلهية، وأن الوجودَ عينُ وجوده، ثم ينتقلُ إلى نفسه، فيقرِّرُ أنه آمَنَ عن بيُّنةٍ، ويقظة بصيرة: أنه هو اللَّه ذاتًا وصفةً واسمًا وفعلاً، ومشاعرَ وجوارح!. وهمكذا يــؤكِّدُ ما قرَّرتُه من قبلُ، وهو أنَّ ابنَ الفارض عمن يَدينون بالوحدة، لا بالاتحاد، ألاً تراه يكرِّرُ دائمًا أنه آمَنَ عن يقينِ أنه ما كان في حالٍ ما، ولا زمانٍ ما غيرٌ ولا سوى! =

وإني، وإنْ كُنتُ ابنَ أدم صـــورةً * دينُ ابنِ الفارض:

🗖 يقول ابن الفارض:

وَجُلُ في فنونِ الاتحاد، ولا تَحدُ فواحدُه الجمُّ الغفيسرُ ومَن عَدَا فواحدُه الجمُّ الغفيسرُ ومَن عَدا فمُت فمُت بعناه، وعش فيه، أو فمُت فأنت بهذا المَجد أجدرُ من أخي اجفأ للكنى عني (١) ولا تُلغ الكنى وأي بسلاد الله حَلَّت بها، فما وأي مكان ضمَّها حَسرَمٌ، كذا وما سكنتُه، فهو بيتُ مقدس ومسجدي الأقصى مساحبُ بُردها وشكري لي، والبرُّ منِّي واصلُ وشكري لي، والبرُّ منِّي واصلُ

فلي فيـــه معنًى شـــاهدٌ بأُبـوَّتي

إلى فئة في غيره العمر أفنت ه شرده في غيره العمر أفنت معناه، واتبع أمسة فيه أمت معناه، واتبع أمسة فيه أمت بها، فهي من آثار صيغة صنعتي أراها، وفي عيني حَلَّت غَير مكة أرى كل دار أوطنت دار هجرة بقسرة عيني، فيه أحشاي قرت وطيبي ثرى أرض عليها تمشت وطيبي ثرى أرض عليها تمشت إلي، ونفسي باتحادي استبدت

⁼ وإنما كان ثَمَّ حقيقةٌ واحدةٌ هي الذات الإلهية تجلَّت في صور خَلْقية ، أما الاتحاد ، فيستلزمُ أنه كان قبلُ وجودان ، ثم اتحد أحدُهما بالآخر ، وهذا ما يُنكرُه ابنُ الفارض ويَنفيه نفيًا باتًا . . قد يقال : وما لابن الفارض إذن يُعبِّرُ عن مُعتقده بالاتحاد؟ أقول : مما يُفصلُ به ابنُ الفارض في «التائية الكبرى» نجزمُ بأنه يستعملُ الاتحاد بمعنى الوحدة ، والعبرة بمعانيه ، لا بألفاظه .

⁽١) هذا كفر يُنابذُ الشرع، ولهذا يُلِحُّ ابنُ الفارض في البيت الذي قبلَ هذا في تحذيرِ أتباعه مِنَ المَيلِ إلى الأئمة المُجدِّين المجتهدين الذين يَعبدون اللَّهَ وحده، وتمتلئُ قلوبُهم بالخَوفِ والرجاء من اللَّه وحده.

بصحب مفيق عن سواى تَغَطَّتِ الإشبارة معنى ما العبارة حَدَّت طهبور صفاتي عنه من حَجْبيتي ومن قبلتي للحُكم في في قبلتي

وثَمَّ أم ورُ تَمَّ لي كَشفُ سترِها بها لَم يَبُحْ مَن لم يُبِحْ دَمَه، وَفي وقلي وقلي وقلي بيتُ فيه أسكنُ دونه ومنها عَين في رُكنٌ مقبَّ لُ

وحُسولِي بالمعنى طواني حقيقةً

وسَعي لوجهـي من صفائي لِمَرْوَتي (۱) وفي حَـرَمٍ من باطني أمـن طاهري ومن حَوله يُخشى تخطُّف جيرتـي (۱)

وشَفْعُ وجُودي في شُهودي ظَلَّ في التحادي وتراً في تيقُّظ غَفْوتي (٣)

⁽١) يقصد: الصفا والمروة، يريدُ أن يقول: إنه إذا طاف فإنما يطوفُ حولَ نفسه، وإذا سعى بين الصفا والمروة، فإنما يسعى لوجهه، ذلك لإيمانه بأن العابد والمعبود عين واحدة، ولقد أقسَم لي صوفي : أنه ليس ممن يَطُوفُون حولَ الكعبة، بل هو ممن تطوف حولهم الكعبة!!.

⁽٢) يريد أن يقول: إنه هو الحَرَم، ويشير إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾، يا لزنديق يزعمُ أن باطنَه الخبيث هو هذا القُدسُ الطَّهور!.

⁽٣) الشَّفعُ عند الصوفية: وجودُ الربِّ شُفِّع بوجود العبد، والوِترُ عندهم وجودُ الربِّ فردًا باقيًا بعد فناء وجود العبد، ولِمَا يستلزمُه الشفعُ من الإثنينية راح ابنُ الفارض يَنفيه هنا نفيًا باتًا، ثم يَوْكِدُ أَنه تجلَّى له عن شهود جليٍّ، ويقظة شاعرة تمامَ الشعور أن الوجود وجود الرب، ووجود العبد واحدٌ في أزليَّته وأبديَّته وأنه ما ثُمَّ إلاَّ عينٌ واحدة سُميت باعتبارِ الباطن «حقًّا أو ربًّا»، وباعتبارِ الظاهر «خَلقًا أو عبدًا». تلك هي الذاتُ الإلهية، ويؤكِّدُ الزنديقُ كذلك أن ما كان يُضيفُه من سمات الوجود وصفاته لنفسه، ويَحسبُه غيرَ الوجود الإلهي، كان وهمًا من الأوهام استبدَّ بخياله الغافلِ المغرور، هذا لأنه أدرك تمامَ = الوجود الإلهي، كان وهمًا من الأوهام استبدَّ بخياله الغافلِ المغرور، هذا لأنه أدرك تمامَ =

ولَم أله باللاهوت عن حُكم مَظهرَي وقد جاءني مني رسول عليه ما ومن عَهد عَهدي قبل عصر عناصري إلي رسولا كنت منهي مرسلا

🛭 وقال ابن الفارض:

ولا تَحسَبَنَ الأمر عَنِي خارجاً ولولاي كم يوجد وجود، وكم يكن وفي عالَم التركيب في كل صورة وضربي لك الأمشال مني منَّةً تأمَّل مقامات السروجي (١) واعتبر وتدر التباس النفس بالحس باطنًا وشاهد إذا استجليت نفسك ما ترى

ولم أنْسَ بالناسوت مَظْهَرَ حكمتي عَنتُ عزيزٌ بسي، حريصٌ لرَأفة إلى دار بعث قبلَ إنذار بعثة وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّت وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّت

فما ساد إلا داخل في عُبودتي شهود بذمة شهود ولم تُعهد عهود بذمة ظهرت معنى عنه بالحسن زينتي عليك بشأني مرة بعد مرة بعد مرة بعد مرة بعد مشورتي بتلوينه، تحمل قبول مشورتي مظهرها في كل شكل وصورة بغير مراء في المرائي الصقيلة (٢)

الإدراك أنه ما ثم غير ولا سوى، بل وحدة مطلقة تشمل كل مظاهر الوجود، هذا وغيره يجعلنا نوقن أن ابن الفارض ممن يؤمنون بالوحدة، لا بالاتحاد؛ لأن الاتحاد «افتعال» يستلزم ثبوت وجودين اتّحد أحدهما بالآخر، في حين أنه هنا وفي مواضع كثيرة يقرر وحدة الوجود في أزل وأبد وسرمد وآن، وأنه ما كان في حالٍ ما ولا آنٍ ما ثنائيًا أبدًا، بل كان دائمًا هو الوجود الواحد.

⁽١) اسم الشخص الذي بني عليه الحريري «مقاماته».

⁽٢) يَرُدُّ الشيخُ الجليلُ ابنُ تيميَّة على هذا المَثَلِ الذي يُمثِّلُ به ابنُ الفارض الوحدةَ بين الحقِّ والحلق، فيقول: «فلو قُدِّرَ أن الإنسانَ يَرىٰ نفسه في المرآة، فالمرآةُ خارجةٌ عن نفسه، فرأىٰ نفسه، أو مثالَ نفسه في غيره، والكونُ عندهم ليس فيه غيرٌ ولا سوَّىٰ، فليس هناك مَظهرٌ مخالفٌ للظاهرِ، ولا مرآةٌ مغايرةٌ للرائي، وهم يقولون: إن الكونَ مَظاهرُ الحقِّ، =

أُغَيْرُكَ فيها لاحَ، أم أنت ناظــــرٌ وأصْغ لرَجْع الصوت عند انقطاعه أَهَلُ كَانَ مَن ناجاكَ ثُمَّ سـواك، أم وقل لي: مَن ألقى إليك عُلــومَه وما كنتُ تدري قبل يومك ما جرى فأصبحت ذا علم بأخبار من مضى أتحسَبُ مَن جاراك في سُنَّة الكَركى وما هي إلاَّ النفسُ عند اشتـغالها تَجلَّت لها بالغَيب في شكل عالَم ولا تــك ممّــن طيَّشَـــتُهُ دُروسُهُ فشُمَّ وراءَ النقـــل علمٌ يَدقُّ عن

إليك بها عند انعكاس الأشعَّة إليك بأكناف القُصور المشيدة سمعت خطابًا عن صداك للمُصوِّت؟ وقد رَكَدَتْ منك الحواسُّ بَغفُــلة بأمسك، أو ما سوف يُجري بَغدُّوة وأسرار مَن يأتي مُدلاً بخبرة سواك بأنسواع العلسوم الجليلة بعالَمها عن مَظهر البشرية هَداها إلى فَهـم المعاني الغريبة بحيث استقلَّت عقلَه واستفزَّت مدارك غايات العقول السليمة(١)

⁼ فإن قالوا: «المظاهرُ غيرُ الظاهر»، لَزِم التعدُّد وبَطَلتِ الوحدة، وإن قالوا: «المَظاهر هي الظاهر»، لم يكن قد ظَهَر شيءٌ في شيء، ولا تجلَّىٰ شيءٌ في شيء، ولا ظَهَر شيءٌ لشيء، وكان قوله ـ يعني: ابن الفارض ـ "ومشاهد إذا استجليت. . " إلخ، كلامًا متناقضًا؛ لأن هنا مخاطبًا، ومخاطِّبًا، ومرآة تُستجلىٰ فيها الذات، فهذه ثلاثةُ أعيان، فإنْ كان الوجودُ واحدًا بالعين، بَطَلَ هذا الكلام، وكلُّ كلمةٍ يقولونها تَنقضُ من أصلهم (١/ ٨٧) «مجموعة الرسائل والمسائل».

⁽١) يقصدُ بالنقل نصوصَ الشرائع السماوية. . أي دعْ عنك عِلمَ الظاهرِ عند ابن عربي ليس فيه أثارةٌ من الحقُّ ولا لُمَعٌ من الهداية، ولا إشراقٌ من الحقيقة وتعالَ إليَّ أعلُّمْك عِلمًا دقيقًا جليلاً يُهيمنُ على الهُدي والحقِّ!! وهو العلمُ الذي يقول عنه زنديقُهم الأكبر:

يا رَبِّ جَوهرُ عِلْم لوْ أبوحُ به لَقيلَ لي أنتَ مِمَّنْ يعبدُ الوثنَا ﴿ ولاستحَلُّ رجالٌ صالحون دَمِي

يَرُون أقبحَ ما يأتونَهُ حسنًا

تلقيتُه (١) مني، وعنِّي أخذتُه ولا تكُ باللاهي عن اللهو جُملةً و وقال ابن الفارض:

أمَّمتُ أمامي في الحقيقة، فالورى يراها أمامي في صلاتي ناظري ولا غَرُو أنْ صلَّى الأنامُ إليَّ، أنْ لها صلواتٌ بالمقام أُقيمها كلانا مصل ساجدٌ إلى كلانا مصلًى سواى، ولَم تكن وما كان لي صلَّى سواى، ولَم تكن إلى كم أُواخي (١) السِّرْ، ها قد هَتكتُه أفاد اتخاذي حُبَّها لاتِّحادنا وفي الصَّوْ بعد المحود (١) لم أَكُ غيرها

ونَفسي كانت من عَطائي مُمِـدَّتي فَهَزْلُ اللَاهي جِـدُّ نفسٍ مُجِـدَّة

ورائي وكانت حيث ورجهتي وربهتي ويشهد أني قلبي إمام أئمتي ويشهد أني قلبي إمام أئمتي فوت بفوت بفوت بفوت بفوت بفي الله والمسجد في كل سبجدة صلاتي لغيري في أدا كل ركعة وحل أواخي (٣) الحب في عقد بيعتي نوادر عن عاد المحبين شكت وذاتي بذاتي إذ تحلت تجلت تجلت

= وإذا كان عِلمُ ابنِ الفارض يَدِقُ عن مَدارك العقولِ المُشرِقة، فمَن للدراويش؟ مَنْ للذين هم ليسوا بأقطاب؟ .

ولازمُ كلامه ـ وهو يقول بوحدة الوجود ـ أنَّ أولئك الذين لا يَعلمون علمَه همُ اللَّهُ في عُرْف زندقته؟ أليسَ معنى هذا أن له علمًا يَدق حتى عن اللَّه سبحانه؟ ومعناه أن زندقته أبرُّ بالحق والهدى من شرائع اللَّه سبحانه؟! .

⁽١) يعنى: ابن عربي.

⁽٢) من المواخاة يعني: الْملازَمة.

⁽٣) جَمْع آخيَة، وهي ما يَبرُزُ ـ كالحَلْقة ـ من الحَبْل المدفونِ طرفاه في الأرض ـ وتُشَدُّ إليها الله الحُرْمةُ والذِّمَّة.

⁽٤) الصحو عند الصوفية: هو رجوعُ العارف إلى الإحساس بعد غَيبته وزوالُ إحساسه. . =

وهيــئتُها ـ إذ واحــدٌ نحن ـ هيئتي منادِي أجابت من دعــانــي وَلبَّتِ

فوصفي إذ لم تَدْعُ باثنين وَصفُها فإنْ دُعيتُ كنتُ المُجيبَ، وإن أكن

وإن نَطَقَت كنت المناجي، كذاك إن

قصصت عديثًا، إنسا هي قَصَّت

وفي رَفعها عن فرْقة الفَرْق رِفعتي وَصفتُ سكوتًا عن وجود سكينة فقد رفعت تساء المخاطب بيننا فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما

فمِن بعد ما جاهدتُ، شاهدتُ مَشهَدي

فبي موقفي، لا، بل إليَّ توجُّهـي

* خَطَرُ صَرف الكلام عن ظاهره:

□ قال الغزَّاليُّ في أولِ «الإحياء» من كتاب «العلم» ما حاصله: «إن الكلامَ إن كان ظاهرًا في الكفر بالاتحاد، فقتلُ واحد ممن يقولُ به أفضلُ من إحياءِ عَشَرةِ أنفُس، وإن كان فَهمُه مشكِلاً، فلا يَحِلُّ ذِكرُه».

⁼ والمحو: إسقاطُ إضافة الوجود إلى الأعيان، ولا موجود عندهم إلاَّ الحقُ سبحانه وحده، فهو العابدُ باعتبارِ تعينه وتقيده بصورالعبد التي هي شأنٌ من شؤونه الذاتية، وهو المعبود باعتبارِ إطلاقه. . انظر «التعريفات» للجرجاني، و «جامع الاصول في الأولياء» للكمشخانلي تحت مادتي «الصحو والمحو» . . وابن الفارض هنا يغلو في إثبات الوحدة، فيزعمُ أنه هو الله، لا في حال المحو فحسب، بل في حال الصحو أيضًا، وهذا يؤكدُ لك أنه يعني ما يقول، ويؤمنُ بالوحدة صحوًا ومحوًا، فما هي شطحات، ولكنها عقيدة ينبُت عليها قلبه ودينه، وما هو بَهذيانِ سكران كما يهرفُ الصوفية، ليقولوا: وكلام السكران معفو عنه، فيطوى، ولا يُروى!! .

□ وقال: «إن الألفاظ إذا صُرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصامٍ بنقلٍ عن صاحب الشرع، وبغير ضرورة تدعو إلى ذلك من دليل العقل، اقتَضى ذلك بُطلانَ الثقة بالألفاظ».

□ ثم قال: ﴿والباطنُ لا ضَبْطَ له، بل تتعارضُ فيه الخواطر》.

□ ثم قال: «وبهذا الطريق توصَّل الباطنيةُ إلى هَدم جميع الشريعة»(١).

* «التائية» و «الفصوص»:

لا فرق بين «التائية» و «الفصوص» إلا بكونه نثرًا، وكونِها نظمًا.

□ ورَوىٰ ابنُ المِقَرِي أَن ابنَ عربيٍّ طَلَب إلى ابن الفارض أَن يَضَعَ شرحًا لتائيته الكبرىٰ، فأجابه ابنُ الفارض بقوله: «كتابك «الفتوحات المكية» شرحٌ لها»(٢).

□ قال الدكتور محمد مصطفى حلمي: «هذه الروايةُ ليست من الوضوح بحيث نتبيَّنُ منها أكان ما طَلَبَه ابنُ عربيُّ إلىٰ ابن الفارض بطريقِ الاتصال الشخصي، أم كان بطريقٍ آخر كإيفاد رسولٍ أو إرسال كتاب»(٣).

□ وقد حُكي عن صدر الدين محمد بن إسحاق القُونوي ـ وهو تلميذ ابن عربي ـ، أنه عَرَض لهذا الأخير في شرح «التائية»، فقال ابن عربي للصدر: «لهذه العروس بَعْلٌ مِن أولادك»، فَشَرَحها الفَرغاني وعفيفُ الدين سليمان بن علي التلمساني، وكلاهما من تلاميذ صدر الدين "،

⁽١) المصرع التصوف (ص ٦٧ - ٦٨).

⁽٢) «نفح الطيب» (١/ ١٠٠).

⁽٣) «ابن الفارض والحب الإلهي» للدكتور محمد مصطفى حلمي (ص٤١).

⁽٤) «كشف الظنون» (٢/ ٨٥ ٨٦).

الذي كان بدورِه تلميذًا لابن عربي، كما كان القاشاني والنابلسي تلميذين من تلاميذ مدرسته، غير أن الأستاذ «نلينو» يرئ أن القاشاني أكثر أمانة في شرحه من النابلسي، وذلك لأن القاشاني تُوفِّي بعد ابن الفارض بقرن من الزمان، في حين أن النابلسي تُوفِّي بعده بأكثر من خمسة قرون(١).

ورُوي أن الفَرغاني قرأ «التائية» على جلال الدين الرومي وشرَحها
 بالفارسية، ثم بالعربية، وسمَّىٰ شرحه «منتهیٰ المدارك»(۱) .

وقد بدأ ابن عربي كتابة «فصوص الحكم» في أوائل سنة ١٦٧ه وانتهى منه سنة ١٢٨هم، فإنْ صَحَّ هذا التاريخُ كان معناه أن كتاب الفصوص عَّت كتابته قبل وفاة ابن الفارض بأربعة أعوام، وإذن فلا يَبعُدُ أن يكون ابن الفارض قد اطلع على هذا الكتاب عندما أخذ يُملي ديوانه بـ «القاهرة» فيما بين سنتي ١٦٨ أو ١٦٩ه و ١٣٦هم، وأن تكون بعض العناصر الموجودة في «الفصوص» قد امتزَجت ببعض أبيات «التائية الكبرى»، غير أننا لا نعتقد مع ذلك ما يعتقدُه بعض القدماء - كالشيخ مدين وغيره - من أن «التائية» هي «الفصوص» لا فرق بينهما إلا في أنَّ هذه نثر وتلك شعر "المفاظ والعبارات نعتقده هو أن يكون ابن الفارض قد استعان ببعض الألفاظ والعبارات والأمثلة التي ورددت في «الفصوص» إلى هذا ذهب الدكتور محمد مصطفى حلمي في كتابه (١٠).

⁽١، ٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٩٨، ١٠٠).

⁽٣) «تنبيه الغبي» (ص١٢).

⁽٤) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٣٦-٣٤٠).

أعاذنا اللَّهُ من اعتقادِ ابنِ الفارض، وابن عربي، والعفيفِ التلمساني، والقونوي، وابن هود، وابن سبعين، وتلميذِه الشيشتري، وابن مظفَّر، والصَّفَّار، وعامرِ البوصيري، ونجم الدين بن إسرائيل، وأوحد الدين الكرماني.

□ وإني لأعجبُ مما كتبه شيخ الأزهر «مصطفى عبدالرازق» من مقدمة لكتاب الدكتور محمد مصطفى حلمي عن «ابن الفارض والحب الإلهي» وقوله عنه: «ولكنْ واضعُ الكتاب قد وُفِّق في كثير من الأمور إلىٰ أن يكشفَ وجه الحقِّ عن هذه الطعون التي وُجِّهت إلىٰ ابنِ الفارض، وأن يخلقَ منها تمجيدًا لهذا الصوفيِّ ورَفعًا لشأنه»(١).

□ وابنُ الفارض عند ابن تيمية من القائلين «بوحدة الوجود» التي يَصدُرُ فيها أصحابُها عن أصلَينِ باطلَينِ يُخالفانِ دينَ المسلمين واليهود والنصاري مخالفتَهما للمعقول والمنقول:

وأحدُ هذين الأصلين: هو الحلولُ والاتحاد، وما يقاربُهما من قولٍ بوحدة الوجود، وهو مذهبُ القائلين بأن الوجود واحدٌ لا فرق في ذلك بين الوجود الواجب للخالق، والوجود المكن للمخلوق(٢).

وعند ابن تيمية أن مَثَلَ القائلين: بـ «وحدة الوجود» كمَثَل النصاري وغالية الشِّيعة في القول: بـ «الاتحاد والحلول»؛ إلاَّ أن هــؤلاء يقولون: بـ «الحُلولِ المقيَّد الخاصِّ» الذي ينتهي بتأليه المسيح أو عليًّ، وأولئك

⁽١) «ابن الفارض والحب الإلهي» ـ المقدمة (ص٨).

⁽۲) «مجموعة الرسائل والمسائل» (۱/ ۲۲ ـ ۲۷).

يقولون: بـ «الحلول المطلَق العام»، ولا يشكُّ ابنُ تيميةَ في أنَّ في قولِ هذا الفريقِ الأخير من الكفر والضلال ما هو أعظمُ مما في قولِ اليهود والنصاري(١).

أما ثاني الأصلين: فهو الاحتجاجُ بالقَدَر على فعل المحظور، والقَدَرُ - في رأي ابن تيمية - يجبُ الإيمانُ به، ولا يجوزُ الاحتجاجُ به على مخالفة أمرِ اللَّه ونهيه، ووعده ووعيده (١) .

ا قال ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦): «وكذلك ما في شِعرِ ابنِ الفارض في قصيدته التي سمَّاها «نظم السلوك» كقوله:

لها صَلواتي بالمَقـــام أُقيمُهـا وأشـهدُ فيها أنها لي صلَّت كلانا مُصلً واحــد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كلِّ سـجدة وما كان لي صلَّى سِواى، ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كُلِّ سـجدة

□ وقوله:

وما زلت على الله الله الله عَزَلُ الله عَزَلُ الله عَزَلُ الله

□ وقوله:

إليَّ رسولاً، كنتُ مني مُرْسَلاً وذاتي بآياتي عليَّ استدلَّت

ولا فَرْقَ، بل ذاتي لذاتي أُحَبَّت

□ فأقوالُ هؤلاء ونحوها: باطنها أعظمُ كُفراً وإلحاداً من ظاهرها؛ فإنه قد يُظنُّ أن ظاهرها من جنسِ كلام الشيوخ العارفين، أهلِ التحقيق والتوحيد، وأما باطنها فإنه أعظمُ كفراً وكَذبًا وجهلاً من كلامِ اليهود

⁽١) المرجع نفسه (١/ ٦٨).

⁽٢) المرجع نفسه (١/ ٧٢).



والنصاري وعُبَّادِ الأصنام ١٠٠١ .

◘ وممن كَفَّر ابنَ عربيٍّ وابنَ الفارض الإمامُ بُرهانُ الدين إبراهيم البقاعي المتوفَّىٰ سنة ٨٥٨هـ، فقد أفرد كتابيْن تناوَلَ فيهما ابنَ عربي وابنَ الفارض، وأبان عن ضلال مذهبهما، وفساد عقيدتهما، وانحلال خُلقُهما، هذان الكتابان هما: «تنبيهُ الغبيِّ على تكفير ابن عربيٍّ»، و«تحذير العباد من أهل العناد، ببدعة الاتحاد»، وقد جَمَع البقاعيُّ أسماءَ طائفةٍ كبيرةٍ من علماءٍ الدين، وذَكَرَ كثيرًا من الكتب إلى كلِّ أولئك في إثبات ما يقولُه عن ابن عربيٍّ وابن الفارض من مطاعن تَنالُ من خُلقهما وعقيدتهما الدينية ومذهبهما الصوفي، وتَضعُهما في زُمرة الكَفَرة أو الزنادقة أو الْلحدين، فهو ينقلُ مثلاً عن عَضُد الدين الإيجي صاحب «المواقف» قولَه عن ابن عربي وهو: «أنه كان كذَّابًا حشَّاشًا كأوغاد الأوباش»(٢) ، وقوله عن ابن الفارض الذي يُبيِّنُ فيه أن الشاعر كان متابعًا لابنِ عربي في ذلك وهو: «. . وقد تَبِعه في ذلك ابنُ الفارض حيث يقول: «أَمَرني النبي وَيَكِيلَةٌ بتسمية التائية: نظم السلوك»، إذ لا يَخفى على العاقل أن ذلك من الخيالات المتناقضة الحاصلة من الحشيش، إذ عندهم أن وجودَ الكائناتِ هو اللَّه تعالى، فإذن الكلُّ هو اللَّه، فلا نبيُّ ولا رسول، ولا مُرسِلَ ولا مرسَلَ إليه. . "(٢) .

ويحاول البقاعيُّ في كتابيه المشارِ إليهما أن يوازِنَ بين "فصوص الحكم» لابن عربي وبين "تائية» ابن الفارض الكبرئ، وتنتهي به الموازنة إلى أن المذهب الذي يُقرِّرُه الرجلانِ في هذين الأثرين هو مذهب وحدة

⁽١) «مجموع فتاوي ابن تيمية» (٢/ ٣٦٥_٣٦٦).

⁽٢، ٣) «تنبيه الغبي على تكفير ابن عربي» (ص٥٣).

الوجود، وأنه لا فرقَ بين «الفصوص» و«التائية» إلاَّ في أن هذه شعر، في حين أن تلك نثر: فابنُ الفارض من هذه الناحيةِ كابنِ عربي مِن القائلين بـ "وحدة الوجود". . وذهب إلى أن ابن الفارض لم يُوجَد لأحد من أهل عصره - الخبيرينَ بحاله - ثناءٌ عليه بعدالةٍ أو ولاية، ولا ظَهَر عنه علمٌ من العلوم الدينية، ولا مُدَح النبي عَلَيْكُ بقصيدة واحدة على كثرة شعره، فدلَّ ذلك على سُوء طويته، وأن القَدْحَ قد نُقل فيه نقلاً قطعيًّا عن مُحبِّيه ومبغضيه: فقد قال شُرَّاح «تائيته»، التابعون لطريقته، والمنتقدون عليه من أهل السُّنة: «إن أهل زمانه ـ وكلُّهم من أهل الشريعة ـ رَمَوه بالفِسق والإِباحة "(١) ، وقد أيَّد البقاعيُّ مذهبَه في ابنِ الفارض، فعدَّد نحوًا من أربعين عالمًا، هم دعائمُ الدين من عصر ابن الفارض إلى عصرِ البقاعي، وكلُّهم يَرمى الرجلَ بما يَنظمُه في سلك الكَفَرة أو الزنادقة أو الملحدين أو الإِباحيين، ويجرِّح مذهبه فيجعلُه في عداد المذاهب الضالَّة، والعقائد الفاسدة(٢) ، ومن هؤلاء العلماء عزُّ الدين بنُ عبدالسلام، وابنُ دقيق العيد، وتقيُّ الدين السُّبكي، وبَدرُ الدين ابنُ جَماعة وزينُ الدين الحَنفي، وشرفُ الدين الزواوي المالكي، وسعدُ الدين الحنبلي ٣٠٠ .

ولم يَقِفِ البقاعيُّ عند هذا الحدِّ من ذِكرِ أسماء العلماء، بل تجاوزَه إلى ذِكرِ أسماء العلماء، بل تجاوزَه إلى ذِكرِ أسماء الكتب التي لأصحابها رأيٌّ في كلِّ مِن ابنِ عربيٍّ وابنِ الفارض ومذهبيهما: فهو يذكرُ من هذه الكتب «الميزان» و«لسان الميزان» وكلاهما

⁽۱) «تحذير العباد» للبقاعي (ص٦٤).

⁽٢) المرجع نفسه والصفحة.

⁽٣) «تنبيه الغبي» (ص٤٨).

لابن حجر العسقلاني، و «تاريخ ابن كثير» و «ناصحة الموحدين وفاضحة الملحدين» للعلاء البخاري، و «الفتاوى المكية» للعراقي، و «تاريخ العيني»، و «شرح التائية» للبساطي، و «كشف الغطاء» لابن الأهدل.

وهكذا يَتَهمُ البقاعيُّ ابنَ الفارض وابنَ عربي في خُلقهما، ويؤيِّدُ الهامَه بما زَعَمه صاحبُ «المواقف» من أنهما كانا يصطنعانِ الحشيش، ومِن أن ما انتهيا إليه من تقريرِ «الوحدة» ونفي الإثنية والكثرة إنما هو ضربٌ من الوهم والخيال الذي يحصلُ في العقل من فعل الحشيش.

□ ويقولُ العلاَّمة صالح بن مهدي المَقْبَليُّ اليمني صاحب كتاب «العَلَم الشامخ، في «إيثارِ الحق على الآباء والمشايخ»: «.. يكفيك في كلام ابن الفارض الذي أذعنوا له طرًّا ما ظاهرُه الاتحاد، والتزامُ الكفر، والتَرفُّعُ على الأنبياء، وعلى الجُملة فلم يَبْقَ ما يمكنُ دعواه من المقامات الرفيعة، ولا ما تأتى به الخلاعةُ من البَذاءة الشنيعة إلاَّ ادَّعاه»(١).

🛭 يقول ابن الفارض:

خَلَعتُ عذاري واعتذاري لابسَ الو وخَلْعُ عذاري فيك فرضي وإنْ أبى اقوليسوا بقومي ما استعابوا تهتُّكي وأهلي في دين الهوى أهلُه وقد

خلاعة مسروراً بخلعي وخلعتي عن المنتسي عنومي والخلاعة سُنتي فأبدوا قلى واستحسنوا فيك جَفْوتي رَضُوا لي عاري واستطابوا فضيحتي

□ وقد دافع السيوطي عن ابنِ الفارض، وألَّف في ذلك كتابه «قمع المعارض بنصرة ابن الفارض»، ولا عبرة بكلامه ـ رحمه اللَّه ـ، إذ يقول عن

⁽۱) «العلم الشامخ» (ص۲۷۸).

ابن الفارض: «ألم يجتمع به الشهاب السهروردي، وحَلاه بالطراز اللازوردي، ومقامه في علم الشريعة والحقيقة معروف، ومَحلُه في العَظَمة والجلالة مرسوم وموصوف؛ وقد كان داعيًا مرشدًا، ومَسلكًا به يُقتدي، فلا أنكر عليه، أو حَذَّر الناس مما لديه، بل شهد له بالمحبَّة، ودَلَّ عليه تلامذته وصَحبَه؟! ألم يجتمع به حافظ عصره وزاهدُه الشيخ زكي الدين المنذري وغيرُه من حُفَّاظ الحديث؟.

وكم إمام كان في عصره، في حجازه وشامه ومصره، فما منهم أحدٌ وجَّه إليه إنكارًا، ولا حطَّ مقدارًا، ولا هَدَمَ له مَنَارًا، وذلك لِمَا شاهَدوه من سنِيٍّ أحوالِه، وتواتَرَ عندَهم من أنه مُحِبُّ عاشقٌ واله»(١).

هذا قولُ السيوطي!!!.

□ وانظر ما قاله الدكتور محمد مصطفىٰ حلمي في كتابه «ابن الفارض والحب الإلهي»: «هناك قصة أخيرة تظهرنا على أن ابن الفارض: انتهىٰ في آخر لحظات حياته إلى رؤية الله، وهي عند القوم غاية الكرامة: فقد قص برهان الدين الجعبري على ولد ابن الفارض قصة وصف فيه الشاعر وما وقع له عند احتضاره، وقد كان الجعبري أحد الذين حضروا ذلك الاحتضار من الأولياء، ومن هذه القصة نتبين أن ابن الفارض عندما حضرته الوفاة تمثلت له الجنة أمام عينيه، ولكنه ما كاد يراها حتى تأوه وصرح صرحة عظيمة وبكى بكاء شديداً وتغير لونه وقال:

ما قد رأيتُ فقد ضيَّعتُ أيامي

إن كان منزلتي في الحُبِّ عندكمُ

⁽١) «قمع المعارض بنصرة ابن الفارض».

أمنيةٌ ظَفرَت رُوحي بها زمنًا واليوم أحسبُها أضغاث أحلام

وهنا قال له الجعبري: إن هذا مقامٌ عظيم، فردَّ عليه ابنُ الفارض قائلاً: «يا إبراهيم، رابعة العدوية تقول وهي امرأة: وعزَّتك ما عَبَدتُك خوفًا من نارك ولا رغبةً في جنتك، بل كرامةً لوجهك الكريم ومحبةً فيك، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبُه، وقضيتُ عُمري في السلوك إليه.

قال الجعبري: فسمعتُ قائلاً يقول بين السماء والأرض أسمعُ صوتَه ولا أرئ شخصه: يا عمر، فما تروم؟ فقال:

أرومُ وقد طال المَدَى منك نظرة وكم من دماء دونَ مرمايَ طَلَّتِ قال الجعبري: ثم بعد ذلك تهلَّل وجهه وتبسَّم وقَضَى نَحْبَه فَرِحًا مسرورًا، فعَلمتُ أنه أُعطى مرامه»(١).

فإن صح فَهم الجعبري لهذا المرام على أنه رؤية اللّه، وظفر ابن الفارض بهذه النظرة التي طالما رامها، وسُفكت في سبيلها الدماء، فإنه ينبغي على ذلك أن يكون شاعرنا قد تحقّق أخيراً بأسمى الكرامات وأرقى خوارق العادات، ومع هذا فإن هناك فريقاً من الصوفية قد أجمع على أن اللّه لا يُرىٰ في الدنيا بالأبصار ولا بالقلوب إلا من جهة الإيقان؛ لأنه غاية الكرامة وأفضل النّعم، ولا يجوز أن يكون ذلك إلا في أفضل المكان، ولو أعطى القوم في الدنيا أفضل النّعم، لم يكن بين الدنيا الفانية والجنة الباقية فَرق، ولمنا منع الله سبحانه كليمه المنكل ذلك في الدنيا، كان من هو دونه أحرى؛ وأخرىٰ أن الدنيا دار فناء، ولا يجوز أن يُرىٰ الباقي في دونه أحرىٰ؛ وأخرىٰ أن الدنيا دار فناء، ولا يجوز أن يُرىٰ الباقي في

⁽١) «ديباجة الديوان» (ص١٢).

الدار الفانية^(١) .

وهذا الإنكارُ لرؤية اللَّه في الدنيا، إن صَحَ بالقياس إلى مَن يَدَّعي هذه الرؤية من الصوفية وهو ما يزالُ غارقًا في بحر الحياة، فإنه لا يصحُ بالقياس إلى حال ابنِ الفارض كما تُصوِّرُها القصةُ المذكورة آنفًا: فهو هنا قد ولَّى من الحياة وتولَّت عنه الحياة بما فيها من متاع دنيويٍّ ماديٍّ، وأقبل عليه الموتُ، وأصبح من العالم العلويِّ قابَ قوسين أو أدنى؛ فليس ثَمَّة ما يمنعُ إذًا من أن يُكرمَه اللَّه برؤيته في هذه اللحظة الأخيرة من حياته التي ستصعدُ رُوحُه فيها إلى السماء، وستنعمُ في ظلِّ بارئها بكلِّ ألوان النعيم والسعادة والسَّناء»(٢).

فإن كان هؤلاء الناسُ يَجهلون ما يعرفُه عوامُّ المسلمين من أن اللَّه لا يُرَىٰ في الدنيا لأحد من البشر، إن كان لم يَرَه موسىٰ وهو كليمُه فكيف يراه ابنُ الفارض؟!! ثم يتكلَّمون بعدَ هذا في دينِ اللَّه ـ عز وجل ـ .

□ ولكن انظر إلى الثقة شيخ الإسلام ابن تيمية ما يقول في موت ابن الفارض: «حدثني الشيخ رشيد الدين بن المعلّم، عن الشيخ إبراهيم الجعبرى أنه حَضَر ابنَ الفارض عند الموت وهو ينشد:

إِنْ كَانَ منزلتي في الحُبِّ عندكم ما قدْ لَقيتُ فقد ضيَّعت أيَّامي أمنيةٌ ظَفَرتُ نفسِي بها زَمَنَا واليومَ أحسبُها أضغاثَ أحلام

وحدَّ ثني الفقيهُ الفاضل تاجُ الدين الزنباري، أنه سمع الشيخ إبراهيم الجعبري يقول: «رأيتُ في منامي ابنُ عربي، وابنَ الفارض، وهما شيخانِ

⁽١) «التعرف لمذهب أهل التصوف».

⁽٢) «ابن الفارض والحب الإلهي» (ص٧٧ ـ ٧٨).

أعْمَيانِ يَمشِيانِ ويتعثَّران، ويقولان: كيف الطريق؟ وأين الطريق؟».

□ وحدثني شهابُ الدين المزِّي، عن شرف الدين بن الشيخ نجم الدين ابن الحكيم عن أبيه أنه قال: قَدِمتُ دمشقَ، فصادفت موتَ ابن عربي، فرأيتُ جنازتَه كأنما ذُرَّ عليها الرماد، فرأيتُها لا تشبهُ جنائزَ الأولياء (١١) .

الله وقال ابنُ تيمية: «وقد صنَّف بعضُهم ـ أي: أهل الاتحاد ـ كُتُبًا وقصائد على مذهبِه، مِثْلِ قصيدةِ ابنِ الفارض المُسمَّاه بـ «نظم السلوك»، يقول فيها:

لها صلواتي بالمقام أُقيمها وأشهدُ فيها أنها لي صَلَّت كلانا مُصلِّ واحدٌ ساجدٌ إلى حقيقته بالجمع في كُلِّ سجدٌة وما كانَ لي صَلَّى سوايَ ولمْ تكُن صلاتي لغيري في أدا كُلِّ ركعة

ثم قال: إلى مثل هذا الكلام - أي: الدالِّ على الاتحاد -، ولهذا كان عند الموت يُنشدُ:

إن كان منزلتي في الحبِّ عندكم ما قد رأيت فقد ضيَّعت أيامي أمْنية ظفرت رُوحي بها زمناً واليوم أحسبها أضعاث أحلامي

فإنه كان يظنُّ أنه اللَّه، فلمَّا حَضَرت ملائكةُ اللَّه لقبض ِ روحه، تبيَّن له علان ما كان بظنه »(۱)

* * *

⁽١) «مجموع الفتاويٰ» (٢/ ٢٤٦).

⁽٢) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص٨٣) وما بعدها، و«مجموعة الرسائل والمسائل» (٤/ ٧٦).

* عبدُالكريم الجَيْلي، يَزعمُ ويَفتري أن الرسول ﷺ يظهرُ في الكنائس وفي صُور مشايخه:

□ قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية: «وبالجُملة فهو ـ يعني: ابنَ عربيً ـ لم يَتَبع النبيَ عَيَالِيَةٍ في شيءٍ، فإنه أخذَ ـ بزعمه ـ عن اللّه ما هو متابعٌ فيه في الظاهر، كما يوافق المجتهدُ الرسول، فليس عنده شيءٌ من اتّباع الرسول عليه والتلقي عنه شيءٌ أصلاً، لا في الحقائق الخَبريَّة، ولا في الحقائق الشرعيَّة»(١).

فَبعَد أَن زَعَم ابنُ عربي وجود أنبياء بعد النبي على سمّاهم «أنبياء الأولياء»، لا يَتَبعون الرسول عَلَيْ في شيء مّا جاء به . جاء بعده عبد الكريم الجيلي بفرية أعظم مما جاء به ابن عربي ، فليس جميع بني آدم يمكن أن يكونوا أنبياء فحسب، بل يمكن أن تتقمّص روح النبي الخاتم على أرواح مشايخ الصوفية، ويتصور بصورهم، بحيث إذا قال هذا الصوفي : «أنا رسول الله»، يجب أن يُصدق، بل وصل عند الجيلي الاستهزاء والاستخفاف بشخص الرسول ويلية حيث جعل النبي على يظهر في الكنائس. إلى غير ذلك من أنواع الكفر والإلحاد.

□ يقول الجَيْلي: «أعلَمْ - حَفَظك اللَّه - أن الإنسانَ الكاملَ هو القُطبُ الذي تدورُ عليه أفلاكُ الوجودِ من أوَّلِه إلى آخرِه، وهو واحدٌ منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم تَنوَّع في ملابس، ويَظهرُ في كنائس، فيُسمَّىٰ به باعتبارِ لباسٍ آخر؛ فاسمُه الأصليُّ الذي هو له باعتبارِ لباسٍ آخر؛ فاسمُه الأصليُّ الذي هو له

⁽١) «نقض المنطق» لابن تيمية (ص١٤١).

«محمد» وكُنْيتُه «أبو القاسم»، ووصفه «عبداللَّه»، ولَقَبُه «شمس الدين»، ثم له باعتبارِ بملابسَ أُخرىٰ أسام، و له في كلِّ زمان اسمُ ما يَليقُ بلباسِه في ذلك الزمان، فقد اجتمعت به عَلَيْ وهو في صورة شيخي الشيخ «شرف الدين إسماعيل الجبرتي"، ولَستُ أعلمُ أنه النبيُّ عَلَيْتُهِ ، وكنتُ أعلمُ أنه الشيخ، وهذا من جُملة مشاهد شاهدتُه فيها بـ «زَبيد» سنة ستٍّ وتسعين وسَبْعِمِئة، وسِرُّ هذا الأمرِ تمكُّنُه عَلَيْتُه مِن التصوُّرِ بكلِّ صورة، فالأديبُ إذا رآه في صورته المحمَّديَّة - التي كان عليها في حياته -، فإنه يُسمِّيه باسمه، وإذا رآه في صورة ما من الصُّور ـ وعَلِم أنه محمد ـ، فلا يُسَمِّيه إلاَّ باسم تلك الصورة، ثم لا يُوقع ذلك الاسم إلاَّ على الحقيقة المحمديَّة، ألا تراه عَيْكِيْ لَمَّا ظهر في صورة «الشِّبلي» وَالشِّبلي» وَاللَّهِ عَالَ الشِّبليُّ لتلميذه: «أشهدُ أنى رسولُ اللَّه» ـ وكان التلميذُ صاحبَ كَشْفٍ فعرفه ـ، فقال: «أشهد أنك رسول اللَّه»، وهذا أمرٌ غيرُ منكور، وهو كما يرى النائمُ فلانَّا في صورة فلان، وأقلُّ مراتبِ الكشفِ أن يَسوغَ به في اليقظة كما يَسوغُ به في النوم، لكنْ بين النوم والكشفِ فرقٌ، وهو أنَّ الصورةَ التي يُرى فيها محمدٌ ﷺ في النوم لا يُوقَعُ اسمُها في اليقظة على الحقيقة المحمدَّية؛ لأن عالَمَ المثال يَقعُ التعبيرُ فيه، فيعبِّرُ عن الحقيقة المحمدَّيةِ إلى حقيقةِ تلك الصورة في اليقظة، بخلاف الكشف، فإنه إذا كُشف لك عن الحقيقة المحمدَّية أنها متجلِّيةٌ في صورةٍ من صُور الآدميِّين، فيلزُمك إيقاعُ اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدَّية، ويجبُ عليك أن تتأدَّبَ مع صاحبِ تلك الصورة تأدُّبك مع محمدٍ عَيْظِةً لَمَا أعطاك الكشفُ أنَّ محمدًا عَيَالِيَّةٍ مُتَصوِّرٌ بتلك الصورة، فلا يجوزُ ذلك ـ بعد شهود محمد عَلَيْكُ فيها ـ أن تُعامِلَها بما كنتَ تعاملُها مِن قبل».

فهذا الكلام يلزمُ منه لوازمُ باطلةٌ، منها:

ا - قوله: «إن الإنسانَ الكامل - الذي يَعْنُون به النبي عَيُكُمُ تدورُ عليه أفلاكُ الوجود . . . وهو واحدٌ منذ أن كان الوجودُ إلى أبدِ الآبدين» . . هذا كلُّه مُفرَّعٌ عن نظرية «الفيض» وما فيها من مفاسد»(١) .

٧ - قوله: «له التصورُ بكلِ صورة»، يُفسر قوله: «ويَظهرُ في كنائس» فيلزمه أن النبي عَلَيْكُ يظهر في صورة النَّصارى من رهبان وقساوسة، وهو على هذه الصورة، إمَّا أن يدعو الناس إلى الإسلام - وهذا ما لا يُتصور -، وإما أن يدعوهم إلى النصرانية - وهذا هو القريبُ من فهم الجَيْلي -.

٣ - كما لا يلزمُ من قوله: "يُتصوَّرُ بكلِّ صورة"، اختصاصُه ﷺ بخصائص لم تكلِّ التصوُّر" ثَبَتَتْ التشكُّل أو «التصوُّر» ثَبَتَتْ للملائكة عليهم السلام والشياطين.

كا يَلزمُ مِن قُوله: «يَتصوَّرُ بكلِّ صورة»: العمومُ من لفظ «كل»، فيَشملُ التصوُّرُ بالصورِ الآدميَّةِ وغيرِ الآدميَّةِ من الكائناتِ والمخلوقاتِ الأخرىٰ.

* ﴿ سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) [النور: ١٦].

والحمدُ للَّه أنْ حَفِظَ عقولَنا عن تُرهَّاتِ فلاسفةِ الصُّوفيةِ ودَجَلِهِم وكُفرِهم.

⁽١) «الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر» للجيلي (٢/ ٧٤ ـ ٧٥) ـ دار الفكر ـ بيروت.

⁽٢) «خصائص المصطفى عليه بين الغلو والجفاء» تأليف د. الصادق محمد إبراهيم (ص٢١٩ ـ ٢٢١) مكتبة دار المنهاج ـ الرياض .

* السُّهْرُورُدي المقتول:

شهابُ الدين السُّهروردي - يحيى بن حبِش بن أميرك -، ولد بين سنَّتي ٥٤٥ - ٥٥٥ م، وصَل إلى حَلَب بعد أن طَوَّفَ بعددٍ من مُدنِ إيرانَ والعراق، وبعد أن دَرَسَ فلسفة التصوُّف الإشراقية في علوم الأوائل ولدى حُكماء الفُرسِ قبل الإسلام، وهي ما يُعرَف به الأفلاطونية الحديثة» (فلسفة أفلوطين ومن تابعه).

كان السُّهْرَوَرْديُّ يقول بمذهب «الإشراق»، أي أن ظاهرة إشعاع النور الأصيل هي الظاهرة المولِّدة الأصليَّة للوجود والكشف عن الوجود. وفكرة «الإشراق» تقوم في صميم الحكمة الأفلاطونية الحديثة واللاهوت المنبثق عنها. والذي يَختلطُ فيه الفِكرُ الهلينستي بالزرادشتيَّة، ويدخلُ عن هذا الطريق إلى الفكر الإسلامي.

وللسُّهْرُورُديِّ كتبُّ ورسائلُ كثيرةٌ في صورةِ أمثالٍ ورموزٍ، وهي منظوماتٌ فكريَّةٌ تدخلُ في باب «الميتافيزيقا الروحية»، على أنه في شطحاتِه الفكريةِ كان يلامسُ ـ أو يخترقُ ـ حدود الإيمان.

مَن ذلك: أنَّ الذي يقرأ القرآنَ لا يكونُ «هو» الذي يقرؤه؛ ولكنَّ اللَّهَ هو الذي يتلُوه من خلاله، فعلى المؤمنِ الذي مُنحَ مؤقَّتًا حقَّ قراءتِه ألاَّ ينسبَ القراءةَ إلى نفسِه، وألاَّ يُعمِيه «أناه» الخاص، وألاَّ يَضَعَ نفسَه موضع «هو».

وقوله: «إنَّ التوحيد لا يُقصدُ به ما انتشر عن إدراكِ اللَّه بالوحدانية الذاتية والقيُّوميَّة، وإنما يعني بتجريد الكلمة «أي: النفس» عن علائق الأجسام في المكان حتى ينطوي في الربوبيَّة القيُّوميَّة كلُّ نظر في مبادئ الوجود ومراتبه، ولا مقام فوق هذا المقام».

وثُمَّ درجاتٌ أربعٌ تتدرَّجُ حتى الكمالِ النهائيِّ للتوحيد الذي هو الدرجة الخامسة:

أولاً: مَن يقولون: «لا إله إلا اللَّه» وهي درجةُ سائر الناس.

ثانيًا: مَن يقولون: «لا إله إلا هو»، وهؤلاء يَنفُون عن «الهُوَ» الإلهيِّ كُلَّ أَنواع «الهُوَ».

ثالثًا: مَن يقولون: «لا إله إلاَّ أنت»، وهم يُسَمُّون اللَّهَ بضميرِ الغائب، ويُنكرِون كلَّ «أنت» تريدُ أن يشهدَ على نفسها بهذا.

رابعًا: كلُّ مَن يُخاطَبُ، تقومُ بينه وبين من يُخاطِبُه مسافةٌ، وهو لهذا مُشركٌ؛ لأنه يقولُ بوجودِ «الثُّنائية» وجودًا فعليًّا، ولهذا فإن الصيغةَ التي يَكمُلُ بها التوحيدُ هي: «لا أنا إلا أنا».

مِثلُ هذه المقالاتِ والصِيغِ الفكريَّةِ تُعَدُّ كُفرًا عند الفقهاءِ والعلماءِ الذين لا يمكنُ أن يَفهموا أنَّ «الأنا» عند الصوفيِّ هي توحُّدُ الإنسانِ في اللَّه.

والمتقدِّمون في الطريق «الصوفية» يُغرِقُون هذه الكلمات الثلاث «هو، أنت، أنا» في بحر «الفَناء».

في هذه القضايا وأمثالها جَرَت مجاولاتٌ متزايدة العُنف بين السُّهْرَوَرْديِّ والعلماء والفقهِاء، وعُقِدت مجالسُ للجَدَل، لعلَّ «الظاهر» ـ حاكم حَلَب ـ حَضرها وتأثَّر بها.

□ وسببُ الخلافِ أن الطرفين يتكلَّمانِ بلغتينْ مختلفتيْنِ، ويتناقشانِ
 وفي ذِهنِ كلِّ منهما صورةٌ من التفكيرِ مختلفة، ويبدو أن السُّهْرورديَّ قد

خَلعَ مع الفقهاء والعلماء الذين يناقشونه كلَّ تحفُّظ؛ لأنه يَحتقرهُم، ولأنه كان يتحدَّاهم مستندًا إلى ما صار له من تقدير لدى «الظاهر»، ولهذا صرَّح في نوع من التحدِّي الخاطئ بكل ما في أعماق فكره. . مستخدمًا تعبيرات شائكة تُمسُّ من وجهة نظر العلماء ـ قناعاتهم الإيمانية؛ فما أسرعَ ما ضَجَّ هؤلاء! وتحدَّثوا مع «الظاهر» عن كُفره؛ وظاهرُ قوله كفرٌ . . وبَلَغ الأمرُ حدَّه حين وَجَه الفقهاء إلى السُّهرورديِّ التهمة بأنه قال في كتبه: "إنَّ اللَّه يَملكُ إنْ شاء أن يخلق نبيًا، فهو قادرٌ على كل شيء »؛ وقال العلماء: "إلاَّ على خَلْق نبيًّ، فالرَّسولُ الأعظمُ خاتمُ الأنبياء ».

فقال السُّهْرورديُّ: «هل هذه الاستحالهُ هنا مطلقةٌ أو غيرُ مطلقة؟ فقالوا: أنت كافر».

وزعموا أنه ادَّعنى النُّبُوَّة! ولَمَّا لم يَستجِب «الظاهر» لغضب العلماء، كتَبوا لصلاح الدين يطلبون قتلَ الكافرِ الملحد؛ ولم يَستجب «الظاهرُ» أوَّل الأمرِ لأبيه، فأعاد العلماءُ الكرَّة، وكتبوا في دعواهم أنَّ السهروردي إذا تُرك حيًّا أفسد عقيدة الملك «الظاهر»، وإذا أُطلق سراحُه عمَّ فسادُه البلاد، مَا جَعل صلاح الدين يأمرُ ابنه بقتل الرجل، ويُهدِّدُه بخلعه عن إمارة حلب إنْ لم يفعل.

وهكذا قُتِل السُّهرورديِّ بشكلٍ غير معروف، بعضُهم يقول: مخنوقًا، وبعضُهم يقول: بالسيف؛ وبعضهم يقول: امتَنع عن الطعام حتى مات جوعًا.

والواقعُ أن مقتلَ السُّهرورديِّ كان نتيجةَ تَهَوُّرِهِ واستهتارِه، ونتيجةَ كلامِه مع العلماءِ بلغةٍ لا يَفهمونها أبدًا. . ونتيجةَ عقيدتِه التي تَغتبرُ الموتَ

أقصىٰ التوحُّد مع اللَّه وتسعىٰ إليه .

ولم يكن بُوسع صلاح الدين أن يترك هذا الزَّيْغَ ينتشرُ في الناسِ، لا سيما وهو غارقٌ في الحروبِ مع الكفَّارِ، وكان تراصُّ الجبهةِ الإسلاميةِ ضرورةً مطلقةً لدَحرِ الاحتلال الصليبي(١).

□ وفي «عيون الروضتين» لأبي شامة في ذكر صلاح الدين أنه كان
 «مُبغضًا للفلاسفة والمعطِّلة والدَّهْريَّة، ومَن يُعاندُ الشريعةَ المُطَهَّرة.

وقد أَمَر ولده «الظاهر» صاحب حلب بقَتلِ شابٍ كان نَشاً يُقال له السُّهْرَوَردي، قيل عنه: إنه كان معاندًا للشرائع مُبْطلاً، وكان قد قَبَض عليه ولدُه المذكور لِمَا بلغه مِن خَبَره، وعَرَّفَ السُّلْطَانَ به، فأمر بقتله وصَلْبه أَيَّامًا، فقتَله»(٢).

□ وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» عن «صلاح الدين»: «كان كثير التعظيم لشرائع الدين.. كان قد صَحِب ولده «الظاهر» وهو بحلب شاب يقال له «الشهاب السهرورديُّ»، وكان يَعرف الكيميا وشيئًا من الشُعبدة والأبواب النيرنجيات، فافتتن به ولد السلطان «الظاهرُ» وخالف فيه حَملة الشرع، فكتب إليه أنْ يَقتُلُه لا محالة، فصلبه عن أمر والده وشهره.. ويُقال: بل حبسه بين حَيطيْنِ حتى مات كمدًا، وذلك في سنة سَتُّ وثمانين وحَمْسمئة»(۳).

⁽١) انظر «صلاح الدين الفارس المجاهد، والملك الزاهد المُفْتري عليه» (ص٥٦ - ٦١) لشاكر مصطفى - دار القلم - دمشق. و «شخصيات قلقة» «للدكتور عبدالرحمن بدوي.

⁽٢) «عيون الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة (٤/ ٣٨٥) ـ مؤسسة الرسالة .

⁽٣) «البداية والنهاية» (٦/١٣) ـ دار الريّان ـ للتراث.



* الكو ْجلي وغيرُه من المنتسبين إلى الشيخ يونس القَتَّات:

الله المتات المنطقة الإسلام ابن تيمية عمن يقول: إن يونس القَتَّات يُخلِّص أَتباعَه ومُريديه من سُوءِ الحساب وأليم العقاب. ومنهم مَن يَدَّعي النبوة. فأجاب: «أما المنتسبون إلى الشيخ يونس: فكثيرٌ منهم كافرٌ باللَّه ورسوله، لا يُقرِّون بوجوب الصلوات الخمس وصيام شهر رمضان، وحجِّ البيت العتيق، ولا يُحرِّمون ما حَرَّم اللَّهُ ورسولُه؛ بل لهم من الكلام في سَبِّ اللَّه ورسولِه والقرآن والإسلام ما يعرفُه مَنْ عَرفهم.

وأما مَن كان فيهم من عامَّتهم لا يَعرفُ أسرارَهم وحقائقهم، فهذا يكونُ معه إسلامُ عامَّة المسلمين، الذي استفاده من سائر المسلمين لا منهم؛ فإن خواصَّهم مثل الشيخ «سلول، وجهلان، والصهباني» وغيرهم، فهؤلاء لم يكونوا يُوجِبون الصلاة؛ بل ولا يشهدون للنبيِّ عَلَيْلَةٌ بالرسالة.

وفي أشعارهم - كشعر الكوْجلي وغيره - من سبِّ النبي عَلَيْهُ، وسَبِّ النبي عَلَيْهُ، وسَبِّ القرآن والإسلام ما لا يَرضَى به لا اليهودُ ولا النصارى، ثم منهم من يقول هذا الشعر ليونس، ومنهم من يقول: هو مكذوبٌ على يونس، لكن من المعلوم المشاهد أنهم يُنشدون الكفر ويتواجدون عليه، ويبول أحدهم في الطعام، ويقول: يَشرح كبدي يونس، أو ماءُ ورْدِ يونس، ويَستحلُون الطعام الذي فيه البول، ويَرون ذلك بركةً!.

وأما كُفريَّاتُهم، مثلُ قولهم: «وأنا حَمَيتُ الحمى، وأنا سكنتُ فيه، وأنا تركتُ الخلائقَ في مجارِي التِّيه، موسى على الطور لَمَّا خرَّ لي ناجًا، وصاحب أقرب أنا جنبوه حتى جا، يوم القيامة يرى الخلائق أفواجًا، إلى نبيه عيسى يقضي لهم حاجًا».

ويقولون: تعالوا نُخرِّبُ الجامع ونجعلُ منه خَمَّارة، وذَ سِرُ خَشَبَ المنبرَ ونَعملُ منه زُنَّارة، ونحرقُ وَرَقَ ونعملُ منه طُنبارة، نَنتفُ لحيةً القاضي ونعملُ منه أوتاره، أنا حملتُ على العرش حتى صَجَّ، وأنا صرخت في محمد حتى هَجَ، وأن البحار السبعة من هيبتي ترتج "(۱).

* الإسحاقيَّة من غُلاة الشّيعة:

□ قال الشيخ عبدُالرحمن الوكيل: «أحدَثَها إسحاقُ بنُ زيدِ بنِ الحَرَّاثِ من القائلين بالإباحة وإسقاطِ التكاليف، وأنَّ لِعَلَيٍّ شركةً مع الرسول ﷺ، ثم تطوَّرت، فقالت بـ «الحَلول» كـ «النُّصيرية»... "(٢).

* ابنُ أبى العَز اقر (٣) _ لعنه اللَّه _:

هو أبو جعفر محمدُ بن علي الشَّلْمَغانيُّ، ويُقال له: ابنُ أبي العَزَاقِر.

الله قال الحافظُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية»: «ذُكِر عنه أنه يدَّعي ما كان يدَّعيه الحَلاَّجُ من الإلهيَّة، وكان قد مُسك في دَولة «المقتدر» عند حامد ابن العباس، واتُّهِم بأنه يقول بالتناسخ، فأنكر ذلك. . ولَمَّا كانت هذه المرَّةُ أَحْضَره «الراضي»، وادَّعيٰ عليه بما ذُكِر عنه، فأنكر، ثم أقرَّ بأشياء، فأفتى قومٌ أنَّ دَمَه حَلالٌ، إلاَّ أن يتوب من هذه المقالة، فضرب ثمانين سوطًا، ثم ضربت عنقُه وصلب، وأُلْحِق بالحلاَّج ـ قبَّحهما اللَّه ـ، وقُتِل معه صاحبه ابنُ ضربت عنقُه وصلب، وأُلْحِق بالحلاَّج ـ قبَّحهما اللَّه ـ، وقُتِل معه صاحبه ابنُ

⁽۱) «مجموع فتاوی ابن تیمیة» (۲/ ۱۰۶، ۱۰۲، ۱۰۷).

⁽٢) هامش (ص ٨٠) من كتاب «تنبيه الغبي».

⁽٣) وفي «المنتظم» (٣٤٢/١٣): «العزاقير»، وفي «الكامل» (٨/ ٢٩٠): «القراقر»، وفي «تنبيه الغبي» «الغراقيد».

أبي عَون ـ لَعَنه اللّه ـ، وكان هذا اللعينُ من جُملة طائفة قد اتبعوه وصدَّقوه فيما يزعمُه من الكُفر ـ لعنهم اللّه ـ».

وقد بَسط ابنُ الأثير في «كامله»(١) مذهبَ هؤلاء الكفرة بسطًا جيّدًا، وشَبَّه مذهبَهم بمذهب النّصيرية - لعنهم اللّه أجمعين - "(٢، ٣).

□ قال الشيخ عبدالرحمن الوكيل عنه: «كان يعتقدُ أنه إلهُ الآلهة، وأنَّ اللَّهُ سبحانه يَحُلُّ في كلِّ شيءٍ على قَدْرِ ما يَحتمل، وأنه قد حَلَّ في آدم، وفي إبليس، وأن اللَّه تعالى إذا حلَّ في جسد أظهر من القُدرة والمعجزة ما يدلُّ على أنه هو اللَّه، له كتابُ اسمه «الحاسَّة السادسة»، صرَّح فيه برفض الشريعة، وإباحة اللواط، وزعم أنه إيلاجُ نور الفاضل في المفضول، ولذا أباح أتباعُه نساءَهم له، طمعًا في إيلاج نوره فيهنَّ، وكان يُسمِّي محمدًا وموسى «بالخائنينِ»، زعمًا منه أن هارونَ أرسَل موسى، وأن عَليًّا أرسل محمدًا فخاناهما»(١٠).

□ يقول الحافظُ ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (٢٠٨/١٥) أحداث سنة أربعين وثلاثِمئة: «وفيها رُفع إلى الوزير أبي محمد اللهَلَبي رجلٌ من أتباع أبي جعفر محمد بنِ علي بن أبي العزاقِر الذي كان قُتِل على الزندقة

⁽۱) «الكامل» (۸/ ۹۰ ، ۹۶).

⁽٢) «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٢).

⁽٣) وفي أحداث هذه السنة (٣٢٢هـ) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (١٥/ ٨٢): «وادَّعَىٰ رجلٌ ببلاد الشاس النُّبُوَّة، وأظهر مخاريق وأشياء كثيرة من الحِيَل فجاءته الجيوش، فقاتلوه، فقتلوه واضْمَحَلَّ أمره».

⁽٤) هامش (٥) (ص٢٩ ـ ٣٠) من «تنبيه الغبي»، وانظر «الشذرات» (٢/ ٢٩٣).

كما قُتل الحلاَّج، وقد اتَّبَعَه جماعةٌ من الجَهَلة ببغداد، وصَدَّقوه في دَعْواه الرُّبُوبية، وأن أرواح الأنبياء والصدِّيقين انتقلت إليهم، ووُجِد في منزله كتبُ تدلُّ على ذلك».

* قُرَّةُ العين، غانيةُ «البابية»، والداعيةُ إلى نسخ الشريعة المحمدية:

هذه البَغِيُّ الكافرةُ أولُ مَن دَعَتِ البابيِّين إلى نَسخِ الشريعة، وخَطَبت بذلك في مؤتمر «بدشت».

 ◘ وذَكر خُطبتَها «محمد مهدي خان» في كتابه «تاريخ البابية» أنها خَطَبت بذلك قائلةً: «أيها الأحباب والأغيار، اعلَموا أن أحكامَ الشريعة المحمَّدية قد نُسخت الآنَ بظهور الباب، وأن أحكامَ الشريعة الجديدة البابية لم تَصلُ إلينا، وأنَّ اشتغالَكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة ـ وسائرِ ما أتى به محمدٌ كلُّه ـ عملٌ لَغوٌ وفعلٌ باطل، ولا يَعملُ بها بعدَ الآن إلاَّ كلُّ غافل وجاهل. . إنَّ مولانا «الباب» سيَفتحُ البلادَ، ويُسخِّرُ العبادَ، وستَخضعُ له الأقاليمُ السَّبعةُ المسكونة، وسيُوحِّد الأديانَ الموجودةَ على وجهِ البسيطة، حتى لا يَبقى إلاَّ دين وحد، وذلك الدين هو دينه الجديد وشرعه الحديث الذي لم يَصِلْ إلينا إلى الآن منه إلاَّ نَزْرٌ يسير، فبناءً على ذلك أقولُ لكم: لا أَمْرَ اليومَ ولا نَهْيَ ولا تعنيف، وإننا نحنُ الآنَ في زمنِ الفترة، فاخرُجوا من الوحدة إلى الكثرة، ومَزِّقوا هذا الحجابَ الحاجزَ بينكم وبين نسائكم بأن تشارِكُوهنَّ بالأعمال، وتُقاسمُوهنَّ بالأفعال، وواصلُوهُنَّ بعد السَّلْوَة، وأخرِجُوهنَّ من الخَلْوة إلى الجَلْوة، فما هُنَّ إلاَّ زهرةُ الحياة الدنيا، وإنَّ الزَّهرة لابدَّ من قَطْفها وَشمِّها؛ لأنها خُلقت للضَّمِّ وللشَّمِّ، ولا ينبغي أنْ

يُعَدَّ ولا يُحَدَّ شامُّوها بالكيف والكم؛ فالزهرةُ تُجْنَىٰ وتُقطف، وللأحباب تُهْدَىٰ وتُتَحَف، وأمَّا ادخارُ المال عند أحدِكم وحرمانُ غيرِكم من التمتُّع به والاستعمال، فهو أصلُ كلِّ وزْر، وأساسُ كلِّ وبَال، ساوُوا فقيركم بغنيِّكم، ولا تَحجُبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذْ لا رَدْعَ الآن ولا حَدَّ ولا مَنْعَ ولا تكليفَ ولا صدَّ، فخذوا حظَّكم من هذه الحياة، فلا شيء بعد الممات»(۱).

و «قرة العين» اسمها الحقيقي «أمُّ سَلَمَىٰ»، وُلدت في «قَزْوين» سنة المها الحقيقي «أمُّ سَلَمَىٰ»، وُلدت في «قَزْوين» سنة المها أو ١٢٣٥هـ. وُلدت للمُلاَّ «محمد صالح القزويني» أحدُ علماء الشيعة، وأخُ أصغرُ لعالِم شيعيًّ معروف، وإمام الجمعة لمدينة «قزوين» المُلاَّ «محمد تقيًّ القزويني»، وأخُ أكبر لملاَّ «علي الشيخي» تلميذ «الرشتي».

فدرست العلوم من والدها «محمد صالح» وعمها «محمد تقي»، ومالت إلى «الشيخية» بوساطة عمها الأصغر «الملا علي»، تعلقت بتعاليمها، وتأثّرت بها إلى الغاية، وبدأت تُكاتب السيد «كاظم الرشتي»، وتُدافع عن أفكاره وعقائد «الشيخية» بحماسة وقوّة، واشتُهرت بذكائها المدهش وفصاحتها وطلاقة لسانها، بجانب الجمال الفائق والحُسن البارع والشباب المتوقّد، وكانت تُلقّب به «الزرين تاج» «أي: التاج الذهبي» لجمال شعرها الذهبي اللون.

⁽١) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٨٠)، و«البابية» (ص١٨٧ ـ ١٨٨) لإحسان إلهي ظهير.

⁽٢) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص٦٠).

□ ويقول «هيوارت»: «زرين تاج الملقّبة بقرة العين، وهي ابنةُ الملاّ صالح، كانت فائقة الجمال، شديدة الذكاء»(١).

□ ويقول الكونت «جوبينو الفرنسي» وهو يذكرها في كتابه: «وكانت هذه من مدهشات العصر لعلمها وفضلها وحماستها الدينية «الشيخية والبابية بعد ذلك»، وفصاحتها المتدِّفقة، وجمالها البارع»(٢).

الله ويقول «البستاني» نقلاً عن السيد «جمال الدين الأفغاني»: «فُتيَّةُ بارعةُ الجمال، متوقِّدةُ الجَنان، فاضلةٌ عالِمة، تُسمَّى باسم «سلمى» (والصحيح: أم سلمى) من بنات أحد المجتهدين في العلم»(٣).

ولَقَّبها الرشتي بـ «قُرَّة العين»(1) .

فخاف عليها أبوها وعمُّها، على جمالِها اللامع، وشبابِها الوحشيِّ في المراهقة، والذكاء المُفرِط، والإحساسِ المرهَف، فزوَّجوها مبكرًا من ابن عمِّها الملاَّ محمد ابن الملاَّ تقيٍّ إمام الجمعة (٥٠).

ولَم تَبلغ الثالثةَ عَشْرَةَ من عُمرها يومَ ذاك (٦) .

فُولدت له ثلاثةً من الأولاد ـ ذَكَرَينِ وأنثى ـ، ولَمَّا بَلَغَتِ الرشد، وأدركت قوَّة تأثيرِها الكلاميِّ، وفتنة شبابِها النَضِرِ، تنفَّرت من الجوِّ،

⁽١) «دائرة المعارف الإسلامية» (٣/ ٢٢٨).

⁽٢) «الديانات والفلاسفة في آسيا الوسطى» نقلاً عن «دائرة المعارف» لوجدي (٦/٢).

⁽٣) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨).

⁽٤) «الكواكب» (ص ٦١) لعبد الحسين آواره.

⁽٥) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص ٦٠) ط فارسي.

⁽٦) «قرة العين» (ص٣٢) لمارتاروت ط باكستان.

واحتَقرت الملاَّ محمد زوجَها، وبدأت تشعرُ الاشمئزازَ من قُربه، فلجأت إلى بيت أبيها، وتركت بيتَها بيْتَ الزوج، فلم تهدأ ثورتُها، بل زاد جنونُها بمرورِ الأيام وكرِّ الليالي، وأحسَّت بأنها تَحتاجُ إلى مَن يُهدِّيءُ ثورتَها المشتعلة، ويُعبِّدُها عبادةَ الوَلْهانِ والعبدِ راكعًا وساجدًا أمام صَنَمِه ومعبودِه مُرغِمًا أنفَه ومُذلاً وجهه.

ولكن البيئة التي نشأت فيها كانت لا تزالُ محافظة على القيم الرُّوحية وبقيَّة الأخلاق الإنسانية والإسلامية، فالتجأت منها إلى الشَّعرِ الغَزَليِّ الفاجرِ السافل، تشكو فيه اشتعالَ الحُسنِ، ووهَجَ الشباب، والثورة الراعنة التي أحاطت وجودها، والرغبة المُجتاحة، ولوعة الحبِّ والعشق، وظُلْم البيئة، وقسوة الحرمان، فاشتُهرت قصائدُها بالغزلِ المشبوبِ باللهفة، والمُهيِّج للعواطف الشَّهُوانية الحيوانية، وشعرت أنْ لا سبيلَ إلى قضاء شهواتها وطلب رغباتها والفسق والفجور إلاَّ برفع القيود الإسلامية ولحدود الأخلاقية، فبدأت تُفكِّرُ في كسر القيود وحَلِّ الحدود.

وهاهنا في هذا المقام أُريدُ تنبيهَ القُرَّاءِ والتفاتَ الباحثين إلى أن «أم سلمي» «زرين تاج» «قرة العين» الطاهرة هذه هي المُوجدة الحقيقة والمؤسسة الأصلية للديانة البابية، ومُحرِّكتُها ومُحرِّضتُها على ذلك الإلحاد والفساد، لتضايُقها عن تلك القيم والتعاليم التي تَفرضُ عليها التستُّر والحجاب، والكفَّ عن الخلاعة والمجون في الشَّعرِ والقولِ، والردع عن الفسق والفجور.

□ ولأجل ذلك كانت تُردِّدُ ذلك القولَ كثيرًا: «يا أوَّاه.. متىٰ يَطلُعُ
 ذلك اليومُ الذي تَظهرُ فيه شريعةٌ جديدة؟! ومتىٰ يأتي ربِّي وإلهي بتعاليمه

الحديثة وأتشرف بأن أكون أول نساء العالم التي تَعتنقُها وأُلبِّي دعوتَه؟!»(١).

◘ وأيضًا: «كانت تُفكِّرُ كثيرًا في ظهورِ ذلك المَظْهَرِ الجديدِ الذي سيَظهرُ، وكانت تقولُ لعمِّها الشيخي الملاَّ علي: لأكونَنَّ أنا أولَ المؤمناتِ به (٢٠٠٠).

□ وعبارةٌ أخرىٰ عن مؤرِّخ البابيين والبهائيين «عبدالحسين آواره»، حيث يَروي: «أن قُرةَ العين توقَّفت في سَفَرِها بكربلاء، وامتَنعت عن الرجوع إلى أهلها، ناظِرةً ومنتظرةً ظهورَ وبلوغَ ذلك الجمالِ المقصود»(٣).

□ وعبارةٌ أخرى عن «الزرندي البهائي»: «إن المرزة «محمد علي القزويني» ـ زوج أخت قرة العين ـ لَمَّا أرادَ السفرَ من قزوين إلى كربلاء، أعطته القرةُ رسالةً مختومةً مُغلقةً قائلةً له: إنه سيجدُ في سَفَرِه ذلك الموعودَ المنتظرَ، وإنْ وَجَدَه أو لَقيَه فيُقدِّمُ إليه رسالتَها، ويُبلِغُه أشواقَها»(٤) .

□ وذكر البروفسور "إدوارد براؤن" - المستشرق الإنجليزي المعروف والمُحبُّ للبابيين وراويتهم في أوروبا -، ذكر معلَّقًا على التاريخ الجديد: "إن تلامذة "الرشتي" لمَّا سافروا إلى الجهات المختلفة والأطراف المتفرِّقة للبحث عن غائبِهم المنتظر، أعطت قرةُ العين رسالةً للملاَّ "حسين البشروئي"، قائلة له: إنك أنت الذي ستجدُ الذات الموعودة وتَلتقي بحَضْرَته، فتَقَدَّمْ إليه

⁽١) «قرة العين» (ص٩٦) ط المحفل الملي البهائي الباكستاني عام ١٩٦٦م.

⁽٢) نفس المصدر (ص٣٩).

⁽٣) «الكواكب» (ص٦١).

⁽٤) «مطالع الأنوار» للزرندي البهائي نقلاً عن «قرة العين» (ص٤٣).



برسالتي واعتقادي وإيماني به قبل إعلانه»(۱) .

فهذه النقولُ كلُّها والنصوصُ والعباراتُ تدلُّ على لَهفتها واضطرابها في الخروج على الإسلام والانسلاخ منه ومن حُدوده وقيوده، كما تبيَّن أهميتُها ودَوْرُها واهتمامُها في تكوين نِحْلةٍ جديدةٍ ودينٍ جديد.

وقبل أن ننتقل من كلامنا هذا، نَسرُدُ بعض أبياتها الشّعرية الغَزَليَّة، ليأخذ القارئ والباحث فكرة عن حقيقة هذه الفاجرة الباغية وعما قُلنا عنها:

□ ونبدأ بغَزَلها الذي قالته باللغة العربية:

يا نَدي قُمْ فإنَّ الديكَ صاح لستُ أصبرُ عن حبيبي لحظة بَذُلُ رُوحي في هيواه هيينٌ قاتلَتْني لَحْظيةٌ من غير سيف قد كَفَتْني نظرةٌ مني إليه هام قلبي في هواه كيف هيام لَم يُفارِقْني خيالٌ منه قيطُ إن يشاء يُحرق فؤادي في النَّوَى

◘ ولها قصيدةٌ غزليةٌ أخرى صَدرُ أبياتها في اللغة الفارسية وعَجُزُها

⁽۱) «تاریخ جدید» ط کیمبردج تعلیقة براؤن، و «نقطة الکاف» (ص۱٤۰) و «الکواکب» (ص۱۲۱).

⁽٢) أبيات لقرة العين البابية المنقولة من كتاب بهائي «ظهور الحق» (ص٣٦٦).

باللغة العربية ، نُورد بعضًا منها هاهنا مترجَمةً بصَدْرِها بالنصِّ العربي :

يُريدون وَصْلَكَ ويَتيهون فيه افتَـعُ يا مُفتحَ الأبوابُ متى يَحصلُ لهم أللقاء كم بَقُوا ناظرينَ خَلْفَ الباب طال تطوافُهم وراءَ حجابْ ما لديهم سوى لقاك ثواب ما لديهم أرهم نظرةً بالاجلباب (١)

إلى متى الصبرُ والحرمـــانُ؟ ليس مَطَلبُ نـا ومَقـصدُنـا غيرَك إلى متــى تَبقَــى وراءَ الحَسـَـرات

◘ ومن أبياتها في اللغة الفارسية:

يا حبيبي إن حَصَل الوصالُ يومًا ما الأُخبرَك بما حصل لى من المصائب والمشاقِّ في سبيل رُؤيتك يا حبيبي تجوَّلتُ بيتًا بيتًا وزُقًّا زُقًّا وقريةً قريةً ومدينةً مدينةً لرؤيتك مشل الصبا لرؤية خَدِّكُ حبيبي في فراقك جَرَت عيدونُ الدم من العيدون وأُصبغت مياهُ دجْلة وعيونٌ وبُحور حبيبي رُموشُ عيونك قَتَلَتْني وخالُ خللًا أَسَرني وحُسبَّسك خَتَم على قلبي وسمعي وبصري

□ ومنها:

يا صنَّمى عشقُك أوقعَنى في المعاصي

⁽١) «ظهور الحق» (ص٣٦٦) ط فارسى.

والآنَ لَم يَبْقَ لَي قوةُ الصبرِ وطاقةُ الانتظارِ إلى متى فراقك إن جسمي بجميع أجزائه صار كالناي يَحكي عن هَجْرِك يا ليتَ تضعُ قَدَمَكَ على فراشي ليلةً ما فَجْاءةً بكرمك فأطير رُ فَرَحًا وسرورًا بدونِ أجنحة (۱) فهذا موجزُ ما أردنا إيرادَه ها هنا، لأَخْذِ الفكرةِ السريعة عن مُجونها واستهتارها في شعْرِها الغَزليِّ السافر، وقد أوردناها من كُتبهم هم.

فهذه هي قرةُ العين، وقد أرغَمَتْ أهلَها على السماح لها بسفرِها من «قزوين إيران» إلى «كربلاء العراق» لزيارة «العتبات المقدسة» ـ على زعم القوم ـ، وفرارًا من الضيّق العائلي، وهربًا من التقاليد، وذلك قبل موت «كاظم الرشتي» بقليل، ووصلت إلى كربلاء مع زوج أُختها الشاب «محمد على القزويني» الذي لَم يبلغ العشرين ـ وهي أيضًا في روعة الشباب وأوجه في العشرين أو زيادةً عليه بسنة ـ، فمكثت مدةً فيها وفي النجف، ودرست على السيد كاظم الرشتي وخاصةً في الإلهيات»(١).

□ وبعد موت الرشتي جَلست على مَسنَدِ الشيخية، وبدأت تُدرِّسُ تلامذة الرشتي، «وتمكَّنت من الجلوسِ في مَقام الرشتي، وأبهرت عقولَ الدراويش في تلك المدرسة بخطاباتها الرنَّانة الفتَّانة، وخلَبت قلوبَهم بجمالها المدهش وشبابِها القاتل المُحرِق، فبدؤوا يظنُّونها رُكنًا رابعًا للشيخية

⁽١) قصيدة قرة العين لمنقولة من كتاب بهائي «قرة العين» (ص١٣٨) ط باكستان.

⁽٢) «مقالة سائح» لعباس أفندي ابن حسين علي المازندراني البهاء، (ص٢٦) ط لاهور ١٩٠٨م.

وزعيمتهم»(١).

وآثَرَتِ المكوثَ هنالك بين الشباب الشيخيين المتحرِّرين أكثَرَ من الآخرين في ذلك الزمان، حيث إن النساءَ والفَتياتِ كنَّ يَحضُرْنَ دُروسَ الرشتي معهم.

□ وأنكرت الرجوع إلى أهلها، ولَبِثَ المرزةُ محمد علي القزويني معها أولَ الأمر، ثم تَركها وحدَها بين الطلاَّب والرجال، فأفتت أول ما أفتت: «يجوزُ للمرأة أنْ تتزوَّجَ تِسعةَ رجال»(٢).

□ ثم رَفعت الحجاب، «وكانت تظهرُ سافرةٌ في الأماكن العامة،
 وتختلطُ بالرجال وتُدرِّسُهم وتَخطُبُهم بدون حاجز بينها وبينهم»(٣).

 ☑ ويُروئ عنها أنها كانت تقول: «بحِلِّ الفروجِ ورفعِ التكاليف بالكليَّة»(١٠) .

□ مستندةً بقول الرشتي أنه قال في كتابه «رسالة في الفروع»: «إن نظرة آل اللّه تُطهِّرُ الأشياء، وآلُ اللّه في الحقيقة هم المعصومون الأربعة عَشرَ - أي النبي والوصي ُ وزوجتُه فاطمةُ وأولادُهُما الأئمَّةُ الأحدَ عشر حَسْبَ زعمهم -، ونظرةُ آلِ اللّه إرادتُهم، وإرادتُهم هي عينُ إرادةِ اللّه وأمرِه، والحلالُ والحرامُ موقوفٌ على إرادةِ اللّه، وهو موقوفٌ بإرادتهم

⁽۱) «نقطة الكاف» للكاشاني، (ص١٤١، ١٤١).

⁽٢) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٧٦).

⁽٣) «مطالع الأنوار» (ص٢١٤) على الهامش.

⁽٤) «مختصر التحفة الاثنى عشرية» (ص٢٤) ط القاهرة.

هم بهذا المعنى.

السلام -، وقالت: «حُكمُ عيني حُكمُ عينها، وكلُّ شيءٍ ألقيتُ عليها السلام -، وقالت: «حُكمُ عيني حُكمُ عينها، وكلُّ شيءٍ ألقيتُ عليها نظرتي ورأيتُها بعيني طَهُرت وحَلَّت مع حُرمتها ونجاستِها»، وأيضًا: «فأتُوا إلى الأشياء حتى أحلَّها وأطَهِّرَها بنظرتي إليها»(١).

ولَمَّا أعلن الشيرازي ـ بإيعاز من البشروئي وتحريضًا منها هي ـ مَهْدَويَّتُه وقائميَّتُه، أدخلها في حُروف الحيِّ مع رفيق سفرِها وخائن أُختِها ومَحْرَم سرِّها المرزة «محمد على القزويني»(٢) .

«ولُقِّبت بـ «الطاهرة» مِن قِبَلَه هو »(٣).

فَبَلَغَتُ إلى أَمنيَّتِهِا القديمةِ من إيجادِ شريعةٍ جديدة، مُنحَلَّةٍ عن جميع القيود والحدود، ثم سافرت من كربلاء إلى بغداد في جَمْعٍ خَليطٍ من الرجال، «مثل صالح العرب، وطاهر الواعظ، وإبراهيم المحلاَّتي، ومحمد المليح»(1).

الله ومن النساء: «خورشيد خانم، وأخت البشروئي وغيرهن، ولَمَّا خرجت من كربلاء مع أصحابها ورفيقاتِها كان أهالي كربلاء يرمُونهنَّ وهم بالأحجار»(٥).

⁽١) «نقطة الكاف» (ص ١٤١) ط مطبعة بريل لندن ١٩١٠م.

⁽٢) «قرة العين» (ص٤٣).

⁽٣) «الكواكب» (ص٦٢) ط فارسي.

⁽٤) «نقطة الكاف» (ص ١٤١).

⁽٥) «قرة العين» (ص٤٦).

وعَملَت المنكرات، وارتكبت الفواحش، وأطلَقت نفسها للشهوات، وقدَّمَتْها فريسة لكلِّ مفترس، وصيدًا لكلِّ مصطاد، فتَهتَّكت، ونزلت في السَّفالة والوضاعة إلى أدنى حدِّ، واقترفت من المعاصي والمآثم إلى غاية، حتى اضْطَرَبَ رِفاقُها وزملاؤها في السفر، وصرخوا بأعلى الصوت من لهيبها واحتراقها وطُغيانها، «فسَبُّوها ولَعنوها وقَدَّموا الشكاوى منها إلى مقام الحَضرة «الشيرازي»، فردَّ عليهم «الشيرازي»: «ماذا عسى أن أقول فيمن سَمَّاها لسانُ العظمة والقدرة: «الطاهرة»؟!»(١) ، «ولا تُردُّ الطاهرة في حُكمها، فإنها أدرى بمواقع الأمر من غيرها»(١) .

وذَمَّ «الشيرازيُّ» الذين كتبوا الشكاوئ ضدَّها، وخاصةً السيد «علي» الذي خَطَّ الرسالة بقلمه، فَلمَّا رأى هؤلاء الأمور منعكسة، ورَأُوُا النجاسة طهارة والحرام حلالاً، لعنوها ومَن لَقَبها بـ «الطاهرة».

وارتدَّ عن البابية السيد علي، والسيد طه، والكاظم، والسيد حسن جعفر وغيرهم (٢٠) .

"وطَلَقت نفسَها من زوجِها "عليًّ" خلافَ حُكمِ شريعة الإسلام"(أ) .
وأثناء سفرِها هذا لَمَّا نَزلت في "كرمانشاه" مع أحبائها ـ وهذا هو عينُ
التعبير البهائي ـ ورفاقها مُصعِرةً أسواقَ الفُحشِ والمنكرِ والبَغْي، "انكبَّ عليهم أهلُ تلك المدينة، وهاجموهم، وأخرجوهم من مدينتهم، وطهَّروها

⁽١) «نقطة الكاف» (ص١٤١) ط فارسى.

⁽٢) «الكواكب الدرية» (ص١١٢) ط فارسى.

⁽٣) المصدر السابق (ص١٢٢).

⁽٤) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨).

من نجاستهم ورِجْسِهم»(١) .

وكانت تَجمعُ حولَها المراهقين خاصةً، وتفتحُ لهم قلبها وأحضانها.

□ فمثلاً المرزة «يحيى صبع الأزل» الذي وصفه المؤرّخون بأنه كان شابًا وسيمًا جذّابًا طويلَ القامة أنيقًا رشيقًا في السابعة عَشْرة من عمره. . يكتبُ عنه وعنها أولُ المؤرّخين البابيين المرزة «جاني الكاشاني»: «كان المرزة «يحيى» مركزُ الجَمال والجَلال يتكرّرُ إلى «الطاهرة»، وكانت وهي في الثانية والعشرين من عُمرها ـ شابة ملتهبة ـ أمّ الإمكان تحتضنُ ذلك الطفلَ الأزلي ـ وهو في السابعة عَشْرة من العمر ـ عُمرِ المراهقة والفتوّة والشباب المقبل ـ ، وتُرضعُه من لَبَنٍ لَم يتغيّرْ طَعمُه، وتُربيّه في مَهْدِ الآداب الحَسنة والأخلاق الطيّبة، (فيا لها من تربية؟) وتُلبِسُه ملابسَ أهلِ الفكرة المستقيمة، إلى أن قويَتْ بِنيتُه»(٢) .

الفواحش في بيداء «بدشت» إلى أن اضطُرَّ البشروئي بأن يقول: «إني أُقيمُ الحدَّ على شُركاء مؤتمر بدشت» (٣) .

وقد مرَّ تفاصيلُ تلك الفضائحِ سابقًا(١) ما تُغنِي عن إعادتِها، اللَّهم إلاَّ لَفتُ الأنظارِ إلى أمرِ هام، ألاَ وهو إعادةُ القول بأنَّ قرة العين كانت هي المؤسسة الحقيقيَّة للبابية كما ذكرنا قريبًا مُستندين إلى شهاداتِ القوم

 ⁽١) «الكواكب» (ص١١٥).

⁽٢) «نقطة الكاف» (ص ٢٤١) نص الترجمة حرفيًا.

⁽٣) المصدر السابق (ص١٥٥).

⁽٤) انظر «مقال البابية تاريخها ومنشؤها» و «الشيرازي ودعواه».

أنفسهم، وأيضًا مؤتمر «بدشت» بتفاصيله أكبرُ دليلٍ وسنَد على ذلك الأمر، حيث إن المؤرِّ خين قاطبةً ـ بابيِّين كانوا أو مسلمين، مسيحين أو بهائيين اتَّفقوا على أن أولَ مَن اقترَح بنسخ شريعة الإسلام ورَفع أحكامها كانت هي الفاتنة الفاجرة، فلقد كانت تُوجِبُ نَسْخ تلك الشريعة الغرَّاء التي طالما منعتها وردَعتها عن الجري وراء الشهوات واللذات النفسية الخبيثة، وأرغمتها على قَهْر نفسها عن وطئها الرجال وتمرُّغها في أوحال الذنوب والخطايا، وأجبرتها بالبقاء مع زوجها، والإقناع والاكتفاء به وحده، وكفها عن الارتماء والاحتضان كلَّ يوم بين قَدَمَيْ رجل جديد وزوج جديد.

وكان صدرُها ملينًا بالبغض والانتقام من ذلك الناموس الإلهي السَّماوي الذي كان يَردعُها مِن استبدال زوج مكان زوج، وعَشيقٍ مكان عشيق، وحبيب مكان حبيب في كل ليلة ويوم، معتقدة بأن النساء ما هن الأ زهرة الحياة الدنيا، «وإن الزهرة لابد من قطفها وشمها؛ لأنها خُلقت للضم والشم . فالزهرة تُجنَى وتُقطف، وللأحباب تُهدَى وتُتْحَف»(۱) ، «ولا تحجبوا حلائلكم عن أحبابكم، إذ لا رَدْعَ الآن، ولا حَدّ، ولا مَنْع، ولا تكليف، ولا صد ، فلا شيء بعد المات»(۱).

ولقد أُحبَّت الملاَّ «محمد البارفروشي» حبًّا جنونيًّا، وقدَّمت له نفسها وكلَّ ما تَمْلكُ، وسَمَحتْ له أن يستذلِّها ويُمرِّغَها ويَستعبدَها، ولكنها لَم تَكتفِ به وحدَه، وسَخَت بنفسِها، وجادت للمرزة «حسين علي

⁽١) «مفتاح باب الأبواب» (ص١٨١) من خطبة قرة العين في مؤتمر بدشت.

⁽٢) المصدر السابق، وقد مر تفاصيل ذلك في مقال «الشيرازي ودعواه».

المازندراني " - البهاء -، مع امتصاص أخيه الصغير المرزة «يحيى صبح الأزل».

وو هَبَها المرزة «حسين علي» لشاب شيرازي اسمه المرزة «عبدالله» في «نيالا» ـ موضع من مواضع مازندران ـ ، وذهب بها إلى «النور» ـ قرية حسين على (۱) ـ ، لما كان عارفًا لعاصفتها وهيجانها .

فقرَّةُ العين هذه هي التي كانت تُملِي عليَّ الشِّيرازي - البابَ - ، وتأمرُه أن يعملَ هذا وذاك ، وحتى هي التي أمرَتْه باعتلاء عرش الربوبية ، واستوائِه عليه ، وادعائه الألوهية .

البابيين البهائيين، أنها كتبت إلى المرزة «علي محمد الشيرازي» - الباب - وهو البابيين البهائيين، أنها كتبت إلى المرزة «علي محمد الشيرازي» - الباب - وهو سجينٌ في قلعة «ماه كو» في قصيدة غزَليَّة طويلة هذه الأبيات، بعضُها في الفارسية، وبعض منها في العربية الركيكة:

لَمَعاتُ وَجهِكَ أشرقت وشُعاعُ طَلْعَتك اعتلى جَذَباتُ شَوقك ألجمت بسلاسل الَغمِّ والبلا وإذا رأيتُ جمالَه طَلَع الصباحُ كأنما

□ إلى أن قالت في اللغة الفارسية:

⁽١) «مطالع الأنوار» (ص٢٩٩) ط إنجليزي.

⁽٢) «قرة العين» لمس مارتروت (ص٤٤).

وأخيرًا، اشتركت في مؤامرة قَتلِ عمّها ورحيمها «أب الزوج» الملا «تقي» إمام الجمعة بقزوين لَمَّا أراد الحيلولة بينها وبين لَهوها واستهتارها عام ١٢٦٣هـ، فسُجنت في قزوين، ولكنها استطاعت الفرار من السّجن مع أصحابها وعُشّاقها، وخاصة عساعدة ومعونة المرزة حسين علي البهاء(١).

ثم «اشتركت في مؤامرة اغتيال الشاه «ناصر الدين القاجاري» بعد قَتلِ الشيرازي، وقبض عليها، وحكم بأن تُحرق حيةً، ولكنَّ الجلاَّدَ خَنَقَها قبل أن تَلعَبَ النارُ بالحطب الذي أُعدَّ لإحراقها»(٢).

"ورُميت جُنَّتُها في حفرة بعدما مُلئت بالحجارة والتراب" ، وكان ذلك "في أول ذي القعدة سنة ١٢٦٨هـ الموافق ١٨٥٢م (١٠) ، أي: بعد سنتين وشهرين من قتل الشيرازي، وكان عمرُها آنذاك من اثنين وثلاثين إلى سَبَع وثلاثين على مختلف الأقوال.

ولقد أطللنا الكلام في سيرتها، وفَصَّلْنا القولَ في حياتها، لِمَا لها من أهميةٍ خاصةٍ في الديانة البابية والبهائية أيضًا.

□ ولقد كتب المستشرق الإنجليزي «إدوارد براؤن» في مقال له: «إن الشخصية الجذَّابة الحلاَّبة لأنظارنا وانتباهنا في تكوين الديانة البابية ـ غير الباب الشيرازي ـ هي الجميلة الذكية التي وُهبت حظًا وافرًا وقسطًا وافيًا من الحسن والجمال والعقل والذكاء «قُرَّةُ العين»، التي كانت شاعرة وعالِمة الحسن والجمال والعقل والذكاء «قُرَّةُ العين»، التي كانت شاعرة وعالِمة

⁽١) «الكواكب الدرية في مآثر البهائية» (ص١٢٥) ط فارسى.

⁽٢) «دائرة المعارف» للبستاني (٥/ ٢٨) ط طهران.

⁽٣) «الكواكب» (ص٣٢٢) ط فارسي و «قرة العين» (ص٩٧).

⁽٤) «الكواكب» (ص٣٢٠).

وخَطيبةً، ولُقِّبت بالطاهرة»(١).

□ ويقول السير «فرانسيس ينج» في كتابه: «إن أقوى الشخصيات في الحركة البابية وأَمْيَزَها من الجميع هي «قرة العين» التي كانت شاعرة متازة وخطيبة بليغة مؤثّرة "(٢).

□ وقال «ويلينيتائن»: «ما كان لأحد تأثيرٌ ونفوذٌ في البابيين مِثلَما كان لشاعرة قزوين قُرة العين الطاهرة»(٣) .

* الرَّجُلُ الصَّنَمُ مُصْطَفَى كَمَال أَتَاتُورْك - عدوُّ اللَّهِ ورسولِه - (١):

☑ لا تَعْجَبْ من قولِ كثيرٍ من المؤرِّخين: «إن أتاتورك كان صربيًا أو بلغاريًّا»!!.

لم يتحدَّثْ عن والدِه يومًا، ورواياتٌ كثيرةٌ ـ لا تَقِلُّ نسبتُها عن تسعينَ في المئة من الروايات ـ أنه كان من سِفاحٍ .

تناظُرٌ مدهش وعادل بين كون مصطفىٰ كمال ثَمَرةَ حرام من الناحية الرُّوحية، وبين كونه ثَمَرةَ حرامٍ من الناحية المادية، يَحملُ في طيَّاته معنَّىٰ كبيرًا، كيف أن هذه الرُّوحَ السافلة كانت تستندُ في عالم المادة إلى أساس سافل؟ وأن هذه السَّفالة في الروح والمادة تأتي في الحقيقة مِن كون «مصطفىٰ

⁽۱) «جرنل آف دي رائيل ايشياتيك سوسايتي» (۲۱/ ۹۳۶).

⁽۲) «دي جليم» (ص۲۰۲).

⁽٣) «سؤال الشرق الأوسط» (ص١٣٢).

⁽٤) هذه الترجمة مأخوذة بتصرف من كتاب «الرجم الصنم» تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبدالرحمن ـ مؤسسة الرسالة ـ .

كمال عدوًّا للَّه ، وعدوًّا لرسول اللَّه عَلَيْةٍ .

□ مصطفى كمال القائل: «لقد انتهى العهدُ الذي كان الشَّعبُ فيه يُخدعُ بكلمات، هي خاصةٌ بالطبقاتِ الدنيا، أمثال: كربلاء، حفيد الرسول، الإيمان، السيف، القدس».

□ مصطفى أتاتورك الذي ألغى الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٢م، وقال عن الذين يقولون: «إن الخلافة والسَّلطنة وحدةٌ لا يمكن تجزئتها»؛ قال: «إنها سَفسطةٌ معهودة».

وفي اليوم الأول من شهر «تشرين الثاني»، سنة ١٩٢٣م، تُعْلَنُ المجمهورية، وانتخابُ مصطفى كمال أتاتورك رئيسًا للجمهورية التركية.

□ وبعد ٤ أشهر من انتخابه رئيسًا يُوفِّي لأسياده الإنجليز وللحاخام «نعوم»، مُنفَّذ الخُطَّة اليهودية لهدم الخلافة العثمانية، فيُعطي قرارَه: «لقد آن وقتُ إلغاء الخلافة، وتُلغى معها وزارةُ الشرعية، ووزارةُ الأوقاف، ولن نَدَعَ هناك مدرسةً دينيةً».

يتقرّرُ إخراجُ الخليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد، وبعد ذلك يُجبِرُ الأتراكَ على ارتداء القُبَّعة، وهي العلامةُ الثالثة عند النصارى بعد الصليب والزُّنَّار، كانت علامةً دينيةً وصعت من قبل المسيحين أثناء المعارك الصليبية، ثم أصبحت قوميةً، وقد اعتبرت القبعةُ كعلامة للكفر بفتوًى من الصليبية، ثم أصبحت قوميةً، وقد اعتبرت القبعةُ كعلامة للكفر بفتوًى من الإمام النووي، وتُنصَبُ المشانقُ من أجل المعارضين لارتدائها، ويفرضُ العلمانية على تركيا، ويقول عنها: "إنها تعني أن نكونَ آدميين آدميين"، ويُغيِّرُ أحرُفَ الكتابة إلى الأحرف اللاتينية.

مصطفى أتاتورك الذي باع أذْربيچان للروس، عندما طلب من الأذربيچانين السماح بدخول الجيوش الروسية بحُجَّة أنها متوجِّهة إلى مساعدة تركيا، وبعد أن دَخل البلاشفة إلى أذْربيچان لم يَخرجوا منها، ولم يُرسِلوا جيوشًا إلى تركيا.

مصطفى أتاتورك على مائدة الخمر، وسَطَ الدَّعارة والفجور، يشيرُ إلى راقصة داعرة «نبيلة هانم»، فتقرأ أذان الفجر.

* عدوُّه الأكبرُ رسولُ عَلَيْتُ:

□ كان في فندق «بارك»، وكان المؤذّنُ يقرأُ الأذانَ في المسجد الصغير الكائنِ أمامَ الفندق مباشرةً، يلتفتُ أتاورك لمن حوله قائلاً: «مَن قال بأننا مشهورون؟ وما شهرتُنا نحن؟ انظروا إلى هذا الرجل(١٠ كيف أنه وَضَع اسمًا وشُهرةً بحيث أن اسمَه يتكرّرُ في كلِّ لحظة، وفي جَميعٍ أنحاءِ العالَم إذا أخذنا فَرْقَ الساعاتِ بنظرِ الاعتبار!! ليهدموا هذه المنارة».

مصطفى أتاتورك الذي أراد أن تكونَ لُغةُ الصلاة التركية!!.

مصطفى أتاتورك الذي من على مائدة الخَمْرِ يُصدر أمرًا بتحويل مسجد «أيا صوفيا» إلى متحف.

أَما فُحشُه وشُذوذُه وعَرْبدتُه وسُكرُه ومُجونُه؛ فحَدِّثْ ولا حَرَج، وحَدِّث عن ليالي «جانقايا» ولا حرج.

□ يقول شاعره:

لاعنكبوت ولاسحسر..

⁽١) يعني: رسول اللَّه ﷺ.

لتبقى الكعبة لدى العسرب..

لأن جانقايا تكفينا..

□ يتزوَّجُ من «لطيفة هانم»، وتَجِدُه رجلاً سكيرًا، ويشاءُ اللَّهُ أن يَفضَحَه على لسان زوجته؛ فهو عديمُ الرجولة وعنِّين؛ بل وشاذُّ، وشذوذُه مع «وَدَّاد ابن خالد ضياء» معروفٌ، وكان سببًا لطلاق زوجته منه؛ قائلةً له: «لقد رأيتُ كلَّ شيءٍ فيك، وتحمَّلتُ كلَّ شيءٍ، ولكني لا أستطيعُ تحمُّلَ هذا!».. بعدما رأته مع هذا الشابِّ الأمرد.

هذا الفاجرُ الذي حاول الاعتداء على المحارم؛ فقد حاول الاعتداء على شقيقة زوجته الصغرى، ولكنَّ البنت تخلَّصت من يديه بصعوبة، وهرَعت إلى غُرفة شقيقتها، ودَخل مصطفى كمال إلى الغرفة وفي يده مسدَّس من واحتضنت زوجته شقيقتها، وأصبَحتْ سترًا بينهما، وسحب مصطفى كمال الزناد، ولكن لحُسْنِ الحظ؛ فإن خادمه «بكر» أسرع إليه، وأمسك بيده، فطاشت الرصاصاتُ الثلاث.

☑ كانت حياته شرابًا شرابًا شرابًا للخمر وللعَرَق، لا يَكادُ يُفيقُ منه،
 يقتربُ من صبي ويسألُه: «لو وُضع أمام حمارٍ دَلوانِ، في أحدهما ماء، وفي
 الآخر عَرَق(١)، فمن أيهما يشرب؟ فقال له الصبي: من العَرَق يا سيدي».

■ وكان يقول: «إن هذا العَرَق يُعطي النشوة للإنسان».

الغازي أتاتورك الذي كان يَذهبُ إلى دار المعلِّمات، ويأخذُ جَبْرًا بناتِ الأمة البرئيات؛ ليفسُقَ بهنَّ؛ إنه يَخطفُ البنات مثلَ قُطَّاع الطرق.

⁽١) خمر.

وكان يستعملُ وزيرَ خارجيته توفيق رشدي سمسارًا لشهواته.

أما عشيقاتُه؛ فحدِّث ولا حَرَج، «صالحة»، و«فكرية»، و«آفة هانم» عشيقته الدائمة، التي أوصى لها عند موته؛ زِدْ على ذلك كانت ما بين ٢٠ إلى ٣٠ من النساء والفتيات الشابات المختارات بشكل خاصٍّ، وأطلَقَ عليهنَّ: «بناته بالتبنِّي»، ويُوصِي لهنَّ عند موته بمقاديرَ ثابتة طيلة حياتهِنَّ، وكُنَّ يَقُمْنَ بالرقص في حفلاته، وهنَّ شبه عاريات!.

بل في قصره كانوا يُلبِسون الجَرسونات الرجالَ ملابسَ النساء ويُرَقِّصُونهم، كانت رائحةُ الغَلْمَنةِ والشذوذ حتى أمامَ أنظارِ النساء.

وفي مرضِ موته - في قَصْره - ابتلاه اللّه بحشرات صغيرة حمراء، لا تُرىٰ بالعين، حتى اضطرته إلى الحكّ، والحكّ الشديد أمام زُوَّاره، حتى ظهرت على وجهه، وأمر بتعقيم البيت بأقوى الأدوية وأكثرِها فاعليةً.

ويكتب مستشارُ وزارة الصحّة ما يلي: نعم صحيح أنه وُجد نملٌ في بعض أرجاء القصر، حتى إن المختصِّن أثبتوا أنه نوعٌ من النمل المهاجر من الصين إلى أوروبا، ولم يكن يَخطُرُ ببالِ أحد احتمالُ أن هناك وراء الحكة سببًا آخر؛ لذلك فقد رُوجعَتْ هيئةُ الأركان العامة؛ حيث أحيلَ الأمرُ إلى متخصِّصين من القوَّة البحرية، ويَحضُرُ طاقمٌ من مدمِّرة «ياووز»؛ لِتَصيَّد النمل الذي في القصر، مُدمرة «ياووز» الموجودة في ميناء «أزميت» يا للجنون!! فلم لم يطلبوه من حامية أنقرة؟! جنودٌ ومدمِّرةٌ لسَحقِ النمل!!.

* قال تعالى: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ

⁽١) أي: من بطنه.

للْبَشَر ﴾ [المدثر: ٣١].

وانظر إلى حكمة الله؛ فإنه بالرغم من كونه مُحاطًا بالأطباء والأخصائيين وأساتذة الطبّ، لم يكتشفوا أنه كان مريضًا بالكبد، وذَاقَ مرَّ العذاب من سنة ١٩٣٦، الذي يَعرفُه أقلُّ العذاب من سنة ١٩٣٦، الذي يَعرفُه أقلُّ الأطباء معرفة بالطب، وابتلاه اللَّهُ بتليُّف الكبد الذي أدَّى إلى الاستسقاء، واحتاج إلى سَحب الماء من بطنه بالإبر، وكان يَصيحُ بمن حوله والأطباء: «اسحبوا المياه(١) حالاً، اسحبوها كلَّها، لا تَدَعوا شيئًا منها».

وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر، يَرحلُ إلى مزبلة التاريخ، يرحلُ عن هذا العالَم، ويَدورُ جِدالٌ حولَ الصلاةِ عليه، وكانَ مِن رأي رئيسِ الوزراء ألاَّ يُصلَّى عليه، وحَدَث خلافٌ مع قائد الجيش الأول، وأخيراً وبعد جَدَل وافقوا أن يُصلَّى عليه، ولكن مَن الذي أمَّ الناس؟ . .

إِذَا كَانَ الغُرَابُ دَلِيكِ لَ قَوْمٍ فَلاَ فَلَحُوا وَلاَ فَلَحَ الْغُرَابُ

إنه مديرُ الأوقاف «شرف الدين أفندي»، الذي أصبح رئيساً للشؤون الدينية في عهد «أينونو»، حاول إقناع «أينونو» بالقيام بكُفر لم يستطع أتاتورك نفسه القيام به، وهو جَعلُ الترجمة التركية للقرآن الكريم لغة للعبادة، وفَرْضُ قراءتها في الجوامع، بقوّة القانون، ويالله! أتاتورك يُصلِّي عليه «شرف الدين» هذا. وافق الشّنُ الطبق.

* وَعَرَضُوا جُثْمَانَهُ لِزَيارَة النَّاسِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا:

ومات نتيجةَ الازدحامِ الشديدُ أربعةَ عَشَرَ شخصًا، وفَقَدت بعضُ

⁽١) أي: من بطنه.

البنات بكارَتَهُن بأصابع عديمي الحياء، مارسوا هذا أمام تابوته الرصاصي؛ كعادة الصليبين.

أتاتورك الجبان:

الله أخاف منه كلَّ شيء، ومَن لم يَخَفِ اللَّه أخافه اللَّهُ من كلِّ شيء».

كان في مدرسة الزراعة على إحدىٰ القِمم، وكانت الرياحُ شديدة، وكانت تُثيرُ الغبار؛ ولأجلها تُحرَّك الأبواب، فتُحدِثُ أصواتًا، ويَهبُّ الغازي من مكانه مذعورًا قلقًا، قائلاً: «أليس هذا صوت رشَّاشة؟»، ولم يحدث هذا مرةً واحدةً فقط، بل عدَّة مرات، فيقولون له: «إنه صوتُ البابِ المندفع بسبب الريح»، ولكنه لا يُصدِّقُ، فيقومُ ويتطلَّعُ من النافذة، ثم يُرسِلُ مَن يُحقِّقُ السبب، وأخيرًا حاولَ في أحد الأيام الهروب من هذا المكان بعد أن جَمَع جميع ملابسه، ولكنَّ «جلال عارف» وآخرين وقفوا أمامه ومنعوه، هذا علمًا بأن حرَّاسًا له كانوا موجودين على الدوام في خيمة في الحديقة الخلفية للمدرسة.

□ وقصة أخرى يَحكيها المارشال «فوزي جاقماق»: «في أحد الأيام، وبينما كانوا جلوسًا في مجلسِ الأمة الأعلى، ظَهَرت عَبْرَ النافذة الخلفيَّة للبناء سحابة كبيرة من الغُبار؛ وكأنها صادرة من عشرات الألوف من الأقدام المسرعة في ناحية السَّهْل، وعندما رأى أتاتورك هذا المنظر تهيأ للهرب قائلاً: «هذه جيوش الخليفة آتية»، ثم ظَهَر بأنه لم يكن هناك سوى قطيع كبير من الغنم، فأرسل رجل خلف الغازي؛ لتأمين رجوعه».

إيه يا أتاتورك، يا مَسْخرةَ التاريخ. . نملٌ وغنمٌ. . فلِمَ التطاول؟ والجزاءُ من جنس العمل.

أتاتورك الذي ألغى أعياد الفطر والأضحى، وجَعَل يوم الأحد هو يوم العُطلة الأسبوعية بدلاً من الجمعة، ومَنَع الحَج، بل وأغرب من هذا، أن هذا الذي رمرم من فُتات الغرب قُوتًا، له واقعة مثيرة تنقلها جريدة «الأهرام» التي قامت بنقلها من جريدة: «صنداي تايمز» في يوم الخميس ١٥ فبراير سنة ١٩٦٨، تحت عنوان: «كمال أتاتورك رَشَّح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية».

هل بعد هذا تبعيةٌ وولاءٌ لبريطانيا، التي أسقطت دولة الخلافة على يد عميلها أتاتورك.

وأخيرًا: «لم تظهر الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعلِنوا بها، إلاَّ فَشَا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافهم "(١).

وأيُّ ظهور للفاحشة أكثرُ من الرقص، والعُهر، والاغتصاب، والعشيقات، والبنات بالتبنِّي لِمُمارسة الرذيلة، ورَقصِ النساء عاريات وسَطَ موائد الخمر؟!.

أراد أتاتورك أن يُمتِّعَ نفسَه بالشهوة الحرام، فابتلاه اللَّهُ بالأوجاع والأسقام. . والجزاء من جنس العمل.

وحَرَمه اللَّهُ من الرجولة، ونِعمة الأولاد؛ لأنه كان عقيمًا بسبب إصابتِه بالزُّهري، وبسببه أصيبت زوجتُه بالسَّيلان المزمن، ولم تتورع امرأتُه

⁽١) حديث صحيح: رواه ابن ماجه والحاكم.

عن إذاعة سرٍّ عُقمه.

والجزء من جنس العمل.

هذه صفحةٌ سوداء لقزم دجَّال، ألغى الخلافة، هذا الماسونيُّ الذي جَعله علمانيُّو العرب مَثَلَهم الأعلى!!..

ونُعيت بَينَ مَعَسالِم الأفْراح ودُفنت عند تَبلُّه الإصباح في كُلِّ نَاحيَة وسَكْرَة صَاح وَبَكَتْ عَلَيْك مَمالكٌ وَنصواح تَبْكى عَلَيْك بمَدْمَ عِلَيْك بمَدْمَ عِلَيْك أَمَحَى منَ الأرض الخلافَة مَاح؟! فَقَعَدُنَ فِيهِ مَقَاعِدَ الأَنْواح قُتلَت بغيشر جريسرة وَجُنساح قَتَلَتْ كَ سَلْمُهُمُو بَغَيْر جراح مَوْشَــيَّةً بمَـواهب الْفَتَــاح ونَضَوا عن الأعْطَاف خَيْرَ وُشاح قَد طُاحَ بَيْنَ عَشيَّة وَصَبَاح كَانَتْ أَبَــر عَلائــق الأرواح جَمَعَت عَلَيْه سَرائر النُّزَّاح في كُلِّ غَدُوةَ جُمْعَة ورَواح بالشَّرْع عرْبيد الْقَضَاء وَقَاح

عَادَتْ أَغَانِي الْعُرْسِ رَجْعَ نُواحِ كُفِّنْت في لَيْــل الزَّفَاف بثَـوبه شُيِّعْت منْ هَلَع بَعَبْــرَة ضَاحِك ضَجَّتْ عَلَيْك مَآذَنٌ وَمَنَــابـــرٌ الْهنْدُ وَالَهةٌ وَمصْدُ حَزِينَةٌ وَالشَّامُ تَسْأَلُ وَالْعراقُ وَفَارسٌ أتت لك الجمعُ الجَـلائلُ مَأْمًا يا للرِّجَال لحُـرَّة مَـوؤودة إِنَّ الَّذِينَ أَسَتْ جِرَاحَكَ حَرْبُهُ مُ هَتَكُوا بِأَيْديهم مُللاءَةَ فَخْرهم نَزَعُوا عَن الأعْنَالِة فَيْرَ قلاَدَة حَسَبٌ أَتَى طُولُ اللَّيَـالَي دُونَهُ وَعَلاَقَةٌ فُصِمَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا جَمَعَتْ عَلَى البرِّ الحُضُورَ وَرُبَّمَا نَظَمَت صُفُوفَ المُسلمينَ وَخَطُوهُم ا بَكَت الصَّلاَةُ، وَتلك َ فتْنَةُ عَابث

وَأَتَى بِكُ فَر فِي البِلاَدِ بُ وَاحِ كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي صَرِيعِ الرَّاحِ؟ كَيْفَ احْتِيَالُكَ فِي صَرِيعِ الرَّاحِ؟ والنَّاسَ نَقْ لَ كَتَابُ فِي السَّاحِ لَمْ تَسْلُ بَعْدُ عبَ اَدَةً الأَشْبَاحِ حَتَّى تَنَاوَلَ كُلَّ غَيْسِ مُبَاحِ وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَ وَى الْمُرتاحِ وَجَدَ السَّوَادَ لَهَا هَ وَى الْمُرتاحِ يَدْعُ و إِلَى الْكَذَّابِ أَوْ لِسِجَاحِ فِيهَا يُبَاعُ الدِّيْنُ بَيْتَ عَ سَمَاحِ فِيهَا يُبَاعُ الدِّيْنُ بَيْتَ عَ سَمَاحِ وَهُوى النَّقُوسِ وَحَقْدِهَا الْمِلْحَاحِ وَهُوى النَّقُوسِ وَحَقْدِهَا الْمِلْحَاحِ وَهُوى النَّقُوسِ وَحَقْدِهَا الْمِلْحَاحِ

* * *

يا أُخْتَ أَنْدَلُس عَلَيْكِ سَلاَمُ الْمَاءِ فَلَيْتَهَا نَزَلَ الْهِللَّ عَنِ السَّمَاءِ فَلَيْتَهَا أَزْرَى بِهِ وَأَزَالَه عَنْ أَوْجِه خَفَتَ الأَذَانُ فَمَا عَلَيْكِ مُوحِّدٌ وَخَبَتْ مَسَاجِدُ كُنَّ نُسُورًا جَامِعًا وَعَفَتْ قُبُورُ الفَاتحينَ وَفُضَّ عَنْ وَعَفَتْ قُبُورُ الفَاتحينَ وَفُضَّ عَنْ وَعَفَتْ قُبُورُ الفَاتحينَ وَفُضَّ عَنْ

هُوَت الْخلافَةُ عَنْك والإسْلامُ طُويَت الْخلافَةُ عَنْك والإسْلامُ طُويَت وَعَهم الْعَالَمينَ ظَلامُ فَ قَصدرٌ يَحُطُّ الْبَدْرَ وَهُو تَمَامُ يَسْعَى وَلاَ الجُمَع الحِسَانُ تُتقامُ تَمْشِي إلَيْه الأسْدُ والآرامُ(١) تَمْشِي إلَيْه الأسْدُ والآرامُ(١) حُفَر الخَلائف جَنْدلٌ ورجامُ(١)

* * *

⁽١) الرئم: الظبي الأبيض.

⁽٢) الجندل: الحجارة، والرجام: ما يُبنى على البئر، وتعرض فوقه الخشبة للدلو.

* على ُّ بنُ عبدالرازِق وكتابُه القبيح الأسود «الإِسلام وأصول الحكم»:

أزهريٌّ سَوَّد كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، يدَّعي أن الشريعة الإسلامية لا عَلاقة لها بالحكم في أمور الدنيا!! وكان قرار هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ عليٍّ من زُمْرتهم قراراً صحيحًا، وقد حَصَرت الهيئة الموقَّرة مواضع مؤاخذتها العلميَّة في هذه النِقاط:

١ ـ القولُ بأنَّ الشريعةَ الإسلاميةَ شريعةٌ رُوحيَّةٌ محضةٌ، لا علاقةَ لها
 بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا.

٢ ـ القولُ بأن الدينَ لا يَمنعُ مِن أنَّ جهادَ النبي ﷺ كان في سبيلِ اللَّك
 لا في سبيل الدين، ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين.

٣ ـ القولُ بأن نظامَ الحُكمِ في عهدِ النبي ﷺ كان مُوضعَ غموضٍ وإبهامٍ واضطرابٍ ونقصٍ، ومُوجِبًا للحَيْرة.

٤ ـ القولُ بأنَّ مهمَّةَ النبيِّ عَيَّكِيًّ كانت بلاغًا للشريعة مُجَرَّدًا عن الحُكم والتنفيذ.

٥ ـ إنكارُ إجماعِ الصحابة على وجوبِ نَصْبِ الإمام، وعلى أنه لابداً
 للأُمَّة ممن يقومُ بأمرها في الدين والدنيا.

٦ ـ إنكارُ أن القضاء وظيفةٌ شرعية.

٧ ـ القولُ بأن حكومة أبي بكر والخلفاء الراشدين من بعده كانت حكومة لا دنيَّة (١) .

⁽١) مجلة المنار ـ مجلد ٢٦ صفر ١٣٤٤هـ، و«كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميـــزان» للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي (ص٣٣) ـ هدية مجلة الأزهر صفر ١٤١٤هـ.

* سعد زغلول ينقد كتاب «الإسلام وأصول الحكم»:

□ قال الأستاذ: «محمد إبراهيم الجزيري» السكرتير الخاص لسعد زغول الزعيم المصري: «قلت له: ما رأيكم في كتاب «الإسلام وأصول الحكم»؟ فقال مُهْتمًّا كمن يستعدُّ لإلقاء محاضرة: «لقد قرأتُه بإمعان، لأعرفَ مَبْلَغَ الحَمَلات عليه من الخطإ والصواب، فعَجبتُ أوَّلاً: كيف يكتبُ عالمٌ دينيٌّ بهذا الأسلوب في مِثلِ هذا الموضوع؟! وقد قرأتُ كثيرًا للمستشرقين، وَلسواهُم، فما وَجدتُ مَّن طَعَن منهم في الإسلام حِدَّةً كهذه الحِدَّةِ في التعبير، على نحوِ ما كتب الشيخ على عبدالرازق، فقد عَرَفتُ أنه جاهلٌ بقواعِدِ دينه ؟ بل بالبسيط من نظريَّاته ، وإلاَّ فكيف يدَّعي أن الإسلامَ ليس مدنيًّا، ولا هو بنظام يَصلُحُ للحُكم؟ فأيُّ ناحيةِ مَدَنيَّةِ من نواحي الحياة لم ينصَّ عليها الإسلام؟ هل البّيعُ أو الإجارة أو الهبة؟ أو أيُّ نوعٍ آخَرٌ من المعاملات؟ ألم يدرُسْ شيئًا من هذا في الأزهر؟ أوَلَم يقرأُ أنَّ أُمًّا كثيرةً حكَمَتْ بقواعد الإِسلام ـ فقط ـ عهودًا طويلة كانت أنضرً العصور؟! وأنَّ أُمَّا لا تزالُ تحكم بهذه القواعد، وهي آمنةٌ مطمئنةٌ؟! فكيف لا يكونُ الإسلامُ مَدَنيًّا ودينَ حُكْم؟! .

وأعجبُ من هذا ما ذكرَه في كتابه عن الزكاة! .

أين كان هذا الشيخ من الدراسة الدينيَّة الأزهرية ? .

إني لا أفهمُ معنّى للحَمْلةِ المتحيِّزة التي تُثيرُها جريدةُ «السياسة» حولَ هذا الموضوع، وما قرارُ هيئة كبارِ العلماء بإخراج الشيخ عليِّ من زُمرتهم، إلاَّ قرارٌ صحيحٌ لا عَيْبَ فيه ؛ لأنَّ لهم حقًّا صريحًا ـ بمقتضى القانون، أو

بمقتضى المنطقِ والعقلِ ـ أن يُخرجوا مَن يَخرُجُ على أنظمتِهم من حظيرتهم ؟ فهذا أمرٌ لا علاقة له مُطلَقًا بحُرِّية الرأي التي تعنيها السياسة »(١) .

* سعد يُلقمُ العلمانيون حجرًا:

□ إن كلام رئيس الوزراء المصريِّ الذي صرَّح بما لم يَستطع أيُّ مسؤولٍ مصريٍّ قبلَه أن يقولَه غيرُ السادات، فقد قال الدكتور أحمد نظيف في حديث إلى قناة «العربية» الفضائية، على هامش مُنتدىٰ دافوس في شرم الشيخ: «إنَّ مصرَ دولةٌ علمانية تفصلُ الدينَ عن السياسة، لكنها تعتمدُ الشريعة مصدرًا أساسيًّا للتشريع»، ثم يعودُ بعدها في اليوم التالي ويُدلي بتصريح إلى «وكالة أنباء «الشرق الأوسط» يقول فيه حَرْفيًّا: «إنَّ مصر دولةٌ إسلامية طبْقًا للدستور، وإنَّ مبادئ الشريعة الرسلامية هي مصدرٌ أساس للتشريع، ومع ذلك فإن ممارسة الحقوق والواجبات العامة في مصر لا تُميِّن بين المواطنين بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدينِ أو العقيدة»(٢) .

□ وسود أحمد بهاء الدين مؤلّفاً سمّاه «أيام لها تاريخ» تحدّث فيه عن كتاب «الإسلام وأصول الحكم» لا يَمُتُ إلى الحقيقة بصلة، وما هو إلا تخيُلات موهومة، إلى أن قال: «والتقط الإنجليزُ فكرة الخلافة الواقعة على الأرض، نعم! لماذا لا يُنشؤون هم خلافة إسلامية جديدة تنمو تحت رعايتهم، وأنّ الخلافة لَحُجّة قديمة للتغرير بالمسلمين، وخلف عباءتها خرجَت من مكة (كذا!!) وتَنقَلت بين دمشق وبغداد والقاهرة واستامبول،

⁽١) «سعد زغلول ـ ذكريات تاريخية » للأستاذ الجزيري (ص٩٢) ـ كتاب اليوم .

⁽٢) جريدة الأسبوع - العدد (٤٧٩) (ص١).

ويَمتطيها الحاكمُ الذي يستبدُّ بالمسلمين»(١)

وكتب الدكتور محمد ضياء الريِّس كتابه الرائع «الإِسلام والخلافة في العصر الحديث ـ نَقَد كتاب «الإِسلام وأصول الحكم»، وفنَّد فيه ـ رحمه اللَّه ـ الأباطيلَ الموهومة.

□ ثم يأتي العلماني والتقدُّمي المستنير د. جابر عصفور، فيعيد نشر كتاب علي عبدالرازق في سلسلة «المواجهة والتنوير»، ويكتب له مقدّمة ويُزكّي هذه المقدمة العلماني الكاره لحكم الشريعة، والكاتب الكريه أحمد عبدالمعطي حجازي، فيسود سطوراً في مدح هذه المقدّمة في مقال نشره به الأهرام في ٢٦/٥/ ١٣٩٣هـ، يكذب فيه الكذب الصرّاح، وينقل باطلاً عن باطل دون التفات حتى إلى حقائق التاريخ ووقت كتابة على عبدالرازق لكتابه. ثم يدّعي بعد ذلك البحث العلمي العلمي العلم العلمي المنتور به مقل المعلم المناس عن بعد المناس عن العلم المناس ا

دَعْوَى إذا حَقَّقتَها أَلْفَيْتَها اللهَيْتَها اللهَ اللهَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الله

□ كتب الدكتور جابر عصفور في مقدمة طبعة الكتاب: «بعد أن قام كمال أتاتورك بحركته الإصلاحيَّة (١) في تركيا، وما ترتَّب عليها من إلغاء الخلافة العثمانية وإعلان الجمهورية، بدأت محاولات متعدِّدة لإقامة الخلافة في أكثر من قُطْر، بعض هذه المحاولات حَدَثت في القاهرة، وكانت مرتبطة بدافع تنصيب الملك «فؤاد» خليفة للمسلمين، وبينما كانت محاولات أنصار الملك فؤاد قائمة متَّصلة، وفي الوقت الذي كان فيه الحوار دائرًا حول معنى «الخلافة» في عصرنا، أصدر على عبدالرازق القاضي الأزهري - الذي معنى «الخلافة» في عصرنا، أصدر على عبدالرازق القاضي الأزهري - الذي

⁽١) «أيام لها تاريخ» لأحمد بهاء الدين (ص١٥٣).

يَعملُ رئيسًا للمحكمة الشرعية في المنصورة ـ كتابه «الإسلام وأصول الحكم»، الذي فرغ منه في مَطَلَع إبريل عام ١٩٢٥م، وطُبع في العام نفسه أكثر من مرَّة، وكان الكتابُ قنبلةً بكلِّ معنَى الكلمة، وعلى مستوياتٍ متعدِّدة، نَسَفَ الكتابُ فكرةَ «الخلافة الإسلامية» التي كان يَحلُمُ بها المَلكُ فؤاد وأعوانُه، ونَسَفَ الكتابُ كثيرًا من الرَّواسب العالقة في أذهان القُرَّاء عن الدولة الدينية، ونسَفَ الكتابُ السَّطوةَ التي يَزعُمُها بعضُ رجالِ الدين عندما يتحدَّثون عن الحكم، وكان الكتابُ بمثابة تأكيدٍ من أزهريِّ مستنيرٍ لدعائم الدولة المدنيَّة، وفي الوقت نفسه كان ثورةً هائلةً على المفاهيم السائدة عند أقرانه من المشايخ، وكان من الطبيعيِّ أن يُحارَبَ الكتابُ، وأن يعاقَبَ صاحبُه، واتَّفَقَ القصرُ مع لجنة كبار العلماء على العقاب، صَدَر قرارٌ بسَحبِ «العالِمِية» من الرجل، وتبع هذا القرار فص لله من عَمَله بالقضاء، وقامت الدنيا ولم تَقعُد، وتولَّت الدفاعَ عن الكتاب كلُّ قُوىٰ الاستنارة في مصر، وكلَّ الفصائل السياسية المؤمنة بالديمقراطية، وكلُّ دعاة الدولة المدنية والمجتمع المدني».

□ إلى أن يقول: «وبَقِيَ الكتابُ نفسُه وثيقةً رائعةً من وثائِقِ التنوير». عامَلَك اللَّهُ بما تستحقُّ يا جابر عصفور!!.

* على بن عبدالرازق تلميذُ «مرجليوث وأرنولد» الوَفيُّ:

□ نال علي بنُ عبدالرازق عالِمية الأزهر سنة ١٩١١، وقضى به «الأزهر» عامًا واحدًا يُدرِّسُ مادة «البلاغة»، وقد ألَّف فيها كتابًا عن علم البيان سمَّاه «الأمالي»، ثم سافر إلى «إنجلترا» سنة ١٩١٢ ليدرس السياسة أو الاقتصاد، فعاد عند نُشوبِ الحربِ العالَمية سنة ١٩١٤م ليُعيَّن بعدَ وقت م

قصير قاضيًا شرعيًّا، وفي هذا الوقت رَحبَّتْ صحافة أوربا بالهجوم على الخلافة، وكان «مرجليوث» ـ المستشرقُ الإنجليزي ـ بالذات من أكبر أعداء الخلافة الإسلامية، وقد أخذ يُقرِّرُ: «أن مبدأ الحكومة الأتوقراطية ـ أي: الاستبدادية ـ قد ظلَّ مُسلَّمًا به لا يُجادِلُ أحدٌ فيه في الأقطار الإسلامية حتى القرن التاسع عَشر! وذلك حين وصلت الموجةُ التي صدرت عن الثورة الفرنسية عن طريق تركيا إلى المنطقة الحارة!»(۱) .

□ «كذلك كان المستشرق الإنجليزي «أرنولد» الذي قَرَّر أن الحكومة الإسلامية أتوقراطية ادُّعي لها أنها مبنيَّة على الوحي الإلهيِّ، وقد جُعلِ واجبًا دينيًّا على الفرد المسلم أن يُطيع الحكومة الاستبدادية التي يقوم على رأسها الخليفة»(١).

□ وقد كان الأستاذان «مرجليوث، وأرنولد» من كبار أستاذة «أكسفورد» التي التَحَقَ بها الأستاذ علي عبدالرازق على مدى عامين متتابِعين! وموضوع حديثهما في الجامعة هو «السياسة الإسلامية»، فاستجاب الأستاذ لما سمع! وهذا موضع العَجَب؛ لأنه أزهريٌّ، يُفترضُ فيه أن يكون قد ذَرَسَ أصولَ الحكم في الإسلام، وقرأ ما كتبه أساطين العلماء! ولكنَّ كتابه الذي ألَّفه يَنطِقُ بأنه لم يُلمَّ بما قاله هؤلاء الأعلام، فكان فريسة سهلة الوقوع!!.

⁽١) كتاب «النظريات السياسية الإسلامية» للدكتور الريِّس (ص٢٩٢).

⁽٢) المصدر السابق (ص٢٧٤).

* هَذَيان على عبدالرازق ودَجَله:

□ يقول على عبدالرازق: «ولايةُ الرسولِ على قَومِه ولايةٌ رُوحِيَّة، منشؤُها إيمانُ القلبِ وخضوعُه خضوعًا تامًّا يَتبعُه الجسم، وولايةُ الحاكم ولايةٌ ماديَّة تعتمدُ على إخضاع الجسم من غير أن يكون له بالقلوب اتصال، تلك ولايةُ هداية إلى اللَّه وإرشاد إليه، وهذه ولايةُ تدبير لصالح الحياة، وعَمارِ الأرض، تلك للدِّين، وهذه للدنيا، تلك للَّه، وهذه للناس، تلك زعامةٌ دينيةٌ، وهذه زعامةٌ سياسية، ويا بُعدَ ما بين السياسة والدِّين».

□ ويقول أيضًا: «والدنيا مِن أوَّلها إلى آخِرِها، وجميعُ ما فيها من أغراض وغايات أهونُ عند اللَّه من أن يُقيمَ على تدبيرها غيرَ ما رُكِّب فينًا من عقول، وحَبَانا مِن عواطف وشهوات، وعَلَّمنا من أسماء ومسمَّيات، هي أهونُ عند اللَّه من أن يَبعث لها رسولاً!! وأهونُ عند رُسُلِ اللَّه ـ تعالى ـ من أن يَستغلوا بها، ويَنصَبوا لتدبيرها»(٢).

□ وقال: "إنَّ كلَّ ما جاء به الإسلامُ من عقائد ومعاملات وآداب وعقوبات، فإنما هو شرعٌ دينيٌ خالصٌ للَّه تعالى، ولمصلحة البشر الدينية لا غير، وسيَّان بعد ذلك أن تتَّضح لنا تلك المصالحُ الدينية أم تَخفى علينا؟ وسيَّان أن يكونَ منها للبشر مصلحةٌ مدنيةٌ أم لا؟ فذلك ما لا ينظرُ الشرعُ السماويُّ إليه، ولا ينظر إليه الرسول»(٣)!!.

⁽١) «الإسلام وأصول الحكم» (ص٦٩) ـ الطبعة الأولى.

⁽٢) «الإسلام وأصول الحكم» (ص٧٨). الطبعة الأولى.

⁽٣) المصدر السابق (ص٨٥).

* هل يرى على عبدالرازق والعلمانيُّون معه أن تدبير أمور الدنيا وسياسة الناس أهونُ عند اللَّه مِن مِشْيَة يقول اللَّه في شأنها: ﴿ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا ﴾ [الإسراء: ٣٧]؟ وأهونُ عند اللَّه من صاع شعير أو رَطْل ملح يقول اللَّه في شأنهما: ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلُ وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُحْسِرِينَ ﴿ آَنُوا وَزُنُوا فِي الْمُسْتَقِيمِ ﴾ [الشعراء ١٨١، ١٨١]؟ .

* وماذا يَعملُ الشيخ علي في مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِينَ خَصِيمًا ﴾؟. الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِينَ خَصِيمًا ﴾؟. الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِلْخَائِينَ خَصِيمًا ﴾؟.

* وقوله تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾؟.

* دعواه أن جهاده عَلَيْ كان في سبيل المُلْك ، لا في سبيل الدين:

□ قال علي عبدالرازق: «وظاهرٌ أول وهلة أنَّ الجهاد لا يكونُ لمجرَّد الدعوة إلى الدين، ولا لِحَمْلِ الناس على الإيمانِ باللَّه ورسوله»(١٠).

□ ثم قال: «وإذا كان النبيُّ عَلَيْكَ قد لَجَاً إلى القوة والرَّهْبة، فذلك لا يكونُ في سبيل الدعوة إلى الدين، وإبلاغ رسالته إلى العالمين، وما يكونُ لنا أن نفهم إلاَّ أنه كان في سبيل المُلك»(٢).

□ ويقول: «قلنا: إنَّ الجهادَ كان آيةً من آياتِ الدولة الإسلامية،
 ومثالاً من أمثلة الشؤون المَلككيَّة.. وإليك مثلاً آخَرَ: كان في زَمَنِ النبيِّ ﷺ

⁽١) المصدر السابق (ص٥٢).

⁽٢) المصدر السابق (ص٥٣).

عَمَلٌ كبيرٌ متعلِّقٌ بالشؤون الماليَّة من حيثُ الإيراداتُ والمصروفات، ومن حيثُ جَمعُ المالِ من جهاتِه العديدة ـ الزكاة والجزية والغنائم ـ إلخ . . ومن حيث توزيعُ ذلك كلِّه بين مصارفه، وكان له ﷺ سُعَاةٌ وجُبَاةٌ يتولَّون ذلك له، ولا شكَّ أن تدبيرا لمالِ عَمَلٌ ملكيُّ، بل هو أهمُّ مقوِّماتِ الحكومات»(۱).

□ ثم قال: «إذا ترجَّح عند بعضِ الناظرين اعتبارُ تلك الأمثلةِ، واطمأنَّ إلى الحُكمِ بأنه عَلَيْ كان رسولاً ومَلكًا، فسوف يَعترضُه حينئذ بحثُ آخَرُ جديرٌ بالتفكير، فهل كان تأسيسُه للمَملكة الإسلامية وتصرُّفها في ذلك الجانبِ شيئًا خارجًا عن حدودِ رسالته عَلَيْ إَمْ كان جُزءً مَّا بَعَثَه اللَّهُ له وأوحى به إليه؟.

فأمًّا أنَّ المملكة النبويَّة عَملٌ منفصلٌ عن دعوة الإسلام وخارجٌ عن حدود الرسالة، فذلك رأيٌ لا نعرفُ في مذاهب المسلمين ما يُشاكِلُه، ولا نذكُرُ في كلامهم ما يدلُّ عليه، وهو على ذلك رأيٌ صالح لأنْ يُذهب إليه، ولا نرى القول به يكونُ كفرًا ولا إلحادًا، وربما كان محمولاً على هذا المذهب ما يراه بعضُ الفرق الإسلامية من إنكار الخلافة في الإسلام مرة واحدة، ولا يهولنَّك أن تسمع أن للنبي عليه عملاً كهذا خارجًا عن وظيفة الرسالة، وأن مُلْكه الذي شيَّده هو من قبيل ذلك العمل الدنيويِّ الذي لا عكلاقة له بالرسالة، فذلك قولٌ إنْ أنْكرَتْه الأذنُ لأنَّ التشدُّق به غيرُ مألوف في لغة المسلمين، فقواعدُ الإسلام ومعنى الرسالة ورُوحُ التشريع وتاريخُ النبي عَلَيْهُ ، كلُّ ذلك لا يُصادمُ رأيًا كهذا ولا يَستفظعُه، بل ربُّما وَجَد ما النبي عَلَيْهُ ، كلُّ ذلك لا يُصادمُ رأيًا كهذا ولا يَستفظعُه، بل ربُّما وَجَد ما النبي عَلَيْهُ ، كلُّ ذلك لا يُصادمُ رأيًا كهذا ولا يَستفظعُه، بل ربُّما وَجَد ما

⁽١) المصدر السابق (ص٥٥).

يَصلُحُ له دِعامةً وسَندًا، ولكنه على كلِّ حالٍ رأيٌ نراه بعيدًا ١٥٠٠ .

﴿ وَقَالَ: ﴿ إِنَّ الجِهَادَ كَانَ مِثَالاً مِنِ أَمِثْلَةِ الشَّؤُونَ الْمُلَكِيَّةِ ، فَهُو إِذِنَ فَيُ سَبِيلِ الْمُلْكِ لا الدين ﴾ (٢) .

* فأين علي عبدالرازق من قول اللَّه تعالى: ﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾؟ . [النساء: ٨٤].

* وقول اللَّه تعالى: ﴿ فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ ﴾ [النساء: ٧٤]؟ .

* وقوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾؟ . [البقرة: ١٩٣].

* وقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٦٠]؟.

* وقوله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجَزْيَةَ عَن يَدِ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]؟.

* دَعوى أَن نِظامَ الحُكمِ في عهدِ النبي ﷺ كان مَوْضِعَ غموضٍ أَو اضطرابِ أَو نَقصِ:

◘ فقد قال في (ص٤٠): «لاحَظْنا أنَّ حالَ القضاءِ زَمَن النبي ﷺ

⁽١) المصدر السابق (ص٥٥).

⁽٢) المصدر السابق (ص٥٥).

غامضةٌ ومبهمةٌ في كلِّ جانب».

□ وقال في (ص٤٦): «كلَّما أمْعَنَّا تفكيرًا في حالِ القضاء في زَمَنِ النبي ﷺ وفي حال غيرِ القضاء من أعمالِ الحُكمِ وأنواعِ الولاية، وَجَدْنا إبهامًا في البَحثِ يتزايدُ، وخَفَاءً في الأمرِ يَشتدُّ، ثم لا تَزالُ حَيرةُ الفكرِ تَنقُلُنا مِن لَبْسٍ إلى لَبْس، وتَرُدُّنا من بَحثٍ إلى بحثٍ، إلى أن ينتهيَ النظرُ بنا إلى غايةِ تلك المجال المشتبهِ الحائر».

وقال في (ص٧٥): "إذا كان رسولُ اللَّه عَلَيْهُ قد أسَّس دولةً سياسية، أو شرَع في تأسيسها، فلماذا خلَتْ دولته إذنْ من كثيرٍ من أركان الدولة ودعائم الحُكم؟ ولماذا لم يُعرف نظامُه في تعيين القُضاة والوُلاة؟ ولماذا لم يتحدَّث إلى رَعيَّته في نظام المُلك وفي قواعد الشُّورى؟ ولماذا ترك العلماء في حيرة واضطراب من أمر النِّظام الحُكومي في زمنه؟ ولماذا ولماذا؟ نريدُ أن نعرف مَنْشاً ذلك يبدُو للناظر كأنه إبهام أو اضطراب أو نقص نريدُ أن نعرف مَنْشاً ذلك يبدُو للناظر كأنه إبهام أو اضطراب أو نقص أو ما شئت فَسَمّه في بناء الحكومة أيام النبي عَلَيْهُ . . وكيف كان؟! وما سرُّة؟!».

* فأين علي عبدالرازق من قول اللَّه تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]؟ .

* وقوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾؟ .

* وقوله تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دينًا ﴾ [المائدة: ٣]؟ .

* دعواه أنَّ مهمةَ النبي ﷺ كانت بلاغًا للشريعةِ مجرَّدًا عن الحُكم والتنفيذ:

□ قال على عبدالرازق في (ص٧١): «ظواهرُ القرآنِ المجيدِ تُؤيِّدُ القولَ بأن النبي عَلَيْهُ لم يكنْ له شأنٌ في المُلكِ السياسي، وآياتُه متضافرةٌ على أنَّ عَمَلَه السماويَّ لم يتجاوزْ حدودَ البلاغِ المجرَّد من كلِّ معاني السلطان».

□ ثم عاد فأكّد ذلك، فقال (ص٧٧): «القرآنُ صريحٌ في أنَّ محمدًا وَعَلَيْ لَم يكن من عَمَلِه شيءٌ غيرُ إبلاغ رسالة اللَّه تعالى إلى الناس، وأنه لم يكن من عَمَلِه شيءٌ غيرُ إبلاغ رسالة اللَّه تعالى إلى الناس، وأنه لم يُكلَّف شيئًا غيرَ ذلك الإبلاغ، وليس عليه أن يأخذَ الناسَ بما جاءهم به، ولا أن يَحمِلُهم عليه».

ولو كان الأمرُ كما زعم هو، لكان ذلك رفضًا لجميع آياتِ الأحكام الكثيرةِ في القرآن الكريم، ودُونَ ذلك خَرْطُ القَتَاد!!.

* هل تراجع على عبدالرازق عن قوله؟:

□ قال الأستاذ الدكتور محمد رجب البيومي: «كتبتُ في مجلة «الثقافة المصرية» (١٩٧٨م) مقالاً تحت عنوان «يرجعان إلى الحق»(۱) وقد جاء فيه فيما يختصُّ بالأستاذ علي عبدالرازق ما نقلته عن مجلة «رسالة الإسلام» التي كانت تُصدِرُها جماعةُ التقريب، حيث وَجدتُ في العدد

⁽۱) أعاد الأستاذ الكتور محمد رجب البيومي نشر المقال في الجزء الثاني من كتابه «قضيا الإسلام» (ص١٢٣) وما بعدها، وانظر «كتاب الإسلام وأصول الحكم في الميزان» (ص٦٢ ـ ٦٤).

الثالث من السُّنة الثالثة الصادرِ في رمضان ١٣٨٠هـ الموافق يوليو ١٩٥١م مقالاً لحضرة صاحب السعادة على عبدالرازق باشا ـ كما وصفته المجلة ـ يقعُ في صفحتيُّ ٢٤٦، ٢٤٧ تحت عنوان: «الاجتهادُ في نظر الإسلام»، وفيه يقول: «قرأتُ بحثًا قيِّمًا لصاحب العزَّة الكاتب الكبير الأستاذ الدكتور أحمد أمين، جاء في صدره أنه كان يتجادلُ معى، فقلتُ: إنَّ دواء ذلك أن نَرجعَ إلى ما نشرتُه قديًا مِن أنَّ رسالةَ الإسلام رُوحيةٌ فقط، ولنا الحقُّ فيما عدا ذلك من مسائل ومشاكل، وقد و قَفْتُ أمام كلمة «رسالة روحانيَّة» ولم تَشَأُ أَن تَمُرَّ مِن غيرِ أَن تُثيرَ ذكرَى قصَّة قديمة لهذه الكلمة معي، فقد زَعَم الطاعنون أنني في هذا البحث قد جَعَلتُ الشريعةَ الإسلامية شريعةً روحانيَّةً مَحضةً، ورَتَّبوا على ذلك ما طوَّعت لهم أنفُسُهم أن يَفعلوا. . أمَّا أنا، فقد رَدَدتُ عليهم أنني لم أقُلْ ذلك مطلقًا ـ لا في هذا الكتاب ولا في غيره ـ، ولا قلتُ شيئًا يُشْبِهُ ذلك الرأيَ أو يُدانيه، أسوقُ هذا الحديثَ ليذكُرَ الأستاذُ الكبير أن فِكرة «رُوحانيَّة الإِسلام» لم تكنُ لي رأيًا يومَ نَشَرتُ البحثَ المشارَ إليه، وأنِّي رفضتُ يومئذٍ رفْضًا باتًّا أن يكون ذلك رأيي».

□ قرأتُ هذا الكلام، فزادت حَيرتي؛ لأني أعرفُ أن الرجلَ قد قال هذ الكلام بمضمونه إنْ لمْ يكنُ بلفظه، فكيف يقول: "إنه لم يقُلُ ذلك ولا شيئًا يدانيه؟!» ولو كانَ يُنكرُ صُدور كلمة "رُوحانيَّة"، فإن مادَّتها صريحةٌ في قوله في الطبعة الأولى (ص٦٩) "ولايةُ الرسول على قومه ولايةٌ رُوحيَّة، منشؤُها إيمانُ القلب..».

□ ويقول (ص٧٨) من الطبعة الأولئ: «والدنيا مِن أوَّلها إلى الحرِها. . أهونُ عند اللَّه مِن أن يَبعثَ لها رسولًا، وأهونُ عند رُسُلِ اللَّه

- تعالى ـ مِن أن يَشتغلوا بها ، ويَنْصَبوا لتدبيرها» .

□ ويقول كثيرًا مِن أمثالِ ذلك مَّا يُشِتُ أَنَّ الشريعةَ لا صِلَةَ لها بالحياة، وأنها مسألةٌ رُوحِيَّة بين العبدِ وربِّه، فكيف يُنكِرُ الأستاذُ مَا قالَه للأستاذ أحمد أمين، مدَّعِيًا أن كلمة «روحانيَّة الإسلام» تسرَّبت على لسانِه خطأً، ولم يُرد مَعْنَاها؟! ولعلَّ الشيطانَ مَن ألقَىٰ في حديثه بتلك الكلمة!!.

الحقُّ الذي لا مرْية فيه أن الرَّجُلَ يتراجعُ عمَّا قال، وكان عليه أن يكونَ صريحًا في التراجع، دون أن يَلُفَّ تراجُعَه في أقنعة تكشفُ عمَّا تَسْتُرُ، وحَسبُنا منه أن نعرفَ أن رأيه الأخيرَ بمجلة «رسالة الإسلام»، قد عَصف بما سَبق أن زعم!! هذا ما عَنَّ لي ولا أزيدُ». انتهى.

□ ونختمُ بما قال على عبدالرازق في وصفه للخلافة بأنها: «خُططٌ دنيويَّةٌ صِرِفة، لا شأنَ للدين بها. . وليس لنا حاجةٌ إليها في أمور ديننا ولا دنيانا، ولو شئتُ لقلنا أكبرَ من ذلك، فإنَّما كانت الخلافةُ ـ وَلم تَزَلُ ـ نَكبةً على الإسلام والمسلمين، ويُنْبُوعَ شرِّ وفساد(١) .

* العِلمانيُّون الفاسدون المُفْسِدون وزُبالةُ أذهانهم، هم ـ واللَّهِ ـ من شانئِي محمد عَلِيَّةٍ:

□ يقولُ العَصرانِيُّون العِلمانيُّون الآن أكثَرَ مما قال علي عبدالرازق، ويَدَّعون ـ وهم أهلُ الفساد المفسدون ـ أنهم أصحابُ الفكر الديني المستنير، وأهلُ العقولِ الراجحةِ المواكبةِ للتطوُّر والرُّقيِّ. . وتطفحُ أذهانُهم بزُبالتِها،

⁽١) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» (٢/ ٨٣) للدكتور محمد محمد حسين.

وَ تَقِيءُ أَفَكَارُهم السَّوداءُ كُلَّ خبيثٍ . . فتعال معي :

* محاولات تنحية الشريعة:

□ ما كان أحدٌ يظنُّ أنَّ المسلمين قد يتنازلون عن تحكيم شريعتهم بعد أن سادت أحكامُها ثلاثة عَشرَ قرنًا، وما كنَّا نظنُّ أن يَنبرِي نَفَرٌ من أبناء جلدتنا عمَّن يتكلَّمون لُغتنا لهدم شرع اللَّه واستبداله بقوانين أرضية وافدة، باسم «التجديد والتطوير»، «على أنَّ هنالك اتفاقًا عامًّا بين أصحاب «الفكر الديني المستنير»!! على ضرورة تجديد الإسلام ذاته، بمعنى تعديل أحكامه وتشريعاته، أو نَسْفِها واقتلاعِها من الجذور»(۱).

□ فالدكتور محمد أحمد خلف اللّه: «يرى ضرورة انعتاق الأحكام من إسار الشريعة إلى بُحْبُوحة القوانين الوضعيَّة، التي تُحقِّقُ لها الحُرِيَّةَ والتقدُّمَ المذهلين، وأنَّ خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون، قد حَقَّق لها ألوانًا من الحُريَّة والانطلاق، لم يكن لهم بها عَهدُ مِن قبلُ "(٢).

الله العدلَ الإسلاميَّ أُمنيةٌ من الأمانيِّ، وليس واقعًا يتحقَّقُ، وذلك أن هذه المعاييرَ معاييرَ العَدلِ الإسلامي - مِنَ القِدَم بحيثُ تَعجِزُ عن أن تُحقَّ حقًّا أو تُبطِلَ باطلاً! وأن تُقيمَ عَدْلاً في العصر الذي نَعيشُ فيه . . ".

□ «ولذلك فهو يَعْجَبُ من هؤلاء الجامدين الذين يتمسكون بتلك المعايير البالية، لمجرد أنها وردت في القرآن والسُّنَّة (٣) .

⁽١) ينظر: «نمزو من الداخل» جمال سلطان (ص٣٤-٣٥).

⁽٢) من مقال بعنوان: المعاملات بين الشرع والقانون - الطليعة القاهريَّة فبراير ١٩٧٦م.

⁽٣) الطليعة القاهرية ـ نوفمبر ١٩٧٥م، بعنوان العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق؟! .

إنَّ دُعاةَ «التغريب» قد انتَهُوا من المجاملات، وصارت طُروحاتُهم صريحةً واضحةً؛ لأنَّ قرنًا من التخريبِ والتشكيك قد آتى ثِمارَه هذه الأيام.

□ فالتبجُّجُ في مخالفة الأحاديث الصحيحة أصبح لا يُحرِّكُ ساكنًا عند هؤلاء المتغرِّبين، وحُجَّةُ تحقيق المصلحةِ هي الأساسُ لديهم ـ حتى لو خالفت الأحاديث الصحيحة ـ.

التزام سُننِه التشريعية ـ أي: تفسير القرآن ـ لأنها دين، أما سُنتُه غير بالتزام سُننِه التشريعية ـ أي: تفسير القرآن ـ لأنها دين، أما سُنتُه غير التشريعية ـ ومنها تصرُّفاته في السياسة والحَرب والسلَّم والاجتماع والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا ـ!!، فإن اقتداءَنا به يتحقَّقُ بالتزامنا المعيار الذي حكم تصرُّفه ﷺ، فهو كقائد للدولة كان يَحكمُ منها على النحو الذي يُحقِّقُ «المصلحة»، للأُمَّة، فإذا حكمنا «كساسة» بما يُحقِّقُ مصلحة الأمة، كنا مُقتدينَ بالرسول، حتى ـ ولو خالَفَت نظمناً وقوانيننا ما رُوي عنه في السياسة من أحاديث ـ، لأن المصلحة ـ بطبيعتها ـ متغيرة ومتطورة»(۱).

□ بل يُعبِّرُ «عمارة» بصراحة أشدَّ عن عَدم مُلائمة الشريعة لقضايا العصر، عندما يقول: «فإنَّ أحدًا لنَّ يستطيع الزعم بأنَّ الشريعة، يَكنُ أن تَثبُتَ عندما يُقرِّرُه نبيٌّ لعصره»(٢).

◘ ويدعو عمارة كذلك إلى مدنيَّةِ السُّلْطة، وجَعْلِ حقِّ التشريعُ في يد

⁽١) «الإسلام وقضايا العصر» محمد عمارة (ص٢٥).

⁽۲) «المعتزلة وأصول الحكم» (ص۳۳۰) ـ محمد عمارة سلسلة الهلال العدد (٤٠٠) ١٩٨٤م.

جمهور الأُمَّة عندما يقول: «فأصحابُ السُّلطةِ الدينيةِ قد احتَقَروا جمهورَ الأمة، عندما سَلَبوها حَقَها في التشريع، وسُلطاتِها في الحكم».

على حين قرَّر القائلون بمدنيَّة السُّلطة: «أنَّ الثُّقة ـ كلَّ الثقة ـ بجموع الأمة، بل جَعَلوها معصومة من الخطأ والضلال»(١)

فأبواقُ التغريب من اليمين إلى اليسار، قد تنادُوا من كلِّ واد لهَدم مُقوِّمات الإسلام من الداخل، متعاونين مع أساتذتهم من الشرق والغرب.

□ فالدكتور «أحمد كمال أبو المجد» يرفضُ رفضًا باتًا تلك «النظرة الشُّموليَّة للدين، والتي تستغرقُ أحوالَ الفردِ والجماعة»، ويرى «أن الدينَ والإسلامَ بصفة خاصَّة علمَّ اختصاصُه إلى جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتدادُ عناية وتوجيه، وليس عالضرورة والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتدادُ عناية وتوجيه، وليس بالضرورة اختصاص تدخُّل مباشر بالتنظيم، وتقديم الحلول النهائية الثابتة».

□ «ولذلك فهو يتعجَّبُ ويتأفَّفُ من هؤلاء المُسرِفين الذين يَرَون ضرورةَ إسقاطِ القوانين الوضعية، ويدعو مِن ثَمَّ إلى زَلزلةِ قواعدِ الشريعة، حيث لا يَقْصُرُ الاجتهادَ على الفروعِ فحسب، بل والأصولِ أيضًا»(٢).

□ ويَعتبر الدكتور "زكي نجيب محمود" أن الشريعة "شريعة الأسلاف" لم تَعُدُ تصلحُ لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نَبني حضارتَنا على النموذج الغربي المادي الحديث، دونَما التفات إلى أي أسس أخلاقية أو قيمة ثقافية

⁽١) «الإسلام والسلطة الدينية» (ص٧).

⁽٢) «حوار لا مواجهة» أحمد كمال أبو المجد (ص١٠ ـ ١٣)، وانظر «غزو من الداخل» جمال سلطان (ص٤١ ـ ٤٢).

أو عَقَدية .

□ ويقول: «وتسألُني: ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية؟! فأُجيبُك بأنها مادةٌ للتسلية في ساعات الفراغ. . لم أَعُدُ أقولُ: إنها خليقةٌ بأن يُقذَفَ بها في النار»(١) .

وهكذا فقد تَوَصَّل هؤلاءِ الكُتَّابُ إلى أن يَهدموا تراثَ أُمَّتِهم الدينيِّ والثقافي، بما في ذلك الغاءُ شريعة الإسلام، وفي ذلك مَخاطِرُ على عقيدتِهم ودينهم، ورِدَّةٌ شديدةٌ في اتباع أحكام الجاهلية.

* سقوط الخلافة في منظور العصرانيين:

□ لقد تكالَبَ أعداء هذا الدين على إسقاط الخلافة؛ وكان من أهم شروط اتفاقية «سايكس بيكو» ١٩١٥م، عندما خَرَجت تركيا مهزومة من الحرب: «أن اشترط الحُلفاء الغاء نظام الخلافة وطَرْدَ السلطان العثماني خارج الحدود ومصادرة أمواله، ثم إعلان علمانيَّة الدولة»(٢).

وركَّز العصرانيُّون حَمْلَتَهم للتشكيكِ بنظامِ الخلافة، متَّبعين في ذلك كبيرَهم الشيخ «علي عبدالرازق»، وجاء العصرانيُّون العلمانيُّون الجُدد ليُكملوا المِشوارَ ضمن حَلْقاتٍ من التآمُرِ ضدَّ الإسلام، وضدَّ نظامِ الخلافة، وتحكيم الشريعة (٣).

□ ويقول «محمد أحمد خلف اللَّه»: «نظامُ الحكم في الإسلام نظامٌ

⁽١) «غزو من الداخل» جمال سلطان (ص٤٠) وانظر كتاب «التراث والتجديد» حسن حنفي (ص٦٩) طبعة ١٩٨٠ القاهرة.

⁽٢) انظر «تاريخ الدولة العثمانية» على حسون ـ المكتب الإسلامي بيروت ودمشق.

⁽٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» د. محمد محمد حسين (٢/ ٨٣).

مصدرُه الاجتهاد وليس النصَّ. وعلى الجماعات الدينية أن تترك هذه القضية لتكون مَحِلَّ اجتهاد جديد، والفكرُ السياسيُّ في نظام الحُكم هو فكرُ بشريُّ خالص، وتستطيعُ المؤسَّساتُ العلميةُ من أمثالِ كلياتِ العلوم السياسية من أمثالِ كلياتِ العلوم السياسية من تجتهد فيه (۱) .

ويَرىٰ أنَّ النظامَ الملائمَ والحُكمَ الحضاريَّ هو «الديمقراطية»، والديمقراطية التي وَفَدت إلينا كعنصر حضاريٌّ من عناصر الثقافة الإسلامية (٢٠).

□ ويزعُم الدكتور «محمد عمارة»: «أنَّ اشتراطَ قُرَشيَّةِ الخليفةِ كان تعبيرًا عن موقفٍ قوميٍّ عربيٍّ ضدَّ عُجْمَةِ الدولة، مُمَثَّلةً في رأسِ سُلطتِها وقائدها الأعلى.

وجديرٌ بالذّكر أنَّ هذا الشرط لم يَظهرْ في الفِكرِ السياسيِّ الإسلاميِّ الإسلاميِّ الإسلاميِّ الأسرِ الأعجميَّةِ والاتجاهاتِ الشُّعوبيةِ على الخلافةِ العربيةِ العباسية، وظَهَرت السيطرةُ المملوكيةُ التركيةُ على الدولة منذ عصرِ «المتوكِّلُ» العباسي»(٣).

وهذه مُغالطاتٌ عجيبة، إذ يناقِضُ صاحبُها حقائقَ التاريخ ونُصوصَ الحديث النبويِّ الشريف.

⁽١) «الاجتهاد والحكم في الإسلام» محمد أحمد خلف اللَّه ـ مجلة العربي العدد ٣٠٧ ـ رمضان ـ ٤٠٤هـ.

 ⁽٢) مجلة اليقظة العربية القاهرية: العدد الأول السنة الأولى ـ نقلاً عن كتاب: «غزو من الداخل» (ص٤٧) لجمال سلطان.

⁽٣) «الإسلام والعروبة والعلمانية»: محمد عمارة (ص١٨) ـ دار الوحدة بيروت ١٤٠٥هـ.

- قال ﷺ: «الأئمَّةُ من قريش»(١) .
- وجاء في الحديث الشريف: «فعليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلفاء الراشدين المهديِّين من بَعدي»(٢) .

وبعد كلِّ هذه الأحاديث يَفتري الدكتور «عمارة» فيقول: «إن اشتراط قُرَشيَّة الخليفة كان تعبيرًا عن موقف قوميٍّ عربيٍّ ضدَّ الشُّعوبية»!!.

* حقيقة دعوتهم في الحُكم: علمانية جديدة:

يُصرِّحُ بعضُ العصرانيِّين بحقيقة دعوتهم في الحُكم وفَصلِ الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويَدْعُون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام.

فالدكتور «حسن حنفي» يرى أنَّ العلمانية هي أساسُ الوحي (!!).

□ ويقول: «نشأت العلمانيةُ استردادًا للإنسان، ولحُرِّيَّتِه في السلوكِ والتعبير، وحُرِّيتِه في الفهم والإدراك، ورفض لكلِّ أشكالِ الوصايةِ عليه، ولأيِّ سُلطةٍ فَوقيَّةٍ، إلاَّ من سُلطة العقل والضمير(!!).

العلمانية إذن هي أساسُ الوحي، فالوحيُ عِلمانيُّ في جوهره، والدينيةُ طارئةٌ عليه مِن صُنع التاريخ تظهرُ في لحظاتِ تخلُّفِ المجتمعاتِ وتوقُّفها عن التطوُّر (٣).

⁽١) صحيح: رواه الإمام مسلم «كتاب الإمارة».

⁽٢) حسن صحيح: رواه أبو داود والترمذي وقال: «حسن صحيح».

⁽٣) «التراث والتجديد» (ص٦٩) د. حسن حنفي.

والإسلامُ عند د. «محمد عمارة» هو العِلمانيةُ ذاتُها، لا شأنَ للدينِ فيها بالحكم والقضاء والإمامة والسياسة.

□ يقول: «إنَّ للدين مَفاهيمَ عُليا ومُثلاً عليا، ثم للناس أن يُحدِّدوا ويُشرِّعوا ويطوِّروا حياتَهم وفقَ المصلحة بعد ذلك»(١).

ومِن ثَمَّ يرىٰ كذلك أنَّ الإسلامَ قد قَرَّرَ الفصلَ بين «أُمَّة الدِّين» و «أُمَّة الدولة»، وأنَّ سُنَّته عَيَالِيَّة تنقسمُ إلى «سُنَّة دينية مُلزِمة» و «سُنَّة دنيوية غير مُلزِمة».

"فالإسلامُ الدِّينِ عند الدكتور عمارة: تَمَثَّلَ ويَتمثَّلُ في النصِّ القرآني، وفي السُّنةِ النبويةِ التشريعية التي جاءت تفصيلاً لمجملِ القرآن وشَرْحًا لمُوجَزِه، وهذان المصدرانِ هما اللذان تجسَّداً ثمرةً "للاجتهاد" في علوم الوحيَ-أي: العلوم الشرعية-.

هذا هو الإسلام الدين (!!).

وهناك «الإسلام الحضارة» كما تَمَثَّل ويَتَمثَّلُ في ثمرات «العقل المسلم وتجربة المسلمين في مختلف نواحي الحياة الدنيا».

□ ثم يقول: «فلم تكن الدولةُ هدفًا من أهداف الوحي، ولا مُهمةً من مهام ً النبوَّة والرسالة، ولا رُكنًا من أركان الدين، وإنما اقتضَتْها ضرورة حماية الدعوة الجديدة، والدفاع عن المؤمنين ضدَّ اضطهادِ المشركين.

فكان تأسيسُها وتدعيمُها إنجازًا سياسيًّا وحضاريًّا وقوميًّا حَفِظَ الدين، وساعَدَ على انتشاره، على الرغم من أنه ليس جُزءً أصيلاً من مهامِّ النبوَّةِ (ساعَدَ على انتشاره، على الرغم من أنه ليس جُزءً أصيلاً من مهامِّ النبوَّةِ (ساعَدَ المعتزلة وأصول الحكم» د. محمد عمارة (س٢٩٥).

والرسالة، ولا هو أصلٌ من أصول الدين»(١) .

هذه نفسُ آراءِ على عبدالرازق وسادتِه من المستشرقين.

□ ومن ثَم يقول: «إنَّ موقفَ «الإسلام الحضارة»، كان هو التطبيقَ في مجالِ السياسةِ والدولة لموقف «الإسلام الدين» الذي يُنكِرُ وجودَ «سُلطة دينية» لَبَشَر خارج نطاق الموعظة والإرشاد، والذي لم يُحدِّد نطاقًا معيَّنًا للحكم»(٢٠).

* هذه تقسيمات لم يَقُلْ بها أحدٌ قبلَ أن يَطْلُعَ علينا أصحابُ «الاستنارة والتجديد»، وإلا ؛ فما الفرقُ بين مقولة النصارى: «دَعْ ما لقيصرَ لقيصر، وما للّه للّه» وبين مقولتهم؟! وما معنى قوله تعالى: ﴿إِنِّ الْحُكُمُ إِلاًّ للّه يَقُصُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [الانعام: ٧٥]؟!.

اً قال ابن كثير: «أخبَرَهُم أنَّ الحُكمَ والتصرُّفَ والمشيئةَ والمُلْكَ كلَّه الله»(٣)

وهذا يَشملُ شؤون الحياة كلِّها ـ سياسةً أو غيرَ سياسية ـ ، حتى الأعداءُ لم يُنكروا أنَّ الإسلامَ دينٌ ودولة .

□ قال المستشرق «فيتز جرالد»: «ليس الإسلامُ دينًا فحسب، ولكنه نظامٌ سياسيٌ أيضًا. . وإنَّ صَرْحَ التفكيرِ الإسلاميِّ كلَّه قد بُني على أساسِ أَنَّ الجانبينِ متلازمانِ لا يمكنُ أن يُفصلَ أحدُهما عن الآخر»(١٠) .

⁽١) «الإسلام والعروبة والعلمانية» (ص٥).

⁽٢) المصدر السابق (ص٦٦).

⁽٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٩٦).

⁽٤) «النظريات السياسية في الإسلام» محمد ضياء الريس.

فالعصرانيون بفَصْلهِمُ الدينَ عن شؤون الدولة والحياة، يَدْعُون إلىٰ عِلْمَانيةٍ قد يُسمُّونها «إسلامية»، ولكنها في الحقيقة أشدُّ بُعدًا عن الدينِ من العلمانية اللادينية ـ كما اتَّضح من تصريحاتهم السابقة واللاحقة ـ ، إذ هنالك كُتَّابُ معاصِرون حَمَلوا لواءَ العلمانية باسم «الإسلام» أيضًا . . من هؤلاء :

* محمد سعيد العشماوي(۱) ، صاحب كتاب «أصول الشريعة» الذي خُصَّصه لإِثبات أن الشريعة الإِسلامية قد أصابها التحريف والتغيير، ولذلك فهي لا تصلُحُ للحكم في هذا العصر (!!):

* ويتلخُّصُ مضمونُ الكتاب فيما يأتي ٢٠٠٠ :

ا ـ في أنَّ كلمة «الشريعة» غيرُ واضحة في أذهانِ المسلمين، فهم يطالبون بتطبيقها دونَ أن يَفهَموها، وقد وقَع التغييرُ في مفهوم الشريعة بين أهل الإسلام، مِثلَما وقع في مفهوم التوراة لدى اليهود (!!).

٢ ـ الارتدادُ عن الإسلام يأتي ضمْنَ حُريَّة الاعتقاد، فلا يصحُّ إقامةُ الحدِّ على المرتدِّ، كما أنَّ رَجْمَ الزاني المُحصَنِ ليس من أحكام الدين الثابتة الباقية كحدِّ شرعى (!!).

٣ ـ الدينُ كاملٌ منذ «أوزوريس»، ومن قَبلِ أن يُبعثَ محمدٌ عَيْلِيَّةِ، والمرادُ بالآية القرآنية بإكمالِ الدين (٣) إكمالُ شعائرِ الحجِّ ـ لا الدينِ نفسه ـ، والشريعةُ تكتملُ بتطورُّ ها، ومُسايَرتِها للتطورُّ والإنساني (!!).

⁽١) العشماوي: هو رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر، والأستاذ المحاضر في «كلية أصول الدين والشريعة».

⁽٢) ينظر: مجلة البلاغ، في ٨ صفر ـ ١٤٠٤هـ (ص٣٧ ـ ٣٨).

⁽٣) أي: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دينًا ﴾ .

٤ ـ الخَمرُ مأمورٌ اجتنابُها فقط، دون التنصيصِ بتحريمها في القرآن (!!).

٥ - إِنَّ قَطْعَ اليدِ وَبَتْرَ الأعضاءِ في العقوبة لا يُلائمُ رُوحَ الشريعةِ الإسلامية (!!).

والشكُّ أن إطلاقَ هذه الأحكام كُفرٌ صريح ـ كما سيأتي بيانه ـ.

□ وممن سار على النهج نفسه: «فرج فودة» في كتابه «قبل السقوط» ومما جاء في هذا السقوط:

- فصلُ الدينِ عن الدولة، باعتبار أن هناك فرقًا بين «الإسلام الدين» و «الإسلام الدولة» - كما يرئ الكاتب - .

- تعطيلُ الحدودِ الشرعية ، حيثُ إن تطبيقَ الشريعة يَقودُ إلىٰ دولة دينية تحكُمُ بالحقِّ الإلهيِّ ، فتطبيقُ حدِّ الزنا - مثلاً - يترتَّبُ عليه مَنْعُ ملاهي شارع الهرم (!!).

- خُصِّص الإسلامُ بالقضايا الرُّوحية، ويرفضُ الكاتبُ أن يكونَ الدينُ موجِّهًا للسياسة باسم الإسلام(١) (!!).

يريدُ هؤلاء الكُتَّابُ حُكمًا عِلمانيًّا، وفي أحسنِ أحوالِه ديمقراطيًّا برلمانيًّا على طريقة الغرب في أن يكون للأُمّةِ حقُّ التشريع. يريدون أن يتلهّوا بلُعبة الديمقراطية التي وضعها «تشرشل» حين ثار المصريون تُورتَهم الوطنية عام (١٩١٩)، وكان وزيرًا في حكومة المحافظين آنذاك، عندما سأل: «ماذا يريدُ المصريون؟! قيل له: يريدون أن يكون لهم برلمان

⁽١) انظر: مجلة منار الإسلام عدد رمضان ١٤٠٦هـ (ص١٥٠ ـ ١٥٢).

ودستور. فقال ساخرًا: أعطوهم لُعبةً يتلهُّون بها»!!(١) .

ها هو واقع «الديمقراطية الغربية» يَشهد بإفلاس شعاراتها عند التطبيق في منبعها، فما بالله بتطبيقها في ديار المسلمين؟!.

إِنَّ فَصْلَ الدينِ عن الدولة كان هَدَفًا أساسيًّا من أهداف حَمْلة التنصير والاستشراق، وها هو يُحقَّقُ على أيدي الأجيال التي ربيّت في محاضن مدارسهم وساستهم، منذ أوائل هذا القرن. وكان إبعادُ هيمنة الدينِ عن الحياة من أخطر ما انزلق إليه المسلمون، حتى وصَلوا إلى مَهاوي الذُّلِّ والتمزق والهوان. «ولن يَصلُح آخِرُ هذه الأُمَّة إلاَّ بما صلَح عليه أوّلُها»، وهو الإسلام، ولعلَّ دُعاة الإسلام الصادقين يُعيدون الأُمَّة إلى رُشدها، ويُرجعونها إلى التمسلُّ في دينها في جميع مجالات الحياة»(١) اهد.

وانظر إلى قَيْعِ أفكارِهم وتُبْحِ كلامهم:

□ يقول «حسن حنفي»: «إنَّ المصلحة أصلٌ مستقلٌ في التشريع، وإنه لا سُلطة إلاَّ لضرورة الواقع الذي نعيشُ فيه، لقد أصبَح الواقع هو المجدِّدُ للاختيارات والقوانين، أما دورُ الشرع، فثانويٌّ. لأنَّ اختياراتنا هي التي تُحدُّدُ طبيعة القوانين، وذلك يعني أنَّ القوانينَ والأحكام المُنزَّلة في القرآن، والواردة في السُّنَّة قابلةٌ للتأويل والتعطيل، ونحن في كلِّ ذلك نستلهم رُوح الشريعة ومقاصدها. ولَعلَّنا لا نكونُ بَعِيدِينَ عن المادِّيَّة التاريخيَّة إنْ لم

⁽١) عن كتاب: «هلم نخرج من ظلمات التيه» للأستاذ محمد قطب ـ نشر دار الوطن للنشر ـ ١٥) هـ (٥) .

⁽٢) «العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب» (ص٢٧٤ ـ ٢٨٤) لمحمد حامد النَّاصر ـ مكتبة الكوثر .

نكن من أكبر ممتِّليها والداعينَ إليها ١٥٠٠ .

□ ويقول «حسن حنفي» عن التمسُّك بالنصوص من قرآنٍ وسُنَّةٍ: «لقد احتَمَيْنا بالنصوص، فجاءنا اللصوص»(٢).

والعبارة استعارها حنفي من الشاعر الماركسي الفلسطيني محمود درويش (۳).

وصار المهمُّ عنده مُسايرةُ روحِ العصر فقط، وتساوَتْ لديه النصوصُ الدينية في حُجِّيتها مع الأمثالِ العامِّيَّةِ والأغاني الشَّعبية (!!).

□ يقول حسن حنفي: «ما يُهِمُّنا هو رُوحُ العصر، وما نَهتمُّ به هي مشاكلُ العصر؛ لذلك نَهتمُّ بالأمثالِ العامِّيَّةِ وبسيرِ الأبطال، كما نفعلُ تمامًا مع النصوص الدينيَّة، ونهتمُّ بالأغاني الشعبية»(١).

□ وانظر إلى كفريّات الدكتور حسن حنفي في كتابه «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر»، فقد بَثَّ فيه الشكوكَ والإلحاد، ودعا إلى أن «الفكر الغيْبيُّ» أقرب إلى الأساطير منه إلى الفكر الديني، وأنَّ قَصص آدم وحوّاء والملائكة والشياطين كلُّها رموزٌ، أو جُزءٌ من الأدب الشّعبي، ويرى أن العقلَ ما كان في حاجة إلى الشرع؛ لأن الإنسانَ لا يَحتاجُ إلى الوحي، وأن ابن تيميّة وابن القيم يؤمنانِ بوجودِ الجنّ والشياطين، وهذا هو أحدُ وجوهِ ابن تيميّة وابن القيم يؤمنانِ بوجودِ الجنّ والشياطين، وهذا هو أحدُ وجوهِ

⁽١) مجلة «اليسار الإسلامي» ـ العدد الأول (ص١٥ - ٢١) حوار مع د. حسن حنفي.

⁽٢) «التراث والتجديد» (ص١١٩ ـ ٠ ١٢) لحسن حنفي ـ نشر مكتبة الجديد ـ تونس .

⁽٣) انظر «ظاهرة اليسار الإسلامي» لمحسن الميلي (ص٥٣ ـ ٥٥).

⁽٤) «ما يعني اليسار الإسلامي» مقال لحسن حنفي - مجلة اليسار الإسلامي - العدد الأول .



الضَّعفِ في هذه المدرسة، وأنَّ الإِنسانَ لا يحتاجُ لكونه مُسْلِمًا إلى الإِيمانِ بالجنِّ والملائكة»(١) .

□ يقول حسن حنفي: «يُمكِن للمسلم المعاصر أن يُنكِر كلَّ الجانب الغيبيِّ في الدين، ويكون مسلمًا حقًّا في سلوكه»(١).

 □ ويدعو إلى التجديد على مستوى اللغة والمصطلحات، ويرى حسن حنفي أن اللغة التقليدية في تُراثنا قاصرة، وتتضمَّن عيوبًا كثيرة منها:

أنها لغة الهيَّة، تدورُ الألفاظُ فيها حَولَ «اللَّه». بل إنَّ لفظ «اللَّه» لا يُعبِّرُ عن معنَّىٰ مُعيَّنٍ، فهو «صَرخة وجوديَّة». . إذ أن «اللَّه» عند الجائع هو الرغيف، وعند المُستعبَد هو الحريَّة، وعند المظلوم هو العَدْل، أي: أنه في مُعظَم الحالات «صرخةُ المضطهدين».

ثم ينتهي «حنفي» إلى أنه لا يمكنُ إيصالُ أيِّ معنَىٰ بلفظ «اللَّه»؛ لأن «اللَّه» حَوَىٰ كثرةً من المعاني لدرجة أن يَدُلَّ علىٰ معان متعارضة (٣) .

فلا داعي إذن ـ طبقًا لهذا الكلام ـ إلى استعمال لفظ الجلالة، لِتَحُلَّ مَحِلَّها كلماتُ: «الخبز، والحرية، والعَدْل، والحب، والإشباع، والإنسان الكامل»!!!.

□ يقول: «إن اللغة القديمة لغة دينيَّة تشير الى موضوعات دينيَّة خالصة مثل: «دين، ورسول، ومُعجِزة، ونبوة».. وهي لغة عاجِزة عن إيصال

⁽١) «قلاع المسلمين مُهدَّدة من داخلها» للدكتور محمد عبدالقادر هنادي (ص٢٤).

⁽٢) «قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر» للدكتور حسن حنفي (ص٩١ ـ ٩٣) ـ دار التنوير بيروت.

⁽٣) «التراث والتجديد» (ص١٢٩) وما بعدها.

مضمونها في العصر الحاضر (!!)، وهي ـ كذلك ـ لُغةٌ تاريخيةٌ صُوريَّةٌ مُجَرَّدةٌ . ولذلك فاليسار يرومُ تأسيسَ لغةٍ جديدة تَستعملُ الألفاظَ التي يقبلُها العصر»!!.

□ ويقول: "إنَّ في العصر ألفاظًا تجرِي مجرىٰ النارِ في الهشيم، مثل: "الأيديولوجيا، والتقدم، والحركة، والتغيُّر، والتحرُّر، والجماهير، والعدالة». . وهي ألفاظٌ لها رصيدٌ نفسيٌّ لدىٰ الجماهير، والتي يُمكنُ أن تُعبِّرَ عن ثقافة وطنية»(١) .

□ «وهذه اللغةُ مفتوحةٌ وعقلانيةٌ، أما ألفاظ «اللَّه» و«الجنة» و«النار» و«الحساب» و«العقاب»، فهي ألفاظٌ قطعيَّة صِرفة لا يمكنُ التعاملُ معها دونَ فهم أو تفسير أو تأويل».

□ ويضيف قائلاً: «بأن الألفاظ يَجبُ أن يكونَ لها مُقابِلٌ في الواقع الحسِّي، فألفاظ «الجن، والملائكة، والشياطين؛ بل والخَلْق، والبَعث، والقيامة» ألفاظ تَجاوزَها الحِسُّ والمُشاهَدة، ولا يمكنُ استعمالُها؛ لأنها لا تُشيرُ إلى واقع، ولا يَقبلُها كلُّ الناس.

وفي نظر «اليسار» أنَّ ذلك سينقُلُ عصرنا من مرحلة التمركز حول «اللَّه» إلى مرحلة التمركز حول «الإنسان»، وتلك مُهَّمةُ التراث والتجديد في أوَّل محاولاته من أجل إعادة بناء علم أصول الدين، على أنه علم الإنسان» (٢) .

⁽١) المصدر السابق (ص٠٤٠) وما بعدها.

⁽٢) «التراث والتجديد» (ص ١٤٠).

□ أما المستشار «سعيد العشماوي» الكاره لشرع الله، المحطّم لثوابت الإسلام، فإنه هو المُتولِّي كبر العلمانية في عصرنا.

النه «العشماوي» الدال على الموت لفظاً ومعنى. . الذي يُصرِّحُ بأن ما في القرآن الكريم من آيات الأحكام والتشريع هو من الضآلة بحيث يَنفي عن الإسلام وشريعته الاهتمام بالتشريع والقانون . . وبنص عبارته قال العشماوي: "فإنَّ القرآن الكريم ستَّةُ آلاف آية، وما يتضمَّنُ منها أحكاماً للشريعة أو «تشريعات» في العبادات أو في المعاملات لا يصلُ إلى سبعمئة آية، منها حوالي مئتي آية فقط هي التي تُقرِّرُ أحكاماً للأحوال الشخصيَّة والمواريث أو للتعامل المَدنِّي أو الجزاء الجنائي، أي أنَّ الآيات التي تُعدُّ تشريعات «قانونية» للمعاملات هي مجردُ جزء من ثلاثين جزءً من آيات القرآن (٠٠٠/ ١٠٠٠) بعضُها منسوخ ولا يُعمل به، أي أن الأحكام السارية أقل من واحد على ثلاثين، وعلى وَجْهِ التحديد (٨٠ آية)، أي أن الأحكام السارية أقل من واحد على ثلاثين، وعلى وَجْهِ التحديد (٨٠ آية)، أي (٠٠/ ١٠٠٠)» (١٠) (١٠٠٠) وعلى وَجْهِ التحديد (٨٠ آية)، أي (٢٠ ١٠٠٠) و المنافقة والمنافقة والمنافقة

الواجبات، وتُحدِّدُ الجزاءَ لكلِّ إثم، وشريعةُ عيسىٰ هي الحبُّ، وشريعةُ عيسىٰ هي الحبُّ، وشريعةُ محمدٍ هي الرحمة (٢) .

ا ويقول: «فرسالةُ محمد ليست كرسالةِ موسى ـ رسالةَ تشريع َ ـ ، وإنما هي رسالةُ تشريع أنه ورسالةُ أخلاق، بحيث يُعَدُّ التشريعُ صفةً تاليةً (١) «الإسلام السياسي» للعشماوي (ص٣٥)، و«معالم الإسلام» للعشماوي (ص١١٩).

⁽٢) «أصول الشريعة» للعشماوي (١٧٩، ١٨٠).

ثانوية غير أساسية . . وإنَّ دَفْعَ رسالة محمد لتكونَ رسالة تشريع أصلاً وأساسًا ـ مع أنها ليست كذلك . . هو أتجاه يَجعلُ من الإسلام صيغة عربية لليهودية ، أو اتجاهًا يَفهمُ الإسلام بمنطق الإسرائيليات (١٠) .

وهذا جهلٌ منه، فإنَّ هذه الآيات ليست كلَّ آيات الأحكام، وإنما هي الآيات التي تَحصُرُ الأحكام في الآيات التي تَحصُرُ الأحكام في القرآن الكريم».

□ وبعبارة الزَّركشي: «لعلَّهم قَصَدوا بذلك الآياتِ الدالةَ علىٰ الأحكامِ دلالةً أوَّليَّةً بالذات، لا بطريق التضمُّنِ والالتزام».

□ يقول شيخُ الإسلام ابن دقيق العيد: «إنَّ الأمرَ غيرُ منحصرِ في هذا العدد، بل هو مختلِفٌ باختلاف القرائح والأذهان، وما يَفتحُه اللَّهُ على عباده من وجوه الاستنباط»(٢).

□ ولقد صيغ هذا المعنى صياغة واضحة وحاسمة، قالت عن القرآن الكريم: "إنه لا يخلو شيء منه عن حُكم يُستَنبط منه؛ ذلك لأن الذين ذكروا أن الآيات التي تتعلَّقُ بالأحكام خَمْسُمئة آية، كأنهم أرادوا ما هو مقصود به الأحكام بدلالة «الالتزام» فغالبُ القرآن، بل كلُه؛ لأنه لا يخلو شيء منه عن حُكم يُستنبَطُ منه»(٣).

⁽١) «الإسلام السياسي» (ص٤٥).

⁽٢) «البحر المحيط» للزركشي (٦/ ١٩٩) تحرير د. عبدالستار أبو غُدّة ـ طبع وزارة الأوقاف ـ الكويت .

⁽٣) «شرح الكوكب المنير» لابن النجار (٤/ ٤٦٠) ـ تحقيق د. محمد الزحيلي، د. نزيه حمّاد ـ السعودية ـ.

◘ ومحمد عركون: العلمانيُّ الجزائري، الذي يدعو إلى التعامُلِ مع الإسلام والقرآنِ والسُّنَّةِ بالمقاييس الغربية، وبالاستفادة من المعطَيَاتِ التي خَلَّفها «ماركس ونيتشه» وغيرهما.

□ يقول هذا المأفون: "إنَّ الفكرَ الإسلاميَّ لا يمكنُه أن يتهرَّبَ طويلاً!!! إنَّ فعلَ الإيمانِ "الأرثوذكسي "() المحتسب دومًا يقومُ على التأكيد بأن الدين يَرتكزُ على الوحي الذي أنزله اللَّه للناس بواسطة الأنبياء، لكنَّ الواقعَ العلميُّ الحديث يَنزعُ إلى أن فَرضَ فكرة أن الدين كلَّه من المجتمع، اللَّه عبحاجة إلى شهادة الإنسان له!!!».

هل بعد هذا الكفرِ والوقاحة والجرأة على اللَّه وقضاءٍ على الدين يتكلَّمون باسم «التنوير»؟! .

□ ويقول مُسيلِمة العصر محمد عركون: "إن أشكال الإسلام المدعوة المستقيمة أو أرثو ذكسية» (هكذا والله) كالاتجاه السُّنِيِّ والشَّيعيِّ والخارجي(!!) الذي يدَّعي كلُّ منها أنه يَحتكرُ الإسلام الصحيح دون غيره، هي عبارة عن انتقاءات اعتباطية (!!) واستخدامات أيديولوجية لمجموعة من الأفكار والعقائد والممارسات المُقدَّمة والمُصوَّرة على أساس أنها دينيَّة محضة»(").

الله ويُلمِّحُ «عركون» إلى أن الماركسية لم تأخذ حَظَها في تقييم الإسلام والحُكم عليه!! وأنها ينبغي أن تكون منطلقًا لِعَلْمَنَة الإسلام، فيقول:

⁽١) يقصد السنّى الملتزم بالنصوص القرآنية المُقدِّس لها.

⁽٢) مجلة «الفكر العربي المعاصر» ـ (العدد ٣٩).

"نلاحظُ أن الماركسية لم تُعرف بصورتها الإيجابية حتى الآن، لا في الفكر العربيِّ المعاصر، ولا في الفكر الإسلاميِّ بشكل عامٍّ، نفسُ الشيء يُمكنُ أن يُقالَ بخصوصِ نقد القيم التي قام به "نيتشه» تُجاه المسيحية، وهذا النقد قابلُ للتطبيق على الإسلام(!!) وإذا ما نظرْنا للتاريخ بكليَّة ضمْنَ هذا المنظور، فإنه يُصبحُ ممكنًا تعبيدُ الطريق وتمهيدُه نحو ممارسة علمانية للإسلام. . يمكنُ للعلمنة عندئذ أن تنتشرَ في المجتمعات التي اتخذت الإسلام دينًا»(١).

* ويصرّح بإنكاره لأصول الإسلام:

□ يقول الأستاذ عبدالسلام البسيوني: "ومن اللافت للنظر أيضاً إيهامُهم للقارئ أن الإسلام سكّم بكثير من التقاليد الجاهلية المتخلّفة وقبلها، لذلك فهم يرفضونها. . وهذا واضح في كلام "حسين أحمد أمين"، وفي كلام "محمد عركون" في أكثر من موضع حين فسّر بعض القرآن الكريم بطريقته الخاصة، واعتبر وضع المرأة وقضايا الجنس والميراث من الجاهلية، ويطالب بإعادة النظر فيها بمعايير جديدة تُخالفُ المعايير الجاهلية التي أقرها القرآن"(!!!).

□ يقول في حديث له بمجلة «لونوفيل أوبزر فاتور ٧/ ١٩٨٦)»:
«إنَّ التفسير يَبقى دائمًا جائزًا، على شرط أن يُعادَ التفكيرُ في مسألة التنزيل على ضوء التاريخانية (!!) الحجاب مثلاً - ككلِّ ما يَمُتُ إلى الجنس، وإلى وضع المرأة في الإسلام - ينتمي إلى قانون عِرقيُّ سابقٍ على الإسلام،

⁽١) "تاريخية الفكر العربي المعاصر" لمحمد عركون ـ مركز الإنماء القومي ١٩٨٦.

الإسلامُ صادَقَ على تقاليدَ قديمة متعلِّقة بأسُس قَبْلَه، وأعطاها بُعْدًا مُقَدَّسًا (!!) ويتعلَّقُ الأمرُ اليومَ بإعادة التفكير في هذه المفاهيم في ضوء التاريخ، وللأسف فإنَّ هذا العمل في بداية الإسلام يُحكِمُ سيطرة الأيديولوجيا».

* ويَدعو إلى قراءة القرآن قراءةً نقديَّةً من خلال منظورِ «نيتشه، وفرويد، وكارل ماركس»:

□ يقول مسيلمة العصر «محمد عركون»: «إنَّ إعادة قراءة القرآن من جديد قراءة نقديَّة متخصِّصة لا قراءة أيديولوجيَّة تقليديَّة ـ هي الخُطوة الأولى التي لا بد منها من أجل فَهم المُناخ الفكريِّ والنفسي للشخصية العربية الإسلامية . . إنَّ هذه القراءة مضطرة لأنْ نأخذ في الاعتبار كلَّ المسار الفلسفيِّ والنقديِّ الذي قطعه الفكرُ الغربي، ابتداءً من «نيتشه»، وانتهاءً «بفرويد»، مروراً بطبيعة الحال «بكارل ماركس» . . »(۱) .

□ وعلى نَفْسِ الخطِّ العلماني سار الماركسي "حسين أحمد أمين" مؤلف كتاب «دليل المسلم الحزين» ومفسِّرُ القرآن تفسيرًا ماركسيًّا والطاعنُ في ثوابت الأحكام الشرعية يقول: «لجأ الفقهاءُ والعلماءُ إلى تأييد كلِّ رأي يرونه صالحًا ومرغوبًا فيه؛ فهم يصنعون أو «يُفَبْركون» الأحكام ويختلقونها بحديث يرفعونه إلى النبي عَلَيْكُ (١٠).

□ ويقول هذا «المستنير»: «ومع أن رسولَ اللَّه ﷺ لم يَدَّع قطُّ أنه معصومٌ من الخطأ إلاَّ حينَ يُملِي أو يتلو آياتِ ربِّه (!!) بل ونَبَّه القرآنُ إلىٰ

⁽١) «اليسار الإسلامي» (ص٤١ - ٤٢).

⁽٢) انظر «اليسار الإسلامي» (ص٣٣)، و «جولة في فكر محمد عركون» (ص٢٦٦).

أخطاء بَدَرَتْ منه؛ فقد افترض أنصارُ الالتزام بالسُّنَّة (١) أن العناية الإلهيَّة إنما كانت توجِّه كلَّ عملِ أتى به، وكلَّ كلمة صدرت عنه، منذ بَعَثه اللَّهُ رسولاً إلى قومه، إلى أن مات، ومن ثُمَّ فقدُّ رأوا أنَّ أحكامَ السُّنَّةِ ملزِمةٌ في الحالاتِ التي لم يَرِدْ بصددِها نصُّ قرآني».

* محمد عابد الجابري وإنكار الوحى:

□ ويرى الدكتور محمد عابد الجابري: «أن الوحي سُلطةٌ مرجعيةٌ تُضايقُ الحاضر، وتُنافِسُ المستقبلَ والجديد»، فهو ينكرُ أن يكون هناك وحيٌ ـ وإن آمن به ـ، فهو يعتبرُه وليد زمانه، أي هو جزءٌ من التاريخ أو تجربةٌ تاريخية (۱) .

* والدكتور محمد فتحي عثمان صاحب كتاب «الفكر الإسلامي والتطور»:

□ يقول عن كتابه: «إنه محاولة لناقشة قابليَّة الإسلام في أصوله للتطوُّر، ورصيد المسلمين التاريخيِّ في التطور، وللواقع المعاصر، واحتياجنا للوعي بحقيقة التطوُّر عندنا وعند غيرنا»(٣).

ويدعو إلى تقييد الطلاق، وتقييد تعدُّد الزوجات، وإلى الاختلاط، وتَرْك الحجاب، والضابطُ لذلك كلِّه هو «الظروف وواقع العصر» (!!).

◘ يقول: «إن قضيةَ المرأة وأشباهَها وثيقةُ الارتباط بواقع البيئةِ

⁽١) يقصد جمهور أهل السنة والجماعة عن عصر الصحابة إلى أيامنا هذه.

⁽٢) انظر «الخطاب العربي المعاصر» لمحمد عابد الجابري (ص٥٥ ـ ٥٦) نقلاً عن «ظاهرة اليسار الإسلامي» (ص١٣٢).

⁽٣) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٧٥، ٣٩) للدكتور محمد فتحي عثمان ط٢ الكويت. الدار الكويتية (١٩٦٩م).

الاجتماعيَّة ، والمجتمعُ الواحدُ يختلفُ من زمن لآخر . . ولذلك يجبُ ألاَّ يُحمَّل «الدينُ» عِبءَ هذه الفوارقِ الطبيعيةِ الحَتميَّة ، بل أوْلي للجميعِ أن ينسِبوا هذه الأحكامَ الاجتهادية لواقع العصر والبيئة »(١) .

* هؤلاء في ميزان الإسلام:

* محمد على باشا، مؤسس العلمانية بمصر الحديثة:

□ كتب محمد عبده في «المنار» ١٩٠٢م/ ١٣٢٢هـ بمناسبة مرور مئة سنة على تأسيس مُلك هذه الأسرة قال: «إن لمحمد على ثلاثة أعمال كبيرة، كان كلُّ منها موضع خلاف نافعًا كان أو ضارًا ـ بالمسلمين في سياستهم العامة:

١ ـ تأسيسُ حكومة مدينة في مصر «أي: علمانية»، كانت مقدِّمة لاحتلال الأجانب لها..».

□ وكتب الشيخ محمد عبده في العدد التالي مقالةً بإمضاء «مؤرِّخ» قال: «هذا يعني أن محمد عبده ومدرسته لا ينْسَون مساوئ محمد على في نسخ الأحكام الشرعية وإعلانه «العلمانية» في مصر، وهو أولُ مَن تجرَّأ في العالم الإسلامي على استبدال القوانين الأوربيَّة بالشريعة الإسلامية، ولا ينسَون قتالَه لخليفة المسلمين عمَّا يُعدُّ «حرابة»، ولا ينسَون قضاء على دولة السعوديين العربيَّة المسلمة المُصلحة السَّلفية .. »(*) .

* عبدالرحمن الكواكبي، أول من نادى بفكرة «العلمانية» حسب مفهومها الأوربي الصريح:

◘ يقول الكواكبي: «يا قومُ ـ وأعني بكم الناطقين بالضادين غير

⁽١) «الفكر الإسلامي والتطور» (ص٢٢٢).

⁽٢) «معالم تاريخ الإسلام المعاصر» لأنور الجندي (ص١٨٤) ـ دار الاعتصام .

المسلمين .، أدعوكم إلى تناسي الإساءات والأحقاد، وما جناه الآباء والأجداد، فقد كَفَىٰ ما فَعَل ذلك على أيدي المثيرين، وأُجِلُّكم من أن لا تهتدوا لوسائل الاتحاد وأنتم المتنورون السابقون فهذه أمُ «أوستريا وأمريكا» قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني ، والوفاق الجنسي دون المذهبي ، والارتباط السياسي دون الإداري . . » .

الآخرة فقط (!!) ونجعلُ الأديانَ تحكُمُ الآخرة فقط (!!) دَعُونا نجتمعُ على كلماتٍ سواء، ألا وهي: فلتحيا الأُمَّة، فليحيا الوطن، فلنحيا طُلقاءَ أعزَّاء (١٠) .

* ساطع الحُصري، فيلسوفُ القوميَّة العربيَّة الزائفة:

هو أول مسؤول عن التعليم العالي التركي في الوزارة التي شكَلها الاتحاديُّون بعد سقوط الخلافة مباشرة ، وأوَّلُ مَن صَرَّح بأن قوميَّة إسرائيل تقومُ على الدين ، وأنَّ الإسلام دين تعبُّد . ويُنكِرُ أنه نظامُ حياة ومجتمع ، والحقيقة أنه ما ذَنْبُ العروبة والإسلام إذا كان ساطعُ الحُصري غُربي الفكر والذَّوق ، أعجمي النطق ، يتجاهل أن لُغتنا لغة فكر وعقيدة ، وأن ديننا يجمعُ بين المادة والروح ، وبين العقل والقلب ، وبين الدنيا والآخرة .

□ يقول الأستاذ أنور الجندي: «حَدَّثني الدكتور مختار الوكيل ـ مدير مكتب «الجامعة العربية» في «چنيف» ـ وهو رجل صادق مؤتمن ـ ، أنه في خلال عَمَلِه زار الأستاذ ساطع الحصري في «سويسرا»، ورأى السيد «عبدالفتاح حسن» السفير المصري دَعْوَتَه إلى طعام للغداء، فلمَّا قَدِم مع

⁽١) اطبائع الاستبداد» لعبدالرحمن الكواكبي (ص١١٢ ـ ١١٣).

الدكتور الوكيل حَيَّاه السفيرُ المصري فقال: «مرحبًا بالمناضلِ الكبير في خدمة العروبة والإسلام»، وقد عَجِبَ الرجلان من ساطع الحصري الذي ردَّ ي عنف وحِدَّة: «عرب نعم. وسلام لا . . أنا لايك» . . وكلمة «لاييك» تعنى: أن صاحبَها علماني أو لا ديني» (١) .

ولا تَعجَبْ، فقد كان أكبرُ أساتذته في مفهوم القوميَّات «ماكس مولر» و «نوردو» وهما فيلسوفان يهوديَّان قصداً من وراء نظرية اللغة إلى إحياء القوميَّة اليهودية (۱) .

* طه حسين ومحو الهُويَّة الإِسلامية والتشكيك في القرآن والحكومة الإسلامية:

□ طه حسين القائل: «لأمرٍ ما اقتنَع الناسُ أن النبيَّ يجبُ أن يكونَ من صفوة بني هاشم، ولأمرٍ ما شَعُروا بالحاجة إلى إثباتِ أنَّ القرآنَ كتابٌ عربيُّ مطابقٌ في ألفاظه للغة العرب».

لا طه حسين التلميذُ الوفيُّ لـ «كازانوفا» الذي يَنسبُ القرآنَ إلى النبي ويُنكِرُ الوحيَ والنبوَّة. فإذا بطه حسين يسيرُ على نفس الخطِّ، ويقولُ في كتابه «الشِّعر الجاهلي» مشكِّكًا في القرآن: «ونحن لا نستطيعُ أن نظْفَرَ بشيء واحد يُؤيِّدُ ما أشرْنا إليه هو: أن الكتابَ شيءٌ غيرُ القرآن، كان موجودًا قبلَ إنزال القرآن، والقرآنُ صورةٌ عربية منه، وقد أخذ صُورًا من قبلُ كالتوراة والإنجيل».

⁽١) انظر «جيل العمالقة» للأستاذ أنور الجندي (ص١٥١ - ١٥٣).

⁽٢) انظر المصدر السابق.

الله عِثّل حياة العرب المحدودة في شبه الجزيرة في الجاها المحدودة والدينة والديرة في شبه المحليّة وحدها الله عاديّة وحدها الله عن هذه الحياة التي عاشها وعاش فيها ولذلك يُعدّ تعبيرًا صادقًا عن هذه الحياة الما أنه يُمثّلُ غير الحياة العربيّة الويرسُمُ هدفًا عامًّا للإنسان، فليس ذلك بحقّ انه دين بشري وليس وحيًا إلهيًّا، والقرآنُ مُؤلّف، ومؤلّف نبيّه محمد، ويُمثّل تأليفُه بأنه عيثًل حياة العرب المحدودة في شبه الجزيرة في اتجاهات حياتها المختلفة السياسية والاقتصادية والدينية والدين والدينية والدين والدينية والدينية والدين و

□ ويقول في محاضرة له بكلية الآداب بقَصْرِ الزعفران (١٩٢٧ - ١٩٢٨) بعد ضَجَّة «الشَّعر الجُاهلي»: «ليس القرآنُ إلاَّ كتابًا ككُلِّ الكتب الخاضعة للنقد، فيجبُ أن يُجرِك عليه ما يُجرَى عليها، والعِلمُ يُحتَّمُ عليكم أن تَصرِفوا النظرَ نهائيًّا عن قَدَاستِه التي تتصوَّرونها، وأن تعتبروه كتابًا عاديًّا، فتقولوا فيه كلمتكم. ويجبُ أن يختصَّ كلُّ واحدٍ منكم بنقدِ شيءٍ من هذا الكتاب، ويُبيِّنُ ما يأخذُه عليه».

□ ويقول: «لاشك أن الباحث الناقد والمفكر الحُرَّ الذي لا يُفرِّقُ في نقده بين القرآن وبين أيِّ كتاب أدبي آخر، حيث يلاحظُ أن في القرآن أسلوبين متعارضين لا يربط الأول بالثاني صلة ولا عَلاقة، عَمَّا يَدفُعنا إلى الاعتقاد بأن هذا الكتاب قد خَضَع لظروف مختلفة وتأثير بيئات متباينة».

فهو يقول ببشريَّة القرآن، وهذا كفرُ أكبرُ مُخرِجٌ من المِلَّة بعد قيامِ الحُجَّة على صاحبه من قِبَلِ عُلماءِ الأمة.

◘ ومِن أخطرٍ مَزَاعِمِهِ أنَّ النبي ﷺ قد أَحَبَّ «زينبَ بنتَ جَحْش»،



وهي زوجةٌ لزيدٍ، وهذا بهتانٌ عظيم(١) .

* «على هامش السيرة» تهكُّمٌ صريح:

و صنف الأستاذ «مصطفى صادق الرافعي» كتاب «على هامش السيرة» بأنه «تَهكُم صريح ».

وقال الدكتور محمد حسين هيكل: "في رأيي أن لا تُتّخذ حياة النبي على مادة الأدب، والنبي على وإنما يُتّخذ من التاريخ وأقاصيصه مادة لهذا الأدب، والنبي على وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعًا، بل هي فَلْذَة من هذه الحياة، ومن أعز فلذاتها عليها وأكبرها أثرًا، واعلم أن هذه الإسرائيليات قد أريد بها إقامة "ميثولوچية إسلامية" لإفساد العقول والقلوب من سواد الشعب، ولتشكيك المستنيرين ودفع الريبة إلى نفوسهم في شأن الإسلام ونبية عليه على وقد كانت هذه غاية الأساطير التي وضعت عن الأديان الأخرى، من أجل ذلك ارتفعت صيحة المصلحين الدينين في جميع العصور لتطهير العقائد من هذه الأوهام"().

وهذا اتهامٌ صريحٌ من الدكتور محمد حسين هيكل للدكتور طه حسين في اتجاهه، وتحميلٌ له لمسؤولية من أخطر المسؤوليات، وهي إعادة إضافة الأساطير التي حرَّر العلماء سيرة الرسول منها طوال العصور، وإعادتُها مرة أخرى لِخَلْقِ جوِّ مُعَيَّنٍ يُؤدِّي إلى إفسادٍ في عقولِ سواد الشَّعب، وتشكيك المستنيرين ودفع الرِّيبة إلى نفوسِهم في شأن الإسلام ونبية ﷺ.

⁽۱) «محاكمة فكر طه حسين» (ص١٨٥، ١٨٧).

⁽٢) المصدر السابق (ص١٨٩).

ولقد أشار الدكتور «محمد برادة» إلى أن طه حسين كتب على «هامش السيرة» تقليداً لكتاب «على هامش الكتب القديمة» لـ «جيل لومتير».

وقد ذكر الأستاذ عبداللَّه كنون في كتابه «التعاشيب» بأن كتاب طه حسين و ضع على غط كتاب غربيٍّ كتبه «ألفريد أورشيم» الأستاذ بجامعة أكسفورد تحت عنوان «على هامش سيرة المسيح».

□ ويقول الأستاذ غازي التوبة: "إنَّ طه حسين يُنصِّبُ نفسه إمامًا للأساطير اليونانية، ويَضعُ السيرة في مصافِّ "الإلياذة»، ويَطلبُ من المولِّفين والكُتَّابِ أن يَفتتنوا في الحديث عنها افتتان أوربا بأساطير اليونان، كي يُرضُوا مُيولَ الناس إلى السَّذاجة، ويُمتِّعوا عواطفَهم وأَخْيِلتَهم، ولكن هل يتساوىٰ الأثرانِ في المجتمعيْن: "الإلياذة» في المجتمع اليوناني، و"السيرة» في المجتمع الإسلامي؟! وهل كانت "السيرة» يومًا ما في التاريخ موضوعًا لتسلية قصصيَّة أو مباراة لفظيَّة؟!»(١).

□ ونَشرت مجلة «الشباب الجزائرية» (ذي القعدة عام ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م) تحت عنوان «دسائس طه حسين» قالت: «اَلَف طه حسين كتابًا أسماه «على هامش السيرة» - يعني السيرة النبوية الطاهرة -، فملأه من الأساطير اليونانيَّة الوثنيَّة، وكتب ما كتب في السيرة الكريمة على منوالها، فأظهرها بَظْهَرِ الخرافات الباطلة وأساطير الخيال، حتى يُخيِّل للقارئ أن سيرة الرسول ﷺ ما هي إلاَّ أسطورةٌ من الأساطير، وفي هذا من الدَّس والبُهت ما فيه»(۱).

⁽۱) «محاكمة فكر طه حسين» (ص١٨٨ ـ ١٨٩).

⁽٢) المصدر السابق ١٨٩.

* موقف طه حسين العلماني من الشريعة الإسلامية:

إن مقال طه حسين «بين العلم والدين» الذي نشره في مجلة «الحديث» عام ١٩٢٧ هو بمثابة تقرير كتبه الدكتور إلى أساتذته عُتاة التغريب، ليكشف لهم عن الخَطَرِ الذي يُواجهُه تحت مادَّة «دين الدولة الرسمي الإسلام»، وفيه يكشف مفهومة للإسلام بأنه لا يزيد عن أن يكون صلاة وصيامًا واحتفالاً بالمولد النبوي والأعياد الرسمية وإطلاق المدافع في رمضان وقيام المحمل إلخ . . (!!).

أمَّا بالنسبة للنُّظُم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فإنه يدعو مصر الله اعتناق النظرية الغربية، يرى أنه لا سبيل غير ذلك.

□ يقول طه حسين في عدائه للحكومة الإسلامية والتشريع الإسلامي: «لقد اعتزَمْنا أمام أوروبا أن نذهب مذهبها في الحُكم، ونسير سيرتها في الإدارة، ونسلُك طريقها في التشريع، والتزَمْنا هذا كلَّه أمام أوربا، وهل كان إمضاء معاهدة الاستقلال ومعاهدة إلغاء الامتيازات إلا التزامًا صريحًا قاطعًا أمام العالم المتحضر بأننا سنسير سيرة الغربيّين في الخُكم والإدارة والتشريع؟! فلو هَمَمْنا الآن أن نعود أدراجنا وأن تُحيا النَّظُمُ العتيقة، لَمَا وَجَدْنا إلى ذلك سبيلاً».

الله ويقول في «الفتنة الكبرئ»: «ليس من شكَّ أن عَليًّا قد أخفَقَ في بَسْطِ خلافته على أقطار الأرض الإسلامية، ثم هو لم يُخْفِقْ وحدَه، وإنما أخْفَقَ معه نظامُ الخلافة كلُّه»(١).

⁽١) «الفتنة الكبرئ» لطه حسين (٢/ ١٥٥).

□ وقال: "إنَّ الإِسلام لم يُغيِّرُ حياةَ العرب، وإنه بَقِيَ على هامشِ حياة المسلمين، وإنه لم يستطع أن يَفرِض حياة المسلمين بين أصحابِ الحضارات الأخرى".

* أما توفيق الحكيم:

الله فقد قال عنه الأستاذ محمد المجذوب: «كُتُبُه أكبرُ شاهدِ على تنكُّره لِمُثُلِ أُمَّتِه، حتى ما كان منها متَّصِلاً بالسيرة النبوية، ككتابه «محمد ﷺ»، أو مسرحية «أهل الكهف»، وبه مواطنُ دسائسه على الرسول».

وتوفيق هذا أنكر رؤية اللَّه يوم القيامة، ورَوَّج لنظرية "وحدة الوجود"، كما حاول أن يُسقِط إسقاطات علمانية وإلحادية روَّج لها الفكر الوافد منذ منتصف القرن الرابع عَشر الهجري ، انطلاقًا من المفاهيم الكنسيَّة التي لا تتطابق بحال مع فكرنا الإسلامي.

توفيق الحكيم الذي قصر الإيمان على المعرفة، وألغى التلفُّظ بمنطوق الشهادة، فهو عنده إيمان تعبُّدي لله معنى له.

□ وتوفيق الحكيم الذي خول لنفسه أن يتكلم باسم الله «قُلْ على لساني ما تشاء على مسؤوليتك»(١) .

* زكي نجيب محمود:

يَسخَرُ من الشريعة، ويَنتقِصُ من شأنِها، ويَصفُها بأنها «قاصرةٌ ومجافية للعصر»، ويُطالبُ بتخطِّيها في سبيل تحقيق المعاصَرة.

□ وكتابه المعروف «خرافة الميتافيزيقا» إنكارٌ صريحٌ لمفهوم الغيب الذي

⁽١) انظر «جيل العمالقة» (٢٠٥ - ٢١٧).



جاء به الإسلام، والادعاء بأنه خرافة. . وهو يفاخر بأنه يُمثِّلُ مدرسة الفيلسوف الأوربي الملحد المنكر للأديان «أوجست كُوْنت».

وأثنى «زكي نجيب محمود» على «ابن الراوندي» و «مَزْدك» و «ماني» و «الحَلاَّج» و «الباطنية» و «الشُّعوبية» و «إخوان الصفا وتلاميذهم».

□ وزكي نجيب محمود يَعتبرُ عُقوبةَ قطع اليدِ أمرًا وَحْشِيًّا يُهدِّدُ كرامةَ الآدمييِّن. ويُهاجمُ حجاب المرأة المسلمة.

□ يقول الأستاذ أنور الجندي: «وإني لأسألُ الدكتور زكي نجيب محمود: هل يُؤمنُ بالوحي؟ هذا هو مَقْطَعُ المفاصَلة بيننا وبينه، وإذا كان يُؤمنُ به فلماذا لم يُعلِن فسادَ منهج كتابه «خرافة الميتافيزيقا»؟!.

ولماذا لا يؤمنُ بهذا الوحي الذي جاء به القرآنُ شريعةً ومنهجَ حياة؟»(١).

* الدكتور زكي مبارك يشارك طه حسين في التشكيك في القرآن الكريم، وذلك في كتابه «النثر الفني»:

لقد لَمزَ زكي مبارك القرآن، وجارئ المستشرقين الفرنسيين الذين دَرَسَ وأخذ عنهم في جامعة «السوربون» بباريس أثناء تحضير أطروحته للدكتوراة المُسمَّاة «النثر الفني في القرن الرابع الهجري»، حين ذهب الدكتور مبارك يُجاري آراء أساتذته، خاصة منهم «المسيو مرسيه» و«ديموبين». فلم يكبث زكي مبارك أن أعلن في «أطروحته» أن القرآن كتاب ارضي لا سماوي (كذا والله). فالقرآن عنده «أثر نثري جاهلي»!!!

⁽۱) انظر «جيل العمالقة» (۱۸۸ ـ ۲۰۱).

وأنا هنا لا أتحاملُ عليه أو أُقَوِّلُه ما لم يَقُلْ، بل أكتفي بنقلِ أسطرٍ قليلةٍ مُوثَّقةٍ من كتابه «النثر الفني».

□ قال: «فليعلم القارئ أن لدينا شاهدًا من شواهد النثر الجاهلي يَصِحُ الاعتمادُ عليه ـ وهو القرآن ـ، ولا ينبغي الاندهاشُ مِن عَدِّ القرآنِ أثرًا جاهليًا، فإنه من صُورِ العصرِ الجاهلي، إذ جاء بُلغتِه وتَصَوَّراتِه وتقاليدِه وتعابيره، وهو ـ بالرغم عمَّا أجَمع عليه المسلمون من تفرُّدِه بصفاتِ أدبيةٍ لم تكن معروفة في ظنِّهم عند العرب ـ يُعطينا صورة للنثر الجاهلي "(١) .

□ ويقول: «القرآنُ شاهدٌ من شواهد النثر الفنيِّ، ولو كَرِه المُكابِرون، فأين نَضعُه من عهود النثر في اللغة العربية؟ أنضعُه في العهد الإسلامي؟ كيف والإسلامُ لم يكن موجودًا قبل القرآن حتى يغيِّر أوضاع التعابير والأساليب؟ فلا مفرَّ إذن من الاعتراف بأن القرآن يُعطي صورةً صحيحةً من النثر الفني لعهد الجاهلية»(٢).

□ قال الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه اللّه ـ: «أراد الدكتور زكي مبارك أن ينالَ إجازتَه العلميَّة من «باريس»، فكيف يَصنعُ الدكتور الذَّكيُّ؟؟ رأئ أن يَسوقَ ألفَ دليلِ على أنه وعَىٰ جيِّدًا دروسَ أساتذته، وأنه اقتنع بالفكرة التي يُصرِّحون بها حينًا، ويلمِّحُون بها حينًا آخَرَ، فكرة أن القرآنَ مِن وَضْع محمد، وأنه ليس وَحْيًا مصونًا كالإنجيل أو التوراة «كذا»، فاسمَع العبارات

⁽۱) «النثر الفني في القرن الرابع الهجري» للدكتور زكي مبارك (۱/ ٤٣) ـ دار الجيل ـ بيروت.

⁽٢) المصدر السابق (ص٤٤).

التي بَثَّها بَثًّا دنيئًا وسط مئتي صفحة من كتابه «النثر الفني»، وتَملَّقَ بها مشاعر السادة المستشرقين الذين يوجِّهون العلم والأدب لخدمة المستعمرين ونصرة الصليبيّين»(۱)

□ يقول الشيخ محمد الغزالي: «ولا ندري هل رَجَع الدكتور زكي إلى اللّه بعد هذا الكُفران المبن؟ أم مات على زَيغه؟ لقد كتّب بعد هذا كتابات حسنةً في التصوُّف! وإن كان الرجلُ ظلَّ يُدمِنُ الخمرَ حتى صرَعه «السُّكُر»، فقضى على حياته وهو نشوان»(٢).

والقارئُ المسلمُ لا يَغُضُّ طَرْفَه، ولا يَنْسَىٰ إذا تَعَلَقَ الأمرُ بِلَمْزِ كتابِ ربِّه والحطِّ من منزلة الوحي الكريم (٣) .

إنَّ هذا تكذيبٌ صريحٌ للَّه ولرسوله عَيْكِيُّ .

□ ولقد انبرى للردِّ على الدكتور زكي مبارك الدكتور محمد أحمد الغمراوي ردًّا في فصولٍ مطوَّلةٍ نشرتها الرسالةُ المصرية في مجلد عام ١٩٤٤ وفنَّد فيها ما قاله الدكتور زكي مبارك مِن:

أولاً: دعوتِه إلى نقد القرآن.

ثانيًا: إنكاره إعجاز القرآن.

ثالثًا: أنه يكادُ يُصرِّحُ بأن القرآن من كلام البشر.

⁽١) «الاستعمار أحقاد وأطماع» للشيخ محمد الغزالي (ص٢٢٨) - دار الكتب الإسلامية - القاهرة.

⁽٢) المصدر السابق (ص ٢٣١).

⁽٣) مقالة بعنوان «زكي مبارك شارك طه حسين التشكيك في القرآن الكريم» - المجلة العربية - العدد ٣٥ - ١٤ السنة ٢٨ - ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ يونيو ٢٠٠٣م (ص٣٤ - ٣٥).

رابعًا: أنَّ الأديانَ كلُّها من نَبْتِ البيئة ومِن وَضْع الأنبياء.

□ يقول زكي مبارك محاولاً أن يصف القرآن بكلِّ ما لا يُصدَّق، وأنه نتاجُ البيئة ـ كُبُرَتْ كلمةً تخرجُ من فيه إن يقولُ إلاَّ كَذَبًا ـ: «فمن الواجبِ أن يترك الباحثون ذلك الميدان الذي أولعوا بالجَرْي فيه ـ وهو عصر الدولة العباسية ـ، وأن يَجعلوا ميدان النِّضال «عصر النَّبُوَّة» نفسه، وأن يُحدِّثونا ما هي الصلّاتُ الأدبيةُ والاجتماعيةُ التي وصلت إلى العرب من الخارج فأعطت نَثْرهم تلك القوَّة وذلك الزُّخرف اللذين تراهما مُجسَّميْن في القرآن؟ هُنالك نعرف بالبحث: أكان القرآن صورة عبقريَّة أم تقليديةً».

فهذا الكلامُ الصريحُ الذي لا يَقبلُ الشكَّ ولا التأويلِ أن زكي مبارك يرئ أن القرآنَ من كلامِ العرب تأثَّر بما تأثروا به، أو يصحُّ أن يكونوا تأثَّروا به من صلاتٍ أدبيةٍ واجتماعيةٍ أتتهم من الخارج، وأنَّ ما امتلأ به ـ في زعمه من «الزخرف والصنعة المحكمة، ليس طبيعيًّا، ولكنه مُكتسبٌ مجلوبٌ من الخارج».

□ وما معنى قول زكي مبارك: «ولا يُنكِرْ مُتَعَنِّتٌ أن القرآنَ وَضع للصلوات والدعوات ومواقف البكاء والخوف والرجاء سُوراً مسجُوعة تُماثِلُ ما كان يُرتَّله المتديِّنون من النصارى واليهود والوثنييِّن، ولا تُنْسَ أن الوثنية كانت دينًا يؤمِنُ به أهلُه في طاعة وخشوع، وكانت لهم طقوسٌ في هياكلهم، وكانت تلك الطقوسُ تؤدَّىٰ على نحو قريب مَّا يفعلُ أهلُ الكتاب من النصارى واليهود».

□ وانظر إلى ما يقوله زكي مبارك: «انتفع الصوفية بسماحة الإسلام،
 وهو دين يأبئ أن يكون بين المسلم وربه وسيط، فقراروا أنهم أرفع من

الأنبياء . . وهذا كفر بظاهر القول ، ولكنه في الجوهر غاية الإيمان ا!!! . * محمد عبدالله عنان متطرِّف في تأييده لأتاتورك والهجوم على الشريعة الإسلامية :

كشف الشيخ مُحِبُّ الدين الخطيب في مجلة «الفتح» وجهة محمد عبداللَّه عنان في تأييده للصهيونية وتأييده لكمال أتاتورك، واشتراكه مع «سلامة موسى» في إنشاء أول حزب شيوعيٌّ في مصر.

الرأة ـ كما يدّعي ـ في «مجلة الثقافة» (٧ يوليو ١٩٥٢) حيث يقول تحت المرأة ـ كما يدّعي ـ في «مجلة الثقافة» (٧ يوليو ١٩٥٢) حيث يقول تحت عنوان: «المرأة والحقوق الدستورية»: «لا محل للاحتكام بشأنها إلى الدين . . تقول الحقيقة: إن هذا الاتجاه خاطئ من أساسه، ولا مَحل له على الإطلاق، إن تنحية الدين أساس في هذا الموضوع، سواء لتوكيد التحريم أو الإباحة، وإذا كانت مصر دولة إسلامية ، فليس معنى هذا أنها دولة دينية ، أو أنها دولة تُطبِّق أحكام الدين في سائر النواحي، فالنظم الأساسية والقوانين المدنية والجنائية المصرية كلها نظم وقوانين تطبعها الصفة الأوربية ، ولا يُطبَّق في مصر شيء من أحكام الشريعة الإسلامية في العبادات والمعاملات أو الحدود بصورة جبريّة ، والقضاء الشرعي يُعتبر قضاء استثنائيًا بالنسبة للقضاء الوطني العام».

□ ويصلُ من هذه السموم والمغالطات كلّها إلى أن يقول: «لا مَحِلَّ لأنْ يَحتلَّ الدينُ حُكمًا في مسائِلَ لا علاقة لها بالدين، ولا يَمَسُّ العقيدة، ولا مَحِلَّ إذًا لنرجع بمطالب المرأة السياسية والاجتماعية لأحكام الدين».

ولا ريبَ أن رأى عنان هذا فاسدٌ على إطلاقه؛ فإنَّ الإسلام ليس دينًا بالمعنى اللاهوتي، ولكنه نظامُ مجتمع ومنهجُ حياة؛ ولذلك كان له حقُّ تنظيم العلاقات الاجتماعية، وخاصةً مَّ يتعلقُ بالمرأة والأسرة(١).

* حُسين فوزي من غلاة التابعين للحضارة الغربية:

□ مُجمَلُ دعوته التي رَدَّدَها أكثر من أربعين عامًا هي على الوجه الآتي كما لَخَّصَها لمجلة «الآداب» (إبريل ١٩٦٢): «دَرَجتُ على حُبِّ الغرب والإيمانِ بحضارةِ الغرب، واستحالَ الحبُّ والإعجابُ إيمانًا بكلِّ ما هو غربيُّ، لم يَعْتُورْ إيماني ضَعفُ بضرورةِ الحياة الغربية.. وسمةُ الحضارةِ الغربيةِ أن العقلَ فيها مطلق».

■ ويقول: «لا صِلةً للعقيدة الدينيَّة بمسائل الأم».

□ والدكتور حسين فوزي علمانيٌّ خبيثٌ مِن غُلاةِ التبَعيَّةِ للحضارةِ الغربية، وهو يُركِّزُ على جانبها الخاصِّ بالفنون والمسارح والموسيقى والرَّقص. ويتابعُ طه حسين في الدعوة إلى نقل كلِّ ما تُمثِّلُه هذه الحضارةُ «خيرِها شرِّها، وحُلوِها ومُرِّها، وما يُحمد منها وما يُعاب»(٢) .

* اليساري محمد مندور رئيس تحرير مجلة «الشرق» الشيوعية ودعوته إلى فصل الدين عن الدولة:

□ كتب محمد مندور اليساري مقالاً بعنوان «الدين والتشريع» عام ١٩٤٤ في جريدة «المصري» التي كان يعملُ بها، دعا فيه صراحةً إلى فصل

⁽١) «جيل العمالقة» (ص٥٣٨ ـ ٥٤٠).

⁽Y) المصدر السابق (ص ٤٤٠ ـ ٥٤٣).

الدين عن الدولة، وضرورة سن القوانين الوضعية التي لا ترتبط بالشريعة الإسلامية، ولكن الجريدة رَفَضَت نَشْرَه، ويُعلِّق لويس عوض على دعوة مندور قائلاً: «وواضح أن هذا الكلام الذي نَشره مندور في ١٩٤٤ مؤسس على ذلك الركن الركين في الفلسفة الديمقراطية الليبرالية، وهو فصل الدين عن الدولة، وإقامة فقه دستوري وفقه تشريعي على أساس وضعي بدلاً من الأساس الثيوقراطي الذي كانت تقوم عليه المجتمعات الإقطاعية في العصور الوسطى».

ونحن نرفضُ محمد مندور لرفضه للشريعة . . نرفضُه ونرفضُ فكره .

* نجيب محفوظ: والإساءة إلى «قاسم» في أو لاد حارتنا:

بالرجوع إلى كتاب «جُوَّانيات الرموز المستعارة لكبار «أولاد حارتنا» أو «نقض التاريخ الديني النبوي» للدكتور عبدالعظيم المطعني، يَرمِزُ نجيبُ محفوظ إلى محمد ﷺ بـ «قاسم» وإلى خديجة ضي بـ «قمر».

□ وأكبرُ المدافعين عن محفوظ وهو الأستاذ محمد جلال كشك يقول: «ولاشك أن قاسم يرمز إلى الرسول ﷺ (١٠) .

فماذا قال نجيب عن «قاسم»:

نَسَبَتْ إليه الروايةُ اختلاسَ ثمارِ الجوافة، والجَرْيَ في الطريقِ العامِّ وهو عارِ تمامًا من ملابسه، مع تضاحُكِ الأطفال عليه!!!.

وهذا افتراءٌ مَحضٌ وكذبٌ صارخ على مَن أرسله اللَّهُ رحمةً للعالمين، وصانَه من «العبث» في جميع مراحِل عُمره المبارك قبلَ البَعثة وبعدَها.

⁽١) «أو لاد حارتنا فيها قو لان» لمحمد جلال كشك (ص٥٨) ـ الزهراء للإعلام العربي .

الله ثم جَعَلَتْه الرواية «بيَّاع بطاطة» يُنادِي على بضاعتِه ويقول وهو «يَزُق» عربة يد «كارو»: «بطاطة العمدة». . «بطاطة الفرن»!!.

وهذا كذلك افتراءٌ خالص، وليس له سَنَدٌ من الواقع ولا من الوهم!!. - وجعلته الروايةُ مُغْرِمًا بمعاكسة ِ الفتياتِ، يترصَّدُهُنَّ في الطريق العامِّ قُبيلَ الغروب!!.

- وجعلته الروايةُ كسولاً لا يُحِبُّ العمل، ويَخلُدُ إلى الراحةِ والدَّعَةِ حتى أكرهته السيدةُ «قمر» على العمل في إدارة أملاكها!!.

ـ ثم أجلسته الرواية على «المقاهي» وسكته الـ . . على الجُوزة .

_ ووصفت الرواية حَفلَ زفافه إلى «قمر» وصفًا مُزرِيًا للغاية، كانت الخمورُ تجري فيه أنهارًا، وكلُّ المدعوِّين كانوا سُكارى ومساطيل!!.

_ وجَعلت الروايةُ «قاسمًا وقمرًا» يسيرانِ في ليلةِ زفافهما خلفَ راقصةٍ تتمايلُ وتهتزُّ وكأنها تُلقِي عليهما الدرس الأخير في العلاقات الـ . . ! ! .

- وعَيَّرَتْهُ الروايةُ مَرَّاتٍ بأنه راعي غَنَم لليهود والنصارى وغيرهم!!.

هكذا صنعت الروايةُ مع خير خلق اللَّه ﷺ، وهي تعلمُ عمَّن تتحدَّثُ جلالاً وعظمةً، وهيبةً ووقارًا؟!.

إن الرواية تُجارِي العلمانية في تفسيرها المادِّيِّ للتاريخ - رَضِيَ المؤلِّفُ أَم لَم يرضَ -، وهي تُترجم في وضوح أنَّ كاتبها ساعة كتبها كان زاهداً في «الدين» كلَّ الزهد، مُعرضًا عنه كلَّ الإعراض، ضائقًا به صدره، أعجميًّا به لسانُه، فراح يَشفي نفسَه الثائرة، ويُعبِّرُ عن آرائه في وحي اللَّه الأمين، بهذه الأساليب الرمزية الماكرة، والحيل التعبريَّة الغادرة، رافعًا من شأن العِلم



الحديث إلى مكانِ الثريَّا، واثِقًا فيه كلَّ الثقة، حتى أجلسه في روايتِه على «عرْش الدَّيَّان» مناصرًا للعلمانية الجاهلة على دينِ اللَّه القيِّم، ورسالتِه السامية(۱).

ونحن نُحيل القارئ إلى ما قاله سكرتير لجنة الجائزة في حفل التسليم باستوكهولم عام ١٩٨٨ حيث أشار في غضون إطرائه على الرواية إلى ما تضمَّنته من مفهوم «موت الإله»(٢).

* أحمد لطفى السيد «أستاذ الجيل»!!:

خَصْمُ العروبةِ والوحدةِ الإسلاميَّةِ، وصاحبُ شعار «مصر للمصريين» والنَّعرةِ الفرعونيَّة، ويكفئ في بيانِ عدائه للهُويَّةِ الإسلاميَّة أنه كان يَصِفُ نصَّ الدستور على أنَّ الدينَ الرسميُّ للدولة هي الإسلامُ بأنه: «النص المشؤوم»(٣).

ويكفيه هذا عاراً يُلاحِقُه إلىٰ يومِ الدِّينِ.

□ لقد ضاعت الأمةُ بين أستاذِ الجيل هذا وبين عميد الأدب العربي الذي قال: "إنَّ الدينَ الإسلاميَّ يجبُ أن يُعلَّمَ فقط كجزء من التاريخ القوميِّ، لا كدينٍ إلهيٍّ نَزَل بَيَّنَ الشرائعَ للبشر، فالقوانينُ الدينيةُ لَم تَعُدْ تصلحُ في الحضارةِ الحديثة كأساس للأخلاق والأحكام، ولذلك لا يجوزُ أن يَبقى الإسلامُ في صميم الحياة السياسية! أو يُتَّخذ كمنطلق لتجديد

⁽۱) «جوانيات الرموز المستعارة» (ص۲۰۸-۲۲۹).

 ⁽٢) «الطريق إلى نوبل عبر حارة نجيب محفوظ» لمحمد يحيى ومعتز شكري (ص٦) ـ أمة برس للطباعة والنشر.

⁽٣) «هويتنا أو الهاوية» للشيخ محمد إسماعيل المقدم.

الأمَّة (!!)، فالأمة تتجدَّدُ بمعزل عن الدين ١١٠١

* عبدالرزاق السَّنْهوري، واضعُ القانون اللَدَنيِّ الوَضْعي الذي حَجَب نُورَ الشَريعة:

قَبْلَ وضعِه للقانون المَدَنيِّ والعملِ به منذ سنة ١٩٤٩، فإنَّ القانونَ المدنيَّ المصريُّ القديمَ الذي حَكمَ مِصرَ قُرابةَ سبعين عامًا من سنة (١٨٨٣م) إلى سنة (١٩٤٩) هو قانون نابليون الفرنسي.

الله عبدُ الرزَّاق السَّنهوري ليضع هذا القانون الذي انتَقل إلى كثير من الدولِ العربيَّة ليتولَّى السنهوريُّ كُبْرَ هذا، ويبوءَ بإثم هذا التشريع الوضعى.

□ قال السَّنهوري: "إنَّ القانونَ المصريَّ الجديدَ لَيُؤذِنُ بعهد جديد، لا في مصر فحسب، بل أيضًا في البَلدَينِ الشقيقيْنِ العَربيَّينِ: "سورية والعراق"، ويكفي أن يكونَ هذا الشرحُ للقانون المِصريِّ الجديد في الوقت ذاتِه شرحًا للقانون السُّوريِّ الجديد»(٢).

□ ومصادر هذا القانون المدني: القانون المدني الذي وَضَعه الصَّليبي «مانوري»، والتقنينات التي أُخذ منها القانون الجديد كثيرة: «التقنينات اللاتينية ـ قديمها وحديثها ـ، فالقديم يأتي على رأسه التقنين الفرنسي ، ومعه التقنين الإيطالي القديم، والتقنين الأسباني ، والتقنين البرتغالي ، والتقنين المولندي، والتقنين اللاتينية الحديثة تَشتمل على التقنين التونسي الهولندي، والتقنين اللبناني، والمشروع الفرنسي الإيطالي ، والتقنين والتقنين والتقنين اللبناني، والمشروع الفرنسي الإيطالي ، والتقنين

⁽١) «علل وأدوية» للشيخ محمد الغزالي (ص٧٩-٨١).

⁽٢) «الوسيط» لعبدالرزاق السنهوري (١/ ٩).

الإيطاليِّ الجديد، وتشتملُ على التقنيناتِ الجرْمانية وأهمها: التقنينُ الألمانيُّ، والتقنينُ السويسري، والتقنين النَّمساوي. ورَجَع أيضًا إلى التقنينِ البُولوني، والتقنينِ البرازيلي، والصيِّني، والياباني، وهذه التقنيناتُ استَقَتْ من المدرسة اللاتينية والجرمانية»(۱) .

□ ويقولُ واضع القانون: «مِن كلِّ هذه التقنينات المختلفة النزعة، المتباينة المناحي ـ ويبلغ عددُها عشرين تقنينًا ـ استَمدَّ المشروعُ ما اشتَمل عليه من النصوص، ولم يُوضع نصٌ إلاَّ بعد أن فُحصت النصوصُ المقابِلة في كلِّ هذه التقنينات المختلفة، ودُقِّق النظر فيها».

* ومسائل من الفقه الإسلامي.

وهذا القانونُ لا يُمثِّلُ الشريعةَ الإسلاميةَ بحالٍ من الأحوال:

ا ـ لأن التشريع الإسلامي واضعه رب العالمين، أما هذا القانون، فواضعه الدكتور «عبدالرزاق السنهوري» المصري، والأستاذ «إدوارد لامبير» الصليبي الفرنسي، وقد عاون في وضعه الصليبيّان «استويت» و«ساس».

٢ ـ أخذ واضعو هذا القانون أكثر من ٨٥٪ من نصوصه من قوانين الكُفَّار الصليبيِّن ـ كما سبق بيانه ـ، ولذلك نراه يُبيحُ أحكامًا حَرَّمتها الشريعةُ حُرمةً قطعيَّةً كالرِّبا والقمار.

٣ ـ النصوصُ القليلةُ التي أُخذت من الشريعةِ الإسلامية والفقهِ الإسلامي رُوعِي فيها أن تكونَ متَّفقةً مع المبادئِ التي قام عليها القانونُ، فالقانونُ هو المُهيمِنُ على الشريعة الإسلامية، يأخذُ منها ما يوافقُه، ويَرفضُ فالقانونُ هو المُهيمِنُ على الشريعة الإسلامية، يأخذُ منها ما يوافقُه، ويَرفضُ في الله على الشريعة الإسلامية، يأخذُ منها ما يوافقُه، ويَرفضُ في الله على الشريعة الإسلامية، يأخذُ منها ما يوافقُه، ويَرفضُ في الله على الشريعة الإسلامية المناسلة على الشريعة المناسلة على الشريعة المناسلة ال

ما لا يتَّفقُ مع مبادئه.

□ يقول الدكتور السنهوري في هذا: «يُراعَىٰ في الأخذ بأحكام الفقه الإسلامي التنسيقُ بين هذه الأحكام والمبادئ العامَّة التي يقومُ عليها التشريعُ المدني في جُملته، فلا يجوزُ الأخذُ بحكم في الفقه الإسلامي يتعارضُ مع مبدإ من هذه المبادئ، حتى لا يَفقدَ التقنينُ المَدنيُ تَجانُسه وانسجامه»(١).

□ وفي ضَوء كلام الدكتور السنهوري يمكننا أن نَفهم مراده من جوابه على سؤال الشيخ «عبدالوهاب طلعت» باشا، فقد سأله الشيخ: «هل رجعتُم إلى الشريعة الإسلامية؟»، فقال السنهوري: «أوكِّدُ لك أننا ما تركنا حُكمًا صالحًا في الشريعة الإسلامية يمكنُ أن يوضَعَ في هذا القانون إلاً وضعناه»(٢).

فمدى صلاح الحُكم الموجود في الشريعة الإسلامية للقانون المدني مبني على موافقته للمبادئ التي بني عليها القانون الوضعي!! وهل يكيق بالدكتور السنهوري أن يُقسِّم أحكام الشريعة إلى أحكام صالحة وأحكام غير صالحة، ويُنصِّب نفسه حكمًا يأخذُ منها ما يشاء ويَدَعُ ما يشاء!!.

ولاحظْ قوله: «يمكنُ أن يُوضَعَ في هذا القانون»، لِتعلمَ أنَّ بَعضَ الأحكامِ التي يُمكنُ أن تكونَ صالحةً في رأيه لم يأخُذْ بها؛ لأنه لا يُمكنُ وضعُها في ذلك القانونِ لمعارضةِ مبادئِ القانونِ لها.

◘ وفي إجابة أخرى للدكتور السنهوري على سؤالٍ من الشيخ

⁽۱) «الوسيط» (۱/ ۲۱).

⁽٢) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ١٥٩).

عبدالوهاب طلعت قال الدكتور السنهوري: «لقد أخَذْنا كلَّ ما يُمكنُ أَخْذُه عن الشريعة الإسلامية، مع مراعاة الأصول الصحيحة في التقنين الحديث»(۱).

لاحظ في الإجابة قولَه: «كلَّ ما يُمكنُ أخذَه»، وقوله: «مع مراعاة الأصول الصحيحة في التقنين الحديث»؛ لتعلم أنه أقام نفسه وأصول التقنين الحديث حاكمًا على شريعة اللَّه، يأخذُ منها ما وافق أصول التقنين الحديث، ويتركُ ما خالفَه، كأنما حُكْمُ اللَّه وشَرعُه متروكٌ لأحكام البشر وأهوائهم.

* قال تعالى: ﴿ أَفَتُوْمنُونَ بِبَعْضِ الْكَتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ منكُمْ إِلاَّ خَزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٥].

□ وقد اقترح الدكتور السنهوري أن تكونَ المادَّةُ الأولى في القانونِ هكذا: «تُسري النصوصُ التشريعيةُ على جميع المسائلِ التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظها أو في فحواها.

فإذا لم يُوجَد نصُّ تشريعيٌّ يمكنُ تَطبيقُه، حكم القاضي بمقتضى «العُرف»، فإذا لم يوجَد، فبمقتضى مبادئِ الشريعةِ الإسلاميةِ الأكثرِ ملاءمةً لنصوص هذا القانون..»(١).

فهو يريدُ تقييدَ القاضي عندما لا يجدُ نصًّا في القانون ولا في العُرف فيأخذُ من الشريعة، أن يكونَ أخذُه من الشريعة محكومًا بالمبدإ الأكثر

⁽١) المصدر السابق (١/ ١٥٩).

⁽٢) المصدر السابق (١/ ١٩٠).

ملاءمةً لنصوصِ القانون، فيَجعلُ القانونَ هو الحاكمَ والمهيمنَ على الشريعةِ الإسلامية، وفي هذا ما فيه.

□ والمادَّةُ الأولى من القانون المدنيِّ تقول: «تَسري النصوصُ التشريعيةُ على جميع المسائل التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظها أو في فحواها، فإذا لم يوجد نص تشريعيٌّ يُمكن تطبيقُه، حكم القاضي بمقتضى «العُرف»، فإذا لم يوجد فبمقتضى الشريعة الإسلامية، فإذا لم يوجد فبمقتضى القانون الطبيعيِّ وقواعد العدالة»(١).

وهذه المادةُ تُحرِّمُ على القاضي الرجوعَ إلى الشريعة الإسلامية التي الزَمَ اللَّهُ الحُكَّامَ المسلمينَ بتحكيمها ـ ما دام الحكمُ منصوصًا عليه في القانون المدنيِّ الوضعي ـ ، فإذا لم نَجِد الحكمَ في نصوصِ القانون ، فيُوجبُ علينا واضعُه الرجوعَ إلى «عُرف البشر» ويَجعلُ أعرافَ البشر مقدَّمةً على أحكامِ الشريعةِ الإلهيَّة!! ثم يَمُنُّ علينا واضعُ القانونِ بأنْ جَعَل الشريعةَ الإسلاميةَ المَصْدرَ الثالث، ويَمُنُّ علينا أنه قَدَّمها على القانونِ الطبيعيِّ وقواعد العدالة!!.

□ يقول الدكتورُ السنهوري في هذا: «الشريعةُ الإسلاميةُ هي المصدرُ الثالثُ للقانونِ اللّذنيِّ المِصري، وهي إذا أتت بعد النصوصِ التشريعيةِ والعُرف، فإنها تَسبقُ مبادئَ القانونِ الطبيعيِّ وقواعد العدالة»(")!!.

وكونُها تَسبقُ مبادئَ القانونِ الطبيعيِّ وقواعدِ العدالة ليس مبرِّرًا لأَنْ يسبقَها التشريعُ الذي أُخذت معظمُ نصوصُه من القوانين الوَضْعيَّة وأعراف

⁽١) «القانون المدني ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ١٨٢).

⁽۲) «الوسيط» (۱/ ۹۹).

البشر التي كثيرًا ما تكونُ أعرافًا خاطئةً .

□ ونحنُ نَرفضُ قولَه بعد ذلك: «ولا شكَ أن ذلك يَزيدُ كثيرًا في أهميَّة الشريعة الإسلامية»(١) .

المقارَن أمرًا ضروريًّا، لا من الناحية النظرية فحسب، بل كذلك من الناحية العلمية التطبيقية (٢٠٠٠) العلمية العلمية التطبيقية (٢٠٠٠) العلمية العلمية العلمية العلمية (٢٠٠٠) العلمية العلمية (٢٠٠٠) العلمية العلمية (٢٠٠٠) العلمية (٢٠٠) ال

أمَّا أولاً: فلأَنَّ جَعْلَ الشريعة الإسلامية المَصْدَرَ الثالثَ ظُلْمٌ للشريعة الإسلامية وانتقاصٌ من حقِّها، وتقديمٌ لقوانين البشر وأعرافهم على شريعة ربِّهم، لا كما يقول السنهوريُّ من أنه يَزيدُ من أهميتها!!.

ثانيًا: لأنَّ الشريعة الإسلامية لا تُدْرَسُ في ضَوءِ القانونِ المقارَن بحيث يُهيمنُ عليها، وينتقصُ منها، وهي الشريعةُ التي أُنزلت حاكمةً على الشرائع كلِّها والقوانينِ والكُتبِ السماويةِ السابقةِ وغيرِ السماوية.

وثالثًا: لأنَّ النتيجة التي يُمكنُ تَحقيقُها من وراءِ كلِّ هذا محدودة الأهمية، بل تكادُ تكونُ سَرابًا ـ كما يقول الدكتور «توفيق فرج» أحد رجال القانون ـ، ويُعلِّلُ ذلك بقوله: «ذلك أن التشريع في الدولة الحديثة يكاد يستوعب كلَّ شيء، وإذا وُجد مجالٌ يُحتمل أن تقومَ فيه بعضُ الثغرات، فإن العُرفَ من وراءِ التشريع مُحيطٌ به في شبه شمول، ولا يَبقى لمبادئ الشريعة إلاَّ النَّزْرُ اليسير»(٣).

⁽١، ٢) المصدر السابق.

⁽٣) «المدخل للعلوم القانونية» للدكتور توفيق فرج (ص٢٧٩).

ويرىٰ أيضًا: «أنَّ الدَّورَ الذي يُتركُ لمبادئِ الشريعة يزدادُ انكماشًا ـ إذا أخِذَ بما يَتَّجهُ إليه البعضُ مِن أنه لا يُلْجَأُ إلى مبادئِ الشريعةِ الإسلامية كمصدر للقانون ـ إلاَّ إذا لم تكن تلك المبادئ تتعارضُ مع المبادئِ العامةِ التي يقوم عليها التشريعُ المدنيُّ في جُملته»(١) .

□ ثم يَنقُلُ عبارةَ الدكتور السنهوري الذي يَرىٰ هذا الرأيَ، والتي يقول فيها: «فلا يجوزُ الأخذُ بُحكم في الفقه الإسلاميِّ يتعارَضُ مع مبدإ من تلك المبادئ، حتى لا يَفقِدَ التقنينُ المَدنيُّ تجانُسَه وانسجامه»(١٠).

* كيف جُعلت الشريعةُ الإسلاميةُ المصدرَ الثالث؟!:

□ على الرَّغم من أنَّ جَعْلَ الشريعة الإسلامية المصدر الثالث الذي يرجعُ إليه القاضي غيرُ مقبول بحالٍ من الأحوال، فإنَّ واضعي القانون لم يتكرَّموا بوضعها ابتداءً، فقد كان نصُّ المادَّةِ في المشروع التمهيديِّ هكذا: "تسري النصوصُ التشريعيةُ على جميع المسائل التي تتناولُها هذه النصوصُ في لفظها أو في فحواها. فإذا لم يُوجَدْ نصُّ تشريعيٌّ يمكنُ تطبيقُه، حكم القاضي بمقتضى «العُرف»، فإذا لم يُوجد، فبمقتضى مبادئِ القانونِ الطبيعيِّ وقواعد العدالة.

ويستلهم في ذلك الأحكام التي أقرَّها والفقه مصريًّا كان أو أجنبيًّا، وكذلك يستلهم مبادئ الشريعة الإسلامية (٣).

⁽١) المصدر السابق.

⁽۲) «الوسيط» للسنهوري (۱/ ٤٩).

⁽٣) «القانون المدنى ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ١٨٢).

وهذه المادةُ جَعلت الشريعةَ الإسلامية في الذيلِ كما ترى!!.

وعندما طبع مشروعُ القانون، ووُزِّعَ على الهيئاتِ القضائية والقانونية، وتَحدَّثتْ عنه الصحفُ في الديار المصرية: طالَبَ الشعبُ المصريُّ أن تُجعلَ الشريعةُ الإسلاميةُ المصدرَ الرسميَّ الوحيدَ لكلِّ تشريع يصدُرُ في البلاد.. ولَم تُستَجَبْ رَغبةُ الشَّعب، وفُرض عليه القانونُ الذي أخذ أربعةُ أخماسه - أو أكثرُ - من القوانينِ الكافرة، وحاولَ الذين وضعوه وناقشوه استرضاء الرأي العامِّ، بجعلِ الشريعةِ الإسلاميةِ المصدرَ الثالث، يرجعُ إليها القاضي حينما لا يَجدُ مرادَه في نصوصِ القانونِ ولا العُرف (۱)!!.

زَعم واضعُ القانونِ المَدَنيِّ أنَّ نصوصَه موافقةٌ للشريعةِ الإِسلامية، ولا تعارُضَ بينهما!!.

□ يقول في «المذكرة الإيضاحية للمشروع التمهيدي»: «ما ورد في المشروع من نصوص يُمكنُ تخريجُه على أحكام الشريعة الإسلامية دون كبير مشقّة، فسواءٌ وُجد النصُّ أم لم يُوجَدْ، فإنَّ القاضي بين اثنين، إما أنه يُطبِّق أحكامًا لا تتناقض مع مبادئ الشريعة الإسلامية، وإمَّا أنه يُطبِّق الشريعة الإسلامية ذاتها»(١٠).

والدكتور السنهوري يتناقَضُ مع نفسه، ففي المناقشة التي جَرَت بينه وبين الأستاذ الدكتور «حامد بك زكي» أستاذ القانون المدني في كلية الحقوق

⁽١) «المدخل» لعلي علي منصور (ص١٠٣).

⁽٢) «القانون المدنى ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٢٠).

بجماعة فؤاد، قال الدكتور السنهوري: «المشروعُ في أساسِه وفي بعضِ نصوصه يَتَّفقُ مع أحكام الشريعة الإسلامية»(١).

فهو هنا يقول: «إنَّ القانونَ متَّفقٌ مع الشريعة في بعضِ أحكامِه لا كلِّها».

□ وأُحِبُ أن أنقُلَ للقارئِ الكريمِ شيئًا من المناقشة التي جَرَت بين «حامد بك» و «السنهوري» في «مجلس الشيوخ المصري».

- قال حامد بك زكي: إن الجزء العام في القانون خاص بنظرية الالتزامات ومصادرها، وهذا الجزء على ما أذكر ـ قد تناولته المواد من (٩١) إلى ٤٥٠)، فهو كلُّه أوربي أي: رُوماني .

- معالى السنهوري باشا: إنه قضاء مصري متَّفق مع الشريعة الإسلامية (٢).

- حامد بك زكي: أنا عندما أقول: «إنه أوربي»، إنما أعنِي بذلك أنه رُوماني.

_ معالى السنهوري باشا: قلْ ما شئت، والمهمُّ أنني أقول: إن هذا إنما هو قضاءٌ مصري.

- حامد بك زكي: أُريدُ أن أصلَ إلى القولِ بأن الأحكامَ الخاصّةَ الخاصّة (١) المصدر السابق (١٠/١).

⁽٢) هذا الاتفاق لا قيمة له، فإن الشريعة الإسلامية وحدةٌ منسجمة مستقلَّة، وما يلاحَظُ بينها وبين غيرها فإنما هو اتفاقٌ عَرَضي، ثم إن هذه القوانين ـ كما يقول الدكتور محمد عبدالجواد ـ مهما نُقلت أو اقتُبست من الشريعة لا تزال تحتفظُ بأصولها الأجنبية، راجع «بحوث في الشريعة والقانون» (ص٣٩).

بالعقود إنما هي تطبيقات للأحكام الواردة في باب الالتزامات تحت اسم «العقود»، وأنا من هذه الناحية - أُعلِنُ صراحةً أن المشروع إنما هو مشروع أوربي بُحْت ، وأُعلِنُ أنني أوافق على هذه الفكرة، ولكن أريد أن أصل إلى القول بأن الشريعة الإسلامية قد رُجع إليها في بعض المسائل الخاصة باستلهام بعض أحكامها.

- الرئيس: إذا نظرنا إلى العلاقات بين الأفراد منذ الخليقة الأبديّة، نَجدُ أن فلسفة الحياة الموضوعية تتقارب(١).

□ لقد كان حامد زكي صريحًا عندما أعلن أمرين:

الأول: أن القانونَ المدنيُّ قانونٌ أوربيٌّ رومانيٌّ بَحْتٌ.

والثاني: أنه راضٍ عن هذا، وأنه لا يَرضى بأن تكونَ الشريعةُ الإسلاميةُ مصدرًا للتشريع، وقد وَضَّح رأيه هذا في بقية المناقشة.

أما الدكتور السنهوري، فإنه يريدُ أن يَجعلَ القانونَ المأخوذَ من القوانين الأوربية موافقًا للشريعة الإسلامية (٢).

لقد كان رجالُ القانونِ الذين وَضعوا هذا القانونَ يَعرِفون أن القانونَ بعيدٌ عن الشريعة الإسلامية، ولكنهم كانوا يخافُون من ثورة الأُمة وانتقاد العلماء.

⁽١) «القانون المدنى ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٩١).

⁽٢) هذا الذي قام به السنهوري لا يأبئ أضل أهل الأرض عن القيام به، فالكفار لا يمتنعون من الاقتباس من الشريعة، فالمستشرق «سانتيدانا» وضع الكثير من قواعد فقه المذهب المالكي في «مجلة الالتزامات والعقود التونسية» التي صدرت سنة ١٩٠٦ في عهد الاحتال الفرنسي.

□ يقول رئيس: «اللجنة القانونية لمجلس الشيوخ» لدى مناقشة مشروع القانون (١٠): «وقد قُلنا كلَّنا: إنَّ إغفالَ الشريعة الإسلامية من شأنه أن يَعملَ هيجانًا كبيرًا في الأفكار، ولَمَّا وَجَدْنا أن المشروع لا يقولُ بما يخالفُ الشريعة الإسلامية على القانون الطبيعي (١٠).

فالتقديم للشريعة إنما كان خَشية هياج الأفكار!!.

* العلماءُ الأوربيُّون يُقرِّرون ألاَّ لِقاءَ بين القانونِ الأوربيِّ والإسلاميّ:

لا يَجوزُ لمُنْصِف صادقٍ في حديثه أن يَزعُم أن قانوناً أُخذت أصولُه من القانون الروماني ، و أُخذت نصوصُه من أكثر من عشرين قانونا أوروبياً: أنه قضاء يَّتفقُ مع الشريعة الإسلامية ، يقول «فتزجيرالد» Fitz Gerald ـ وقد كان أستاذ القانون الإسلامي في مدرسة «الدراسات الشرقية والإفريقية بلوندرا» ـ ، يقول في مقال نَشره في مجلة «القانون الفَصْلية الإنكليزية» عدد يناير ١٩٥١م: «الواقع أن النظامين ـ الرومي والإسلامي ـ متضادان إلى حد لا يمكن معه التوفيق بينهما فيما يتعلق بالمسائل الأساسية ، وهي المأخذ الصحيح للقانون ، فالقانون الإسلامي هو قانون الله المشرع الوحيد، ولا سلطة لأي أمير في وضع القوانين ، ومشيئة العوام لا اعتبار لها ، إلا إذا إذا الم أسلطة الم أعراعاً عامًا كافيًا » (*) .

⁽١) «القانون المدنى ـ الأعمال التحضيرية» (١/ ٩٢).

⁽٢) هذا هو الدافع لوضع المادة التي جعلت الشريعة المصدر الثالث، أفيليق بالسنهوري ورجال القانون أن يملئوا الدنيا ضجيجًا بأنهم أنصفوا الشريعة؟! ولسان حالهم بل لسان المقال يقول: مُكرهٌ أخاك لا بطل.

⁽٣) انظر كتاب «هل للقانون الرومي تأثير على الفقه الإسلامي» (ص١٦٥).

ال ويقول أيضًا: «الشريعةُ ـ كما ذكرنا مِن قبلُ ـ تختلفُ اختلافًا أساسيًا عن القانون الرومي ـ سواءٌ في طبيعتها، أو في غَرضها ـ ، فالقانونُ الروميُّ ـ حتى في خالِصِ ناحيتِ المجردة والعلميَّة ـ ليس إلاَّ قانونَ العلماءِ القانونيين ، أو كما يُقال في المثل اللاتيني : «كلُّ قانون وُضع ، فإنه وُضع بسبب إنسان» ، أمَّا القانونُ الإسلاميُّ ، فهو ـ أولاً وقبلَ كلِّ شيء ـ نظامُ أهلِ دينٍ يُطبِّقُون الأحكام (الموجودة) على الوقائع ، وغرَضُهم وَصْلُ كلِّ نَفْسٍ إنسانيةِ باللَّه تعالى . . »(۱) .

إِنَّ الفقهَ الإسلاميَّ ـ وهو قانونُ المسلمين ـ جُزءٌ من الدينِ الإسلاميِّ لا يَنْفَكُ عنه . . أمَّا القانونُ الوضعي ، فهو عِلمٌ ماديُّ من أمورِ الدنيا .

ا يقول المستشرق الإيطالي «نالينو» Nallino : «جَعَل المسلمون الفقه جزءً من عِلم الدين لا يَنفكُ عنه، ولم يَجعلوه عِلْمًا ماديًّا من أمور الدنيا»(٢).

الله ولقد تَصدَّىٰ الشيخُ حَسن الهُضيبي ورحمه الله ولهذا القانون في «مجلس الشيوخ المصري» لدى مناقشته سنة ١٩٤٨م، وكان فارس الدفاع عن الشريعة الإسلامية، وقال: «اعتقادي في أنَّ التشريعَ في بلادنا كلِّها وفي حياتنا جميعًا ويجبُ أن يكونَ قائمًا على أحكام القرآن، وإذا قلتُ: «القرآن»، فإنِّي أعنِي كذلك وبطبيعة الحال وسُنَّة الرسول عَلَيْكُ ولان طاعته من طاعة الله».

نعم، يجبُ أن يكونَ هذا المصدران هما المصدرانِ لكلِّ تشريعٍ، فإذا ما

⁽١) المرجع السابق (ص١٦٦).

⁽٢) المرجع السابق (ص٢١).

أَرَدْنا أَن نَأَخذَ شيئًا من التشريعات أو النُّظُمِ الأجنبية، فيجبُ أَن نردَّها أولاً إلى هذين المصدرين.

* قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩].

فإذا كان هذا التقنينُ صادرًا عن أحكام القرآن والسُّنة، كان بها، وإلاَّ فيجبُ أن نرفضَه رفضًا باتًا، ونَردَّ أنفُسنا إلى الحدودِ التي أَمَر اللَّهُ بها»(١) اهـ.

□ وخلاصةُ القول في هذا القانون: "إنه قانونٌ بعيدٌ عن الشريعة الإسلامية، وإنه قد أقرَّ أعيُنَ الكافرين، وأدمى قلوبَ المؤمنين، لقد خدَعنا أعداءُ الإسلام عندما سَمَحوا لنا أن نُغيِّرَ القانونَ الفرنسيَّ، وقالوا لنا: خُذُوا قوانينكم من أيِّ قانون شئتم، إلاَّ أن يكونَ القانونُ المُحكَّمُ هو الشريعة الإسلامية، فظنناً أننا بذلك نلنا استقلالنا.

لقد سَمَح الكُفَّارُ لنا بصياغة قوانيننا بعد أن وَجدوا رِجالاً رَضَعوا ثقافتَهم وأُعجِبوا بقوانينهم، وبعد أن رضينا بإقصاء شريعة اللَّه.

لقد حكَّم السنهوريُّ واضعُ القانون المدني وقاب المسلمين قانونًا وضَعَه هو، واستمدَّه من أكثرَ من عشرينَ قانونًا، بعد أن كان يَحكُمُ في رقابنا قانونٌ مترجَمٌ هو قانون «نابليون»، والقوانينُ الوضعيةُ عندنا سواءٌ الذي يضعُه نابليون، أو أبو جهل العربي، أو السنهوري، فكلُّ القوانين الوضعية تُحادُّ شريعةَ اللَّه، ونحن نريدُ أن نتحاكمَ إلى ما أنزله اللَّهُ لا إلى ما

⁽١) انظر «الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية» للشيخ عمر الأشقر (ص١٢٣ ـ ١٤٦) ـ دار النفائس.

وَضَعه البشرُ.

قد يكونُ في القوانين الوضْعيَّةِ قانونٌ أفضلُ من قانون، ولكنها جميعًا مرفوضةٌ عند المسلم الصادق؛ لأنها عتداءٌ على ألوهيَّةِ اللَّه وحُكمِه»(١).

□ ونختم بما قال السنهوري: «السيادة في القانون الإسلامي لله وحده، ولكنه يُفوِّضُها للأُمَّة ـ كلِّ الأمة ـ، وليس لشخص، ولا لأيِّ مجموعة من الناس أيًّا كانت».

□ قال الدكتور عمر الأشقر بعد أن رد شبه السنهوري وأمثاله: «لا يَخفئ على المسلم ما في هذه الأقوال من كفر وضلال»(٢) .

* أحمد بهاء الدين الماركسي: تشريعاتُ الإسلام لا تَلْزَمُ عصرَنا ومجتمعنا:

ومن شانئي النبيِّ عَلَيْهِ: شانئ الشرع الذي جاء به أحمد بهاء الدين الصحفي الماركسي الذي صال وجال في «الأهرام» أيام الفترة الناصرية، هو و«هيكل ولويس عوض وتوفيق الحكيم وحسين فوزي ونجيب محفوظ»!!.

□ يقول أحمد بهاء الدين: «لابد من مواجهة الدعوات الإسلامية في أيّامنا مواجهة شُجاعة بعيداً عن اللف والدوران، وإن الإسلام - كغيره من الأديان - يَتضمَّنُ قِيمًا خُلُقيَّة يُمكن أن تُسْتَمد كنوع من وازع الضمير، أما ما جاء فيه من أحكام وتشريعات دنيوية، فقد كانت من قبيل ضرب المثل، ومن باب تنظيم حياة نزلت في مجتمع بدائي إلى حد كبير، ومن ثم فهي لا تلزم عصرنا ومجتمعنا»اه.

⁽١) المصدر السابق (ص١٤٦).

⁽٢) المصدر السابق (ص١١١) ـ الطبعة الثانية .

ولا تعليق على هذا الكفر الصارخ.

* محمد أحمد خلف يسيرُ على درب أستاذه أمين الخولي، ويَزعُمُ أن القرآنَ يحوي الأساطير، ويهاجمُ الشريعة:

محمد أحمد خلف الله هو القائل: «ما عدا القرآن ـ يَقصِدُ السُّنَّةُ المشرَّفةَ ـ فِكرٌ بَشَرِيٌ نتعاملُ معه بعقولنا، وتفسيرُ رسولِ الله للقرآن قولُ بشر»(۱) .

□ محمد أحمد خلف الله هو القائل: «إنَّ النصَّ القرآنيَّ إنْ لم يكن قادرًا على تحقيق المصلحة تركُناه، ولجأنا إلى الفكرِ البشري، فإنَّ مَدَارَ النصوصِ على المصالح، فهي أصلُّ والنصوصُ فرعُ»(٢).

كتب محمد أحمد خلف الله «الفن القصصي في القرآن الكريم» بتوجيه ومباركة من شيخه أمين الخولي، فوصف قصص القرآن بالخرافة، وزَعَم أن القرآن نفسه لا يَنفي أنه يحوي أساطير!!!.

□ (وعَّا يُذكرُ أنَّ محمد أحمد خلف اللَّه قد خاض بعد ذلك في ميدان أخرَ يهاجِمُ فيه الإسلامَ، وهو موضوعُ الشريعةِ الإسلامية (٣٠٠).

□ يقول محمد أحمد خلف اللّه: «إنَّ القرآنَ يتقوَّلُ على اليهود، ويُنطِقُهم بما لَم يَنطقوا به، ويتقوَّلُ أمورًا لم تَحدُث، ويُقرِّرُ أمرًا خُرافيًّا أو أسطوريًّا، ثم يعود فيقرِّرُ نقيضَه ويُغيِّرُ الواقعَ، ويُبدِّلُ ويَزيدُ ويَنقصُ،

⁽١) «اليسار الإسلامي» (ص٤٠).

⁽٢) «اليسار الإسلامي» (ص٤٣).

⁽٣) «محاولة لبناء منهج إسلامي متكامل» «المجلد الرابع» للأستاذ أنور الجندي (ص٥٣٥ ـ ٥٣٥) ـ دار الأنصار ـ القاهرة .



بحُكم هذه الحريَّة الفنيَّة».

ومن مفاسد هذه الرسالة اعتبارُها أنَّ مصادر القصص القرآني هي التوراة والإنجيل والأقاصيص الشعبية، وما امتزج بها من عناصر فارسية وإسرائيلية، وأنه جَرَىٰ خَلْف قساوسة المستشرقين أمثال «مرجليوث»، حتى إنه لم يُدرِك ما هنالك من تناقض بين نسبة القرآن إلى الله سبحانه وتعالى والحكم على قصص القرآن بأن أكثره غير صحيح.

□ يقول الأستاذ أحمد الشايب في دراسة عن حياته العلمية (١٩١٣ - ١٩١٣): «أُشيرُ في إيجازٍ إلى هذه المعركة العلميَّة التي دارت في «كلية الآداب»، عام ١٩٤٧ حول مشروع رسالة «الفن القصصي في القرآن الكريم» تقدَّم به طالبٌ يُدعى محمد أحمد خلف اللَّه، بإشراف الأستاذ الشيخ أمين الخولي، وتأييده والدفاع عنه.

وقد قام هذا المشروعُ على أساسِ أن محمدًا عَلَيْهُ مؤلِّفُ القرآن، وأنَّ القرآن، وأنَّ القرآنَ في قَصَصِه لم يَتحرَّ الصدق، وأنه كان يُغيِّرُ ويُبدِّلُ في القَصص نزولاً على ظروفه الخاصَّة التي كانت تحيطُ بالدعوة الإسلامية، وأنَّ محمدًا عَلَيْهُ في القَصص القرآني الكريم كان يَخلُقُ من الحوادثِ ما لم يقع، ويُصورِّهُ على أنه الواقعُ التاريخيُّ . إلى نحوِ ذلك مَّا لَم يستنِدْ إلى برهانٍ علميًّ، وإنما كان مُجاراةً للمبشرين.

وقد شَغلت هذه المسألةُ الجهاتِ الجامعيَّةَ والأزهريَّةَ والبرلمانيَّة، والصحافة، ومجلسَ الدولة، وقد رَفَضَ أحمد الشايب هذا المشروع، إذْ كان مُعَيَّنًا لفحصِه، وبرأيه أَخَذَتْ كلُّ الهيئاتِ المذكورة، وقد أبعد صاحبه عن الجامعة».

□ عاملَك الله ـ يا محمد أحمد ـ بما تستحقُّ، إذ تقول بالنصِّ في رسالتك: «إنَّ القَصَصَ القرآنيُّ لَم يُراع الحقيقة التاريخيَّة»!!.

الله وقولُك (ص٢٦ سطر ١٠): «إنَّ القرآن أنطَقَ اليهودَ بما لم ينطقوا به، وذلك في قوله تعالى في سورة «النساء»: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ ﴾ [النساء: ١٥٧]».

□ وفي (ص٦٦) تُقرِّرُ عن قوله تعالى في سورة «المائدة»: ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة: ١١٦]، أن هذا القولَ وهذا الحوارَ تصويرٌ لموقفٍ لم يحدُث بعدُ، بل لعلَّه لن يحدث!!.

﴿ وَفِي (ص٨٩) تُقرِّر أَنْ قَصَّة مُوسَىٰ الْكَلَّا فِي سُورة (الكهف) لم تَعتمِدْ على أَصْلِ فِي واقع الحياة!!.

وفي هذا مخالفة ظاهرة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبُكُ مَا الْحَقِّ ﴾ [الكهف: ١٣]، ولقوله سبحانه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عَبْرَةً لَا اللَّهُ الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَديثًا يُفْتَرَىٰ ﴾ [يوسف: ١١١].

للشبوهين ومن المستشرقين الذين انبرو اللدفاع عنه وتقريظه، حتى إن «ج المشبوهين ومن المستشرقين الذين انبرو اللدفاع عنه وتقريظه، حتى إن «ج بالجون»، و «ج - جومييه» - من القساوسة الدومينيكان ـ وصَفَاه بأنه البحث الوحيد الذي يُمثّلُ «الاستنارة الحقيقية في الفكر الإسلامي عن حركة المجتمع العربي المعاصر»، وقصر القرآن على العبادات والمساجد كضرورة حتمية لتقدّم المجتمع العربي» (۱) !!.

⁽١) انظر «الوعي الإسلامي» من مقالة للأستاذ جمال سلطان، و «اليسار الإسلامي» (ص٣٤ - ٣٥).

□ يقول محمد أحمد خلف الله عن الأنبياء: «إنهم أبطالٌ وُلدوا في البيئة، وتأدّبوا بآدابها، وخالطوا الأهلَ والعشيرة، وقلّدوهم في كلّ ما يُقال ويُفعَل، وآمنوا بما تؤمن به البيئة من عقيدة، ودانوا بما تَدينُ به من رأي، وعَبَدوا ما تعبُدُ من آلهة».

□ ويقول الشيخ محب الدين الخطيب: «ما ذهب إليه المؤلّفُ في هذه الرسالة تلميح بتكذيب النبي عليه في أنّ القرآنَ مُوحَى إليه من اللّه عزّ وجلّ، وزَعْمٌ أنه من تآليف محمد عليه وان ما فيه من القصص عملٌ فني خاضع لما يخضع له الفن من خلق وابتكار، من غير التزام بصدق التاريخ!!.

والواقع أن محمدًا عَلَيْكُ «فنَّانٌ» بهذا المعنى، وأن الأنبياءَ «أبطال» وُلِدوا في البيئة وتأدَّبوا بأدبها، وخالطوا الأهل والعشيرة، وقلَّدُوهم في كلِّ ما يُقال ويُفعَل، وآمنوا بما تؤمن به البيئةُ من عقيدة، ودانوا بما تَدينُ به مِن رأي، وعَبدوا ما تَعبُدُ مِن إله، هذا ما ذهب إليه المؤلِّف، وكذَب».

كما زَعَم أَنَّ القراآنَ مُتناقِضٌ، فكان يُقرِّرُ أُولاً أَنَّ الجنَّ تَعلمُ بعض الشيءِ، ثم لَمَّا تقدَّم الزمنُ قَرَّر أنهم لا يَعلَمون شيئًا!!، وأَنَّ قصةَ موسى في سورة «الكهف» لم تَعتَمِدْ على أصل من واقع الحياة، بل ابتُدعت على غير أساس من التاريخ»!! اه.

□ وقد طَلَب الدكتور عبدالرزاق السنهوري - وزيرُ المعارف حينذاك - إلى الشيخ محمود شلتوت - رحمه اللّه - فَحْصَ هذه الرسالة ، وكتابة تقرير عنها ؛ فإذا بهذا التقرير يَدْمَغُها بالكفر والجَهل والفساد ؛ لأنها قامت على أسس فاسدة وأنها غارقة في تكذيب القرآن ، وأنَّ كاتبَها افترىٰ على العلماء ، وأنه جاهل لا يَفهمُ النصوص . وخَتَم تقريرَه : بأنْ تُطهَّر الجامعةُ

من هذه الدراسة التي تُنافِي الحريةَ العِلميَّة وتنتهي إلى الفوضى، وتَهدِمُ الأصولَ الإِسلاميَةَ في هذا البلد الإِسلامي.

كما أفتى أكثرُ من مئة عالم أزهري في طائفة كثيرة من نصوص هذه الرسالة بأنها مُكفِّرةٌ يَخرجُ بها صاحبُها عن الدين الإسلامي.

* تغريد عنبر ، ثمرةٌ مُرَّةٌ من شجرة الحنظل ـ مدرسة أمين الخولي ـ ورسالتُها «أصوات الله في تجويد القرآن»:

زَعَمت الغريد عنبر الله والله والله والتبديل على يعرب القصص القرآني وأن النص القراني لم يتعرض للتغيير والتبديل على يدرسول الله وحدة الم بل تَعرض لهذا التغيير والتبديل على أيدي الصحابة ولما طالب الدكتور محمد محمد حسين الجامعة بالتوقّف عن مَنْح الدرجة واستجابت الجامعة الشرّ على الدكتور محمد حسين، وتولّى كُبر الجامعة الشرّ على الدكتور محمد محمد حسين، وتولّى كُبر هذه الحملة مجلة «المصور» التي يُشرف عليها محمود أمين العالم، وتزّعَمَت الحملة «أمينة السعيد» بمقالات بدأت في «مجلة المصور» في وترزّعَمَت الحملة «أمينة السعيد» بمقالات بدأت في «مجلة المصور» في ١٩٦٦/٥/٢٧.

□ وزعمت تغريد عنبر أن القرآن ليس مُنزَّلاً من عند اللَّه بلفظه، ولكنه مُنزَّلاً من عند اللَّه بلفظه، ولكنه مُنزَّلٌ بمعناه، فجاء في (ص١٠ سطر ٤): «ويبدو ليَ الأمرُ علَى النحو التالي: حين نَزَل القرآنُ في أول عَهده، كان الهدفُ الأولُ للمسلمين نَشْرَ الدعوة الإسلامية، وطبيعيُّ أن يتركَّزَ الاهتمامُ على الفكرة، وأنْ يَنشغلَ بها المحميع، فكان الرسولُ يقرأُ النصَّ ويُغيِّرُ فيه حَسْبَ الظُروفُ(!!)، ويَسمحُ لمَنْ يَقدرُ عليه بقَدْرٍ من المخالفة، وكذلك الأمرُ فيما يتعلق بالأداء» (!!).

الله ويقول الدكتور محمد محمد حسين: «زَعَمت الطالبةُ أن المسلمين لم يَتَّفقوا على نصٍّ موحَّد للقرآن، وكلُّ ما وصكوا إليه في زعمها هو شيءٌ يُشبِهُ النصَّ اللُوحَد، فكانوا حين يُردِّدُون القرآنَ يَحرِصون حَسْبَ تعبيرها على الاتفاق على ما يُشبِهُ النصَّ الموحد، وقَبِلَ منهم الرسولُ عَلَيْكُ ذلك؛ لأنه كان مُطمئنًا إلى أنَّ التحريف لن يدخل القرآنَ، فلُغتُه العربية بين قوم يتكلَّمون بها، وفي الغالب لم يكن الفردُ من الصحابة ليُغيِّرَ النصَّ في كلُّ مرَّة يَقرأ بها» (ص١٣ سطر ١٤).

□ وتعودُ الطالبةُ إلى تأكيدِ تلك المزاعِمِ الفاسدة، فتقول (ص٣٧ سطر٧): «وعَرْضُ الأمرِ على هذا النحو يُساعِدُ على هَدْمِ فكرةِ التوقيف في قراءةِ القرآن، تلك الفكرةُ التي لا يُقرِّهُا الدرسُ اللغويُّ أو الواقعُ التاريخي، ومن الواضحِ أن نَفْيَ فكرةِ التوقيفِ هو نفيٌ لتواتُرِ القرآن»(١). * الدكتور صادق العَظْم، من كِبارِ المنكرين لثوابتِ الدينِ في كتابه «نقد الفكر الديني»:

□ يقولُ هذا القِزمُ في كتابه: «نقد الفكر الديني» وكله كُفريَّاتَ: «إنَّ الملائكةَ والجنَّ وإبليسَ كائناتٌ أسطوريَّة، وإنَّ الإسلامَ نقيضُ العلم، وإنَّ قصَّةَ اَدَمَ وحوَّاءَ في القرآن أسطورة».

□ يقول: «هل يُفترَضُ في المسلم ـ في هذا العصر ـ أن يَعتقِدَ بوجودِ
كائناتٍ مثلِ الجنِّ والملائكة وإبليسَ وهاروت وماروت، ويأچوچ ومأچوچ،
وجودًا حقيقيًّا غير مرئيًّ باعتبارها مذكورةً كلِّها في القرآن؟!، أم يَحقُّ له
أن يعتبرَها كائنات أسطوريةً، مَثَلُها مَثَلُ آلهة اليونان وعَروسِ البحر والغُول

⁽١) «حصوننا مهددة من الداخل» للدكتور محمد محمد حسين (ص٢٥٢، ٢٦٧، ٢٦٨).

والعنقاء؟ يا حَبَّذا لوْ عالج المُوفَقون بين الإسلام والعلم مثلَ هذه القضايا المُحدَّدة، وأعطَونا رأيهم فيها بصراحة ووضوح بدلًا من الخطابة حول الانسجام الكامل بين العلم والإسلام».

□ ويقول في كتابه «الشيطاني» (ص٣٦): «يُشدِّدُ القائلون بالتوافق التامِّ بين الإسلام والعلم على أن الإسلام دينٌ خال من الخرافات والأساطير، باعتبار أنه هو والعلمُ واحدٌ في النهاية. . لِنمحُّصْ هذا الادعاءَ التوفيقيَّ بشيءٍ من الدِّقةِ بإحالته إلى مسألةٍ محدَّدةٍ تمامًا.

جاء في «القرآن» مثلاً: أنَّ اللَّه خَلَق آدم من طين، ثم أَمَر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلاَّ إبليسَ، مما دعا اللَّهَ إلى طرده من الجنة.. هل تُشكِّل هذه القصَّةُ أسطورةً أم لا؟!.. نُريدُ جوابًا مُحَدَّدًا وحاسمًا من المُوفِّقين ـ وليس خطابةً ـ.. هل يُفترض في المسلم أن يعتقد في «النصف الثاني من القرن العشرين» بأنَّ مثلَ هذه الحادثة وقَعت فعلاً في تاريخ الكون؟ إنْ كانت هذه القصةُ القرآنيةُ صادقةً صِدْقًا تامًّا، وتَنطبقُ على واقع الكون وتاريخه، فلابدً من القول: إنها تتناقضُ تناقضًا صريحًا مع كلِّ الكون وتاريخه، فلابدً من القول: إنها تتناقضُ تناقضًا صريحًا مع كلِّ معارفنا العلمية، ولا مَهْرَبَ عندئذ من الاستنتاج بأنَّ العلمَ الحديث على ضلال في هذه القضية، وإنْ لم تنظبقِ القصةُ القرآنيةُ على الواقع، فماذا تكونُ إذن «في نظر الموفِّقين» إن لم تكن أسطورة جميلة»(۱) .

وهذا القولُ الكُفريُّ هو قولُ المشركين قديًا، الذين قالوا عن القرآن: إنه أساطير الأولين!!.

⁽۱) «کلهم سلمان رشدی» (ص۲۲ ـ ۲۲).



* صلاح چاهين، الماركسيُّ العِلمانيُّ، الكارهُ للإسلام:

يوم أن وقف الشيخ الغزالي في المؤتمر القومي العام الذي عُقد سنة الم الم الم الله الم الستعمار الم الم الم الم الم الم السيخ إلى وجوب التحرير من الاستعمار التشريعي بالرجوع إلى أحكام الشريعة، وعَرَّج الشيخ في نهاية كلمته على ضرورة التخلُّص من التقليد والتَبعيَّة في الأزياء، وأن يكون للأمة أزياؤها الخاصة بها، سواء ما يتعلَّق بالرجال أو النساء، وضرورة عودة المرأة إلى الاحتشام (۱).

□ «وهنا ثارت ثائرة الشيوعيين والمنحلين وأعداء الإسلام المتسترين بالثورة والمحتمين بحماها، وكتب رَسَّامُ الكاريكاتير الملحد المعروف به صلاح چاهين»، المحرِّر به «الأهرام» ما كتب من سخرية بالشيخ وكلامه، وما يرمزُ إليه من بقاء الإسلام والأزهر.

□ نَشَر صلاح چاهين المعروف بانتمائه الشيوعي 18 رسمًا ساخرًا تحت عنوان «تأمُّلات كاريكاتورية في المسألة الغزالية»، إنْ دَلَّتْ على شيء، فإنما تَدُلُّ على أن كلمة الغزالي قَلَبَتْ موازينَهم، وأصابت منهم مقتلاً، وهو فردٌ، وهم ألوفٌ معهم الدولة والسلطانُ والصحافةُ والإعلام.

□ وقد بَلَغَ التبجُّحُ بصلاح چاهين أن بعض الناس قالوا له: «كيف تهاجمُ الإسلامَ ورجالَه، وهو دينُ الدولةِ الرسميِّ؟ فقال لهم: إذا كان الإسلامُ دينَ الدولةِ فسأحاربُ الدولة».

الله و لقد غاظ الجماهير المسلمة أن يتعرَّض شيخُها لهذه السخريات من السيخ الفرائي عما عرفته (ص٩٥ - ٦٠) للشيخ القرضاوي . (٢) «الشيخ الغزائي كما عرفته» (ص٩٥ - ٦٠) للشيخ القرضاوي .

صحفيً مُلحِدٍ أثيم، فخرجت يومَ الجمعة ١٩٦٢/٦/١م من «الجامع الأزهر» في صورة مظاهر شعبية غاضبة مزمجرة، ضَمَّت عشرات الألوف، وقد اتَّجَهت الجموعُ الصاخبةُ إلى دار «الأهرام» القديمة تُعلِنُ احتجاجَها وسُخْطَها.

لا لقد سَخِرَ الشيوعيُّ چاهين من عمامة الشيخ الغزالي، ولكنَّ الشيخ وقف في المؤتمر في اليوم التالي يقول جَهْرةً: «إن تحتَ هذه العمامة رأسُ مُفكِّرٍ، كان يُحارِبُ الظُّلمَ والإقطاع، أيامَ كان أمثالُ هذا الكاتبِ قَوَّادينَ لفاروق».

* عبدُ الرحمن الشرقاوي، يُسوِّدُ كتابه «محمد رسول الحرية»، وينسبُ القرآنَ إلى رسول اللَّه عَلَيْهِ:

قد محمد أبو زهرة تقريراً إلى المسؤولين، وسَجَّل فيه تعمَّد إساءة عبدالرحمن الشرقاوي إلى الرسالة المحمدية وجوهر العقيدة، وبرغم خطورة ما ورد في التقرير، لم يَلْقَ حَظَّه من النشر في وسائل الإعلام على نطاق واسع، ولم يَلتفت إليه المسؤولون. وبقي الكتاب المذكور أعلاه متداولاً بالأسواق إلى وقتنا الحاضر، وعلى الصفحات التالية نعرض المحقائق التي تَعمَّد عبد الرحمن الشرقاوي بها الإساءة إلى الرسالة وصاحب الرسالة، وذكرها الشيخ أبو زهرة في تقريره (۱).

وللأمانة التاريخية، فإنَّ تقريرَ الشيخ أبي زهرة أولُ مَن حَصَلَ عليه

⁽۱) انظر «جيل العمالقة» لأنور الجندي (ص٢٢٦ ـ ٢٤٠)، و«أبو زهرة إمام عصره» (ص١٦٣ ـ ١٧٢).



الأستاذ «محمد نعيم» من الشيخ أبي زهرة قبل وفاته، وقد احتفظ به حتى أتيحت له فرصة نشره في «الاعتصام» عام ١٩٧٥م، وهو الذي قام بتلخيصه على هذا النحو المنشور الآن:

* اتِّجاهٌ غيرُ ديني!:

□ يقول الشيخ أبو زهرة في مستهلِّ تقريره: «أن الكتاب لم يَسْلُمْ من الخطأ، أو بالأحرىٰ كان له اتجاهٌ غيرُ دينيٍّ، وفي دراسته فهو ما دَرَس محمدًا على أنه رسولٌ يُوحَىٰ إليه، بل على أنه رجلٌ عظيمٌ له آراء اجتماعيةٌ، فسرها الكاتب على ما يُريد، وقد تكونُ هذه الكتابة مفيدة لقوم يُصغرون من شأنِ محمد، ويُهوِّنون من أمره، فتُزيلُ عنه ما يتوهَّمون، وتُبيِّنُ أن له شأنًا ومقامًا في تفكيره ومنحاه، وإذا لم تكن الكتابة صادقة من كلِّ الوجوه، فهي في ذاتها تصويرٌ حَسَنٌ في الجُملة لغيرِ المسلمين، وفي هذه الحال فقط.

وأما نَشرُ هذه الكتابة بين المسلمين الذي يَعرِفون مَقامَ النبيِّ عَلَيْهُ عند اللّه، ومقامَ الرسالة الإلهية التي يَحملُها النبيُّ عَلَيْهُ، والتي هي مَصدرُ علمه، فإنه لا فائدة فيها من جهة، وتوهين للعقيدة الإسلامية من جهة ثانية، وهي غيرُ صادقة من جهة ثالثة. وإذا بُرِّر نَشرُها بين غير المسلمين لتقريب نفوسهم من مبادئ محمد، فنشرُها بين المؤمنين باعث على الفتنة، ومُنفِّرٌ لَلقلوب، ومُضعف للإيان.

* لماذا يقتطعُ جُملةً من آية؟!:

وإنَّ أولَ ما يَلمَحُه القارئُ من الكتاب ـ بعد استيعابِه جُملةً وتفصيلاً ـ ،

أنَّ الكاتِبَ يَقطعُ النبيَّ عَلَيْ عن الوحي، فكلُّ ما كان من النبيِّ من مبادئ وجهادٍ في سبيلها، إنما هي من عنده، لا بوحيٍّ من اللَّه تعالى، وهي به بمقتضى بشريَّتِه، لا بمقتضى رسالته، ولعلَّ العنوانَ الذي اختاره للكتاب مع إرادفه بعنوان آخرَ صغير - يُشيرُ إلى بشرية النبيِّ عَلَيْ فقط، وهذا العنوان قوله: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مَثْلُكُمْ ﴾، فقد اختار هذه الجملة ليُعلنَ أنَّما وصل إليه النبيُّ عَلَيْ من مبادئ جَاهد لأجلها، إنما هو صادرٌ عن بشرية كاملة، لا عن نبوة!!.

ولكي يَتِم له الاستشهاد، اقتطع الجملة اقتطاعًا مِماً قَبْلَها وِمَّا بَعْدَها، فإن هذه الجملة وردت في نَصَّينِ من نصوصِ القرآن الكريم، أوَّلُهما: في سورة «الكهف»، وهو قول اللَّه تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مَّنْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ اللَّهُ كُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكُ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكُ بِعَبَادَة رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠]، وثانيها: في سورة «فُصِّلَت»، وهو قوله بعبَادَة رَبِّه أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢١٠]، وثانيها: في سورة «فُصِّلَت»، وهو قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مَّنْكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهُ وَاسْتَقْيمُوا

ونرى النصَّ الذي اختاره شعار كتابِه مقطوعًا عمَّا قبلَه وما بعدَه، فما قبلَه هو قولُه تعالىٰ ـ يُخاطِبُ النبيَّ ﷺ بقوله ـ: ﴿قُلْ ﴾، وهو يُصرِّحُ بخطابِ اللَّه تعالىٰ : ﴿ يُوحَىٰ إِلَيُّ ﴾، بخطابِ اللَّه تعالىٰ : ﴿ يُوحَىٰ إِلَيُّ ﴾، وها بعدَه هو قوله تعالىٰ : ﴿ يُوحَىٰ إِلَيُّ ﴾، وقد أبعَدَه ولم يأتِ به؛ لأنه لا يتَّفقُ مع غَرَضِه لأنه يَنفِي الوَحْيَ عن الحياةِ المحمَّدية.



* الوحيُ في الغار كان مناميًّا:

وإن القارئ ليسيرُ قليلاً في الكتاب، حتى يَجدَ الكاتب يَنفي الخطاب السماويَّ للرسول، لا يَذكرُ أن جبريلَ خاطب النبيُّ عَلَيْهُ في العيان، فهو يقول عن أول نزول الوحي بالقرآن ما نصه: "ولكنه في تلك الليلة من رمضان أغفى قليلاً ثم نام، فرأى مَن يَعرِضُ عليه كتابًا، ويطلب منه أن يقرأ ، فقال: «ما أنا بقارئ»، ولكنه ألح عليه أن يقرأ ، فسأله: «ماذا أقرأ؟»، فقال له: ﴿ اقْرأ باسم رَبّكَ الّذي خَلقَ ﴿ يَكُ خَلقَ الإِنسانَ مِنْ عَلق المِنسانَ مَنْ عَلق مِن وَمه كان يَحفظُ ما سَمِعه في يعلم ﴿ ويستوضحُ حُلْمَه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به هو بين اليقظة والنوم النوم، ويستوضحُ حُلْمَه فيما بينه وبين نفسه، فإذا به هو بين اليقظة والنوم كأنه يَسمعُ صوتًا بعيدًا يقول له: «أنت رسول اللّه وأنا جبريل»..».

وإن تصوير الوحي بِالحُلْم في النوم يُخالِفُ ما أجمَع عليه المسلمون من أن جبريل الملكلا كان يُخاطِبُ النبي وَلَيْ بالعيانِ لا في المنام. . نعم، قبل ذلك الخطاب بقوله: «اقرأ» ونزول سورة «القلم»، كان الوحي يجيء إليه في رؤيا منامية، حتى إنه كان يرى الرؤيا تجيء في الصَّحْو مثل فكق الصبح عما صرح البخاري من ولكن لم تكن تُعتبر خطابًا من السماء، حتى نزول الوحي ومخاطبة جبريل الأمين الملكلا الذي تردَّد ذكره في القرآن الكريم على أنه رسولُ اللَّه إلى الذين يصطفيهم من الأنبياء لتبليغ الرسالة الإلهية إلى الأرض.

* نسبةُ القرآن إلى النبيُّ عَلَيْكُمْ:

وإنه إذ يَقطعُ الرسالةَ عن الرسول، ويَقطعُ الوَحْيَ عنه، يتَّجهُ إلى القرآن، فيَذكرُ عباراتِه أحيانًا منسوبةً إلى النبي ﷺ على أنها من تفكيرِه ومن قوله ـ لا أنها قرآنٌ موحَّى بها، قائلُه هو اللَّه سبحانه وتعالى ـ، وإن ذلك مبثوتٌ في الكتاب بكثرة، ولنضرِبْ على ذلك بعضَ الأمثلة:

* إِنذارُه عشيرتُه الأقربين:

□ ذكر في صفحة ٨٠ ما نصه: «رأى محمدٌ أن يَجمعَ أُسرتَه من بني عبدالمطلب، وأن يدعوَهم إلى الإيمان بما جاء به، فليس أحبُّ إليه من عشيرته الأقربين».

ونراه يذكرُ ذلك على أنه رأيُ ارتآه، ويُغفِلُ الأمرَ القرآنيَّ الثابتَ، وهو قولُه تعالى: ﴿ وَأَنذُرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴿ وَالْخَفِضُ جَنَاحَكَ لِمَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥]. . فنراه في هذا الكلام الذي قاله يَنسِبُ كلَّ ما يكونُ بوحي قرآنيِّ إلى أن رأيٌ رآه النبي عَلَيْكَ إ! .

الله وفي هذا المقام اعترض أبو لهب عمُّ النبي ﷺ، فيَذكُرُ ما نصُّه في ذلك: «فاسمع يا أبا لهب، اسمع إذن ـ سمِعتَ الرعد ـ، تبًّا لك أنت، تبًّا لك مائر يومِك وسائر حياتك، تبّّت يدا أبي لهب وتب» (ص٨٣).

فنراه في هذا يَنسبُ إلى النبيِّ عَلَيْهِ قُولَه تعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ وَمَا كَسَبَ ﴿ يَكُ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿ يَكُ وَمَا كَسَبَ ﴿ يَكُ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿ يَكُ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴿ يَكُ فَي جِيدَهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدِ ﴾ .

□ وبهذا نرى أنه ينسب هذه السورة إلى النبي وَ لَكُوْهُ الله الله سبحانه وتعالى ، ومثلُ ذلك جاء في (ص٨٧) من الكتاب، ففيها ما نصه: «تبًا لها «أي لامرأة أبي لهب» كما تبّت يدا أبي لهب، وتبّت يدا أبي لهب، وتب، وأمرأته حمّالة الحطب».

* القتال في الشهر الحرام:

المشركين لأمرِ النبي عَلَيْ بأنه قاتَلَ في الأشهر الحُرُم، ويَذكرُ الردَّ على أنه للنبي عَلَيْ ، فيقول في صفحة (١٨٣): «إنها لكبيرةٌ أنْ يقتل عبدُ اللَّه ـ أي: ابنُ جحش ـ أحدًا في الشهر الحرام، ولكنَّ الفتنة أكبرُ من القتل، وصدُّ الناس عن البيت العتيق وإخراجُ أهلِه منه أكبر».

يذكرُ هذا الكلامَ منسوبًا إلى النبي عَلَيْ على أنه من عنده، مع أنه من القرآن الكريم، واللَّه تعالى يقول: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قَتَالٍ فِيهِ قُلْ القرآن الكريم، واللَّه تعالى يقول: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ قَتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَن سَبِيلِ اللَّه وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلُ ﴾ [البقرة: ٢١٧].

* أسرى بدر:

□ استشار النبيُّ عَلَيْ بعد غزوة «بدر» أصحابه في شأن الأسرى، فأشار عمر مُوسَّ بقتلهم، وأشار أبو بكر مُوسَّ بالعفو، وتوسَّط النبيُّ عَلَيْهِ، فاحتار أن يُفتدو أمن أهلهم، وقد بيَّن اللَّه سبحانه لنبيه الحُكْم في أخذه أسرى والمعركة دائمة مستمرة ؛ لأنه لا أسرى إلاَّ بعد أن يَعجز العدو عن القتال، وقد نزل في ذلك قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لنبِي ّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُشْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرة وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

﴿ اللَّهِ مَنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ ﴾ ولا كتابٌ عَظيمٌ اللهِ سَبق لَمسَّكُمْ فيما أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظيمٌ اللهِ

[الأنفال: ٦٧ ـ ٦٨].

□ هناك في القضية عَمَلٌ من النبي ﷺ ولومٌ وتوجيهٌ من اللّه، ولكنَّ الكاتِبَ يقولُ: إن النبيَّ ـ بعد تأمُّلُ وتدبُّر قرَّر خطاً الفداء، وهذا نصُّ كلامِه: «قد أطَلَق كثيرًا من الأسرى، ولم يَعُدْ ـ أي: لم يَبْقَ ـ غيرُ قليل، فانقطع يُفكِّر، وخرَج على أصحابِه يقول: إنه أخطأ هو وأبو بكر حين لم يستمعا لنصيحة عمر، فما كان له أن يترك لقريش أسْراها لتستعين بهم على حربه مرةً أخرى، ما كان لنبيٍّ أن يكون له أسرىٰ حتى يُثخِنَ في الأرض» (ص٢٠٣ ـ ٢٠٤).

وبهذا يتبيَّنُ أنه يَرىٰ أنَّ هذا ليس وحيًا، ولكنه من تأمُّلاتِ النبيِّ عَلَيْكُ، وأنَّ القرآنَ من عند محمدٍ، لا من عند اللَّه!!.

* إِبطالَ التبنِّي من النبي ﷺ ؟!:

□ يَنسِبُ إبطالَ التبنِّي إلى النبيِّ عَيَّكِيْ ، ولا يَنسِبُه إلى اللَّه ، مع أنه قد حُرِّم التبنِّي بقولِ اللَّه تعالى في نصِّ قرآني ، إذ يقول سبحانه : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مَنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَذْوَاجَكُمْ اللَّهُ فَإِن اللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُو وَمَا جَعَلَ أَدْعِياءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ يَهُدي السَّبِيلَ ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَى اللهِ فَإِن لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِنْكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا فَغُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الاحزاب: ٤ ـ ٥].

* ويقول سبحانه: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَد مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن



رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

الله فهو يَذكرُ قصة وزيد بن حارثة مع زوجه (زينب بنت جحش") وشكواه منها، وقول النبي له: «أمسك عليك زَوْجَك»، ويُبيِّنُ أن الزوجَينِ أصبحا لا يُطيقان الاستمرار، ويَذكرُ إشاعة أن النبي عَلَيْ طَمعَ في جَمالها، وما كان للنبي أن يتزوَّج زَوْجَة متبنَّاه - لأنه ابنه -، ثم يقول: «ولكنَّ محمدًا خَرَج يقول لهم: إنَّ المتبنَّىٰ ليس كالابن تمامًا، فالولدُ شيءٌ آخر، وإنه إنما تزوَّج لكي يُدركوا هذا، ولكيلا يكون على المؤمنين حَرَجٌ في أزواج أدعيائهم، فلا حاجة له بجمال زينب، ولديه عائشة وحفصة (ص٢١٦).

نهو في هذا يدَّعي أن التحريم للتبنِّي من محمد عَلَيْهِ، ويدَّعي أن محمد عَلَيْهِ، ويدَّعي أنَّ محمداً تزوَّج «زينب» من تلقاء نفسه، مع أنه بأمر من اللَّه تعالى في قوله: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ للَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهُ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكُ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْديه وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْديه وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ وَيُدُ مَنْهَا وَطَرًا زَوَجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا . ﴾ [الاحزاب: ٣٧].

فنراه ينسب التحريم إلى النبيّ؛ وينسب الزواج لرأي ارتآه الرسول، مع أنه ثابت بالقرآن، ولكنه ينسب القرآن دائمًا إلى النبي عَلَيْلُهُ.

وإنَّا لَنحمدُ له أنه لم يَسِرْ وراءَ المستشرقين في ادِّعائهم ـ كما جاء في رواية ضعيفة عن بعض التابعين ـ أن النبيَّ عَيَالِيَّ فُتِن بجمال «زينب» ـ وكان الطلاقُ لذلك ـ فله منَّا التقديرُ لهذا!! .

* عبرةُ «أُحُد»:

لا ذكر ـ بعد أنْ قَصَّ أخبارَ موقعة «أُحد» ـ العبر فيها على أنها من قول محمد، مع أنها من قول الله تعالى، فهو يقول: «. . وأقبل محمد على الناس يُحدُّثُهم عن محنة «أُحد»، ويَستخلص العبرة من أخطائهم، عسى أن تُضيءَ التجربة القاسية طريق المستقبل».

وإن العبرة في «أحد» كانت بقول اللّه تعالى في آيات كثيرة من سورة «آل عمران» في مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْد مَا أَرَاكُم مَّا تُحبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ اللّهَ وَعَلَيْ الْمَعْرِوَ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْد مَا أَرَاكُم مَّا تُحبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ اللّهَ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنْ بَعْد مَا أَرَاكُم مَّا تُحبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ اللّهَ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرة ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيكُمْ وَلَقَد عَفَا عَنكُمْ وَاللّه ذُو فَصْل عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ آلَ اللّهُ اللّهُ اللّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ آلَ عَمْ اللّه اللّهُ وَلَا تَلُوونَ وَلا تَلُوونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿ آلَ عَمْ اللّه عَمْ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَاللّه مَا اللّه عَمْ اللّه عَمْ لِكَيْلا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَاللّه خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢ - ١٥٣].

ولكنه دائمًا ينسب ما جاء في القرآن إلى النبيِّ عَلَيْهُ، مما يدلُّ على أنه يرئ أن القرآن من قول النبي، ولم يُذكر في الصحيح من السنن أن النبي عَلَيْهُ بين العِبر في «أُحد» بغير تلاوة القرآن عليهم.

* تقسيم أموال بني النضير:

النبي عَلَيْكُم أن تقسيم أموال «بني النضير» كان بقول النبي عَلَيْكُم ، ويقول في ذلك ، قال لهم: «إنَّ إخوانكم المهاجرين ليس لهم مالٌ ، فإنْ شئتُم ، قَسَمتُ أموالَ بني النضير وأموالكم بينكم جميعًا ، وإن شئتُم أمسكتُم أموالكم وقسَمتُ هذه فيهم خاصة».



* والحقُّ أنه لا يُوجَدُ ذلك التخييرُ، وأن النصَّ القرآنيَّ في صريحه يُبيِّنُ هذا، فاللَّهُ سبحانه وتعالى يقول: ﴿ للْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن هَذَا مِنْ اللَّهُ وَرَضُوانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن ديَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوانًا ويَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولُكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿ فَي وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحبُّونَ مَن أَوْلُكَ هُمُ الصَّادِقُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ هَا جَدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمًا أُوتُوا وَيُؤثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَو كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُونَا عَمَ الْمُفْلِحُونَ ﴾

[الحشر: ٨-٩].

ولكنه ـ كمنهاجه ـ يَنسِبُ ما في القرآن دائمًا إلى النبي ﷺ، وزاد هنا مسألهَ التخيير التي لا نَعلمُ لها مصدرًا تاريخيًّا . . (ص٢٥٥).

* معاني القرآن وأحكامُه يَنسِبُها للنبي ﷺ:

ا وهكذا نَجِدُه يذكرُ كثيرًا من معاني القرآن، ويَنسِبُها للنبيِّ عَلَيْة، فهو يذكر سورة «الكافرون»: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ يذكر سورة «الكافرون»: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ على أنها من كلام النبي عَلَيْقٍ . . (ص١٠٨).

ويَنسِبُ تحريمَ الخمرِ على أنه للنبي ﷺ، ويُشيرُ إلى تدرُّج التحريم في القرآن الكريم. . ويتركُ الآياتِ المختلفةَ الدالةَ على ذلك.

* أين ذكر الله في الكتاب؟!:

□ ويقول الشيخ أبو زهرة في تقريره: «هذه أمثلةٌ سُقناها، وإنها لكثيرةٌ في الكتاب، وهي تدلُّ على أنه يَرىٰ ـ أي: الكاتبُ ـ أن القرآن من كلام محمد، وفي الحقيقة إنه لم يَذكُرْ ـ قطُّ ـ أن اللَّه سبحانه وتعالىٰ مُنزِلُ القرآن، وباعثُ محمد بالرسالة، بل إنَّ ذِكْرَ اللَّه تعالىٰ يَندُرُ في الكتاب، بل

لا تَجِدُ له ذِكرًا قط . . ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ » .

* القرآنُ من هَمْهُمة الرسول!!:

لم يَذكُرِ «القرآنَ» إلاَّ نادرًا، بل إنك تقرأُ الصفحات الكثيرةَ التي تَبلغُ مئتين أو أكثر، فلا تُجدُ ذكرًا لكلمة «القرآن الكريم»، بل لكلمة «القرآن» فقط، وأذكرُ آيةً ذَكَر أنها هَمْهَمَةُ نَفْسِ النبيِّ ﷺ، ولْنضرِبْ لذلك مثلاً. . لقد ذَكُر أن النبيُّ ﷺ أَذِنَ لبعضِ الناس بالعَودةِ من حيثُ خَرَجوا، وكان ذلك في بعضِ الغزوات، ثم يقول: «فأذِنَ لمن يريدُ أن يعودَ إلى بيته أن يعودَ فهذا خيرٌ من أن يَبقى في الصفوف ليُشيعَ الانهزامَ، ويَثْبُتَ في الصفوف من يَجِدُ في نفسِه القُدرةَ على مواجهةِ الخَطَرِ والرَّغبةَ الصادقةَ في الاستشهاد دفاعًا عما يؤمنُ به، وهَمْهَمَ لنفسه وهو يتقدَّمُ الصفوف: «عفا اللَّهُ عنك لما أَذِنْتَ لهم»، ولكنه عاد فرأى الخير في تخليص صفوفه من العناصر الحائرة، ثم أخذ يتلو عليهم: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائفَةٌ مَّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذُنُ فَرِيقٌ مَّنْهُمُ النَّبِيُّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ [الاحزاب: ١٣]، ﴿ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفُرَارُ إِن فَرَرْتُم مَّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الاحزاب: ١٦] (ص٢٨٨).

فهو يذكر الهمهمة ، ثم يَقرِنُها بآية على أنها من هَمْهَمَته ، ثم يتلو آية أخرى غير ناسبِها للّه و لا لأحد ، فهي عقتضى منطقه من هَمْهَمته أيضًا ، ثم يُشيرُ إلى نوع من التشكيك ؛ لأنَّ الآيتين يبدو بينهما تعارض ، مع أنَّ الآيتين مختلفتان من حيث موضع قولهما ، فآية ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لَمَ أَذَنتَ لَهُمْ ﴾ كانت في غزوة «تبوك» ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ

يَثْرِبَ ﴾ كانت في غزوة «الأحزاب»!!.

وخَتَم الشيخ أبو زهرة ـ رحمه اللّه ـ تقريرَه بطلبِ مَنْع تداول الكتاب ؟ لأنه يُسيء الناس في دينهم .

* د. نصر أبو زيد، يقول عن القرآن: «إنه نصٌّ بشريٌّ، ومُنتَجَّ ثقافيٌّ لا قداسة له»، ويرفض الاحتكام إلى الشريعة:

□ يقول هذا القزمُ المرتدُّ عن القرآن: «إنه نصُّ بشريُّ، ومُنتَجُّ ثقافيُّ. . لا قداسة له! وإن بينه وبين الشِّعرِ الجاهليِّ - وخاصةً شعر الصعاليك - شبَهًا كبيرًا»! ، وبنصِّ عباراته - التي لا تحتاجُ إلى تعليق يقول: «من الواقع تكوُّنُ النصِّ «القرآن» ، ومن لُغتِه وثقافته صيغَتْ مفاهيمُه ، فالواقعُ هو الذي أنتَجَ النصَّ . الواقعُ أُوَّلاً ، والواقعُ ثانيًا ، والواقعُ أخيرًا .

لقد تشكّل القرآنُ مِن خلالِ ثقافة شفاهيّة. وهذه الثقافة هي الفاعل، والنصُّ منفعلٌ ومفعول. فالنصُّ القرآنيُّ في حقيقته وجوهره مُنتَجٌ ثقافيٌّ، والمقصودُ بذلك أنه تَشكّل في الواقع والثقافة فترةً تزيدُ على العشرين عامًا. فهو «ديالكتيك صاعد»، وليس «ديالكتيكًا هابطًا». والإيمانُ بوجود ميتافيزيقيِّ سابق للنص يَطمسُ هذه الحقيقة. والفكرُ الرّجعيُّ في تيارِ الثقافة العربية هو الذي يُحوِّلُ النصَّ من نصِّ لُغويٍّ إلى شيء له قداستُه.

والنصُّ القرآنيُّ منظومةٌ من مجموعة من النصوص، وهو يتشابَهُ في تركيبته تلك مع النصِّ الشِّعريِّ، كما هو واضح من «المعلَّقاتِ الجاهلية» مثلاً، والفارقُ بين القرآن وبين المعلَّقة ـ مِن هذه الزاوية المَحَدَّدةَ ـ يتمثَّلُ في

اللَدَىٰ الزَّمَنِيِّ الذي استغرقه تكوُّنُ النصُّ القرآني. . فهناك عناصرُ تَشَابُه بين النصِّ القرآني ونصوصِ الثقافة عامةً ، وبينه وبين النصِّ الشَّعْري بصفة خاصة . . وسياقُ مخاطبة النساء في القرآن ـ المُغايرُ لسياقِ مخاطبة الرجال ـ هو انحيازٌ منه لنصوص الصعاليك»!! .

* النبوَّةُ عند نصر أبو زيد ثمرةٌ لقُوَّة «المُخَيّلة»:

النبوة و «الرسالة» و «الوحي عند هذا الحَدَاثيِّ الماركسيِّ: ظواهرُ إنسانية، وثَمَرَةٌ لقوة «المُخيِّلة» الإنسانية، وليس فيها إعجازٌ ولا مفارقةٌ للواقع وقوانينه. فالأنبياءُ مثلُ الشعراء والمتصوِّفة، مع فارق في درجة «المُخيِّلة» فقط لا غير . وهذا نصُّ عبارته: «إنَّ الأنبياءَ والشعراءَ والعارفين قادرون ـ دون غيرهم ـ على استخدام فاعليَّة «المُخيِّلة» في اليقظة والنوم على السواء . ومن حيثُ قُدرة «المخيِّلة» وفاعليَّتها، فالنبيُّ يأتي على رأس قمَّة الترتيب، يليه الصوفيُّ العارف، ثم يأتي الشاعرُ في نهاية الترتيب.

وتفسيرُ النبوة اعتمادًا على مفهوم «الخيال» معناه أن ذلك الانتقال من عالَم البشر إلى عالَم الملائكة انتقالٌ يَتم من خلال فاعلية «المُخيِّلة» الإنسانية التي تكونُ في «الأنبياء» أقوى منها عند سواهم من البشر . إنها حالةٌ من حالات الفاعليَّة الخلاَّقة، فالنبوَّة في ظلِّ هذا التصورُ ، لا تكونُ ظاهرة مفارِقة . وهذا كلُّه يؤكِّدُ أن ظاهرة «الوحي» لم تكن ظاهرة مفارقة للواقع ، أو تُمثِّلُ وَثبًا عليه وتجاورُ القوانينه ، بل كانت جُزءً من مفاهيم الثقافة ، ونابعة من مواضعاتها»(۱) .

⁽١) «مفهوم النص» لنصر حامد أبو زيد (ص٥٦، ٣٨) ـ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٠م.

* القرآنُ عنده خطابٌ تاريخي:

المُخيِّلةِ الإنسانية . يَذهبُ هذا الحَدَاثيُّ الماركسيُّ إلى تطبيق «التاريخية «المُخيِّلةِ» الإنسانية . يَذهبُ هذا الحَدَاثيُّ الماركسيُّ إلى تطبيق «التاريخية والتاريخانية على معاني ومضامين وأحكام القرآن ـ كلِّ معانيه ومضامينه وأحكامه ـ مِن العقائد إلى الأحكام ، وحتى القيم والأخلاق والقَصَص الأمرُ الذي يعني نَسْخَ كلِّ مضامينِ القرآن وتجاوُزها . . فيقول : « . . فالقرآن خطابٌ تاريخيٌّ ، لا يتضمَّنُ معنى مفارقًا جوهريًّا ثابتًا . وليس ثَمَّة عناصرُ جوهرية ثابتةٌ في النصوص . . فالقرآنُ قد تَحوَّل من لحظة نُزوله مِن كونِه «نصًا إنسانيًّا» ؛ لأنه تحوَّل من التنزيل إلى التأويل . « . . التأويل . . وسار فهمًا «نصًّا إنسانيًّا» ؛ لأنه تحوَّل من التنزيل إلى التأويل .

وهذه التاريخيةُ تنطبقُ على النصوصِ التشريعية، وعلى نصوصِ العقائدِ والقَصَص. وهي تُحرِّكُ دلالةَ النصوص، وتَنقُلُها - في الغالبِ - من الحقيقة إلى المجاز»(١) .

هكذا يتمُّ العَبَث الحَدَاثيُّ بالثوابتِ والمقدَّسات ـ القرآن . والنبوة والرسالة . . والوحي ـ على هذا النحو اللامعقول! (١٠٠٠ .

□ نصر أبو زيد الذي يُريدُ من الناس أن يتعامَلوا مع القرآن كنص الدي يُريدُ من الناس أن يتعامَلوا مع القرآن كنص الدي أدبي ، وليس وحيًا إِلهيًّا بل يقول في آخِرِ كتابه: «وقد آنَ أوانُ المراجعةِ

⁽۱) «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد (ص۸۳، ۹۶، ۸۲ ـ ۸۲) ـ طبعة القاهرة المجلف ١٩٩٠م.

⁽٢) «مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية» (ص٣٠ ـ ٣١) للدكتور محمد عمارة.

والانتقال إلى مرحلة «التحرُّر» لا من سُلطة النصوص وحدَها، بل من كلِّ سُلطة تَعُوقُ مسيرة الإنسانِ في عالَمنا، علينا أن نقوم بهذا الآن وفورًا، قبل أن يَجْرِفنا الطوفان»(١).

* رَفضُ الاحتكام إلى كتاب اللَّه ـ عز وجل ـ:

◘ ونصر أبو زيد يُريدُ زحزحةَ القرآن عن حياةِ المسلمين، فيقول: «إنَّ الاحتكامَ إلى كتابِ اللَّه ـ عز وجل ـ لم يكن موجوداً إلاَّ عندما ظهر الخوارج»(٢) .

* أحمد عبدالمعطي حجازي والتبجُّحُ العلماني:

بَلَغَ التطرُّفُ بالعِلمانيِّ النَّكِرَةِ القِزْم أحمد عبدالمعطي حجازي أنْ طَلَبَ من المسؤولين حِرمانَ الدكتور السيد أحمد فرج من التدريس بالجامعة؛ لأنه أخطرُ على الطُّلاَّبِ من كتابه «أدب نجيب محفوظ» الأهرام // // ١٩٩٩م.

□ وكان من حيثيّات هذه الدعوة ما قرأه حجازي للدكتور فرج في بعض ِ كُتبه من أنَّ «الدين هو الرابطةُ المقدَّمةُ على أيَّة رابطة أخرى، «فالدين في نظر السيد فرج ليس مجرَّد اعتقاد، أو علاقة بين الإنسان وخالقِه، وإنما هو أيضًا قوميَّةُ وجنسية»(٣).

⁽١) «الإمام الشافعي، وتأسيس الأيدلوجية الوسطية» لنصر أبو زيد (ص١١٠).

⁽٢) المصدر السابق (ص٢١).

⁽٣) انظر مقال الدكتور جابر قميحة ـ مجلة «آفاق عربية» ـ العدد (٦١٠) ـ ٥ من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ ـ ٥ من يونيه ٢٠٠٣م.



* فرج فوده الزنديقُ القميُّ ، الرافضُ لتطبيق شرع الله ، هو من أكبر شانئي رسول الله عَلَيْهِ :

كيف لا يكونُ ذلك وهو الكارهُ الرافضُ لِمَا جاء به محمدٌ عَلَيْكُو، ويدَّعي تَفوُّقَ القانونِ الوضعيِّ على الشريعة الإسلامية، وهذا كفرٌ أكبرُ مُخرِجٌ من المِلَة، كما جاء في «شرح الطحاوية في عقيدة أهل السنة والجماعة» التي تلقَّاها علماء الأمة بالقبول.

□ يقول: «أنا أرئ أنَّ حَجْمَ الانحلالِ الموجودِ في المجتمع المصري أقلُّ بكثير اليومَ على مدى التاريخ الإسلامي كله. ورأيي أن القانونَ الوضعيَّ يُحقِّقُ صالحَ المجتمعِ في قضايا الزِّنا ـ مثلاً ـ، وأكثرَ مما ستُحققه الشريعةُ لو طُبِّقَت»(١) .

الحاليَّ يُعاقِبُ على جرائم يَعْسُرُ على الشريعة أن تُعاقِبَ عليها، ويَعكِسُ الحاليَّ يُعاقِبُ على إلى الشريعة أن تُعاقِبَ عليها، ويَعكِسُ الحتياجَ المجتمعِ المعاصِرِ بأقدرَ عمَّا تفعلُ الشريعة»(٢).

□ يقول فرج فودة في كتاب «حوارات حول الشريعة» لأحمد جودة (ص15 ـ ١٥): «ببساطةٍ أنا ضدَّ تطبيقِ الشريعة الإسلامية فورًا أو خطوةً خطوةً».

⁽١) «حوار حول قضايا إسلامية» لفرج فودة (ص١٧٨ ـ ١٧٩) نقلاً عن كتاب «مَن قتل فرج فودة» للدكتور عبدالغفار عبدالعزيز (ص٣٢) ـ دار الإعلام الدولي، وكتاب «أحكام الردَّة والمرتدين» للدكتور محمود مزروعة (ص٣١٦).

⁽٢) «الحقيقة الغائبة» لفرج فودة (ص١٢١) نقلاً عن «مَن قتل فرج فودة» (ص٣٢)، و«أحكام الردة والمرتدين» (ص٣١٦).

□ ويقولُ أيضًا في نفس المصدر: «وعمومًا هناك قاعدةٌ إسلاميَّةٌ تقول: «ويجوزُ ارتكابُ معصية اتقاءَ فتنة»؛ لذلك فأنا أقولُ: إذا كان عَدَمُ تطبيقِ الشريعة معصيةً، فلتكنْ معصيةً نَسْعَدُ بارتكابها اتقاءً لِمَا هو أسوأً، وهو «الفتنةُ الطائفيَّة». الدولةُ الدينيَّةُ سوف تَقودُ للحُكمِ بالحقِّ الإلهي. وهو حكمٌ جاهل، وكثيرًا ما أدَّى لمظالِمَ ومفاسِدَ تقشعرُ منها الأبدان».

﴿ كَبُرَتْ كَلَمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذَبًا ﴾ [الكهف: ٥]، واللَّهِ ما غاب الحقُّ والعدلُ والنورُ والتمكينُ في الأرض إلاَّ بغيابِ الخلافة، حتى في أحطِّ عصورها التي حاد فيها الناس كثيرًا عن التطبيق الشامل لشرع اللَّه. فليس مَن قَصَدَ الحقَّ فأخطأه كمن تعمَّد قَصْدَ الباطل.

□ يقول الكذاب الأشرُ فرج فودة: «ولهذا كلّه أرفضُ تطبيقَ الشريعة، وصوتي عالٍ جداً في هذا الصّدد».

□ ويقول في كتاب «الطائفية إلى أين»: «إنَّ الدعوةَ لإِقامة دولة دينيَّة في مصر تُمثِّلُ ردَّةً حضاريَّةً شاملةً بكلِّ المقاييس»(١)

□ وفي كتاب «حوار حول قضايا إسلامية» (ص١٧٢) يقول: «إنَّ الإسلامَ دينٌ ـ وليس دولة ـ، وإنَّ الدولةَ الإسلاميةَ ـ على مَدى التاريخ الإسلامي تله عبنًا على الإسلام وانتقاصًا منه، وليس إضافةً إليه»(٢).

◘ وفي محاورة معه يقول لمن يحاوره: «وأنا شخصيًّا أرفضُ تمامًا

⁽١) «الطائفية إلى أين» لفرج فودة (ص٢٠).

⁽٢) انظر «أحكام الرِّدَّة والمرتدين» (ص١٤ ٣١٥ ـ ٣١٥).

الدولة الدينية أيًّا اكان شكْلُها، وبالتحديد في المجتمع المِصريِّ.. أرفضُ قيامَ دولة إسلامية دينية (١٠) .

* إِباحته للزنا:

□ يقول الدكتور عبدالغفّار عبدالعزيز رئيس قسم الدعوة بجامعة الأزهر ورئيس ندوة العلماء في كتابه «مَن قتل فرج فودة؟» عن فرج فودة: «والغريبُ أنه كان يُفتي بجرأة في كثير من قضايا الدين إلى حدِّ إباحته للزنا في الإسلام، ويستدلُّ على ذلك بقول اللَّه تعالى: ﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا ﴾ [النور: ٣٣]، ويرى أن عملية «الإكراه والإجبار» هي الممنوعة، أمَّا إنْ تمَّ ذلك من غير إجبارٍ، فلا شيءَ في ذلك»(١).

□ قال الشيخ محمد الغزالي: «فرج فودة ـ بيقين ـ كان خَصْمًا للإسلام، وهو لم يكن يُداري هذا . . هو كان صريحًا في خصومتِه للإسلام كشريعة ونظام ومعاملات وشؤون سياسية واقتصادية»(٣) .

□ ويقول الشيخ الغزالي عن فرج فودة: «كيف أُقنعُ رجلاً بأنَّ الإسلامَ دولةٌ، وهو لا يُؤمنُ بأنه دين؟! إنَّ المقتنعَ بالوحي يكفي أن أقولَ له: قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكَتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ [النساء: ١٠٥]، ليقتنعَ بأن القرآن نَزَلَ ليحكمَ. . المشكلةُ أن يقولَ لك امرؤٌ: «أنا مسلم، ولكنِّي أبيحُ الخمر، وأنا أعرَفُ منك بالإسلام»!!.

⁽۱) «من قتل فرج فودة» (ص٣٠).

⁽٢) حوار خاص مُسَجَّل معه في ٢٩/ ٧/ ٨٩ نقلاً عن «مَن قتل فرج فودة» (ص٢٨).

⁽٣) صحيفة الوفد الصادرة في يوم الخميس ٢٥ يونيو سنة ١٩٩٢.

لقد هَزُلَتْ حتى بَـداً مِن هُزالِهـا كُلاها وحتى ســامَـهـا كلُّ مُفْلِسِ ثُم يجيءُ بعدئذٍ مَن يَصِفُ مُستبيحَ الخمرِ بأنه «المفكِّرُ الإِسلاميُّ الكبير». . ما هذا الهَذَر؟»(١)

□ وقد قال الشيخ محمد الغزالي في نفس المقال: «أمَّا رأيي في الدكتور فرج فودة، فهو صورةٌ عربيةٌ للعقيد جون جارانج الزنجي الذي يُحاربُ الإسلامَ في السودان، ويريدُ وَضْعَ دستورٍ علمانيٍّ لشَمَالِهِ وجَنوبه معًا».

□ يقول المجرم فرج فودة: "إنَّ التيارَ الإسلاميَّ كلَّه خداعٌ وكَذَبٌ وتلفيقٌ وتزويرٌ للحقائق، تدفعُ للاعتقاد بأنه وراء كلِّ خسيسة ونقيصة في العالم، وحتى لا يكونَ الوصفُ قاصرًا على الزمنِ الحاضر، فإنَّ تاريخَ المسلمين كلَّه ليس إلاَّ امتدادًا للقهر والاستبداد»(٢).

اللاعنين إلى يوم الدين.

* بعضُ زُعماء وحُكَّام المسلمين القائلين بفَصْل السياسة عن الدين:

منذ أن نَعِقَ «كمال أتاتورك» بالعلمانية، وفَصلَ الدينَ عن الدولة في تركيا الحديثة ـ بعد أنْ ألغى الخلافة ونصبَ المشانق لعلماء الإسلام وكاد للإسلام وأهله ـ، تابعه على قوله هذا بعض زعماء وحُكَّام المسلمين، وأظهر البعضُ مَدْحَه وإعجابه بأتاتورك، ولم يَستطع البعضُ أن يُعلِن. .

⁽١) جريدة «الشعب» ٣٠/ ٦/ ٩٢ مقالة للشيخ الغزالي بعنوان «هذا ديننا».

⁽٢) «من قتل فرج فودة» (ص١٠٥).

ولكنْ لسانُ حالِه ـ كلُّ حاله ـ يقول: «كلُّنا أتاتورك». واللَّهُ عز وجل هو المطَّلعُ على خفايا الصدور، ﴿ وأَسرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [اللك: ٣٠]، وكلُّ منهم سيخلو بربِّه يومَ القيامة، ليس بينه وبينه تَرجُمان. يسأله عمَّا فَعَل بالإسلام وشرعه:

* مصطفى النَّحاس، زعيم «الوفد»:

□ قال في تصريح له: «أنا معجَبٌ بلا تحفُّظ بكمال أتاتورك، ليس فقط بناحيتِه العسكريَّة، ولكن بعبقريَّته الخالصة، وفَهْمه لمعنى الدولة الحديثة».

□ ورَدَّ عليه الشيخ الغيُور حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ: «هذا التصريحُ ليس تصريحًا أجوف، وليس تصريحًا يَصدُرُ هكذا عن مُجاملةٍ أو عن غيرِ رَوِيَّةٍ سابقة، وفكرة مستقرَّة تُريدُ أن تَبرُزَ إلى الوجودِ في الوقت المناسب، حتى تنهيًا لها الظروف؛ وإنْ سَبق اللسانُ فأظهَرَ مكنونَ الضمير.

فأنتم تُسَجِّلون في هذا التصريح أنَّ هناك شيئًا اسمُه «الدولة الحديثة»، وهي التي فَهِمَها كمال أتاتورك، وشكَّل على غرارها «تركية»، وتُصرِّحون في كلامكم كذلك أنَّ هذه الدولة هي التي تستطيعُ وحدَها في الأحوال العالمية أن تعيش وأن تنمو.

ومعلوم أن أتاتورك في دولته الحديثة قد تجرَّد من كلِّ المظاهر الإسلامية، فكأنَّكم في هذا تُعلنون ـ في صراحة ـ أن مصر لا تستطيع أنْ تعيش وأن تنمو في الأحوال العالمية الحاضرة إلاَّ إذا تجرَّدت هي الأخرى من كلِّ مظاهر الإسلام ـ كما فَعَلت «تركية» ـ.

وكأنَّ هذا هو عنوانُ مِنهاجِكم ومِحورُ الإِصلاحِ الذي تريدونه لهذا الوطنِ بعدَ الانتهاء من قضاياه الخارجية، ولستَ رجلاً من آحاد الناس، بل أنت زعيمٌ يؤولُ إليه الحُكْمُ، وتُلقَى إليه مقاليدُ الأمة.

هذا التصريحُ دليلٌ ماديُّ بين يَدَي الذين يَرَوْن أن «الوفد» يَعملُ على سياسة إنْ لم تكن تُناوِئُ الإسلام، فهي ـ على الأقلِّ ـ لا تستمدُّ منه، ولا تُعنَى بشأنه، ويَسُرُّها أن تتخلَّص مِن تِباعتِه»(١) .

* الرئيس السادات:

□ نشرت جريدة «الأخبار» أولَ مارس ١٩٧٩م في مَطلعها العنوان الكبير «الرئيس السادات يتحدَّثُ إلى أساتذة جامعة الإسكندرية»: «لا دينَ في السياسة، ولا سياسة في الدين».

* أين هذا من قول اللَّه تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَولُواْ فَاعْلَمْ تَتَبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿ وَا اللَّهُ عَلَمْ اللَّهُ عَلَمْ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿ وَا اللَّهُ عَلَمُ اللَّهُ عَلَمُ الْقَوْمُ يُوقِنُونَ ﴾ أَفَحكُم الْجَاهِليَّة يَيْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾

[المائدة: ٤٩ ـ ٠٠].

□ وردَّ عليه الليثُ الهصور الشيخ «محمود عبدالوهاب فايد» في مجلة «الاعتصام» ربيع الآخر ١٣٩٩هـ، ونَشَره في كتابه «صيحة الحق»، فقال: «قال رئيس الجمهورية: «لا سياسة في الدين»، أيُّ دين يعنيه رئيسُ الجمهورية؟ إن كان يريدُ المسيحية فهذا صحيح. . ولكنْ بالنسبة للديانة

⁽١) «حسن البنا» لأنور الجندي (ص٤٠٢ ـ ٤٠٣) ـ دار القلم.

الإسلامية، فإنَّ الأمرَ يختلف كلَّ الاختلاف. . بل المسلمون جميعًا - وعلى المسلمون جميعًا - وعلى رأسهم علماؤهم قديمًا وحديثًا - يؤمنون بأن الإسلام دينٌ ودولة، هدايةٌ وسياسة، عقيدةٌ وحُكم، عبادةٌ ومعاملة، تهذيبٌ وأخلاق، قيمٌ رُوحيةٌ وإنسانيةٌ ودوليه، آمَنَ بهذا المسلمون، واستقرَّ في أذهانهم، لم يَجْهَلُه أحدٌ من العوامِّ، بل اعترَف به خصومُ الإسلام»(۱) .

□ ودخل أحدُ المراسلين الأجانب في مكتب الرئيس، فوجد صورة أتاتورك، فقال المراسل: «توقَّعتُ أن أرئ صورة لزعيم عربي، فإذا أنا بصورة أتاتورك!! وقال السادات مشيرًا إلى الصورة: هذا مَثَلَى الأعلى».

وعلى الدَّرب سار مَن بعده وقالها في خطابٍ له.

* مَدْحُ القذَّافي لأتاتورك، وإعجابُه به وبمنهجه العِلماني:

□ قال القذافي: «عندما جاء أتاتورك. . وكان على الأقل مش كيف هو حاصل الآن، قال واللّه ما نَبقى نَفصِلُ الدينَ عن الدولة، وهو مسلم، اسمُه «مصطفى كمال أتاتورك»، اسمه «مصطفى» على اسم النبي، لم يَقُل إن تركيا يجبُ أن تكونَ مُلْحِدَة، قال: تركيا دولةٌ إسلامية، وتبقوا مسلمين، ولكن قال: أنا عندي طلب واحد، قال لهم: أريدُ أن أفصل الدينَ عن الدولة . كيف؟ إنَّ الدولة وهي دولة وضعية تُعالج مشاكلَها الاجتماعية والاقتصادية وفقًا للعصرِ التي هي فيه، أما الدين خلُّوا كلَّ واحد يُصلِّى ويحجُّ ويصوم . . يصلِّى بالمسجد، يَبني مسجدًا.

جاء المتعصِّبون الذين سَمَّوْا أنفسَهم «علماء» في ذلك الوقت، وقالوا

⁽١) «صيحة الحق» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد (ص٣٤-٥٠).

له: مستحيل، هذا كفر، إذا فصلت الدين عن الدولة هذا كفر، ناداهم وقال لهم: أرجوكم هاتوا لي فتوى، فقط فتوى تجعلني أعلن باسم الإسلام، وإنَّ الإسلام يُبيحُ لي فَصْلَ الحكومة عن الدين، اجعلوا الحكومة لوحدها، واتركونا مسلمين كما كُنَّا، قالوا له: مستحيل. هذا كُفر. قال لهم طالَما هُوَّ كُفْر، فأنا ذاهب إلى قمَّة الكفر، وهذا هو القرآن. وهذا هو الإسلام. وأحضر لي السيف لأقطع رقابهم، وهرب من الشبابيك علماء الإسلام كلُّهم. ومن تلك اللحظة كانت نكبة على الإسلام، أعلن الإلحاد والكفر. قال: هذا الدين الذي يُكبَّلني ولم يتركني أتصرق في تركيا لكي تواجه أعداءها وتنهض من جديد، قال: أنا لا أريد هذا الدين. وأتاتورك مظلوم»(١).

* وفرية أخرى: ادِّعاءُ النبوة:

أعدَّت الكاتبةُ الإيطالية «ميريلا بياتكو» كتابًا باللغة الفرنسية، صَدَر عن شركة «stoc» في باريس، وطُبع في مطابع «دار الشورى» ببيروت في 1 / 1 / 1 / 1 م تحت عنوان «القذافي رسول الصحراء».

وكان سؤالُ المؤلِّفة لمعمَّر القذافي بهذه العبارة: «يا رسول اللَّه!! أرعيتَ الغَنَم؟ فأجاب العقيد: بلئ، فلم يكن هناك نبيُّ لم يفعلْ ذلك». Envoyed. allah tuas donce etetre de moutons? Qui etil yapas de prophete Qui ne laitete.

⁽١) «وثائق خطابات وأحاديث القذافي» ونقل عنه يوسف كمال في كتابه «العصريُّون معتزلة اليوم» (ص٥٧).

وكتب إليه الشيخ ابن باز: «وهنا أمرٌ عظيمٌ يُهمُّ القُرَّاء والمسلمين يتعلَّقُ بفخامة العقيد، ويجبُ علينا التنبيهُ عليه وبيانُ حُكمه، وهو أن الكاتبة الإيطالية «ميريلابيانكو» قد ذكرت في كتابها «القذافي رسول الصحراء» (ص٢٤١) عن فخامة العقيد ما يدلُّ على أنه يدَّعي أنه رسولٌ من رُسُلِ اللَّه، وقد خاطَبَتْه في الصفحة المذكورة بقولها له: «يا رسول اللَّه، أكنتَ راعي عنم؟ فأجابها بقوله: بلي، فلم يكن هناك نبيٌّ لم يفعل ذلك»، وهذا الجوابُ يقتضي إقرارَه لها على أنه رسولُ اللَّه؛ لأنه لم يُنكر عليها، ولم يَقُلْ: «لَستُ برسول»، ومعلومٌ أن دعوىٰ الرسالة أو النبوة بعد نبيِّنا محمد عليه كفرٌ أكبرُ، وضلالٌ عظيمٌ، وردَّةٌ عن الإسلام بإجماع المسلمين؛ لأن ذلك تكذيبٌ لقول اللَّه ـ عز وجل ـ : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدِ مِّن رَّجَالكُمْ وَلَكُن رَّسُولَ اللَّه وَخَاتَمَ النَّبيّينَ ﴾ [الاحزاب: ٤٠]، وتكذيبٌ لمَا تواترت به الأحاديثُ عن رسول اللَّه ﷺ الدالةُ على أنه خاتَمُ النبيين والمرسلين ـ لا نبيَّ بعدَه ولا رسول.، وقد قاتَلَ الصحابةُ والله من ادَّعي النبوة بعدَه، واعتبروه كافرًا حلالَ الدم والمالِ، كالأسود العَنْسيِّ، ومُسيلمةَ الكذَّاب، والمختار بن أبي عُبيدِ الثَّقَفي، وقد أجمَعَ علماءُ الأمة إجماعًا قطعيًّا على أن نبيَّنا محمدًا عِيَّالِيَّةٌ هو خاتمُ النبيين والمرسلين ـ لا نبيَّ بعدَه ولا رسول ـ، وقد كَفَّر العلماءُ في عصرِنا ـ وقَبْلَ عصرِنَا ـ «مرزا غلام القادياني» لَمَّا ادَّعي النبوة، وكَفَّروا مَن صَدَّقه في ذلك .

فالواجبُ على فخامة العقيد أن يُعلِنَ في وسائلِ الإعلام تكذيبَه لِمَا زَعَمَتْه هذه الإيطالية، وأنه يَبْرَأُ إلى اللّه من ذلك - إن كان ذلك لم يَقَعْ منه -،

* * *

⁽۱) مجلة «البحوث الإسلامية» ـ العدد الخامس محرم ـ جماد الثاني ١٤٠٠ه تحت عنوان «إيضاحات وتنبيهات» لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومجلة «المجتمع الكويتية» العدد ٣٩٣ (ص٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح (ص٣٥٣ ـ ٣٥٤). وهذه رسالة ماجستير في الشريعة الإسلامية بالجامعة بالمدينة المنورة.

* عدو رسولِ الله ﷺ، الوجهُ الكالحُ للعلمانية: الرئيسُ التونسيُّ بورقيبة وتلامذته:

الوجهُ الكالحُ للعِلمانية . . القزمُ القميئ . . المحادُّ للَّهِ ورسولهِ بورقيبة رئيسُ تونس السابقُ وعُصابتُه الذين ضيَّعوا الإسلامَ وهُوَّيةَ تونسَ الإسلامية وجامعة الزيتونة الغرَّاء ، واستبدلوا به قبَّعة الغرب ورجسه وإيدزه . .

يُرَمْ مِن فُت الكَفْرِ قوتًا ويَعْلُ قَ مَن كؤوس هِمُ الثُّمَ اللهُ يُقَبِّل راح قَ الإفْ رِنجِ دومًا ويَلثُمُ دونما خَ جَ لِ نِعال هُ

بورقيبة الذي أجبر الشعب التونسي على الإفطار في رمضان لزيادة الإنتاج، وسن هو وتلامذته التشريعات الوضعيّة لمساواة المرأة بالرجل في الميراث. وسار بتونس في ركاب الغرب، وعند اللّه جزاؤه هو وعصابته. وللإسلام منهم كلّ يوم ألف مُبكية.

وفي زمنِ خليفتِه «زين العابدين». عَقَد وزيرُ الداخلية التونسيُّ مؤتمرًا صحفيًّا كبيرًا، وقال فيه: «إن تونس أقرَّت نظامًا جديدًا لتنظيم صلاة المسلمين»، وشرَح «جَنَابُه» كيف قرَّر الحاكم ـ صانعُ التغييرِ ـ أن يُنظِّم للناسِ كلَّ شيءٍ، حتى مكان وزمان الصلاة.

□ فقد ذكرَت صحيفة «صوت الحق والحريَّة» التونسية أن وزير الداخلية حذَّر المواطنين من مخالفة هذا القرار الخطير، وقال: «إنه يَتعيَّن على كلِّ تونسيِّ الحصولُ على «بطاقة مُصلِّ» وأنْ يُودعَها عند أقرب قِسمِ شرطة أوْ حَرَسٍ وطنيًّ، وستَحملُ البطاقةُ صورةَ المُصلِّي وعنوانه، واسمَ المسجدِ الذي ينوي ارتيادَه، وحسبَ الإجراءاتِ الجديدةِ يتعيَّن وُجُوبًا على المسجدِ الذي ينوي ارتيادَه، وحسبَ الإجراءاتِ الجديدةِ يتعيَّن وُجُوبًا على

المُصَلِّي اختيارُ أقرب مسجد لكانِ إقامتهِ أو عمله».

□ وزيرُ الداخلية حرَّض أئمة المساجد على المُصَلِّين، وحذَّرهم من اختراقِ هذا القرار، وطالبَهم بطَردِ أيِّ مواطنٍ ليس معه بطاقةُ صلاة، وأن يُنبِّهوا على هؤلاءِ المصلِّين بإبرازِ البطاقةِ على بابِ الجامع كيْ يُسمَحَ له بالدخول!!

□ الأجملُ أن البطاقة لا تجوزُ إعارتُها، ويُنع التنازلُ عنها للغَير، وإذا قرَّر صاحُبها الانقطاعَ عن الصلاة، فإنَّه مُطَالَبٌ بتسليم بطاقته لأقرب مركز شرطة!!.

الله شدَّد الوزير ونَبَّه وعَمِلَ ما عليه، وقال للناس حتى تَفهم: «مِن حقِّ كُلِّ مُصَلِّ أَدَاءُ الصلواتِ الخمسِ ـ طبعًا والنوافل ـ، لكنْ في مسجدٍ واحدٍ فقط».

□ ولم يَتركُ ثغرةً في القرار، ولم يَفُتْهم شيءٌ، حتى زُواّرُ تونس من المسلمين أبناء البلاد المنكوبة الأخرى، فسيُطبَّق عليهم القرارُ فَورَ دخولهم، بل عليهم أن يَطلبوا بطاقاتهم من نِقاط شرطة الحدود، لكنْ يا لَحَظِّ وسَعَادة الزُّوَّار، فقد سَمَح لهم الرئيسُ ووزيرُه بالصلاة في أيِّ مسجد. أيِّ مسجد؛ فالبطاقةُ التي يحملونها مثل «الماسْتَرْكِي» تَفتحُ أيَّ باب، لكنْ عليهم إعادةُ البطاقةِ قبل المُغادَرة!!.

□ وللأسف اختلط الأمرُ على بعضِ المواطنين مِمَّن لم يفهموا ويستوعبوا، واختلط علينا كذلك كمسلمين في دولة إسلامية وعربية مُجاورة لتونس.

فلم نَعرف حتى الآن: هل يَسري القرارُ على صلاة الفَردِ في منزله، أو في أيِّ مكان؟ وماذا لو صلَّى جماعة بأهله أو زملائه مثلاً؟ هل يَقبلُ الرئيسُ صلاتَه ويَضمُّها إلى ميزانِ حسناتِه كمواطن، أم تُعَدَّ لاغيةً؛ لأنها من غير بطاقة؟!

الله إننا نجري بسرعة الصاروخ نحو المُتحف، فمكانُنا محجوزٌ إلى جوار الديناصورات .

إيه يَا بورقيبة . . يا بؤسَ مَن يموتُ وتبقى ذنوبُه مِن بعدِه .

إيه يا زينَ العابدين؛ صَدَق الله العظيم وكذبتَ ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكُرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ١١٣]، ونحن على موعدٍ مع خِزيك وذُلِّك.

* العلمانيَّةُ دَجَلٌ وكَذب:

□ يقول الشيخ محمد الغزالي عن العلمانيِّين: «لِماذا لا نُسَمِّي هؤلاء بأسمائِهم الحقيقيَّة؟ والاسمُ الحقيقي لهؤلاء: «المرتدون»، فهؤلاء قد مَرَقوا من الدينِ مُرُوق السَّهْمِ من الرَّمِيَّة، ولم يَعُدْ في قلوبهم توقيرٌ للَّه تعالى، ولا تعظيمٌ لكتابه، ولا احترامٌ لرسوله، ولا انقيادٌ لشريعته».

ويَعْجَبُ الغزاليُّ من موقفِ هؤلاء المرتدين في حقيقة أمرهم، لماذا يحرِصون على أنْ يحتفظوا باسم الإسلام، وأن يَظلُّوا محسوبين على المسلمين، والإسلام منهم براء؟! وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قولُ

المثقَّب العَبْدي:

فَإِمَّا أَن تَكُونَ أَخِي بَصِدْقِ فَأَعرِفُ مَنِكَ غَثِّي مَن سَمِيني وَإِلا فَاطَّرِحْنِي وَاتَّخِدْني عَدُوًّا أَتَّ قيك وتتَّقيني

كان هؤلاء العلمانيُّون يَظْهرون في أثوابٍ متباينة الأشكال، فقد يَلْبَسون لُبوس «اليمين الليبرالي»، وقد يتحلُّون لبوس «اليمين الليبرالي»، وقد يتحلُّون بعباءة «القوميَّة العربية»، وقد يَبدُون في أثواب أُخر، ولكنَّهم جميعًا شركاء في الجُرأة على اللَّه ـ تباركت أسماؤه ـ، وفي التعالُم عليه جلَّ عُلاه، والاستدراك على شرعه! فهم يَزعُمون أنهم أعلمُ من اللَّه بخلُقه، وأبرُّ منه بعباده، وأنه تعالى حين شرع لهم ما شرع لم يكن يدري ما يحدث لهم من تطورات، وما يجري عليهم من أحداث، فهم لذلك يحدث لهم من تطورات، وما يجري عليهم من أحداث، فهم لذلك يرفضون حُكمه، وحُكم رسولِه، ولا يرتَضُون مَرجعيَّة الإسلام فيما شَجَر بينهم».

* مؤتمر «الثقافة العربية» بالقاهرة، «نحو خطاب ثقافي عربي ـ من تحديات الحاضر إلى آفاق المستقبل» في ٣ / ٧ / ٣ .

هذا المؤتمر المشبوة النَّكِد هو مُؤتمرُ ترحيلِ الإسلام واستباحتُه الذي عَقَدته وزارةُ الثقافة المصرية بعقر المجلسِ الأعلى للثقافة، وحَشَدت له نحو سبعين ومئة من المثقفين العرب والمصريين، معظمُهم من الشيوعيِّين وبعضِ الليبرالين على مدى ثلاثة أيام من الأول إلى الثالث من يولية متطاول الأقزامُ واستباحوا الإسلام، وعَبروا مرحلة الخداع والمداراة إلى مرحلة المباشرة والفجور. . وكان المؤتمرُ حَربًا ضروسًا على الإسلام م أصولهِ المباشرة والفجور. . وكان المؤتمرُ حَربًا ضروسًا على الإسلام م أصولهِ

وفروعه ـ، تميهدًا لترحيلِه من مصر وطرده منها حقيقةً لا خيالاً. . فقد قالوا:

ـ إِنَّ القرآنَ لَم يَعُدْ صَالِحًا لإِدَارَةِ شَوُونَ الْحَيَاةَ؛ لأَنَهُ "مُنْتَهِ" أَيْ ضَيِّقٌ محدودٌ، وواقعُ الحياةِ غيرُ مُنتهِ، فكيف يَصلحُ المنتهي "القرآن" للحكم غير المنتهي؟!.

_ وأنَّ الأحاديثَ النبويَّةَ كلهًا مكذوبةٌ على رسول اللَّه ﷺ إلا عَشَرةً احاديث، فلا يجوزُ العملُ بهذه الأحاديث المكذوبة.

_ لا يجوزُ الاقتداءُ بأصحابِ رسول اللَّه ﷺ؛ لأنهم هم الذين زَوَّروا الأَحاديثَ النبويَّة .

- حَذَفُ المَادةِ التي تجعلُ الإسلامَ هو دينُ الدولةِ الرسميِّ، لتصبحَ مصرُ دولةً لا دِينَ لها.

_ إلغاءُ الحلال والحرام(١) .

- "ودعوة الحكومات إلى اتخاذ موقف محايد في صراع الأفكار والاجتهادات، دون توظيف ديني للسياسة، أو توظيف سياسي للدين "يعني بالعربي الفصيح دَعُوا كلَّ مَن يحاربُ الإسلام يعملُ براحته دون أن يزعجه أحد أو يرد عليه أحد، فضلاً عن إقصاء الإسلام من الحياة الإسلامية، وفقًا لما دعا إليه أحدُهم من ضرورة حذف "المادة الثانية" من الدستور التي تتحدَّث عن الشريعة الإسلامية بوصفها المصدر الأساسي الدستور التي تتحدَّث عن الشريعة الإسلامية بوصفها المصدر الأساسي

⁽١) «ترحيل الإسلام عن مصر» مقالة للدكتور عبدالعظيم المطعني بجريدة «آفاق عربية» العدد (٦١٦) الخميس الموافق ١٧ من جمادئ ـ يوليو ٢٠٠٣م .

للتشريع، وضرورة الفصل بين الدين والدولة! ١٠٠٠ .

* الدكتور العفيف الأخضر التونسي، يدعو إلى حذف كلمة «الكُفّار» من الفقه الإسلامي، وتحرير الوعي الإسلامي من قيمة «الحلال والحرام»!!!:

العفيفُ الأخضر، صاحب مدرسة «التغيير الديني» في تونس، الذي يتباهَى بأنه كان وراء إغلاق «جامعة الزيتونة»!!.

وطَرَح العفيفُ في هذا المؤتمر مشروع «تعليم تنويري» على حدِّ قوله .، قائمًا على تعميم التجربة التونسيَّة في جميع البلاد العربية، وأن هذا التعليم قائمٌ على تحرير العِلم من الوصاية والنصوص الدينية، والاعتراف الكامل بحقوق المرأة في كلِّ شيء .

كما ذَكَّر العفيفُ بالعمل على ضرورة إقصاء كلمة «الكُفَّار» من الفقه الإسلامي، واعتبر هذه التسمية تَفْرِقة عنصرية، وطالب بضرورة تدريس مادة «حقوق الإنسان»، في كافَّة مناحي الحياة بجميع الدول العربية كما هو الحال في تونس لتحرير الوعي الإسلامي من قيمة الحلال والحرام»(٢).

* * *

⁽١) من مقالة «استباحة الإسلام» للدكتور حلمي القاعود - جريدة آفاق عربية - العدد (٦١٦) الصفحة الأخيرة (١٤).

⁽٢) مقال «مصيبة» ـ جريدة الشعب ـ العدد (٣٣١) (ص٣).

* الشامتُون بموت النبي عَلَيْكُ «حركة البغاء بحَضْرَمَوْت» أيامَ الرِّدَّة:

قامت بعضُ بنات اليمن من يهودَ أوْ مَن لفَّ لَفَّهم، في حَضْرَموت، فقد طرْنَ فَرَحًا بموت رسول اللَّه عَلَيْكُ ، فأقَمْنَ الليالي الحمراء مع المُجَّان والفُسَّاق، يُشَجِّعْنَ على الرذيلة، ويُزرينَ بالفضيلة، فقد رَقَص الشيطانُ فيها معهنَّ وأتباعهُ طَرَبًا لنكوصِ الناسِ عن الإسلام والدعوة إلى التمرُّد عليه وحرب أهله(١) ، لقد حنَّت تلك البغايا إلى الجاهلية وما فيها من المنكَرات، وانجَذَبْنَ إليها انجذابَ النُّبابِ إلى أكوام من الأقذار، فقد تَعَوَّدْنَ على الفاحشة في حياتهنَّ الجاهلية، فلما جاء الإسلامُ حَجَزَتْهُنَّ نظافتُه عنها، فشَعُرْنَ وكأنهنَّ بسجن ضيق يَكَدْنَ يَختَنفْنَ فيه، ولذا ما إنْ سَمعْنَ بموتِه ﷺ حتى أَظْهَرْنَ الشماتةَ، فخَضَبْنَ أيديَهنَّ بالحنَّاء، وقُمْنَ يَضْرُبْنَ بالدفوف، ويُغنِّينَ فَرَحًا، فقد تحقق لهن ما كُنَّ يتمنَّينَه على السُّلطة الجديدة، وكان مُعظَّمُهُنَّ من علية القوم هناك، وبعضُهن يهودياتٌ، وقد كان لكلا الطرفين مِن أشرافِ القوم - العرب واليهود - مصلحةٌ في الانتقاض على مبادئِ الإسلام، والانقضاض على كيانه، لقد عُرفت هذه الحركةُ في التاريخ بـ «حركة البغايا»، وكنَّ نيِّفًا وعشرينَ بغيًّا متفرِّقاتٍ في قرئ «حَضْرَمَوْت»، وأشهرُهن هر بنت يامن اليهودية التي ضُرب المَثَلُ بها في الزنا، فقيل: «أزني مِن هر»، وَيذكرُ التاريخُ أن الفُسَّاقَ كانوا يتناوَبونها لهذا الغرض في الجاهلية، ولكنَّ هولاء السواقط لم يُتْرَكْنَ وشأنَّهُنَّ يُفسِدْنَ في

⁽١) «حركة الردة» للعتوم (ص١١٩).

المجتمع كما يحلو لهن (١) ، فقد وصل الخبرُ إلى الصِّدِّيق، وأرسل رجلٌ من أهل اليمن إليه هذه الأبيات:

> أبلع أبا بكر إذا ما جئتًه أظهَرْنَ من موت النبيِّ شماتـةً فاقطَعْ هُديتَ أَكُفَّهُنَّ بصارم

أنَّ البغايا رُمْنن أيَّ مَسرام وخَضَبْنَ أيديه أَن بالعُلِي العُلِي العُلِي العُلِي العُلِي العُلي العُلي العُلي العُلي العُلي الع كالبرق أمضك من متون غمام (٦)

□ فكتب أبو بكر ضاضي إلى عامله هناك «المهاجر بن أبي أمية» كتابًا في منتهى الحزم والصرامة جاء فيه: «فإذا جاءك كتابي هذا فسر إليهنَّ بخَيْلك ورَجْلك حتى تقطع أيديهن ، فإنْ دَفَعَك عنهن دافع فأعذر إليه باتخاذ الحُجَّة عليه، وأعلمْه عظيمَ ما دَخَل فيه من الإِثم والعدوان، فإنْ رَجَعَ فاقبلْ منه، وإن أبي فنابذُه على سواء، إنَّ اللَّهَ لا يهدي كيد الخائنين. . »، فلما قرأ «المهاجرُ» الكتاب جَمَع خَيْلَه ورَجْلَه، وسار إليهنَّ، فحال بينه وبينهنَّ رجالٌ من «كِنْدة وحَضْرَمَوْت»، فأعذَرَ إليهم، فأبَوْا إلاَّ قتالَه، ثم رجع عنه عامُّتُهم، فقاتَلَهم، فهَزمهم، وأَخَذ النِّسوة، فقطُّع أيديَهنَّ، فمات عامُّتُهنَّ، وهاجر بعضُهنَّ إلى الكوفة .

لقد نلْنَ جَزاءَهنَّ في مَحكمة الإسلام العادلة، إذ أَخَذَهنَّ عاملُ أبي بكر على تلك البلاد، وطَبَّق عليهن حدَّ «الحرابة»(١).

◘ ونُقلت الأخبارُ للخليفة في امرأتين من بلاد حَضْرَمَوْتَ تغنَّتا بهجاءٍ

⁽١) «حركة الردة» للعتوم (ص١١٩).

⁽٢) العلاَّم: الحنّاء.

⁽٣) «حروب الردة» للعتوم (ص١٨٤).

⁽٤) «حروب الردة» (ص١١٩).

رسول الله على أمية والمسلمين، وكان قد عاقبهما «المهاجر بن أبي أمية» والي تلك البلاد، بقطع أيديهما ونَزْع ثنيَّتيهما، فلم يَرْضَ أبو بكر، وعدَّها عقوبة خفيفة في حق هاتين المجرمتين، وقد وجَّه إليه كتابًا بهذا الخصوص، قال فيه بحق الناعقة بشتم صاحب الرسالة: «بلكني الذي سرْت به في المرأة التي تعنَّت وزَمَّرت بشتيمة رسول الله عَلَيْكَ ، فلولا ما قد سَبَقْتَني فيها لأمرتُك بقتلها؛ لأنَّ حدَّ الأنبياء ليس يُشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مستسلم فهو مرتد، أو معاهد فهو محارب عادر»(۱).

□ وقال في الأخرى: «بلغني أنك قطعت يد امرأة في أنْ تغنَّت بهجاء المسلمين ونزعت ثنيتها، فإن كانت مَّن تدَّعي الإسلام، فأدب وتقدمة دون المشلمة، وإن كانت ذمِّيَّة لَعَمْري لَمَا صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدَّمت إليك في مثل هذا لبلغت مكروها، فاقبل الدَّعة، وإياك والمُثلَة في الناس؛ فإنها مأثم ومنفرة إلا في قصاص»(٢).

الساخرون المستهزؤون برسول الله ﷺ وبالإسلام . . تَبًّا لهم :

* صلاح جاهين. . ومصطفى حسين:

□ للَّه درُّ القائل في صلاح چاهين ومصطفى حسين وأمثالِهما ممن طَفَوْا على سطح المجتمع المصري، ونال من المجد الزائف والشهرة الكاذبة قسطًا كبيرًا، وصَفَّق لهما الدجَّالون طويلاً، وفُتِحت أمامَهما الأبواقُ

⁽۱) «تاريخ الطبري» (٤/ ١٥٧).

⁽٢) «تاريخ الطبري» (٤/١٥٧)، و«الانشراح ورفع الضيق يسيرة الصديق» (ص٢٤٤ ـ ٢٤٦) للدكتور على محمد الصلابي ـ دار الفجر ـ مصر .

والصحف:

زَبَدُ البَحْرِ أَنتَ؟ أَنت قَذَى البحر إِنْ تكنْ قد كَسَوْتَ مِن صفحة الماء بعضَ ريسح أتى بونْسرك يُومًا إِنَّ مَسا تسرى تجارة بغسي وخطاب عَلاَ بشَغْسر كريسة

□ تطاول صلاح جاهين، ومَس برسومه الكاريكاتيرية وصوره الساخرة علماء الدين وزي المرأة المسلمة، وغَمز الصوم والصائمين، وتهجم على شهر رمضان، وقد كان من أسوا هذه الصور كاريكاتير: «الشيخ متلوف» الذي استمر في مجلة «روز اليوسف» سنوات في نقد لاذع لكل القيم التي يُمثلُها عالم الإسلام.

□ انظرْ إليه وهو يَسخَرُ في شعرِه العامِّيِّ من علماء الأمة حين جاء نابليون الصَّليبيُّ بحَمْلَتِه الفرنسيَّة، فينسبُ دَجَلاً وكَذبًا إلى علماء الأمة كلَّ نَقيصة، ويقول في أبيات له تَقْطُرُ سُمَّا وسُخريةً:

زَحَف الفرنسيس وزَحَفَت قبلَهم جواسيس غايصين لقاعها وعارفين بَاعْها من باريس وايش عمل القاع قصير الباع. في القمّة وايش عمل العمّة في البرنيطة يا أئمـة وايش تعمل العمّة في البرنيطة يا أئمـة العمّة ما اتْكلّمت (!!) وتَن صُوتْها حَبيس غير مَرَة لمّا البُوليس قال: نَوروا الفوانيس !

ودَه كُفُرْ طَبْعًا، ولا يُدْخل لنا في ذَمَّهُ اطَّمَن الغرب إِنَّ في بلدنا نَاس رِمَّــةُ وانهش يا ديب فينا واقضي بمنتهى الهمة

علی اسم مصر

نَسَب إلى العلماء أنه عندما أنار الفرنسيُّون القاهرة، تَحرَّك علماءُ الأزهر محتجِّين بإنَّ إبقاء المصابيح كفر، وإشاعة الظلام بالليل هو ما يَعملُ له علماء الدين (الرِّمَم)!!. فالظُّلْمة طاعة والضوء معصية.

فهذا تطاوُلٌ من القَمِيءِ القَذرِ، وإفكٌ ودَجَلٌ خسيس، فقد قامت الثورة من الأزهر.

🛭 يقول صلاح چاهين:

وأنالوا «نابيلون» لكنت عَدَمتُهم تقتيل ما دُمت أقسدر أسيَّح دَمَّهُم في النيل وأخسلع ذقونهم وأبيِّن إنها تضليل

على اسم مصر

بل إنَّ صلاح چاهين قد جاوزَ بعد ذلك كلَّ الحدود، حين أجرى الكاريكاتير على أعلى قيم الإسلام، وسَخِرَ هذا اللّحِدُ كثيرًا من الإسلام، وجعل كاريكاتيرَه للغَمْزِ واللمْزِ وحَرْبِ الإسلام.

□ وجاء مصطفى حسين، فرسم «الديك» وزوجاته، وكتب تحته «محمد أفندي والزوجات التسع»، يعني رسول اللَّه ﷺ وزوجاته أمهات المؤمنين!!.

ونشرت أيضًا جريدة «المساء» المصرية التي يَملكُها مجلس قيادة الثورة المصرية سنة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م صورةً كاريكاتيريةً تتمثَّل في وجه إنسان،

ورجل يقول: «أهو دا محمد أفندي اللي اتجوز ٩»، والهدف معروف من وراء هذه الإشارة!!.

وعلى إثر حادث الإرهابيين في «فيينا» رَسَمَ صورةً كَتَب تحتها يَصفُ الإرهابيين بهذه الأوصاف: «خديجة مائير»، و«أحمد ليفي». . إلى آخر هذه الأسماء . . لماذا اختار هذه الأسماء الإسلامية الكريمة كاسم الرسول على وزوجته أمِّ المؤمنين خديجة والشي ليصلها بأبغض الأسماء؟!!!.

الله عاملَه الله عاملَه الله على شاكلتِه ومَن كان هم على شاكلتِه ومَن كان ذَنَبًا لهم.

* الشيخ ابنُ باز يَحكمُ بِردَّةِ مَن تَنقَصَ الرسولَ ﷺ، ويَرُدُّ على جريدة «المساء» المصرية:

حُكم مَنِ استهزأ بالرسول العظيم عليه الصلاة والسلام أو سَبَّه، أو تَنَقَّصَه، أو استَحلَّ شيئًا ممَّا حَرَّمه(١)

بسم الله، والصلاة والسلام على رسول الله. لقد اطلعت على ما نشرته صحيفة «المساء» المصرية نشرته صحيفة «المساء» المصرية الصادرة في ٢٩ يناير الماضي من الجُرأة على الجناب الرفيع والمقام العظيم مقام سيِّدنا وإمامنا: محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا كثيرًا، بتمثيله بحيوان من أدنى الحيوانات وهو الديّك -، لا يشكُ مسلمٌ أنَّ هذا التمثيل كُفر بواح، وإلْحاد سافر، واستهزاء صريح بمقام

⁽١) نداء من الجامعة الإسلامية إلى العالم الإسلامي «مجموع فتاوى ومقالات متنوعة» (٦/ ٢٥٣).

سيِّدِ الأوَّلين والآخِرِين ورسول ربِّ العالمين، وقائد الغُرِّ الْمُحَجَّلين، إنها لَجِرَأَةٌ تُحزِنُ كلَّ مسلم، وتُدمي قلبَ كلِّ مؤمن، وتُوجِبُ اللعنةَ والعار، والخلودَ في النار، وغَضَبَ العزيز الجبار، والخروجَ من دائرةِ الإسلام والإِيمانِ إلى حَيِّزِ الشِّركِ والنِّفاقِ والكفران، لِمَن قالَها أو رَضِيَ بها، ولقد نَطَق كتابُ اللَّه الكريمُ بكفرِ مَنِ استهزأ بالرسول العظيم، أو بشيءٍ من كتابِ اللَّه الْمبين، وشَرْعه الحكيم، قال اللَّه عز وجل: ﴿ قُلْ أَبِاللَّه وَآيَاتِه وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿ وَ لَا تَعْتَذَرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦] الآية، فهذه الآيةُ الكريمة نصٌّ ظاهرٌ وبُرهانٌ قاطعٌ على كُفرِ مَنِ استهزأ باللَّهِ العظيم، أو رسولِه الكريم، أو كتابه المبين، وقد أجمَع علماء الإسلام في جَميعِ الأعصار والأمصار على كُفرِ مَنِ استهزأ باللَّهِ أو رسولِه أو كتابِه أو شيءٍ من الدِّين، وأجمعوا على أنَّ مَنِ استهزأً بشيءٍ من ذلك ـ وهو مسلم ـ أنه يكون بذلك كافرًا مرتدًا عن الإسلام يجبُ قَتلُه؛ لقول الرسول عَلَيْهُ: «مَن بَدَّل دينَه فاقتُلُوه».

□ ومن الأدلة القاطعة على كُفر من استهزأ باللّه أو رسوله أو كتابه - أنَّ الاستهزاء تنقُّصٌ واحتقارٌ للمستهزأ به، واللّه سبحانه له صفة الكمال، وكتابه من كلامه، وكلامه من صفات كماله عزَّ وجل، ورسوله محمدٌ ﷺ هو أكملُ الخلق، وسيِّدُهم، وخاتمُ المرسلين، وخليلُ ربِّ العالمين، فمن استهزأ باللّه أو رسوله أو كتابه أو شيء من دينه فقد تنقَّصه واحتقره، واحتقارُ شيء من ذلك وتنقُّصُه كفرٌ ظاهرٌ، ونفاقٌ سافرٌ، وعداءٌ لربِّ العالمين، وكفرٌ برسوله الأمين.

وقد نَقَل غيرُ واحدٍ من أهل العلم إجماعَ العلماء علىٰ كُفرِ مَن سَبَّ

الرسولَ الكريمُ عَلَيْكُ أَو تَنَقَّصَه، وعلى وجوبِ قتله.

□ قال الإمامُ أبو بكر بنُ المنذر ـ رحمه اللّه ـ: «أجمَعَ عوامُّ أهلِ العلم على أنَّ حَدَّ من سَبَّ النبيَّ عَيَالَةُ القتلُ، وممن قاله ملكٌ والليثُ وأحمدُ وإسحاقُ، وهو مذهبُ الشافعي» انتهى.

وقوله: «عوامُّ»: جَمعُ «عامة»، والعامةُ هنا بمعنى الجماعة، فمرادُه - رحمه اللَّه ـ أنَّ جماعاتِ العلماءِ أجمعوا على وجوبِ قَتلِ مَن سَبَّ النبيَّ - يُظَافِّهُ.

ولا شكَّ أن السبَّ يتنوَّعُ أنواعًا كثيرةً، ولا رَيبَ أن الاستهزاء به عليه الصلاة والسلام وتنقُّصه وتمثيله بحيوان حقير، من أقبح السبِّ وأعظم التنقُّص، فيكونُ فاعلُ ذلك كافرًا حلالَ الدَّم والمال.

□ وقال القاضي عياض ـ رحمه اللّه ـ: «أجمعت الأمةُ على قَتْلِ
 مُتنقّصه من المسلمين وسابّه» انتهى .

□ وقال محمدُ بنُ سُحنون ـ من أئمَّة المالكية ـ: «أجمع العلماءُ على أنَّ شاتِمَ النبيِّ ﷺ والمتنقِّصَ له كافر، والوعيدُ جاء عليه بعذابِ اللَّه له، وحُكُمه عند الأُمَّةِ القتلُ، ومَن شَكَّ في كُفرِه وعذابِه كَفَر» انتهى.

□ وقال شيخُ الإسلام أبو العباس بنُ تيمية ـ رحمه اللَّه ـ بعدما نَقَل أقوالَ العلماء في شاتِم الرسول ﷺ ومتنقِّصِه في كتابه: «الصارم المسلول على شاتم الرسول» ما نصُّه: «وتحريرُ القول فيه: أن السابُّ إن كان مسلمًا أنه يَكفُرُ ويُقتَلُ ـ بغير خلاف ـ، وهو مذهبُ الأئمة الأربعة وغيرهم، وقال حنبل: سمعتُ أبا عبداللَّه يقول: مَن شَتَم الرسولَ ﷺ أو انتقصه ـ مسلمًا

كان أو كافرًا ـ فعليه القتل، وأرى أن يُقتل و لا يُستتاب» انتهى .

وكلامُ العلماء في هذا الباب كثير، وفيما نَقَلْنا عنهم كفايةٌ لطالب الحق.

ولقد وُفقت صحيفة «صوت الإسلام» القاهرية في رَدِّها على جريدة «المساء» المصرية ما اقترَفَتْه من المحاربة للإسلام ومِنَ الجُرْمِ الفظيمِ والمُنكرِ الشيع في حقِّ المصطفى عليه وشريعته، بقلم رئيس التحرير الشيخ «محمد عطية خميس»، ولقد أحسن فضيلته إحسانًا عظيمًا، حيث أنكر ما فعَلته هذه الصحيفة من الكفر الصريح والاستهزاء السافر بسيّد عباد الله وأفضل رسول، واحتج على حُكَّام مصر، وطالبهم بوضع حدِّ لهذه الفتنة.

وَإِلَىٰ القُرَّاء بعضَ كَلَمتِه، قال ـ وفَقه اللَّه ـ بعد كلامٍ سَبَق في ردِّ مقالات شنيعة كتبتها بعضُ الصحف المأجورة ما نصَّه:

«فلا عَجَبَ بعد كلِّ هذا أن يتجرَّأ صحفيٌّ من صَحَفيِّي جريدة «المساء» ليُعرِّضَ برسولِ اللَّه عَيَّا في صورة كاريكاتورية في عددها الصادر في ٢٩ يناير الماضي، فيرسم شخصًّا له جسم الدِّيك، ويقول تحت هذه الصورة: «اهوه ده ـ يا سيدي ـ محمد أفندي اللي متجوِّز تسع». . بمثل هذا الخُبث تُنشرُ مِثْلُ هذه الصورة التي تُعرِّضُ برسولِ اللَّه عَيَّا في وبشريعة الإسلام.

الله على الذي تزوَّج تسعًا غير رسول الله على المر المر المر المن الن يُنشر مثل هذا الرسم في جريدة يومية يشرف عليها الاتحاد القومي، وتصل السخرية المنكرة على شخص رسول الله عليه المتار المحرد أو الرسام «محمد أفندي»، ويُرمَزُ إليه بمثل هذا الرمز؟! لماذا اختار المحرد أو الرسام «محمد

أفندي» بالذات، ولم يَختَرُ «علي أفندي» أو «سعيد أفندي» أو أيَّ اسم آخر؟ ولماذا حَدَّد العدد بتسع بالذات؟ ولم يُحدِّد بسبع أو عشر أو اثني عشر؟!.

إن خُبثَ الرسام طاهرٌ واضح، ولا يَحتاجُ إلى تأويلِ والتماسِ عُذرٍ له، إنَّ مثلَ هذا الرسم لو نُشر في أيَّة صحيفة إنجليزية أو أمريكية أو فرنسية و حتى إسرائيلية .، لقامت الدنيا وقعدت، ولاتُخذت سلاحًا بتَّارًا للدعاية والتشهير، أمَّا أن يُنشرَ في جريدة من جرائد هذه الأمة فتُغْمَضَ عنها الأعينُ، وتَمُرُّ بها مرورًا عابرًا، ومن المؤسف المؤلِم أن يَحدُثَ هذا في صحافتنا، في الوقت الذي يَعملُ فيه الأعداءُ أكثرَ من حساب لمشاعرِنا نحن المسلمين، فأمريكا وإيطاليا يُريدان إنتاجَ فيلم عن رسولِ اللَّه عَيْنُ فإذا بهم يلجؤون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية ليأخذوا رأيها وموافقتها في كل يلجؤون إلى مشيخة الأزهر والجامعة العربية ليأخذوا رأيها وموافقتها في كل ما يتعلَّقُ بهذا الفيلم - من حوارٍ وسيناريو وخلافه -، وكان باستطاعة هاتين الدولتين أن تُخرِجا الفيلم كما تشاءان، وعلى النحو الذي يَتَفقُ مع رُوحِهِما العدائية لنا، هذا ما يَحدثُ من أعدائنا، وهذا ما يَحدثُ من أبناء أُمَّتنا.

إلى متى يَسكتُ المسؤولون عن هذه الصحافة؟ وإلى متى نَسكتُ نحن ـ أبناء هذه الأمة ـ؟ هل ننتظرُ إلى أن يَلجاً هؤلاء الخَونةُ والمفسدون إلى التصريح بدلاً من التلميح؟ أننتظر إلى أن يُسخر من إسلامنا في الشوارع والطرقات؟ واللّه إنها لَفتنةٌ سوداء، يُوقِدُها هؤلاء الجُهلاءُ المأجورون، تُنذر بالخطرِ الفادح ـ إنْ لم يُوضَعُ لها حدٌّ ـ، فإننا لن نستطيع أن نسكت بعد هذا على هذا التمادي في محاربة الإسلام والأخلاق، وفي التعريض برسول اللّه عَيْلِيُ وشريعته، فالأُمةُ لا تزالُ معتزّةً بدينها، غَيُورةً على برسول اللّه عَيْلِيْ وشريعته، فالأُمةُ لا تزالُ معتزّةً بدينها، غَيُورةً على

رسولها، فإن أرادت هذه الصحافة الماجنة أن تُعلِنَها حَربًا فلْتُعلْنها كما تريد، ولكنْ لن نقف مكتوفي الأيدي. وكفئ! فإسلامُنا هو وطننا، ولا وطن لنا غيرُه، وإسلامُنا هو رُوحنا، ولا حياة لنا بسواه، وإسلامُنا هو رِزقُنا، ولا قيمة للطعام والشراب عندنا بدونه، وإسلامُنا هو كلُّ شيء في الوجود بالنسبة لنا. وأقولُ هذا باسم أكثر من عشرين مليون مسلم من أبناء هذا الشعب العزيز، ونحنُ في انتظار بيان رسميٌّ من الاتحاد القومي وما صَنعه مع جريدة «المساء» ورسامها والمسؤولين عنها، ومع صحافتنا على العموم، حتى نَطمئن الى مستقبل ديننا، واللَّهُ أكبر، والعزة للَّه ولرسوله وللمؤمنين». انتهى كلام الشيخ محمد عطية خميس.

ولقد أجاد وأفاد، وصدَع بالحق، فجزاه اللَّهُ على ذلك خيرًا، وزاده من الهدى والتوفيق، وكثَّر في المسلمين من أمثاله من الصادعين بالحق بين الظَّلَمة اللِّنَام، والحمدُ للَّه الذي أوجَد في مصر مَن يَنطِقُ بالحَق، ويَصدَعُ بالردِّ على مَن حادَ عنه، وإنْ دَلَّ ذلك على شيء، فإنما يدلُّ على أنَّ بالزوايا خبايا، وأنَّ في الرجال بقايا، ولا شكَّ أن ذلك من حفظ اللَّه لدينه، وحمايته لخاتم أنبيائه وسيِّد أصفيائه محمد على الله المنافقين أنهم يسخرون بالمرسلين والمؤمنين، ويضحكون منهم، فلا غرابة أنْ سلَك القائمون على صحيفة والمؤمنين، وساروا على منهاجهم والمؤمنين، وساروا على منهاجهم الوخيم وطريقهم الذميم، ﴿ أَتُواصُوا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴾ [الذاريات: ٣٥]. * قال اللَّه عز وجل: ﴿ إِنَّ اللَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ اللَّذِينَ آمَنُوا يَضحكُونَ ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴾ [الطففين: ٢٩، ٣٠] الآيات.

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عَبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغُفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿ فَا اللَّهُ فَا اللَّهُ هُمُ الْفَائِرُونَ وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ شَنْ ﴿ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيُومَ بِمَا صَبَرُوا أَنْهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١١].

* وقال جلَّ وعلا عن رسوله نوح وقومه: ﴿ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلاً مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنًا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ مِن فَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ مِن فَي فَي مَا يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقَيمٌ ﴾ [هود: ١١٩ ـ ١١١].

* وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمَزُونَ الْمُطُوّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ الله مَنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ التوبة: ٧٩].

ففي هذه الآيات المُحكمات والبراهين البينات دِلالةٌ ظاهرة وحُجَجٌ قاهرةٌ على أن الاستهزاء بالمرسلين والمؤمنين من صفات الكفار والمنافقين والمشركين، ومِن عدائِهِمُ السافِر وكُفرِهِمُ الظاهر.

ولقد تَخَلَّقَ بعضُ القائمين على صُحفِ القاهرة في هذا العصر بأخلاقهم، وساروا سيرتهم، ونَهجوا نَهْجهم، فلهم حُكمُهم في الدنيا والآخرة، وقد ثَبَت عن المصطفى عَلَيْ أنه قال: «مَن تَشبَّه بقوم فهو منهم»، فليس من شكِّ عند كلِّ مَن له أدنى مُسْكة من علم وهُدًى أنَّ مَن شبَّه الرسولَ عَلَيْ بشيء من الحيوانات الحقيرة، قد تَنقصه واحتقره، ومَن فعل ذلك أو رَضيه من حاكم أو صَحَفييٌّ - أو غيرهما -، فهو كافرٌ مُلحِدٌ حلالُ ذلك أو رَضيه من حاكم أو صَحَفييٌّ - أو غيرهما -، فهو كافرٌ مُلحِدٌ حلالُ

الدم والمال.

وهنا أمرٌ عظيمٌ يَنبغي التنبيهُ له، وهو أنْ يقال: «ما السرُّ في تَشبيهِ صحيفة «المساء» القاهرية للرسول ﷺ بالديك دون بقيَّة الحيوانات؟».

إنه ظاهر لمن تأمّله، ألا إنه الجحود لنبوّته، والإنكار لرسالته، ورَميه بأنه ثائر شَهُواني ، ليس له هم إلا إشباع نَهْمته من النساء، وهذا إمْعان في الكفر، وإيغال في الاستهزاء والاحتقار للجنّاب العظيم والمقام الرفيع، لعن اللّه من تنقّصه أو رَماه بما هو براء منه، وقاتل اللّه صحيفة «المساء» القاهرية والقائمين عيها الراضين بهذا الاستهزاء، فما أعظم ما تجرّقُوا عليه من الباطل!! وما أقبَح ما وقعوا فيه من الإسفاف والاستهزاء!!.

ولقد صان اللَّهُ رسولَه عَلَيْهُ وحماه مما قاله المُبطِلون ورماه به المفترون، فقد كان أعفَّ الناس، وأنصَحَهم للَّه ولعباده، وأرفَعَهم قَدْرًا، وأشرفَهم نفسًا، وأشدَّهم صبرًا، وأقومَهم بحقِّ اللَّه وتبليغ رسالته، وأخشاهم للَّه، وأتقاهم له، وأزهَدَهم في كلِّ ما يُلوِّثُ مقامَه العظيم، أو يَعُوقُه عن مُهمَّته في الجهاد والنُّصح والتبليغ، وإنما تزوَّج النساءَ كَسُنَّة مَن قَبْلَه من المرسلين، كما قال اللَّه سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُريَّةً ﴾ [الرعد: ٣٨].

وفي تزوُّجِه ﷺ بتسع من النساء، حِكَمٌ كثيرة، وأسرارٌ بديعة، ومصالحُ عظيمة.

منها: إعفافُهنَّ، والإحسانُ إليهن.

ومنها: أن يَتعلَّمْنَ منه ﷺ أصولَ الشريعة وأحكامَها، ويُعلِّمْنَها الناسَ

بعدَه ـ كما قد وقع ـ، فقد كان بَيتُ كلِّ واحدة منهنَّ مدرسةً للمسلمين والمسلمات، يَرِدُونها للتعلُّم، ويَشربون من مَعينها الصافي عَلَلاً بعد نَهَل، ويَسألون أمَّهاتِ المؤمنين عن حياته وشمائِلِه وأخلاقِه وأعمالِه داخل بيوته وخارجَها.

ومن ذلك: ما في تَعدُّدهِنَ من مصلحة التأليف والتعاون على البرِّ والتقوى، وتبليغ القرآن والسُّنة بواسطة أصهاره ومَن يَتَّصلُ بهم؛ لأنَّ أزواجَه كُنَّ مِن قبائلَ شتَى، وذلك أبلغُ في مقام الدعوة والتأليف، وأنفعُ للأُمَّة، وأكملُ من جِهة التبليغ والتعليم.

ومن ذلك: ما في تَعدُّدهنَّ من راحته ﷺ وأُنسه، فإنَّ اللَّه سبحانه قد حُبُّب إليه النساء والطِّيب، وجَعَل قُرَّة عَينه في الصلاة، وقد صَحَّ عنه عَيَّكَاتُهُ أنه قال: «الدنيا متاعٌ، وخيرُ متاعها الزوجةُ الصالحة»، وقد جَبَل اللَّهُ الرجالَ على حُبِّ النساء والميل إليهِنَّ، وجَعَلَهُنَّ سَكَنَّا للرجال، كما قال عَزَّ وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مَّنْ أَنفُسكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مُّودَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٥٩]، وأعطى نبيَّه ﷺ في ذلك من كمالِ الرُّجُولةِ والقوةِ على القيامِ بأمرِ الزوجات وحُقوقِهِنَّ ما لم يُعطِهِ الكثيرَ مِن قَبْلَه، وليس هذا بمستنكر في الأنبياءَ عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أكملُ الرجال رجولةً، وأعفُّهم فَرْجًا، وأقومُهم بحقِّ اللَّه وحقِّ عباده، وقد كان لنبيِّ اللَّه داود زوجاتٌ كثيرة، ولابنه ـ نبيِّ اللَّه سليمان بن داود ـ كذلك، وقد قوَّاهما اللَّهُ على الطَّواف عليهنَّ والقيام بحقِّهنَّ، فكيف يُستغربُ على مَن هو أفضلُ منهما وأرفعُ عند اللَّه منزلةً ـ وهو محمدٌ ﷺ _ أن يُبيح اللَّهُ له تسعًا من النساء؟! مع ما في ذلك من المصالح الكثيرة - التي

تَقَدُّم بعضها ـ، وكلُّها تعودُ على الأمةِ بالخيرِ والإحسان والنفعِ العام، وقد خُصَّ اللَّهُ نبيَّه عَلَيْكُ بخصائص عظيمة، وحباه بصفات كريمة، فبعَثه إلى الناس عامةً، وجَعَله رحمةً للعالمين، واتَّخذه خليلاً كما اتَّخذ إبراهيمَ خليلا، ورَفَع منزلتَه في أعلىٰ الجنة ـ وهي الوسيلة ـ، وجَعَله سيِّدَ أولادِ آدمَ كلِّهم، وأعطاه المَقامَ المحمود والشفاعة العُظمي يومَ القيامة، ونَصره بالرعبِ مسيرةَ شهرٍ، وشُرَح له صَدْرَه، وغَفَر له ذَنْبَه، ووضع عنه وِزْرَه، ورَفَع له ذَكْرَه، فلا يُذكرُ سبحانه إلاَّ ذُكرَ معه، كما في الخُطَب والتشهُّدِ والإقامةِ والتأذين، وخصائصُه وشمائلُه ﷺ كثيرةٌ جدًّا، فكيف - بعدَ هذا كلِّه - تَجترئُ صحيفةُ «المساء» المصرية والقائمون عليها على الاستهزاء به والحطِّ مِن قَدْرِه وتمثيله بحيوانٍ من أحقرِ الحيوانات وأدناها، إمعانًا في الاحتقارِ ومبالغةً في الاستهزاء، سبحان اللَّه ما أعظَمَ شأنه!! واللَّه أكبر ما أوسَعَ حلمه!! ﴿ كَذَلكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٥].

وليس هذا الكفرُ الظاهرُ والنفاقُ السافرُ والاستهزاءُ الصريحُ بأشرفِ عِبادِ اللَّه ومَن أخرَجَ اللَّهُ به العبادَ من الظلماتِ إلى النور - بغريبٍ من صُحُف الخلاعة والمُجون، وأبواقِ الكفر والإلحاد، ومنابِر الظُّلم والعدوان ومحاربة الفضائل والدعوة إلى الرذائل، ليس ذلك بغريب على بعض القائمين على صُحف القاهرة، الذين باعوا أنفسهم للشيطان، وأعرضُوا عما جاءت به الرسل ونزل به القرآن، واهتمُّوا بالفراعنة واللاحدة وعُبَّادِ الصُّلْبان، وجَنَّدوا بعض صَحُفهم لمحاربة الإسلام، وطَمْس شعائِرِه العظام، والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار وطَمْس شعائِرِه العظام، والتضليل والتلبيس على خفافيش الأبصار

وسفهاء الأحلام.

الم أقول: ليس هذا وحدَه جُره صحف القاهرة، فكم لهم من محفرات ونواقض للإسلام! جرائم! وكم لهم من محفرات ونواقض للإسلام! أليسوا هم الذين أعلنوا في كثير من صحفهم الدعوة إلى الاشتراكية الكافرة والشيوعية الحمراء المشتملة على الظّلم للعباد؟! وزعموا ـ تلبيسًا وتضليلاً أنها من الإسلام؟! والإسلام براءٌ من ذلك، الإسلام حرَّم على الناس دماء هم وأموالهم وأعراضهم، الإسلام يحترمُ مال الفرد والجماعة، ويَحرسُه، ويَحميه بقطع يد السارق، وقتل المحارب إذا قتل، وقطع يده ورجْله من خلاف إذا أَخَذ المال فقط، ويقولُ الرسولُ العظيم عليهم حرامٌ، كحرمة الوداع يوم النحر: «إنَّ دماء كم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»، متفق على صحته.

- ويقول ﷺ: «مَن ظَلَم شبرًا من الأرض، طَوَّقه اللَّهُ إياه يوم القيامة مِن سَبْعِ أَرَضِينَ»، متفق على صحته.
- ويقول ﷺ: «مَنِ اقتطع حقّ امرئ مسلم بيمينه، فقد أوجَبَ اللّهُ له النار، وحرّم عليه الجنة»، خرجه الإمام مسلم في "صحيحه».
- * ويقولُ اللَّه في كتابه الكريم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩].
- * وقال تعالى: ﴿ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٨].
- وقال سيِّدُ الخَلْقِ ﷺ فيما يَرويه عن ربِّه عَزَّ وجل أنه قال: «يا

عبادي، إني حَرَّمتُ الظُّلمَ على نَفْسي، وجَعلتُه بينكم مُحرَّمًا، فلا تَظَالَموا».

• وقال عَيْكِيا أيضًا: «لا يَحلُّ مالُ امرئ مسلم إلاَّ عن طيبة من نفسه». والآياتُ والأحاديثُ في هذا المعنى كثير، وقد أجمعت الرسلُ. عليهم الصلاة والسلام - في شرائعهم المتنوّعة على عصمة مال المسلم، وتحريم دمه وماله وعِرْضِه إلاَّ بحقِّ، وأجمع علماءُ السلمين على ذلك، ومع هذا كلُّه فدعاةً الاشتراكية والشيوعية - وأعوانُهم على الظُّلم والعدوان - استباحوا أموالَ الناس ودماءَهم بغيرِ حَق، ونَبَذُوا كتابَ اللَّه وسُنَّةَ رسوله ﷺ وراءَهم ظهريًّا، ولو أنهم قالوا: قد عَرَفْنا أنه ظُلمٌ وعُدوانٌ وأقَدْمنا عليه، لكان أسهلَ عند اللَّه وعند المؤمنين، ولكنَّ بعضَهم ـ مع الظلم السافِر والكفرِ الظاهر ـ يزعُمون أنَّ أعمالَهمُ الماركسية ، وتصرُّفاتهم الشيوعية ، وسيرتهم الكفريةَ والإلحادية، مِن الإسلام، ويَزعمُ لهم أذنابُهم وعَبيدُهم ـ تلبيسًا وتضليلاً ـ أن الإسلامَ جاء بذلك، واللَّه سبحانه ورسوله ودينُه بَراءٌ من ذلك كلُّه: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاًّ كَذَبًا ﴾ [الكهف: ٥]، ﴿ صُمٌّ بُكُمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

* ولقد صَدَق اللَّه سبحانه حيث يقول - وهو أصدق القائلين -: ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿ يَكُونُ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً ﴿ يَكُونُ أَنْ مُمْ إِلاَّ كَالاَّنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصَلُ سَبِيلاً ﴾ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالاَّنْعَامِ بَلْ هُمْ أَصَلُ سَبِيلاً ﴾

[الفرقان: ٣٤ - ٤٤].

ومَن زَعَم أنَّ ما يفعلُه دعاةُ الاشتراكيةِ والشيوعيةِ ـ من الظُّلمِ والاستبدادِ والتعدِّي على حُرُماتِ المسلمين ـ من الإسلام، فهو كافرٌ ضالُّ

كاذب على الله ورسوله وعلى شرعه، كما أنَّ مَن أنكرَ الحدودَ ـ كحدً السرقة أو غيره ـ وزَعَم أنها ليست من شرع اللَّه ـ كما يَنعقُ بذلك دعاةُ الإلحاد من الشيوعيين وغيرهم ـ، فهو كافر مكابر مكذّب لقول اللَّه سبحانه: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ واللَّهُ عَزِيز مُكيم ﴾ [المائدة: ٢٨].

* ومَن زَعَم أن الاشتراكية الماركسية مباحة ، وأنها من الإسلام، أو أنها خير من الإسلام، وأرحم من الإسلام، فهو من أكفر عباد الله وأضلهم عن سواء السبيل ؛ لأنه لا شيء أحسن من الإسلام، ولا حُكم أعدل من حُكمه، ومَن جَعَل الظُّلم منه، ونسَبه إليه، فقد تَنَقَّصَه وكذَب عليه، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ الله وأُولُئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النحل: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿ وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسَنَكُمُ الْكَذَبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ الْكَذَبَ إِنَّ الّذَينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذَبَ لا يَفْلِحُونَ ﴿ اللّهِ الْكَذَبَ اللّهِ الْكَذَبَ اللّهُ الْكَذَبَ وَاللّهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٦ - ١١٧]، واللّه سبحانه قسم بين الناس معيشتهم، ورقع بعضهم فوق بعض درجات، لتنظم أمورُهم، ويستعين بعضهم ببعض، فتكمّلُ مصالحهم، وتظهر مواهبهم، ويتميّزُ غنيهم من فقيرهم، وشاكرُهم من كافرهم، وناصحهم من خائنهم، وطيبهم، وطيبهم من خبيثهم ن ألى غير ذلك من الحكم والأسرار من خائنهم، وطيبهم من خبيثهم ن الحيشة والأسباب والأخلاق والعقول، الكامنة في حكمة التفاوت بينهم في المعيشة والأسباب والأخلاق والعقول، كما قال تعالى منكرًا على المشركين الأولين .: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ

نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

* وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجَاتِ لِيَبْلُوكُمْ في مَا آتَاكُمْ ﴾ [الانعام: ١٦٥].

فلو سوَّىٰ بينهم سبحانه في المعيشة والأخلاق والعقول والأسباب، لتعطَّلَت مصالحهم، ولم تَظْهَر هذه الحِكَم والأسرار التي رَتَّب عليها الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، ولم يَعرِف العباد معاني أسمائه الحسنى وصفاته العلى، ولم يَخضع أحد لأحد، ولم يَعرِف أحد قَدْر نعمة الله عليه، ولم يُؤدِّ ما يَجب عليه من الشكر. ولي غير ذلك من الأسرار والمعاني الشريفة والحكم الرفيعة التي لا يُدركها ولا يُوفَّقُ لها إلاَّ أهلُ الإيمان باللَّه واليوم الآخر وأرباب العلم النافع والبصائر.

والاشتراكية استوردها أربابها ليُغنُوا بها الفقراء ـ بزعمهم ـ، وإنما جَلَبوها في الحقيقة ليُفقروا بها الأغنياء، ويَسلُبوا بها أموال الناس بالباطل باسم «رحمة الفقراء»، ويصرفوها في مطامعهم الأشعبية وأغراضهم الدنيئة، وشهواتهم البهيمية، ويُخمدوا بها جَذْوة الحركة والعلم، ويصدُوا بها الناس عن التفكير في : حقّ رب العالمين، والتنافس في مصالح الحياة، والثورة على الكفرة والطّغاة الملحدين.

هذه حالُ الاشتراكية وأهلها، حَسدوا الناسَ على ما آتاهمُ اللَّهُ مِن فَضْله، وتجرَّؤوا على شَرْعه، وظَلَموا العباد، واستبدُّوا بالأموال والعتاد، وحارَبوا اللَّهَ في أرضه، واستكبروا عن طاعتِه وحقِّه، تبًّا لهم ما أخسرَ صفقتَهم! وأخسَّ مُروءَتهم! وأسوأ عاقبتَهم!.

فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ - أيها المسلمون - من أربابِ هذه الفتنة العمياء ، والبدعة النّكُراء ، والكُفرِ الصريح ، والمعاداة للّه ولرسوله وشرعه لعلكم تفلحون .

وقد شرع اللّه في الإسلام ما يُغني عن هذا المذهب الهدام ويُبطلُ كَيد مخترعيه الكفرة اللئام، فأوجب سبحانه في أموال الأغنياء من الزكاة وصنوف النفقات، وشرع لعباده عز وجل من أنواع الكفارات والصدقات وسبل الإحسان، ما تُسد به حاجات الفقراء، ويُستغنى به عن ظُلم العباد، والتحيل على سلب أموالهم، بل جَعل سبحانه وتعالى أداء الزكاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وتوعد من يُخل بها بأنواع العذاب والآلام، ووعد من بذكها - كما شرع الله - بالطهرة والزكاة لهم ولأموالهم، ومضاعفة الأجور وعظيم الخُلف، كما قال عز وجل : ﴿ وَأَقِيمُوا الصّلاة وَآتُوا الزّكاة وأطيعُوا الرّسُول لَعلكُمْ تُرْحَمُون ﴾ [النور: ٢٥].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُوَلِّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرَيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَالنَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

* وقال عَزَّ وجل: ﴿ خُدْ مِنْ أَمُوالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

* وقال ـ وهو أصدقُ القائلين ـ : ﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُو َ يُخْلِفُهُ وَهُو َ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ [سبا: ٣٩].

* وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

والآياتُ في هذا المعنى كثيرة، فالواجبُ على المسلمين جميعًا أن يؤدُّوا ما أوجَبَ اللَّهُ عليهم لإخوانهم الفقراء، وأن يَطيبُوا نَفْسًا بذلك، وأن يَرحموهم ويعطفوا عليهم، أداءً لِمَا أوجَبَ اللَّهُ، ورَجاءً لرحمة من اللَّه، وحَذَرًا من غَضب اللَّه، وسدًّا لأبواب الفتن والفساد، وإغلاقًا لسبُل الكُفر والإلحاد، وشكرًا للَّه على إنعامه، وطمعًا في المزيد من فضله وكرمه، وإرغامًا لأنوف الكفار والملحدين الذين قد ساءت ظنونهم بالإسلام، واعتقدوا أنه قد أهمل جانب الفقراء ولم يُعطهم حقّهم، ولقد أخطأ ظنَّهم، وخَسرت صفقتُهم، وكذبوا على اللَّه، وحادوا عن الحق الواضح.

فاتقوا اللَّه - أيها المسلمون - ، ومَثَّلوا الإسلام في أعمالِكم وأقوالِكم ، وارحَموا فقراءكم ، وأدُّوا ما أوجَب اللَّه عليكم من الزكاة وغيرها ، لتفوزوا بالسعادة والنجاة ، وتَسْلَموا من غَضَب اللَّه وأليم عقابه في الدنيا والآخرة ، واللَّه المسؤول أن يُصلح أحوال المسلمين جميعًا ، وأن يَمنحَهم الفقة في دينه ، وأن يَهدي زُعماءَهم وقادتَهم لصراطه المستقيم ، وأن يُقيم عَلَم الجهاد ، ويكبِت أهل الشَّرك والكفر والإلحاد ، إنه وَلِيُّ ذلك والقادرُ عليه .

وصلَّىٰ اللَّه وسلم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

نائب رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عبدالعزيز بن عبداللَّه بن باز

* جَلال طالباني، دَجَّالُ العراق وحاكمُه، يَسخرُ من رسول اللَّه عَلَيْدُ:

□ رئيسُ العراق الحالي. . قال عنه الدكتور «محمد عباس» في مقاله: «يا قُرَّاء ، ها هو الطوفان»(١) : «إنه قال منذ ثلاثين عامًا: «متى نُعيدُ لمحمد أوراقه الصَّفراء التي أتى بها على جَمَلٍ أجرَب؟». «السبيل» الأردنية بتاريخ آل ١٠٠٤/١٠ م- دكتور أحمد نوفل.

□ طالباني . . الرجل الذي لا مبادئ له ولا ثوابت عنده . . الرجل الذي كتب عنه الأستاذُ «طلال سلمان» في «السفير» منتصف التسعينات مقالة دائعة الصيّت، عنوانها «الكُرديُّ التائه»، قال فيها: «إنه يَتلوَّنُ حَسْبَ الظروف والمواسم، تَجدُه كُرديًّا يُزايدُ على «ملاً مصطفى»، وشيعيًّا ينافس «الخُميني»، وناصريًّا يسابق «عبدالناصر»، وبَعْثيًّا يتفوَّقُ على «مشيل عفلق»، وصُهيونيًّا يُجادل «شيمون بيريز» . . ».

والآن يَنعقدُ المزاد.. فليأتِ الأصلُ، ولْتَعرِضِ البدائلُ نفسَها.. كعرضِ الجواري والنخَّاسين للعبيد.. مَن يكْفُر أكثر من طالباني؟! من يَتَسفَّلُ أكثرَ منه؟! مَن.. مَن.. مَن؟!.

□ يقول «هيكل» في حَلقة مُذاعة على «قناة الجزيرة» في الله يقول «هيكل» في حَلقة مُذاعة على «قناة الجزيرة» في ٢٠٠٤ : «أنا بعرف مثلاً واحد زيَّ جلال طالباني، جلال طالباني كان صديقي. وهو موجود في القاهرة.. وأنا كنت مسؤول عن ولاده لما اضطر يسافر».. إنه لا يعرفُه فقط.. إنه صديقُه.. وليس صديقًا عاديًّا..

⁽١) مقال بمجلة المختار الإسلامي - العدد (٢٧٣) ـ غرَّة جماد أول ١٤٢٦هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٥م (٥) مقال بمجلة المختار الإسلامي - العدد (٢٧٣) ـ غرَّة جماد أول ١٤٢٦هـ - ٨ يونيو ٢٠٠٥م (ص ٨٠ - ٩٥ - ص ٩٢) بها كلام طالباني .

بل بلغت الصداقةُ مرحلة أنْ يُوصِيه بأبنائه إذا حَدَث له شيء!!.

□ ويكتب «جمال الغيطاني» في «أخبار الأدب» ملفًا خاصًا عن جلال طالباني في العدد (٥٨٩) ـ تاريخ ٢٤ تشرين الثاني ٢٠٠٤ يرسل الغيطاني لطالباني واحدًا من كُتّاب الروايات التي صادرتها وزارة الثقافة ـ تصوروا ـ ليكتب عنه كلامًا لا يجوزُ إلاً على الصّديّقين، ثم إنَّ جمال الغيطاني يكتب بنفسه افتتاحية العدد مقدّمًا للملف، مشيرًا إلى اللقاء الذي جرئ في الستينات بين الزعيم الكُردي «جلال طالباني»، والرئيس المصري «جمال عبدالناصر»، وكيف أنَّ الأخير عامل طالباني معاملة خاصة ومتميزةً. وفي أماكن أخرى من الملف تتّضح لنا واقعة مُذهلة في ضراوتها. لقد كان جمال عبدالناصر أول مَن أعطى السلاح للأكراد ليبدؤوا المقاومة المسلّحة ضدًّ الحكومة العراقية .

ما علاقةُ «أخبار الأدب» بطالباني؟؟!!.

ولْتقرؤا معي جُملةً في التحقيق. . جُملةً تأتي في ملف «أخبار الأدب» تُمزِّقُ السِّر على العورات القبيحة:

□ يقول مراسل «أخبار الأدب» إلى طالباني: «.. لدينا صورةٌ لامرأةٍ مقتولةٍ بسكِّينٍ في ظهرِها والجنودُ يلعبون الوَرَقَ عليها؟ هل ثَمَّةَ صورةٌ أقصى مِن هذه؟؟..».

وأين كانت تلك الأصواتُ التي تُحرِّمُ الآنَ على الكُرْد الترحيبَ بالأمريكيِّ المُحرِّرِ!! حينما كان «صدَّام» يقومُ بهذه البشاعات والفظاعات؟؟؟ الموضوعُ كلَّه كان إذن تزيينًا للباطل كما يُزيِّنُ القَّوَّادُ الزنا

لِبَغِيِّ. ولكي يُصبح الأمريكيُّ محرِّرًا والمقاومُ إِرهابيًا، وجلال طالباني في النهاية رئيسًا. . أمَّا كلُّ مَن ذكرتُ فلكُلِّ منهم وظيفتُه ودَورُه في دولاب المخابرات الأمريكية والإسرائيلية . . والحلقاتُ تُكتشف . . والسِّرُّ يَخرجُ من مخبئه!! .

لقد كان «هيكل» مع «طالباني» في لقائه مع «عبدالناصر» عام ١٩٦٣م..» اه.

□ والطيورُ على أشكالها تَقَعُ. . افتضحوا فاصطلحوا:

أمَّا سماسرةُ البلادِ فعُصِبَةٌ عارٌ على أهلِ البلادِ بقاؤُها إبليسُ أعلن صاغرًا إفلاته لَمَّا تحقّقَ عنده إغراؤها يتنعمون مُكرمّين كأنّما لنعيمهم عَصمّ البلادَ شقاؤها هم أهلُ نجدتها وإنْ أنْكرْتَهُم وهم أهلُ نجدتها وإنْ أنْكرْتَهُم وهم أهلُ نجدتها وإنْ أنْكرْتَهُم وعلى يديهم بيعها وشراؤها وحماتها وبهم يتصمّ خرابها وعلى يديهم بيعها وشراؤها ومن العجائب إنْ كشفت قُدورهم أنّ الجرائد بعضهً ن غطاؤها كيف الخلاصُ إذا النفوسُ تزاحمَت أطماعها وتدافعت أهواؤها؟!(١)

□ يَصدُقُ في «طالباني» قول القائل:

ولنا أنظمةٌ لولا العِـدا ما بَقِيَتْ في الحكم ليلة

هذا القبيحُ الشائهُ الكريهُ الكذَّابُ الأشِرُ المرتدُّ، يقول ما يقول عن رسولِ اللَّه ﷺ، ويُصبحُ حاكمًا لبغداد التي تولَّى خلافتَها يومًا هارونُ الرشيد مؤدِّبُ الزنادقة ومُبيدُهم من أمثال طالباني!!.

⁽١) للشاعر االفلسطيني إبراهيم طوقان.

سقط الدَّرْبُ في الظَّلامِ المريرِ (۱) إنه الليلُ طال غَ دُرًا وبَعْديًا لاعنًا وجهة الكئيب سُهيلٌ والضِّفاف الحَضراء ماجت بشوك أين يا ضفاف ما كنت فيه قد نماها الجَمال، والسِّحرُ فيها كنت للتائه المعنبُ أمناً لم تعودي - كما عهدناك - عيدًا لم

فطواه الأسى، وما من مُجيرِ داعر القلب ما له من نظيرِ داعر القلب ما له من نظيرِ والثريا^(۱) وكلُّ نَجمٍ زهيرِ قاتلِ الوَحْرِ عابسِ قمطرير^(۱) من رياضٍ تَضُمُّ كلُّ نَضيرٍ الأنفورِ والشَّذا والعبيرِ ساطع النورِ والشَّذا والعبيرِ وحمى الجائع الطَّريد الكسيرِ من لحُسون، ومنْ سنًا وعُطورِ

* * *

ويْح قلبي!! وأين نهر عظيم حاتمي العطاء بالموفور؟ كيف أمضي إليه؟ إني أعاني عَطَشًا حارقًا كجَمْرِ السَّعيرِ على مَلْتُ الطريقَ للنهر؟ ويْحي إذْ أرى الهو ل صارخًا بالنذيرِ فعلى النَّهر عاتياتُ الأفاعي بينَ أنْيابِها اغتيالُ المصيرِ عاتياتُ الأفاعي بعضال في من يَرُمْ (١٠) قطرةً من النهرِ ثارت بعضال في من السَّموم خطيرِ كلّما شَبّت العزائمُ منّا المحرورة من العزائمُ منّا المحرورة المحرورة علي العرائم منّا المحرورة ال

⁽١) المرير: الشديد القوي.

⁽٢) سهيل والثريّا: نجمان.

⁽٣) قمطرير: شديد قوي.

⁽٤) يرم: يطلب.

⁽٥) العضال: القاتل الذي لا شفاء منه.

⁽٦) الفحيح: صوت الحيَّات.

فتهاوت خُطَى الشريف المُعنَّى (١) كيف نمضى والزَّيفُ دينٌ وطبــعٌ والأصيلُ الأصيلُ يحيا غريبًا والعدو الغريب فينا سعيد فاختلال المعيار أضحى صوابًا وأُنادي بَلابال الدَّوْح عَلِّي فلتُجيبي بلابِل الدوح صبًّا(١) لا أرى بُلبلاً على الدُّوْح يشدو باغيات تعيث دوْمًا فسادًا ونَعيقُ الغربان يَسْري لجونًا والسُّكاري تُميلُـهم نشوةٌ حـــرَّ وارتدت لبدة الأسود كلات المسود كلات المسود وذُرا الراسيات أمست مطايا(٢) والفقاقيعُ قد عَلَتْ قمة السّيد والخريرُ المصدورُ في الجدول الذَّا

نسازفَ القلب ما له من نصير والنفاقُ الخسيسُ جسْرُ العبور؟ بحقوق الإنسان غيرٌ جدير ومُحـــاطٌ بالحبِّ والتقــديـــــر والصوابُ التَّمَامُ شرَّ الشرور أتعـــزَّى بشــــدوها المــــحور ظامئ القلب والهـوى والشعور بلُ خفافيشَ في رياش الصقــور بمغانيه في غياب النسور في جنازات فكرنا المنحور ى للحسن ممسزّق مخمسور وقَطيعُ الحميــر جلــدَ النمـــور لحَصَى الأرض والبُغاث(١) الحقير ل وصارت أميرة للبحرور بل يَطغَى على هَزيم(٥) الهَدير(١)

⁽١) المُعَنَّىٰ: المجهد المتعب.

⁽٢) صبًّا: محبًّا عاشقًا.

⁽٣) الذرا: القمم.

⁽٤) البغاث: ضعيف الطير.

⁽٥) الهزيم: الصوت القويّ.

⁽٦) الهدير: صوت البحر.

والنقيُّ الشريفُ في السِّجنِ يُلقَى والنقيُّ الشريفُ في السِّجنِ يُلقَى والخَـوُونُ اللئيـمُ يُدْعَـى أمينًا غيرُ مستغرب فهـذي أمـورٌ فزمامُ الأمُـورِ في كفِّ أعمـى والعَمَى ليس في العيـون ولكنْ

بينما اللِّص ُفي النعيم النضير والأمينُ النبيالُ جِدُّ خطيرِ عكسُها فتنةُ وضدُّ المسيرِ أسودِ القلبِ مستباحِ الضميرِ في قلوب مطموسة في الصدور

* * *

وأمير ألع ميان يسدلي ابتداء من نشرة اليوم حتى ابتداء من نشرة اليوم حتى ليس «سَحبانُ» (۱) للبيان أمير لا ولا «خالد» بسيف عُضاب (۱) لا ولا «طارق» بسه قد تَجلَّت وصلاح الدين الذي قيل عنه: كلَّ هاذا رجعيَّة وادعاء والسننيروا بحكمتي ومساري وأنا الفذُ قد رصدت حياتي

بيان من قصره المسعور تُبعث الأرضُ أرضُنا للنشور فأنا للبيان خير أمير ما هذى الله عاتيًا كالسعير نصرة الحق والهدى والنور فاتح القدس بالسلام الجسور وانسحابٌ إلى ظلام العصور ما هذى الشعب مثل عقل خبير وجهادي للنور والتنوير

* * *

يا أميرَ العُميان حَسبَك زورًا قد تماديْتَ في هُوى التزويرِ فل أميرَ العُميرِ أنت أوْ في النَّفيرِ فلاَتَ أَوْ في النَّفيرِ

⁽١) سحبان: أفصح أهل عصره، ويضرب به المثل في الفصاحة.

⁽٢) العُضاب: القويُّ القاطع.

فلقد عشت مُنكراً كلَّ حتقً غير أني أقسول أقسولة صدق تعسَت أمة تراخت فصارت يَسدَعي أنه البشير بطبً فساذا طبه خسداع وزور ينكر الأصل والجسدور ويبقي وإذا أنكر الجسدور نيات

وجهولاً مُتوجًا بالغرورِ لا تُبالى بسُلطة أو أميرِ مَرْكبًا هيِّنَا لغِرِرِ مَرْكبًا هيِّنَا لغِرِرِ قادر ناجع جديد مشير يجعلُ السَّهْل ألف ألف عسير في حماهُ الملعون كلَّ عَقورِ مات في لفحة اللَّظي والهجير

* * *

وأُراني أقسول: مهلاً أفيقسي إنَّ تحت الرَّماد نسارًا توارت وارت الخفافيش قد مَللْنا فخلِّي يا خفافيش للخرائب عُودِي يا خفافيش للخرائب عُودِي ارجعي - لا سَلمْت - للقاع حَسْرَى فالنسور التي طواها غيساب والظلام الذي على كلَّ أُفْتِق

يا خفافيش للنذيسر الأخيسر سوف ترمي بجمسرها المستطير ما تبقّى من عُمسرنا المقهور ها هو الفجسر قسادم بالبشير رجعة الخاسس الذليل الحقير عائسدات لوكرها المهجور سوف يُمحَى أمام سيل النور(۱)

^{* * *}

⁽١) الغِرِّ: الساذج ضعيف الفهم.

⁽٢) العدد (٢٨٣٧) من مجلة «الأسرة العربية» ـ الإثنين ٩ جمادي الأولى ١٤٢٧هـ ـ الموافق ٥ يونيو ٢٠٠٦م ـ (ص١٠) ـ قصيدة للدكتور جابر قميحة .

* خليل عبدالكريم و «سنوات التكوين»:

كتب خليل عبدالكريم «سنوات التكوين في حياة الصادق الأمين»، وأصدر «مَجْمَعُ البحوث الإسلامية» قراراً بحَظْرِ تداول وطبع الكتاب، بناء على تقرير قدَّمَتْه إدارة الثقافة والبحوث في المجمع، وكتبه الشيخ عبدالعظيم المطعني. واتهم تقرير الشيخ المطعني الكتاب بإنكار الديانات السماوية والإساءة للرسول عليه الله المساوية والإساءة للرسول عليه الله المساوية والإساءة المرسول عليه الله المساوية والإساءة المرسول المساوية والإساءة المرسول عليه المساوية والإساءة المساوية والمساوية والإساءة المساوية والإساءة المساوية والإساءة المساوية والإساءة المساوية والإساءة المساوية والمساوية والمس

* صلاح الدين محسن، القَرْم وتطاولُه وسخريتُه من القرآن الكريم:

في شهر مارس من عام ٢٠٠٠ - أي قبل صدور رواية «وليمة أعشاب البحر» بنحو شهرين، ألقت سلطات الأمن المصريَّة القبض على «صلاح الدين محسن»، بعد نشره رواية وصف فيها القرآن الكريم بأنه «كتاب الجهل البدوي المقدَّس». وفي شهر يوليو من نفس العام، قضت محكمة أمن الدولة بحبس صلاح الدين محسن «ستة أشهر مع وقف التنفيذ»!!!! وا إسلاماه . واعترضت النيابة العامة على الحكم، واعتبرته «في غاية الرأفة»، فيما رفض رئيس الوزراء «د. عاطف عبيد» المصادقة عليه، وقرَّر إعادة محاكمته، وقالت النيابة : «إنَّ كُتبه تضمَّنت ازدراء عليه الإسلام، وإثارة للنقمة، ومسًا بالذات الإلهية، وإنه زَعَم أنَّ الدين الإسلامي هو السبب في تخلُّف الدول العربية، ودعا إلى قيام رابطة اللملحدين».

وعلى أثره أُلقِيَ القبضُ عليه، وصدر في حقِّه حكمٌ قضائي، بحبسه

⁽۱) مجلة «روز اليوسف - العدد (٣٨٠٩) (ص١٨) - ١٥/٦/١٥.

ثلاث سنوات مع الشغل والنفاذ. . وقرَّر اتحادُ الكُتَّابِ المصريِّين فَصْلَه من عضويَّته (١) .

* حيدر حيدر، وروايته «وليمة أعشاب البحر»:

□ قال الأستاذ محمود سلطان في مقاله عن «وليمة أعشاب البحر» لحيدر حيدر السُّوري: «فمن المعروف أنَّ رواية «حيدر حيدر» كانت من النوع - الذي لا يقتربُ فحسب من توصيفه - إلى ما يُشبِهُ أفلام «البورنو الجنسيَّة»، ولكنها نالت من «القرآن والسُّنة» بلغة مبتذَلة رخيصة، وبمفردات وخطاب تهكُّمِيً ساخر. ويكفئ هنا أن نستعرض خلاصة رأي «مجمع البحوث الإسلامية»، التابع لمشيخة الأزهر في الرواية، إذ يقول البيان: إنَّ الرواية مليئةٌ بالألفاظ والعبارات التي تُحقِّرُ وتُهينُ جميع المقدَّسات الدينية، على في ذلك ذاتُ اللَّه سبحانه وتعالى، والرسولُ عَلَيْهُ، والقرآن الكريم، واليومُ الآخر، والقيمُ الدينيَّة»(٢) .

* الشيطان إبراهيم خلاص:

□ الضابطُ إبراهيم خلاص، الشيطان الذي نَشرت له جريدة «جيش الشعب» مقالاً قال فيه: «إنَّ اللَّهَ والأنبياءَ والكُتبَ المقدَّسةَ ليست سوى محنَّطات يجبُ أن تأخذ مكانَها في مُتحف المخلَّفات الأثرية»(٣).

⁽۱) من مقالة «العلمانيون العرب من محنة الحداثة إلى محنة التنوير» لمحمود سلطان (ص ١٣٩٠ ـ ١٤٣) ـ مجلة «المنار الجديد» ـ العدد (٢٣) ـ يوليو ٢٠٠٣م ـ جمادي الأولى ٤٤٤٤هـ.

⁽٢) المصدر السابق.

⁽٣) نقلاً عن مجلة «الدعوة المصرية» عدد (٧) في ٢٦ غرة محرم ١٣٩٧.

* أدونيس عُرَّاب الحداثة الكارهُ للإسلام: الدكتور عدنان النحوي يدعو أدونيس إلى التوبة والعودة إلى الإسلام:

□ قال الدكتور عدنان النحوي في مقدمة قيصدته «لآلئ الشعر أوزان وقافية»: «كتبتُ قصيدةً في «أدونيس» على إثر إعلانه في جريدة «الشرق الأوسط» أنه يبحثُ عن مهندس يُصمِّمُ له قبره!! قلتُ القصيدة لأبين له ثلاث نقاط:

_إذا مات على كفرِه المُعلَنِ الصريح هلك، وكان من أهل النار .

_وما أدراه كيف يموت وأين يموت؟! .

- وأخيراً أدعوه إلى الإسلام، عسى اللّه أن يغفر له إذا أسلم، وبَعثت بالقصيدة إلى مجلة إسلامية معروفة، عسى أن تبلّغه هذه الرسالة، وتبلّغه دعوتي له إلى الإسلام عن طريق نَشْرِ هذه القصيدة. وبعد فترة ليست بالقصيرة، وجدت أنَّ المجلة لم تنشُرها، فاتصلت هاتفيًّا برئيس التحرير المسلم، أو الداعية المسلم، فماذا أجاب؟ . قال: «القصيدة شديدة عليه»! قلت له: الذي تحدَّىٰ اللَّه وسبَّه وسبَّ رسولَه ﷺ، وأنكر الإيمان، وحارب الإسلام، ولم يُبال بالعالم الإسلامي كلّه، وتحدَّاهم جميعًا، أفأنت ترىٰ القصيدة شديدة عليه؟ وقلت: مع ضعفنا هذا حُقَّ لأدونيس وغيره أن القصيدة شديدة عليه؟ وقلت: مع ضعفنا هذا حُقَّ لأدونيس وغيره أن

أدونيس عرَّابِ الحداثة كان صريحًا في أطروحاته، أراد نَفْيَ الدينِ،

⁽۱) «الشعر المتفلِّت بين النثر والتفعيلة وخطره» للدكتور عدنان النحوي (ص٥٥) ـ دار النحوي.

أو إسقاطَه من معادلة الوجود العربي، ويستتبعُ ذلك إسقاطُ كلِّ ما يتعلَّقُ بالإسلام من مقوِّمات حضارية ولُغويَّة وتصوُّرية، وهو ما عَبَّر عنه أدونيس بالانفصال كُلِيًّا عن الماضي الذي صَنَعه الإسلام، ولذا نشر أدونيس في مجلته «مواقف» موضوعات عديدة تتعرَّضُ بالنقد للدين والوَحْي، وتكلَّم عمَّا سَمَّاه بالتناقض في الوحي (!!).

□ انظر إلى هذا الشيطان الأقّاك الأثيم الذي يَمضي في عالم التّيه والسّراب والظُّلمات والوادي السحيق، يَنتقلُ بعد ذلك إلى أخطر جريمة، وأسوء كلّمة، وأقبح تَصورُ وأوقح تعبير، ينتقلُ بشكل سافر واضح ليهدم العقيدة والإيان بهجوم مباشر فيقول: «اللّه في التصورُ الإسلاميِ التقليديِّ نقطة ثابتة متعالية، منفصلة عن الإنسان، التصورُّ فَ ذَوَّبَ ثبات الألوهية، جَعَل حركة النفس في أغوارها، أزالَ الحاجز بينه وبين الإنسان. وبهذا المعنى قتكه «أي: اللّه»، وأعطى الإنسان طاقاته.

المتصوِّفُ يحيا في سُكْر يَسكرُ بدَورِهِ العالَم، وهذا السُّكرُ نابعٌ من قُدْرتِهِ الكامنةِ على أن يكونَ هو واللَّهُ واحدًا، صارت المعجزةُ تتحرَّكُ بين يديْه»(١).

وهكذا يَسفُ أدونيس ويَهوي في واد سحِيق، يَهوِي في وُحول، ويَسقطُ في رِجْس، ونستحي أن نُعيدَ ألفاظَه، فهي أقبحُ من كلِّ تعليق، ورِدَّةٌ واضحةٌ كالشمس في رابعة النهار، لا يختلفُ فيها اثنان.

□ يقول الدكتور عدنان النحوي: «هذا كاتبٌ واحدٌ مِن كُتَّابِ

⁽١) «مقدمة في الشعر العربي» لأدونيس (ص١٣١).

«الحَدَاثة»، فما بالُك بغيرِه من الكُتَّاب، وإني أعترف أن استعراض كتاباتِهم جميعِها ضروريَّة، حتى نعرف الخطَّ الذي يُرسَم، والحرب التي تُشَنُّ».

□ وقال الأستاذ محمد مصطفى هَدَّارة عن «الحداثة»: «إنها اتِّجاهُ فَكريُّ أَشدُّ خطورةً من «الليبرالية والعلمانية والماركسية» وكلِّ ما عَرَفَتْه البشريةُ من مذاهب واتجاهات هدَّامة ـ ذلك أنها تتضمَّنُ كلَّ هذه المذاهب والاتجاهات، وهي لا تخصُّ مجالات الإبداع الفنِّيِّ أو النقد الأدبي، ولكنها تَعُمُّ الحياة الإنسانية في كلِّ مجالاتها الماديَّة والفكرية على السواء»(١).

* نزار قبَّاني الزنديق، شاعر الإِباحية وتطاوله على الذات العَليَّة ومَقامِ الأنبياء:

◘ يقول: لا تَخْجلي منِّي فهذِي فُرصتي

لأكون ربًّا أو أكون رسو لا (٢)

🗖 ويقول: وطنٌ بدون نوافد

هَرَبتُ شوارعُه. . مَآذَنُه . . كنائسُه . .

وَفَرَّ اللَّهُ مذعوراً

وَفَرَّ جميعُ الأنبياء (٣) .

◘ وهو القائل: شكرًا لحُبِّك. . فهو مَروحةٌ . . وغَمامةٌ وَرديَّة . .

⁽١) «الحداثة من منظور إيماني» لعدنان النحوي (ص ٠ ٤) ـ دار النحوي.

⁽٢) «المجموعة الكاملة» لنزار قباني (٢/ ٧٦١).

⁽٣) قصيدة «هل تسمعين صهيل أحزاني» (ص١٨٨).

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياء(١)

◘ ويقول: مارستُ ألفَ عبادةٍ وعبادةٍ

فوجدتُ أفضلَها عبادةَ ذاتي (٢) .

🗳 ويقول: أين غرورُ اللَّه من غروري^(٣)

 □ وهو القائل: لو كنتُ حاكمًا لألغيتُ مؤسسة الزواج، وختمتُ أبوابها بالشمع الأحمر.

□ وهو القائل: العُريُ أكثرُ حِشمةً من التستر.

□ وفي قصيدته: «أفتح صندوق أبي» أعلن رَفْضَه لكلِّ ما هو عربيٌّ
 وإسلاميُّ(١) .

□ وهو القائل: حين وَزَّع اللَّهُ النساءَ على الرجال
 وأعطاني إياك

شعرتُ أنه انحاز بصورة مكشوفة إليَّ وخالف كلَّ الكُتبَ السَّماوية التي الَّفَها فأعطاني النبيذَ وأعطاهم الجنطة حين عرَّ فني اللَّهُ عليكِ ذَهب إلى بيته فاللَّه كما قالوا لى لا يَستلمُ إلاَّ رسائلَ الحبِّرِه، .

⁽١) «أشعار خارجة على القانون» لنزار قباني (ص٢٧).

⁽٢) «ديوان الرسم بالكلمات» لنزار (ص١٧).

⁽٣) «خطاب من حبيبتي» لنزار (ص٤٢٦).

⁽٤) «الصحافة والأقلام المسمومة» لأنور الجندي (ص١٦٧ ـ ١٦٨).

^{(0) «}الأعمال الشعرية ـ الكاملة لنزار» (٢/ ٤٠٢).

□ وعلى الدرب سار محمود درويش القائل:

نامِي فعينُ اللَّهِ نائمةٌ عنَّا . . وأسرابُ الشحارير (١) .

والقائل: كلُّ قاضٍ كان جَزَّارًا تدرَّج في النبوءة والخطيئة(٢).

□ وصلاح عبدالصبور، وعبدالوهاب البياتي، وبدر شاكر السيَّاب، وبلند الحيدري، ويوسف إدريس، ويوسف السباعي، وأنيس منصور، وأمينة السعيد، ونوال السعداوي، وإقبال بركة، وعبدالعزيز المقالح، وأمل دنقل. وغيرهم وغيرهم.

هذا النَّبْتُ الشيطانيُّ لا يُسْكَتُ عليه أبدًا، فهم جنودُ الشياطين الذين فاقُوه مَكرًا ودَهاءً وكَيدًا للإسلام وشعائرِه، وعوامُّ المسلمين لا يَفطِنون لشُبَهِهِم لقِلَّةِ عِلمهم وضعفهم.

□ يقول الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «أليس ضعف المسلمين في هذه الأوقات يُوجب لأهل البصائر والنجدة منهم أن يكون جد هم ونشاطهم وجهادهم الأكبر متضاعفًا، ويقوموا بكل ما في وسعهم لينالوا المقامات الشامخة، ولينجوا من الهُوَّة العميقة التي وقعوا فيها؟ أليس هذا مِن أفرض الفرائض وألزم اللازمات في هذه الحال؟»(٣).

* حَسَن طلب مُسيلمة الكذَّاب وكتابُه «آية جيم» الذي يعارض به القرآن الكريم:

الاعتمادُ على حرفٍ من حروفِ المعجم هو تقليعةٌ «مملوكية»، بَعَثها

⁽١، ٢) «الأعمال الكاملة» لمحمود درويش.

⁽٣) «انتصار الحق» (ص٧) للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ـ المكتبة السلفية .

كُتَّابُ وشُعراءُ «الهالوك» مرةً أخرى، وزَعموا «حداثيّتها»، حيث كان الشعراء في أواخر العصر المملوكي يأخذون من أحد الحروف - أو أكثر من حرف - وسيلة في نَظْمِهم للتدليل على قُدرتِهم اللغوية، والعَرُوضية، وقُدرتِهم أيضًا في مجال القافية، وأبرزُ الأمثلة على ذلك ما عُرف بالبديعيات والألغاز والتواريخ، وقد ازدَهرت جميعًا في العصر العثماني، وجاء «الهالوك»، ليخدَعوا الناس بقُدرتِهم على التجديد والإتيان بما لم تأت به الأوائل، وما دروا أنهم قَدَّموا «تقليعة» رديئة كانت مَظهرًا من مَظاهر الضَّعف والخواء في العصرين المملوكي والعثماني.

صاحب "آية جيم" لم يُقدِّمْ فيها أكثر من نَظم لمعاني "حرف الجيم" الموجودة في المعاجم، وهو نَظمٌ باردٌ وركيك، يدلُّ على أن صاحبه يهزأُ بالعقول والأفئدة، فضلاً عن جراءته على المفهوم القرآني لمعنى كلمة "آية" حيثُ اتَّخذ منها عُنوانًا لمنظومته الردئية، فضلاً عن ادِّعائه وافترائه بأنَّ القرآن قد ظَلَم حرف "الجيم" بعدم استخدام ألفاظ تعتمدُ عليه. . تُرى ماذا في هذا النصِّ من قيم شعرية عالية؟ يقول:

"جيمٌ جَمَزت أم جيمٌ بَجمَت؟ جيمٌ من يأجوج ومأجوج تَجُخُ وتجأر عيمٌ كالجلواز الأعْجَر وجيمٌ المسجونة وجُهاداها: إجهاض الجيم المسجونة بين الجامع والمتجر عجاهر :

جيمٌ تتفجّرُ؟!».

□ ترى بماذا نَخرجُ من هذا الكلام؟ وما هي القيمُ الجَمَاليَّةُ التي يُمثِّلُها ويؤدِّيها؟! ثم لْنقرأ قوله:

«جيمٌ حَجْناء، وجِيمٌ جَبَّاء، وجيمٌ بَجْراء، وجيمٌ عَجراء، وجيمٌ جيميه. مَن جَعَل الجيمَ مفاجأةً وأهازيج جزافيه؟ »(١).

هل زاد المذكور على رص معاني «الجيم» المعجمية؟! .

هل أضاف جديدًا بتساؤله عن الجيم المفاجأة والأهازيج الجزافية؟! ألا يُذَكِّرُنا ذلك عَن كان يقول: «الأرضُ أرضٌ والسماءُ سماءٌ»؟!.

□ وإليك مقطعًا آخر ، يقول فيه صاحب «الجيم العجراء»:

«الجيمُ الجعرانية جابَهَت الجيمَ السنجانية

فانبعكجت جيم الأيديولوجية

وتوجَّست الجيمُ الجيماء

فما جدوي جيمين هما جيم الشجب

أو الجيم الجلاتينية؟»(٢) .

* الهيئة المصرية للكتاب تطبع قرآن مسيلمة الكذَّاب!!

□ تحت هذا العنوان كتب الشيخ صفوت الشوادفي ـ رحمه الله ـ في

⁽۱) حسن طلب، مجلة «إبداع»، عدد ۱۲، ديسمبر ۱۹۹۱، (ص٥١)، والمنشور في «إبداع» جزء مما نشر بالديوان.

⁽١) انظر «آية جيم» لحسن طلب ـ الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٢، و «الورد والهالوك شعراء السبعينات في مصر» لحلمي القاعود (ص١٩٨٠ ـ ٢٠٠) ـ دار الاعتصام.

مجلة أنصار السنة المحمدية: «في هذه السَّنة ظَهَرت كُتبٌ وأقلامٌ كثيرةٌ تُحاربُ الإسلامَ وتَنالُ منه في بلده، ولكنَّ العجيبَ والغريبَ أن يَظهَرَ كِتابٌ يُضاهِي القرآن، يُقسِّمُه مؤلِّفُه إلى سور ويسميه: «آية جيم»!!!.

والأعجبُ والأغربُ أن تقومَ «الهيئة المصرية للكتاب» التابعة لوزارة الثقافة بطبعه ونشره! .

□ ومؤلّفُ الكتابِ يَستعيذُ بالشّعبِ بدلاً من اللّه، فيقول: «أعوذُ بالشّعبِ من السلطان الغشيم، باسم الجيم».

ولا نَدري من هو السلطانُ الغَشيمُ الذي يَقصدُه.

الشيطان من يُقسم الكتاب إلى خَمس سُور، وكل سُورة لها اسم يختص اللها، وكل السورة الخامسة، ففيها قرآن بها، وكل السورة الخامسة، ففيها قرآن الشيطان من قول الشيطان من قراب الشيطان من قراب الشيطان من الخيم، والجنّة والجحيم، ومجتمع النجوم، إنكم ستفجأون، كم وددتم لو ترجأون، إلى يوم لا جيم ولا جيوم، فإذا جد الهجوم، فأجهشت الجسوم، فسجرت الجيم، ومن أدراك ما الجيم، فإذا مزجنا الأجيام مزجًا، ثم مخجنا جُرْجَهُنَّ مخجًا، ثم مججناهن مجًّا، قل يا أيها المجرمون إنكم يومئذ لفي وجوم، تستنجدون فلا تُنجدون، وقل يا أيها الراجون، إنكم يومئذ الناجون، جاءتكم الجيم بما كنتم تستعجلون، ما لكم كيف لا يتهجون، ولآية الجيم لا تسجدون، وبإعجازها لا تلهجون».

□ إلى أن قال في نهاية السورة: «الجيم جلّ جلالُها. . صَدَقَ الحرفُ الرجيم».

□ ومع هذا فليس العَجَبُ في طَبعِ الكتاب، بل العَجَبُ الذي لا يَنقضي أن تَطبع وزارةُ الثقافة هذا الكتابَ ضمنَ كُتبِ الهيئةِ في الوقتِ الذي يَّتفقُ فيه الجميعُ على وجوبِ الدعوةِ إلى استقرارِ المجتمع.

□ ومَن المسؤول عن علامة الاستفهام التي كُتب قبلها: كيف يُطبعُ مثلُ هذا الكتابِ في دولة مُسلِمة يُعلَنُ فيها أننا لسنا ضدَّ الشريعة؟ ولماذا يظهرُ الكتابُ في هذا الوقت بالذات؟ ومَن الذي وراء مخطَّط الإثارة والتخريب في هذا البلد؟؟ أليس هذا الكتابُ وغيرُه من مطبوعات الهيئة يُحقِّقُ أحد أهداف الصهيونية العالمية الذي يَنصُّ على ضرورة إثارة الحكومة ضدَّ الشعب، وإثارة الشعب ضد الحكومة؟!!.

الله وهل تَغَلَّغَلَت الماسونيةُ العالميةُ إلى هذا الحدِّ الذي تُسيطرُ فيه على وزارة الثقافة المصرية وتُوجِّهُ مسيرتَها داخلَ الهيئةِ وخارجَ الهيئة، وإذا لم يكن هذا تطرُّفا، فماذا يكون التطرُّف؟!!.

الأخطار الفكرية التي تؤدِّي به إلى عواقب لا يَخفَى على أحد خطرُها؟ إنَّ الاستقرار الذي نَنشُده لهذا البلد له طريقٌ واحدٌ يَعرفُه مَن يَعرِفُ جوابَ الأسئلة السابقة ويَجهلُه مَن يَجهلُها!!.

واللَّهُ يقولُ الحقَّ وهو يَهدِي السبيل، وصلَّىٰ اللَّه علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه »(۱) .

⁽١) «مصابيح أضاءت لنا الطريق» لصفوت الشوادفي - رحمه اللَّه -.

نِفَاقُ علماء السُّوء وخُطبائه، والتعريضُ خُفيةً، والإساءةُ إلى مَقام رَسول اللَّه ﷺ

* الشيخ محمد المهدي يعرّض برسول الله عليه أمام السلطان فيأمر الشيخ محمد شاكر المصلين بإعادة صلاة الجمعة ظهرًا لكفر الخطيب الإمام:

□ قال الشيخ أحمد محمد شاكر في كتابه «كلمة الحق»: «كان الشيخ «طه حسين» طالبًا بالجامعة المصريَّة القديمة حين كانت متشرِّفة برياسة سُمُو الأمير فؤاد ـ «حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد» ـ رحمه اللَّه ـ، وتَقَرَّر إرسالُه في بَعثة إلى أوربا، فأراد صاحبُ العظمة «السلطان حسين» ـ رحمه اللَّه ـ أن يُكرِمَه بعطفه ورعايته، فاستقبلَه في قَصْرِه استقبالاً كريًا، وحباه هَديَّة قيِّمة المَغْزَىٰ والمعنى.

وكان من خُطباء المساجد التابعين لوزارة الأوقاف، خطيب فصحيح متكلِّم مقتدر ، هو الشيخ «محمد المهدي» خطيب مسجد «غربان»، وكان السلطان حسين ـ رحمه اللَّه ـ مواظبًا على صلاة الجمعة في حَفل فَخم جليل، يَحضُره العلماء والوزراء والكبراء.

فصلًى الجمعة يومًا ما، بمسجد «المدبولي» القريب من «قصر عابدين» العامر، ونَدَبَتْ وزارة الأوقاف ذلك الخطيب لذلك اليوم، وأراد الخطيب أن يَمْدَحَ عَظَمة السلطان، وأنْ يُنوِّه بما أكرَم الشيخ طه حسين وحُق له أن يَفعل المون خانته فصاحته، وغلبه حب التغالي في المدح، فزل زلَّة لم تَقُم له قائمة من بعدها، إذ قال أثناء خُطبته: «جاءه الأعمى، فما عبس في وجهه وما تَولَى،

وكان من شُهود هذه الصلاة والدي الشيخ «محمد شاكر» وكيل الأزهر سابقًا ـ رحمه الله ـ، فقام بعد الصلاة يُعلِنُ للناس في المسجد أنَّ صلاتَهم باطلة، وأمرهم أن يُعيدوا صلاة الظُهر، فأعادُوها، ذلك أن الخطيب كفر بما شتم به الرسول عَلَيْ تعريضًا لا تصريحًا . وجاء الخطيب الأحمق الجاهل يريد أن يتملَّق عظمة السلطان ـ رحمه الله ـ، فمدَحه بما يُوهم السامع أنه يُريد إظهار مَنْقَبة لعظمته، بالقياس إلى ما عاتب اللَّه عليه رسولَه، واستغفر من حكاية هذا، فكان صنع الخطيب المسكين تعريضًا برسول اللَّه عَليه السلطان نفسه .

ثم ذَهَب الوالدُ ـ رحمه اللَّه ـ فورًا إلى «قصر عابدين» العامر، وقابل «محمود شكري باشا»، وهو صديقٌ له حميم، وكان رئيسَ الديوانِ إذ ذاك، وطلَب منه أن يَرفعَ الأمرَ إلى عظمة السلطان، وأن يُبلِّغَه حُكمَ الشرع في هذا بوجوب إعادة الصلاة التي بَطلَت بكُفْر الخطيب، ولم يَتردَّد «شكري باشا» في قبول ما حُمَّل من الأمانة، واعتقد أن عظمة السلطان لم يتردَّد في قبول حُكم الشرع بإعادة الصلاة.

ولكن الله لم يَدَع لهذا المجرم جُرْمَه في الدنيا، قَبْل أن يَجزيه جزاءَه في الأخرى، فأُقسِمُ بالله، لقد رأيتُه بعَيْنَي رأسي، بعد بضع سنين، وبعد أن كان عاليًا متنفِّخًا، مستعزًّا بَن لأذ بهم من العظماء والكبراء، رأيتُه مهينًا، خادمًا على باب مسجدٍ من مساجدِ القاهرة يتلقَّى نعالَ المُصلِّين يَحفظُها في ذلَّة وصَغار»(١).

⁽١) «كلمة الحق» للشيخ أحمد محمد شاكر (ص١٤٩ ـ ١٥٣) ـ مكتبة السُّنَّة .

* أحمد حسن الزَّيَّات، يُنافقُ عبدالناصر، فيقول: «الوحدةُ الناصريَّة أَبْقى وأَنْمى من الوحدةِ المحمديَّة»، فيرُد عليه الشيخ محمود فايد بمقاليْن:

* كتب الشيخ «محمود فايد» تحت عنوان:

«الوحدة المحمديَّة خيرٌ وأبقى من الوحدة الناصريَّة» «ردُّ على مقال أحمد حسن الزيات بمجلة الأزهر»

«نُشرت في «الاعتصام»، عدد ربيع الأول عام ١٣٨٣هـ الموافق أغسطس عام ١٩٦٣م في حياة عبدالناصر».

□ في مجلة «الأزهر» شهر المحرم سنة ١٣٨٣هـ كتب مديرُها ورئيسُ تحريرها «أحمد حسن الزيات» مقالاً تحت عنوان: «أُمَّةُ التوحيد تتوحَّد»، وقد جاء فيه ما نصه (ص٤ ـ س٧ ـ ١٨): «إنَّ الوحدةَ المحمديةَ كانت كُلِّةً عامةً؛ لأنها قامت على العقيدة . ولكنَّ العقيدة مهما تَدُم قد تَضْعُفُ أو تُحوَّل . وإنَّ الوحدةَ الصلاحية كانت جُزئيةً خاصةً؛ لأنها قامت على السلطان . والسلطان يعتريه الوهنُ فيزول . أمَّا الوحدةُ الناصرية ، فباقيةٌ ناميةٌ؛ لأنها تقومُ على الاشتراكية في الرزق، والحرية في الرأي، والديمقراطية في الحكم . وهذه المقوِّماتُ الثلاثةُ ضَمانٌ دائمٌ للوحدة ألاً تَستأثر فتُستغلَّ . وألاً تَستبدَّ فتَطغى . وألاً تَحكُم فتتحكم . والأَثرَةُ والطماعية ، والطغيانُ والحَسدُ كانت ـ وما زالت ـ علَّةَ العللِ في فساد الزمان وهلاك الأم».

هذا نصُّ ما كتبه «الزيات» في مجلة تَنطقُ بلسان «الأزهر» وتحملُ

عنوانه، وتتكلَّمُ باسم علماء الإسلام. ولو قرأنا هذا في مجلة «روز اليوسف» لقلنا: «الشيء من مَعدنه لا يُستغرب»، ولكن الذي يَحُزُّ في النفس أن يُنشَر مثلُ هذا الضلال في مجلة «الأزهر»، وأن يكون الكاتب والناشر مديرها وئيس تحريرها، وأن يُستدعى الزيات من خارج الأزهر بعد أن تجاوز سن المُحالين على المعاش من أبنائه ليقبض على مثل هذا المقال الهدام مئة جنيه من نفس خزانة الأزهر . وأشدُّ من هذا وأنكى أن يُباع مثل هذا الهراء للناس على أنه دين خالص، وعلم مصفًى . . رَحِم اللَّهُ الشاعر الذي يقول:

ولو كان همًّا واحدًا لاحتملتُه ولكنَّـه همٌٌ وثـــانٍ وثالثُ * مناقشةُ الزيات في مقاله:

□ يقول الزيات: «إنَّ الوحدةَ المحمدية كانت كُلِّيَّةً عامةً؛ لأنها قامت على العقيدة.. ولكنَّ العقيدة مهما تَدُمْ قد تَضعُفُ أو تُحوَّل».

ماذا يقصدُ الزياتُ بهذا؟ أيقصدُ أن يَصرِفَ الناسَ عن رسالة محمد وَيَجِدُون وَأَن يُوجَّهُ أنظارَهم إلى جهة أخرى يُقيمون عليها وحدتَهم، ويَجِدُون لديها من وسائل الهناءة والسعادة ما لا يَجدونه لدى رسول اللَّه عَلَيْهُ؟! وهل يؤمنُ معي بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الانبياء: ١٠٧]، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مَن أَنفُسِهِمْ يَتُلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهُ وَيُوكِيهِمْ ويُعلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مَّبِينِ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فَيكُمْ رَسُولاً مَن شَلُمُ مُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مَّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فَيكُمْ رَسُولاً مَنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزكِيكُمْ ويُعلَمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعلِّمُكُم مَّا لَمْ

تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ وَإِنْ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ تكُونُوا بِي وَلا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥١]؟!.

لقد أنقَذَتِ الرسالةُ المحمديةُ العَرَبَ من الضلالة، وعَلَّمَتْهم بعدَ جَهَالة، وأزالت عن قلوبهم العَماية والغواية، وأبعدَتْ عنهم خُرافات الجاهلية، وأباطيلَ الوثنية، وحَرَّرَتْهم من العُبودية، وألَّفت بين قلوبهم كما يقول تعالى: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الانفال: ٣٣].

* يا أستاذ زيات:

إِن محمدًا عَلَيْهِ أُوحِي إليه، وما جاء به هو من قبل الله. . ولقد كان يقولُ كما عَلَّمه المولئ: ﴿ إِنْ أَتَبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الاحقاف: ٩]، أَفْتَرَىٰ أَن ما جاء به البَشرُ أحكَمُ مما جاء به ربُّ البشر؟! صَدَق اللَّهُ العظيم إذ يقول: ﴿ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٠].

* يا أستاذ زيات:

إِنَّ الوحدةَ المحمديةَ التي تَزعمُ أنها قامت على أساسٍ قد يَضعُفُ ثم ينهار، هي الوحدةُ التي أشاد اللَّهُ بها، ونَوَّه بذكْرِها في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِه إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَة إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِه إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَة مِن النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾

إنَّ هذه الوحدة المحمدية قامت على أساسٍ من تعاليم الإسلام. والإسلام ليس عقيدة فحسب ـ كما حسبت ـ ، بل هو عقيدة وشريعة و ونظام كامل . ومنهاج واف للناس في كل نواحي الحياة . عقيدة تُوثِّقُ العلاقة بين الناس بعضهم مع العلاقة بين العبد والرب . وشريعة تُوثِّقُ العلاقة بين الناس بعضهم مع بعض . عقيدة تملأ القلب أمنا وإيمانا . وشريعة تملأ الكوْن سلاما وإسلاما، ومَحبَّة ووئاما . لقد تَذوَّق العرب طَعْم الوحدة، وأحسُوا بحلاوتها، وشعروا بلذتها بعد أن بايعوا النبي محمدا على وحد، وكتابهم واحد، ولاينهم واحد، وحدة العقيدة، ووحدة ودينهم واحد، وقبلتهم واحد، واحدة العقيدة، ووحدة العبادة»(۱) .

* ثم كتب بعد كلام طويل رائع:

الزيات ينافقُ طُولَ حياته:

□ «طبيعةُ النفاقِ يبدو أنها متأصِّلةٌ في الأستاذ الزيات.. نَمَا عليها وشَبَّ، وشاخ فيها.. ونَضَعُ أمامَ القُرَّاءِ عَيِّنةً مما كتَب، وهو الأديب الذي يقول: «الأدبُ رسالةٌ، يُوجِّه ولا يُوجَّه».

في أُخريات أيام «فاروق»، وبالضبط في ٢٥ مايو سنة ١٩٥٢ كتب الأديب الكبير في مجلة «الأزهر» مجلد ٢٣ جزء ٩ ما نصه: «بسم الله جلّ السمه، وعزّ حُكمُه. . مُنزل كتابه هُدًى، ومُرسِل رسوله رحمة، وبهَدْي صاحب الرسالة محمد صلوات الله عليه . . لسان الوحي، ومنهاج الشرع، (١) كتاب «صيحة الحق» للشيخ محمود عبدالوهاب فايد (ص٥٧-٥٩).

ومعجزة البلاغ . . وبعطف صاحب الجلالة الفاروق . . ناصر الإسلام ، ومؤيّد العروبة ، وحامي الأزهر ، أعزّ اللّهُ نَصْرَه ، وجَمَّل بالعلوم والآداب عَصْرَه » .

هذا نص ما افتتك به الأديب الزيات مجلة «الأزهر» قبل طرد «فاروق» بشهرين. وننشر إلى جانب ذلك ما افتتك به مجلة «الأزهر» في يولية سنة بشهرين. وننشر إلى جانب ذلك ما افتتك به مجلة «الأزهر» في يولية سنة ١٩٦٠ مجلد ٣٢ جزء ٢: «كان مَلكًا على مصر قبل يوم ٣٣ يوليو، وكان آية من آيات إبليس في الجُرأة على دين الله، وعلى حُرم الناس. بَلغ من جُرأته على الله أنه كان ـ كما حَدَّني أحد بطانته المُقرَّبين إليه ـ إذا اضطرَّته رسوم المُلك أنْ يَشْهُدَ صلاة الجمعة، خَرَج إليها من المَضْجَع الحرام، فصكلاً ها من غير غُسْل ولا وُضوء، وأدّاها من غير فاتحة ولا تشهد، وكان يقول: «إن أخوف ما أخافه أنْ يَعْلبني الضَّحك وأنا أتابع الإمام في هذه الحركات العجيبة». وبكغ من جُرأته على المُحرَّمات أنه كان يغتصب الزوجة ويقتُلُ الزوج، ويسرقُ الدولة، ويُسفّه الحق، ويأخذُ الرِّشا. ثم الزوجة ويقتُلُ الزوج، ويَسرقُ الدولة، ويُسفّه الحق، ويأخذُ الرِّشا. ثم أمْلَىٰ له الغرور، فتبجَّح وتَوقَّح وطَغي (!!!)».

هكذا تَجرَّأُ الزيَّاتُ على فاروق بعد طرده. . وقد كان يُدَبِّجُ له المدائح في عهده . . وهكذا يكتبُ عنه جليسُ بطانته ، وأنيسُ حاشيته!! .

نعم. . لقد عاش الزيَّاتُ هكذا طولَ حياته ، يكتُبُ ما يَرُوجُ ، ويَنشُرُ ما يَجْلِبُ له النِّعمةَ والعافية . . وحَسبُه أنه ظَفِرَ في عهد فاروق بلقب «صاحب العزَّة» ، وظَفِرَ في هذا العهد بأكرم جائزة . . وفي مجلة «الأزهر» ، لا زال «يستأثر فيستغلُّ» ، فيقبضُ منها مئةَ جنيه ليُخرجَ عَدَدَ ذي القَعدة ضِمنَ ذي الحجَّة ، وليُصدِرَ عدد محرم في شهر صفر ، وليكتُبَ فيها القَعدة ضِمنَ ذي الحجَّة ، وليُصدِرَ عدد محرم في شهر صفر ، وليكتُبَ فيها

كلامًا إِنشائيًّا يَمُجُّه كلُّ مَن كان له ذَوقٌ سليم».

ثم قال: «لا نخافُ على رسولِ اللَّه ﷺ مِنِ استهانةِ بعض الكُتَّابِ بوحدتِه التي جاء بها. . ولكِنَّا نَخافُ على الأُمَّةِ إذا هي انحَدَرتْ إلى هذا المستوىٰ.

لقد بَلَغ رسولُ اللَّه ﷺ مكانًا عالِيًا لم يَبْلُغُه نبيٌّ. . فَضْلاً عن أن ينالَه وَلَى "أوْ غيرُ وليٍّ . .

كَيْفٌ تَـرْقَى رُّقيَّـكَ الأنبيـاءُ يا سـماءَ ما طاولتها سـماءُ! لم يُسـاوُوكَ في عُلاكَ وقـدْ حـال سَـنًا منك دونَهم وسناءُ

□ إنَّ رسولَ اللَّه عَلَيْهُ في غنَّى عنَّا وعن دفاعنا جميعًا بما حباه اللَّهُ من مكانه عالية، ومنزلة ساميةً.. وإذا كنتُ قد بادرتُ بالردِّ على الأستاذ الزيَّات.. فذلك لاعتقادي أني أدافعُ عن «الأزهر» ومحلَّته وسُمْعته ورسالته.. بل لاعتقادي أني أدافعُ عن وجودي ووجود المسلمين الذي وَجَدُوا العزَّةُ والكرامة، والهناءة والسعادة، والقُوَّة والغنى، والحضارة والمَدنيّة، والمساواة والحُريّة، والعدالة الاجتماعية في مبادئِ الوحدة المحمديّة التي جاء بها سيِّد البشرية صلواتُ اللَّه وسلامه عليه.. وما ضرَّ الرسولَ عَيْنِيَةٌ أنْ يأتي أحدُ الكُتَّابِ يَنتقِصُ مما جاء، أو يستهينُ بمبادئه:

ما ضرَّ شمسَ الضحافي الأُنْقِ طالعةً ألاَّ يَرَى ضَوءَها مَنْ ليس ذا بصرِ إن محمدًا ﷺ لا يزالُ اسمُه يُدَوِّي على المنابِرِ والمآذنِ في مشارِقِ الأرضِ ومغارِبها، آناءَ الليل وأطرافَ النهار.. وحَسْبُه أَنَّ اللَّهَ رَفَعَ ذَكْرَه،

⁽١) المصدر السابق (ص٧٧ ـ ٧٨).

وطَيَّب نَشْرَه، وخَلَّدَ أَثَرَه، وجَعَل له لسانَ صِدِقٍ في الآخِرِين، وفي أفواهِ الملايين. .

* قال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿ الشَّرِحِ: ١-٤] . اهم. * مقالةٌ ثانية للشيخ محمود عبدالوهاب فايد نُصرةً لرسول اللَّه ﷺ ، ورَدًّا على الزَّيات :

مع الزيَّات . . مَرَّةً أخرى :

* مَن لم يحترم الرسولَ ﷺ فلا حُرْمةَ له'' :

لم يكُنْ في نيّتي أن أكتب عن الزيات بعد ما كتبته عنه في العدد السابق. غير أن الحقائق المؤسفة التي سمعتها عنه، والهراء الذي قرأته له . دَفَعني كلُّ ذلك إلى الكتابة عنه مرةً أخرى . ردعًا له بعد أن خان البيت الذي نَمّاه، والأزهر الذي آواه . حَضَرتُ جزءً من التحقيق الشّقوي الذي قام به أمينُ «مجمع البحوث الإسلامية» في مقال الزيات . فهالني أن أسمع أنَّ مُصحع المجلة نبّة الزيات لخطئه وضلاله قبل طبع مقاله . ولكنه أبي واستكبر، وعاند وأصرَّ، وأخذتُه العزَّة بالإثم، فاستبقى هذه الفقرة الخطيرة المثيرة : «إن الوحدة المحمدية كانت كليّة عامةً . لأنها قامت على العقيدة . ولكن العقيدة مهما تَدُمْ قد تَضعفُ أو تُحول، وإن الوحدة الصلاحية كانت جزئية خاصةً . . لأنها قامت على الصلاحية كانت جزئية خاصةً . . لأنها قامت على السلطان . . والسلطان . . ولكن المورو يقور و المورو و المورو

 ⁽١) نشرت بمجلة «الاعتصام» في عدد ربيع الآخر سنة ١٣٨٣هـ ـ الموافق سبتمبر سنة ١٩٦٣ .

يعتريه الوَهْنُ فيزول. . أما الوحدةُ الناصرية، فباقيةٌ نامية، لأنها تقومُ على الاشتراكيةِ في الرزق، والحريةِ في الرأي، والديمقراطيةِ في الحُكم».

أصر الزيات على نشر هذه الفقرة، وأعرض عن نصح الناصحين له، وتجاهل القيم الإسلامية، وتطاول على الحضرة النبوية، واعتدى - مع سبق الإصرار والترصد - على «الأزهر» ورسالته، وأساء بقصد الاستغلال إلى مجلته وكرامته، ﴿ وَمَنَ النَّاسِ مَن يُعْجبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُو أَلَدُ الْخصام ﴿ إِنَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُو أَلَدُ الْخصام ﴿ إِنَ اللَّهُ الْفُسَادَ ﴿ وَإِذَا تَولَىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْاكَ الْحَرْثُ وَالنَّسْلُ وَاللَّهُ لا يُحبُ الفَسَادَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ وَيُها لَا يُحبُ الفَسَادَ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتُهُ الْعَرَّةُ بِالإِثْم فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبئسَ الْمَهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠١٠-٢٠١].

لقد أراد الزيات أن يحظى بالمال الوفير، والمرتّب الكبير، فكتب يُعلِنُ عن نفاقه مبديًا سَوْأَتَه، كاشفًا عورته. وأقام البرهان ـ بتجاهُله لِنُصح الناصحين ـ على أنه ليس في قلبه للّه خشية، ولا في نفسه لرسوله هيبة، وأنه ـ على شيخوخته ـ لا يزال تائهًا في ضلالاته، حائرًا في ظُلماته، لا يُحرِّكُ قلمه إلاّ رنين الدينار والدرهم، ولا يُغذِي خيالَه إلاّ بريقُ المرتّب والمغنّم!!

نَشَر الزياتُ ثيابَه القذرة على مرأًى من الناس، وفَوق مئذنة الأزهر، فثار الأزهريُّون، وهاجت الأمة، وارتفعت أصوات الشعب تُطالِبُ بتنحيته، وأصدرت جبهة العلماء بيانًا حكمت فيه بإلحاده وردَّته، وشنّت المجلاَّتُ الدينيةُ الحُرَّةُ ـ أمثالُ «الاعتصام» و«لواء الإسلام» و«العشيرة المحمدية» ـ حَمْلتَها عليه، ووجَّهت سهام نَقْدها إليه، وخَشي الزياتُ أن يستجيب الحُكَّامُ لرغبة الأمة فحنَى قامتَه، وطأطأ هامتَه، وطلع على الناس

بإيضاح وبيان عسى أن تهدأ النفوسُ الهائجة . ولكنَّ البيانَ الذي أصدره على الرغم من أنه أشير عليه بتعديله ثلاث مرات كان بيانًا متهافتًا يَفضحُ صاحبَه ، ويُخزِي كاتبَه ، ولْننظُرْ في بيانه ، ولْنقرأ مقالَه من عنوانه : «وحدة . لا وحدتان».

□ يا زيات، لقد ذكرْت في مقالِك المسموم المشؤوم ثلاث وحدات، وجَعَلْت ككلِّ وحدة خصائص وعيزات، وحكمت عليها بأحكام متغايرة متباعدة . . فكيف يُمكنُ أن تكونَ الثلاثُ أو الاثنتان واحدة؟! . .

جعلوا الثلاثة واحدًا لو أنصفوا لم يَجعلوا العدد الكثير قليلا

لقد قلت في مقالك: «إنَّ وحدة محمد عَلَيْكُ قامت على العقيدة. والعقيدة قد يَطرأ عليها الضَّعف والفناء». أما الوحدة الناصرية، فقد حكمت عليها - أيها الأديب اللهم - بالبقاء والنَّماء. أيمكن بعد هذا أن تكون الوحدتان وحدة ؟ . .

إِنْ قلتَ: «إِن الوحدةَ الناصريةَ ترجعُ إلى وحدة النبيِّ محمد عَلَيْكَالَةِ». . فالوحدةُ الناصريةُ إذن ـ بحُكم منطقكَ ـ مهما تَدُمْ قد تَضُعفُ أو تُحوَّل .

وإن قلت: «إن وحدة النبيِّ محمد عَلَيْكُ تُرجعُ إلى الوحدة الناصرية». . فقد جَعَلتَ التابعَ متبوعًا، والمتبوعَ تابعًا، وذلك ـ لَعَمْرُ الحقّ عايةُ الضلال . . بل غايةُ الخبال .

لقد كان مقالُك شؤمًا على الوحدة. . فلم تَكَدْ تَفرُغُ من كتابته حتى تَعثَّرْتَ وتعسَّرت، ووجدت نفسك في حَرَجٍ وأنت تعالِجُ خَطَّأَك، فقلت لتستُر موقفك .: «الوحدة الناصرية المقترَحة»، خَشية أن يبدو تهافتُك في دَعوى بقائِها ونمائِها أنَّ الوحدة . وهي مَطمعُ الأنظار، ومُلتَقى الأفكار،

وهَدفُ كلِّ مُسلمٍ غَيُور، وغايةُ كلِّ عربيٌّ مخلص لا تقومُ بِمَلَقِ الْمُتملِّقِين ونِفاقِ المنافقين. . ولكنها ستقومُ وتدوم، وتتحقَّقُ وتتوثَّقُ بجهودِ المؤمنين، وجهادِ المخلِصين، وكسح المضللين.

لقد كتب الزيات ما كتب طَعَمًا في الربّح الحرام، وغاب عنه ـ وهو الأديب الكبير ـ ما وَرَد في الأمثال: «تجوعُ الحُرّةُ ولا تأكلُ بثديبها»، وعاد بعد أن تعالَت أصواتُ الأمة بالاستنكارِ يُخاتلُ ويُخادع، ويَلتوي هذا الالتواءَ الذي ضَحِكَتْ منه العامّةُ، وسَخرَتْ منه الخاصّةُ، راح يُلقِي التهمة على الإيجاز الذي أدَّىٰ إلى هذه الجُملة، وقد كانت أمامه فُرصةٌ ليُطنب ويُوضِع فكرته يوم نُبّه إلى ذلك قَبْلَ الطبع . . فلو كان في قلبه لرسول الله ويُوضِع مهابةٌ لَرجع عن ضلاله، وأصلَح من مقاله . ولكنه ـ بدافع النفاق ـ أبي وأصر وآذى رسولَ الله يَعْلَمُوا الله لَهُمْ عَذَابٌ أليم والله يَعْلَمُوا أَنّهُ ليرضُوكُم والله وَرَسُولُه أَحَقُ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمنينَ وَنَ الْخزْيُ الْعَظِيمُ مَن يُحادِد اللّه وَرَسُولُه فَأَنّ لَهُ نَارَ جَهَنّمَ خَالِدًا فِيها ذَلِكَ الْخزْيُ الْعَظِيمُ فَالَةً التَّوبَةُ الله وَرَسُولُهُ فَأَنّ لَهُ نَارَ جَهَنّمَ خَالِدًا فِيها ذَلِكَ الْخزْيُ الْعَظِيمُ التوبة: ١٢ - ٢٣].

* ولْيَسْمَعْ قولَه تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنًا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿ يَ فَي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذَبُونَ ﴿ فَي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذَبُونَ ﴿ يَ فَي قُلُوا إِنَّمَا لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ٨-١٢]. مُصْلِحُونَ ﴿ البقرة: ٨-١٢].

□ يا زيات. لقد حكم الله على أمثالك بالخزي العظيم، والعذاب الأليم. فلتهنأ إلى حين في مجلة «الأزهر» بمئة جنيه تقبضها من خزانته على الرغم من أنوف الأزهريين . . ولْتَهنأ إلى حين في مجلة «الرسالة» بمئات الجنيهات تقبضها من خزانة الدولة ـ على الرغم من أنوف أبناء الدولة المؤمنين ـ . . ولْتَهنأ إلى حين بحرية الرأي قَدْحًا في وحدة خير الأنام . على الرغم من أن دين الدولة هو الإسلام . . ولْتَهنأ إلى حين بالاشتراكية في الرفع من أن دين الدولة هو الإسلام . . ولْتَهنأ إلى حين بالاشتراكية في الرق تسوق إليك من عملك الجديد مئات الجنيهات بعد مقالك المشؤوم بأسبوعين ـ على الرغم من أنوف العاملين المخلصين الذي يَظفرون بجنيهين علاوة كلَّ سنتين ـ .

ليَسْمَحْ ليَ الزياتُ أن أستعيرَ منه وإليه. . فأقول: "إنه اندَسَّ ـ في مجلة الأزهر ـ اندساسَ الإثم في الضمير، والداء في البدن. . فكان في الوحدة مَظهرَ تفريق، وفي العقيدة مَثارَ تعويق، وفي العقيدة مَثَارَ شُبهة . . وحسبُه أن مجلة "الأزهر" صارت في عهده (مَذلّة) بعد أن كانت (مجلة)"(۱).

□ ثم خَتم مقالَه بالردِّ على ما قاله الزياتُ من إطراء العهد الناصري فقال: «لقد غالَىٰ في إطراء هذا العهد حتى انتقص الوحدة المحمدية، وأقحم الرسول على في المقارنة دون أدب ولا روية. وما فعل ذلك عن إخلاص وإيمان . بل جَرْيًا وراء الذهب الرَّنَّان . . تمامًا كما صنَع أيام «فاروق» قبل طرده . . وإلى أواخر عهده . . وهكذا الزيات طُول حياته

⁽١) المصدر السابق (ص٨٠٨).

يُنافقُ بُغيةَ القُوت، ويكتبُ بقلمٍ نُقش عليه هذا المَثل: «طالبُ القوت ما تعدى».

يا زيات، إن الرئيس عبدالناصر لو أَنْفَقَ مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بَلَغ ـ بنصِّ الحديث ـ مُدَّ أَحَدٍ من أصحابِ النبي ﷺ ولا نَصيفَه، فكيف له ـ يا جهول ـ أن يَبلغَ مبلغَ الرسول؟! .

ألاً فلْتَسْمَحْ لي - أيها الزيات، وقد استضفتُك اليومَ على مائدة «الاعتصام» - أن أُقدِّمَ لك فاكهتك، وأسوقَ إليك هديَّتك: «إنَّ الكفر خيرُّ من النفاق. . وإنَّ العداوةَ أفضلُ من الخديعة . . وإنَّ الصراحةَ على كلِّ حالٍ عَظَمة، وإن المُراءاة على أيِّ وجه حقارة».

* وخيرُ ما نختمُ به هذه الكلمةَ قولُ اللَّه تعالىٰ : ﴿ وَإِن تَنتَهُوا فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَإِن تَنتَهُوا فَهُو خَيْرٌ لَكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُعْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الانفال: ١٩].

* وقوله سبحانه: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة: ٥٠].

* وقوله تعالىٰ: ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ سَيَقُولُونَ لَلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾

[المؤمنون: ۸۸ ـ ۸۹])(١) أهـ.

^{* * *}

⁽١) المصدر السابق (ص٨٩ ـ ٩٠).

مُنكِرُو السُّنَّةِ مِن أكبرِ شانِئي الرسول ﷺ

اعلمَ يا أخي أنَّ الاعتصامَ بالسُّنةِ نجاة . . قال تعالى عن رسوله ﷺ ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾ . وقال تعالى : ﴿ مَن يُطِع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ .

ولا بدَّ للمسلم في كلِّ نَفَس من أنفاسه هجرةٌ إلى رسول اللَّه ﷺ في حَركاتِه وسكَناتِه الظاهرة والباطنة، بحيث تكونُ موافقةً لشَرعِه الذي هو تفضيلُ مَحَابً اللَّه ومَرضاته، ولا يَقبلُ اللَّهُ مِن أحد دِينًا سواه، وكلُّ عَمَلٍ سواه فعيشُ النفس وحَظُّها ـ لا زادُ المعاد ـ.

□ قال بعض العارفين: «كلُّ عمل بلا متابعة فهو عيش النفس»(١) والمؤمنون في أهل الإسلام غُرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل العلم في المؤمنين غرباء، وأهل السنّة ـ الذين يُميّزونها من الأهواء والبدع ـ فيهم غرباء، والدَّاعون إليها الصابرون على أذى المخالفين هم أشدُّ هؤلاء غربةً . ولكنَّ هؤلاء هم أهل الله عز الله حقًا، فلا غُربة عليهم، وإنما غُربتُهم بين الأكثرين الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الانعام: وجل فيهم: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ ﴾ [الانعام:

فأولئك همُ الغرباءُ عن اللَّهِ عز وجل ورسولِه ودينه، وغربيُهم هي الغربةُ المُوحشة، وإن كانوا هم المعروفين المشارَ إليم، كما قيل:

فليس غريبًا مَن تناءت دياره ولكن من تَنْأَيْنَ عنه عنه عريب

* وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

⁽١) انظر «طريق الهجرتين» لابن القيم (ص٧).

يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . .

وخير أُمور الدِّين ما كان سُنَّة وشرُّ الأمور المحدَثَاتُ البدائِعُ

ا وقال إمامُ دار الهجرة مالك: «أكلَّما جاءنا رَجُلُ أَجْدَلُ من رجلٍ، تَرَكْنا ما نَزَل به جبريلُ على محمدٍ ﷺ لَجَدَله »(١) .

ومَن وَقَر مُنكري السُّنَة فقد أعان ـ واللَّه ـ على هدم الإسلام . ومَن تَركَ السُّنَّةَ ولاَّه اللَّهُ ما تولَّى ، وأصلاه جهنَّمَ وساءت مصيرًا .

□ وقال الشافعي: «لولا أصحابُ المحابِر، لَخَطَبَتِ الزَّنادقةُ علىٰ المنابر».

الله وقال الشافعي: «لَم أسمع أحدًا نَسَبَتْه عامَّةٌ ـ أو نَسَبَ نَفْسَه ـ إلى عَلَم، يُخالِفُ في أَنَّ فَرْضَ اللَّه: اتِّباعُ أمرِ رسولِ اللَّه ﷺ ، والتسليمُ لَحُكمه، فإنَّ اللَّه لم يَجعلُ لأحد بعدَه إلاَّ اتَّباعَه. . وإنَّ فَرْضَ اللَّه علينا ـ وعلَىٰ مَن بعدنا وقَبْلَنا ـ في قَبولُ الخبرِ عن رسول اللَّه ﷺ واحدٌ، لا يُختَلَفُ فيه أنه الفرضُ، وواجبٌ قَبولُ الخبر عن رسول اللَّه ﷺ أ.ه.

ومَن رَدَّ حديثَ رسولِ اللَّه بالهوىٰ، وأنكر حُجِّيَّةَ السُّنةِ، أدخَلَه اللَّهُ أسفلَ سافلين، وحَشَره مع فرعونَ وهامانَ وقارون.

□ قال ابنُ حزم: «اتَّفقوا على أنَّ مَن شكَّ في التوحيد أو النبوَّة، أو في حرف مَّا أتى به عليه السلام، أو في شريعة أتى بها عليه السلام، مَّا نُقِل عنه نَقْلَ كَافة، فإنَّ مَن جَحَد شيئًا مَّا ذكرناه، أو شكَّ في شيءٍ منه، ومات على ذلك، فإنه كافرٌ مُشركٌ مُخلَّدٌ في النار أبدًا»(٢).

⁽١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٢٤)، و «السير» (٨/ ٩٩).

⁽۲) «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص۱۷۷) ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .

□ قال ابن حزام: «والقرآن والخبر الصحيح بعضها مضاف إلى بعض، وهما شيء واحد في باب وجوب الطاعة لهما»(١).

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزُّلْنَا الذّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].
نَبَّتَ نَبْتَةٌ شيطانيَّةٌ على أبوابِ جهنَّمَ، أرادت أنْ تجحد حُجيَّةَ السُّنة،
وتَصُدَّ الناسَ عن السُّنة والإسلام صدًّا، وهم ـ واللَّه ـ أكبرُ شانئي الرسول
على وهم أعداؤه حقًّا، فلهم الخُسرانُ المبين والذِّلَّةُ والصَّغار، والفَضحُ على رؤوسِ الأشهاد في الدنيا قبل الآخرة، وها نحن نُعريهم، ونكشفُ للناس أسماءَهم، ليلعنوهم صباحَ مساء، وليتقرَّبوا إلى اللَّه ببُغضَهم وكَشْف عارهم وعَوَارهم. . فواللَّه ما يُريدون إلاَّ هَدْمَ الإسلام . . ليصبح رسمًا بعدَ عَيْنٍ . . ﴿ وَاللَّهُ مُتمُ نُورِه وَلَوْ كُرةَ الْكَافرُونَ ﴾ [الصف: ٨].

* السيد أحمد خان، دَجَّالُ الهند، ومدرستُه الشيطانية:

وُلد في ١٧ أكتوبر عام ١٨١٧، وتُوفِّي في ٢٧ مارس ١٨٩٧م، أنشأ جامعة «عُليكرة».

□ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي: «ما إنْ حَلَّ القرنُ الثالَثَ عَشَرَ الهجريُّ حتى دَبَّتِ الحياةُ في هذه الفتنة «فتنة إنكار حُجِّية السُّنة» من جديد، فكانت ولادتُها في العراق(٢) ، وترعرعت في الهند، وإنَّ بدايتَها لَتعودُ في الهند إلى «سيد أحمد خان، ومولوي (شيخ) جَرَاغ علي»، ثم كان فارسُها المقدامُ «مولوي عبداللَّه جكرالوي»، ثم استكم الراية «مولوي أحمد الدين

⁽١) «الإحكام في أصول الأحكام» لابن حزم (١/ ٩٨).

⁽٢) لعل الصواب في مصر.

أمر تسري»، ثم تَقدَّم بها مولانا «أسلم جراجبوري»، وأخيراً تولى رياستها «غلام أحمد برويز» الذي أوصلَها إلى ساحل الضلال»(١).

يُمثِّلُ هذا الرجلُ الاتِّجاهَ الفكريَّ المُمالئَ للغرب ـ والاستعمارِ الإنجليزي على وجه الخصوص ـ.

وتقومُ حركتُه على الافتتانِ بحضارةِ الغرب المادِّية، ومن هنا فقد أنكر المُعجزاتِ وخَوارِقَ العادات، واعتبر أنَّ النبوَّةَ غايةٌ تُكتَسبُ عن طريقِ الرياضة النفسيَّة (٢).

لقد أنكر «سيد أحمد خان» ما تُنكِرُه الثقافةُ الغربية ـ ولو كان دينًا ـ، وأثبَتَ ما تُثبتُه ـ ولو كان مخالفًا للدين وإجماع المسلمين ـ.

«لقد قامت مدرستُه الفكريةُ على أساسِ تقليدِ الحضارةِ الغربية وأُسُسِها المادِّية، واقتباسِ العلومِ العصريَّة بحذافيرها، وعلى علاَّتها، وتفسيرِ الإسلام والقرآنِ تفسيرًا يُطابقُ ما وصلت إليه المدنيَّةُ والمعلوماتُ الحديثة في آخرِ القرنِ التاسعَ عَشَرَ المسيحيِّ، ويُطابقُ هَوَىٰ الغربين وآراءَهم، ومِن ثَمَّ الاستهانةُ بما لا يُثبتُه الحِسُّ والتجربة»(٣).

﴿ وَتَبِلُغُ التَّبَعَيَّةُ أَوْجَهَا، إِذَا عَرَفْنَا أَنَ ﴿ أَحَمَدَ خَانَ ﴾ ، كَانَ يُعَارِضُ في إِنشَاءِ دراساتٍ عِلْمَيَةٍ تَجْرِيبِيةٍ في الجامعة التي أنشأها في الهند ـ وهو مَّن

⁽١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٩٩) ـ دار الصديق ـ السعودية، نقلاً عن «مكانة السنة التشريعية» للمودوي (ص١٦).

 ⁽٣) انظر: «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» د. محمد البهي ـ الطبعة التاسعة ١٩٨١م ـ مصر (ص٣٣ ـ ٣٧).

⁽٣) «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» لـ أبو الحسن الندوي (ص٧١) ـ الطبعة الثالثة ـ القاهرة مطبعة التقدم ١٩٧٧م.

قَضَوْا حِقبةً في بلاد الإنجليز -، قال في مقال له نُشر في مجلة «عليكرة» في ١٩ فبراير ١٨٩٨م: «إنَّ الهند - نظرًا إلىٰ حالتها الراهنة - ليست في حاجة إلىٰ تعليم الصنائع، إنَّ الأهمَّ المقدَّمَ هو الثقافةُ الفكريةُ من المستوىٰ الأعلىٰ »(۱).

هذا رَغْمَ حاجةِ البلادِ إلى العلوم التطبيقية . !! .

ومن المعلوم أنَّ حركة «أحمد خان» في الهند كانت مُعاصرةً للمدرسة الإصلاحية وشيخها «محمد عبده»، وسوف نلاحظُ أنَّ المنطلقاتِ متشابهةٌ، والإعجابَ بالغربيين واحد.

* ظروف حياته (۲) :

نشأ «أحمد خان» في أُسرة فقيرة، وفي جوِّ مُشْبَع بالتصوُّف، وعاش في شبابه حياة مَرَح، فحضر حَفَلات الرقص والغناء، ثم التَحَق بخدمة الحكومة الإنجليزية في سلْك القضاء، وبعد فترة ثاب إلى رُشده، أقبل على إصلاح نفسه وتعليمها.

وكان لإخفاق «الثورة الهندية» أَثَرٌ في حياته، وكان يُدرِكُ أنَّ مآلَ الثورةِ الفشلُ، ولذلك كان يُناصِرُ الإنجليز، ويُساعِدُ في حمايتِهم ونجاةِ بعض عائلاتهم من القتل.

وأَيقَنَ بعدها أنَّ ولاءَ المسلمين للحُكمِ الإِنجليزيِّ هو السبيلُ الوحيدُ لإِنقاذهم، وكان ذلك نابعًا من إعجابِه المُفرِطِ بالإِنجليز وحضارتهم، ولذلك (١) «الابتعاث ومخاطره» الأستاذ محمد الصباغ ـ المكتب الإسلامي (ط٢/ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م).

⁽٢) انظر «مفهوم تجديد الدين» بسطامي محمد سعيد (ص ١٢٠ ـ ١٢٣).

جَعَلَ هَدَفَه طُولَ حياتِه أَن يُقلِّدَ المسلمون الإنجليزَ، ويَتْبَعوا حضارة الغرب في كلِّ شيء. وبعد زيارته لبريطانيا (١٨٦٩م) ـ التي استمرت سَبْعَة عَشَرَ شهرًا، وكان قد نَزَل ضيفًا مبجَّلاً على الأوساط الإنجليزية «الراقية»، ونال الوسام الملكي ، ولَقَبَ الشرف ـ، قابَلَ الملكة وولِي العهد، والوزراء الكبار.

وعاد إلى بلاده وقد أَخَذ على عاتقه أن يَفتَح أعينَ المسلمين على عَظَمة الخضارة الغربية، ويَشُقَّ لهم طريقًا للاقتباس منها، وكانت وسيلتُه إلى ذلك التعاوُن في المجال السياسي، واستيعابُ علوم الغَرْبِ في المجال الثقافي، وتكييفُ وإعادة تأويل الإسلام في المجال الفكري.

* آراء سيد خان:

اعتمد «سيد خان» على مُعطيات العقل، وإيحاء الغربيين فيما سماه «تجديداً عصريًا». فقد اعتبر أن القرآن وحده هو الأساسُ لفهم الإسلام. ذلك أنه في ضوء الظروف الجديدة وتوسع المعرفة الإنسانية، لا يُمكنُ الاعتمادُ في فَهم القرآن على التفاسير القديمة وحددها، تلك التي اشتملت على كثيرٍ من الخرافات، ولكنْ ينبغي الاعتمادُ على نص القرآن وحده (۱).

العام المسلم وقد هَيَّجَ الرأي العام ضدَّه، وزاد في هَياجِ الرأي العام المسلم وتشديد النكير عليه من العلماء ـ حتى حكموا بكفره ـ لِمَا قَرَّره في تفسيره من أنَّ القرآنَ نَزَل على الرسول ﷺ بالمعنى فقط، ثم صاغ الرسول الفاظه من عنده "").

⁽١) «مفهوم تجديد الدين» بسطامي محمد سعيد (ص١٢٣) وما بعدها.

⁽٢) «كفاح المسلمين في تحرير الهند» د. عبدالمنعم نمر (ص٤٤-٥٥) ـ طبعة أولئ نشر مكتبة وهبة ـ القاهرة ١٣٨٤هـ.

الله فيقول: «مِن الْمَسَلَّم به أنَّ القرآنَ نَزَل بلفظه على قلب محمد عَلَيْكُمْ ، أو أُوحِي إليه ، سواءً سلَّمنا أنَّ جبريلَ أوصَلَه إليه بلفظه كما هو اعتقاد علماء الإسلام، أو وصل إليه بمَلكة النبوَّة ـ التي عَبَّر عنها «برُوح الأمين» دون توسنُّط جبريل ـ الملقاة على قَلْبه عليه السلام كما أعتقدُه وأدينُ اللَّه به»(١) .

وقد أكثر من التأويل في الغيبَّات في مقالاته الدينية.

مثلُ تأويلِه في تعريفِ الشيطان بأنه: «القُوىٰ العِدائيةُ التي لا يَملِكُ الإِنسانُ السيطرةَ عليها».

ومِثلُ إنكاره للأمرِ الخارِقِ للعادة، فما كان منه في القرآن نَفَاه على أنه لم يَقَعْ، كَنْفِيهِ إلقاءَ إبراهيمَ في النار، وولادة عيسى ـ عليه السلام ـ من غيرِ أب وابتلاع الحوت ليونس.

وما كان من الخوارقِ في السُّنَّةِ أنكرَه استنادًا على أنه مخالِفٌ للقوانين الطبيعية (١) .

وأنكر الجِنَّ على المعنى المعهود بالخَلْقِ النارِيِّ، ففَسَّرها بسُكَّانِ الغابات والصحارِي من البشر^(٦) ، وأوَّلَ الملائكة على أنهم القُوىٰ المدبِّرة للعالَم التي يُمكنُ السيطرة عليها، أوْ هي القوىٰ التي في مقدور الإنسان تسخيرُها(۱) .

⁽١) «تحرير في أصول التفسير» لسيد خان (ص١٩).

⁽٢) «مقالات سر سيد» للسيد أحمد خان، جمع وترتيب محمد إسماعيل (١٢٨/١) ـ طبع لاهور ـ نقلاً عن «القرآنيون» لخادم حسين إلهي بخش.

⁽٣) اتفسير الجن والجان على ما في القرآن، لسيد أحمد خان (ص٥).

⁽٤) «مقالات سر سيد» لسيد أحمد خان (١/ ٢٢٠).

* تشكيكُه في السُّنَّة النبويَّة :

أنكر «السيد» جُزئيات من السُّنَة: مثل إنكاره السُّنَّة الواردة في مماثلة الأرضين للسماوات في العدد، وقال: «إنَّ هذا التصوُّر مما كان يقول به الجاهليُّون دون من سواهم. وبناءً على لفظ ﴿ مِثْلَهُنَ ﴾ في الآية (١) وُضِعت تلك الروايات كلُها في هذا الباب، واللَّهُ ورسولُه بَرِيءٌ منها (١) . وأنكر أحاديث الجن الثابتة .

□ ثم وَضَع لَبنَةً عامَّةً للتشكيك في السُّنَّة كلِّها، فقال: «بعد وفاة النبي وَضَع لَبنَةً عامَّةً للتشكيك في السُّنة إلى عهد التصنيف في الكُتب المعتَمَدة، غيرَ أننا لا نَستطيعُ أن نَغُضَّ الطَّرْفَ عن الهيئة التي دُوِّنت بها تلك الأحاديثُ، تلك التي كان مبناها من الذاكرة، بينما البُعدُ الزمنيُّ كَفيلٌ بَزْجِ الزائد بها وإضافة الجديد إليها»(٣)

وهذه الفريةُ الظالمةُ والشُّبهةُ التي يَسُوقُها شيطانُ الإنس، يَرُدُّ عليها علماءُ الحديث، ودُوِّنت فيها الكتبُ، ومن أعظمِها ما كُتب حديثًا وهو «السُّنَّةَ قبل التدوين» للدكتور «محمد عجاج الخطيب».

الله ويُضيف دَجَّالُ الهند: «بأنَّ ما دُوِّن في هذه الكُتب من الأحاديث، إنما هي ألفاظٌ للرواة، ولا تَعرفُ ما بين اللفظ الأصليِّ - الصادرِ من شفتيه عليه الصلاة والسلام - والمعبَّرِ به من وفاقٍ أو خِلافٍ، وليس من العَجَبَ أن

⁽١) يعني قول اللَّه تعالى: ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ [الطلاق: ١٢].

⁽٢) «مقالات» (١/ ٢٥٧).

⁽٣) انظر «مقالات» للسيد أحمد خان (١/ ٢٣).

يُخطئَ أحدُ الرواةِ في فهْمِ الحديث مَّا يكونُ سببًا في ضَياعِ المفهومِ الصحيح»(١) .

وبناءً على موقفه هذا جَعَل الأحكامَ المستنبَطَةَ من السُّنَّةِ بوجه عامًّ أحكامًا لا يَجبُ على المسلمين اتباعُها، «وأنَّ ما استَخرج العلماءُ من نصوصِها الحالية إنما هي أحكامٌ اجتهاديةٌ لل نَصيَّةَ فيها ولا حتميَّة للاحتمال ألاَّ يكونَ ذلك مقصودَه عليه الصلاه والسلام »(١).

□ وهو - بزَعْمِهِ الكاذب - يُحمِّلُ المحدِّثين التقصير في عدمِ تمحيصِ مُتونِ السُّنَّةِ مِثْلِ السَّنَد، ويقول: «وإنا لا ندري عن الأحاديث التي وُثَقت أُوجُهَت الجهود إليها من حيثُ المضمون والمُحْتوىٰ أم لا؟ وأيُّ السُّبُل سُلِكَت في ذلك»(٣) .

وهذا إن دَلَّ إنما يدلُّ على جَهلِهِ وقِلَّةِ بضاعتِهِ في العلم، وإلاَّ، فإين كُتبُ الجرح والتعديل وكتبُ الضعفاءِ والمتروكين، وأين كتبُ العِلَل لابن المديني والدَّارَقُطْني؟!

قبَّح اللَّه «سيد أحمد خان!».

◘ وأخيراً يحاولُ الكذَّابُ الأشرُ أن يُجهِزَ على السُّنَّة بوضعه الشروطَ التي يتعذَّرُ توفُّرُها في أغلبِ الأحاديث، فقال: «والمعيارُ السَّليمُ لَقَبولها هو أن يُنظرَ إلى المَرْوِيِّ عِنظارِ القرآن، فما وافقَه أخذناه، وما لم يوافِقْه -

⁽۱) «مقالات» (۱/ ٤٩).

⁽Y) «مقالات» (۱/ ۲۹).

⁽٣) «مقالات» (١/ ٢٣).

نَبَذْناه . . وإِنْ نُسِب شيءٌ من ذلك إلى الرسول، فيَجبُ فيه توفُّرُ شروطٍ ثَلاثة :

١ ـ أن يكون الحديثُ المرويُّ قولَ الرسولِ بالجَزْم واليقين.

٢ ـ أن تُوجَد شهادة تُشِبِت أن الكلمات التي أتى بها الراوي هي الكلمات النبويّة بعينها.

٣ ـ ألا يكونَ للكلماتِ التي أتى بها الرواةُ معانِ سوى ما ذكره الشُّرَّاحُ، فإنْ تَخَلَّفَ أحدُ هذه الشروط الثلاثة لم يَصِحَّ نسبةُ القولِ إلى الرسول عَلَيْكُ ، أو أنه حديثٌ من أحاديثه "(١) .

وهذه الشرُوط لا تتوفَّرُ إلاَّ في المتواتر اللفظيِّ دون سائرِ السُّنةِ الصحيحة المتواترةِ تواترًا معنويًّا، أو السنَّة الآحادية التي عليها مدارُ الأحكام الشرعيَّةِ عند المسلمين (٢).

وهو يَقبَلُ من الأحاديث فقط ما يَتَّفقُ مع نصِّ ورُوحِ القرآن، وما يتَّفقُ مع العقلِ والتجربةِ البشرية، وما لا يُناقِضُ حقائقَ التاريخَ الثابتة. . ولا يَقبلُ مِن الأحاديثِ إلاَّ المتواتر، أما أحاديثُ الآحادُ فهو لا يَميلُ إلى قَبولِها مطلقًا.

وحتى الأحاديثُ المقبولةُ لديه، فهو يُقَسِّمُها إلى قِسمين:

أحاديثُ خاصَّةٌ بالأمورِ الدينية ـ كالعقيدة والعبادة ـ.

وأحاديثُ خاصةٌ بالأمور الدنيوية ـ كقضايا السياسة والاقتصاد والاجتماع ـ.

⁽١) «مقالات» (١/ ٠٤).

⁽٢) «القرآنيون» (ص٢٠).

فالأولى مُلزِمةٌ في نظرة. . أما الثانية، فغيرُ ملزِمةٌ، لأنها من أمورِ الدنيا المتغيِّرة(١) .

* وهو ينكرُ الإِجماعَ كمصدرِ من مصادرِ التشريع:

أما مسائلُ الفقه: فقد كانت نظرتُه فيها تَسيرُ وفقَ مَنهجه، لتقريبِ أمورِ الدين من مفاهيم الحضارة الغربية: ففي فقه العبادات كان منهجه يَتمثّلُ في تفسير ممارسات العبادة بمنطق عقلي بحت، فغسلُ الأعضاء عنده في الوُضوء نظافةٌ ورمزٌ للطهارة المعنوية، ويُقصدُ من الصلاة توجيهُ انتباه المرءِ لخالقه، أمّا الإحرامُ والطوافُ ورَميُ الجَمرات، فهي عادات باقيةٌ من الأديانِ الأولى في طفولة البشرية، واحتفظ بها الإسلامُ مع أنها عادات بدائية، مثلُ لُبسِ الثوبِ من غيرِ مخيط (۱).

أما الرِّبا المحرم: فهو عنده يَقتصرُ على الرِّبح المركَّب، ولا يَعتبرُ الفائدةَ البسيطة ـ في البنوك والمعاملات التجارية ـ ربًا ولا حرامًا.

ويناقش «سيد أحمد خان» قضية تعدُّد الزوجات الذي أبيح بنص القرآن، ويَرَىٰ أن الأصلَ فيه زواجُ الواحدة، أما التعددُ فهو حالةُ استثنائية، وفي دائرة الحدود يرفضُ إقامتَها ـ كما أوجب الشرع ـ، ويُنكِرُ عقوبةَ الرَّجْمِ للزاني، ويَعتبرُ أنَّ عقوبةَ قَطعِ الأيدي والأرجلِ عقوباتٌ وحشية، ينبغي الكفُّ عنها، لأنها تُنافى التمدُّنُ والحضارة.

أما الجهاد: فيرى أنه مشروعٌ "فقط" للدفاع عن النفس، وفي حالةٍ

⁽١) «مفهوم تجديد» (ص١٢٦) لبسطامي محمد سعيد.

⁽٢) المصدر السابق (ص١٢٩ ـ ١٣٠).

واحدة، هي اعتداء الكافرين على المسلمين إذا أرادوا حَمْلَهم على تغيير دينهم!! أما إذا كان الاعتداءُ من أجل أمر آخر ـ كاحتلال الأراضي ـ، فالجهادُ غيرُ مشروعٍ عنده، وذلك حتى يَجِدَ مبررًا لمسالمة الإنجليز المحتلين لبلاده(١) .

ومِن الملاحَظِ أَنَّ «أحمد خان» يُكرِّرُ نفسَ المسائلِ التي قال بها الإصلاحيون، ومِن ثَمَّ المستشرقون، وإن كان أكثر صراحةً في الإعلانِ عن بعضها من الإصلاحيين.

□ يقول الشيخ «عبدالحي الحَسني» مؤرِّخُ الهند: «كان كبيرَ العقل،
 قليلَ العلم، قليلَ العمل، لا يُصلِّي ولا يصومُ غالبًا»(٢) .

□ ولَقد اتَّفقت المصادرُ التي بَحثَتْ عن نشأة «القرآنيِّين» وخروجِهم إلى حيِّز الوجود وإدلائِهم بالآراءِ المخالفةِ في الدين، على أنهم الثمرةُ الطبيعيةُ التي بَذَرَ بذورَها «السيد أحمد خان» وحركتُه (٣).

□ يقول أسد البنجاب وشيخها «ثناء اللّه الأمر تسري»: «ما أشام ذلك اليومَ الذي خَرَّف فيه صوتُ عليكرة (١) المخالفُ لجميع الأمة الإسلامية، الداعي إلى الاعتماد على القرآن وحدَه في الدين، وأنَّ السُّنَّة لا تُكوِّنُ دليلاً شرعيًّا، فأثَّر هذا الصوتُ على الحافظ «محب الحق عظيم أبادي» في «بَتْنَة» بالهند، كما أثَّر على «عبداللَّه جكرالوي» في «لاهور» بباكستان أعظمَ تأثير» (٥).

⁽١) المصدر السابق (١٣٠ ـ ١٣١).

⁽٢) «نزهة الخواطر» (٨/ ٣٠).

⁽٣) «القرآنيون» (ص٢١).

⁽٤) يعنى به: السيد أحمد خان.

⁽٥) مجلة أهل حديث الأمر تسرية (ص٣) عدد مارس ١٩٣٣. وكان الشيخ ثناء الله الأمر =

* جُرَاغ على عدوُّ السُّنَّة، وتلميذ سيد أحمد خان:

ولد سنة ١٨٤٤م، وكان بحقِّ تلميذَ سيد أحمد خان الوفيَّ والرجلَ البارزَ بعد سيد خان في حركة «عليكرة»، وأحدَ أعمدتها. . وتُوفِّي في ١٨٩٥م.

رَضَع جراع - أو شراغ - علي من لُبانِ تلك المدرسة؛ بل أَسْهُمَ في الدِّفاع عن آرائها أيَّما إسهام، وحاولَ صَبْغَ الإِسلام بالحضارة الغربية مثل أستاذه سيد أحمد خان، فأوَّل نصوص الإسلام بما يتلاءم مع تلك الحياة الأوربية.

الله يقول الدكتور محمد مصطفئ أعظمي: "إنَّ المستعمرين قد تنبَّهوا لخطورة رُوح الجهاد بالسَّيف، فشرَعوا بالطعن في أحاديث الجهاد، وكان "جَراغ علي" و "المتنبي الكذَّاب القادياني" من قادة هذه المدرسة، كما أنتجت الروح الانهزامية رجالاً مثل "السيد أحمد خان" و "عبداللَّه جكرالوي" و "أحمد الدين أمر تسري" و آخرين، وأخيراً جاء "غلام أحمد برويز" الذي أبدئ نشاطًا ملحوظًا، فأسَّس جميعةً باسم "أهل القرآن"، كما أصدر مجلة شهريةً ونشر عدَّة كتب في هذا الصدد"(۱).

لا ويكشفُ «جَرَاغ علي» عن موقفه من السُّنَّةِ فيقول: «إنَّ القرآنَ
 كاملٌ من كلِّ الوجوه، ويواكبُ سَيْرَ الحضارة وتطورُّرَها، ويَرفعُ متَّبعيه إلى

⁼ تسري مدير تحريرها. وقد ردَّ على كل من عبداللَّه جكرالوي وغلام أحمد القادياني، والشيعة والبريلوية وكثير من فرق الهندوس.

⁽١) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفى أعظمي (ص٣٨).

أعلى درجات الرُّقيِّ والتمدُّن، فإنْ أحْسَنَا تفسيرَه وتعبيرَه سَلَكَ بنا هذا المَسْلك، وإنْ قيَّدْناه بآراء المفسِّرين ومَنْهَجِهم وحَصَرْناه في الروايات، فإن الوضع يَنقلبُ رأسًا على عَقِب، فنسيرُ نحو الهاوية بدلاً من التقدُّم ومسايرة الرَّكْب؛ لأنَّ الروايات لم يصحَّ منها إلاَّ القليل، بل جُلُها فرضيَّات وأوهام للعلماء، أو أنها دلائلُ قياسيةٌ وإجماعيَّة، وهذا المَسْلَكُ هو ما يَسيرُ عليه قانونُ الشريعة والفقه، ولا شكَ أنَّ مثلَ هذا المَسْلَكِ يَحجُزُ عن الرُّقِيِّ والتقدُّم ومسايرة ظروف الحياة»(١).

□ وأضاف في موضع آخر فقال: "إنَّ المحقِّقين الذين جَمَعوا الأحاديثَ وميَّزوا بين سقيمها وصحيحها، صرَّحوا بأنَّ الحديثَ مهما قوي سنندُه لا يُمكنُ الاعتمادُ عليه، وما ذُكرَ فيه غيرُ حتميٍّ قطعًا، فلو أمعنًا النظر في هذه الحقيقة لاضطررْنا أن نقول: إنَّ معاييرَ الصِّدق والأصول العقلية لا حاجة لإقامتها لتمييز الحديث؛ لأنَّ الحديثَ في حدِّ ذاته شيءٌ لا يمكنُ الاعتمادُ عليه، ولا اعتبارَ لما يتحدَّثُ عنه "(۱).

🛭 وله انحرافاتٌ كثيرةٌ تتلخُّصُ في:

أ ـ نفي أن يكونَ الحِجابُ مَّا أَمَر به الإسلام.

ُب ـ حروبُ النبيِّ عَيَّكِيَّةٍ كلُّها دفاعية، وأنه عَيَّكِيَّةٍ لَم يَخُضُ حَرَبًا هجوميةً في حياته.

⁽١) «تحقيق الجهاد» (ص١٢١) لجراغ علي ترجمة غلام حسين ـ لاهور ـ باكستان .

⁽٢) «أعظم الكلام في ارتقاء الإسلام» (١/ ٣٠) لجراغ على ونواب يارجنك ترجمة مولانا عبدالحق ـ لاهور.

جــ لم يُعيِّنِ القرآنُ المقصودَ من الزكاة، وإنما أمَر بإعطاءِ الفقراءَ ما زاد عن الحاجة.

□ ومن أشهر مؤلفاته: «الإصلاحاتُ السياسيةُ القانونية، والاجتماعيةُ المقترَحةُ للإمبراطوريةِ العثمانية والدول الإسلامية الأخرىٰ».

□ وفي هذا الكتاب تَظهَرُ الدعوةُ إلى التوفيق بين الإسلام والعصر، بالطريقة المفضَّلة لهذه المدرسة، وخلاصةُ ما فيه: «أنه يرى ضرورةَ الفصل بين الدين والدولة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ لم يُوحِّد بين الدين والدولة مطلقًا»(١).

* مُحبُّ الحق عظيم آبادي في «بهار» بالهند وإنكارُه للسُّنَّة:

هو الحافظُ محبُّ الحق المنسوبُ إلى مدينة «عظيم آباد» بالهند، البهاري البَّنْي، وُلد في آخِرِ السَّبعينات من القَرْن التاسعَ عَشَر، وكان حَنَفِيَّ المَسْلَكِ في أُوَّلِ أَمْرِه، يَتَبَعُ طريقة الصَّوفية النَّقشبنديَّة، ثم تَحَوَّل عنها ليصبحَ عُضوًا غير بارزٍ في زُمرة «القرآنيين»، وله مؤلَّفاتُ عديدة منها: «دعوة الحق» و «شرعة الحق» و «منهاج الحق» و «بلاغ الحق».

وقد صَنَّف كتابَه الأولَ والثاني قبل أن ينضمَّ إلى الحركةِ القرآنية، والثالثَ أثناء تذبذُبِه، والأخيرُ فيه التصريحُ بعدم أخذ السُّنَّةِ في الدين، وكان يكتب في كلِّ من مجلتيْ «البيان» و «طلوع الإسلام».. تُوفي في آخِرِ الخمسينات من القرن العشرين «بكراتشي» بعد استقلال باكستان.

□ يقول مؤلّف كتاب «القرآنيون»: «وقد تزعّم حركة القرآنيين في

⁽١) «مفهوم تجديد الدين» (ص١٣١) وما بعدها.

بداية الأمر شخصيَّان: «محب الحق عظيم آبادي» في «بهار» - شرقي الهند - و «عبداللَّه جَكْرالوي» في «لاهور» في آن واحد من منبع متَّحد، غير أنَّ الأولَ - محب الحق - لم يُخالف المسلمين في الأعمال الظاهرة، بل كان يَمتثلُ لها كأيِّ فرد من المسلمين باستنباط ذلك من القرآن الكريم، دون اللجوء إلى السُّنَّة المُشرَّفة، عما جَعَل الأنظار لا تَلتفتُ إليه بدهشة واستغراب، مع ما سَجَّله من المخالفات الظاهرة كقوله: «اللَّهم امْحُ وثنيَّة عقيدة البرزخ كما مَحَيْت الأصنام من جَوف الكعبة»(۱).

وإنكارهُ وجود منصب الإمامة في الإسلام لعدم ذِكْرِ القرآن له(٢) .

القرآنيون وزعماؤهم

قبل مُضِيِّ أَرْبَعِ سنواتٍ من موتِ «سيد أحمد خان» ظهرت حركةُ «القرآنيين» في «بِنجاب» بأواسط الهند، وما أسواً حظَّ هذه البقعة من الأرض، إذْ نَبَعَتْ منها حركتانِ هَدَّامتانِ للإسلام: «القاديانية»، و«القرآنيون».

ففي سنة ١٩٠٠م نهض من تلك البقعة «غلام أحمد القادياني»، وادَّعي النبوَّة.

ومنها في عام ١٩٠٢م بدأ «غلام نَبِي» المعروف بـ «عبداللَّه جَكْرالُوي» مؤسس الحركة القرآنية نشاطه الهدَّام بإنكار السُّنَّة كلِّها مُتخِذًا «مسجد جيْنيان» بلاهور مقرًّا لحركتِه.

⁽١) «منهاج الحق» لمحب الحق (ص٤٩).

⁽٢) «بلاغ الحق» لمحب الحق (ص٢٩).

وسَنَعْرِضُ ذِكْرَ أكبرِ زعمائِهم، ثم بعد ذلك نَذكرُ أهمَّ آرائهم:

* ومن أكبر زعماء هذه الحركة:

* مؤسِّسُ حركة «القرآنيين» عبدالله جكر الوي عدو السُّنَّة:

هو عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ الجَكْرَ الَوِي، نزيل «لاهور» الذي دعا الناسَ الله مذهب جديد سَمَّى أتباعه «أهلَ الذِّكر والقرآن»، وأنكر الأحاديث قاطبةً، وصَنَّف الرسائلَ في ذلك(١).

وُلد عبدُاللَّه في بلدة «جكْرالَه» بمقاطعة «مِيانُوالِيْ» بـ«بنجاب» بـ«الباكستان»، في نهاية العقد الثالث من القرن التاسع عَشَرَ الميلادي في أسرة علم ودين، وكان والدُه ممن يَستظلُّ بظلِّ مشيخة «تَوَنْسَة بِرَاج»، ولهذه الصِّلة الرُّوحية ذَهَب والدُه به إلى مُتَولِّي المشيخة آنذاك، فحنَّكه ومسحَ على رأسه وأسماه «غلام نبي»، وظلَّ معروفًا بهذا الاسم حتى سنة ١٨٩٩م، إذ سَجَّله مع اسمه المختار «عبداللَّه» في نهاية مقدِّمة تفسيرِه، ثم تحاشاه بعد ذلك التاريخ لشبهة الشرِّك فيه حتى الممات.

* صلته بالاستعمار:

اختَلفت النقولُ في اتِّصالِ «عبداللَّه» بالإِنجليز وممالاته لهم، «فغلام أحمد برويز» ـ ومَن يرى رأيه يَذهبون إلى أنَّ المِرزا «غلام أحمد القادياني» كان من البذور التي تَولَّت الحكومةُ البريطانيةُ بَذْرَها، وأنَّ دعوته أتت من صميم النداء الإنجليزي، بَيْدَ أن «عبداللَّه» نراه سليم النيَّة، اكتَوَىٰ بنارِ ما

⁽١) "نزهة الخواطر" (٨/ ٢٨٩).

أُصيب به الإسلامُ في عصرِه من الفِرَق المتعددة.

◘ وفريقٌ آخَرُ من المحقِّقين ـ أمثال «محمد على قَصُوري» ـ يَرَىٰ أنَّ الحكومة البريطانية كانت لها يَدُّ وراء الحركتين: «القاديانية، والجكرالوية»، حيث يقول: «وفي هذه الآونة اتَّخذ المشروعُ الإنجليزيُّ نوعًا جديدًا من المناورات المناوِئة للإسلام، فضَمَّت صُفوفُه السياسيةُ كثيرًا من القساوسة المبشِّرين، مما مَكَّنها من اصطيادِ بعضِ الشخصيَّاتِ الإسلامية، وإيقاعِها في شبكة التحريف ضدَّ الإسلام، كما انضمَّ إلى هؤلاء بعض من يُريدُ الدنيا، فحرَّضَتْهم السلطات الإنجليزية على أن يقوموا بأعمال تُبعد الثِّقة عن النفوس تُجاهَ الحديثِ الشريف، ويَستغلُّوا الضمائرَ المنافقةَ من المسلمين، وكان على رأس هؤلاء جميعًا «عبداللَّه جكرالوي»، وقد اختاره المسيحيُّون لأداء هذه المهمَّة، فرَفَعَ صوتَه بإنكار السُّنة كلِّها، وأَخَذَ يدعو إلى هذا المشروع الهدَّام، فأَخَذَتْ كُتُبُ التأييدِ والرسائلِ تَصِلُ إليه من المبشِّرين بالمسيحية، وتَعدُه بالمساعدات المالية، وتشكرُه على هذا المجهود الجبَّار، وقد عَرَفْنا كلَّ ذلك مِن قِبَلِ أحدِ أصدقائِنا الصادقين، الذي كان يقومُ بدُورِ الترجمة لهذه الرسائل، لعدم معرفة «عبداللَّه» باللغة الإنجليزية، ولو بَذَلْنا قليلاً من الجَهدِ لأمكَنَّنا الحصولُ عليها، غيرَ أنَّا لا نريدُ ذلك ١٠٠٠٠ .

ولعلَّ الذي مَنَع الدكتور «محمد علي» من التصريح باسم صديقه أو نَشرِ شيءٍ من الرسائل، هو قُربُ عهدِ الاستقلالِ للدولة الباكستانية، وتوغُّلِ القاديانين والقرآنيين في مناصِبها الحسَّاسة، والبَطشُ بكلِّ مَن

⁽۱) «القرآنيون» (ص٣١).

يُخالفُهم أو يُبدي مَساوءَهم، والذي يَتحقَّقُ للمُتتبِّعِ لأحداثِ تلك الحِقبةِ التاريخيةِ هو وجودُ الصِّلَةِ بين «الحركة الجكرالوية» والدولة المستعمرة أَنذَاك، ولو صِلَةً حَفِيَّةً، ولعلَّ الزمنَ يكشفُ لنا عنها ـ عاجلاً أو آجلاً ـ .

* موقفُ العلماء من أفكاره:

اتّخذ «عبداللّه» مدينة «لاهور» ـ مدينة العلم ـ سنة ١٩٠٢م مقرًا دائمًا لإبلاغ رسالته إلى المسلمين، ونَشْرِ أفكاره بين الناس، بَيْدَ أَنَّ مجلة «إشاعة السنة» كانت له بالمرصاد، إذ أسرعت إلى جَمْع أفكاره وإجراء استفتاء عامًّ حولها، ووضعتها على بساط البحث في الأوساط العلميّة، بعد عرض وجيز لبعض أفكار «عبداللّه» الانحرافية، وطالبّت من علماء الدين وقادة فكره بيان موقف الإسلام من مثل صاحب هذه الأفكار، وهل يَبقَى الرجلُ مُسلّمًا مع اعتناق هذه الأفكار؟ أو يَخرجُ من دائرة الإسلام، ولا يَبقى له به صلَة ؟!.

فأفتى بكُفرِ «عبداللَّه» جُلُّ علماء شبه القارَّة الهندية في باكستان والهند وبنغلاديش، وفي نهاية سنة ١٩٠٢م تولَّت «إشاعة السنة» نَشْرَ عَشراتِ التوقيعاتِ لعلماء الدينِ الذين أفتوا بكُفرِ «عبداللَّه» وخروجه من بَوْتَقة الإسلام، وأنه مقطوع الصلَّة عن الدين والمسلمين (۱).

غيرَ أنَّ «عبداللَّه» بَقِيَ مستمرًّا في دَعوتِه حتى اختَرَمَتْه المنيةُ، ولَقِيَ ربَّه عز وجل عام ١٩١٤ في مدينة «مِبَانْوَالي» القريبة من «جكراله».

⁽١) انظر مجلة «إشاعة السُّنَّة» مجلد ١٩ ملحق ٧ (ص٢١١).

* أحمد الدين الأَمْرَتْسَرّي:

هو الخَواجةُ أحمد الدين، ابنُ الخَواجة ميان محمد، بن محمد إبراهيم، دعامةُ الفكرِ العميق للحركة القرآنية، ولد عام ١٨٦١ بمدينة «أمْرتسر» بالهند، وتُوفِّي في ٢ يونيو عام ١٩٣٦ وكان يُجيدُ اللغات: العربية، والفارسية، والأردية، والبنجابية، والإنجليزية.

أ_صلته بأحمد خان:

لقد استفاد الخواجة «أحمد الدين» من نظريات السيد أحمد خان، وإن لَم يَجْعَلْها أساسًا ومركزًا لأفكارِه، لشدَّة نَقْد العلَماء لها والنكيرِ على قائلِها آنذاك، فاتَخذ الخواجة جانب الحَذَر والحَيْطَة، فلم يَجْهَرْ بما جَهَرَ به السيد «أحمد خان»، وإنما كَنَّى واستعار وورَّى .

اليه عول هذه الصلة ما نصه: «يبدو أنَّ أولَ مَن وَضَعَ أساسَ استدلاله على أبيه حول هذه الصلة ما نصه: «يبدو أنَّ أولَ مَن وَضَعَ أساسَ استدلاله على القرآن الكريم وحده هو «السيد أحمد خان». وقد قَضَتْ أفكارُه على الجُمود الذي ساور على عقول المسلمين، ثم نَسَجَ على منواله «عبدُاللَّه جكرالوي»، وظَلَّ الخواجة مدَّة يَستفيدُ من أفكارِه وأفكارِ عبداللَّه، ولأفكارِ عبداللَّه، ولأفكارِ الأخيرِ تأثيرٌ بالغٌ في تعديلِ الوضع للسُّنة النبويَّة، فأصبح الذين كانوا يُفضِّلونها على القرآن يجعلونها بعدَ القرآن»(۱) .

ب ـ صلتُه بعبداللَّه جكرالوي:

اتَّصل ﴿ أحمد الدين ، بعبداللَّه منذ أنْ صَدَعَ الأخيرُ بدَعْوَته عام

^{. (}١) مجلة «بلاغ» (ص٨٨) عدد سبتمبر ١٩٣٦م العدد الخاص بترجمة أحمد الدين.

١٩٠٢م، وكثيرًا ما كان الخواجةُ يَزورُه في العُطَلِ الصيفية أيامَ تدريسه بالمدرسة الإسلامية، لِتَبادُلِ الآراءِ والمناقشةِ حولَ العديدِ من المسائل العلمية، فيُقنعُ عبدُاللَّه الخواجةَ حيْنًا، كما كان يَقتنعُ هو باراءِ الخواجةِ أحيانًا أخرى.

□ وحينما نَشَر عبدُ اللَّه كتابه «صلاة القرآن» في العقد الأولِ من القرن العشرين، قام الخواجةُ بزيارةِ خاصةٍ له، ونَصَحه بعدم إصدارِ مثلِ هذه الكتب في الوقت الحاضر، وأثناء النقاش حَضرَت صلاةُ العصر، فصلَّى الكتب في الطريقة الجكر الوية، فقال له عبداللَّه: «كيف تعترض على الخواجةُ على الطريقة الجكر الوية، فقال له عبداللَّه: «كيف تعترض على الكتاب وتُصلِّي بمثله؟» فردَّ الخواجةُ عليه بقوله: «إني لا أراها باطلةً، ولكنَّ التَّفرقة لا تجوزُ بين المسلمين»(١).

* نشاطُه في دعوته، وآثارُه العلمية:

قام الخواجة «أحمد الدين» عام ١٩٢٦م بتأسيس طائفته المنفصلة بـ «أمرتسر» والتي اختار لها اسم «أمة مسلمة»، فتسارع الناسُ إلى اختيار عضويتها، بالإضافة إلى إصدار مجلة «بلاغ» الخاصة بهذه الجماعة، تَحملُ أفكارهم، وتَنشرُ نظرياتُهم الخاصة.

هذا وقد شَمَّر أعضاءُ «أمة مسلمة» ودُعاتُها عن ساعد الجِدِّ، فأخذوا يُطبَعون الكُتُبَ على حسابهم الخاص، ويُرسلونها إلى كلِّ مَن عَرَفوا عُنوانه دونَ مقابل، ممَّا ساعد في نَشرِ أفكارِهم وانضمام الناس إليهم.

ومَّا يلاحَظُ في فِكرِ أحمد الدين نَقْدُه اللاذعُ للنظامِ السائد في الميراث

⁽۱) مجلة «بلاغ» (ص ۲۰) عدد سبتمبر ۱۹۳٦م.

عند المسلمين، والدعوة بالاكتفاء على ما ورد في القرآن الكريم دون السُّنة، كتوريث ابن الابن مع وجود الابن للميِّت. وجَعَل الوصية فَرْضَ عين على المتوفَّى لمن شاء من ورَثَتِه، وإعطاء الإرث لمستحقِّه بقطع النظر عن ديانته وحريته إلى غير ذلك من الآراء الغريبة المخالفة لإجماع المسملين.

□ وله:

- (١) «معجزة القرآن»، وهو مجلد واحد.
 - (٢) «أصل مطاع»، وهو مجلد واحد.
- (٣) تفسير «بيان للناس»، وهو سبع مجلدات وصل فيه إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُ الْحُكُمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [القصص: ٧٠].
 - (٤) «برهان الفرقان»، وهو مجلد واحد.
 - (٥) «ريحان القرآن»، وهو مجلد واحد.
 - (٦) «قرآن مجيد ورسول حميد»، وهو مجلد واحد.

* الحَافظ أسْلم جِرَاجْبُوْرِي:

هو محمد أسلم، ابن العلامة سلامة الله البهوبالي، المؤرِّخُ الفيلسوفُ، أحدُ أركان القرآنيين البارزين.

ولد في «جراجبور» ١٢٩٩هـ/ ١٨٨٠م بقاطعة «أَعْظَمْ كَرَهْ» بالهند في أسرة أهل الحديث ـ أثناء أداء والده مناسك الحجّ، وحَفظَ القرآنَ الكريم قبل أن يناهزَ التاسعة من عمره، فلذلك لُقِّب بالحافظ، ثم أَخذ في دراسة اللغة الفارسية ـ لغة العلوم الدينية آنذاك ـ، ثم الرياضيات، فاللغة الإنجليزية، كما أنه درس العربية على مولانا فتح اللَّه، وتُوفِّي في ٢٨ ديسمبر ١٩٥٥م.

الما صلته بالخواجة «أحمد الدين» وتأثّر وبأفكاره، فتبدو واضحة في ترجمته كتاب الخواجة «معجزة قرآن» إلى اللغة العربية، ونَشْره بين البلاد العربية، كما أنَّ «الحافظ» سار في موضوع «الإرث» على نَهج الخواجة، فأخرج كتابه «محجوب الإرث» نَقْداً لقواعد الميراث المُجْمَع عليها بين المسلمين، كما أنَّ لفِكْر «الحافظ» نصيبًا وافراً في صبغ الأفكار الاشتراكية بالإسلام، كتحويل مَلْكيَّة الأرض إلى الدولة، واختراع مَنصب «مركز المِلَّة» ليَحُلَّ مَحَلَّ «مجلس التشريع الحاكم» عند الاشتراكيين.

□ يقولُ هذا المأفونُ في مَدحِ الاتحاد السوقيتي ما نصُّه: "إنَّ المِلَةَ الرُّوسيةَ جَدَّدتِ العملَ الإسلاميَّ الذي وُجِد في العهود السابقة، بل أجود منه، إذْ أطاحت بالرأسماليين ومُلاَّكِ الأرضِ وأصحابِ الإماراتِ الصغيرة، وهذا معنى "لا" من كلمة "لا إله إلاَّ اللَّه"، وهي أولُ لَبِنَةٍ في الإسلام، وهذا العملُ هو عَينُ الامتثالِ لمبدأِ الشهادتين"().

ومما لا يَسَعُ الباحثَ إنكارُه أنَّ «الحافظ أسلم» هو الرجلُ الثاني بعد «بَرْويز»(۲) الذي نَبَعَ من حيثُ التأليف، وقام بالنشر لأفكارِ القرآنيين، وتُوُفِّي في مارس ١٩٥٥م ولَحِقَ بربِّه ليلقَىٰ جزاءَ أعماله.

* غلام أحمد بَرْويز، عَدُّو السُّنَّة اللَّدُود:

هو غلام أحمد برويز بنُ فضلِ دين، وُلِد في ٩ يوليو ١٩٠٣م، في بلدة «بَتَالة» القريبة من «قاديان» بالبِنْجاب الشرقية في الهند.

⁽١) «نوادرات» (ص١١٥) للحافظ أسلم.

⁽٢) برويز هو تلميذ الحافظ أسلم.

في سنة ١٩٣٨م أصدر السيد «نذير أحمد» ـ بتمويلٍ من صديقه برويز ـ مجلة «طلوع إسلام» دونَ تسجيلها باسمه الخاص.

وبعد استقلال باكستان، وبعد أن أصبح «محمد علي جناح القادياني» أولَ زعيم ورئيس لباكستان!!! انتقل «برويز» من الهند إلى باكستان مع مجلته «طلوع إسلام».

* فكرُه ونَشاطُه لدعوته:

بَعدَما وصل «برويز» إلى «كراتشي» وطاب له المقام فيها، نَشِط في دعوته نشاطًا بالغًا لِخُلُوِّ الجوِّ من المعارضة القويَّة من جهة، وللإعانة الفعلية من أرباب الحُكم من جهة أخرى، فوجَد أرضًا خصبة لنَشْر أفكاره، فوضَع لمؤيِّديه أُسُسًا واضحةً، وجَعَل لهم مكاتب فكر تحت إدارته، وأطلق عليها اسم «نوادي طلوع الإسلام» تَبعًا لاسم مجلته، ولم تَمض بضعُ سنوات على مجيئه حتى عمَّ ذكره في أرجاء باكستان، بل تجاوزها إلى الدول العربية والأوربية والأميركية، فأخذ الناس يَهرعون للانضمام إلى دعوته.

وعلى جانب آخر أخذت أجهزة الإعلام للدولة تُكيلُ له المَدْحَ كَيلاً، فانضمَّ إلى صُفوفه كثيرٌ من المُثَّقفينَ والمحاميينَ والقُضاةِ والمُحاضِرِينَ وأساتذة الجامعات والطلاَّبِ والمهندسين.

وفي نوفمبر سنة ١٩٥٦م عُقد أولُ اجتماع عامٍّ لجميع نوادي «طلوع إسلام» في «لاهور»، ثم تتابعت الاجتماعاتُ السَّنويةُ لاتخاذ اللازم، والبحث في المشاكل التي تعترضُ طريقهم لنشر الأفكار في أرجاء الوطن الإسلامي الكبير.

وفي هذه السّنة نفسها كان «برويز» قد عُيِّن عُضواً في «لجنة التقنين» في باكستان، غير أنه لم يَستمر بها طويلاً، إذ عُطِّل الدستور بأكمله إثر انقلاب عسكري قام به الجنرال «أيوب خان»، وأَمَر بالغاء جميع الحركات والأحزاب ما عدا حركة «طلوع إسلام»، ولعل السبب في ذلك يعود إلى ملاءمة الأفكار البرويزية لكل حاكم.

ومركز «الملَّة» عند برويز يتولاً ه كلُّ مَن تمكَّن منه ، وقد مُنح لهذا المركز سلطات تشريعية واسعة ، من الحَظْرِ والإباحة والإجبار ، وهذا ما يَبتغيه كلُّ حاكم لبقائه في الحُكم ، ولعلَّ هذا هو أحدُ الأسبابِ الخَفِيَّةِ العاملة في إلغاءِ قانونِ الأحوالِ الشخصية الإسلامية إبَّانَ حُكم هذا الجنرال ، وإحلالِ القوانينِ الوضعية ـ المقدَّمة من لجنة الأحوال الشخصية ـ مَحلَّه .

والحقُّ أن فكر «برويز» يمتازُ بالاطِّلاع الواسع على الأفكار الأوربية، ويرى وجوبَ صَبْغ الإسلام بها. وبالإضافة إلى ذلك يعتقدُ أنَّ النظريات العلمية حقائقُ لا تَقبلُ الجَدلَ والمناقشة؛ لذا يجبُ تفسيرُ القرآن بمقتضاها، كالقول بالتطوُّر في وجود الخَلْق، وإنكار خوارق العادات. أمَّا التأويلُ وصَرفُ الكلمات عن معانيها الحقيقية في كُتُبه، فحدِّثْ ولا حَرَجَ، فما من معتقد إسلامي إلاَّ مَسَّه قلمُ «برويز» بالتأويل.

و «غلام أحمد برويز» يُقلِّدُ «توفيق صدقي» تقليدًا تامًّا ـ مع دعوى الاجتهاد والانفراد ـ؛ لأنه يُنكِرُ إنكارًا تامًّا أن يكونَ للأحاديث أيُّ قيمة تشريعية (١٠) .

ولعلَّ أولَ إعلانِه بأفكارِ القرآنيين، وإثارةِ الشبهاتِ حولَ السُّنةِ لإزالةِ

⁽١) «دراسات في الحديث النبوي» لمحمد مصطفئ الأعظمي (ص٢٨).

الثّقة عنها، ودعوة الجماهير إليها جهارًا: يعودُ تاريخُه إلى مسجد «سكرتارية دهلي» الذي كان قد منح «برويز» مِن قبل مسؤولي المسجد حُقوقَ خُطبة الجمعة فيه، لحُسنِ نواياه السابقة، لكنه سرعانَ ما أخذ أسلوبُه يتلوّنُ من يوم لآخر، فبدأ بالتأويل في السّنة، فالتعريضُ بها، وأخيرًا إنكارُ حُجّيّتها وعدمُ الاعتماد عليها في شرع اللّه عزّ وجل، غير أنه لَم يَمْضِ وقت طويلٌ على هذه الأفكار حتى استولى الحماسُ الدينيُ على «موسى» الفريلُ على هذه الأفكار حتى استولى الحماسُ الدينيُ على «موسى» الفريس، بالسكرتارية، فأخذ بتلابيب الخطيب، ونهاه عن إلقاء مثل هذه التُرّهات، ماكان سببًا مباشرًا لعَدَم عودته إلى المسجد للخطبة مرةً أخرى.

وكان «برويز» قد اتّصل في هذه الآونة بأستاذه الفكري «الحافظ محمد أسلم جراجبوري»، فتتلمذ عليه، وورث منه جميع مُخلَّفات الخواجة الفكرية حول السُّنة، وما أضاف «الحافظ إليها طُوال عمره الطويل، بَيْدَ أن الأرض لم تكن خصبة لنشر أفكاره بين المسلمين آنذاك لكثرة ما كانت تكتظ به «دهلي» من العلماء الأجلاء من جهة، والتغيرات السياسية التي أوشكت أن تَحُل بالمسلمين وقتئذ من جهة أخرى، فَبقيت أفكاره تختلج في صدره حتى نالت باكستان استقلالها، فجاءها مهاجراً كبقية المسلمين، واتخذ «كراتشي» مقراً مؤقّاً لنشر دعوته.

وإذا أردنا أن نعرف موقف الرجل من «السيد أحمد خان» وأفكاره، فنراه يُبجّلُه، ويَضَعُه في قائمة مفكِّري هذالعصر، ويقول: «وفي عصرنا الحاضر يُعتبر «السيد أحمد خان» والدكتور «محمد إقبال» أشهر مُفكِّري هذا العصر»(١).

◘ أما موقفهُ من «عبداللَّه جكرالوي»، فنراه يَمدحُ مَنهجَه، ويُنكرُ

⁽١) «فرقة أهل القرآن» لبرويز (ص٨).

عليه تعيين الجزئيات من القرآن الكريم، غير أن «برويز» يُخَوِّلُ تعيين الجزئيات إلى مركز «المِلَّة» فالرجلان متَّفقان في المبدأ والغاية، غير أنهما اختلفا في السبيل الموصِّل إليها، فكلاهما ادَّعيٰ كمال الدين في القرآن وعدم التسليم لغيره في الحُجَّة والبرهان، واختلفا في تعيين هذا الكمال، فيرئ «عبداللَّه» كماله لشُمولِه جزئيَّات الدين، ويرئ «برويز» كماله وشموله بذكر الأصول وترك الجزئيات إلى مركز الملَّة، وبذا يكونُ قد وصكلا إلى الغاية المنشودة، وهي إلغاء السُّنة من مصادر التشريع في الإسلام.

□ يقول «برويز» في ذلك ما نصبه: «وإنا نرى «عبدالله جكرالوي» كان سليم النيّة، اكتوى بنار ما أصيب به الإسلام في هذا القرن من الفرق المتعدّدة، فانتَحَل علاج هذه المعضلة، فنادى بجمع المسلمين على القرآن الكريم، وإلى هذا الحدّ كان سليم المشي صحيح المسلك، غير أنه تقدّم فوقع في اللّبس حين قال: إنّ العمل على الإسلام ليس بحاجة إلى غير ما في القرآن»(۱).

ويُعتبر «برويز» أكثرَ القرآنيِّين تأليفًا، بل هو مؤلِّفُ الحركةِ القاديانية، وقد زادت مؤلَّفاتُه على ثلاثين مُؤلَّفًا.

* موقفُ العلماء من أفكاره:

أصبحت مدينة «لاهور» مدينة إقبال منذ عام ١٩٥٨م مقرًّا دائمًا لدعوة «طلوع إسلام»، لكنَّ العلماء كانوا لها بالمرصاد، إذ جَعَل مولانا «المودودي» «لاهور» نفسها مقرًّا للجماعة الإسلامية، وسلَّط أضواءً مستفيضة على دَعوة «برويز»، وحَذَّر الناس مِنِ اتِّباعِها وعواقبِها الوخيمة

⁽١) «فرقة أهل القرآن» لبرويز (ص٨).

التي تَنتظرُ متَّبعيهِ يومَ القيامة .

وفي سنة ١٩٦١م وُضعت أفكارُ «برويز» ومعتقداتُه على مَحَكً البحث الإسلاميِّ أمامَ العلماء لِيُفُتوا فيها، وليبيِّنوا حُكمَ الإسلام فيمنَ اعتَنق هذه الأفكار، وهل تَبقى له صلةٌ بالإسلام، أو أنَّ الإسلام بريءٌ منه؟. وقد تولَّى إجراء هذا الاستفتاء أركانُ المدرسة العربية الإسلامية بـ«كراتشي»، فأفتى ما لا يقلُّ عن ألف عالم من علماء الدينِ من باكستانَ والهند والشام والحجاز بتكفيره وخُروجه عن ربْقة الإسلام.

* فرَقُ القرآنيين المعاصرة:

يُوجَدُ في الوقتِ الحاضرِ أربعُ فِرَقٍ من القرآنيِّين، يَجمعُهم أمران: ١ ـ القولُ بالاقتصار على القرآنِ وحده في أمورِ الدنيا والآخرة.

٢ ـ وأنَّ السُّنةَ النبويَّةَ ـ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ـ ليست بحُجَّة في الدين، فلا مَجالَ لإقحامها فيه .

١ - الفرقة الأولى: «فرقة أُمَّت مسلم أهل الذكر والقرآن»:

وهذه الفئةُ هي البقيةُ الباقيةُ من أصلِ فرقة «عبداللّه» مؤسسِ الحركةِ القرآنية، ضَمَّت في تسميتها حزْبه وحزْبَ الخواجة «أحمد الدين»، والواقعُ أنها لا تَمُتُ إلى فرقة الخواجة بصلة، وقد وَضَع حَجَرَ أساسها «محمد رمضان» تلميذُ «عبداللّه جكرالوي»، وكان لها نشاطٌ ملموسٌ أيام بانيها، غيرَ أنها بعد وفاته أخذت تضمحلُّ شيئًا فشيئًا، وهي في طريقها إلى الانقراض عاجلاً أو آجلاً، وينتمي إليها بضعةُ آلافٍ من البشر، وقلما تعثرُ على النشء الجديد في صفوفها.

ولهم مجلةٌ خاصةٌ بهم تَحملُ اسم «بلاغ القرآن»، ولِفِئةِ بلاغ القرآن

مساجد خاصةٌ في أكثر مدن باكستان، يُقيمون فيها الصلوات اليومية الثلاث بطريقتهم الشاذّة.

٢ - الفرقة الثانية: فرقة «أمة مسلمة»:

أسسها الخواجة «أحمد الدين» في «أمر تسر» بالهند، وكان لهما مَجلّتان: «بلاغ» و «البيان». ولا تخلو مدينة من مُدن باكستان من أعضاء هذه الحركة، وللأمة المسلمة مراكز متعدّدة في أغلب مُدن باكستان الرئيسية، وأمّا مركزهم الرئيسي ففي «لاهور»، والذي تَجدُر الإشارة إليه أنّ المنتمين إلى هذه الفئة يُوافقون المسلمين في الأعمال الإسلامية الظاهرة من الصلوات الخمس وصيام الشهر كلّه من وذلك ما يَحُولُ دون تمييزهم من بين المسلمين، ولعل مجلة «فيض إسلام» الرّوالبُنْديّة تُمثّلُ وجهة نظرهم غير الرسمية في الوقت الحاضر، وبالإضافة إلى أن أعضاءها يَسْعُون لإعادة إصدار «البيان» من جديد.

٣ - الفرقةُ الثالثة: فرقة «طلوع إسلام»:

مؤسِّسُها «برويز»، وفرقةُ «طلوع إسلام» من أنشط فِرَقِ القرآنيين في الآونةِ المعاصرة، وقد خَفَّ نشاطُها عن عهدها السابق بسبب فتوى العلماء بكفر «برويز».

وفرقهُ "طلوع إسلام" قام بتأسيسها "غلام أحمد برويز" في الهند قَبلَ استقلال باكستان، إلا أنه نَشِط في الحركة بعد انتقاله من "دهلي" إلى باكستان، فما من مدينة من مُدُن باكستان إلا وفيها فَرعٌ من فروع "طلوع إسلام"، بل لم يَقِفِ الأمرُ عند هذا الحدِّ، فقد تَجاوز ذلك إلى الدول

الأوربية عَبْرَ البحار، إذ «لطلوع إسلام» فروعٌ في اللدن الأوربية تتولَّىٰ الدعوةَ إلى الأفكار البرويزية.

والجديرُ بالذِّكر في أمر «طلوع إسلام» أنَّ داعيتَها يقومُ بإلقاءِ درسٍ في تفسير القرآن الكريم منذُ بضع وثلاثينَ سَنةً في يوم العُطلةِ الأسبوعية، وتُحفظُ دروسُه عن طريقِ آلات التسجيل، ويُستَمَعُ إليها في الأيام المُقبِلةِ في أكثرَ مِن عَشْرِ مُدُنْ مِن مُدُنْ باكستان الرئيسة بالإضافة إلى فرُوعها عَبْرَ البحار.

ومما لا شكّ فيه أنَّ الأفكار البرويزية لها نفوذٌ في صفوف المثقّفين، ولا سيَّما بين أولئك الذين يُريدون البقاء تحت الدَّوْحة الإسلامية مع تلبية رغباتهم الجامحة، والشيءُ المُلفِتُ للنظر أن أغلب كُتَّابِ «الأمة المسلمة الأمر تسرية» قد انضمُّوا إلى صفوف «طلوع إسلام» مواصلين مسيرتهم الكتابية، كما انضمَّ إلى صفوف العديدُ من أفراد أهل الذِّكر والقرآن أيضًا.

ولـ «طلوع إسلام» مركز رئيسي في «٢٥ B كُل بَرْك لاهور».

كما أن لهذه الفرقة مجلّتُها الرسميةُ الشهريةُ الدائمةُ «طلوع إسلام» تَنشرُ آراءَها منذُ بضع وأربعين سنةً، وفي أواسط الستينات من هذا القرْن تحوّلَت إلى أسبوعية لفترة من الزمن، بسبب الدعم المالي الخفي الذي حصلت عليه من بعض الجهات الخفيّة، ولا زالت مجلة «طلوع إسلام» تصدرُ في غُرَّة كلِّ شهر لاتيني مُعلِنةً بذلك تحديها المستمر لشاعر الأمة الباكستانية المسلمة.

هذا وقد اختَلَفَتِ التقديراتُ لِتعدادِ أَتباع «طلوع إسلام»، فمن مُكثرِ يَبلُغُ بهم إلى عَشَراتِ الألوف، يَبلُغُ بهم إلى عَشَراتِ الألوف،

والحقيقةُ تكمُنُ بين التقديرين، ولعلَّ المكثرِين قَدَّروا الأتباعَ أيامَ ازدهارِ الحركةِ في أواخِرِ الستينات، بينما المُقلُّون بَخَسوا عَدَدَهم لعدمِ إدراكِهمُ التامِّ لنشاطِ الحركةِ داخلَ الدولةِ وخارجَهاً.

والواقعُ المؤسفُ حقًا هو أنْ نَرَىٰ المثقّفين وأصحابَ المسؤوليةِ ينجرِفون وراء تيارِ «طلوع إسلام»، وينَخدِعون بسُحُبِه الكاذبة!.

٤ - حركة - أو فرقة - «تعمير إنسانيت»:

أما حركة «تعمير الإنسانية»، فهي فرقة من فرق القرآنيين الموجودة في الآونة المعاصرة، حديثة الولادة والنشوء، إذ بَرزَتْ على صفحة الوجود منذ ثلاث سنوات، يُموِّلُها الثَّرِيُّ «عبدالخالق مَالْوَادَه»، وهي تَجِدُّ وتَجتهد لكسب ثقة الشَّعب في أقرب وقت محكن، كما أن رياسة هذه الحركة تعود إلى «عبدالخالق» نفسه.

الله ولهذا الحركة خطيب مُفوَّة هو القاضي «كفاية الله»، وهو مُعْجَب والقاضي «كفاية الله»، وهو مُعْجَب بأفكار «الجكرالوي»، ويقول عنه: «إنَّ أفكار «عبدالله» اليدَ الطُّولَىٰ في القضاء الله به مِنِ اتِّباعٍ ما أَنزَلَ اللَّهُ، وإنَّ لأفكار «عبدالله» اليدَ الطُّولَىٰ في القضاء على الجمود العقلي الذي كان مفروضًا على المسلمين قبله».

وهذه الحركة تُبثُ دَرْسَها الأسبوعي "يوم الجملة" كلَّ أربعاء في صحيفة «مشرق» اليومية، والمجموع الكلِّي لأفراد فرق القرآنين جميعًا لا يتجاوز ٣٪ من مجموع سكَّان باكستان في الوقت الحاضر، ففتوى علماء الإسلام صدَّ مؤسِّس هذه الحركة، وضدَّ برويز قلَلتْ من شعبيتهما بصورة كبيرة، والحمدُ للَّه أنَّ وجودَهم لا يُهدِّد الكِيانَ الإسلاميَّ في باكستان،

ومآلهم ومآلُ كلِّ باطلِ إلى مزابِلِ التاريخ.

* آراءُ القرآنيين:

أولاً: موقفُهم من السُّنَّة:

أنكرَت فرَقُ القرآنيِّين السُّنَّةَ جُملةً وتفصيلاً.. وكان إنكارُهم لها إنكارًا كليًّا، وأثاروا بباطلهم الشبهات التي لا تَشُبتُ بحالٍ من الأحوال أمامَ رُدودِ أهل السُّنة.

َ قال «عَبداللَّه الجكرالوي»: «إنَّ الكتابَ المجيدَ ذَكَرَ كلَّ شيءٍ يُحتاجُ الله في الدين مفصَّلاً مشروحًا من كلِّ وَجهٍ ، فما الداعي إلى الوَحْيِ الخفيِّ؟ وما الحاجةُ إلى السُّنَّة؟ »(١) .

الله ويقول: «كتابُ اللّه كاملٌ مفصَّلٌ، لا يَحتاجُ إلى الشرح، ولا إلى تفسيرِ محمد عَلَيْ له وتوضيحِه إياه، أو التعليم العَمَليِّ بمقتضاه (٢٠٠٠).

الله ويقول «الحافظ أسلم» ما نَصُّه: «قد انحَصَرت ضروريَّاتُ الدين في اتِّباع القرآن المفصَّل ولا نتعداه».

والتفصيل المقصودُ في الآية ﴿ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ

⁽۱) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٤٩) ـ العدد الثالث سنة ١٩٠٢م. و«إشاعة السنة» (١٩) ص٢٨٦) عام ١٩٠٢م.

⁽۲) «ترك افتراء تعامل» (ص۱۰).

كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [يوسف: ١١١] معناه البيانُ وذكرُ الأصولِ والقوانين، وليس المرادُ به العمومُ وتعيينُ الجزئيات ـ كما فهموا من لُغتهم الأُرْديَّة ـ، «فالتفصيلُ» في اللغة الأرْديَّة غيرُه في اللغة العربية(١).

□ قال الراغب: «الفَصْلُ: إبانةُ أحد الشَّيئين عن الآخر»(٢).

□ وقالوا في إنكارهم مصدريَّة السُّنَّة: «إنها لم تكن وحيًا من اللَّه، وإنما هي أقوالٌ نَسبها الناسُ إلى رسولِ اللَّه ﷺ زُورًا وتزييفًا، وإنه لم يَنْزِلُ عليه من الوحي سوى ما حَوَاه القرآن».

□ قال «عبدالله» مؤسس الحركة: «إنا لم نُؤمَرْ إلا باتباع ما أنزله الله بالوحي، ولو فَرَضْنا جدَلاً صحَّة نسبة بعض الأحاديث بطريق قطعي إلى النبي ﷺ، فإنها - مَع صحَّة نسبتها - لا تكونُ واجبة الاتباع؛ لأنها ليست بوحي منزل من عند الله عز وجل»(٣).

□ ويقول: «يَعتقدُ أهلُ الحديثِ أن نزولَ الوحيِ من اللَّه ـ عز وجل ـ إلى نبيه عليه الصلاة والسلام قسمان: جَلِيٌّ متلوٌّ، وخَفِيٌّ غيرُ متلوًّ، والأولُ هو القرآن، والثاني هو حديثُ الرسول على الصلاة والسلام . . غيرَ أنَّ الوحي الإلهيَّ هو الذي لا يُمكنُ الإتيانُ بمثِلهِ ، بَيْدَ أَنَّ وَحْيَ الأحاديثِ قد أتي له مثيلٌ بمثاتِ الألوفِ من الأحاديثِ الموضوعة» (١) .

⁽١) «مقام حديث» للحافظ أسلم (ص١٤٣)، و «نكات قرآن» للحافظ أسلم (ص٧٩).

⁽٢) «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٣٨١).

⁽٣) «إشاعة السنة» (١٩/ ٢٩١) سنة ١٩٠٢م.

⁽٤) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٣٥) العدد الرابع ١٩٠٣م ومجلة «إشاعة السنة» (١٩٠/ ٣١٥) ـ العدد العاشر ١٩٠٢م.

□ ويقول «برويز»: «إنَّ هذا التقسيمَ للوَحْيِ مُعْتَقَدٌ مستعارٌ من اليهود «شَبْكَتَب» المكتوب «وَشَبْعَلْفة»، المنقول بالرواية، وإنه لا صِلَةَ له بالإسلام»(١).

السُّنَّةِ إشراكٌ في السُّنَّةِ وإنكارِ حُجِّيَّتِها: «إن اتِّباعَ السُّنَّةِ إشراكٌ في الحُكم، وقد نَهَى القرآنُ عنه ﴿ إِن الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ ﴾ الآية [الانعام: ٧٥]»!!!.

□ قال الخواجة «أحمد الدين الأمرتسري»: «قد وَضَع الناسُ لإحياءِ الشِّرك طُرُقًا متعدِّدةً، فقالوا: إنا نؤمنُ أنَّ اللَّهَ هو الأصلُ اللَّطاع، غيرَ أنَّ اللَّهَ أَمَرَنا باتباع رسوله، فهو اتباعٌ مضافٌ إلى الأصلِ المُطاع، وبناءً على هذا «الدليلِ الفاسد» يُصحِّحون جميع أنواع الشِّرك، فهل يُصبحُ الأجنبيُّ زوجًا لتزوِّجة بقول زوجها «إنها زوجته»؟! ألا وإنَّ اللَّهَ لم يأمرْ بمِثلِ ذلك، ﴿إِن الْحُكْمُ إِلاَّ للَّه ﴾ الآية [الانعام: ٥٧]»(٢).

□ وقَبْلَه قال «الجكرالوي»: «الحضُّ على أقوالِ الرسُلِ وأفعالِهم وتقريراتِهم مع وجود كتابِ اللَّه عِلَّةُ قديمةٌ قِدَمَ الزَّمَن، وقد بَرَّا اللَّهُ رُسُلَه وأنبياءَه من هذه الأحاديث، بل جَعَلَ تلك الأحاديث كُفرًا وشركًا»(٣).

أَإِتِبَاعُ السُّنَةِ شِرِكُ ؟! أَمِ الشِّرِكُ في جَعْلِ القرآنيِّين حقَّ التشريع - وهو حُكْمٌ ـ لَمَا أَسْمَوه (مركز المَلَّة)؟! .

□ وقالوا ـ افتراءً وكذبًا وزورًا ـ: «إن السُّنَّة لم تكنْ شَرْعًا عند النبي عَلَيْهُ، وفْهمَها الصحابةُ على هذا المنوال»!.

⁽١) «مقام حديث» لبرويز (ص٤٦).

⁽٢) «تفسير بيان للناس» لأحمد الدين (٢/ ٣٩٥ و ٤٤٥).

⁽٣) «ترك افتراء تعامل» لعبدالله جكرالوي (ص١٠).

□ قال «برويز»: «لو كانت السُّنَّةُ جُزءٌ من الدين، لَوَضعَ لها الرسولُ عَلَيْهِ مَنهجًا كمنهج القرآن من الكتابة والحفظ والمذاكرة، ولا يُفارقُ الدنيا إلاَّ بعد راحة بال على هذا الجُزءِ من الدين؛ لأنَّ مَقامَ النبوَّة يقتضي أن يُعطِي الدين لأمته على شكل محفوظ، لكنه ﷺ احتاط بكلِّ الوسائلِ المكنة لكتاب اللَّه، ولم يَفعلْ شيئًا لسُنَّته، بل نَهى عن كتابتها»(١).

□ ويقول «الحافظ أسلم»: «الأمرُ الذي لا مراء فيه أنَّ الصحابة قد أدركوا نَهْيَ النبيِّ عن كتابة سُنَّته، وعَرَفوا أنَّ الأم السابقة لم تَضِلَّ إلاَّ بسببِ كتابة روايات أنبيائها»(٢) !!!.

□ وقال: «والشيءُ المُلْفِتُ للنظر هو أنَّ الأحاديثَ لو كانت لها الصفةُ الدينيةُ، لَمَا اشتَدَّ نَهْيُ النبيِّ وصحابتِه عن كتابتها، ولهيَّؤوا السَّبُلَ لحفظِها وتدوينها»(٣).

□ ويقول الخواجة «أحمد الدين»: «اعلم أنَّ طاعة الرسول عَلَيْ كانت طاعةً مُقيَّدةً بزمنه، وامتثال أحكامه لا تتجاوزُ حياته، وقد أُوصِد هذا البابُ منذ وفاته عليه الصلاة والسلام»(٤٠).

□ وقالوا: «إنَّ السُّنَّةَ قد انتُقدت سَندًا ومَتْنًا، وما دَخَله النَّقدُ لا يَصلُحُ
 أن يكونَ دينًا».

□ وقال «الحافظ أسلم»: «الاعتراضاتُ الموجَّهةُ للإسلام من غير أهلِه

⁽۱) «مقام حدیث» (ص٧).

⁽۲) «مقام حدیث» (ص۲۰).

⁽٣) "مقام حديث" (ص١١٠).

⁽٤) مجلة «البيان» (ص٣٢) عدد أغسطس ١٩٥١م.

لا تأتي إلاَّ عن طريقِ الأحاديثِ التي أقرَّ المسلمون بصحَّتها، وهي موضوعةً الأصل، لا صِلَة لها بالدين (١١) .

□ وقالوا: «إنَّ القرآن حَضَّنا على الوِحدة، أمَّا السُّنَّةُ، فهي مُشَتَّتةٌ للمسلمين»!!.

□ قال عبدالله: «لا ترتفعُ الفُرقةُ والتشتيتُ عن المسلمين، ولن يَجْمَعَهم لِواءٌ، ولا يَضُمُّهم مكتبُ فِكرٍ مَوَحَّدٍ ما بَقُوا متمسكين برواياتِ زيدٍ وعَمْرو »(٢)!!.

السلمين ما لم يَتْرُكوا كُتُبَهم الموضوعة في طاعة الرسول عَلَيْهُ، ولن يَرُوا سبيلَ الرُّقِيِّ والتقدُّم ما لم يُمْحَ عنهم التشتُّتُ والفُرقة»(٣).

□ ويقول «برويز»: «قد فاق تقديسُ هذه الكُتبِ «كتب السُّنَّة» كلَّ التصوُّراتِ البشريةِ، مع أنها جزءٌ من مؤامرة أعجمية استَهدَفَتِ النَّيلَ من الإسلام وأهله»(٤).

□ ويُعلِّلُ ذلك - كذبًا منه وجهلاً -، فيقول: «فما أصحابُ الكُتبِ السُّنَّةِ إِلاَّ جُزءً من تلك المؤامرة، لذا نَجِدُهم إيرانيِّين جميعًا، لا وجود الساكنِ الجزيرة بينهم، والشيءُ المُحيِّرُ للعقول أنَّ العربَ لم يُسهِموا في هذا العملِ البَنَّاء، بل أسندوا جَمْعَ الأحاديث وتدوينَها إلى العَجَم، حتى تمَّ بناءُ العملِ البَنَّاء، بل أسندوا جَمْعَ الأحاديث وتدوينَها إلى العَجَم، حتى تمَّ بناءُ

⁽١) «مقام حديث» (ص٢٥٤).

⁽٢) مجلة «إشاعة القرآن» (ص٩٦) عدد شعبان ١٣٢١هـ نوفمبر ١٩٠٣م.

⁽٣) مجلة «إشاعة القرآن» (ص١٠) عدد ١٥ ديسمبر ١٩٢٧م.

⁽٤) «شاهكار رسالت» لبرويز ومعناها «فارس الرسول».

هذا الصَّرح المُؤامَر»(١)!!!.

* ثانيًا: موقفُهم من القرآن وتفسيره:

◘ تبنَّى القرآنيُّون في تفاسيرهم أصولاً ثلاثةً، وهذه الأصول هي:

١ - حَسبنا كتابُ اللَّه، لكفايته في تلبية كلِّ ما له صِلَةٌ بالحياة الإسلامية.

فعبداللَّه وأصحابُ «بلاغ القرآن» يردُّون كفاية القرآن وكمالَه بذِكرِ الأصول والجزئيَّات(٢) .

وأما «برويز» وأستاذُه «الحافظ أسلم»، فإنهما يَريَانِ كمالَ القرآن بشُموله الأصولَ كلَّها، وذِكرِ جزئياتٍ يسيرةً (٣) ، وأما الجزئياتُ التي لم تَرِدْ في القرآنِ، فيتولَّئ تقنينَها «مركز اللَّة».

و «مركز المِلَّة» هي السُّلطةُ العليا عندَ القرآنيِّين في الحكومةِ الحاكمة بالقرآن وحدَه.

□ وأجمع القرآنيُّون على أنَّ ما بين دَفَّتي القرآنِ لا وجود فيه لآياتٍ منسوخة!!.

٢ - الأصلُ الثاني: الاعتمادُ الكُلِّيُّ على اللغةِ العربية في فَهمِ الكتابِ المجيدِ، ما لَم يُقصدَ استنباطُ نظريةِ مُعَيَّنَة.

◘ وبِناءً على هذا المَسْلَكِ اللُّغويِّ نَفَىٰ أكثرُ القرآنيِّن جُلَّ الحقائق

⁽١) «مقام حديث» (ص٢٢).

⁽٢) «برهان الفرقان» (ص٢)، و«ترجمة القرآن» (١١/١) لعبداللَّه. وانظر مجلة «بلاغ القرآن» (ص٢٥) عدد فبراير ١٩٧٥م.

⁽٣) «تبويب القرآن» لبرويز (١/ ٤٤٦)، و «مقام حديث» للحافظ أسلم (ص١٤٢).

الشرعيَّة، المستفادة من الألفاظ التي خَصَّها الشارعُ لشيءٍ معيَّن ـ كالصلاة والزكاة والطواف وما شاكل ذلك ـ، فقالوا في تفسيرهم للطواف: «ليس معنى الطواف أن ندور حول البيت، بل معناه أن نتردَّد إليه بين الحين والآخر، وهو المقصود من قوله عز وجل: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضِ ﴾ [النور: ٥٥]»(١) .

٣- الأصل الثالث: الإلحادُ والتأويلُ وتحكيمُ العقل في بيانِ مرادِ اللّه، بقطع النظرِ عن اللغة ومدلولاتها الظاهرة، لاستنباطِ نظرياتٍ معينة اعتَنقها القرآنيُّون وفق أهوائِهم، ومن هذه النظريات:

أ ـ نظرية مركز الملَّة:

أولُ مَن تشدَّق بها «الحافظ أسلم»، ووَضَّح حدودَها ومعالِمَها تلميذُه «برويز». . ويتلخَّصُ مَفهومُهم «لمركز المِلَّة» في النقاط الآتية :

١ ـ الآياتُ الواردةُ في طاعةِ اللّه ورسوله، مفهومُها الآن طاعة «مركز اللّه».

٢ ـ «مركز المِلَّة» هو النظامُ الذي يَحكم بوفقِ القرآن.

٣ ـ مِن صلاحيات هذا المركز تعيينُ حُكم الشرع في الأحكام التي لم يرد ذكرُها في القرآن، دون أن يلتزم بما سَبقته من الأنظمة.

٤ ـ من حقّ من يَخلُفُ هذا النظامَ الآ يوافِقَ النظامَ القرآنيَّ السابقَ في الأحكام التي عيَّنها وفقَ بصيرته .

⁽١) مجلة «بلاغ القرآن» عدد يناير ١٩٧٥م.

٥ ـ يتمتعُ هذ النظامُ القرآنيُّ بالتحريمِ والإطلاقِ والتقييد لِمَا يَرَاه غير مَوافقٍ لظروفِه من الأحكام القرآنية(١) .

* نظرية «نظام القرآن الاقتصادي» ، أو «اشتراكية الأموال» :

الله يقول «برويز»: «في ظِلِّ هذا النظام «نظام القرآن الاقتصادي» لا يجوزُ جَمعُ المادَّةِ ألبتَّة، وقد جاء الوعيدُ الشديدُ علىٰ مَن يجمعُها: ﴿ وَاللَّذِينَ يَحْنِزُونَ اللَّهَ فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ يَكْنِزُونَ اللَّه فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [التوبة: ٣٤].

وفي النظام القرآني لا يمكنُ البقاءُ للأموالِ النافلة في أيدي أصحابها، ولا يَسَعُنا أن نتصوَّرَ الملكيَّة الفَرديَّة تحت حُكم هذا النظام، بل تُعَمَّمُ الأرضُ والأموالُ والمصانعُ والتجارةُ للملكيَّة الجماعية، حتى يستطيعَ هذا النظامُ القيامَ بتلبية ما يَحتاجُ إليه أفرادُه»(٢).

فالدجَّالُ «برويز» أتى بأفكارِ الاشتراكيين الاقتصادية، فكساها أثوابًا قرآنية حتى يتسنَّى له نشرُها بين المسلمين.

ونَفْيُ المَلكيَّةِ الفرديَّةِ مخالفٌ لصريح القرآنِ والسُّنةِ والإِجماعِ، ولا يقولُ به إلاَّ كذَّابٌ مفترٍ.

فأين هو من قول اللّه تعالى: ﴿ أُو لَمْ يَرُواْ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَملَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [يس: ٧١]؟. وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنفَقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنَّا وَلا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

⁽۱) «القرآنيون» (ص۲۸۰، ۲۸۱).

⁽۲) «قراني قوانين» لبرويز (ص١٥٧، ١٥٩).

وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٢٦٢]؟ .

* آراء القرآنيّين الاعتقادية:

١ ـ الشِّركُ باللَّه:

يَذهبُ «عبداللَّه» و «الخواجة أحمد» إلى أنَّ العملَ بالسُّنَّةِ والنُّزولَ عند أحكامِ النبيِّ عَلَيْكُ الواردةِ في الأحاديث شرِكٌ، وأنَّ الامتثال لتلك الأحكامِ طريقةٌ من طُرُق إحياء الشِّرك وتصحيح المعتقدات الشركيَّة (١).

ويرَىٰ «برويز» أَنَّ اتِّباعَ أحكام غيرِ اللَّه «يعني النبيَّ ﷺ » شرِكٌ، وأنَّ افتراقَ المسلمين إلى العديد من الفرِق والطوائف المتناحرة شرِكُ (٢) .

٢ ـ العرش واستواء الرحمن عليه:

ذهب «عبدُاللَّه» و «برويز» إلى أنَّ المقصودَ بعَرشِ الرحمن: «السُّلْطةُ واللَّلُك» وليس عَرشًا حقيقيًّا، والمقصودُ باستوائه على العرش مِلْكُ جميعِ نُظُم الكائنات، وأنَّ له السُّلطةَ المتفرِّدةَ عليها (٣).

٣ ـ النُّبُوَّات:

أ ـ المعجزاتُ وخَرقُ العادة على يد نبيِّنا عَلَيْهُ :

أجمع القرآنيُّون على إنكارِ وُقوعِها من محمدٍ ﷺ ما عدا معجزة القرآن.

⁽١) انظر «ترك افتراء تعامل» (ص١٠) لعبداللَّه، و «تفسير بيان» للخواجة أحمد (٢/ ٩٥،، ٣٩٥،

⁽٢) انظر «تبويب القرآن» (٢/ ٨٩٣) لبرويز ، و«منزل به منزل» لبرويز (ص٢٤).

⁽٣) انظر «برهان الفرقان» لعبداللَّه (ص٢٦٢) و «تبويب القرآن» لبرويز (٣/ ١٠٣٢).

أما المسلمون، فلم يختلفوا في صدور خوارق العادات من النبي عَلَيْلُهُ، وقد أوصَلَها بعضُهم إلى ما يَزيدُ على ألف خارق (١٠) .

☐ قال «الحافظ أسلم»: «لم يُعْطَ النبيُّ عَلَيْكُ معجزةً سوى القرآن، بينما الأحاديثُ ذكرَت له معجزات حسيَّةً كثيرةً»(١٠).

◘ وموقفهم من «خَرْق العادة» قبلَ عهد النبوة على قولَين:

١ - فريق يعترفُ بخوارقِ العاداتِ السابقةِ المذكورة في القرآن للأنبياء والصالحين.. وعلى رأس هؤلاء «عبدالله» مؤسس الحركة القرآنية و«الحافظ أسلم».

٢ ـ والفريقُ الآخرُ مناع الخوارقَ بالكليَّةِ ، وحمل الواردَ منها في القرآنِ على المعاني المجازيَّة . وهذا مسلك «برويز» و «الخواجة أحمد» .

ب ـ قالوا عن ولادة المسيح عيسى بن مريم: "إنه وُلِد من أبويْن شَرْعيَّينِ، لا مِن مَريمَ وحدَها»!! وهذا قولُ "الخواجة أحمد» و"برويز» وأصحاب "بلاغ القرآن».

أما عن عُودة المسيح قبل يوم القيامة ، فَهُمْ فريقان :

ا ـ فريقٌ يَرىٰ عَدَمَ عودته إلى الأرض مرةً أخرىٰ . وهذا قولُ «الخواجة أحمد» و «مقبول أحمد» و الحافظ «محب الحق» وأصحاب «بلاغ القرآن» و «برويز» . و صرَّح «الخواجة وبرويز» بوفاته ـ عليه السلام ـ في كُهولته (۳) .

⁽١) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» (١/ ١٤٠) لابن تيمية.

⁽٢) «تعليمات قرآن» (ص ١٥٠)، و «نكات قرآن» (١٦٨) للحافظ أسلم.

⁽٣) «تفسير بيان للناس» (٢/ ٩٣١).

وأما «الحافظ أسلم» و «عبداللّه»، فيرون أن عيسى ـ عليه السلام ـ حي " على هذه الأرض، وأنه سيظهر مرة أخرى قبل يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦٦]ولقوله: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا اللّهُ مُنَّ لَهُ لَلْ مَوْتِهِ ﴾ [النساء: ١٥٩].

□ وذهب الكذَّابُ الأشِرُ «مقبول أحمد» في «ختّم النبوة»: «أنَّ الرسل جاءت تترىٰ لهداية الخَلْق أجمعين، وأنها ستستمرُّ في المجيءِ ما دام للجهلِ والظلماتِ بقاءٌ على هذه الأرض».

٤ _ موقفهم من الحياة البرزخيّة:

اتَّفق القرآنيُّون جميعًا على إنكارها .

☑ قال «الحافظ أسلم»: «عالَمُ البَرزخِ عالَمٌ مَوَاتٌ، لا حياة فيه ولا إدراك بأيِّ شكلٍ من أشكاله»(١).

□ ويقول «برويز»: «القبرُ لا حقيقةً له بُروحِ القرآنِ الكريم، لأنه مَدفنُ جِسمِ ميِّتٍ يَقِي الجوَّ الخارجيَّ من عُفونتِه ما لَوْ بَقِيَ ذلك الجِسمُ على ظَهرِ الأرض بارزًا، لا أنه موضعُ سؤالٍ وعذاب»(٢).

٥ _ موقفهم من الشَّفاعة يوم القيامة:

□ أجمع القرآنيُّون على نَفيها ألبتَّة . . يقول «عبداللَّه» مؤسس الفرقة :
 «مسألةُ الشفاعةِ عمومًا ، ومِن الرسلِ خصوصًا ، جَعَلَتِ الناسَ تقولُ : «لن

⁽۱) «نكات القرآن» للحافظ أسلم (ص٤٣)، «تعليمات قرآن» (ص١٩٠)، و«نكات قرآن» (ص١٥٧) للحافظ أسلم.

⁽٢) «تبويب القرآن» لبرويز (٣/ ١٣٠٤).

ندخلَ النارَ إلاَّ أيامًا معدودة، وستَخرِجُ منها»، فعامَّةُ الناسِ كالأنعام لا تَعِي ما تقول، بل المعتَقَدُ بِرُمَّتِه وَرَد من أهلِ الحديث، وهو افتراءٌ منهم على هذه الشخصيَّات المباركة.

ويُقال: الشفاعةُ نوعان: صُغرىٰ وكُبرىٰ، والأخيرةُ هي ما تكونُ للخَلاص من مَيدان الحَشْر، وإنَّا نُنكِرُ هذه الشفاعة، وإنَّا لها خُصُوم؛ لأنها افتراءٌ وبُهتانٌ على النبي ﷺ، وهو بَريءٌ من مِثل هذه المُنكراتِ الشَّنعاء».

والأولئ نوعان:

أ ـ نجاةُ بعض المؤمنين مِن دخولِ جَهنَّمَ مَّن يَستحقُّها .

ب ـ أو تخفيفُ العذابِ عنهم، وهذه التُّهمةُ أيضًا تبراً القرآنُ منها؛ لأنَّ الاستشفاعَ عَمَلٌ مخالِفٌ لَلعقلِ والنقل، بل هو ظُلمٌ في حدِّ ذاته، إذ لا يُتصورُ وقوعُ مثلِه في محاكم الدنيا العادلة، فما بالُك في الآخِرة؟!، فلو شَفَع عاقلٌ لمجرم وأُفرج عنه، لَمَا حُمدَت عقباه»(١).

٦ ـ موقفُهم من الجنَّة والنار:

القرآنيُّون بإزائهما فرقٌ ثلاث:

أ ـ ذهب «عبداللَّه» ومَن نحا نحوه ـ إلى «أنَّ الجنَّةَ والنارَ أمكنةٌ حقيقيةٌ ستُخلَقُ يومَ القيامة، وأنه لا وجود لهما في الآونة المعاصرة؛ لأنَّ وجودهما الآن يخلو عن الحِكمة والمصلحة، وأفعالُ اللَّهِ لا تَعْرَىٰ عنهما ألبتَّة»(١) .

⁽۱) «ترجمة القرآن» للجكرالوي (۳/ ۱۲۵، ۱۲۹)، و«تبويب القرآن» لبرويز (۳/ ۱۰۲۲، ۲ / ۸۶۳) و «تفسير بيان للناس» (۲/ ۲۹۶، ۳۱۳، ۷۲۰، ۷۲۳، ۸۶۳).

⁽۲) «ترجمة القرآن» (٤/ ٣٢).

ب وأما «الحافظ أسلم» و«مقبول أحمد» ومن تَبِعَها من فيرون أنَّ «الجنة والنار وما وصفتا به من نعيم وعذاب صورتان تمثيليَّتان، حسبما كانت تَعرفُه وتُحِسُّ به البشرية عَصْر نزول القرآن، وقد اختلف الحسُّ البشريُّ في النعيم والعذاب في الآونة المعاصرة، فلذا ينبغي وضع تعريفات جديدة للجنَّة والنار، فلا يكزمُ من احتراق النار احتراق حسيُّ للجسم، بل المراد المشقَّةُ والكربُ التي تجعلُ الإنسانَ يُحِسُّ بالاحتراق داخلَ نفسه»(۱).

جـ أمَّا "برويز" والخواجة "أحمد الدين" و "جعفر شاه بلواري" (ومن نحا نحوهم، فيرون أنَّ الجنَّة والنار طَوْرٌ من أطوار الحياة البشرية، وأنَّ نُموًّ الحياة وإزدهارها يعني حياة الجنّة، وتوقّفها وعدم الرُّقيِّ فيها يعني الجحيم والنار، كما أنَّ الجنّة والنار ليستا الحَلْقة الأخيرة من حياة البشر، ولا من الأشياء التي لا نَجِدُها إلاَّ بعد الموت، بل الحياة أمر أبديٌّ، والرُّقيُّ من منزلة إلى أخرى قائمٌ فيها على قَدم وساق، وسيبقى إلى الأبد، فالجنة والنار تعبيرات لكيفيَّات الحياة، لا أنهما أسماء أمكنة خاصة () .

هذه معتقدات الدجَّالين الكذَّابين.

* آراءُ القرآنيين التشريعية(١):

⁽١) «تعليمات قرآن» للحافظ أسلم (ص٢١٢، ٢٢٥).

⁽٢) أحد زعماء «طلوع إسلام»، وأحد المكثرين في الكتابة في الآونة المعاصرة عن آراء القرآنيين.

⁽٣) «تبويب القرآن» لبرويز (٢/ ٢٥٥، ٥٥٧)، ومجلة «طلوع إسلام» (ص٢٤) عدد أكتوبر ١٩٥١م.

⁽٤) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٣٦٥ ـ ٤٤).

فيما يلي نماذج مختصرةً من آرائهم في العبادات والمعاملات:

أ - ففي العبادات: خَرَجت بعضُ فِرَقهم على أركان الصلاة عند المسلمين، وتوصَّلوا إلى شُذوذات عجيبة قد تُخرِجُهم من المِلَّة - والعياذ باللَّه -:

ففي الصلاة: لهم اختلافاتٌ في كيفيَّتها حَسْبَ طوائِفهم ، من ذلك وصفُها كما وردت في كتاب «صلاة القرآن كما عَلَم الرحمن» لمحمد رمضان ـ أحد دعاتهم ـ، وقد سَمَّوها: «صلاة أهل الذِّكر والقرآن»، وتتلَّخصُ في:

١ ـ أن المفروض من الصلوات ثلاث ، وأن أداء العصر والمغرب هو البياع لهوى النفس.

٢ ـ ولكلِّ صلاةٍ ركعتان، وما زاد على ذلك فهو تعيينٌ من الناس لا مِن
 ربِّ الناس.

٣- تكبيرةُ الإحرام هي: «إنَّ اللَّه كان عليًّا كبيرًا».

٤ ـ الرفعُ من الركوع مُخالِفٌ لتعليم القرآن، فيَجبُ أن يَخرُّ المُصلِّي من الركوع إلى السجود مباشرةً، دونَ الرفع منه.

٥ ـ لكلِّ ركعة سَجدةٌ واحدةٌ لا غير .

٦ ـ حين الانتهاء من أذكار السجود تنتهي الصلاة(١١)

ومِن الجديرِ بالذِّكرِ أنَّ هذه الصلاة تُطبَّقُ حتى الآنِ عند أصحاب «مجلة بلاغ القرآن» جُملةً وتفصيلاً.

⁽١) «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» لخادم حسين إلهي بخش (ص٣٦٥- ٤٤).

الله ويقول المؤلِّف «خادم حسين إلهي بخش»: «وقد شَهدتُ لهم صلاةً عركزِهم في «لاهور» حيث تُطبَّقُ صلاتُهم، وكان الإمامُ يقرأ القرآنَ من أيات حدَّدها لهم «محمد رمضان»، وهي (٢٥) آيةً من مختلف سور القرآن» (٢٠) .

وترى طوائفُ أخرى أنَّ هنالك وقتين للصلاة: الفجر والعشاء، وما عدا ذلك، فلا يجوزُ القيامُ به، ولا يَرى إمامُ هذه الطائفة ـ وهو «الخواجة أحمد الدين» استقبالَ القبلةِ في الصلاة، بل تَجُوزُ الصلاةُ عنده إلى الشرق والغرب!!.

ولا شك أنَّ هذا الانحرافَ قد جاء نتيجةً طبيعيةً لإِنكارِ السُّنة، وعدمِ الاعتراف بها في شرع اللَّه(٢٠) .

ومن شذوذات القرآنيين: أن بعضَهم لا يُجيزُ المَسحَ على الخُفَّينِ، لأنَّ القرآن أَمَر بَسح القَدَمين، ويَرون أنَّ الأحاديثَ الواردةَ في المَسحِ باطلةٌ لا أساسَ لها منَ الصِّحَة، ولا يَرون أنَّ للصلاة أذانًا، لأنَّ القرآنَ لم يأمرْ به، فالمُنبِّهُ الحقيقيُّ عندهم «للصلاة» هو دخولُ الوقت وليس الأذان -.

ولا يَرَون تفضيلَ بُقعة على أخرى في الصلاة، ولذلك فهم يُكذَّبون ما ورد عن المعصوم ﷺ في المساجد الثلاثة وفضلها . . أمَّا صلاةُ التراويح، فيرى بعضُهم أنها بدعةٌ وضلالةٌ مُفضيةٌ إلى النار(") .

⁽۱) «القرآنيون» (ص٣٧١ ـ ٣٧٢).

⁽٢) المصدر السابق (ص ٣٧٣، ٣٧٨).

 ⁽٣) هذه الآراء منسوبة إلى طائفة عبدالله جكرالوي. . انظر «القرآنيون (ص٣٦٧) وما
 بعدها .

وفي الزكاة: نُلخِّصُ آراءَ فِرَقِهم بما يأتي (١):

أ ـ يجبُ إعطاءُ نِصفِ الخُمسِ للزكاة ، سواءٌ كانت كَسْبًا من عَمَلِ يدٍ ، أم ممَّا أَنْتَجَتْه أرضٌ زراعية .

ب- ثم تحدَّثوا عن المقدار الذي يجبُ إعطاؤُه للزكاة، دونَ أن يكونَ لها نصابٌ مُقدَّرٌ في المال الذي تَجبُ فيه الزكاة، فقالوا: «على المسلمين أن يجتمعوا لصلاة الصبح في مسجد حيِّهم كلَّ يوم، عند فقدان الحكومة الإسلامية، ويُقدِّموا إلى أميرِهم عُشْرَ ما اكتَسبوه في اليوم السابق زكاةً مفروضة، ليَضمَّه الأميرُ إلى خزانة بيت المال، وليصرف الأميرُ منه على تبليغ القرآن وعلى الأفراد التُّعساء»(٢).

جــويرى آخرون رأيًا آخر في وقت وجوب الزكاة، فقالوا: «صاحبُ الأجرِ يجبُ أخذُ الزكاة منه يومَ تَسَلُّم أَجْرِه. . وأنه لا داعي للانتظار سنةً كاملةً ، ولا جَدوى منه »(٣) .

أما الصوم (١٠): فقد وافَقَ أعيانُ الحركة القرآنية المسلمينَ على صيامِ الشهر القَمَريِّ، لأنَّ القرآنَ صَرَّح بصيامه، ولم يَشُذُّ عنهم إلاَّ الخواجة «أحمد الدين».

□ حيث يرى الأولُ: «أن المطلوب هو صيامُ شهرينِ من أشهرِ السَّنة، دونَ
 التقيُّدِ برمضان. . وللمسلم أن يتقدَّم أو يتأخَّر في صيام الشهرِ حَسْب حاجتِه».

⁽١) ينظر «القرآنيون» (ص٣٨٣ ـ ٣٩٥) خادم حسين إلهي بخش.

⁽٢) هذا الرأي ينسب لعبدالله جكرالوي و «أصحاب بلاغ القرآن».

⁽٣) هذا رأي الخواجة أحمد الدين وأتباعه.

⁽٤) ينظر «القرآنيون» (ص٩٦ ٣٩٧ ـ ٣٩٧).

□ ويَرِيْ الثاني: «أنه يجبُ صيامُ ثلاثين َ يومًا، بالشهر الشَّمسيِّ، لأنه لا يَختلفُ من سَنَة إلى أخرىٰ».

وقد انضم الى قائمة الشذوذ كل من السيد «مقبول أحمد» والخواجة «عباد الله أختر» إذ يَريان أن الصيام المفروض على المسلمين وفق رُوح القرآن يَبدأ بالحادي والعشرين من رمضان، وينتهي بصباح يوم العيد، لقوله تعالى: ﴿ أَيَّامًا مَعْدُودَات ﴾، فالأيام جَمعُ «يوم»، وهي إحدى صيغ جَمع القلّة، يبدأ إطلاقها من ثلاث إلى تسع.

ب ـ وفي المعاملات: خالَفَ القرآنيون كذلك ما أجمَع عليه المسلمون في كثير من القضايا.

ففي الحدود (۱) : أنكروا حَدَّ الرَّجمِ للزاني المُحصَن، لأنه لم يَرِدْ في القرآن، وعقوبةُ الزِّنا ـ برأيهم ـ في جميع صُورَهِ مئةُ جَلْدةٍ لا غير، والشهودُ لا يَثبُتُ بهم الزِّنا عند بعضِ دعاتهم.

وأنكروا حَدَّ الخمر بتاتًا، لأنه لم يُذكَرْ في القرآن، وقد سبَقَهم إلى ذلك أحد رؤساء الخوارج «نَجْدَةُ بنُ عامر الحَنفي»، فقد أسقط حَدَّ الخمر عن أصحابه لِعَدَم ذكره في القرآن، وكذلك فَعَل المعتزلة، إذا اعتبروا أنَّ إجماع الصحابة على حدِّ شارب الخمر كان خطأً(۱).

وفي حد السرقة: كان يرى أحد دعاتهم «برويز» أنه ليس المراد من قطع اليد بَتْرُها، بل معاقبة المجرم بما يمنعه من ارتكاب هذا الجُرْم، ويقول

⁽١) ينظر «القرآنيون وشبهاتهم حول السنة» (ص٢٠٤٠. ١٧.٤).

⁽٢) ينظر «الفرق بين الفرق» (ص٨٩).

أصحاب «بلاغ القرآن»: «إنَّ المقصودَ بقوله عز وجلَّ ﴿ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]، هو بَترُ تلك القوى التي أَجْبَرَتْه على السرقة، وبمعنَّى آخَرَ هو تنبيهُ الحُكَّامِ لسدِّ حاجاتِ المجتمع المسلم»، مع أنَّ النصوصَ واضحةٌ في الكتابِ والسُّنةِ على قَطْع يَدِ السارق، أي بَتْرِها من مِفْصَلِ الكَفِّ.

أما حَدُّ الرِّدَّة: فقد شَذَّ «برويزُ» بتصريح إنكارِ عقوبة المرتد، إذ يَعتبرُ أنَّ الإِنسانَ لا يُجبَرُ على الإيمانِ أو الكفر، وللإِنسانِ أن يَختارَ من الأديانِ ما يراه مناسبًا معقولاً. . وما جاء في قتل المرتدِّ، إنما هو حُكمُ الرواياتِ التي تُخالِفُ منهجَ القرآن.

وفي تعدُّد الزوجات (١): قد أباح الإسلامُ تعدُّدَ الزوجات، ووَضَع له قَيْدَ «العَدْل»، إلاَّ أنَّ بعضَ القرآنيين لا يَرىٰ التعدُّدَ مطلقًا، وتطاولوا - كالعادة - على الشرع الحنيف.

□ يقول «عبداللَّه جكرالوي»: «إنَّ ما نُسب من التعدُّدِ إلى الأنبياء كَذَبُ وافتراءٌ على أولئك الأطهار.. وما يُسنَدُ من ذلك إلى النبيِّ عَلَيْكُ ، فهو بُهتَانٌ عليه أيضًا، لأنه أولُ المخاطبينَ بقوله تعالى: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ [النساء: ١٢٩]».

ويركى «برويز» ـ ومن تَبِعه ـ أنَّ التعدُّدَ لا يُباحُ إلاَّ إذا ازداد عددُ اليتامي النساء، سواءٌ كنَّ أراملَ، أو غيرَ متزوِّجاتِ .

وفي الميراث(١) : خالَفوا إجماع أئمة المسلمين، فيقول الخواجة

⁽۱، ۲) «القرآنيون» (ص٤١٩ ـ ٤٣٠).

«أحمد الدين»: «إنَّ اختلافَ الدينِ بين الوارِثِ والموروثِ لا يَمنعُ من الميراث».

□ ويقول «الحافظ أسلم»: «إنَّ اسم الولدِ يُطلَقُ على الذَّكرِ والأنثى،
 ولا فَرْقَ بين الابنِ والبنتِ وولدِ الابنِ وولدِ البنتِ في الميراث».

وقد جاء في الحديث الشريف أنَّ النبيَّ عَلَيْكُ قال: «لا يَرِثُ المُسلمُ الكافرَ، ولا يَرِثُ المُسلمَ»(١).

والحديثُ عامٌ يَشملُ الزوجةَ وغيرَها، ولذا أجمَعَ العلماءُ على عدم إرث الكافر من المسلم.

ولكنَّها التَّبَعِيَّةُ للأم الضالَّةِ من اليهود والنصارى، هي التي أخرجت هؤلاء عن حُدود النصوص القَطعيَّة من الكتاب والسُّنَّة، وأرْدَتْهم في هُوِّة الضلال.

وهكذا، فإنَّ الحَرْبَ المُعلَنةَ على السُّنَّةِ النبويَّةِ في شَبْهِ القارَّة الهندية، وتأليهَ العقل، وتقديمه على النصوص الشرعية، مع اتباع الهوى، والهزيمة أمام تيَّارِ الحضارةِ الغربية، كلُّ ذلك ساهم في حَلْقاتِ الانحراف، لتستلمه أجيالٌ لاحقه، تدعو إلى إكمالِ المِشوارِ باسم «التجديد والتطوير»، لِفصلِ الدينِ عن الحياةِ العامَّة.

□ «وقد كان للحركة القاديانية وأفكار القرآنيين وحركة السيد «أحمد خان» تأثيرٌ في الحياة العامَّة عند المسلمين.

فَبَعدَ استقلالِ باكستان، استَولئ على مراكزِها الحساسةِ كثيرٌ من (۱) رواه «البخاري» (۸/۱۱)، و «مسلم» (۹/٥).

القاديانيين وأصحاب الأفكار القرآنية، وفي عام ١٩٥٨م عُقِد مؤتمرٌ عالميٌّ تحت إشراف الدولة لقادة الفكر الإسلاميين، ولإعطائهم الجُرْعَاتِ الأوَّلِيَّةَ للدعوة إلى الأفكار القرآنية، غير أن علماء الشام ومصر والمغرب، صاحوا في وجه «برويز» مُعلنين تكفير تلك الأفكار.

وعلى إثْرِ إخفاقِ هذا المؤتمر، عُقد مؤتمرٌ آخَرُ أقامته إحدى الشركات الأمريكية، غير أنَّ مصيرَه لم يَختلفْ عن مصيرِ صاحبه، ثم كَثَّفَ العلماءُ جُهودَهم لمقاومة هذه الحركاتِ في الأوساط الشعبية، وقد أثمرت هذه الجهودُ آنَذَاك والحمدُ للَّه ـ

والغريبُ أن كثيرًا من علماءِ باكستان حينما يتحدَّثون عن هذه الحركات، لا يَذكُرون عنها سوى أنها تُنكِرُ السُّنة، أمَّا ما يترتَّبُ على هذا الإنكار من نتائج، فقلَّما يَذكُرون عنها شيئًا»(١).

منكرو السُّنَّة كلِّيًّا منَ العَرَب

* الطبيب محمد توفيق صدقى وموقفُه من السُّنَّة ١٣٩٨م ـ ١٣٣٨هـ:

□ أولُ مَن نَشَر شُبهاتة حولَ السُّنَة عن حُسن نيَّة مجلة «المنار» في عَددَيْها التاسع والثاني عَشَرَ من السَّنة التاسعة عام ١٩٠٦م -١٣٢٤ه، فكتَب السيد رشيد رضا وهو يُترجِمُ لطبيب عائلته «محمد توفيق صدقي»: «أكبرُ شُذوذ وقع للمترجَم - رحمه اللَّه تعالَىٰ - وحاولَ إثباتَه والدفاع عنه: هو ما عَرَض له منَ الشُّبهة على كونِ السُّنة ليست من أصولِ الدين . ولمَا

⁽۱) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي (ص٤٦٠)، و«القرآنيون» (ص٦٥، ٦٦).

عَرَضَ له ذلك، واقتنَع به هو وصديقُه الطبيب «عبده إبراهيم» ـ عفا اللّه عنهما ـ، جاءاني ـ كعادتهما ـ، وعرضاه عليّ . وإنني كنتُ أعلمُ أنَّ هذا الرأي عَرض لغيره من الباحثين المستقلين، وأنه رأيٌ منتشرٌ في كثيرٍ من الأمصار التي يَسكُنُها المسلمون، وأعلمُ أيضًا أن كثيرًا من المباحث الكبيرة التي تختلفُ فيها الأنظار، لا تتمحّصُ إلاّ بالكتابة والمناظرة، ولهذين السبين، ولتوفير الوقت عليّ في تمحيص المسألة لصاحب الترجمة وصديقه، اقترَحتُ عليه أن يكتبَ رأيه ليُنشرَ في «المنار» . . (()) .

إذن ما كتبه الطبيب "توفيق صدقي" في المقالين تحت عنوان "الإسلام هو القرآن وحده"، إنما هو إنتاج طبيبين - أحدُهما مسلم ولد من أبوين مسلمين، والآخر قبطي أسلم على يد السيد "رشيد" خفية، ولم يُعلن إسلامه إلا بعد سنتين "، وبإياء السيد "رشيد رضا" رغم تذييل المقالين بإمضاء "توفيق" وحده، واستغرقت المناقشة أربعة أعوام في بضعة عَشر عددًا من "المنار"، وتصدي للرد على الطبيبين "أحمد منصور الباز"، والشيخ "طه البشري" نجل الشيخ "سليم البشري" شيخ الجامع الأزهر. والشيخ "طه البسري" نعددة - منها: "الدين كل ما جاء به الرسول" و"أصول الإسلام: الكتاب، السنّة، الإجماع، القياس "() على الترتيب،

⁽١) مجلة «المنار» (٢١/ ٤٩٢).

⁽٢) مجلة «المنار» (٢١/ ٤٨٨).

⁽٣) «مقالة منصور في المنار» (٩/ ٦١٠).

⁽٤) مجلة «المنار» (٩/ ٢١٠).

⁽٥) مقالة الشيخ طه البشري هذه في «المنار» (٩/ ٦٩٩).

ثم أعقبَهما الردُّ المفصَّلُ من الهند، حين كتب الشيخ «صالح اليافعي الحيدر آبادي الدكَّنِي» للمنار تحت عنوان «السُّنن والأحاديث النبوية»(١).

□ قال الطبيبان: إن اتباع السُّنَّة تقليد لأحد أفراد البشر، وذلك ممنوع شرعًا «وَلعَ النَّاسُ في الأعصرِ الأولى بالروايات القَوليَّةِ وُلوعًا، وتفاخَروا بكثرة جَمعها جُموعًا، حتى ملأت الأحاديثُ الآفاقَ، وكثُر فيها التضاربُ والاختلافُ، وصار من المستحيل أن يَعملَ الإنسانُ بدينه بدون أنْ يُقلِّدَ غيره»(١).

الجهلُ آفةٌ، والعِلمُ طريقُ النجاة، فعندما تَوَغَّلَ أمثالُ هؤلاء في بُستانِ لا يُفرِّقون بينَ ثِمارِ أشجاره، حَسبوا الحَبْحَبَ كالحَنْظَل لتوافقهِما في اللون، وسَوَّوْا بين أشواكِ الغَرْقَدِ وأشواكِ الورد، وشتَّانَ بين الشوكينِ والثَّمرَتينِ، فالاتِّباعُ ناتجٌ عن تحقُّقِ العبودية للَّه عزَّ وجلَّ، والخضوع لأمره. واتباعُ أمرِ الرسولِ أمرٌ منطقيٌّ مَّن أقرَّ بالألوهية، بينما التقليدُ أَخْذُ قولِ العالم دونَ معرفة دليله، والفَرقُ واضحٌ بين الوضعينِ، فالأولُ مطلوبٌ شرعًا، دونَ الثاني، ولا يَقبلُ اللَّهُ صَرْفًا ولا عَدْلاً حتى يَتَبعَ المَرءُ طريقةَ المصطفى عَيَا فيما شرعه اللَّه.

ولم يكن للطبيبينِ مَنْدُوحةٌ ـ بعد إنكارِ السُّنةِ ـ أَنْ يُقدِّما صورةً مُضحِكةً للإسلام، وأولُ ما جابَهَتْهما «الصلاةُ»، وإليك استنباطُها من القرآن في ضوءِ قَوْلَةِ المُنكِرِين:

□ يقول الطبيب «صدقي» ـ بعد أن أورد آية صلاة الحوف: ﴿ وَإِذَا

⁽۱) مجلة «المنار» (۲۱/ ٤٩٣).

⁽۲) مجلة «المنار» (۹/ ۲۱۵).

الله النبي أفي النبا إذا نظر نا إلى عدد الركعات التي كان يُصلِّها النبي في أوقات الصلاة ـ مع قطع النظرِ عما سَمَّاه المجتهدون سُنَّة وما سَمَّوه فَرضاً ـ، نجد أنه لم يُحافظ على عدد مخصوص، فكان تارة يزيد، وتارة يَنقُص، ولذلك اختلفت المذاهب في عدد السنن، وفي المندوب، والمستحب، والرغيبة، إلى غير ذلك من التقسيمات والأسماء التي ما كان يعرفها الرسول نفسه، ولا أصحابه ...

□ «ثم إنَّ عدد الركعات التي كان يُصلِّبها في الأوقات المختلفة من اليوم هو مُختلفٌ أيضًا، فصلاة الصبح مثلاً أربع ركعات، والظُّهر عَشْر ركعات أو اثنتا عَشْرة ركعة ، ولكنَّ الشيء المُطَّرِد الذي نلاحظُه أنه ما صلَّى وقتًا أقلَّ مِن ركعتين، ولا تَقيَّد بعدد مخصوص، وهذا يؤيِّدُ ما ذَهَبْنا إليه»(٢).

⁽۱) «المنار» (۹/ ۱۸ ٥).

⁽۲) «المنار» (۹/ ۱۹ ٥).

□ وقَدَّم الطبيبانِ صورةَ «الزكاة» مِن أن الذي «يكادُ يَجزِمُ به العقلُ أنه قيمةَ النِّصابِ مِن كلِّ صِنف لابدَّ أنها كانت عند العرب متساويةً ، أي أَنَّ مَن كان عنده منهم ٢٠٠ درهم أو ٥ جِمال أو ٤٠ كان عنده منهم ٢٠٠ دينارًا كمَن كان عنده ٢٠٠ درهم أو ٥ جِمال أو ٤٠ شاة ، ولذلك تؤخذُ شاةٌ واحدةٌ ممن عنده أربعونَ شاةً ، وكذا مَن عنده ٥ جِمال ، ولو لم يكنْ جَميعُ هذه المقاديرِ متساويةً لكان هناك ظُلمٌ لبعض الناس دونَ الآخرين».

وللطبيبين في كلِّ مِن حَدَّي «الرَّجْم» و «قتل المرتد» موقف شبية بموقف اللهنود، من أنَّ الرجم لم يَرِدْ في القرآن (۱) ، وأنَّ قَتْلَ المرتدِّ مخالف للآيات القرآنية التي ضَمِنَت حُرية العقيدة والتدين (۱) ، وأنَّ إعدامَهما تعزيرًا أو محاربة لا حَدًّا هو ما وقع في الأزمنة السالفة، وللإمام تطبيقُهما كعقوبتين

⁽۱) «المنار» (۹/ ۲۱۵).

⁽٢) راجع رأيهما في «المنار» (٩/ ٢٣٥).

⁽٣) راجع رأيهما في «المنار» (٩/ ٥٢٣).

تعزيريَّتَينِ ـ إِنْ رأى مصلحةً في ذلك ـ، وأنَّ القطع لا يجبُ لأولِ مرةٍ، بل يُعطى السارقُ فرصةَ الإصلاح، فإنْ تابَ وأصلح، وإلاَّ قُطِعت يَدُه.

□ هذا وقد رَجَع «محمد توفيق صدقي» عن بعض شذوذه، بعد مناقشة العلماء الكتابية، مما جَعَل صاحب «المنار» يَتنفَّسُ تنفُّسَ الصَّعَداء: «نحمدُ اللَّهَ أَنْ ظَهَر صِدقُ قولِنا في الرجل وأنه مُعتقِدٌ، ويُذعِنُ لِمَا يَظهرُ له أنه الحق»(١).

□ مع أن الرجل كتب في وثيقة الاعتراف بعد إبداء السيد "رشيد رضا" رأيه في جزئياتٍ من المناقشة، فقال: «وأهمُّ ذلك في الحقيقة مسألةُ ركعات الصلاة، وأرى أنَّ ما كتبه صاحب «المنار» الفاضل في هذه المسألة كافٍ في الردِّ عَلَيَّ، فأنا أعترفُ بخطئي هذا على رؤوس الأشهاد، وأستغفرُ اللَّهَ تعالى مما قلتُه أو كتبتُه، وأُصرِّحُ بأنَّ اعتقادي الذي ظَهَر لي مِن هذا البحث - بعدَ طول التفكُّر والتدبُّر - هو أنَّ الإسلامَ هو القرآنُ، وما أجمَعَ عليه السلفُ والخَلَفُ من المسلمين عملاً واعتقادًا، إنه دين واجب. وبعبارة أخرىٰ أنَّ أَصْلَي الإسلام اللذين عليهما بُنِي هما «الكتاب والسنة النبوية» بمعناها عند السلف، أي طريقتُه عَلَيْ التي جُرئ عليها العملُ في الدين»، "ولا يَدخلُ في ذلك السُّن ُ القَوليَّةُ غيرُ المُجمَع على اتِّباعها، ولا ما كان ذا عَلاقة شديدة بالأحوال الدنيوية كبعض الحدود، ومقادير زكاة المال والفطر، والأصنافِ التي تؤخَّذُ منها، وغيرِ ذلك مما لم يُذكِّرُ في الكتابِ العزيز، فأبيحُ بعض التصرُّف في أمثالِ هذه المسائِل إذا و جد عندنا مقتض ١٤٠٠٠.

⁽۱، ۲) «المنار» (۱۰/ ۱٤٠).

□ ولا أدري كيف التوفيقُ بين مَدْح السيد "رشيد رضا"، لطبيب عائلته ثلاثة مرات، مرةً عند كتابة الرجل عن إنكار السُّنة (۱) ، ومرةً بعد اعترافه السابقِ المبيحِ للتصرُّف في الحدود وغيرها، وثالثة عند التأبين، "فإني أعرفُه سليمَ العقيدة، مؤمنًا بالألوهية والرسالة؛ على وفق ما عليه جماعة السلمين، مؤديًا للفريضة (۱) ، وبين قوله: "إنَّ العقلَ لَيَعْسُرُ عليه أن يتصور أن مؤمنًا مذعنًا لدينِ اللَّه يَعتقدُ أنَّ كتابه يَفرضُ عليه حُكمًا، ثم هو يُغيِّرُه باختياره، ويَستبدلُ به حُكمًا آخرَ بإرادته، إعراضًا عنه، وتفضيلاً لغيره عليه ويُعتَدُّ مع ذلك بإيمانه وإسلامه (۳) .

* محمود أبو ريَّة عدوُّ السُّنَّة:

لقد كان هذا الكَذَّابُ المُفترِي سَبَّاقًا في جُرأتِه على النبيِّ الكريم عَيَالِيَّةً عِما لم يتجرَّأ به أحدٌ.

□ نَشَر مقالاتِه في مجلة «الرسالة» منذ إبرايل ١٩٥١م، ونُشرت أبحاثُه تحت عنوان «في الحديث النبوي»، ثم جُمعت في كتاب «أضواء على السُّنة المحمديَّة»، وردَّ عليه الشيخ «محمد عبدالرزَّاق حمزة» في كتاب «ظلمات أبي ريَّة أمامَ أضواء السُّنَّة المحمدية».

□ ثم رد عليه الشيخ «عبدالرحمن المُعَلِّمي» اليماني في كتابه «الأنوار الكاشفة لِما في كتاب «أضواء على السنة» من الزلل والتضليل والمجازفة»،

⁽۱) «المنار» (۹/ ۲۶٥).

⁽٢) «المنار» (١٦/ ٢٩٤).

⁽٣) «النار» (١٧/ ٣٦٣).

ثم سَوَّد كتابًا آخَرَ فيه من الفُحشِ والفِسقِ والفُجورِ والطعنِ على أبي هريرة خُطُّه ما يَعِفُ اللسانُ عن نُطقِه، ويأبى القلمُ أن يَخُطَّه على الورق، يَتَّهمُ فيه أبا هريرة بالكذب، هذا الدَجَّالُ عدوُّ أبي هريرة لَمَّا مات اسودَّ وجهُه، وجَعل يقول: «ما لي ولأبي هريرة»؟!.

الله هذا الذي ما أقرَّ بعدالة الصحابة ولم يُسلِّم بهذا، وقال طعنًا في حُفَّاظ الحديث وحَملَة سُنَّة النبيِّ عَلَيْ الله ساخرًا منهم: «ماذا تكونُ حالُ كثيرينَ منَ اللّذين يزعُمون اليومَ أنهم من المُحدِّثين ـ أولئك الذين يَسلَّلون بين أشباههم من العامَّة ـ ومَبلَغُ علمهم أنهم قرؤوا بعض كُتب الحديث، واستَظهروا عددًا مما فيها، يجترُّونه ليؤيِّدوا به باطلَ المعتقدات وسُوءَ العادات ويُروِّجوا به ما فَشَىٰ بين الناس من الترَّهاتِ والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدَّهماء وثِقَتَهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالَهم.

على أنهم لو عَرَفوا قَدْرَ أنفُسهم، وأن ما يحفظونه مما لا يَزيدُ أكثرُه عند أحفظهم على عَشَرَات من الأحاديث، وأن كتابًا من كُتب الحديث لا يَزيدُ ثَمَنُه عن بضعة قروشٍ يُغني عنهم جميعًا! لو أنهم عرفوا ذلك كلَّه واستيقنوه لَقَبَعوا في جُحورهم، ولأراحوا الناس من نقيقهم.

ورَحِم اللَّه أستاذَنا الإِمامَ «محمد عبده» ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال في رجلٍ وصفوه بأنه قد جَدَّ واجتَهَد حتى بَلَغ ما لم يَبْلُغْه أحد، فحفظ مَثْنَ البخاريِّ كلَّه: «لقد زادت نُسخةٌ في البلد».

حقًا ـ واللَّه ـ ما قاله الإمام، أي أن قيمة هذا الرجل ـ الذي أُعجب الناسُ جميعًا به لأنه حَفِظ البخاري ـ لا تزيدُ عن قيمة نسخة من كتاب

البخاري لا تتحرَّكُ ولا تَعِي »(١) .

* ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾:

□ وصدَق أبو حاتم الرازيُّ لَمَّا قال: «علامةُ أهلِ البدعِ الوقيعةُ في أهل
 الأثر »(۲) .

□ وقال الإمامُ أبو عثمانَ الصابوني: «وعلاماتُ البدعِ على أهلِها باديةٌ ظاهرة، وأظهرُ آياتِهم وعلاماتِهم: شيدَّةُ معاداتِهم لِحَمَلَةِ أخبارِ النبيِّ واحتقارُهم واستخفافُهم»(٣).

□ وقال ابنُ أبي داودَ في قصيدته الشهيرة:

ولا تَكُ مَن قَومِ تلَهَّوْا بدينِهِم فَتْطَعَنَ فِي أَهُلِ الحديثِ وتَقَدْحُ اللَّهُ الفُضيلَ لَمَّا قال: «الملائكةُ حُرَّاسُ السماء، وأهلُ الحديث حُرَّاسُ الأرض».

□ وللَّه دَرُّ مَن قال: «مَن لم يُقِرَّ بأنَّ أهلَ الحديثِ هم أنصارُ هذا الدّينِ، فإنه يُعَدُّ في ضُعفاءِ المساكين الذين لا يَدينون للَّه بدينٍ».

□ وقال السَّفَّاريني: «ولسنا بصَدَد ذكر مناقب أهل الحديث، فإنَّ مناقبَهم شهيرة، ومَآثِرَهم كثيرة، وفضائِلَهُم غُزيرة، فمَن انتقَصَهم فهو خسيسٌ ناقص، ومَن أبغَضَهم فهو مِن حِزبِ إبليسَ ناكص "'' .

⁽١) «أضواء على السنة المحمدية» لأبي رية (ص٣٢٩).

⁽٢) «السنة» للالكائي (١/ ١٧٩).

⁽٣) «عقيدة السلف» للصابوني (٢/ ٣٥٥).

⁽٤) «لوائح الأنوار» للسفاريني (٢/ ٥٥٥).

الموافق ١٩٥٧م ظَهَر كتابٌ جديد، وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوب الذي الموافق ١٩٥٧م ظَهَر كتابٌ جديد، وأعني بالجديد فيه ذلكم الأسلوب الذي نَهَجه صاحبُه وما رأيتُ مثله ، رجلٌ يَحمِلُ معْوَلَ هَدم السُّنة، يُنكِرُ أحاديثها، ويُلقي أفظع السِّباب والشتائم على ناقلِها الأول أبي هريرة وظفي ثم يَزعُمْ بعد هذا أنه يُدافعُ عن الجديث!!!.

أما المؤلِّف، فمحمود أبو رِيَّة، وأما الكتاب، فـ «أضواء على السُّنة المسَّنة المحمدية»، أو «دفاع عن الحديث»؟!!!.

ومِنَ التوافُقِ العجيبِ أن الذي قَدَّم لهذا الكتاب الذي أَنكرَ حُجِّيَّةُ السُّنةِ هو الذي أَنكرَ صِدقَ قَصَصِ القرآن، وأنكرَ حُجِّيَّتُه فيما يُخبِرُ به ـ كما مرَّ بنا ـ ، وأعني به "طه حسين" . . ".

□ أنكر محمود أبو رية حُجِيَّة السُّنة، وإذا ما قال له قائلٌ: «كيف تُنكِرُ حُجِيَّة السُّنة وأنت تَستدلُّ على ما ذَهَبْتَ إليه بأحاديث منها؟ أجاب: «إن الأحاديث التي أوردُها في سياق كلامي للاستدلال بها على ما أريدُ في كتابي، إنما أسُوقُها لكي نُقنع من لا يَقنعُ إلاَّ بها على اعتبار أنها عندَه من المسلّمات التي يُصدِّقُها ولا يُماري فيها، «ويُشبَّهُ أسلوبُه هذا باحتجاج» المسلّمات التي يُصدِّقها ولا يُماري فيها، «ويُشبَّهُ أسلوبُه هذا باحتجاج» المسلّم على النصراني بما في الإنجيل، وهو في نفسه غيرُ مؤمنٍ بما يَحتجُّ به أو عكسُ ذلك»(١٠) ؟!!.

لا قَالَ الأقيالُ الأثيمُ جُهودَ العلماءِ في فحصِ السُّنَةِ لتمييزِ
 صحيح السُّنَّةِ من سقيمِها بأنها غيرُ مُجدية ؛ لأنَّ الاطلاعَ على خَبايا النفوسِ

⁽١) «أضواء على السُّنَة المحمدية» لأبي ريَّة (ص٣٣).

أمرٌ عسير، "وأنَّى لهم أن يَنفُذُوا إلى دخائل النفوس وبواطنها، حتى يَطَّلِعوا على حقيقتها، ومِن أجل ذلك جاءت كُتبُهم كلُّها وليس فيها مما جاء عن رسول اللَّه حديثٌ يُعتبَرُ متواترًا، بل نَجِدُها قد جَمَعَتُ بين ما هو صحيحٌ في نظر الرواة، وما هو موضوعٌ لا أصل له، ولا يَخلُو من ذلك كتاب، حتى التي سَمَّوها "الصِّحاح" وهي صحيحُ البخاريِّ ومسلمٍ" ".

لاً مم و يَزعُم و قاتله الله و أن الحديث سبب أساسي لتقسيم الأمّة وتشتيتِها إلى فرق متباينة و متباينة و متباينة و تشتيتِها الله فرق متباينة و متباينة و تشتيتِها الله فرق متباينة و تشتيتِها الله و تشتيتِها الل

□ ويُقدِّمُ أبو ريَّة أمثلةً للأحاديث الموضوعة، يذكرُ منها الحديث المتواترَ: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فليتبوَّأ مَقْعَدًا من النار»، فيقول: «غَمَرني الدَّهَشُ لهذا القَيْد «متعمِّدًا» الذي لا يُمكنُ أن يَصدُرَ من رسولٍ جاء بالصِّدقِ وأَمرَ به، ونهَىٰ عن الكَذب وحَذَّر منه»(١).

□ وخامةُ هذا التكذيب لهذا الحديث المتواترِ نسَجَ لُحْمَتَها وسُداها صاحب «فجر الإسلام» في قوله: «ويظهر أنَّ هذا الوضع حَدَثَ حتى في عهد الرسول، فحديث: «مَن كَذَبَ عليَّ متعمِّدًا فلْيَتبوَّأُ مَقْعَدَه من النار»، يَعلِبُ على الظنِّ أنه إنما قيل لحادثة حَدَثَتْ، زُوِّر فيها على الرسول»(٣).

□ وَوَضْعُ أبي رِيَّة لا يَعدُو فيما كَتبَه عن السُّنةِ قولَ الشاعر:

وليس يَصِحُ في الأذهانِ شيءٌ إذا احتاج النهارُ إلى دليل

⁽١) المصدر السابق (ص٢٥٨، ٢٨٦، ١٧).

⁽Y) «أضواء على السنة المحمدية» (ص ١٩).

⁽٣) «فجر الإسلام» لأحمد أمين (ص٢١١) ـ الطبعة العاشرة ١٩٦٩ ـ نشر دار الكتاب العربي بيروت.

□ تلك حُرِّيةُ الرأي الكتابيةِ التي طالَبَ بها الكُتَّابُ أمثالُ أبي رية لهدم عقيدة الأمة، نتيجةَ سُقم عَقْلِه، أو تلبيةً لحاجة في نفس يعقوب، ذلك هو المحورُ الذي يَدورُ عليه بَحثُه عن السُّنة.

□ وأخطرُ خُطوة خطاها أبو رية تُجاه هدم السُّنة، هو رَميُ الصحابة وأول ناقليها بالغباء، وأنَّ أحبارَ اليهود نَشَروا بين صفوفهم أحاديث نَسَبوها زُورًا إلى رسول اللَّه ﷺ، فتَقبَّلها الصحابةُ لضعفهم مقابلَ دَهاءِ الأحبار، الخذ أولئك الأحبارُ يَبُثُون في الدينِ الإسلاميِّ أكاذيبَ وتُرَهات يَزعُمون مرةً أنها في كتابهم، أو من مكنون علمهم، ويدَّعون أخرىٰ أنها عَّا سَمِعُوه من النبي ﷺ، وهي في الحقيقة مِن مُفترياتهم، وأنَّى للصحابة أنْ يَفطنوا لتمييز الصدق مِن الكذب مِن أقوالهم؟!.

وهم من ناحيةٍ: لا يَعرِفون «العبرانية» التي هي لُغةُ كُتبهم.

ومن ناحية أخرى كانوا أقلَّ منهم دَهاءً، وأضعفَ مكرًا، وبذلك راجَتْ بينهم سُوقٌ هذه الأكاذيب، وتلقَّى الصحابةُ ومَن تَبِعَهم كلَّ ما يُلقِيه هؤلاء الدُّهاةُ بغيرِ نَقد أو تمحيص، معتبِرينَ أنه صحيحٌ لا ريبَ فيه (١).

□ ولَمَّا كان أبو رِية وقحًا في عباراته، صريحًا في اتهاماته المكذوبة، ولا سيَّما لِرَاوِيَة وحافظ السُّنة «أبي هريرة» ولا في نمرة يُسمِّه «شيخ المضيرة» ـ الطعام الدسم ـ، ومرة يصفُه ولا في العير ولا في النفير»، «تفاهة أمره» «حقارة مَنْبَته» وأمثال هذه الكلمات النابية والبذاءات المشينة التي يَترَّفعُ عنها رجل الشارع في تعامله: كان من المألوف أن يكون مُرشدُه

⁽١) «أضواء على السُّنَّة المحمدية» (ص١٤٧).

فارسُ الميدان، ومَن خاضِ المُعتركَ، فقد كتب «طه حسين» في جريدة «الجمهورية» كلمةً عن «أضواء على السُّنة المحمدية» موضحًا طريقة الهجوم فقال: «فمن الظُّلم لأبي هريرة أن يقال: «إنه لم يُصاحب النبيَّ إلاَّ ليأكلَ من طعامه»، والذي نَعلُمه أنه أسلم، وصَلَّىٰ مع النبيِّ، وسَمع منه بعض أحاديثه، فلْيَقُلُ فيه المؤلِّفُ: إنه لم يُصاحب النبيَّ إلاَّ ثلاثة سنين، وقد روى من الحديث أكثر مما روى المهاجرون الذين صَحبوا النبيَّ بمكة والمدينة، وأكثر من الخديث أكثر مما ركى المهاجرون الذين صَحبوا النبيَّ بمكة والمدينة، وأكثر من الأنصار الذين صاحبوا النبيَّ منذ هاجر إلى المدينة حتى آثرَه اللَّه بجواره، وهذا يكفي للتحفيظ والاحتياط بإزاء ما يُروئ عنه من الحديث» (۱).

□ هل تتخيَّلُ أن عدوَّ السُّنةِ «أبا ريَّة» يقول عن الإمام أبي هريرة ولطَّنه:
 «إنه شخصيةٌ وَهميَّةٌ لم يَقفِ أحدٌ على اسمه، فكان حَرِيًّا عدمُ الثقةِ في شخصه والتشكيكُ في كلِّ ما يُروئ على لسانه»(٢) ؟!.

■ وقال عنه وظفي إنه: «نَقَلَ من الأحاديث أكثر مما يُطيقُ عَقلُ بَشَر».

□ لقد قال الدجَّال «أبو رية» عن أبي هريرة وظيَّك: «إن كِبارَ الصحابة جَرَّحوه، وشكُّوا في روايتِه لأجلِ إكثارِه من الحديث، واتَّهَمه بالكذب عمرُ وعثمانُ وعليٌّ»(٣)!!.

◘ وقال: «إنَّ عُمَرَ ضَرَبه بالدِّرَّة، وأوعَدَه إنْ لم يَترُكِ الحديثَ لَيُلْحِقَنَّه

⁽١) عدد الثلاثاء ٢٥ نوفمبر ١٩٥٨.

⁽٢) «شبهات وشطحات منكري السُّنَّة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه (ص٣٢).

⁽٣) «أضواء على السُّنَّة المحمدية» (ص١٥٤ ـ ١٥٥).

بأرضِ «دَوْس» أو بأرضِ «القردة»، ولذا لم يُحدِّثْ إلاَّ بعد قتل عمر»(١)!!.

الله ويقول عن أبي هريرة ولي أيضًا: "إنه كان كثير النسيان لضعف ذاكرته، فاختكق قصته ليسوع بها كثرة أحاديثه، ويُثبت صحتاً ما يرويه في أذهان السامعين "(")، وإنه "لم يكن له علم ولا فقه ولا رأي ولا نصيحة، ولذا لم يَجْعَلْه عمر في أهل شُورته "(")، وإنه "كان من عامة الصحابة، ولم يكن بينهم في العير ولا في النفير (")، ولم يُذكر في طبقة من طبقاتهم، ولم يرد في فضله حديث "(")، وإنه "كانت به غَفْلَةٌ وغرَّةٌ وسذاجة، ولذا استَعله أعداء الإسلام في بَثِ الخرافات والأوهام في الدِّين الإسلامي "(").

□ أما زَعمُه بأن أبا هريرة وطائع «غيرُ فقيه»، فلا يُؤخَذُ بما رواه مخالِفًا للقياس، فهو زَعْمٌ واه ضعيف، ولذا قال الحافظ ابن حجر: «وهو كلامٌ اَذَىٰ قائلَه به نفسَه، وفي حكايتِه غِنَىٰ عن تكلُّفِ الردِّ عليه»(٧).

⁽١) المرجع السابق (ص١٦٣ ـ ١٩٧).

⁽٢) المرجع السابق (ص١٧٧).

⁽٣) المرجع السابق (ص٢٠٣) الهامش.

⁽٤) المرجع نفسه (ص١٥٢).

⁽٥) المرجع نفسه (ص١٨٤ ـ ١٨٥).

⁽٦) المرجع نفسه (ص١٧٢ ـ ١٧٣).

⁽٧) «فتح الباري» (٤/ ٣٦٤):

⁽A) «الطبقات الكبرئ» لابن سعد (٢/ ٣٧٢).

□ وقال الذهبيُّ: «احتجَّ المسلمون قديمًا وحديثًا بحديثه، لِحفْظِه وجلالتِه وإتقانِه وفقِهِه، وناهيك أنَّ مِثلَ ابنِ عباسٍ يتأدَّبُ معه، ويقوَل: أفْتِ يا أبا هريرة»(١).

□ ويأبئ الدكتور (طه حبيش) إلا أن يكشف لنا النّقاب ويَفُك اللغز المُحيِّر في سبب هذا الكمِّ من حقد أبي رية الجاحد على أبي هريرة وطي ، إذ اشتُهر عن محمود أبي ريّة فَشَلُه في الدراسة الأولية بالأزهر الشريف، وتردُّدُه الدائم على بعض الأديرة والكنائس، والتقاؤه فيها بمن أوْهَمَه بأنه سوف يكونُ رجلاً ذا شأن إذا ما سكك هذا الطريق الوعْر) (٢٠).

□ يقول الشيخ "صلاح الدين مقبول أحمد" في مقدمته لكتاب "موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي" (ص٥) عن أبي رية: "وكتابه "أضواء على السنة المحمدية" صادَف رغبة أعداء الإسلام، حتى اشترت إحدى السفارات الأجنبية في القاهرة أكثر نُسخه، وأرسكتها إلى مكتبات الجامعات الغربية لتكون بين يدي الحاقدين على الإسلام ورسوله وصحابته، وليستندوا إليها فيما أورده من أكاذيب وأباطيل"".

* الطبيب أحمد زكى أبو شادي (١٨٩٢ ـ ١٩٥٥ م):

هو الشاعرُ المِصريُّ المعروف، ابنُ المحامي الشهير «أبو شادي محمد»، غَزَاه التغريبُ منذ غَضاضة شبابِه، ونُعومِه عُودِه، ففي العشرينَ

⁽١) "سير أعلام النبلاء" (٢/ ٢٠٩).

⁽٢) الشبهات وشطحات مُنكري السنة الأبي إسلام أحمد عبدالله (ص٣٣).

⁽٣) «موقف الجماعة الإسلامية من الحديث النبوي» للشيخ صلاح مقبول أحمد (ص٥).

من عُمره عام ١٩١٢م أرسله والده لدراسة الطبِّ في «إنجلترا»، ومكَث فيها عَشْرَ سنين، ثم عاد إلى بلاده، وله إنتاج الدبيُّ وفير، جُمع شعره في عِدَّة دواوينَ، منها «الشفق الباكي»، «أشعة وأطلال».

الحق بالباطل، واستهزأ بالسنة وجامعيها، وزعم أن الأحاديث كلّها الحق بالباطل، واستهزأ بالسنة وجامعيها، وزعم أن الأحاديث كلّها مختلقة، ولا يُرضيه نسبتُها إلى رسول اللّه عليه .. فيقول: «وهذه «سنن ابن ماجه» و «البخاري» و وجميع كتب الحديث والسنة و طافحة بأحاديث وأخبار لا يُمكن أن يَقبَل صحتها العقل، ولا نَرضى نسبتها إلى رسول الله وأخبار لا يُمكن أن يقبَل صحتها العقل، ولا نَرضى نسبتها إلى رسول الله عليه وأغلبها يدعو إلى السخرية بالإسلام والمسلمين والنبي الأعظم» (١) .

□ ويَتَّهمُ المتمسِّكَ بالحديث بالخيانة لرسالة الإسلام.. فيقول: "وأما التغنِّي «بأبي داود، والنسائي، ومسلم»، وترديدُ الأحاديث الملققة التي لا تنسجمُ وتعاليمَ القرآن، وأمَّا سُوءُ تفسيرِ آياتِ الكتابِ العزيز، وأمَّا الجهلُ برُوحِ القرآن، وأمَّا التنازلُ عن صلاحية الإسلام لكلِّ زمانٍ ومكان: فبمثابة الخيانة لرسالة الإسلام الخالدة»(٢).

٢ ـ ويزعمُ الشاعرُ أنَّ أحكامَ القرآنِ والحديثِ قابلةٌ للتغيير بتغيُّرِ الزمان والمكان؛ لأنها جاءت عن سبب، وبزوالِه لَزمَ زوالُ المسبب. فيقول: «والقرآنُ الشريفُ والأحاديثُ النبويةُ مجموعةُ مبادئ خُلُقيَّةٍ وسلوكيةٍ مسببة، بحيث إنَّ أحكامَها عُرْضَةٌ للتبدُّلِ بتبدُّلِ الأحوالِ والأسباب، ففيه

⁽١) «ثورة الإسلام» (ص٢٥) ـ لأحمد زكي أبو شادي ـ مكتبة الحياة بيروت.

⁽Y) «ثورة الإسلام» (ص١٧).

شواهدُ هادئةٌ على ضوئِها وأسبابِها وظروفِها، لا أحكامٌ متزمِّتة، لا تَقبلُ التعديلَ وفَاقًا لتبدُّل الأسباب والظروف»(١).

□ ويشرحُ هذا المبدأ في موضع آخر بصورة أوضح، فيقول: "إنَّ العقيدة العالَمية لا يمكنُ أن تتدعَّم في دولة يكونُ المواطنون طبقات أو مراتب. ولابدَّ من المساواة التامَّة بين جميع المواطنين شرطًا حتميًا لنجاح الدولة الإسلامية الديمقراطية في عصرنا هذا، وشتَّانَ بين ظروف الإسلام الأولى الضيِّقة نسبيًا، وبين ظروفه العالَميَّة الحاضرة. . فما كان يَصلُحُ عمليًا في أول عهد الرسالة ـ بل حتَّى في ضُحى الإسلام ـ ، لم يعد يصلحُ الآنَ لشَعب متقدم ـ كالشَّعب المصريِّ مثلاً ـ ، تجاوزَ تعدادُه العشرين مليونًا، بينهم مليونانِ من خيرة المواطنين العريقي المصريَّة يَدينون بغير الإسلام "" .

□ ومن الأمثلة التي تَقبَلُ التغييرَ في نظره، وقَدَّمها للتعديل في ضَوَّ الحياةِ الأوروبية: «قوامةُ المرأة»، فيقول: «إنَّ رُوحَ الإسلام التي تُقرُّ مبدأ الصالح العامِّ تَسمحُ في هذا العصرِ بأن تكونَ المرأةُ قَوَّامةً على الرجل، بقدرِ ما تَسمحُ بأن يكونَ الرجلُ قوَّامًا على المرأة، إذ إنَّ مَردَّ ذلك إلى الاعتبار الاقتصادي ـ لا أكثرَ ولا أقلَّ ـ، بخلافِ ما كان عليه الحالُ في فجرِ الإسلام»(٣).

فِالرجلُ لا يُهِمُّه أَن يُلغيَ دلالةَ الآية الكريمة: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

⁽١) «ثورة الإسلام» (ص٦٣).

⁽٢) «ثورة الإسلام» (ص١١٥).

⁽٣) «ثورة الإسلام» (ص٢٤).

□ ويقول: «وما الدفاعُ الذي تقومُ به أميركا اليومَ عن العالَم الحُرِّ إلاَّ صِنْوُ الدفاع الذي رَفَع لواءَه محمدٌ ﷺ (٢٠) .

فالرجلُ أَجيرٌ يَخدُمُ قضيةً معيَّنةً، لا يُهمُّه إذا ذَهَب يَمْنَةً أو يَسْرةً، فنظرتُه إلى الإسلام محفوفة بالمطاعن، ويتّخذُ من هَدم السُّنة جسرَ عُبورٍ إلى هدم القرآن، ومِن ثَمَّ يَسنَّى له هَدمُ الدين، ولتحقيق هذه الغاية نراه يدعو كلَّ مسلم أن يكونَ «مسيحيًّا» قبلَ الإسلام (٣) ، بل ويَشتركُ في تأسيس «حركة البرلمان العالَمي للديانات» للجمع بين التوحيد وعبادة الأصنام،

⁽١) «ثورة الإسلام» (ص٥٧).

⁽٢) «ثورة الإسلام» (ص ٦١).

⁽٣) «ثورة الإسلام» (ص١٢٤).

وبين الإسلام واليهودية والمسيحية والبُوذية(١) .

* الدكتور إسماعيل أدهم (١٩١١ - ١٩٤٠):

كاتب تركي ، ولد بالإسكندرية ، ونال الدكتوراة في العلوم من «جامعة موسكو» ، وكان عُضواً مراسلاً في «أكاديمية العلوم السوفيتية» ، وعَملِ مُدرِّسًا للرياضيات لبعض الوقت في جامعة «سان بطرُسْبرج» ، ثم في «معهد أتاتورك» بأنقرة ، ثم عاد إلى مصر ، فاتَّجه إلى البحث في الأدب والتاريخ ، أصيب في أواخر حياته بالسّل ، فمات منتحرًا(» .

نَشَر الشابُّ كتابًا عام ١٣٥٣ه تحت عنوان «مصادر التاريخ الإسلامي»، أعلَن فيه أن هذه الثروة الغالية من السُّنة، التي تَضُمُّها كتب الصِّحاح، ليست ثابتة الأصول والدعائم، بل هي مشكوكٌ فيها، يَغلِب عليها صِفة الوضع، وكان الدكتور يأخذُ كتابَه مَلزَمة مَلزَمة مَلزَمة أملزَمة أن يَطلَع عليه أحدٌ فيحاسبَه، غير أن «الأزهر» ـ فيما يبدو ـ لم يكن قد أصيب بالهرم عليه أحدٌ فيحاسبَه، غير أن «الأزهر» ـ فيما يبدو ـ لم يكن قد أصيب بالهرم

⁽١) «ثورة الإسلام» (ص١٣١).

⁽٢) «ثورة الإسلام» (ص١٧٤).

⁽٣) انظر لمزيد من المعلومات عنه «الموسوعة العربية الميسرة» (ص٠٥٠).

بعد، حيث طالَبَ مشايخُه سَحْبَ هذا الكتابِ من الأسواق، ومصادرتَه من الأيدي التي تملَّكته (١) .

وبعد إتلاف هذا الجَهد المُسْود لا نجد لإسماعيل اتّجاها كهذا، رغم كثرة كتاباته في مجلة «الرسالة»، وظلَّ مرتبطًا بها منذ عام ١٣٥٦ه حتى الانتحار، ومن غير المشكوك فيه أنَّ الاتجاه الذي استولى على الدكتور وساقه إلى الهاوية، بل جَعله طالبًا في «المجمع الشرقي لنشر الإلحاد»(١) بعد عودته إلى مصر هو نتيجة منطقية للدراسة في «موسكو»؛ لأنَّ الطالب لا يكتسب المعلومات عند التعلَّم فحسب، بل يرضع الفكر والهدف والمنهج الذي صيغت في قالبه تلك المعلومات، فما دامت «موسكو» عَدُوَّة للأديان، فلن تُخرِج إلاَّ مَن يَحمِلُ مِعُولَ الهدم على الدين الذي ينتمي إليه.

* محمد أبو زيد الدمنهوري:

فيما له صِلةٌ بالحديث من مؤلَّفات هذا الرجل: كتاباه «الزواج والطلاق المدني في القرآن»، «تفسير القرآن بالقرآن».

ويتلخّصُ قولُه في السُّنة أنها نَكبةٌ على المسلمين، وعلى دينِ اللَّه عز وجل -، ويتمنَّى إحراقها وإعدامها من الوجود، وتكونُ نُقطةُ بداية التحريق من «صحيح البخاري» و «مسلم» ليرتاح الناسُ من شرِّ ما فيهما(٣)!.

□ والغريبُ في أمرِ هذا الرجلِ أنه تلقًىٰ تعليمَه في «دار الدعوة

⁽١) انظر مصطفى السباعي، «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» (ص٢٣٧) الطبعة الثانية ١٩٦٧م.

⁽٢) انظر «الفتح» (٨/ ٧٨٠).

⁽٣) «الفتح» (٢/ ٤٠٥).

والإرشاد» التي كان يُشرِفُ عليها السيد رشيد رضا!! ويدَّعي الدمنهوري أنَّ الرِّقَّ والتسرِّي ليسا من الإسلام، وهو ينكر النَّسْخَ في القرآن، يقول: «وأما نحن، فمن الذين لا يَرَون في آياتِ القرآن نسخًا، وكلُّ ما فيه واجبٌ تلاوتُه، والعملُ به إلى يوم القيامة (الله وينكر نبوَّة آدم، ويقول بتعدُّد الأصول البشرية (۱).

* الكَذَّابُ المُفتري «السيد صالح أبو بكر» عدوُّ السُّنَّة:

□ وعَدَّ مِن أهدافِه: «القضاء على منازعة الحديث الباطل للقرآن الكريم»(¹).

⁽٢) مجلة «الرابطة الشرقية» (١/ ٧٠).

⁽٣) «المنار» (٢١/ ٤٩).

⁽٣) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية».

⁽٤) «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية وتطهير البخاري منها» للسيد صالح أبو بكر (ص٣-٦).

□ ومنها: "إدراكُ العواقبِ المترتِّبةِ على تَركِ الأحاديثِ المخالفة للقرآن الكريم دون تجريحٍ وإظهارٍ لعيوبها»، و"إثباتُ أن دينَ اللَّه هو القرآنُ بدايةً ونهايةً»، وقال أخيرًا: "كتأبنا هذا يَستندُ إلى كتابِ اللَّه نصًّا ومعنَّى"(١).

والحقُّ أننا في حاجة ماسَّة إلى مثل هذه الأهداف، والحقُّ أيضًا أنَّ هذا الرجلَ بعيدٌ كلَّ البُعدِ عن المنهج الذي زَعَم بأن عِمادَ نقله وأُسَّه «محمود أبو ريَّة» ـ السالف ذكره ـ ، فهو كثيرًا ما يَنقُل عنه، بل نستطيعُ القولَ: إن الجزءَ الأولَ منه خلاصةٌ لكتاب أبي رية، ثم أراد المؤلِّفُ منافسةَ أبي رية على مناهلِه الأولى، فنقل أيضًا عن محمد عبده وعن رشيد رضا وغيرهم من «مدرسة المنار».

بل إنَّ بَدْءَ هُجومِه على أبي هريرة وَطَّفُ يُصدِّرُه برأي «مدرسة المنار»، فيَضعُ عنوانًا: «أبو هريرة ورأيُ علماءِ الحديث فيه ممثَّلاً في مدرسة المنار»(۲).

وقد خُصَّص المؤلِّفُ الصفحاتِ من (٥٨ إلىٰ ٦٣) للتشكيك في أبي هريرة وَطِيَّكُ وفي روايته.

* «الرَّدُّ القويم على المُجرم الأثيم»، لفضيلة الشيخ حَمُّود التُّويجري:

لقد ردَّ الشيخ «حمود التويجري» على «السيد صالح أبي بكر» في كتابه «الرد القويم على المجرم الأثيم» ـ في جُزأين ـ فأفحمه .

□ قال الشيخ: «لقد رأيتُ كتابًا لبعضِ أهلِ الزَّيغِ والفسادِ والإلحادِ من

⁽١) المصدر السابق (ص٣-٦).

⁽٢) المصدر السابق (ص٥٨).

العصريِّين، تَهَجَّم فيه على بعضِ الصحابةِ والتابعين، وعلى مئة وعشرين حديثًا في «صحيح البخاري» الذي هو أصحُّ الكتب بعد القرآن، وزَعم أنها أحاديثُ إسرائيليةٌ، وأنه يكتسحُها بالأضواءِ القرآنية، ويُطهِّرُ البخاري منها!! وتَهجَّم أيضًا على غيرِ ذلك من الأحاديث الصحيحة، وقابلَها بالردِّ والإنكار.

وقد سَمَّى المؤلِّفُ نفسَه بـ «السيد صالح أبي بكر»، وليس بسيد ولا صالح، ولا كرامة ولا نُعمة عَينٍ، ولما رواه أبو داود والنسائي والبخاري في «الأدب المفرد» عن بُريدة وفي قال: قال رسولُ اللَّه ﷺ: «لا تقولوا للمنافق: «سيد»، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتم ربَّكم عزَّ وجلَّ». ورواه الحاكم في «مستدركه» والبيهقي بنحوه، وصحَّحه الحاكم.

وفي تَهجُّمِه على بعضِ الصحابة والتابعين وعلى الأحاديث الصحيحة وضح دليل على زَيغه وفساد عقيدته، وأنه ليس بصالح في الحقيقة.

وقد سمَّىٰ المُلحِدُ كتابه «الأضواء القرآنية في اكتساح الأحاديث الإسرائيلية، وتطهير البخاري منها». وكلامُ المُلحِدِ كلَّه شُبهاتٌ، وحَمْلٌ لكتابِ اللَّه على غير مَحاملِه، فهو في الحقيقة ظُلماتٌ بعضُها فوق بعض، وكما سأبينه إن شاء اللَّه تعالى -.

ومَن تأمَّل كتابَه لم يشكَّ أنه محاربٌ للإسلام والمسلمين، وأنه إنما أراد بكتابه الطعن في الإسلام وأهل الإسلام، وإنْ أظهَر ذلك في قالب الإصلاح، فهو بلا شكِّ ممن يسعى في الأرض فسادًا ـ وإن كان يزعم أنه مصلح ـ، وقد قال اللَّه تعالى مخبِرًا عن سكَف هذا المُلحد: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ

لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿ إِنَّهُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكُن لاَ يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١١ - ١٢].

وهذه الآيةُ الكريمةُ مطابِقةٌ لحالِ الملحِدِ غايةَ المطابقة، طَهَّر اللَّهُ الأرضَ منه ومن أمثالِه من المفسِدين في الأرض، إنه سميع مجيب.

وقد رأيتُ مِن الواجب الردَّ على أباطيلِ هذا الزائغ المفترِي على اللَّه وعلى اللَّه وعلى اللَّه وعلى رسولِه ﷺ، وتطهير الأحاديثِ في «صحيح البخاري» - وغيرِه من كتب السُّنة - من تلطيخ هذا الظالم المعتدي»(١) .

□ قال الشيخ التويجري «وقد قال المؤلِّفُ(١) في صفحة (٤) ما نصُّه:

«سابعًا: الاستكشافُ الفعليُّ لانحرافِ عقائدِ مَن سبقونا من أمم الدراويش وجماعاتِ التنسُّكِ الشَّكْلِيِّ وأصحابِ الدعاوَىٰ، بخروج بشريَّتِهم أو بشريَّة شيوخهم على سُننِ اللَّه في خَلقه، ادعاءً للكرامات المصطنَّعة، وزعمًا للمعجزات الخيالية التي مَلاَت المدوَّناتِ الصفراء، وليس لهم فيها من سنَد ولا أصل إلاَّ أحاديثُ الخيالِ المفتراةُ على رسولِ اللَّه ﷺ، تلك التي استقرَّت في كُتبِ الأحاديثِ المعتمدة لدى المسلمين بحسنِ القصد من الناشرين والمستطلِعين».

والجواب: أن يُقال: هذه الجملةُ في أولِ كتابِ المؤلِّف الجاهل كافيةٌ في بيانِ عداوتِه للرسولِ عَلَيْكُ وللسلفِ الصالح مِن الصحابة والتابعين وأئمة

⁽١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري (ص١، ٢) ـ مكتبة دار العليان الحديثة .

⁽٢) يعني السيد صالح أبو بكر.

العلم والهدئ مِن بعدِهم، وبيانُ ذلك من وجوهٍ:

أحدها: زَعمُه أن معجزات النبيِّ عَلَيْ خيالية، وأن كراماتِه وكراماتِ غيرِه من أنبياء اللَّه وأوليائِه مصطَنعة. وهذا قولُ أعداء اللَّه من الإفرنج وغيرِهم من أم الكفر والضلال، وقد تلقَّاه هذا الجاهلُ وأشباهُه من زنادقة العصريين والقبول والرضا. وهذا القدرُ كافٍ في الحُكم بردَّة المؤلِّف وخروجِه من الإسلام.

وقد أجمَع العلماء على تكفير من عَبَثَ في جهة النبي وَ الله بسُخْف من الكلام وهُجْر ومُنكر من القول وزُور . . وأجمَعوا على تكفير من استخف بالرسول وَ استهزأ به ، أو بشيء من أفعاله ، أو نسب إليه ما لا يليق بنصبه . . ذكر ذلك القاضي عياض وأبن حجر الهيتمي . . وكلام المؤلف ههنا داخلٌ فيما أجْمَع العلماء على تكفير قائله .

الوجه الثاني: زَعمُه انحرافَ عقائد الذين يؤمنون بمعجزات النبي عَلَيْهُ وكراماته وكرامات غيره من أنبياء الله وأوليائه. وهذا يتضمَّنُ القَدْحَ في جَميع أهل السُّنة والجماعة من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا يقدحُ فيهم إلاَّ مَن هو متَّبعٌ لغير سبيلهم، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْد مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَبعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُولِهِ مَا تَولَىٰ وَنُصْلُهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مُصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وقد قال في «الإقناع» في ذكرِ ما يَصيرُ به المسلمُ كافرًا: «أو قال قولاً يتوصَّلُ به إلىٰ تضليلِ الأمةِ ـ أي أمة الإجابة ـ، فهو كافر؛ لأنه مكذِّبٌ للإجماع على أنها لا تجتمعُ على ضلالة انتهى.

ولا يَخفى ما في كلام المؤلّف من تضليل الأمة على إيمانهم بمعجزات النبي ﷺ وكراماتِه وكراماتِ غيرِه من أولياءِ اللّه تعالى، فيكون بهذا كافرًا حلالُ الدم والمال.

الوجه الثالث: تسميتُه علماء السلف وأئمة الخلف بـ «الدراويش»، و «جماعات التنستُكِ الشَّكليِّ» و «أصحاب الدعاوى»، و زَعُمه أنهم قد خَرجوا ببشريتهم على سُننِ اللَّه في خَلقه، وهذه الأوصاف أولى به وبأشباهِه من زنادقة العصريِّين وملاحدتهم.

الوجه الرابع: تسميتُه كُتبَ الحديثِ المعتَمدة عند المسلمين بـ «المدوّنات الصفراء» تحقيرًا لها وتصغيرًا لشأنها، وزَعمه أن الأحاديث الواردة فيها في المعجزات والكرامات أحاديث مفتراة على رسول اللّه على وهذا من أعظم المحادّة للّه ورسوله على والمخالفة لما عليه المسلمون من الاعتناء بكتب الحديث والتعظيم لشأنها والإيمان بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرامات، واعتقاد أن ذلك حق وصدق.

الوجه الخامس: رَميه المسلمين بالغَباوة والتغفيل من أجل اعتمادهم على كُتب الحديث وإيمانهم بما جاء في الصحيح منها من أخبار الغيوب والمعجزات والكرمات، والواقع في الحقيقة أن المؤلّف هو الغبي المُغفّل الذي انقاد للشيطان فأغواه وتلاعب به حتى انسلَخ من الدين وهو لا يشعر، وصار حربًا لله ولرسوله ويلي وللأحاديث الصحيحة والمحدّثين وسائر المؤمنين، وقال الله تعالى: ﴿ أَفَر أَيْتَ مَنِ اتَّخذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضلَهُ اللهُ عَلَىٰ علم وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِه غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْد الله أَفلا

تَذَكُّرُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٣] ١١٠ .

* صبحي منصور الدَّجَّال مُنكِر السُّنَّة، نائب مُسيلِمة الكذاب «رشاد خليفة خليفة» مُدَّعى النبوة بـ «توسان»:

من مدينة «كفر الزيات» خَرَج علينا مسيلمة الكذاب «رشاد خليفة» المولود في ١٩٨/ ١١/ ١٩٥٥، تَخرَّج مهندسًا زراعيًا، وعَمل بالهيئة العامة للإصلاح الزراعي في ١٩٥٧م، وصدرت ضدَّه الجزاءات، ومع هذا حَصل على بَعثة علمية لدراسة الدكتوارة في أمريكا ٣٠/ ١٩٥٨م، وعاد الخائنُ ومعه زوجُه الأمريكيةُ السافرةُ، ثم سافر إلى ليبيا، ومنها إلى أمريكا، وبعد أشهر معدودة أصبح «رشاد خليفة» خبيرًا بالأمم المتحدة، ثم إمامًا لمسجد مدينة «توسان» ومعه مئاتُ الألوف من الدولارت.

ومن قرية «حريز» مركز «كفر صقر» بمحافظة «الشرقية» جاء «صبحي منصور»، وانضم في بداية أمره إلى «الطريقة الرفاعية» والتحق بالأزهر، وأصبح أستاذًا مساعدًا بكلية «اللغة العربية»، ولَفَت الأنظار إليه بما يطرحُه من آراء مخالفة لإجماع المسلمين، ليس بعدائه للصوفية فحسب، إنما بعدائه للسنّة النبوية.

والتقى بـ «رشاد خليفة»، ووَجَد كلُّ منهما ضالَّته في الآخر، فرشاد يملِكُ السلطانَ والمالَ بالدولار، ويَسكُنُ بلادَ اللحمِ الأبيضَ والحاسوبِ الذي يُحصِي كلماتِ القرآن وحُروفَه وآياتِه في لَمحِ البصر، ويُنبئك على الفورِ عمَّا إنْ كنتَ تصلحُ نبيًّا أو مساعَد نبيًّ.

⁽١) «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ التويجري (ص٤٩ ـ ٥١).

وراح «صبحي منصور» داخلَ الأزهر يَعبَثُ بعقولِ خيرِ شبابِ الأمة، ويُنكِرُ السُّنَّة، ويَنالُ من عِصمةِ الأنبياء، ويُسيءُ إلى الصحابة، ويحُقِّرُ من شأن رُواةِ الأحاديث النبوية، حتى فُضح أمره عام ١٩٨٢م، وشكى الطُّلاَّبُ إلى أساتذتهم، وتَمَّ جَمعُ كُتبه، فحاول أن يُقدِّم استقالتَه، إلاَّ أن الأزهر أصدر قراراً بفصله.

لَفَظَ الأزهرُ «صبحي منصور»، ولكنْ أيد خفيَّةٌ حافظَت له على المسجد الذي يخطبُ فيه، بل إن مساجد جديدةً فتحت له أبوابها في الجيزة والقاهرة، وفي مسجد «إسماعيل منصور» صاحب كتاب «إنكار عذاب القبر» (٨٠جنيه للنسخة) ومقالات إنكار «حجاب المرأة».

وهاجر «صبحي» إلى الشيطان «رشاد خليفة»، وذهب إلى أمريكا.

وفي إحدى الصحف المصرية، كتب الدكتور «سعد ظلام» عميد كلية اللغة العربية الذي حَمَلَ العبء الأكبر في التصدِّي لهذا المنكر لسنَّة خاتم الأنبياء، يوضِّح حقيقته ويَفضح باطله، ويُشرِك أهل العلم والتخصُّص فيما اتَّخذ ضدَّه من إجراءات موضِّحًا عقيدة الأزهر الشريف في الإيمان باللَّه وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر، ومؤكِّدًا على شهادة التوحيد أنه «لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسول اللَّه»، وعلى الصلاة والزكاة والصوم والحج، كما وردت في «الصحاح» ومذاهب الأئمة الأعلام، ومبشرًا المسلمين بسفر «صبحي منصور» إلى خارج البلاد.

ولم تَمضِ أيامٌ معدودةٌ حتى انهال سيلُ الخطابات من «رشاد خليفة» من أمريكا، حيث استُقبل البطلُ المجاهد «صبحي منصور» هناك!! يكتبون

إلىٰ الدكتور ظلام، وهم في حالة هَذَيان تترنَّحُ رؤوسهم في كلِّ اتجاه، وتَقَيَّوُوا كلَّ ما في بطونهم ضدَّ العميد وكُلِّيتِه وأزهرِه والمسلمين في أنحاء مصر بلا استثناء، فيكتب قبل أن يُعلِنَ النبوَّةَ بخَمسة أشهرٍ فقط أول رسائله:

اللَّه ـ سبحانه وتعالى عما يَصِفون ـ، وقرَّرتم وجود مصادِر إبليسية مقصد السَّنَّة ـ أخرى إلى جانب كلام اللَّه».

□ وفي ٩/ ١/ ١٩٨٨م كتب يقول: «لقد وَفَّق اللَّهُ الدكتور «صبحي» الى كشف الانحرافات التي جَعلت إسلامَ اليوم مختلفًا تمامًا عن الإسلام الذي دعا إليه خاتم الأنبياء». . «ذلك قبل أن يدَّعى النبوة».

□ ثم في خطاب بتاريخ ٢٦/ ١/ ١٩٨٨ م وصفه الدكتور «طه حبيشي» في كتابه «مسيلمة في مسجد توسان» بأنه خطابٌ هابطُ الأسلوب نازلُ المعاني أشبهُ بعبَثِ الصبيان، قال فيه رشاد: «لعلَّك استلمت عدد فبراير من مجلتنا «الإسلام الحقيقي»، ولعلك قرأت أولَ مقالة يكتبها د «صبحي» اسمًا على مسمَّى «منصور في أرض الحرية» التي مَنَّ اللَّهُ علينا بها».

ثم يُشير إلى ما بذلته الحكومةُ الأمريكيةُ من تقديم التسهيلات وتذليلِ العقبات أمام «صبحي منصور» حتى وصل سالمًا إلى أمريكا «أرضِ الحرية والعزَّة والفَخَار»، هاربًا من أرضِ «أزهر الشيطان والقهر والفقر والانحطاط»، حيث وافق «الكونجرس» الأمريكي على طلب «رشاد خليفة» باعتبار «صبحى» لاجئًا سياسيًّا.. والرواية على لسان صبحي نفسه.

□ وفوجئ الرأيُ العامُّ المصريُّ بـ «أحمد بهاء الدين» يكتبُ في صحيفة «أخبار اليوم» ١٩٨٨/٤/١٧ قائلاً: «أُحِبُّ أن أُنبِّهَ الأزهرَ والمؤسَّساتِ الإسلاميةَ إلىٰ نَشرةِ بالغةِ الخطورةِ والغرابة، تلقَّيتُها بالبريدِ من ولاية «أريزونا» الأمريكية تقول: «الأزهر منكر القرآن يقود مصر إلى الهلاك، وإنه يوصي اللَّه ورسوله بابتداع العصمة للأنبياء والشفاعة لغيرِ اللَّه متمسكًا بالبدع الإبليسيةِ المسمَّاة بالحديث والسُّنَّة، تلك أُولى غرائب هذه النشرة.

ثاني غرائبها أنها تصدر عن جمعية إسلامية تملك من وسائل التكنولوچيا الشيء الكثير، فهي تبيع شرائط الفيديو والكاسيت في جميع الموضوعات، والأسماء السائدة في النشرة تأليفًا وإخراجًا وخُطبة كانت للدكتورين: «رشاد خليفة» و «صبحي منصور» وبعض الأسماء المسيحية الأمريكية التي كانت مُسلمةً من قبلُ»!!.

□ وتقول النشرة: ـ وما زال الكلام لأحمد بهاء الدين في صحيفة الأخبار ـ: «إنَّ الخالق يُعلِّمُنا أن نتيجة رفض كلامه وتكذيب آياته ـ كما فعل الأزهرُ وأتباعُه ـ هي الهلاكُ وحتميةُ جفاف النيل ووقوعُ الكوارث؛ لأنَّ أُسَّ البلاء هو ممارسةُ الأزهر للقهر الفكري»!!.

□ وفي اليوم التالي ١٩٨/٤/١٨ يواصل أحمد بهاء الدين تعليقه على نشرة مسجد «توسان»، فيقول: «إنَّ الملحوظات التي تَستوقفُ النظرَ ونُضيفها: أنها تبدو مموَّلةً تمويلاً جيدًا، خصوصًا بإنتاجها التلفزيوني، والكثيرُ مما سجَّلته على أشرطة فيديو للبيع، والإسلامُ الوحيدُ الذي يقابلُه تعريفٌ واضح هو الدكتور «صبحي منصور» المحاضر في جامعة «أريزونا»، والمنتشرُ في الصحافة والإذاعة والتلفزيون عن القهر الفكريِّ الأزهري».

المسادة الفرار والضلال عرضت النشرة الشهرية لمسجد الضرار والضلال في «توسان» بأريزونا مقالاً لصبحي منصور بعنوان «الأزهر يكفُرُ بالقرآن» رداً على مقال نُشر بمجلة «منبر الإسلام» ـ لسان حال وزارة الأوقاف المصرية في عددها «يناير ١٩٨٨» قال فيه: «يقول جُهلاء الأزهر: إنه من المعلوم أنَّ القرآنَ جاء دستوراً، ومن شأن الدساتير أن تكونَ مُجمَلةً في حاجة إلى تفصيل، لكنَّ المشكلة الأزليَّة للأزهر أنه مسجدٌ سيِّع الاستخدام «مسجد ضرار» يقوم على حماية التراث البشريِّ «يقصد السُّنة النبوية» الذي يناقشُ ألقرآنَ، ويتَهم كتاب اللَّه بأنه غامض يحتاج إلى توضيح، وأنه ناقص يحتاج الى تفصيل، ومن الواضح أنَّ الأزهريِّن لا يؤمنون، ولا يعلمون، ولا يذكرون، بعدما أعماهم اللَّه عن القرآن الكريم، ولقد أدَّت الأكنَّة على قلوبهم والوَقرُ في آذانِهم إلى تكذيب رب العزَّة في تقريره أن القرآن كاملٌ وتأمّ ومفصلًى».

□ وفي ذيل المقال تعليقًا لنبيِّ الزور «رشاد خليفة» يقول فيه: «كما هو مُدعَّمٌ بالوثيقة في الصفحة السابقة، فإن الأزهر يَرفضُ التأكيداتِ المتكرِّرةَ للقرآن بأنه كاملٌ وتامُّ ومفصَّلٌ تمامًا.

إِنَّ الأَزهرَ يَأْخَذُ مُوقفًا رَسَميًّا مِن أَنَّ القرآنَ لِيسَ كَاملاً، وَمِن ثَمَّ فَإِنَّ الأَزهرَ يُعزِّزُ تلك البِدَعَ الشيطانيةَ ـ مثلَ الحديثِ والسُّنة ـ، وإِنَّ أَيَّ مُسلِمٍ عَتلكُ أقلَّ قَدرٍ مِن التفكيرِ والبداهة يَستطيعُ أَن يَرَىٰ الأَزهرَ لا يحترمُ إرادة الربِّ، وإنما يحترمُ إرادة إبليس، و «صبحي منصور» هو أولُ عالم أزهريً للربِّ، وإنما يحترمُ إرادة إبليس، و «صبحي منصور» هو أولُ عالم أزهريً يكتشفُ الحقيقة، ويَقفُ في وَجه السُّلُطات في قلعة إبليس «الأزهر»، ففي هذه السلسلة التاريخية من المقالات، يُوضِّحُ «منصورٌ» الطبيعة المحمدية



للأزهر، ودَوْرَه في تحويلِ المسلمين المخلِصِين إلى مُحمِّديِّين مؤلِّهين للوثنية»(١) .

□ ومرَّةً أخرى حلَّ «صبحي منصور» بهمه وغمه وضلاله على مصر، وترك شيخه المزعوم بعد عام واحد فقط، وقال «صبحي» عن «رشاد خليفة»: «إنه علا وتكبَّر بعدما أصبح نبيًّا»!!.

عاد «صبحي منصور» يَبْثُ سمومَه في المساجد، إلى أن قُبض عليه بنفس التهم التي وُجِّهت إلى المُتشيِّع «حسن شحاته» من إثارة الفِتَنِ والتعدِّي على صحابة رسول اللَّه ﷺ والتشكيك في السُّنة النبوية المطهَّرة.

ولقد عرض «رشاد خليفة» على «صبحي منصور» النبوَّة فرَفَضها!! ثم لم يكبث أن ادَّعى النبوَّة لنفسه في مايو ١٩٨٨، ولم يَخطُر بباله هذا من قَبلُ، هذا قول «صبحي منصور». . أما «رشاد خليفة»، فقال عن نفسه: إن الوحي قد هَبط عليه وهو في سنِّ الخامسة والأربعين، أي في عام ١٩٨٠. ولقد قُتِل هذا الدَّجَّالُ الكذَّاب.

الله اللهووسُ الدجَّالُ أَطلقَ على الآياتِ التي لم تَخضع للرقم (١٩) «آياتِ شيطانية»، وهما الآيتانِ الأخيرتان من سورة «التوبة»، وأنكرهما وقال: «إنهما أُقحِمتًا على القرآنِ وليستا منه».. وقال: «اسمِي جاء في القرن ١٩ مرةً، ومثلُه اسم أبي».

□ وقال: «إن المسلمين عندَهم عقيدةُ التثليث: «الإجماع، والحديث، والسُّنة»، وهذا يتنافَئ مع القرآن».

⁽١) «شبهات وشطحات منكري السنة» (ص٦٧).

□ وكَفَّر البخاريَّ، وقال: «جميعُ الأنبياء مِن قبلي لم يُؤتَوْا مِعشارَ ما
 آتاني ربِّي، والأنبياءُ ثلاثةٌ فقط هم: إبراهيم ومحمد وأنا».

□ ويقول: «ليس هناك نصٌّ قرآنيٌّ يُلزِمُ زوجتي الأمريكيةَ بتغطيةِ شعرِها ووجهِها أو خَلع البنطلون».

□ وقال: «أخبَرني جبريلُ الأسبوعَ الماضي أنَّ كلَّ مَن يُنكِرُ السنَّةَ لن يُوت، ولن يُوضَعَ في قبر، بل يَدخلُ الجَنَّةَ ومباشرةً. . كما أخبَرني من قبلُ أنَّ مَن يؤمنُ بي لن يُسألَ عمَّا ارتكبه من ذنوبٍ ومعاصٍ وفواحشَ قبلَ الأربعين».

□ ولقد أعد "صبحي منصور" بخط يده رسالة مداً عي النبوة إلى العالم، وكان العنوانُ «رسالة "إلى العالم الجديد» جاء فيها: «إن اللّه يُحبُ أمريكا التي تأسست على حُرية العقيدة، والتي تنفردُ في كل بلاد الدنيا بأن تكتب على عُملتها «الدولار»: «نحن نُؤمن بالله»، ولذا فإن أمريكا هي أحب الشعوب إلى الله؛ ولأن العالم القديم قد أرسل إليه العديدُ من الرسل؛ فقد حان أن تتلقّى أمريكا بركة عظيمة «رسولاً من عند الله»، يساعِدُهم، ويَعديهم، ويَحُلُ مشاكلهم المستعصية مع العقاقير والكحوليات والجريمة والفقر.

وكما جاء الأنبياءُ مِن قَبلُ بمعجزاتهم، فإنَّ رسولَ اللَّه إلى العالَم قد جاء بدليلٍ مُثبَت بالكمبيوتر!!! والذين فَحَصوا البرهانَ جيِّدًا توصَّلوا إلىٰ قناعة مُطلَقة أنني رسولُ اللَّه، وباعتباري مكلَّفًا من قبل اللَّه مؤيَّدًا ببرهان ماديٍّ لا يُمكنُ أن يَدحَضَه أيُّ باحث شريف يتمثَّلُ في قانون رياضيًّ هائل ضمن رسالة إلى العالَم، وقد ذُكر اسمي «رشاد» في

القرآن مرتين»اه.

□ وعند وقوع الخلاف بينه وبين "صبحي منصور" قال عنه "صبحي منصور": "رشاد خليفة خليفة، هو الكاذبُ في كلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، وقد ظَلَّ يَكذبُ ويتحرَّىٰ الكذبَ حتى خالطَ الكذبُ كلَّ خَليَّةٍ من خلايا لَحمه وعَظْمِه؛ لأن رشاد خليفة حين ادَّعىٰ النبوة والرسالة كان نبيًّا للشيطان ورسولاً من إبليس" اه. نقلاً عن "منكري السنة" لأبي إسلام أحمد عبداللَّه.

* مُنكر السُّنَّة مصطفى كمال المهدوي الليبي: صاحب كتاب «البيان بالقرآن»:

هذا الدجال المولود في الإسكندرية عام ١٩٣٤م لأب ليبي، وعمل بالقضاء في ليبيا منذ عام ١٩٦٠م حتى أحيل للتقاعد على وظيفة مستشار عام ١٩٩٤م، أشار إلى إنكاره للسنة طه حبيشي.

□ كتب هذا الضالُ سلسلة مقالات في الصُّحُف الليبية تحت عنوان: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [محمد: ٢٤]، ثم نَشَرها في كتابِه الذي يَحمِلُ فكره «البيان بالقرآن»، وقام الشيوخُ في ليبيا ضدَّه، وعلى رأسهم الشيخ المستشار القضائي علي ونيس «أبو زغيبة» الذي كان يَقِفُ على منبر مسجده كلَّ جُمعة، ويَصفُه «بالجَهول الظلوم السَّفيه المُتسلِّط»، وردَّ عليه الأديبُ «عبدالكريم الوثَّاق» بعنوان «محاكمة البيان بالقرآن»، جَمَع فيه ما نُشر في الصحافة من هجوم ونقد ضدَّ الكتاب.

◘ يقول هذا المأفونُ في إنكاره لحدِّ الرجم للزانية المحصنة: «إنَّ لَفْظَي

"الزاني والزانية" جاءا مُعَرَّفينِ بالألف واللام، بما يدلُّ على ثباتِ الحالِ ودوامِه في ممارسة الزنا. ولذا، فلا ينطبقُ الحدُّ الشرعيُّ على الزاني والزانية إلاَّ إذا كان ذلك عَمَلاً مستمرًّا وثابتًا، أما الذي يَزني مرةً أو اثنين لشهوةٍ أو نزوةٍ - أو غير ذلك -، فلا يُقامُ الحدُّ عليه . . أما المرأة، فتُحبَسُ في بيتها حتى يتوفاها الموتُ أو يجعلَ اللَّهُ لها سبيلاً».

ولقد أطلَقَ هذا الضالُّ لفظَ «أوصياء على الدين» بصفة الذمِّ على «أبي هريرة، وابنِ عباس، وأمِّ المؤمنين عائشة رائيً ».

□ ويقول: «الإسلامُ قرآنٌ وسُننُ الأنبياءِ جميعًا!!! ليس قرآنًا وسُنةً». □ وحينما سُئِل: «ماذا تَقصِدُ بسُننِ الأنبياء؟ قال: أن نصبِرَ كصبرِ يعقوب».

□ وهو يقول: إن الصلوات المفروضة خمس صلوات: «الصلوات الخمس - حسب القرآن - هي: فجر، وصبح، وظهر، وعصر، وصلاة واحدة من دُلوكِ الشمس إلى غَسَقِ الليل».

□ ويقول: «الصلاةُ ركعتانِ ـ لجميعِ الصلواتِ من صلاةِ الصبحِ وحتى صلاة الدُّلوك».

□ وكان يقول: «السُّنةُ ليست منهاجي، ولا أقبلُ غيرَ مَنهجِ القرآن،
 ليس عندي غيرُ القرآن، ولا تَلزَمُني السُّنة. . والسُّنةُ نَعرِضُها على القرآن».

الله ويقول عن «العمرة» في كتابه (ص٩٤): «والعمرةُ هي عمارةُ المسجدِ الحرام، وهي واجبةٌ للمساجد جميعًا، وتكونُ بالبناءِ والترميمِ والفَرشِ والإضاءةِ والمصاحِفِ والصلاة فيها»!!.

أمَّا الحبُّ عنده، فطُوالَ ستَّة أشهر تقريبًا.

□ يقول هذا المأفون: «إنَّ اللَّهَ تبارك وتعالى حَفظ لنا كتابَه، وفيه الدينُ كلَّه مُفصَّل، وفيه السُّنَّةُ أيضًا، فيما تَصِفُ الآياتُ الكريمةُ خُلُقَ الرسولِ الكريم وأفعالَه وأقوالَه، فيجبُ أن نكتفي بذلك، ونَهجُر ما سواه. . إنه من الصَّعبِ أن نتأكَّد مِن أن الذي كتب "صحيح البخاري" هو البخاري نفسه.

إن ما يُوصَفُ بأنه «سنة رسول اللّه ﷺ من حيث كونُها تكميلاً للقرآن، أو تفصيلاً، أو تفسيرًا، لهو مردودٌ مرفوضٌ بآيات القرآن».

□ ويقول عن «الصلاة» في كتابه: «قراءة الفاتحة ليست شرطًا في الصلاة، وإنما تُقرأ لأنها من القرآن، والفاتحة ليست هي «السَّبعَ المثاني»، و«السبعُ المثاني» هم: العينان والشفتان والأذنان.. إثباتًا لبشرية النبيِّ.

تسبيحُ المُصلِّي في ركوعٍ أو سجودٍ، وقولُ: «سمع اللَّه لمن حمده»، كلُّه باطل.

ليست هناك صلاةٌ جهريةٌ وأخرى غيرُ جَهرية، ولا تَشهَّدٌ أوسطُ أو أخير، إذ تنتهي الصلاة بالسجود.

لا صلاة جمعة، إنما المقصودُ بآية النداء هو قولُ: «الصلاة جامعة» عند كلِّ صلاةٍ مفروضةٍ في يوم الجمعة، إذ لا أذان للصلاة في بقية الأيام»(۱).

□ وفي فتوًىٰ له عن حُكمٍ أكلِ لحوم الكلاب قال: «إنَّ القرآنَ الكريمَ
 لم يَرِدْ فيه نصٌ واحدٌ يُحرِّمُ على العمومِ أكلَ الكلابِ الضالَّةِ والمستأنسة،

⁽١) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبدالله (ص٧٩ ـ ٩٤) ملخصاً.

ولذا فإنَّ لحمَ الكلابِ طعامٌ شهيٌّ لمن يريدون أَكْلَه، ولا إثمَ عليهم فيما يفعلون».

* وتبقى السُّنَّةُ ، ويَذهبُ منكروها إلى مزابل التاريخ :

□ قيل لعبداللَّه بنِ المبارك ـ شيخ الإسلام ـ: «هذه الأحاديثُ الموضوعةُ ما نَصنعُ فيها؟ قال : يعيشُ لها الجهابذةُ من الرجال».

* قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] تبقى السُّنةُ ما بَقِيَ ذِكرُ صاحبِها ﷺ على مَرِّ الزمان.. أما منكروها، فإلى مزابلِ التاريخ ﴿ وَمَكُرُ أُولَئِكَ هُو يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠].

□ ورَحِم اللّهُ القائلَ: «افتضحُوا فاصطلحوا»: انظر إلى هذا التواطؤ الخسيسِ والخُيوطِ الخفيَّةِ بين مُنكرِي السُّنَّة في الهند ومصر:

□ ف «أحمد أمين» يُثنِي على السير «أحمد خان مرزا»، ويقول عنه: «إنه في الهند كالشيخ محمد عبده في مصر».

ويَنشر «أحمد خان مرزا» ـ من خلال مجلته الداعية لإنكار السنة ـ حلقات متتابعة من كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين.

ومثلما وضع «حسرت موهاني» و«نيار فتحبوري» أُسُسَ الضلال، وأصدراً مجلةً تحمل اسم «إنكار» في الهند، وضع «صبحي منصور» يده في يد «فرج فودة»، وأصدر مجلة تحمل اسم «التنوير» في مصر، وطعنت للجلّتان في العقيدة، وأثارتا الشبهات حول الوحي والقرآن وحُجّية الأحاديث النبوية، وحَطّتا من أهمية الفقه الإسلاميّ في حياة المسلمين.

وكانت جُماعتا «القاديانية والأحمدية» بأمريكا على اتصال دائم بمركز

«توسان»، حيث يَقبَعُ مُسيلِمةُ الكذَّابِ مُدَّعي النبوة «رشاد خليفة» بمسجد «توسان». .

كبهيمة عمياء قاد زمامها أعْمى علَى عوج الطريق الحائر!

* * *

المنكرون للسُّنَّة جَزئيًّا

وهم كثيرون يَجمعُهم جميعًا إعمالُ العقلِ وتقديمُه فوقَ النَّقلِ الصحيح، فمنهم مَن يُنكرُ أحاديثَ مسألةٍ معينةٍ من مسائلِ الشرع، وهذي أمثلة:

* على درب الوالد سار الابن:

مَشَى الطَّاووسُ يومًا باعوجاجِ فقال: عَلامَ تختالون؟ فقالوا: فخالفْ سَيْركَ المُعْوَجَّ واعْدلُ أمَا تَدْري _ أبانا _ كلُّ فَسِرْع ويسنشأُ ناشئُ الفتيسان منَّا

فَقلَّدَ شكلَ مشْ يَتِه بَنُ وهُ بِدأَتَ بِه ونحن مُقَلِدُه مُ بِدأَتَ بِه ونحن مُقَلِدُه مُ فإنَّا إِنْ عَدَلْتَ مُ عَلَدُلُوهُ يُجاري بالخُطَى مَن أَدَّبوه أُ يُجاري بالخُطَى مَن أَدَّبوه أُ على ما كان عَودَه أَبوه أُ

«حسين أحمد أمين» على درب والده، وللابن كتاب «دليل المسلم الحزين إلى مقتضى السلوك في القرن العشرين»، وهذا الكتاب أَخَذ جائزة أحسن كتاب في معرض القاهرة الدولي ١٩٨٤م، وكله طَعنٌ في السُّنَّة.

□ يقول هذا الرجل: «ما كان أبي «أحمد أمين» يَفرِضُ علينا الصلاة»!.
□ وله فتوك عجيبةٌ في حدِّ السرقة، فيقول: «لقد كان الاعتداءُ على الساري في الصحراءِ بسرقةِ ناقتِه بما تَحَمِلُ من ماءٍ وغذاءٍ وحَيمةٍ وسلاحٍ في

مَصافِّ قَتلِه، لذلك كان من المهمِّ للغاية أن تُقرِّرَ الشريعةُ عقوبةً جازمةً رادعةً بالغةَ الشدة لجرعة السرقة في مثل هذا المجتمع»(١).

□ وقال عن الحِجاب: «وَهُمٌ صَنَعه الفُرسُ والأتراك، وليس في القرآن نصُّ يُحرِّمُ سُفُورَ المرأة أو يعاقبُ عليه»، و«إن الرجالَ يتمسَّكون بالحجاب ليستبِدُّوا بالمرأة، فيُنفِّسوا عن قَهرهم سياسيًّا واجتماعيًّا»(٢).

□ وأتئ «عبداللَّه عنان»، فأنكر أحاديث «المهدي المنتظر والمسيح»، وكتب تحت عنوان «أساطير دينية عماد حوادث كبرئ في التاريخ»: «لم تزدهر هذه الأساطير من الوجهة العلمية قَدْرَ ازدهارها في الدول الإسلامية، وكانت «أسطورة المهدي» من بينها أقواها وأبعدها أثراً.. ومثل أسطورة المهدي المنتظر «أسطورة المسيح»، وهي ترجع إلى أصل يهودي أسطورة المهدي الإسلام مكان أيضا، بل تُمزَجُ أحيانًا بأسطورة المهدي ، فيُقال: إن المسيح المنتظر عَظهرُ معه ويأتم به».

* وعلى الدرب سار الدكتور «مصطفى محمود»:

فأنكر شفاعة الرسول ﷺ، وأنكر الرجم، وردَّ الأحاديث منذ ربع قرن من الزمان حين أفادتنا مجلة «صباح الخير» في العدد (١٠٩٣) بتاريخ ١٨/ ١٩٧٦/ ١٩٧٦ بوقوف الدكتور على فقه مُنكِري السُّنَّة وتأييده لهم، فهو يسير على منوالهم.

⁽۱) «دليل المسلم الحزين» لحسين أحمد أمين (ص١٤١) ـ طبعة مدبولي نقلاً عن «إسلام آخر زمن» للأستاذ منذر الأسعد (ص٨٤) ـ دار المعراج ١٤١١هـ.

⁽٢) «موقف القرآن من حجاب المرأة» لحسين أحمد أمين/ الأهالي القاهرية (٢) ١٩٨٤/١١/٢٨ . عن كتاب «غزو من الداخل» (ص٥٥).

□ وصدَق القائل: «إنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة، فعليكم بالعتيق»(١٠).

* العقيد مُعمَّر محمد عبدالسلام أبو منيار القذافي، وإنكارُه للسُّنة، وتصدِّي العلماء له، وعلى رأسهم شيخ الإسلام عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ:

□ في ٣/٧/٧٧م عُقدت في طرابلس «ليبيا» ندوة علمية حول منزلة السُّنَة النبويَّة من القرآن الكريم، شارك فيها عدد من مفكِّري البلاد الإسلامية، تحدَّث فيها الرئيسُ «معمَّر القذافي»، مُركِّزًا على التناقضات التي ادَّعاها في الأحاديث النبوية التي تحتويها كتبُ الصِّحاح والسُّنن، مستشهدًا بعدد من النصوص الحديثيَّة التي يَتصوَّرُ أنَّ بينها تناقضًا، ثم ختم حديثه قائلاً: «إنَّ في البخاريِّ ومسلم أحاديث منسوبة إلى النبي عَلَيْ لا تتَفقُ مع القرآن، وقد دُوِّنت بعدَه بأكثر من مئتي سَنة، يَرتفعُ فوقها علامة استفهام».

□ ثم يُضيف: "إذن لنَجْمعْ كلَّ ما قيل من حديث، ونُقارنْه بالقرآن، فالذي يتَّفقُ معه نَعملُ به، والذي لا يتَّفقُ معه لا نَعملُ به، ولا نقول: "قال البخاري، وقال مسلم"، فالقرآنُ معروفٌ ومحفوظٌ، ولا يَختلفُ فيه المسلمون من "جاكرتا" إلى "طنجة"..".

بَثّت قنواتُ الإذاعةِ والتلفازِ الليبية، ونَقَلت على الهواءِ مباشرةً هذه الكلمات القاسية على كلِّ نَفْسِ تنتمي إلى عقيدة الإسلام، فكانت صدمة المُحمَت كلَّ السنة المسلمين في ليبيا الشقيقة، وهم يستمعون إلى رئيسهم في المؤل حديث وأجرء حديث سهر المامة الشَّعب الليبيُّ حتى الثانية من صباح

⁽١) «السياسة الأسبوعية» (ص١٧) العدد ٩٥ بتاريخ ٣١/ ١٩٢٧م.

اليوم التالي.

وقبل أن تُشرِقَ شمسُ اليوم الجديد، كانت ليبيا ثلاثةَ أحزاب: أولها: الحزبُ الذي صَفَّق طويلاً سعيدًا بما أسمَوْه في صُفحهم «بروتستانتية» إسلامية جديدة (!!).

وثانيها: الحزبُ الذي حَبَسَ غَضَبَه في صدره مكلُومًا، يضربُ أهلُه كفًا في حسرة وألم قائلين: «وإنْ سَلَّمْنا جَدَلاً أن هناك بعضَ الأحاديث النبوية المنسوبة كَذبًا إلى النبيِّ عَلَيْهُ في كتب الحديث، فهل يجوزُ أن نتَّخذَ ذلك تُكأةً لهدم كلِّ معتقدات المسلمين؟!».

أما ثالث الأحزاب: فهم هولاء الذين التزموا الصمت، إمَّا جهلاً بخطورة ما سمعوا، أو خوفًا من تَبِعَة الغضب فيما لو عَبَّروا عن مشاعرهم، أو تجاهلاً متعمَّدًا»(١).

□ وجاء الرد "بيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى للمساجد حول ما دار مع العقيد "معمّر القذافي" حول إنكاره للسُّنَة النبوية كمصدر للتشريع، كما تناقلَتُها الصحف والأنباء": على لسان الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ: "قام وفد من الأمانة العامة للمجلس المذكور برئاسة فضيلة الشيخ "صالح بن محمد اللحيدان" عضو «مجلس القضاء الأعلى بالمملكة العربية السعودية" وعضوية كل من فضيلة الشيخ "أبي بكر محمود جومي" كبير قضاة نيجيريا وعضو الرابطة ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ "أحمد الحماني" رئيس "المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر" وعضو الرابطة المساجد، وفضيلة الشيخ "أحمد الحماني" رئيس "المجلس الإسلامي الأعلى في الجزائر" وعضو الرابطة

⁽١) المصدر السابق (ص١١٨).

ومجلس المساجد، وفضيلة الشيخ «علي مختار» الأمين العام المساعد للمجلس الأعلى العالمي للمساجد بزيارة الجماهيرية الليبية بناءً على ما دار بين «الأمانة» و «الجماهيرية» للبحث مع فخامة العقيد «معمَّر القذافي» حول ما تناقلَتْه الصحفُ والأنباءُ من إنكاره للسُّنة النبويَّة أن تكونَ مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي.

وقد تَمَّ بالفعل اجتماعُ الوفد بفخامته في الساعة السابعة والنصف من مساء يوم الأربعاء الثاني عَشَرَ من شهرِ صَفَر ١٣٩٩هـ في مدينة "بني غازي" بليبيا، وتبادلَ الجميعُ وجهاتِ النظر، وبَيَّن الوفدُ لفخامته الأدلةَ الشرعية من الكتاب والسُّنة على عظيم منزلة السُّنة في الإسلام، وأنها الأصلُ الثاني في إثباتِ الأحكام، وأن العلماءَ قد عُنُوا بها، وعَرفوا صحيحها من سقيمها، ووضعوا لذلك قواعدَ وأصولاً يُعرفُ بها صحيحُ الأحاديث من ضعيفها، وأجمعوا على اعتماد ما صححت به الأحاديث، فأظهر اقتناعه بأكثر ما قاله الوفد، وأوضح فخامته للوفد موقفه من الكتاب والسُنة والحديث، وأنكر بشدَّة ما نُسب إليه من أنه حَذَف كلمة "قل" من "قل هو الله أحد"، أو أنه صلَّى العصر ركعتين حَضراً، كما أوضح للوفد بأنه يعترفُ بالسُّنة الفعلية فقط عالصلاة والحج من أما الأحاديثُ القوليةُ، فإن ما يصح عنده منها يُعمل به، ووعد أنه سيُعلن ذلك على الملاً .

هذا ملخَّصُ قرارِ الوفد، وقد سرَّنا كثيرًا رجوعُ فخامة العقيد إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة، وقد دَلَّتِ الأدلةُ من الكتابِ والسُّنة الصحيحة واجتماع أهل العلم على أنَّ السُّنة الصحيحة القولية والفعلية والتقريرية أصلٌ عظيمٌ من أصول الإسلام، وهي الأصلُ الثاني في إثبات

الأحكام الشرعية وبيان الحلال والحرام، وهي الوَحيُ الثاني، كما أجمَع العلماء أيضًا على أنَّ مَن جَحَد كونَ السُّنة أصلاً معتبرًا يُرجعُ إليه في الأحكام، وزَعَم أنه يكتفي بالقرآن عنها، فهو كافرٌ مرتدٌ عن الإسلام، وقد صنَّف في ذلك الحافظُ السيوطي رسالة سمَّاها «مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة»، ذكر فيها الأدلة من الكتاب والسُّنة والآثار على وجوب تعظيم السُّنة والأخذ بها، وأنها الأصلُ الثاني من أصول الإسلام، كما ذكر فيها إجماع العلماء على كُفر من أنكر السُّنة ، وزَعَم أنه لا يُحتجُ إلاَّ بالقرآن، ولا شكَ أن مَن أنكر السُّنة فقد أنكر القرآن وكذَّبه؛ لأنَّ القرآن الكريم قد أمر في مواضع كثيرة بطاعة الرسول ﷺ واتباعه، وعلَق الرحمة والهداية ودخول الجنة والنجاة من النار على ذلك.

وقد كَتُبْنا في هذا المَقام مقالاً أبسَطَ من هذا البيانِ، ننشرُه قريبًا إن شاء اللّه.

⁽۱) مجلة «البحوث الإسلامية» ـ العدد الخامس محرم ـ جماد الثاني ١٤٠٠ه تحت عنوان «إيضاحات وتنبيهات» للشيخ ابن باز (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣)، ومجلة «المجتمع الكويتية» العدد ٣٩٣ (ص٢١)، وكتاب «السنة باعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي» لمحمود صالح شريح (ص٣٥٣ ـ ٣٥٤) وهذه رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية بالمدينة.

* و ا إسلاماه:

في يوم الإِثنين ١٨ من ذي الحجة ١٤٠٠هـ، الموافق ٢٧ من أكتوبر ١٩٨٠م صدرت جريدة «أخبار العالم الإسلامي» التي تُصدرُها «رابطة العالم الإسلامي» من مكة المكرمة، تَحملُ مانشيتًا رئيسيًّا: «القذافي رأسُ حربةً ضدَّ الإسلام». . أما الخَمْسَ عَشْرةَ صفحةً التالية من الجريدة ، فكانت عبارةً عن مَلَفٌّ صحفيٌّ عن إنكاره حُجِّيَّةَ السُّنة النبوية، وادعائه النبوَّة، وإنكاره تعدُّدَ الزوجات، وحجابَ المرأة في القرآن، وإلغائه العملَ بالتاريخ الهجريّ، وتأييده الاستعمار الروسيِّ لأرض أفغانستان، ثم دعوتِه المُصلِّين في صباح عيدِ الأضحىٰ من هذا العام إلى تَرك الحج قائلاً: «فلْيعلم المسلمون في كلِّ مكانٍ من العالَم أن مكةَ الآن، والكعبةَ الشريفة ـ بيتَ اللَّه ـ، وأن المدينةُ المنوَّرةَ وقَبرَ الرسول، وأن جبلَ عرفاتِ المقدَّسَ: تَقعُ الآن تحتَ طائلة الاحتلال الأمريكي، فأيُّ معنَّى للحجِّ هذا العام أو في الأعوام القادمة إذا استمرَّ الاحتلال؟! إنَّ المعنى الوحيدَ هو القتالُ والجهادُ لتحريرِ بيتِ اللَّه، ومَن يُمارِسُ شعائرَ الحجِّ متجاهلاً هذه الحقيقةَ، إنما هو يُمارسُ عبادةً ساذجةً ليست هي التي أرادها اللَّه، والآن المسلمون يؤدُّون شعائرَ الحجِّ تحت ظلال الطائرات الأمريكية(١) ، وعندما يرفعون رؤوسَهم إلى السماء وهم يَدْعُون تَسقُطُ عليهم نفاياتُ وفضلاتُ الطائراتِ الأمريكية، ويعتقدون أنهم سيعودُون وقد غُفرت ذنوبهم وقُضيت حوائجُهم!! ولن تغفرَ الذنوبُ، ولن تُقضى الحوائجُ إلاَّ إذا تَحوَّل الحجُّ إلى معركة، وتَحوَّل الدعاءُ للغفرانِ

⁽١) أي صفقة طائرات التصنت.

إلى دعوة للجهاد والقتال ١١٠٠٠ .

انظر إلى شُطح العقيد وطوامّه:

- يُبيحُ التعدُّدُ من اليتيمات فقط!! .

□ ويقول: «كلُّ مَن يَخرجُ على القرآن هو من الخوارج ـ ولو كان مسلمًا ـ، وبذلك تنتهي مشكلة: هذا مسلم، وهذا مسيحي "(٢) .

□ وعن مجموعته القَصَصِيَّة التي هلَّلَت لها وسائلُ الإعلام المسموعةُ والمقروءةُ والمرئيةُ بالجماهيرية الليبية ابتداءً من ديسمبر ١٩٩٣م، يقول الأستاذ الدكتور جابر قميحة أستاذ الأدب العربي بكلية الألسن جامعة عين شمس: «تَهكَّمَ في قَصَصِهِ الأدبية هذه بأسلوب سُوقيًّ على بعض صحابة رسولِ اللَّه عَيْقِيْ من أمثالِ خُبيب بن عديًّ، وخالد بن الوليد، وأمِّ أيمن. الى أن بكغ به الأمرُ إلى التهكُم على أمِّ المؤمنين زينب فليها.

وحتى لا يَظنَّ ظانُّ بنا سُوءً، فالمجموعةُ القَصصيةُ يمكنُ الحصولُ عليها، والتهكُّمُ والاستهزاءُ ليس فيه تَوريةُ مما قد يكونُ حَمَّالاً للتأويلِ أو التجنِّي على الكاتب، إنما كان الكاتبُ العقيدُ واضحًا في ذلك تمامَ الوضوح»(٣).

◘ يقول القذافي في خطبة ١٢ ربيع الأول ١٣٨٧هـ (١٩٧٨ / ١٩٧٨م)

⁽۱) «شبهات وشطحات منكري السنة» لأبي إسلام أحمد عبداللَّه ـ جريدة «الأحرار» ۱۱ جمادي الأولى ١٤٢٠هــ ٢٢ أغسطس ١٩٩٩ ـ الحلقة (۱۱).

⁽٢) «شبهات وشطحات منكري السُّنة» (ص١٢٦).

⁽٣) المصدر السابق (ص٠١٤) ـ انظر جريدة «الأحرار» ٢٠ جمادي الأولى ١٤٢٠هـ ـ المصدر السابق (٢٠).

عن النبي عَلَيْ نصًّا بأنه «مجرد بوسطجي»، وقال بالنصِّ في هذه الخطبة: «إنَّ المسلمين ابتعدوا عن الدينِ الإسلاميّ، وهم في طريقهم إلى النتيجة التي وصل إليها المسيحيون، ونحن الآن بدأنا عبادة الأصنام، وبالأحرى في بدايته، فنحن نُجَسِّمُ النبيَّ حتى يَحجُبَ اللَّه، ولو قلتُ لكم «رسولُ اللَّه» لقلتُم كلُّكم «صلى اللَّه عليه وآله وسلم»، ولو قلتُ لكم: «اللَّه» لَمَا تكلم أحدٌ، وهذا نوعٌ من الاستعباد والوثنية».

□ وقال نصًا: «إنَّ صلاتنا على النبيِّ عَلَيْ النبيِّ تَعني أننا نخافُه أكثر من اللَّه، أو أننا نرى الرسول أقرب إلينا، مثل المسيحيين الذين قالوا: إنَّ عيسى أقربُ من اللَّه».

□ ويقولُ في خطابِه هذا المطبوع (ص١٤): «النبيُّ لو كان يقول: اتَّبِعوا حديثي، يَعمَلُ بَديلاً للقرآن، لكنه باستمرارِ كان يؤكِّدُ تمسُّكَه بالقرآنِ فقط»!!!.

□ وقال (ص٢٣): «لو كان الحديثُ الذي يقولُه الرسولُ يُعتدُّ به أو يُؤخذُ كشريعةٍ ، لَوَجب أَخْذُ كلِّ كلامه حتى الذي قبلَ الرسالة».

□ و(ص٢٦): «سُنَّةُ النبيِّ هي عَمَلُه، وليس كلامَه، فهل النبيُّ كان يَسرق؟ طبعًا لا، هذه سُنَّةٌ من سُننه، ومن أخلاقِه أنه لا يَكذبُ ولا يَسرِقُ،

⁽١) هو نفس كلام رشاد خليفة .

وَيتَصفُ بالأمانة والنزاهة، هذه هي السُّنَة، أي أنها تصرُّفُ النبيِّ وطريقتُه في ذلك، إذن كيف نأتي بعد ألفَيْ سَنة ، ونقول: إنَّ الحديثَ هو السُّنَّة؟!».

□ وفي عَمَله «وانتهت الجمعة بدون دعاء» يقول مستهزئًا متهكمًا من «أمِّ أيمن» ويقول: «هذه بقيَّةُ والمين» ويقول: «هذه بقيَّةُ أهل بيتي» ـ، يقول عنها: «أمُّ أيمن كادت تموتُ عَطَشًا بين مكة والمدينة وهي صائمة، فنزل عليها حساءٌ من «شوربة بالمعدنوس»، ودكو ماء معدنيً ماركة «أفيان»، ولم تَعْطَشْ طَيلة عُمرِها بعد «أفيان»..».

□ ويقول عن خُبيبِ بنِ عديٍّ وَظَيْكَ: "وهل العنبُ الذي كان يَسقطُ على خُبيبِ بنِ عديٍّ، وهو أسيرٌ عند المشركين في مكة، كان من كوكبِ الزُّهرة، أم من كوكب عُطادر؟! لأنَّ مكة لا عنب فيها».

□ ويقول عن سيف اللَّه خالد: «إنَّ خالدًا حاصَرَ حِصنًا منيعًا للروم، وطَلَب منهم التسليم، فقالوا له: لا نُسلِّمُ حتى تشربَ السُّمَّ، فَشرِبَ قَدَحَينِ منه ولم يُوجِعْه مُصرانٌ واحدٌ من مصارينه»(١) انتهى ولا تعليق.

* حسن التُّرابيُّ السُّوداني، يَرُدُّ السُّنَّةَ، ويَنحرفُ عن قواعِدِ الدين، ويَطعنُ في الصحابةِ، ويُنكِرُ حَدَّ الرِّدَّةِ والرجمِ، ويُمجِّدُ الفَنَّ ورَقْصَ الباليه!!:

مَن أراد أن يعرفَ ضلالَ هذا الرجل، فلْينظرْ إلى بعضِ أخطائِه كما يُعدِّدُها فضيلةُ الدكتور «جعفر شيخ إدريس»:

⁽۱) «شبهات وشطحات منكري السُّنَّة» (ص۱٤٧، ۱٤٨)، و«جريدة الأحرار»، جمادى الأولى ١٤٨هــ ١/٩/ ١٩٩٩ ـ الحلقة (٢١).

- _ نظرتُه للسُّنةِ النبويَّةِ المطهرة.
- ـ نظرتُه لصحابة رسولِ اللَّه رَاهِ .
 - _ نظرتُه إلى فُقهاء أُمَّة الإسلام.
- _ نظرتُه إلى مَجمع تاريخ المسلمين.
 - _إنكارُه لبعضِ الحدودِ الشرعية.
- ـ آراؤه المتناثرةُ في الاجتهادِ والمرأةِ والموسيقين.

وزِدْ على ذلك نظرتَه أنه لا ضابَط لتفسيرِ القرآن، إلاَّ ما يُملِيه تجديدُ اللغة، والاستحداثُ الاجتماعيُّ، والإعمالُ العقليُّ لفَهمِ الدلالة ـ دون أيَّة قيودٍ أو قوالب ـ .

وقد تَصدَّتْ له جماعة أنصار السنة بالسودان بشيوخها من علماء الدعوة السَّلْفية، وتَصدَّىٰ له الدكتور «عصام البشير» ـ وهو من قيادات العمل الإسلامي بالسودان ـ، وفي خُطَب الجُمعة أعلن هذا الداعية الصادق بكل وضوح وعلى الملا الحرب على فكر الترابي، وأهال كلَّ تراب السودان على رأسه، وما تحويه من نظريات تجديدية.

* آراؤه في العقيدة:

□ يَذهبُ الرجلُ إلى قولٍ ما سَبقه إليه أحدٌ، وهو «تجديد العقيدة»، فيقول: «لابدَّ إذن من تجديدِ الفكرِ العَقديِّ الإسلاميِّ في كلِّ طَوْر؛ لأنَّ الشِّركَ في كلِّ عهدِ من العهود يتَّخذُ مَظهرًا مختلفًا»(١).

⁽۱) «تجديد الفكر الإسلامي» لحسن ترابي (ص٤٢) ـ الدار السعودية للنشر طبعة ٢ ـ ١٤٠٧ هـ.

□ ويقول: «كذلك ينبغي لفقه العقيدة اليوم أن يستغني عن علم الكلام، ويتوجَّه إلى علم جديد غير معهود للسلف»(١).

الواقعُ أن مباحث العقيدة حديثًا عن الفن، كأنَّ التوحيد يَجمعُ الحياة كلَّها ـ صلاتَها ونُسُكَها ومَحياها ومماتها ـ، ويتركُ الفنَّ، ولكن الواقعُ أن مباحثنا العَقَديَّةَ الإسلامية مباحث فقيرةٌ، وليست مباحث توحيديةً "(۱) .

□ ويقول عن الرسول عَيَّكِيَّةِ: «ما برضه الرسول عَيَّكِيَّةٍ لا يَعلمُ الغيب، ومرَّات مرَّات يقول أخبار تطلع غَلَط»(٣).

□ ويقول عن حديث الذبابة: «إنه أمرٌ طبِّيٌّ آخذٌ فيه بقول الكافر، ولا آخذ بقول الرسول ﷺ، ولا أجدُ في ذلك حَرَجًا ألبتة»(١).

□ ويقول في عصمة النبي ﷺ: «ولا إيه تقول في القرآن في العملوه الأنبياء دول والرسول ذاتو ﴿لِيغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ الأنبياء دول والرسول ذاتو ﴿لِيغْفِرَ لَكَ اللّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [الفتح: ٢]، و«ويتوب الله عليك»، وكان الرسول يستغفر ، يستغفر من إيه؟ من الصلاة؟ ها ها ها ها ...

* وهو يُنكِرُ نزولَ المسيح اللِّيَكَالِا :

□ قال محمد سرور بن نايف: «أنكر أستاذُ الحقوقِ الدستوريةِ في

⁽١) المصدر السابق (ص٤٤).

⁽٢) من محاضرة له ألقاها في الخرطوم وقوله هذا مسجّل بصوته.

⁽٣) «الصارم المسلول علي الترابي شاتم الرسول» لأحمد بن مالك جامعة أم درمان قسم الدراسات العليا.

⁽٤) نقلاً عن محاضرة له بصوته.

الجامعات السودانية الدكتور «حسن عبداللَّه الترابي» نُزولَ المسيح اللَّكَالِّ في آخِرِ الزمان، فقلتُ له في مجلسٍ ضمَّنا قبلَ أكثرَ مِن إحدىٰ عَشْرَةَ سنةً: كيف تُنكِرُ حديثًا متواترًا؟ قال: أنا لا أناقِشُ الحديثَ من حيثُ سَنَدُه، وإنما أراه يتعارضُ مع العقل، ويُقدَّمُ العقلُ على النقل عند التعارض».

□ وقال أيضًا: «هناك أحاديثُ قالَها الرسولُ ﷺ بصِفتِه البشريةِ، فهي ليست حُجَّةً رغم صِحَّةٍ أسانيدِها». . وتَوَسَّع في ذِكرِ نماذجَ من هذه الأحاديث(١) .

□ ويقول في محاضرة له مسجَّلة بصوته: «كلُّ الصحابة عدول؟ ليه؟!!»(٢) أي لماذا؟!.

□ ويقول عن تنظيمه الذي يتراَّسُه في السودان مفضّلاً له على مُجتمع الصحابة: «يعني نحن هسع (٦) مثلاً تنظيم جماعة كالجماعة الإسلامية، طبعًا أدقُ من تنظيم جمهور المسلمين في عهد الصحابة، طَلَّعوا لهم مجتمع «أي: الصحابة» نحن مآخذين منه نفسَ الآيات ونفسَ الأحاديث، طلَّعْنا مجتمع أدقَ وأكفاً وكده (١٠).

□ ويقول في سخرية عن ابن عباس: «وابن عباس ده كم مرة قال كلام كده، زرَّوه (٥) ، الآخر كده قال: ما قال الرسول، في الحقيقة كلَّمني (١) «الصارم المسلول» (ص٦)، وكذلك قوله هذا مسجل بصوته في محاضرة له.

(٢) «دراسات في السيرة النبوية» لمحمد سرور بن نايف (ص٠٨، ٣) طبع دار الأرقم، وتاريخ كتابة المقال في شوال ٢٠١٦هـ.

(٣) الآن.

(٤) محاضرة مسجلة له.

(٥) أي: ضيّقوا عليه حتى يبيّن الحقيقة.

الفضل ابن عباس»(١).

□ ويقول: «الصحابة، السيدة عائشة ما كانت تُناقِشُ الصحابة...
 وتقول: كَذَبوا على رسول اللَّه ﷺ»(٢).

* إِنكارُه لبعض الحدود:

□ في محاضرة له بجامعة الخرطوم أجاز للمسلم أن يرتد عن دينه، فقد قال: «وأود أن أقول: إنه في إطار الدولة الواحدة والعهد الواحد، يَجوزُ للمسلم كما يجوزُ للمسيحي أن يُبدِّل دينَه»(٣).

□ ويقول عن الحُكم في «الرِّدَّة»: «هو حُكمٌ اجتهاديٌّ في تقديري،
 وليس حُكمًا حَدِّيًا».

□ وجُوزٌ هذا المأفونُ زواجَ المسلمةِ من الكتابيِّ.. نَقل ذلك عنه الدكتور محمود الطحان في كتابه «مفهوم التجديد بين السُّنة النبوية وأدعياء التجديد»، ويقول: «إن الشيخ «السنانيري» ظلَّ يُحاوِرُه على مفهومِه هذا الخاطئِ طويلاً، وما اقتنَع، وما عَدَل عن رأيه».

وهو يُنكِرُ حَدَّ الرجمِ بالنسبة للزاني المُحصَن (١) .

□ أمَّا حدُّ شُربِ الخمرِ، فيقول الترابي: «وكانت العقوباتُ التي افترضناها «أي: في لجنة تعديل القوانين» لشُربِ الخمر رفيقة لا تتعدَّى

⁽١) من محاضرة له مسجلة.

⁽٢) «الصارم المسلول» (ص٨).

⁽٣) من محاضرة «تحكيم الشريعة» بجامعة الخرطوم نقلاً عن «الصارم المسلول» (ص١٢).

⁽٤) انظر «مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين» للشيخ محمود الطحان (ص٢١).

الجَلْدَ بين عشرينَ وأربعينَ، ولا تتعدَّىٰ السجنَ نحوَ شهرٍ أو أكثَرَ من ذلك بقليل وغرامةً قليلة »(١) .

□ ويقول هذا الضالُّ في هَذيانه بدعوىٰ تجديد أصول الفقه: «لابدَّ أن نقف وقفةٌ مع علم الأصول تصلُه بواقع الحياة؛ لأن قضايا الأصول في أدبنا الفقهيِّ أصبحت تُؤخذُ تجريدًا، حتىٰ غَدَتْ مقولات نظريةٌ عقيمةٌ، لا تكادُ تَلدُ فقهًا البتة، بل تولِّدُ جَدلًا لا يتناهئ (٢٠٠٠).

□ وانظر إلى قوله في تجديد «الإجماع»، وهو الأصل الثالث من أدلة الشرع بعد الكتاب والسُّنة، وكما هو معلومٌ فإنه إجماعُ المجتهدين من الأمة لا إجماعُ الجهال. يقول: «فيمكنُ أن نَردَّ إلى الجماعة المسلمة حقَّها الذي كان قد باشرَه عنها الفقهاء. وهو سُلطة الإجماع؛ ويمكن بذلك أن تَتغيَّر أصولُ الفقه والأحكامُ، ويصيرُ إجماعُ الأمةِ المسلمةِ أو الشَّعبِ المسلم، وتصبحُ أوامرُ الحكَّامِ كذلك أصلينِ من أصولِ الأحكام في الإسلام»(٣) .

* موقفُه من الفنِّ:

□ انظر إلىٰ مُدَّعي التجديد والمزكِّي لنفسه، يقول نصَّا: «كما قَدَّر اللَّهُ وأرسل محمدًا ﷺ وتلا (أي: تاليًا) للأنبياء ليجدِّد رسالتَهم، فبتوفيقٍ من اللَّه أرسلَني لتجديد فقه محمد».

■ ويقول عن الفنَّانين: «قد يكونُ بابُ الجنة الذي يدخُلون به، اسمُه

⁽١) «الصارم المسلول» (ص١٢).

⁽٢) «تجديد أصول الفقه» للترابي (ص٧) الدار السعودية للنشر ط ١٤٠٤هـ.

⁽٣) المصدر السابق (ص٥٨).

باب الفنانين في الجنة»(١).

□ وقال محذِّرًا من إهمال الفن: «فلابدَّ إذًا من اتخاذ الفنِّ لعبادة اللَّه، فمن تلقائه يضلُّ كثيرٌ من الضالِّين، وبه يمكنُ أن يَهتدي المهتدون، فمن أهملَه ترك بابًا واسعًا للفتنة الله يعن اللَّه والداعية إلى معاصيه، ومَن أخذه عما ينبغي فَتَح بابًا واسعًا للدعوة إلى اللَّه بدفع جاذبية الجمال، ولعبادته أجملُ وُجوهِ العبادة»(٢).

وخُذْ آخِرَ الطوامِّ لهذا الضالِّ الذي يَجعلُ للراقصين والراقصاتِ والمطربين والمطربات وممثلاتِ الإغراء وعرايا الفنِّ السابع بابًا في الجنة باسمهم!!.

□ يقول عن «الرقص» لجريدة «الصحافة» السودانية: «الرقص تعبيرٌ جميلٌ، يُصوِّرُ معنَى خاصًا بما تَنطوِي عليه النفسُ البشريةُ من شعور».

□ إلىٰ أن يقول: «ولا نُنكِرُ أنَّ في الغربِ رَقصًا يُعبِّرُ عن معاني أُخرَ
 كريمةِ»(٣) .

ه أخزاك اللَّه، فليس بعد هذا إسفافٌ وابتذالٌ وجُنون.

* * *

⁽۱) «الدين والفن» للترابي (ص١٠٦)، الدار السعودية للنشر ط١/ ١٤٠٨هـ، ومحاضرة له ـ وقوله هذا مُسجل فيها بصوته.

⁽۲) «الدين والفن» (ص١١٠).

⁽٣) جريدة الصحافة الصادرة في الخرطوم ١٥/١١/١٩٧٩م نقلاً عن «الصارم المسلول» (ص١٢).

* خليل عبدالكريم وكتابه الأسود «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»:

خليل عبدالكريم كاتب يساري ، يدس السه في العسل، ويتطاول هذا القزم على مقام سيد الأنبياء، فيلقمه الحَجَر الدكتور إبراهيم عوض في كتابه: «ولكن مُحَمَّدًا لا بواكي له. . هَتْكُ الأستار عن خَفايا كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»..».

□ قال الدجَّالون الكذَّابون: إن كتاب رَفيقهم خليل عبدالكريم «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين»: «يُدافعُ عن الإسلام، ويَجلُو وجهه الصحيح»!.

لكن المؤلّف يذكر أن هذا الكتاب من أوله إلى آخره إهانة لسيد البشر واستهزاء شديد به الم تشهد مصر والعالم الإسلامي له مثيلاً وحتى جاءت رسوم الكاريكاتور الدانماركية ، ويتساءل : أين الكرامة؟ أين العزة؟ أين حُبّنا لنبينا وديننا؟ ماذا سنقول لربّنا إذا وقفنا أمامه وسألنا : كيف رضيتم أن يُهان رسولي على مرأى منكم ، ثم لا تُحرّكون ساكنًا؟ ويرئ أن المسألة ليست مسألة إيمان وكفر أو حرية عقيدة وتعبير ؛ لأن كل إنسان حُر في أن يؤمن بما يشاء ويكفر بما يشاء ، بل المسألة مسألة سفاهة ورغبة في إهانة الرسول الأكرم .

وقد استوحى المؤلّف عنوان كتابه «لكن محمدًا لا بواكي له» من عبارة الرسول العظيم عليه التي قالها بعد انكسارة «أُحُد» حين رأى نساء المسلمين آخِرَ النهارِ يَبكِينَ الشهداء إلا حَمزة، فلم يكن يبكيه أحدٌ، فقال عَلَيْهُ

متوجِّعًا: «لكنَّ حمزةَ لا بواكي له»، فعندئذ بَكَّتْه الباكياتُ أشدَّ البكاء.

* الردُّ على كتاب «فترة التكوين»:

يُشير المؤلِّفُ إلى أنَّ خليل عبدالكريم لم يكن سوى مجرد محام مغمور، حتى شرَعت بعضُ الصحف اليسارية تنشرُ له المقالات والأحاديث التي تَلمزُ القيم الإسلامية من طرْف خفيِّ، ولم يكن له إسهامٌ في مجال الفكر والكتابة، إلى أن ظَهَر فجأةً بعد أن أصبح شيخًا كبيرًا؛ حيث لم يكن لمقالاته قيمةٌ كبيرة في أسلوبها ومضمونها وبنائها الفكريِّ، ثم انقلب الحال فجأةً، وصدرت كُتبُ أسلوبها مختلفٌ تمامًا، ومخدومةٌ من ناحية المصادر.

ويَرصُدُ المؤلِّفُ مفارقةً شكليةً هي: أن كُتبَ عبدالكريم يجتمعُ فيها غريبُ الألفاظِ والصيغ، مع الجهلِ بأصولِ النحوِ والصرف، مستنتجًا أن هناك أكثر من يد تشتركُ في تأليف هذه الكتب، وبالنسبة لكتاب «فترة التكوين» فإنه يستبعدُ أن يكونَ مؤلِّفُه مسلمًا؛ إذ فيه من الإساءة الجارحة للنبي عَيَالِيةٍ، ومن التفسيرات العجيبة لنبوَّته ما لا يمكنُ صُدورُه إلاَّ من مبشرً متعصب مطموس البصر والبصيرة، وهو ما يعرِضُ الأدلة عليه في الصفحات التالية للكتاب.

ويُعطِي بعض الأدلة على استخدام الكلمات الغريبة مثل كلمة «اليعسوب» التي من معانيها في الاستعمالات المطمورة في طَيَّات المعاجم «الرئيس الكبير»، وتُستعملُ الآنَ في علم الأحياء عند الحديث عن النَّحل وعَسَله، فتَعنِي «مَلِكةَ النحل» والكلمةُ هي في الواقع للأنثى لا للذكر، لكن صاحبُ كتاب «فترة التكوين» لَقَّبَ بها ورقة بنَ نوفل؛ لأنه ـ حَسْبَ إفكِه ـ

هو الذي تولَّى كِبْرَ تثقيف محمد وَ الله أو «قَلُوظَتُه وصَنْفَرتُه وتلميعه» بُغية «تصنيعه» نبيًا، والحقُّ أن «ورقة» كان رجلاً شريفًا نبيلاً، عندما استبان له أن محمدًا نبي من عند ربِّ العالمين آمن به، وأعلنها مُدوِيةً وهو الشيخُ الطاعنُ في السنِّ - أنه إذا امتَدَّ به العمرُ، فسوف يَنصُرُه ويؤازِرُه ضدَّ سفهاء قومِه الذين يُؤذُونه.

* غرائب اللغة:

□ وكرَّر صاحب كتاب «فترة التكوين» كلمة «النسوان» وأسقط ألفها في عشرات المواضع، وجعلها «نسون»، ويحاولُ أن يتحذلق دائمًا في الحديث كقوله: «من المحال أن يتصف المنتظرُ- أي: النبي المنتظر ـ بأه مُهتَلسُ العقل، أو هجزع أو ذو زعارة»، وقوله مرارًا: «الأيئة» عوضًا عن الهيئة، وهو ما لم يَجد المؤلِّفُ له تفسيرًا، إلاَّ أن كاتب «فترة التكوين» قد ارتدَّ طفلاً لا يَقدرُ على نُطق الهاء!.

□ ومن دواعي جَهلِه قولُه عند كلامه عن الرسول الكريم، وحُسنِ منطقه، وفصاحة لسانه: «إنَّ «ميسرة» قد تحدَّث إلى خديجة عن «رهافة مذرب محمد» يقصد رهافة لسانه عَلَيْ . . أفلم يَجِدُ إلاَّ كلمة «مذرب» التي تَدلُّ معظمُ اشتقاقات مادَّتها على سَلاطة اللسان والبذاءة .

□ وهناك أمثلة على التحذلق بغرائب اللغة مع الجهل بقواعد النحو والصرف، مثل: «بَيْدَ أنه فتّى يَفيضُ شبابًا وقوة وحيوية وسيمًا قسيمًا»، وصوابها: «وسيم قسيم»؛ لأنهما النعتان الثاني والثالث لـ «فتى»، أمَّا النعت الأول فهو «يَفيضُ شبابًا»، و«يقع تحت تأثير عَمَّاته؛ إذ تُعلن له..»

وصوابها «يُعلن»: «ولا تعصي له أمرًا، ويا فلان»، وصوابها: «لا تعص» بحذف الياء من آخرِ الفعل على البناء للأمر، وقوله: «إن هذا ما يؤكِّدُه علماء الفرنجة المدقّقين في تواريخ الأديان»، بدلاً من «المدققون» التي هي نعت لـ «علماء الفرنجة»، وكذلك قوله: «ما لك مسرع؟ ما لك مسرو؟ بدلاً من «ما لك مسرعًا؟ ما لك مسرورًا؟» بالنصب على الحالية.

ا كما يقول عن خديجة وظيها: «إنها قد تيقّنت على بكرة أبيها بنفسِها من فصاحة محمد عَلَيْكَ أيام كان يَشتغلُ في تجارتِها قبلَ أن يتزوّجها».

فماذا يعني بعبارة «على بكرة أبيها؟»، إننا نقول مثلاً عن جماعة من الناس: «جاؤوا على بكرة أبيهم»، أي: لم يتخلَّف منهم أحد، أمَّا أن يقال عن شخص واحد: «إنه جاء على بكرة أبيه»، فهذا هو البلَهُ بعينه، «غِلُّ على الإسلام والنبوة».

العليل على الإسلام ورسوله، ورموزه الكريمة، ويذكر بعض والغلل الغليل على الإسلام ورسوله، ورموزه الكريمة، ويذكر بعض الأمثلة منها: «هذا الكتاب يقدِّمُ رؤيةً جديدةً، نزعمُ أنها غيرُ مسبوقة لحلِّ هذا اللغز، الذي ملأ الدنيا، وشَغَل الناس»، يقصدُ باللغز: نبوَّة سيدنا رسول اللَّه عَلَيْهُ!!.

ا وقال: «بدأنا مع محمد قبل أن يلتقي أبوه بأمه، ثم وهو جَنينٌ في بَطنِ أمه، ثم صاحبناه ليلة مولده، ثم وهو مولود، ثم طفلٌ، ثم صبيٌّ، ثم شابٌّ، حتى التقطته سيدة قريش»، فتصور الوقاحة أن سيِّد الأنبياء، وكأنه صبيٌّ متشرِّد يَهيمُ على وجه دون أهل أو مأوى!!.

□ وقال: «إن هاجس قيام شابة بكر أو ثَيِّب مِثلها في «بكة»، أو ما حولَها بنَشلِ الحبيبِ المصطفى، ونِكاحِهِ أَرَّقَ خديجةً، وطَيَّرَ النومَ من عينيها الاثنتين».

□ وهي لُغةٌ سُوقيةٌ ساقَها الكاتبُ على لسانِ خديجة أمِّ المؤمنين ولَخْهُ: «مِن ألزمِ اللازمِ أن أنكِحَه، بل وأسارعَ حتى لا تَنتِشَه منِّي إحدى عذراوات أو أيامي قريش».

تبيَّن لنا أن سيدة قريش «خديجة» جَفَّ رِيقُها، وحَفِيت قَدماها، وداخت السَّبْعَ دُوخات، حتى وافق إمامُ الأولين والآخِرين على خطبتها».

□ «إن هذا الحَشدَ القويَّ. . وهذا الحِصارَ اللَّحكَمَ له حتىٰ رَفَعَ الرايةَ البيضاء، وسَلَّم لها بطلبها، ورَضِيَ أخيرًا بنكاحها إياه .

أما من جانب الخاشع - أي: محمد، استهزاءً به ﷺ كما سيتضح فوراً -، فلا شكّ أن القارئ لم يَفُتُه أنه أصبح مَثَلاً، فذًا في المطاوعة والمُلاينة، «اجلس على فخذي»، يجلس، «تعالى في حِجري» يأتي، «ادخل بين قميصي وجسدي . . » يدخل».

ثم يتحدَّثُ صاحبُ الكتاب عن «خوارق الولد المبروك».

□ ويقول عن أمِّ المؤمنين خديجة ولي الطعمَتْه الحَمير، فصار لها عاشقًا، وكيف لا يفعلُ وهي قد نَقَلَتْه نَقلةً لم يَحلُم بها مجرَّدَ حُلم، من عسيف «أي: أجير» يكدحُ من مكة إلى حُباشة، ومن قرية القداسة «أي: مكة» إلى الشام».

■ «فقد ذاق «محمد» الحرمانَ، وكابَدَ المَسْغَبَه، وكواه الفُقر، فلا

يَسكُنُ رَوعُه، ويهدأُ باله، ويُطَمْئِنُ نفسَه، ويُريحُ خاطَره سوى أن يُوضعَ المالُ جميعُه بين يديه».

وهي جُرأةٌ وصَفاقة ـ كما يقول المؤلف ـ في حقِّ الرسول الأعظم الأطمئنانه أن مَن يُهينُهم من المسلمين لا يغضبون بعد أن فَقَدوا كلَّ نَخُوة .

□ ثم يَمتهنُ أسمى علاقة زوجية في تاريخ البشر، بلغة قذرة قائلاً: «الذي تَرجَّح أنه رأى الرسول في البداية عَصْلَج (عن التقدم لخطبة خديجة)، وامتنَع واحتجَ. إلخ ولكنَّ الطاهرة ـ أي: خديجة ـ بما لها من كيْسٍ وفَطانة ولباقة وتَجربة في معالجة البُعول، استطاعت أن تَثنيه عن موقفه، وتأخذ منه صكَّ القبول، وشارة الرِّضا، وعلامة الوفاق».

□ ويتّهمُ الرسولَ عَلَيْهِ بأنه جاهلٌ، وليس أكثر من بائع يشتغلُ بأجرٍ قليلٍ عند إحدىٰ مُعلِّمات السوق الكبار قائلاً: «الذي حاز الثقافة الدينية انذاك ـ أي: في مكة عشيَّة البعثة النبوية المشرَّفة ـ، أهمُّ نَفَرٍ من النُّخبة القُرَشية، أما الآخرون، وهم العامةُ الذين يَكدُّون في سبيلِ لُقمة عيش، فلا يُفكِّرون فيها مُجرَّد تفكير؛ إذ هي بالنسبة إليهم تَرَفٌ لا يقدرون عليه، ونحن إذا نَظرْنا إلى الأمرِ نظرةً عقلانيةً مجردةً، لابدَّ أن نتساءًل: أنَّى لفتيًى صغيرٍ خَرَج بالكاد من مرحلة الطفولة واشتَغل برعي الغنم، ثم بعد أن شبَّ قليلاً عَمِل أجيرًا، أنَّى له أن يَحوزَ ثقافةً دينيةً أو ثقافةً من أي أنوع؟».

□ وتتحوَّلُ خديجةُ أمُّ المؤمنين على يدِ الكاتبِ اللئيمِ إلى «مُخرِجةِ أَمُّ المؤمنين على يدِ الكاتبِ اللئيمِ النبي، الذي أفلام»، كما يتحوَّل أبو بكر إلى «كومبارس» في فيلم «تصنيع» النبي، الذي سيضربُ الدنيا ويَقلِبُها رأسًا على عَقِب: «فردٌ واحدٌ من غيرِ هؤلاء ـ أي:

غير ورقة وبحيراً وعَدَّاس وسرجيوس - أسندت إليه «هندوز» التجربة - يقصد خديجة - دورًا صغيرًا، حقيقة أنه لا يعدو ما يؤدِّيه كومبارس في شريط سينمائي، بَيْدَ أنه بكلِّ المقاييس يُعَدُّ مشاركةً، ولو أنها عَجفاء هزيلة ضامرة ناحلة ، والفرد الذي نعنيه هو أبو بكر بن أبي قحافة».

* افتراءات على أمّ المؤمنين خديجة والصحابة:

□ ويقول المؤلّف: «إن فكرة الكتاب تقوم على أن ورقة بن نوفل وخديجة بنت خُويلد، قد التقطا محمدًا من بين أهل مكة ليُثقِّفاه، «ويُصنْفراه ويُقَلُوظاه ويُلَمِّعاه» ـ كما يقول المبشِّر الذي وراءه ـ كي يصنعا منه نبيًّا؛ إذ شاع وقتَها بين العربِ وأهلِ الكتاب أن هناك نبيًّا قادمًا، فأخذ الجميعُ ينتظرونه، لكنَّ ورقةَ وخديجةَ سَبَقا الباحثين، فاختارا محمدًا لمَا سَمِعاه من الكراماتِ التي كان يقال: إنها تحدُثُ له منذُ أنْ كان في بَطن أُمِّه وأخضَعْاه لبرنامج تدريبيِّ قاسٍ يتلخَّصُ في أنْ تَقرأ له خديجة ما يُترجمه ابنُ عمِّها ورقةُ من الإنجيل وتشرحُه له، وتَطلُبُ منه أن يُحفِّظَه، ثم يُعيدَ تسميعَه، بالإضافة إلى تفريغِها إياه من همِّ السَّعي وراءَ المعاش بوَضع كلِّ ما تَملِكُ من ثَرَواتٍ طائلةٍ بين يديه يفعلُ به ما يشاء، مع دَفعه إلى غَشيان الأسواق والتجمُّعاتِ التي يَرتادُها الرهبانُ والمبشِّرون من كلِّ دينٍ كي يحتكَّ بهم، ويتعلمَ منهم ما ينفعُه مستقبَلاً في الوظيفة التي تُعدُّه لها هي وابنُ عمِّها اعدادًا».

الله وهو يؤكِّدُ أن «ورقة» كان قَسَّا لكنيسة مكة وما يجاورُها، وكان كثيرٌ من أفراد قبيلة بني أسد نَصارى، ومنهم خديجة ﴿ فَالله عَالَا الله عَلَا الله عَل

☐ ثم يمضي قائلاً: «إنهما قد انتقلا بمحمد بعد ذلك إلى مرحلة

أخرى، هي مرحلةُ الوحدةِ والابتعادِ عن الناس بالتحنُّثِ في «غار حراء»، وشَجَّعه بكل ما يساعدُه على أن يَرى في منامه الرؤى التي ينبغي أن تحدُث للقادم المنتظر، حتى وقعت الواقعةُ فعلاً، ورأى منام الغار الذي خيَّل إليه أنه هو النبيُّ الموعود، فعندئذ أعلنت خديجةُ للعرب ـ وهي في غاية السعادة بنجاحها هذا الذي لم تكن تتوقع رغم ذلك أن يكون بذلك الشكل الباهر - أنهم هم أيضًا قد أصبح لهم نبيُّ كأهل الكتاب».

□ ويقول المؤلف: "إنَّ الكاتبَ يُردِّدُ في غرورٍ وانتفاخٍ وتَعالٍ أنَّ دراستَه هي دراسةٌ جديدة تمامَ الجدَّة، رغمَ أن هذه الأفكارَ ـ وغيرُها كثيرٌ ـ مأخوذةٌ من كتابٍ صَدَر في العام ١٩٧٩م في لبنان بعنوان "قس ونبي" لمن سَمَّىٰ نفسه على غلاف الكتاب "أبو موسى الحريري"، والواضحُ أنه نصراني، وإن كان من غيرِ المعروف هل هو لُبنانيٌّ أصيل، أم من المبشِّرين الذين يَعيشون في لبنان أو يتردَّدون عليه.

* ورقة بن نوفل ليس قسًّا:

أبو موسى الحريري هذا يؤكّدُ أن الوجودَ النصرانيَّ في مكة ـ بل في الحجاز كلِّه ـ قُبيلَ البعثةِ النبويةِ كان كبيرًا، وأن ورقةَ بن نوفل كان قَسًا لقريش في كنيسة مكة، وأنه هو الذي عَقَد قرانَ النبيِّ عَلَيْ على خديجة والقى خُطبة النّكاح بوصفه كاهنًا يقوم بطُقوسِ الزواج النصرانية، لا بوصفه مجرد قريب للعروس، وأنَّ خديجة كانت أنذاك على دينِ النصرانية، وكذلك محمد الليكالي، وأن ورقة هو الذي دربّه على التأمُّلِ النصرانية، وكذلك محمد الليكالي، وأن ورقة هو الذي دربّه على التأمُّل الرُّوحيِّ والصلاة في «غارِ حراء»، وتولَّى إعلانَ نبوَّتهِ على العرب، فالقسُّ ورقة هو الذي نقل كلمة «اللَّه» من العبرية إلى العربية، والنبيُّ قام بتبليغها ورقة هو الذي نقل كلمة «اللَّه» من العبرية إلى العربية، والنبيُّ قام بتبليغها

إلىٰ قومه بالعربية، وأن القَسَّ الأستاذ رَغْمَ هذا كان حريصًا على التواري في الظلِّ خَلْفَ تلميذه، وأنَّ النبيَّ التلميذ قد تَفوَّقَ على أستاذه، وعمل على أن تجيع رسالته مناسبة لظروف البيئة والمجتمع، وأنه ليس هناك في الحقيقة وَحْيُّ سَماويٌّ، بل مجردُ تلقينِ بَشَريٌّ من القسِّ للنبي، وأنَّ واقعة «غارِ حراء» لم تكن إلاَّ رؤيا في المنام لا حقيقة لها في الواقع، وأنَّ الوحي قد فَترَ مُدَّةً بعدَ وفاة ورقة، بما يدلُّ على أنه هو مَهدُ الوَحي لا السماءُ ولا جبريل، وأنه إلى جانب ورقة كان هناك خديجة وبحيرا وأبو بكر.

كما أن الرهبان المذكورين في كتاب «قَس ونبي» بصفتهم أصحاب دُورٍ مؤثّرٍ في حياة محمدٍ هم هم الذين ذكرهم صاحب كتاب «فترة التكوين في حياة الصادق الأمين» كقس بن ساعدة وبَحيرا وعداس وغيرهم، والشيء الوحيد الذي يمكن أن يميّز بين الكتابين هو أنّ الأخير يُعطي لخديجة دُوراً أكبر في توجيه محمد وإعداده وتصنيعه أكبر ممّا يُعطيه إياها الكتاب الأول، وبالمناسبة فكلا الكاتبين يؤكّد أن ما أتى به هو شيء جديد لم يسبقه إليه سابق، وإن كان الحريري يقول ذلك دون طنطنة أو ثرثرة.

* تشكيك وبراهين:

ويُشكّكُ الكاتبُ في أن «خليل عبدالكريم» هو الذي ألَّف هذا الكِتابَ على اعتبارِ أن ما فيه يَتشابهُ مع كتاب «قس ونبي»، مع اختلاف بعض التفاصيل هنا وهناك، مما لا يؤتِّرُ في فكرة الكتابين الرئيسية، ممَّا يَعني أن هناك جهةً واحدةً وتبشيريةً فرنسيةً - حَسْبَ ما يرى المؤلف - وراء هذين الكتابين، وزَّعَت الأدوار، بحيث يَبدُوانِ وكأنهما من تأليف شخصين مختلفين يحاولان أن يُدخلا في رُوع القارئ المسلم أن محمداً ما هو إلاَّ

صنيعة أيد بشرية نصرانية، وأنه لم يأت بأي شيء جديد، ولا علاقة له بالسماء ولا بالوحى الإلهي.

الله وعمّاً يَجعلُ المؤلّف يستبعدُ تأليف «خليل عبدالكريم» للكتاب: «ما فيه من مصطلحات غريبة لا تعرفُها العقليةُ التي تربَّت في جوّ إسلاميّ مثل: تسمية أنبياء بني إسرائيل بالبطاركة أو بجرادفها العبري «الآباء الأولين» وتسميته إبراهيم ويحيئ عليهما السلام ـ بـ «إبراهام ويوحنا»، ومثل ذلك اسم «ملاك الرب» الذي تردّد كثيرًا في الكتاب، وهو مُصطلحٌ نصرانيٌّ لا يكن أن تخطئه العينُ ولا الأذُن، كما ينحازُ الكتابُ دون أدنى داع إلى «صَفيّة» ضدَّ «عائشة»، رافعًا الأولى وقومَها اليهود إلى عَنان السماء، ولامزًا الثانية لمزًا يظنُّ أنه يسيءُ إليها، ويُحقِّرُ من شأنها هي وأبيها.

□ ومن الأدلة التي يَسوقُها أيضًا أن الكتاب يُكرِّرُ الاستشهادَ بالكتاب المُقدَّس في مسائِل الرؤى الدينية والوحي باعتباره الفَيصلَ في الموضوع، والقولُ بأنَّ خَلُوةَ محمدٍ في «غارِ حراء» هي تقليدٌ يهوديٌّ نصرانيٌّ أخذَه اللَيُكُ عن خديجة عن ورقة عن التوراة والإنجيل، وكذلك اختصارُ اسم «سفر إشعياء» مثلاً إلى «إش» على عادة أهل الكتاب، بخلاف المسلمين الذين يَذكُرون الاسمَ في هذه الحالة كاملاً، كذلك تَحسَّر الكتابُ على دخول الإسلام مصر وتسميته فتح عمرو بن العاص لمصر «استعمارًا عربيًّا استيطانيًّا أتت في ركابه قبائلُ كثيرةٌ دَهَسَت صعيدَ مصر المحروسة».

□ ومن أوجُه المشابَهات بين الكتابَينِ تفسيرُهما الخاطئ للآيات القرآنية، فنَرى المسمَّى «بأبي موسى الحريري» يُفسِّرُ قوله تعالى في سورة «الأحزاب»: ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ

وَرَسُولُهُ ﴾ [الاحزاب: ٢٢] بالقول: «إن المراد به «الأحزاب»، فرقُ النصارى التي تتصارعُ فيما بينها حول طبيعة المسيح وصلْبِه»، وما إلى ذلك. مع أن الآية الكريمة إنما تتحدَّثُ عن أحزاب المشركين الذين تجمَّعوا من كلِّ صوب لمحاربة النبيِّ والمسلمين في غزوة «الخندق».

□ وبالمثل يَشرحُ قولَه تعالىٰ في سورة «المائدة»: ﴿ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَبِّكُمْ ﴾ [المائدة: ٦٨] بأن الخطابَ فيه موجَّةٌ إلى المسلمين، وأن القرآن يُطالبُهم بالعمل بالتوراة والإنجيل والقرآن جميعًا، لا بالقرآن وحده، وقام باقتطاع عبارة ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ﴾، التي تدلُّ دلالةً قاطعةً على أنَّ الحديثَ موجَّةٌ لليهود والنصارىٰ لا للمسلمين.

وعلى نفس النهج يتناولُ قولَه تعالى في الآيات التالية: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢]، ﴿ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُوْتُونَ الرَّكُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥]، و﴿ سيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السَّجُودِ ﴾ [الفتح: ٢٩]، قائلاً: ﴿إنها تتحدَّثُ عن رُهبانِ النصارى وقسيسيهِم »، مع أنه لا صلة بينها وبين الرهبان والقسيسين على أي نحوٍ من الأنحاء؛ إذ إنها تتحدَّثُ عن اتباع محمد عَلَيْ .

ثم إن كتاب خليل عبدالكريم يَستعملُ أسماءً غريبةً بدلاً من لَقَب «النبوة» أو «الرسالة» بطريقة تُنُمُّ عن استهزاء مثل: «الخاشع، والخاضع، والمسعود، وآكل الشعير، والمعطى الوسيلة، وسعد الخلائق، والبهيِّ، والخالص، وراكب الأتان، وصاحب النعلين. . . » إلخ.

*هجومٌ أعمى تحت عباءة إسلامية:

ويرى المؤلّف أن حَمْل كتاب يهاجم ديننا اسم مؤلّف إسلامي أقرب أن يكون له تأثير أقوى في نفوس القراء المسلمين، والجميع يعرف قصة الرسالة التي حَصَل بها «منصور فهمي» على درجة الدكتوراة في أوائل القرن العشرين من فرنسا، والتي صوّب فيها سهام الاتهام الحَمْقاء إلى الإسلام ورسوله على ثم تبراً عمّا جاء فيها، وعاد إلى دينه، هذه الرسالة قام بطبعها وكتابتها بعض المستشرقين في هولندا، وأخذوا فهمي إلى هناك، واقتصر دوره على قبول وضع اسمه عليها، حتى تَرُوج بين المسلمين ويكون أثرها أعنف.

كذلك أورد د. «محمد سيد أحمد المسير» حالة أخرى، وهي كتاب: «لماذا القرآن؟» الذي صدر في ليبيا لمؤلّف يُدعى د. «عبداللّه الخليفة»، وكتاب: «قراءة في صحيح البخاري» لمؤلّف يدعى د. «أحمد صبحي»، فهما كتابان متشابهان تشابها ضخما، بل يكادان يتطابقان، ومع ذلك فقد صدر كلٌ منهما في بلد مختلف والمؤلّف مختلف.

ويسعى المؤلّف إلى كشف بعض التناقضات في كتاب «فترة التكوين»، فيلاحظ أن كتاب: «شُدُّوا الربابة بأحوال مجتمع الصحابة محمد والصحابة»، الذي يحمل اسم خليل عبدالكريم أيضًا، يتَّهم الرسول على بأنه كان يَحرِصُ على الاطلاع على الكنز المعرفيِّ الدينيِّ الثمين، الذي كان في جُعْبة سلمان الفارسيِّ ليستعين به في صناعة القرآن، متسائلاً: لماذا يحرصُ النبيُّ على ذلك إذا كان ورقةُ وخديجةُ ـ حَسْبَما جاء في كتاب «فترة يحرصُ النبيُّ على ذلك إذا كان ورقةُ وخديجةُ ـ حَسْبَما جاء في كتاب «فترة

التكوين» - ظلاً يُعلِّمانِه ويقرآنِ عليه الكُتبَ الدينية، ويشرحانها له، ويستعيدانِه ما سَمعَ نحو خَمْسَةَ عَشرَ عامًا إلىٰ أن تأكَّد لها أنه قد تَّت - كما يقول الكتاب - بَرْمَجَتُه بما لَقَنَّاه إياه، حتى صار لا يَخرِمُ منه شيئًا بسبب ذاكرته الحديدية التي لم يكن يُفلتُ منها شيء.

وفي الصفحة (١٩) نراه يؤكِّدُ أن تَجربةَ تصنيع النبي التي قامت بها خديجة وورقة لا تَنفِي جانبَها الغَيبي؛ إذ لا تعارُضَ بين الأمرين، لكنه بعد قليل يَبني أن الإيمان بالخوارق والمعجزات التي يُسمِّيها «مخاريق وشعبذات»، وهي تَسمية لها دلالتُها المفضوحة التي لا تَخفَى على أحد، وهو جُزءٌ من ثقافة البيئة العربية المتخلفة.

وزاد فَنَفَىٰ في الصفحة (١٨٥) أن تكون حادثةُ «الغار» من الخوارق، بل هي نتيجةُ المجهودِ البشريِّ الذي قام به الاثنان.

□ والكتابُ يُكرِّرُ أن ورقة وخديجة قد تعاونا إلى أقصى مَدَّى بهكف تثقيف محمد وقَلْوَظَته وصَنْفَرَته وتَلْميعه ـ كما يقول ـ ، فكيف يتم ذلك إذا كان الكتابُ نفسه يَذكرُ أن ورقة أراد قبل ذلك أن يتزوَّجَ خديجة ، لكنه لم يوفَّق؛ لأن أخته حاولت أن يعاشرَها عبداللَّه ـ والدُ الرسول اللَّكِا ـ كيما يتقلَ إليها النورُ المقدَّس، الذي كان في وجهه ، فصدَّها وذَهب إلى آمنة زوجته ، فعاشرَها ، فحملت منه بالقادم المنتظر (ص٣٦) ، فكيف يمكنُ أن ينسَى ورقة هذا كلَّه ، ويمدُّ يدَ التعاون إلى خديجة ليصنع من محمد نبيًا ، رغم أنه نال هو وأختُه على يده ويد أبيه الهزيمة المُذلَّة ؟! .

◘ وفي مواضعَ عديدةٍ من الكتاب (ص٣٩، ٤١، ٤١، ٥١، ٥٢،

37، 77، ٣١٠)، يقول: «إن خديجة قد جَفَّ رِيقُها وداخت السَّبْعَ دُوخات، حتى وافق إمامُ الأوَّلين والآخِرِين على خطبتها، وظَلَّت تُحاصرُه إلى أن سَلَّم لها، ورَفَع الراية البيضاء بعدَه لمصلحة منه شديدة».

□ ثم نراه في موضع آخر يُعدِّدُ الفوارقَ التي تُميِّزُ خديجةَ على محمدً في الحَسَبِ والمالِ والخبرةِ والثقافة، ثم يَختمُ قائلاً: "إنَّ محمدًا لم يكن يُصدِّقُ أن خديجة ترضَى بالزواج منه» (ص٢٨٩).

فبأيِّ الكلامَين نأخذ؟ حسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل.

ويَمضي المؤلِّفُ مع مخازِي الكتابِ الأخرى متسائلاً عن فكرته الأساسية: إذا كانت خديجة تؤمنُ بأن هناك نبيًّا قادمًا، فكيف يَخطُرُ في ذهنها مجرد خُطور - أن تقوم هي بتعليمه وتدريبه وتثقيفه وتوجيهه، أو حَسْبَ لُغتِه «صَنْفَرَتِه وقَلْوَظَتِه وتلميعه»؟ كيف يا تُرى لبَشَر عاديٍّ أن يصنع نبيًًا؟ وحتى لو جاريناه، فهل تَستغرقُ هذه العملية خمسة عشر عامًا؟.

إن المقصود بالتثقيف هنا هو قراءة التوراة والإنجيل، وشرحُهما له، فما الذي فيهما مما يمكن أن يستغرق شرحُه وفَهمُه خمسة عَشر عامًا؟ ولماذا أرادت خديجة أصلاً أن تصنع نبيًّا ما دام الأمر كلُه تدبيرًا بشريًّا؟ وأي تدبير عديرً هو إلى التآمر أقرب منه إلى استقامة الخُلُق والضمير.

□ ويقول الكتاب: إن مكة بها أبرشية، وتَعُجُّ بالنصارى، ولم يُورِدُ أيَّ مُصدرٍ لهذا الكلام، ويَردُّ عليه المؤلِّفُ بالقول: إنَّ دائرةَ المعارِفِ الإسلامية لم تَذكرْ أن مكة كان بها كنيسة، كما أن المبشِّرَ «بلابنس» يقول في كتابه: (Islam Croyances) «إن النصارى المكيِّين كانوا حفنةً ضئيلةً».

فما معنى هذه الطنطنة بأن كثيرين من بَنِي أسد كانوا نصارى؟ .

إنَّ الروايات لا تَذكرُ لنا منهم سوى اثنين، هما ورقة، وابن عمه عثمان بن الحُويرث، الذي ذَهَب إلى قيصر، واقترح عليه أن يُولِّيه مكة، ففعل، فلما عاد ودعا قومه إلى النصرانية هَبُّوا في وجهه على بكرة أبيهم، وطَرَدوه شرَّ طَرْدة، مما يدلُّ على أن هذه الديانة لم يكن لها أيُّ أتباع تقريبًا في مكة.

وَيَدَّعِي الكتابُ أَن خديجة وَ الكتابُ اللهِ وَلَمْ ترضَ أَن يَتْرَوَّج عليها النبيُّ وَيَكُلِيُّه وتخيَّل حوارًا بين خديجة وَلَيْكُ والرسولِ الأكرمِ يَتْرَوَّج عليها النبيُّ وَيَكُلِيُّه وتخيَّل حوارًا بين خديجة وَلَيْكُ والرسولِ الأكرم وَعُلُره تقول فيه: "إنَّ ثقافتنا الدينية تَحظُره حَظْرًا باتًا، وماذا يقول بَحيراً وورقة وعدَّاس، وناضح وميسرة عنِّي؟ سيقولون: إن ملفِّق هذا الكلام مُبشِّرٌ رقيع، وسيقولون: إن لجدِّ خديجة وأبيها وأعمامها - نوفل وحبيب والمطَّلب - وأخيها العوَّام أكثر من زوجة ، بل إن أخاها العوَّام قد خلف أباه على إحدى زوجاته .

وإذا كانت خديجة هي التي صنعت من محمد نبيًا، فما العملُ إذا قلنا له: إنَّ عددًا من إخوة خديجة قد تأخَّروا في الإيمان بنبوَّة محمد وحاربوه، بل إن بعضهم مات وهو كافرٌ به؟ ومع هذا لم نسمع أيًّا منهم يرفعُ في وجهه عندا السلاح؟ لماذا لم يُعايِرْه أحدٌ منهم بأنَّ أختَهم هي التي صَنْفَرَتُه وقَلُو ظَته؟.

* مقتطفات من الكتاب:

□ «إن مرجعيَّته دينيةٌ ذاتُ مَقامٍ محمود، ورُتبةٍ عالية، ودرجةٍ رفيعة

لدىٰ خديجة، أشارت عليها بأنَّ هذا الفتىٰ هو المأمول، وأنه حَتم ٌ لازم ٌ أن تُباعِلَه لكي تبدأ معه تَجربة التأهيل والإعداد والتصنيع والتحضير والصَّقْل والتهيئة الضرورية، كيما يَنتقلُ مِن فتَّىٰ قُرشي ً هاشمي ً إلى القادم المنتظر» (ص٣٨).

□ «كان الأسنى المريرُ على فقد خديجة أمرٌ بديهي؛ لأنها الأمُّ الرؤومُ، والوالدةُ الحنون، والزوجةُ الحبيبة التي آزرَتْه، والتي لولاها لَمَا أكملَ التجربة حتى نهايتها، وهي التي فتحت له خزائنها يَغرِفُ منها كيفما يشاء، وهي التي أتاحت له التماسَّ بالقَسِّ «ورقة» وغيره، مثل: «عداس وبحيرا»، وقضاء الليالي الطوال مع ابنِ نَوفل في المدارسة والمذاكرة والمحاورة» (ص٩٥).

□ "ولم يَقتصر اعتناقُ بَني أسد للنصرانية على الرجال فقط، بل تعدّاهم إلى النّسون، فهناك ثالثٌ أو ثالثةٌ أبناء عم الطاهرة الذين يتنصّرون وهي قُتيلة أو أُم قتال، وقيل: فاطمة بنت نوفل، أي: أخت ورقة، وهي واحدةٌ من المرأتين اللتين تعرّضتا لأبي محمد عبداللّه بن عبدالمطلب، وهو في طريقه مع أبيه كيما ينكح آمنة، بعد أن رأتا بين عينيه نور النبوة، وله مئة من الإبل» (ص١١٧).

□ «والخلاصة أن الحَلْقة الكتابية الخارجية التي رَبطت خديجة حَبْلَها بها، وتَشكَّلت من القَسِّ «ورقة» والراهب «عدَّاس» والراهب «سرجيوس»، ومُقدَّمُها الراهب «بحيرا»، قد وصَلت إلى درجة رفيعة من العِلم بالكتاب، وهذا أمرٌ له دلالة، وهو أن الطاهرة شدَّتها صِلةٌ وثيقةٌ، وعلاقةٌ حميمةٌ، وأصِرةٌ متينةٌ برؤوسِ أهلِ الكتاب في مكة والحَجاز، وإلاَّ لَمَا نَجحت في



إنجاز التجربة الفذَّة» (ص١٤٣).

الرؤوم، وهندوز التجربة التي خرج منها «صاحبُ المَغنم» من الفتَى الرؤوم، وهندوز التجربة التي خرج منها «صاحبُ المَغنم» من الفتَى الهاشميِّ الذي طال التشوُّقُ إليه، والذي رَدَّ الاعتبارَ إلى العرب، وصار لهم حاملَ كتاب مثل «موسى» بالنسبة لليهود، و«عيسى» عند النصارى، ابنةُ أبي بكر طَفِقَتْ تُناديه بصفة مستمرة: «يا رسول اللَّه»، أما سيِّدةُ نسوانِ قريش، فلمَّا توجِّهُ إليه خطابًا تقول: «يا أبا القاسم»، أو «يا محمد»، هي التي تُوجِّهُ وتَطلُبُ إليه، وتُشيرُ عليه، بينما ابنةُ أبي بكر، فعلى العكس، هي التي تُلبِّي وتُطيع وتأتمرُ بأمرِه، وتُنفِّذُ وتسمعُ... إلخ، وهو الفَرقُ الواضحُ الذي لا يَحتاجُ إلى زكانة لمعرفته أو حتى إلى لَمسِه باليد بين خطاب الهندوز واستجابة التلميذة» (ص ١٥٤).

المنطقيَّة، ولكن من طريق اتفاق المعجزات مع المستوى الحضاريِّ والثقافيِّ والمعرفيِّ والثقافيِّ والمعرفيِّ والعلميِّ والإدراكيِّ، ومطابقتها لخصائص مجتمعهم وبيئتهم ووسطهم وتفكيرهم، من هذه المناظير تصبحُ صحيحةً، بل ونصدقُهم، ونفهمُ علَّة تصديقهم إيَّاها أو قبولها مَّن يَتفوَّهُ بها، لماذا؟ لأننا قسناها مقاييسهم، ووزَنَّاها بموازينهم، وكلناها بمكاييلهم، ونظرنا إليها بعيونهم، وعايرْناها بمعاييرهم» (ص٢٦٠).

يَفُكُّهُ العبد، هذا المَلْحَظُ البالغُ الأهميةُ غاب عن فَطانةِ كلِّ مَن زَبَرَ «نَسَخ» سُطوراً في السيرة المحمدية المعطار، سواءٌ من القُدامي والمُحدَثين من العرب والأعاجم والفرنج» (ص٢٧٨ ـ ٢٧٩).

الله (ومن ناحية أخرى فقد ذاق الحرمان، وكابد المسْغَبة، وكواه الفقر، فلا يَسكنُ رَوعُه مِن هذا الجانب، ويُهدِّئُ بالَه، ويُطَمْئِنُ نفسه، ويُريحُ خاطرَه سوى أن يوضعَ المالُ جميعُه بين يديه، ومن ناحية ثالثة بهدف أن يُحكم قبضة رعايتها، وتشدَّ وثاق عنايتها له، وتُضاعف من لَحظها إياه، وجُمَّاعُ ذَيَّاكَ كلِّه يؤدِّي إلى سُهولة المطاوعة، ويُسرِ المهاودة، وسلسِ المُوافقة، مَّا يُوصِّلُ في نهاية الأمر إلى نجاح التجربة» (ص٣٠٩).

ابنها وزوجها «الأمين»، تقرأ على مَهَل، وتُطالعُ له بتؤُدة صفحات من تلك ابنها وزوجها «الأمين»، تقرأ على مَهَل، وتُطالعُ له بتؤُدة صفحات من تلك الأبعاض والإصحاحات، وتَشرحُها له بَقدْرِ ما تتَسعُ ثقافتُها الدينيةُ التي حَصَّلَتْها، كلُّ هذا مع استمراره في المشي في الأسواق والسماع والمُحاورة؛ لأنَّ هذه شعيرةٌ أساسيةٌ قنواتُها متباينةٌ ودائمةُ الفيض، وإذا أشكل عليها أمرٌ، أو التَبس عليها شأنٌ، أو أعجزتُها مسألةٌ هرَعت إلى اليعسوب «ورقة» تستوضحُه ليفسر لها ما أبهم، ويُبيّنَ لها ما غَمُض، ويَشرحَ ما خَفي .

في تلك المدرسة أعطى اليعسوبُ خلاصة علمه، وحَشاشة معارفه، ورُبْدَة تحصيله إلى «المعصوم» بحضور الطاهرة، وخديجة تُنصِتُ وتُلاحِظُ وتُشجِّعُ «بطل التجربة» على مزيد من التدقيق، ومضاعفة التمحيص، والإكثار من المراجعة؛ لأنها لم تكتف بإسداء الفضل الماديِّ (وهو إعفاؤه من الجري وراء لُقمة العيش، وإطعامه الخَمير، وإلباسه الحرير)، بل



أضافت إليه جَميلاً معنويًّا يُبزُّه ويفوقه» (ص٣٣).

الإصحاحات والأبعاض، التي ترجمها «ورقةً» إلى اللغة العربية، وما حصّله قبلها وهو يَجُوبُ الأسواق من قصص أنبياء بني إسرائيل والرائين (جمع راء من رؤيا)، وما يسمعونه من أصوات مثل: إشعيا وعاموس» (ص٣٥٦).

□ "إعلانُ نجاحِ التجربةِ العُظمى، وبوقوعها حُقَّ لخديجةَ أن تخاطِبَ أهلَ مكة بأعلى صوتها: ها هو القادمُ المأمولُ الذي طال انتظارُكم له، وكذا سائرُ عَرَب الجزيرة لتُفاخِروا به اليهود، ولتُنافِروا به النصارى؛ إذ لم يَعُدْ لأيِّ منهما فضلٌ عليكم، وسوف يَرفعُ بيمينه كتابًا مِثلَ كُتُبِهم، وسترونه رائعًا» (ص٣٦٨).

الله المناق ال

بُوصةً واحدةً بمقامه العالي و درجته الرفيعة» (٣٨٩ ـ ٣٩١)(١).

في ذمَّة العلماء هذا كُلُّه إن كان فيما بيننَا علماءُ

- قال رسول اللَّه ﷺ : "إن اللَّه تعالى لا يَقبِضُ العلمَ انتزاعًا يَنتزِعُه من العباد، ولكن ْ يَقبِضُ العلمَ بقَبضِ العلماء، حتى إذا لم يُبقِ عالمًا، اتَّخَذَ الناسُ رؤساء جُهَّالاً، فسُئِلوا، فأفتوا بغيرِ علم، فضلُّوا وأضلُّوا»(١) .
- وقال ﷺ: "إنَّ اللَّهَ لا يَنزِعُ العلمَ منكم بعدما أعطاكموه انتزاعًا، ولكنْ يَقبِضُ العلماء بعلمهم، ويَبقى جُهَّالُ، فيُسألون، فيُفتُون، فيَضلُّون ويُضلُّون» (٣)

◘ وعن ابن مسعود ولطن : «قُرَّاؤُكم يَذهبون، ويتَّخذُ الناسُ رُؤساءَ جُهَّالاً يَقِيسون الأمورَ برأيهم».

* * *

⁽۱) انظر مجلة «حصاد الفكر» العدد (۱٦٨) ربيع الأول ١٤٢٧هـ. أبريل ٢٠٠٦م (ص١٧ ـ ٢٤).

⁽٢) رواه أحمد والبخاري ومسلم والترمذي، وابن ماجه عن ابن عمرو.

⁽٣) حسن: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي هريرة، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٨٥٧).

* سَلَمان رُشدي الدَّجَّالُ الهندي المرتدُّ:

قزمٌ حقير وشيطانٌ من شياطين الإنس، رواية «آيات شيطانية» وهي روايةٌ شيطانية كتبها حَشَّاشٌ في ماخور أُصيب بانفصام الشخصية، فصار يتردَّدُ بين القرد والحشاش. يسخرُ فيها ذلك المرتدُّ من كلِّ جميلٍ وطاهر ونقىًّ، ويناصبُ رسولَ اللَّه ﷺ العَداوة في أحقر صُورها.

أُقدَّمُ تلخيصًا كاملاً عنه وعن روايته، حتى يَستشعرَ المسلمون مَدَىٰ جُرمه في حقِّ اللَّه وأنبيائه ورسله. واللَّهُ يعلمُ أني أكتبُ بعضَ فقراتها والألمُ يَعتصرُني، والحياءُ والخجلُ يفعلانِ بي ما يَفعلانِ أمامَ قُحَّتِه وفُحشهِ وبَذاءَة قَلَمه ودَنسه وحَقَارته.

* النشاةُ والخَلْفيَّة:

وُلد سلمان رشدي في «بومباي» بالهند سنة ١٩٤٧ ـ عام التقسيم وإنشاء الدولتين: الهند وباكستان ـ من أب هندي يدعى «أنيس رشدي»، مرتد عن الإسلام، وتلقّى تعليمه الأوّليّ في إحدى مدارس التبشير المنتشرة آنذاك في الهند، حيث كان المبشّرون يُقدّمون له ولزملائه الطعام والكساء وغيره لاستمالتهم، فشرب في هذه السنّ المبكّرة كراهية الإسلام وكلّ ما يتصل به . وهكذا تضافر البيت والمدرسة في بناء شخية مهتزّة، صلتها بالإسلام مجرّد تسمية تُثبت في شهادة ميلاد أو بطاقة شخصيّة، وعوامل انتزاعها من الإسلام أقوى وأبقى من عوامل إدخالها فيه.

ولَمَّا كانت بَلدُهُ تُعاني أزَماتٍ اقتصاديةً بسبب خُضُوعها للاستعمار مئاتِ السنين، وأخيرًا بسبب الحرب بين الهند وباكستان، فقد كانت أُسرتُه

ضِمنَ مَن هاجَرَ إلى «إنجلترا» سعيًا للرزق، وهناك التَحقَ بالتعليم الثانوي، ثم بكلية «المَلك» في جامعة «كمبردج».

وبعد تخرُّجه بَحَث عن وظيفة مناسبة هناك فلم يجد، فقرَّر العَودة الى موطنه الأصلي «شبه القارة الهندية»، ولكنْ هذه المرة إلى باكستان، حيث أُتيحت له فرصة عمل في التليفزيون، بَيْدَ أن رَوائح الكفر والزندقة والطعن في الإسلام بدأت تفوحُ منه، ففصل من عمله، وعاد إلى لندن يجرُّ أذيالَ الخَيبة والإحباط، بعد أن امتلأ قلبه حقدًا على الإسلام والمسلمين، وأخيرًا وجد عملاً في إحدى وكالات الإعلان، أعطَتْه دخلاً ثابتًا استطاع معه أن يتَّجه إلى التأليف الرِّوائي.

□ وفي عام ١٩٧٥ أصدر روايته الأولى «جريموس»، وعُمرُه آنذاك ٢٨ عامًا، فلم يَلتفتْ إليها أحدٌ، فماتت في مَهدها، وأصابه لذلك إحباطٌ شديد، ثم تزوَّج بعد ذلك بفتاة إنجليزية تُدعى «كلاريسا لوارد»، وعن طريقها تعرَّف إلى الناشرين، فأصدر روايته «أطفال منتصف الليل»، وصَف فيها حال الأولاد الذين يدخُلون الحياة وقلوبُهم خاويةٌ من الإيمان والقيم الأخلاقية، ويأتُون إلى عالَم مَليء بالمتناقضات، ولقد قال عن فله عن "إنه يُشبهُ إحدى شخصيات هذه الرواية، ففي داخله ثُقْبٌ لم يُبقِ فطرة واحدة من الإيمان عنده.

ولقد أثارت روايتُه ضدَّه ضجةً في الهند، إذ كانت تُوجِّهُ نقدًا عنيفًا لسياسة السيدة «أنديرا غاندي» الخاصَّة بتعقيم الرجال، فأَدْلَتْ بتصريح تتوعَّدُ فيه صاحبَ الرواية بتقديمه إلى القضاء.

وفي تلك الأثناء منكحته "إنجلترا" جائزة "بُوكر"، وكأنها تَغيظُ الهند

- الدولة المستقلة - والتي كانت يومًا ما إحدى مستعمراتِها .

لقد بدأ يطفو على السطح، فها هي روايتُه «أطفال منتصف الليل»، تثيرُ ضَجَّه في موطنه الأصلي - الهند -، وها هو يُمنحُ عليها جائزةً في موطن هجرته، «إنجلترا».

بعد ذلك كتب رواية بعنوان «العار»، وانتظر أن يَحصُلَ بها على جائزة «بوكر»، إلا أن لجنة التحكيم أسقطتها من الفوز.

ثم ما لَبِثَ أَن طَلَق زوجتَه الإنجليزية، وتزوَّج كاتبةً أمريكية اسمها «ماريان ويجينز»، لعلَّها تؤدِّي نفسَ الدَّورَ مع الناشرِين الأمريكيين.

وبالرغم من تعرُّفه إلى كثير من الناشرين في إنجلترا والولايات المتحدة، وتعرُّفهم إلى ما تتضمَّنه كتاباتُه من حقد دفين على الإسلام والمسلمين وتشجيعهم لاتِّجاهه هذا، إلا أنه ظلَّ مغمورًا، بعيدًا عن أضواءِ الشهرة العالَمية التي كان يَحلُمُ بها(۱).

الته ثم كانت روايته «آيات شيطانية»، التي تجرَّد فيها من كلِّ حياء، وقَذَف بنفسه عاريًا أمام الجميع، في مستنقعات الكفر والفجور والأكاذيب، فعبَث بكلِّ المقدَّسات، ومن بينها المقدَّسات المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين: «إبراهيم خليل اللَّه»، أبو الأنبياء، والأب الروحي لأصحاب الديانات الثلاث، كما عبث عملائكة اللَّه في السماء، وعلى رأسهم «جبريل» أمين الوحي وأمين العرش، إضافة عطبيعة الحال - إلى عبته بقدّسات الإسلام.

⁽١) «آيات سماوية» للدكتور شمس الدين الفاسي (ص١١ ـ ١٤).

□ لقد انتهى هذا الدجالُ الهنديُّ من تأليف روايته الشيطانية هذه في سنة ١٩٨٨، ونَشَرَتْها له دار «فايكنج برس»، وظَلَّتْ راقدةً في المكتبات لا تتحرَّك، ولا تمتدُّ إليها يَدُ قارئ، ثم ما لَبِثت دار «فايكنح برس» أن تخلَّصت منها، فباعتها إلى دار «بنجوين»، وبقي الحالُ كما هو عليه من رُكود تلك السلّعة البائرة، إلى أن تنبَّه المسلمون إلى ما فيها من فُحش وأكاذيب، وتعريض فاجر بمقدَّساتِ الإسلامِ والمسلمين، فتحرَّكوا لوقفها، لكنَّ المتآمرين كانوا يتوقَعون هذا، فحشدوا طاقات إعلامهم لإثارة الغرب المسيحيِّ كلِّه ضدَّ الإسلامِ والمسلمين، وخاطبوا وُجدانه وما استقرَّ فيه من كراهية وعداء دفين، فانطَمستِ الأبصارُ وعَميَتِ البصائر.

□ وفي هذا الجوِّ المشحون، فَقَد العقلُ سلطانه، وتحوَّل المجرمُ الحقيقي «سلمان رشدي» إلى ضحية بريئة، ووقف الغربُ جميعًا يُعلِنُ حمايتَه تحت شعارٍ برَّاق، استُخدم بخداع، هو «حماية حقوق الإنسان»، ومن بينها «حقَّه في حرية التعبير»!!.

* عاصفةٌ كان يُمكنُ تفاديها:

عندما صدر الكتابُ في بريطانيا، حاولَتِ اللجنةُ المتحرِّكةُ للشؤون الإسلامية هناك اللجوءَ إلى القضاء الإنجليزي للاحتكام ضدَّ الرواية، فاتَّضح لها أن القانونَ الإنجليزي يَحمي فقط المذهبَ المسيحي الإنجليكاني، فحاولَتِ اللجنةُ بعد ذلك مفاوضةَ الناشرِ على أساسِ أن يكتبَ على غلاف الرواية عبارة: «هذا الكتاب يُسيءُ إلى الإسلام» كالعبارات التي تُكتب على السجايرِ وتُحذّرُ من التدخين. ولكنَّ الناشرَ رفض!! .

وأمام المعارضة الإسلامية، قرّرت إحدى دُورِ النشرِ البريطانية مَنْحَ الكتابِ جائزةً أدبيةً، وإخراجَه في طبعة شعبية، عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الإسلامية بمناقشة الحلِّ الأمثل لمواجهة هذا التحدِّي، فتوجَّهوا إلى أسقُف إحدى الكنائس بمدينة «برادفورد»، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج إلى الأسقف، وطالبوه بأنْ يستخدم نُفوذَه ويُناشدَ الحكومة البريطانية وناشرِي الكتاب عدم نَشْرِه، ولكنْ لا جَدوى . . فقامت الجماهير الإسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرَقته، ولكنَّ المطابع في استطاعتها أن تُنتج المزيد.

فقام سكرتير اتحاد المنظَّمات الإسلامية في لندن بتوجيه خطاب إلى السيدة رئيسة مجلس الوزراء، يدعوها فيه «من مُنطلق الحرص على المقدَّسات الدينية» إلى الأمر من موقعها كمسؤول رئيسي "باتخاذ إجراءات قانونية ضدَّ الرواية ومؤلِّفها».

ثم قام سُفراء كلِّ من باكستان وقَطَر والصومال بتقديم طَلَبٍ إلى وزارةٍ الداخلية البريطانية ، يطالِبون فيه باتِّخاذ إجراءٍ حاسمٍ نحو الرواية .

□ وأخيرًا جاء إعلانٌ من القصر الملكي: «أنَّ الكتابَ لا يَعرِضُ لعَمَلِ
 يعاقَبُ عليه»!!.

□ ثم أعلن وزيرُ الداخلية بيانًا جاء فيه: (إن الحكومة لا تَنوِي إحداث تغييرٍ في قانونِ الطعنِ في المقدَّسات الذي يتعلَّقُ فقط بالديانة المسيحية).

وأمامَ التعَصب «الديمقراطي»! انفجرت المشاعرُ الإسلاميةُ التي لم يَستطع الشيطانُ تلجيمَها، انفجرت أولاً في بريطانيا، فسارت المظاهراتُ تُطالِبُ باتخاذِ موقف حاسم ضداً «آيات شيطانية»(١) ، ثم انفجرت بعد ذلك في العالَم كلّه ، ثم توالت رُدودُ الأفعالِ من كِلا الجانبين .

□ لقد كان بالإمكان تفادي هذه العاصفة التي أحدثت ـ حتى الآن ـ تصدُّعًا خطيرًا في علاقات المسلمين بالغرب المسيحي، بعد أن أظهرت قضية «الدجَّال الهندي» أن صليبيَّته العمياء في نهاية القرن العشرين لا تزال كما كانت في نهاية القرن الحادي عشر، وكان بإمكان بريطانيا أن تعالج الموقف بحكمة الساسة المتمرِّسين، وذلك بإعادة النظر في قانون الطعن في المقدَّسات، بجَعله يتضمَّنُ حماية اليهودية والمذاهب المسيحية الأخرى مثل «الكثلكة والأرثوذكسية»، إضافة إلى الإسلام، بدلاً من قصره على المذهب الإنجليكاني فقط، وما كان هذا العملُ ـ لو تمَّ ـ إلاَّ ليحظى بتقدير عالميً، باعتباره برهانًا على تأكيد حرية المعتقدات، ووسيلةً فعَّالةً للتعايش السلميً بين أصحاب الأديان.

□ لكنَّ الحكومة الخفيَّة لا تَرضى بذلك، وهي تُمسكُ بيدها خيوطَ دُمًى كثيرة تُحرِّكُها كيفما تشاء.. وكان أن ازداد الموقفُ اشتعالاً.. فنُشرت إعلانات مدفوعة الأجرِ شَغَلت مساحات كبيرة من الصحف العالمية، وظَهَرت حملة واسعة من التحقيقات الصحفية واستطلاعات الرأي، وقامت محطَّاتُ التليفزيون بالدَّقِ على حواسِّ المشاهدين، وكلُّها تسيرُ في خطِّ واحد، هو «إثارة الغربُ ضدَّ الإسلام والمسلمين»، وبكغت إحدى موجات الإثارة قمَّها حين قام بعضُ طلبة جامعة في «النمسا» بعقد نَدوة،

⁽۱) «سلمان رشدي شيطان الغرب» سعيد أيوب (ص٨٦، ٨٧).

هي في حقيقتها «قُدَّاسُ صلاة مسيحيُّ»، تُليت فيه فَقراتٌ من كتابِ ذلك «الدجَّال الهندي». . سبحان اللَّه!!.

□ كأن الغربَ قد عَثْرَ على إنجيلِ مخفيٌّ، جاء به ذلك «الدجَّال المنتظر»، كما سَبق أن عَثْر على بعضِ أسفارِ الكتابِ المقدَّس جنوبَ البحرِ الميِّت عام ١٩٤٧م.

لقد بَلَغَ الاستفزازُ مداه، وخاصةً عندما تتحدَّثُ الصحفُ والإِذاعاتُ العالَمية ـ وعلى رأسها هيئةُ الإِذاعةِ البريطانية التي توجِّهُ إِذاعاتِها خصيصًا إلى العالَم الإسلامي ـ، فتصفُ ذلك «الدجَّال» باسم: «الكاتب المسلم سلمان رشدي»!!.

مَن ـ يا تُرىٰ ـ ذلك الكاتبُ الأسطوريُّ، الذي حَظي فجأة باهتمام الغرب والعالم، وصار حديث كلِّ لسان، كأنه ظاهرة عيرُ مألوفة أو مرض خطير ـ كالإيدز ـ لم تعرفه البشريَّة مِن قبل؟! فلم يَحدُث أن اصطدَمَت عيناي في أيٍّ مِن مكتبات لندن على مجرَّد ورقة تحملُ هذا الاسم، ولم يَخدش بصري أيُّ مُلصَق من إعلانات الحائط يَحملُ ولو نصف اسمه. وها هي قائماتُ الكتب التي تُصدرُها دَوْريًّا بعض دُور النشر، تَصلُني تِباعًا، ولا يوجدُ في أيِّ منها ذِكرٌ لهذا النكرة!!.

هنالك، صدرت عن «إيران» فتولى تُبيحُ إهدارِ دم مؤلِّف رواية «آيات شيطانية»، فتلقَّفها رؤوسُ الفتنة في الغرب، واستطاعوا تصعيد المواجهة من مستوى الأفرادِ والهيئاتِ إلى مستوى العملِ السياسيِّ الرسمي، فانعقد المجلسُ الوزاريُّ للسُّوق الأوربية المشتركة في اجتماع غيرِ عاديٍّ، وأدانَ إيرانَ بعنف، وقرَّر سحبَ سُفراءِ دُولِه من طَهران، وفَرَض عقوباتٍ عليها،

وقد عَلَّق وزيرُ خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعي الأوربي، بقوله: «إنها أولُ مرة من حدود علمي من التي تُعرِبُ فيها المجموعةُ الأوربيةُ عن غَضَبها على هذا النحو»!.

□ وفي «أوتاوا» رَفَض سفراء ٢٥ دولة إسلامية طَلَبًا من «كندا» بإدانة إيران، كما رَفَضت الحكومة الكندية ـ في نفسِ الوقت ـ طلبًا من السفراء المسلمين بَنْع تداول الكتاب أو ادخاله إلى كندا.

□ وفي "واشنطن"، تعهّد المدّعي العامُّ الأمريكي، أمامَ عددٍ من ناشري الكتب، باستخدام كلِّ الوسائلِ الممكنة لوقف الجهود الرامية إلى منع نشر الكتاب في أمريكا.

□ وأصدر البرلمان الألماني بيانًا جاء فيه: «إن إعلان الإمام الخميني عن
 قتل سلمان رشدي هو بمثابة إعلان الحرب على القيم الغربية».

□ وفي لندن ـ مسرح المؤامرة ـ، وقَع ٣٤ عضوًا من مجلس العموم
 على مشروع قرار يَحُثُ الحكومة على ضمان سلامة رشدي .

□ ووصفت السيدة «مارجريت تاتشر» ـ رئيسة الوزراء ـ فتوى إيران
 بأنها تهجُمُ على حرية الكلمة التي هي من الحريَّات الأساسية للإنسان .

لقد اختلطت الأوراقُ تمامًا، وهذا ما يريدُه المتأمرون.

□ ولقد حَوَّل الغربُ صدامَه السياسيَّ مع إيران إلى صدامٍ مع الإسلام والمسلمين، واستهانَ بمشاعرَ ١٠٠٠ مليون مسلم، بينهم ٥٠ مليونًا في إيران، ولا أدلَّ عن مدى التخبُّط السياسيِّ الذي وقعت فيه دُولُ الجماعة الأوربية من أنها بدأت تُعيدُ سفراءَها إلى إيران بعد أسابيعَ من سَحبِهم،



ودون أيِّ تغييرٍ في الموقفِ الإِيراني، سواءٌ بالتراجع عن الفتوىٰ أو حتىٰ بإدخال تعديلِ عليها.

* «مقاطع شيطانية»:

هذه هي الرواية الرابعة في سلسلة إنتاج «الدجال الهندي» سلمان رشدي لهذا النوع من الروايات الخيالية، وهذا يعني أننا أمام عمل لا علاقة له بالدراسات العلميَّة الجادَّة التي تقوم على المنطق والبرهان واستجلاء الحقائق وتقريرها، وكَشْف الشبهات ودَحْض الأكاذيب.

تبدأ الرواية بإهداء: «إلى ماريان»، زوجته الأمريكية الثانية التي تزوَّجها بعد طلاق زوجته الإنجليزية «كلاريسا»، وقد عُرف عن «ماريان» هذه أنها كاتبة مُلحدة، تهاجمُ الأديان ومن بينها المسيحية.

□ وتتكوَّنُ الروايةُ من تِسعةِ فصول:

الأول، باسم: «اللَك جبريل»، وهذا يُعطِي انطباعًا مبدئيًّا للقارئ أنه بصدد قراءة شيء عن الوحي والدين. ويتحقَّقُ توقُّعُ القارئِ، حيث يأتي:

الفصل الثاني مباشرةً باسم: «ماهوند»، وهو ما كانت تُنادِي به أوروبا عصورِ الظلام، النبي محمداً، بعد أن اخترعه رجالُ الكنيسة والكتاب والشعراء، تحقيراً وإهانةً! ثم تتعاقبُ الفصول:

الثالث باسم: «الودين ديووين».

والرابع: «عائشة»!.

والخامس: «مدينة مرئية لكن مخفية».

والسادس: «عودة إلى الجاهلية»!.

والسابع: «اللك عزرائيل».

والثامن: «شق بحر العرب».

والتاسع: «مصباح عجيب».

□ وقد أُلحقت صفحة شُكر ـ رقم ٥٤٩ ـ في آخرِ الرواية ، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩ ، يتحدَّثُ فيها المؤلِّفُ عن اقتباساتٍ مِن بعض تراجم معاني القرآن ، فيعترفُ بأن تلك الاقتباساتِ إنما هي «تركيبة» من مجموعة من أعمالِ المترجمين السابقين مثل: «داود» ومولانا «محمد علي» وغيرهما ، إلا أن أخطر ما في الموضوع هو اعترافُه بإحداث تغييراتٍ من عنده .

وهو يَذكُرُ في تلك الصفحة مجموعةً من الروايات التي اقتبس منها وكانت مصدر إلهام له، إلا أنه يُقرُّ باعتراف خطير آخر، جاء في آخر سطرين، يقول فيه: «أرجو أن تكونَ هُويَّةُ كثيرٍ من المؤلِّفين الذين تعلَّمتُ منهم واضحةً من خلال النصِّ. . أمَّا هُويَّةُ الآخرين فيجبُ أن تبقى غُفْلاً».

□ ويلاحقُه هنا سؤال: لماذا أغفَلَ ذِكرَ أسماءِ هؤلاء؟!.

إن الإجابة المنطقية، التي تتبادرُ إلىٰ الذهن، هي أنهم شركاؤه في المؤامرة.

ولقد حَدَث ما هو متوقّع من اعتراف «الدجّال الهندي» بالعبث بتراجم القرآن، فهو يقتبسُ آياتٍ من سورة النجم - التي زَعَم كالزنادقة السابقين أن النبيّ أضاف إليها عبارتين شيطانيّتين تَمدَحُ آلهة المشركين -، ثم هو يَعبَث بصيغة الآيات المقتبسة، فيُحوِّلُ بعضها من صيغة الضمير الثالث «المفرد المعائب» إلى صيغة الضمير الأول «المفرد المتكلم»، وبذلك يوحي للقارئ بأن القرآن من عَملِ محمد، لكنه - في تزويره هذا - نسي - ككل مجرم - أن بأن القرآن من عَملِ محمد، لكنه - في تزويره هذا - نسي - ككل مجرم - أن

يُحكِم جريمته، فجاء الجزءُ الأول من الآياتِ المقتبَسة بصيغة الضميرِ الثالث، بينما تلاه الجزءُ المحرَّفُ بصيغة الضمير الأول.

* فآيات سورة «النجم» تقول: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿ مَا صَلَّ اللَّهُوَىٰ ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿ مَا صَلَّ عَالَمُهُ وَمَا غَوَىٰ ﴿ وَهُ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهُوَىٰ ﴿ وَهُ إِلاّا وَحْيٌ يُوحَىٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ وَهُو بِالأَفْقِ الْأَغْلَىٰ فَي عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُورَىٰ ﴿ وَهُ وَ مِرَّةٍ فَاسْتُوكَىٰ ﴿ وَهُو بِالأَفْقِ الْأَعْلَىٰ ﴿ وَهُو بِالأَفْقِ الْأَغْلَىٰ فَي عَلَىٰ مَا فَتَدَلَّىٰ ﴿ وَهُو بِاللَّهُورَىٰ عَلَىٰ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ الْفُورَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَادُ مَا يَرَىٰ ﴾ وَاللَّهُ وَادُ مَا كَذَبَ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ مَا يَرَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا كَذَبَ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا لَا مُؤْمِنَا لَا اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُ اللَّهُ وَادُ اللَّهُ وَادُوالَا اللَّهُ وَادُ مَا رَأَىٰ اللَّهُ وَادُوالِهُ وَادُوالِهُ اللَّهُ وَادُولَ اللَّهُ وَادُولُوالِهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَادُولَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ مَا مَا مَا مُؤْمِلًا وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَالْمُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّا اللّهُ اللَّا مُنْ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللّهُ اللّهُ ا

□ لقد استبدل الدجال كلمة «الثريا» مكان كلمة «النجم»، واستمر يستخدمُ هذه الصيغة إلى أن انتقل إلى الصيغة الأخرى بكلام وضعه على لسان النبيِّ يقول فيه: «ولقد رأيتُه مرةً أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنةُ المأوى، إذ يَغشى السدرة ما يَغشى، ما زاغ بصرِي وما طَغَى، لقد رأيتُ من آياتِ الربِّ الكبرىٰ "(۱).

فخالف بذلك جميع التراجم المعروفة والتي أشار إلى بعضها مثل: «داود، وبكتال، وعلي» أن القرآن لا يُورِد صيغة المتكلِّم المفرد على لسان النبيِّ إلا مسبوقة بكلمة: «قل»، مثل قول اللَّه ـ سبحانه ـ لنبيه: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمَرْتُ أَنْ

I saw him. also at the Lote tree of the uttermost end, near which lies (1) the Garden of Repose. When that tree was covered by its covering my eye was mot averted, neither did my gaze wander; and I saw some of the greatest signs of the Lord.

أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ منَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الانعام: ١٤].

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾

[الكهف: ١١٠].

ولقد وردت كلمة: «قل»، في القرآن ٣٣٢ مرة، في آياته التي تبلغ ٦٢٣٦ آية.

نحن - إذن - نتعاملُ مع خائنٍ غيرِ مؤتَمَنٍ على أيسرِ الأمانات، «أمانة النقل».

□ «ما هذا النبيُّ إلاَّ رسولُ اللَّه إلى الناس، يُبلِّغُهم رسالاتِ ربِّهم، ويَنقُلُ إليهم كلماتِه، فيكونُ مُحدِّثُهم الأمينَ باسم اللَّه، تحقيقًا لِمَا تنبَّات به التوراة، وحيًا من اللَّه لموسى، في قوله: «أُقيمُ لهم نبيًّا من وسط إخوتِهم، مِثْلَك، وأجعلُ كلامي في فمِه، فيُكَلمُهم بكلِّ ما أُوصيه به.

ويكونُ أن الإنسانَ الذي لا يسمعُ لكلامي الذي يتكلَّمُ به باسمي، أنا أطالبه» - (تثنية ١٨: ١٨ - ١٩).

□ لم يَقُلِ اللَّهُ: «أُقِيمُ لهم إلهًا، أو ابن اللَّه»، لكنه قال: «أقيمُ لهم نبيًا» مثلَ موسى من بين إخوة بني إسرائيلَ بن إسحاق، أي: من العرب بني إسماعيل أخي إسحاق، مهمَّتُه الأساسيةُ نَقلُ كلام اللَّه إلى الناس، ومَن لا يَسمعُ لذلك الكلام - الذي يقرؤه عليهم قرآنًا - فإن الرب ينتقمُ منه».

إن الأمرَ واضحٌ تمامًا، لكنَّ القومَ يصِمُّون الآذان، ويُغمضون العيون.

□ بعد ذلك، تبدأ أولُ سطورِ الرواية بحديثٍ عن عقيدة هندوكية تُعرف باسم «تناسخ الأرواح»، أي الموتُ والولادةُ مرةً ثانية، أو تكرارُ الولادة، ويَحدُثُ ذلك ـ حسبَ ظنِّ مَن يعتقدون في هذا ـ بعدَ موت الإنسان، فيبْلَى جَسدُه، أمَّا رُوحُه، فتعودُ إلى الحياة متقمِّصةً جسدًا جديدًا، قد يكونُ إنسانًا أو حيوانًا، أو حشرة، فتبدأ الروحُ بذلك دورة حياة جديدة.

إن استخدام هذه الفكرة يسمح باللعب بالأشخاص والأزمنة ، فتتداخل الأحداث ، وتختلط الصور والأوراق ، ويترك القارئ متحيّرًا ، أو واقعًا تحت إيحاءاته ، فهو بهذا يهرب من الجديّة والموضوعيّة التي تتطلّبهما الدراسات العلمية ، ويَجنح إلى رواية يفرغ فيها سُمومَه وخيالاته ، فيعبث بالحقائق المعروفة ، ويُزيّف التاريخ كما يشاء ، ويترك القارئ بذلك يسبح في هواء .

وفي الفصل الأول: «المَلَك جبريل»، نجدُ «الدجَّال) يخلعُ اسمَه على مواطنٍ هندي أسماه: «جبريل فارشتا»، الذي يذهبُ من «بومباي» إلى لندن، ومعه على نَفسِ الطائرة مواطنٌ آخرُ هو «صلادين شمشا»، والذين تقع بهما الطائرة في القنال الإنجليزي، ثم يَنجُوانِ من الموت بمعجزة، فيصابُ جبريلُ بانفصام الشخصية.

ويَحلُمُ جبريلُ، ويَحلُمُ كثيرًا، ويَبُثُّ أحلامَه إلى «ماهوند» ـ في الفصل الثاني ـ، فيربطُ الوحيَ إلى نبيِّ الجاهلية بذلك التزييفِ المستمدِّ من فكرة «تناسخ الأرواح».

□ لقد عَمَدَ هذا المحتالُ ـ كما قال بحقِّ الناقد «سامي خشبة» ـ إلى أن: «يَضَعَ ثقافتَه الخاصَّة مكانَ ثقافة كلِّ شخصياته، ويَضَعَ فكرَه وعَقْلَه
الخاصيَّنِ، مكانَ فكر كلِّ شخصياتِه وعقولِها . . والمؤلِّفُ يسوقُ أفكارَه

سُوقًا، من وراء شخصياته التي تبدو كالأقنعة أو المشجّب حامل الأفكار، نحو َ هدف محدُّد هو: إلى أيِّ اتِّجاه ينبغي - ويُمكن للمسلمين الذين يُخاطبُهم في الغرب أو في أوطانهم - أن يتَّخذوه . . لقد لَمْلَمَ سلمان رشدي كتابه «آيات شيطانية»، من ثلاث قَصَص طويلة لا يَربطُ بينها رابطٌ ما، ووزَّع فصولَ القَصصِ الثلاثِ توزيعًا اعتباطيًّا تقريبًا. . أما «رشدي»، المتواضعُ الموهبةِ، والفاقدُ الإيمانِ بشيءٍ أو بعقيدةٍ محدَّدةٍ، فإنه عَجَزَ عن أن يُقيمَ من أكوام خيالاته ومعلوماته وتأليفاته، وما نَقَله عن المصادر المختلفة وألبَسَه كساءً خياليًّا رديئًا ومفتَعلاً، عَجَز عن أن يُقيمَ من كلِّ ذلك بِناءً فنيًّا موحَّدًا، ليس فقط لِضَعف موهبته، وإنما لأنه أراد أن يَجمعَ بين ما لا يَجتمعُ، وهو: تصوَّرُه الذاتي عن تجربة اغترابِ المُثقَّفِ الشرقيِّ «الهندي» عن هُوِيَّةِ أُمَّتِه، وعن تجارِبِ المسلمين المغترِبين في أوروبا «لندن»، أو المُقيمين في وطنهم «بومبائ».. ثم مجموعة الأكاذيب والمخترَعات والإهانات ـ التي ألُّفَ بعضَها بنفسه ـ، والتي وجَّهها إلى الإسلام وكتابِه ورسوله. . ويَضمَنُ السيد «رشدي» أن يستمرَّ خَلطُ الأوراق بلا نهاية ، عندما يستخدمُ لتسميةِ الأشياء والظواهر، أسماء متناقضةً لحقيقة الأشياء والظواهر، حتى يتحقَّقَ التشويشُ المطلوبُ على الحُلول العلميَّة الحقيقية، والحلول التي تسعى إليها الشعوبُ الآن ـ في الشرق والغرب على السواء، بصرف النظرِ عن جهودِ البرابرة المعاصِرِين عندهم وعندنا ـ، الحلولُ التي تتلخُّصُ في الديمقراطية والعقلانية اللتين تَحفظان لكلِّ شعبٍ، ولكلِّ طائفةٍ من شُعب، الحقُّ في سماته - أو سيماتها الخاصة - في إطارِ ثقافة إنسانية عامة، وثقافات مومية متمايزة، مستنيرة ومثقَّفة بحقيقتها وبحقائق الثقافات الأخرى، ومتخلّصة من تعصّباتها المتهوّسة، ومن الرغبة في تلويث ثقافات الآخرين وتدنيس مقدّساتهم، ومتخلّصة من الرغبة في استخدام الإبداع لنَصب الفِخَاخ وإشعال الحرائق»(١).

* الأمكنة والأشخاص:

«ماهوند»: يتيم، سريعُ الخُطئ، يتسلَّقُ الجَبَلَ الحارَّ في الحجاز ليبقى هناك شهرًا في وحدته، إذا نُطق اسمُه صحيحًا فإنه يعني: ذلك الذي يجبُ أن يُخَصَّ بالحمد، لكنه يأخذ اسم «ماهوند»، مرادفًا لاسم الشيطان! (ص٩٣).

ه بهذا يتحدَّث الدجالُ عن محمد بن عبداللَّه عَلَيْهُ.

«الجاهلية»: بُنيت كلُّها من الرمال، ويأتي ماؤها من مجارٍ وينابيع جوفية، واحدة منها تسمَّى «زمزم»، وتقع في قلب المدينة، ملاصقة بيت «الحَجرِ الأسود»، وفي هذه المدينة يؤسس «ماهوند» واحدة من أكبر ديانات العالَم، ويَهمِسُ صوت في أُذنه: «أي نوع من الأنكار أنت؟ إنسان أم فأر الراه (ص٤٤، ٩٥).

«فالجاهليةُ» تعني «مكة».

«يثرب»: واحةٌ في شمالِ مدينةِ الجاهلية، تتمتَّعُ بجوِّ رَطْبٍ، انتقل إليها المهاجرون أتباع عقيدةِ الإسلام الجديدة (ص٣٦٣).

«أتباع ماهوند في مدينة الجاهلية»: كان من أوائلهم: «خالدٌ سَقّاءُ الماء الحقير، ثم ذلك المتسكّعُ من فارس ويَحملُ اسمًا غريبًا: سلمان، ولتكملة

⁽١) صحيفة «الأهرام» في ٢٦/٥، ٢/٦/ ١٩٨٩.

هذا الثلاثيِّ من حُثالة المجتمع، هناك العبدُ بلالٌ الذي حرَّره محمد، ثم حمزة عمه» (ص٩٥، ١٠١).

«أعداء ماهوند في مدينة الجاهلية»: «أبو سمبل»، سيِّد الجاهلية، وزُوجُ «هند» الجميلة الرهيبة، وكانت عشيرةُ هند تتحكَّمُ في معبد «أللات» وتتلقَّىٰ عائدات معبد أللات» وتتلقَّىٰ عائدات معبد أللات» وشاعر هجاء مشهور. وكان «أبو سمبل» ديُّوثًا، يَعلمُ أن «بعل» عشيقٌ لزوجه «هند»، التي كانت شديدة النهم الجنسيِّ، حتى أنها ضاجَعَت كلَّ مؤلِّفي مدينة الجاهلية! (ص٩٦، ١٠٠، ٣٦١).

«فأبو سمبل» يعني: «أبا سفيان»، وأما «بعل» شاعر الهجاء، فهو اختراعٌ من الدجال.

«الحجاب»: جَعَل «الحجاب» اسمًا الأشهرِ ماخُورٍ في مدينة الجاهلية، له فناءٌ واسعٌ تُحيطُ به غُرَفُ الجنس.

وكانت المؤمسُ «عائشةُ»، ذاتُ الخمسةَ عَشَرَ عامًا، أكثرَ العاملات رواجًا، تمامًا كما كانت سَمِيَّتُها مع «ماهوند».. وكانت أكبَرُهُنَّ سنَّا المومسُ البدينةُ «سودة»، وكان لها زُوَّارٌ كثيرون.. أما المومس «حفصة»، فكانت حادَّةَ الطبع مثلَ سَمِيَّتها.. وكان الماخور مرآةً للجماعات السياسية في مسجد يثرب، فكان هناك ـ مثلاً ـ تحالُف بين «عائشة وحفصة» ضدَّ «أم سلمة» المخزومية «ورَمْلة بنتِ أبي سمبل»، وكان هناك «زينب بنت جحش»

و «جويرية» و «صفية» و «ميمونة»، ثم أكثَرُ هنَّ إثارةً للشهوة الجنسيَّة، الفاتنةُ المصرية «مارية القبطية»، التي رَفَضَتْ أن تُعلِّمَ «عائشة» ألاعيبَها.

وعندما فكَّرت المومساتُ في مُستقبلِهِنَّ، رأَيْنَ أَنْ يكونَ لهنَّ زوجٌ صُوريٌّ هو «بعل». . وفي هذا الوكرِ الداعرِ أصبح «بعلٌ» زوجًا لنساءِ رجلِ الأعمال السابق، «ماهوند»!» (ص٣٧٦، ٣٨٠، ٣٨٠).

لقد كَبْكَبَ الدجَّالُ على وجهه، وعَبَثَ بعقولِ قُرَّائِه، كعادته في طولِ الرواية وعَرْضِها، فبعد أن انتحلَّ لمؤمساتِ ماخوره أسماء زوجاتِ النبيِّ عَلَيْهِ، إذا به يعود بفُجْرِه المعهود، فيجعلُ من «بعل» «زوجًا لنساء «ماهوند»، بدلاً من أن يحترم قُرَّاءَه، ولو مرةً واحدة، فيقول: «زوجًا لسميات نساء ماهوند»!.

* ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ آَلَ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ آَلَ اللَّهِ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ فِي وَيَعْفُونَهَا عَوْجًا وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿ آَلَ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصِرُونَ ﴿ آَلُ اللَّهِ مَنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يَبْصِرُونَ ﴿ آَلُهُمْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ آَلَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ وضَلَّ عَنْهُم مّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿ آَلَ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ [٢٢-١٢].

* الألفاظُ والتراكيب:

تمتلئ هذه الرواية الشيطانية بأقدر الألفاظ وأشدّها فُحشًا. وأغلبُها مما يتداولُه الزناة مع المومسات في المواخير من مسميّّات وأوصاف. ونذكر فيما يلي بعضًا منها، نُشير إلى اللفظ المبتذل بحرف أو حرفين منه، مما يتداوله

السِّفْلةُ من الناس:

- فرج المرأة: «ك» ، والجمع: «أك».

□ يتحدَّثُ الدجَّالُ عن أصغرِ مومسٍ في الماخور فيقول: «قبلَ تكميمٍ أصغرِ الدأك، صرَخت قائلة. . . »(١) .

_ ممارسة الجنس: ن ك.

□ قال أبو سمبل «أبو سفيان» لتابعه شاعِرِ الهجاء «بعل»: «أيها القَوَّاد! أنا أعلمُ أنك. . ن كامرأتي»(٢)!.

◘ وصل خطابٌ لمحمود يقول: «يا آكِلَ الخِراء! إنك. . ن كـ امرأتي»(٣).

□ ويقول جبريل: «أحلام ن كه الأمهات سببُ كلِّ البلاءِ للجنسِ البشري..»⁽³⁾.

◘ وفي مدينة الجاهلية: «كان كلُّ الحديثِ منصبًّا على الـ ن كـ والمال»(٥٠).

□ ولقد امتلأت الروايةُ بالشتائم القذرة، بَدءً من صفحاتِها الأولى حتى صفحاتها الأخيرة، مثل: «ابن الزنا».. «أبناء الزنا»..

◘ وامتلأت الرواية بتعابيرَ مُقزِّزة، لا تَخرِجُ إلا من نَفسٍ قَذِرة تَسبحُ

⁽before the youngest cunt wus gagged, she yelled...) (p.389). (1)

⁽Pimpl - I know you fuck my wihe) (p. 100). (Y)

⁽shit - eater, you're fucking my woman) (p. 207). (r)

⁽Mother - fucking dreams, cause of all the trouble in the human (£) race..) (P. 122).

⁽al the talk was of fucking and money) (P. 408) (o)

⁽Bastard.) .. (Bastards.) (PP. 3,8.. 95, 105, 116, 367, 376). (٦)

دائمًا بفكرِها في المراحيضِ وأماكنِ القاذورات، ففي حديث «الأم الهندية» المسلمة لابنها، قالت له: «لا تَصرِ قَذرًا مثل أولئك الإنجليز، فهم يمسحُون استاههم بورق فقط» (ص٩٣).

□ فردَّ عليها الابنُ المنبهر: «إن ما تقولينَه يا أمي لا يمكنُ تصديقه، إن إنجلترا حضارة عظيمة، وما تقولينه هُراء».

◘ (وكان يُسيئُه كثيرًا أن يقارَنَ بطفلٍ يَبولُ على نفسه» . . (ص٧٧) .

□ ويَعبثُ الدجَّالُ الهنديُّ بعقولِ قُرَّائه، فيستخدمُ أساليبَ ركيكةً هازلةً كأنه يَحكي قصةً للأطفال قبلَ النوم، فيقول: «كان ما كان في قديم الزمان..» (ص١٤٣).

الله ولَمَّا كان مؤلِّفًا رديئًا، فاقدَ المواهب، كان مَثَلُه كَمَّلِ تلميذِ خائب تعلَّمَ جُملةً واحدةً مفيدةً، كانت كلَّ زادهِ، فما انْفَكَّ يستخدمُها في كلُّ المناسبات دون تمييز.

□ ولَمَّا كانت عبارةُ «ألف ليلة وليلة»، ذاتُ مذاقِ خاصٍّ، فقد تَشبَّث بها، وبَدأَ يَستنسخُ صُورًا منها بلا وَعيٍ أو حساب، فيقول: «.. بسبب طَيشه الذي مارسه ألف مرة ومرة» (ص٢٦).

🗖 «وفكَّر ألفَ مرةٍ ومرة . . » (ص٣٧٠).

□ «وبعد مئة يوم ويوم . . » (ص٨٥).

□ ومثلُ ذلك، حَجمُ أوعيتِهِ الزمنية التي تؤكِّدُ، حقًّا، أنه كاتبٌ مُمِلُّ هزيل، فهو يقول في صفحة (ص٣٩٢): «ولم تَرَ مخلوقًا حيًّا آخَرَ، طيلةَ سنتين وشهرين..».

□ ثم يكرِّرُ ذلك في نفسِ الصفحة: «وبَقيَتْ مدةَ سنتين وشهرين..».
 □ ويقول أيضًا: «وبعد مرورِ سنتين ويومًا واحدًا من بَدءِ «بعل» لحياتِه في ماخور الحجاب..» (ص٣٨٥).

هذا بعضُ العار الذي ألحقه ذلك الكاتبُ التافهُ بلغةِ قومِ شكسبير وبالأدب الإنجليزي عامة، وبجامعة «كمبردج» التي يقال: إنه تخرَّج منها، على وجه الخصوص!.

* تزييفُ الحقائق واختلاقُ الأكاذيب:

ذلك دَأْبُ الدجالِ الهنديِّ في روايته الشيطانية. . والحديثُ في هذا يَطُول، نكتفي منه بعرضٍ أمثلةٍ محدودة، لهذا وذاك .

أو لا _ فمِن حقائق التاريخ الإسلامي:

المنة الثالثة من الهجرة، وانهزم فيها المسلمون، وأُحد» التي وقعت في السنة الثالثة من الهجرة، وانهزم فيها المسلمون، وأُصيب فيها النبيُّ عَلَيْتُ وَشُجَّ في وجهه، لقد كان ذلك بعد الهجرة إلى المدينة، حيث كان خالدٌ ما زال على شركه، ولم يُسلِمْ خالدٌ إلا في السنّة السابعة من الهجرة، بعد عُمرة القضاء، حيث تَرك مكة وذهب إلى المدينة يُعلِنُ إسلامَه إمام النبي عُمرة القضاء، حيث تَرك مكة وذهب إلى المدينة يُعلِنُ إسلامَه إمام النبي

٢ - أن «حمزة» كان بَطَلَ المسلمين في معركة «بدر الكبرى» التي وقعت في السُّنة الثانية من الهجرة، حيث انتصر المسلمون، وقُتل فيها عتبةُ ابن ربيعة - والدُ هند امرأة أبي سفيان «أبي سمبل في الرواية» - كما قُتل في بدر الوليدُ بن عتبة - أخو هند - وشيبةُ عمُّها.

٣ ـ أن «سلمان الفارسيّ» كان قد تعرّض لعملية اختطاف بينع على أثرِها ليهوديٍّ من بني قُريظة بالمدينة، فلما قَدم النبيُّ على المدينة وسمع به سلمان، أسلم على يديه، وقد أعانه النبيُّ عَلَيْ وصحابته على تحرير رقبته، فأمَدُّوه بالمال الذي أعْتَق به نفسه بعد سنين من إسلامه، وكان الرِّقُ قد حبسه عن حضور «بدر وأحد»، فكانت غزوة «الأحزاب» أول مشاهده، حيث أشار بحفر الخندق، وكان ذلك في السَّنة الخامسة من الهجرة، وقد عاش مسلمًا كريًا، وتُوفِّي مسلمًا كريًا بـ «المدائن» في خلافة «عثمان».

ولقد اتَّخذ الرسولُ عَلَيْكُ في مكة كَتَبَةً يكتبون الوحي قبلَ إسلام سلمانَ بأكثرَ من ١٥ سنة، كما استمرُّوا يكتبون له بـ «المدينة»، ويَزيدُ عددُهم على ٢٠ كاتبًا، ليس منهم سلمان.

فما كان سلمان الفارسي يومًا ما من كتبة القرآن!!.

□ لكنَّ الكاتبَ الجهول «سلمان رشدي»، ما كان له إلا أن يُزِيِّفَ تاريخًا يجهلُه، فلو احتَرَم نفسَه مرةً واحدةً، أو احتَرَم قُرَّاءَه، لَقرأ شيئًا عن تاريخ صَدرِ الإسلام لِيستعينَ به على حَبْكِ روايته.

* فمن جهالات الدجَّال الهندي:

١ ـ أن «خالدًا وسلمان» كانوا من أوائلِ المسلمين بمكة «مدينة الجاهلية»، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

٢ ـ وأن «حمزة» قَتل أخا هندٍ في مكة عندما هاجم هذا الأخير مع زملاء له كُلاً من خالدٍ وسلمان وبلال، فأنقد حمزة إخوته المسلمين من موت محقق (ص١١٨).

٣- وأن "سلمان" كان الكاتب الرسمي للنبي عَلَيْل (ص٣٦٥).

٤ ـ وأن النبي ﷺ كان قد اشترى «بلالاً» وأعتقه (ص١٠١، ١٠١)،
 والصحيحُ أن أبا بكر ولطن هو الذي اشتراه وأعتقه.

٥ ـ وأنه عَقِبَ موتِ النبي ﷺ، خَرَجَت عائشةُ من حُجرتها تقول: «من كان قد عَبَدَ الرسول، فليحزَنوا؛ لأن ماهوند «محمد» مات، ومَن كان يعبدُ اللَّه، فليبتهِ جوا؛ لأنه حيُّ لا يموت» (ص٤٣٩).

□ ثم يُردِفُ الدَّجالُ، بعد ذلك قائلاً: «لقد كان هذا نهاية الحُلم»،
 «حلم جبريل بموت محمد» (ص٣٩٣).

□ والحقيقة أن أبا بكر وظي هو الذي قال عقب موت الرسول وكالله: «أيها الناس، إن مَن كان يعبد محمدًا، فإنَّ محمدًا قد مات، ومَن كان يعبد الله فإن الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا قوله ـ تعالى ـ في القرآن: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرُ الله شَيئًا وسَيَجْزي الله الشَّاكرينَ ﴾

[آل عمران: ١٤٤].

* تزييفُه لحقائقِ الإسلام والتاريخ:

زَيَّف هذا الدجَّالُ الهنديُّ حقائق الإسلام والتاريخ.. وبدأ يوجِّه سِهامَه إلىٰ حقيقة الإسلام الخالدة: «توحيد اللَّه عز وجل »، وخاب إفكه وما افترى، فاسمع إلىٰ دَجَله وكذبِه في حكايته لقصة «الغرانيق» التي نَسفَها حُفَّاظُ الحديث ورجالُه، وفي عصرنا هذا كتب مُحدِّثُ ديارِ الشام «الألباني» درحمه اللَّه د «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق».. فتعال معي:

* صفقة مزعومة بين النبي وأبي سفيان!:

□ يبدأُ الدجَّالُ هذا الجزء من روايته الشيطانية بقول أبي سمبل «أبي سفيان» لأحد خصيانه: «أرسِلْ رسولاً إلى بيت الكاهن «ماهوند»، سوف نُجرِي له اختباراً بسيطًا، مباراةً عادلة: ثلاثةٌ ضدُّ واحد».

الله يتغيّب «ماهوند» على أصحابه: حمزة وخالد وبلال وسلمان، فيَقْلَقون عليه، وعندما يعودُ إليهم يُبادرُه حمزةُ بقوله: «يا ابن أخي، هذا شيءٌ ملعون! عندما تنزلُ من الجبل يكون حولك نور ساطع، أما اليوم، فيوجد شيءٌ مُظلم»! ثم يجلس «ماهوند» على حافّة بئر «زمزم» ويبتسمُ قائلاً: «لقد عُرضت علي صفقة. . فيصيح خالد: من أبو سمبل؟ إن هذا شيءٌ لا يُتصور الفضها. . يستأنف «ماهوند» قائلاً: إنه أمر تافه، حبّةُ رملٍ صغيرة، فأبو سمبل يَسألُ اللّه أنه يَمنحَه امتيازاً وحداً صغيراً».

□ يرىٰ حمزةُ أثرَ الإجهاد عليه، كما لو كان قد صارع شيطانًا، ويَصرُخ السَّقاء «خالد» قائلاً: «لا شيء! ولا ذَرَّةً واحدةً!» يستأنف «ماهوند» قائلاً: «إذا كان إلهنا العظيمُ قد وَجَد في قلبِه أنه إذا تمَّ التسليمُ بأن ثلاثةً ـ ثلاثةً فقط من بين ثلاثمئة وستِّينَ صَنَمًا في البيت ـ هي التي تَستحقُ العبادة». وهناك يَصيحُ بلالاً: «لا إله إلا الله»! ويشاركه زملاؤه في القول: يا الله!

□ ويستأنف «ماهوند»: «إنه يطلبُ موافقةَ اللَّه على: أللات والعزى ومناة، وفي مقابل ذلك يُعطِي الضمانَ بالتسامح الديني، بل وبالاعتراف بنا رسميًّا، ويكون الدليلُ على مصداقية الصفقة أن أُنْتَخَبَ عُضوًا في مجلس

الجاهلية «دار الندوة» . . هذا هو العرش) .

□ ويبدأ التعليقُ من أصحابه، فيقول له سلمانُ الفارسي: «إنها مصيدة! طيلة كم من الزمنِ ونحن نتلو شهادة الإيمان الذي جئتنا به وهو:
 لا إله إلا اللَّه؟! كيف يكونُ حالُنا عندما تتخلَّىٰ عن ذلك الآن؟!».

□ ويقول «حمزة» في قلق: «إنك لم تهتم بارائهم من قبل، فلماذا تهتم بها الآن؟! ولماذا تهتم بها بعد الحديث مع «أبي سمبل»؟!».

□ فيجيب «ماهوند»: «إنكم تعلمون واقع الأمر: لقد فَشِلنا في
 اكتساب مؤمنين، إن الناس لن يتخلّوا عن آلهتهم».

ثم ينهضُ مبتعِدًا عنهم، يغتسل في زمزم للصلاة.

□ ويستأنفُ المناقشةَ بعد الصلاة قائلاً: «ليس المُقتَرَحُ أن يَقْبَلَ اللَّهُ المَّعُ المعبوداتِ الثلاثَ كُفُواً له. . أن يُعطَوا فقط نوعًا من الواسطة . . وضعًا أقلَّ».

□ وهنا يقول له «حمزة»: «يا ابنَ أخي، اصعَدِ الجَبَل، واسأل جبريل». ويصعد «ماهوند» الجبل ويسأل جبريل: «هل يُمكنُ أن نُسمِّي «أللات ومَناةَ والعُزَّىٰ» ملائكةً؟ هل لك أخواتٌ يا جبريل؟ هل هُنَّ بناتُ اللَّه»؟ (ص١١٠٤).

لقد عاد الرسول، لم يذهب هذه المرة إلى زمزم، إنه يَدخلُ خَيمةَ الشّعر «التي يتبارك فيها شعراء الجاهلية»، حيث يَجلسُ «أبو سمبل» سيّدُ قومه أعلى المنصّة، وما إن يرى «ماهوند» حتى ينهض قائلاً له: «مرحبًا! مرحبًا ماهوند العرّاف والكاهن!».

□ ثم يبدأ «ماهوند» حديثه قائلاً: «هذا تَجَمُّعٌ لشعراء كثيرين، ولست أزعم أني واحدٌ منهم، لكني رسولٌ آتي بآيات من الواحد الأعظم. فيقول له أبو سمبل: إذا كان إلهك قد كلّمك حقًا، فيجب أن يستمع إليه كلّ الناس. ثم يَسُودُ صمتٌ يقطعه ماهوند قائلاً: بسم اللّه الرحمن الرحيم، والثريّا إذا هوَت، ما ضَلّ صاحبُكم وما غوى، وما يَنطِقُ عن الهوى، إنْ هو الثريّا إذا هو عن يوحى، علّمه شديدُ القوى، ذو مرّة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى، ثم دنا فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عَبده ما أوحى، ما كذَب الفؤادُ ما رأى، أفتُمارُونه على ما يرى، ولقد رأيتُه مرة أخرى، عند سدرة المنتهى، عندها جنّةُ المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى، ما زاغ بَصَرِي وما طَغى، لقد رأيتُ من آيات الربِّ الكبرى».

□ وعند هذا الحدِّ، وبلا أدنى تردُّد أو ارتياب، يتلو «ماهوند» مقطَعَينِ آخَرَين: «أفرأيتم اللاتَ والعُزَّىٰ. ومَناة الثالثة الأخرىٰ. هُنَّ الطيورُ العُلا. وإن شفاعَتَهُنَّ تُرتَجَىٰ»(١) .

□ وعندئذ تُسمَعُ صيحاتٌ وهُتافٌ وصلواتٌ للمعبودة: «أللات».. ويهتف «أبو سمبل»: «اللَّه أكبر»! ثم يسجد بعدها، وتتبعُه زوجُه «هند».. ويسجدُ الحاضرون جميعًا بين يَدَي النبيِّ الذي اعترف بالآلهة التي تَحمِي مدينة الجاهلية»! (ص١١٣ ـ ١١٥).

□ وهكذا، يعبَثُ الدجَّالُ الهنديُّ بواحدة من أكبر دياناتِ العالَم،
 ديانةِ التوحيد النَّقِيِّ الذي هو سَمتُها المميَّز. . يأتي هذا المَسْخُ محاولاً أن

⁽They are the exalted birds, and their intercession is desired indeed). (1)

يُهاجمُها في أقوىٰ حُصونها مَنَعَةً، وأشدِّ مداخِلِها صَرامةً.. ولكن هيهات هيهات!.

لقد حدث في المؤتمر الثاني للحوار الإسلامي المسيحي، الذي عُقد في قرطبة عام ١٩٧٧، أن ألقى الكاردينال «ترانكون» رئيس أساقفة أسبانيا كلمة الافتتاح، وقال فيها: «إني ـ كأسقف ـ أُودُّ أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان الماضي، كما يريدُ المَجمعُ البابوي منهم، وأن يُعرِبوا عن احترامهم لنبي الإسلام . . إن هذا شيءٌ هامٌّ جدًّا بالنسبة للمسيحيِّ، إذ كيف يستطيعُ أن يُقدِّر الإسلام والمسلمين دون تقديرِ نبيّهم، والقيّمُ التي بَثَّها ولا يَزالُ يبثُها في حياةِ أتباعه؟ .

لن أُحاوِلَ هنا تعدادَ قِيم نبيِّ الإسلام الرئيسية: الدينية منها والإنسانية، فليست هذه مهمتي، وسوف يُلقيها عليكم الأخصائيون واللاهوتيون المسيحيون بالمؤتمر. غير أني أُريدُ أن أُبرِزَ جانبَينِ إيجابيَّينِ -ضمنَ جوانب أخرى عديدة - وهما:

* إيمانُه بتوحيد اللَّه وانشغالُه بالعدالة:

_ أما إيمانه باللَّه الأحد، فهو سمة حياته، إنها أهمُّ عقيدة تركها لأُمَّته.

- وأمَّا دعوتُه إلى العدالة مع شَتَى التطبيقات الدينية والاجتماعية، فهي ما تزالُ قائمةً. بَيْدَ أَنِّي أُودُّ أَنْ أَخُصَّ بالذِّكر دعوتَه إلى سواسية الناس، رجالاً ونساء، وإلى تحقيق العدالة بينهم».

□ إنها واحدةٌ من مشاكلِ البشرية عَبْرَ العصور، أن يوجَدَ أقزامٌ يتطاوَلون على عَمالقةِ الحقِّ والخير والجمال.

□ ولقد كان من سُوءِ حظِّ البشرية أنْ أُعطِيَ هؤلاء ـ وأمثالُهم من صغارِ النفوس ـ حظوظًا من مُختلف الإمكانات، فاستخدَموها في الهدم والتخريب . لقد تحقَّق فيهم المَثلُ الذي ضربه المسيح «مثل الكلاب والخنازير»، حين عَلَّم الناس قائلاً: «لا تُعطُوا القُدْسَ للكلاب، ولا تُطرحوا دُرَركم قُدَّامَ الخنازير لئلاَّ تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزِّقكم» (متى: ٧: ٢).

* النبيُّ في غرفة نوم هند!:

□ يتخيَّلُ الدجَّالُ الهنديُّ أن «هند» زوجة أبي سفيان «أبي سمبل» عَثُرت على «ماهوند» ملقًى في أحد شوارع مكة «مدينة الجاهلية»، فنَقَلَه خَدَمُها إلىٰ غُرفتها، وهناك استردَّ وَعْيَه، وفي هذا يقول: "يستيقظ النبيَّ بين ملاءات من الحرير، وهو يُعاني من صُداع عنيف، في غُرفة لم يَرَها مِن قبلُ. . ثم لا يَلبثُ أن يَتعرَّفَ على صوت هند، فينهضُ وقد وَجَد نفسه عاريًا تحت ملاءة، فيناديها قائلاً: هل تعرَّضتُ لهجوم؟ . . تُصفِّقُ هند بيديها، فيأتي الخَدَمُ بطعام الإِفطار، ويرتدي النبيُّ جلبابًا من الحرير.. تَسخَرُ منه هندٌ قائلة: أيها الرسول! . . يا له من رسول لا يُغازلُ النساء! أما كان في مُقدُّورك الحضور إلى غُرفتي بإرادتك، وأنت في كامل وَعيك؟ بالطبع، كلا، إنى متأكدةٌ أنى كنتُ طَردتُك. . يسألُها النبيُّ: هل أنا سجين؟ فتضحكُ منه مرةً أخرى قائلةً: لا تكن أحمق. . ثم تهزُّ كتفيها استهزاءً وتقول له: كنتُ أتجوَّلُ ليلةً أمس، وقد ارتديتُ قِناعًا، في شوارعٍ المدينة، لأشاهدَ المهرجان، وما كان إلاَّ أن تعثَّرتُ في جسدك فاقد الوعي، مثلَ سكران سقط في بالُوعة، يا ماهوند! لقد أرسلتُ خَدَمي بحَمَّالةٍ

لإحضارك إلى بيتي، فلْتَقُل لي: «شكرًا». فقال لها: شكرًا.. ثم يتذكَّرُ ما حدث ويقول: لقد أُغمى على .

تأتي هند، وتجلسُ على السرير قريبةً منه، وتَمدُّ إصبَعَها في فَتحة الجلباب، وتَضربُ صَدرَه، ثم تُتمتم: أُغمي عليك! هذا ضَعفٌ يا ماهوند. هل ضَعُفتَ؟ ثم تُردِفُ قائلةً له: أنا زوجةُ سيِّد قومه، وكلانا ـ أنا وهو ـ لسنا من أصدقائك، إن زوجي رجلٌ ضعيف، يعلمُ أنَّ لي عُشَّاقًا ولا يفعلُ شيئًا، وذلك لأنَّ رعاية بيوتِ العبادة في أُسرتي: «أللات والعزى ومناة».

وتُقدِّمُ هندٌ للنبيِّ مكعَّباتٍ من البِطيخ، محاوِلةً إطعامَه بأصابعها، لكنه يرفضُ إطعامَها له، ويتناولُ البطيخَ بنفسه.

ثم تستطردُ قائلةً: «بَعل» هو آخِرُ عُشّاقي.. وهنا تلمحُ الغَيظَ في وجهه.. وتقول له: لا بعل ولا أبو سمبل كف ٌ لك، أنا فقط.. أنا عَدلُك وأنا خصمُك.. ثم تقتربُ منه واضعة وجهها أقربَ ما يكون منه، وتقول: إذا كنتَ أنت نائبًا عن الله، فأنا نائبةٌ عن أللات، وهي لن تؤمنَ بإلهك عندما يَعترفُ بها، إن معارضَتها له عنيدةٌ ونهائيةٌ للحرب بيننا، لا تنتهي بهُدنة ـ ويا لها من هُدنة!! ـ إنَّ إلهك رَبُّ متعال، ولا يُوجد لدى أللات أقلُّ رغبةٍ في أن تكونَ ابنتَه، إنها كفءٌ له كما أنى كفءٌ لك.

عندئذ يسألها ماهوند: وبِناءً على ذلك، هو يَخونُ سيِّدُ قومه عهدَه؟ وتجيبُ هند: مَن يدري؟ إنه ضعيف كما أخبرتُك، لكني أَصدُقُكَ القول: لا يمكن أن يوجَد سلامٌ بين اللَّه وهذه الثلاث، أنا لا أُريد ذلك، أريدُ القتالَ حتى الموت، هذا ما أنا عليه. . ثم يرحل النبي» (ص١١٩ ـ ١٢١).

عَبَثُ ما بعده عَبَث، وفجورٌ ما بعده فجور (١) .

وغدًا: ﴿ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

□ وللَّه دَرُّ أحمد يسري حين يقولُ في قصيدته «سلمان والشيطان»:

قُتُسل الكتبابُ ومَن كَتَبْ بالأفكار في صُور الأدب عَينيك يا لَسُوء المُنقَلَبُ كى تُشاركَه اللَّهَبُ ورَمَى خيالَك بالشُّهُبُ إلاَّك مُحْتَىلَّ العَصَبْ في الخَلْق أدنى الرُّنُبُ ولا سَلمْتَ من العَطَبْ وخُنسْتَ تَرْقُبُ عِن كَتُبُ تسعى فيبليك الجرب يُفدري بأُمِّ أو بأبُ للخير في كلِّ الحقَبْ قد كنت يومًا تُنتسب منَ الدِّمـاغ إلى الذَّنَبُ وراح يَسْكُبُ ما سكَبْ

تَّتَ يُسداكَ أبا لَهَبْ يُـوحـى لك الشيـطانُ يَضَعُ الكمامة فوق ويَقودُ خُطُوكَ باعوجاج قَدَحَ الشَّرارَ بعينه طاف البلاد فلم يَجد لا شك أنك عند، سلمان، لا سكمت يداك وَخلَعْتَ دينَكَ ضَلَّةً وهَجَرْتَ أَرْضَكَ مُفلسًا أَيْقَـنْتَ أَنَّ محمـدًا ورأيت فيه نَموذجًا وإلى ديانة أحمد فتَمكَّنَ الشيطانُ منكَّ وتطاولَ القلَمُ اللعينُ

⁽١) مختصر من كتاب «تعدد نساء الأنبياء، ومكانة المرأة في اليهودية والمسيحية والإسلام» للواء أحمد عبدالوهاب (٣٨٩-٤٠٧)، ومن (ص٤٥٥-٤٦٨) مكتبة وهبة القاهرة.

إذن فإسليس السَّبَ وعليهم حَـقُ وَجَبْ وذُق العهذابَ المُرتَقَب يسوم نَشْرك بالغَضَب يَقيكَ منهُ ولا النَّصَبُ أو تُسـاومْ بالذَّهَبْ عذابُ دَهـر تكتّسبُ جلدُ وَجهكَ باللَّهَبُ تحت رجْسلك بالحسطب ومن عذابك لَم تُجَبُ تجنبي من الشوك العنب واستشاطا في الغضب ويُجْملُ في الطلبُ

أتُراك تعلُو بالسِّباب؟ قد خاض قَلْبَكَ عُصبةٌ مُـتُ كلَّ يـوم مـرةً فكتابُكَ المنشـــورُ يُبعَـثُ ويَسوءُ وجهَك لا الصُّراخُ لا تُشـــتري حَرَسًا هنالكَ فبكلِّ حرفٍ في الكتاب وبقَدْر ما انتَسَخوه يُسلَخُ ورفيقُـك الشـيطانُ يَـرمى يَتبراً الشيطانُ منك ذُقُ ما جَنَتْ كفَّاك، لا سلمان والشيطان ضلاً تَعسَ الرِّفاقُ ومَن يناصرُهم

* مفتريات على سلمان الفارسى:

□ يتخيل الدجَّالُ مشهدًا حَدَث في غُرفة «بعل» ـ شاعر الهجاء، وتابع أبي سمبل «أبي سفيان» وزوجه هند ـ، فيقول: «عاد «بعل» إلى غرفته الحقيرة، فوجد فيها شخصًا مُقنَّعًا عاجلَه بضربة أَدْمَتْه، ثم بدأ بعدَها حوارٌ بينهما كشف أثناءَه المقنَّعُ وجهة، فبانت شخصيتُه: إنه سلمان الفارسي! . . قال سلمان لبعل: ماهوند قادم. فارتعد بعل وقال له: إنك واحدٌ من أقرب صحابته. فرد سلمانُ: كلَّما كنت أقرب إلى المُشعُوذ، كلَّما سَهُل عليك صَحابته. فرد سلمانُ: كلَّما كنت أقرب إلى المُشعُوذ، كلَّما سَهُل عليك

كشفُ ألاعيبه»! (ص٣٦٣-٣٦٣).

□ ثم يقول الدجّال: "وحَلُم جبريل بهذا: ظهر جبريل للنبيّ وسط أشجار نخيل الواحة "يثرب"، ووجد نفسه يتدفّقُ بتشريعات تشريعات. بدأ سلمانُ يشكو لبعل ويقول: الوحيُ - القرآن - عَلَم المؤمنَ مقدارَ ما يأكله، وأن الأوضاعَ الجنسية بين الرجل والمرأة كلّها بقبولةٌ، عدا أن تكونَ المرأة فوق الرجل!.

ولقد حدَّد كبيرُ الملائكة ـ جبريلُ ـ الطريقةَ التي تُوزَّعُ بها ثروةُ المتوفَّى، حتى إن سلمانَ بدأ يتساءل: أيُّ إله هذا الذي يبدو كرجلِ أعمال؟!.. وكان ذلك بداية الفكرةِ التي حَطَّمت إيمانَه»! (ص٣٦٤).

□ "ونظرًا لتعليم سلمان الراقي، فقد صار هو الكاتب الرسمي ً
 لاهوند، ومن ثم صار هو المسؤول عن كتابة تلك التشريعات المتكاثرة. وتكلم سلمان عن حَثِّه النبي على حَفْرِ خندق كبيرٍ حول الواحة "يثرب".

وبعد هزيمة الجاهليين، قال سلمانُ لبعل برِثاء: أين التكريمُ الشعبيُّ لي؟! أين اعترافُ ماهوند لي بالجميل؟! لماذا لم يَذَكُرْني كبيرُ الملائكة في رسائله؟! ولا لفظةً واحدة؟!.

ثم اشتكى سلمانُ لبعلٍ من أنَّ وَحْيَ جبريل كان ينزلُ مؤكِّدًا المواقفَ والتشريعات التي يتَّخذُها ماهوند، ولذا بدأ يشُمُّ رائحةً كريهة . . بعد ذلك أخرج سلمانُ زجاجة مُسكرٍ حارٍّ من عباءته، وبدأ هو وبعل يَعُبَّانِ منها عبًّا . . » (ص٣٦٥) .

□ وقال سلمان لبعل: «إن هذا الرجل ـ ماهوند ـ ساحر، لم يَقدر أحدٌ على مقاومة إغرائه . . وعلى أيِّ حال ـ قالها سلمانُ وهو يتجرَّعُ بقيةَ الزجاة ـ

قرَّرتُ أن أختبرَه .

فعندما جلس تحت قَدَمَي محمد ليكتب له الوحي، بدأ يُغيِّرُه خِلسةً. . لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات، وبهذا بدأتُ أُلُوِّثُ كلمةَ اللَّه بكلماتي الدنسة! .

بعد ذلك عَرفتُ أن أيامي في "يثرب" صارت معدودة، فرحلتُ عنها قبلَ الفجر على جَمَلٍ.. ولم يَعُد يُهِمُّني أن أرتبطَ ثانيةً بمدينة الجاهلية "مكة".. إن ماهوند سيعودُ إليها منتصرًا، وأنا أعلمُ أني سأفقدُ حياتي.. " (ص٧٦٧_٣٦٨).

الأسود من أصنام الجاهلية ـ ٣٦٠ صنمًا ـ، جاء الناسُ إليه يُسلِّمون ويُعلِنون: «لا إله إلا اللَّه»، همس ماهوند في أُذُن خالد: شخصٌ واحدٌ لم يأت لِيركع أمامي، سلمانُ، ألم تَجدوه؟!.

وفي اليوم التالي، يُسحَبُ سلَمانُ إلى حَضرة النبيِّ، يُمسكُه خالدٌ من أُذُنه، وقد مَدَّ سِكِينًا على رَقَبته، ويُحضِرُه باكيًا متشنِّجًا: وجدَّتُه أخيرًا مع مومس تصرخُ في وجهه لأنه لم يَدفع أُجرتَها، وها هي رائحتُه نَتِنَةٌ من الخمر.

"سلمان الفارسي"! قالها النبيُّ في بداية نُطقه بالحُكم بإعدامه، لكنْ هذا الأسيرُ يصرَخُ بصوت عال: "لا إله إلا اللَّه"! فَيهُزُّ ماهوند رأسه قائلاً: إن تحريفك يا سلمان لا يمكنُ غُفرانُه: أنْ تَضَعَ كلمتك بَدَلَ كلمةَ اللَّه! يُقسِمُ سلمانُ على تجديد إخلاصه للنبيِّ، ثم يَهمِسُ إليه باسم بعل "وشاية". . وهنا يتدخل بلال لصالحه، فيفعو عنه النبيُّ.

عندئذ يذهبُ خالدٌ للبحث عن بعل : من بيت إلى بيت . . » (ص٣٧٤ ٥٠) .

التقيِّ سلمان الفارسي، لا لسبب إلاَّ لكونه ينتسبُ إلىٰ فارس «إيران للتقيِّ سلمان الفارسي، لا لسبب إلاَّ لكونه ينتسبُ إلىٰ فارس «إيران لحديثة» التي اصطدمت بالغرب كثيراً بعد سقوط الشاه، إضافة لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التي تَعملُ على تفتيت المسلمين تحت مسميّات مختلفة مثل: «عَرَب وعَجَم، سُنَّة وشيعة، وسكفية وصوفية..»، فجاء هذا المسخُ من تشويه لحقائق الإسلام وعَبث بتاريخه، خلطًا للأوراق وجَعْلَها في خدمة السياسة، التي تُعنَى بلغة ميكيافيلي «السفالة والانتهازية».

وقبل ذلك وبعده، تأتي مفتريات هذا الدجَّال على أمين الوحي «جبريل»، وعلى خاتم الأنبياء «محمد رسول اللَّه»، فيسوقُها بلا حساب. ولقد غَرَّته نفسه فاستكبر، وطَفقَ يَسخرُ منهما ومن قول: «لا إله إلا اللَّه»! لقد كَذَبَ وظَلَمَ وأَجْرَم، والحقُّ والعدلُ والتاريخُ يشهدون على أنه لا جريمة بغير عقاب.

* إن له بُشرَىٰ في القرآن، نَزُفَّها إليه وإلى أشياعه الذين يُظاهرونه، بُشرَىٰ تقول فيه وفي أمثاله من مَسْخ البشر الذين يتكرَّرون عبر التاريخ: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئَذَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿ آَتِ ﴾ إِنَّا كَذَلكَ نَفْعَلُ بالْمُجْرِمِينَ ﴿ آَتَ ﴾ إِنَّا كُذَلكَ نَفْعَلُ بالْمُجْرِمِينَ ﴿ آَتَ ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبُرُونَ ﴿ وَتَ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ آَتُ اللّهُ اللّهُ يَسْتَكُبُرُونَ ﴿ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿ آَتَ اللّهُ إِلّهُ اللّهُ عَلَمُونَ ﴾ وَمَا تُجْزُون إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ لَذَائَقُوا الْعَذَابِ الأَليم ﴿ آَتَ ﴾ وَمَا تُجْزُون إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

[الصافات: ٣٣ - ٣٩].

^{*} وماذا عن الماخور؟!:

يَفتريٰ الدَّجالُ كعادته، فيقول عن «مكة» بعد أن فَتَحها النبيُّ،

ودَخَل المكينون في الإسلام: «عاد ماهوند إلى يثرب مع زوجاته، تاركاً المدينة «الجاهلية» تحت إمرة قائد جيشه خالد. فمنذ مُدَّة فكَّر ماهوند في أمر خالد بإغلاق مواخير الجاهلية، إلاَّ أنَّ «أبو سمبل» نَصَحه بألاَّ يُقدم على مثل هذا الإجراء المتهور، فلَفت نَظره إلى أن الجاهليين حديثو عهد بالإسلام: «فلتأخذ الأمور بتأنِّ». ونظراً لأنَّ ماهوند يُعتبر أكثر الأنبياء واقعية، فقد وافق على فترة انتقالية.

ولهذا، اندفع الجاهليون إلى ماخور الحجاب، في غياب النبيّ "في يشرب". ولأسباب واضحة لم يكن من الكياسة أنْ يقف رُوَّادُ الماخور في صفّ طويل في الشارع، وإنما كانوا يكتفُّون حول نافورة الغرام، في الفناء الداخليِّ للماخور، يطوفون حولها، كما يطوف الحُجَّاجُ للسباب أخرى حول الحجر الأسود القديم . كان كلُّ رُوَّادِ الماخور لابسِي أقنعة ، وكان بعل «الزوج الصوري لمومسات الماخور » يُراقبُهم من أعلى .

وبعد مرور سنتين ويوم واحد من ممارسة بعل لحياته الجديدة «ديونًا»، إذا بأحد زبائن «عائشة» يتعرَّفُ عليه على الرغم من تنكُّره، قائلاً: «إذَنْ، هذا هو المكانُ الذي آواك»! لقد كان هذا سلمان الفارسيَّ، الذي دعاه بعل عقب ذلك - إلى رُكن، وقدَّم له زجاجةً من النبيذ. قال سلمانُ: «لقد جئتُ إلى هنا، لأني تاركُ نهائبًا هذه المدينة اللعينة، ولهذا أردتُ أن أستمتع بلحظة من المتعة بعد كلِّ تلك السنين الخرَّاء! لقد قرَّرتُ أن أرحلَ إلى وطني . إني راحلٌ غدًا دون أدنى تأخير»! (ص٣٨١، ٣٨٥).

* مُفتَرَياتٌ حولَ موت النبي ﷺ !:

النبيِّ، ويَنسبُه لحُلْم اعترىٰ جبريل، فيقول: «جاءت الأخبارُ أنَّ النبيَّ النبيِّ، ويَنسبُه لحُلْم اعترىٰ جبريل، فيقول: «جاءت الأخبارُ أنَّ النبيَّ ماهوند قد أُصيب بمرض عُضال، وأنَّ رأسه بها دَقُّ ثقيلٌ كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين!.

وهذا ما حَلُم به جبريلُ حَول موتِ ماهوند: عندما بَدَأَت رأسُ الرسول تُوجِعُه بآلام لم يَعْهَدُها من قبلُ، أدرك أنها النهاية . . ثم صرخ قائلاً: من هناك؟ هل هو أنت يا عزرائيل؟! .

لكن «عائشة» سمعت صوتًا مرعبًا لامرأة تقول: لا يا رسول الله، إنه ليس عزرائيل!.

وعاد ماهوند يَسأل: هل هذا المرضُ منكِ يا أللات؟ .

فقالت: إنه انتقامي منكَ، وهو يُرضيني. ثم خَرَجت تلك المرأةُ المتكلِّمة. وتمتم الرسولُ: ومع ذلك، فإني أشكرُكِ أيتها أللاتُ علىٰ هذه المنحة!.

وما هي إلاَّ لحظات، حتى مات» (ص٩٩٣ـ٣٩٤).

* أما بعد . .

أماً وقد تَردَّتِ الأمورُ إلى هذا الحد، فلم يَعُدُ هناك من حديث إلاَّ اللعنة، نَصُبُّها على هذا الدجَّال الهندي من «الكتاب المقدَّس»، فلعلَّ حُماتَه من «أهل الكتاب» يُفيقون قبلَ أن تدركهم، لقد كان تعليمُ نبيِّ اللَّه داود أن نقول في مثل هذه المواقف: «يا إله تسبيحي لا تسكت؛ لأنه قد انفتح على

فم الشرير وفم الغُش، تكلَّموا معي بلسان كذب، بكلام بُغض أحاطوا به، وقاتَلوني بلا سبب . .

فأقم أنت عليه شريرًا، ولْيَقِفْ شيطانٌ عن يمينه، إذا حُوكم فلْيَخرجْ مذنبًا، وصلاتُه فلْتكُنْ خَطِيَّةً، لَتكُنْ أَيَّامُه قليلةً، ووظيفتُه ليأخْدها آخَرُ، ليكنْ بَنُوهُ أيتامًا، وامرأتُه أرملةً، ليته بنوه تيهانًا، ويستعطُوا، ويلتمسُوا خُبزًا من خربهم، ليصطد المرابي كلَّ ماله، ولْيَنْهَب الغرباءُ تَعبه، لا يكن له باسطُ رحمة، ولا يكنْ مُترأفٌ على يتاماه، لتنقرضْ ذُريَّتُه في الجيل القادم، ليمْحَ اسمُهم، ليُذكر إثمُ آبائه لدى الرب، ولا تَمحُ خطيَّة أُمّه، لتكنْ أمام الربِّ دائمًا، ولْيُقْرَضْ من الأرض ذِكرُهم.

أَحَبُّ اللَّعنةَ فَأَتَّه، ولم يَسِرْ بالبركة فتباعَدَتْ عنه، ولَبسَ اللَّعنةَ مثلَ ثُوبه، فدَخَلت كمياه في حَشاه. لتكن له كثوب يتعطَّفُ به، وكمنطَقة ينتطقُ بها دائمًا» (المزمور: ١٠٩).

إنها حقًّا روايةٌ شيطانية، كتبها حشَّاشٌ في ماخور، أصيب بانفصام الشخصية، فصار يتردَّدُ بين القرد والحشَّاش. فحينَ ينظرُ في مرآة رأسية المامَه، فإنه يَهذي ويَشتدُّ هُراؤه، وحين ينظرُ في مرآة أُفقية أسفلَه، ينعكسُ أقبحُ ما فيه، فيَهيجُ ويشتدُّ جُنونُه، إنَّ قُبحَه يتضاعَف: قبحُ وجهه يُغذِي قُبحَ مؤخِّرته، وقبحُ مؤخِّرته يُغذِي قُبحَ وجهه، تمامًا كدائرة راديوية تعملُ في حالة رنين. قبح إلى ما لا نهاية (۱) .

* «سلمان رشدي شيطانٌ من شياطين الإنس، مِمَّن نَجِدُ لعنَـهُ في

⁽١) «تعدد نساء الأنبياء» (ص٥٥٥ ـ ٢٦٨).

قول اللَّه في القرآن العظيم: ﴿ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِي عَدُواً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ [الانعام: ١١٢].

"لقد أَحَبَّ اللعنة فأتَتْه، ولم يَسرْ بالبركة فتباعدَت عنه" ـ كما قال داود ـ ، "ولكلِّ امرئ ما نوى"، فكان هذا عدُوًّا لَخاتم النبيين، لقد قادته نيَّته السيئة إلى المهالك، إذ أراد أن يشتري الشُّهرة والمالَ بأيِّ ثمن، فدمَّر نفسه تدميرًا، ولكن: "ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو رَبِحَ العالَمَ كلَّه وحَسِرَ نفسه؟!" ـ كما قال المسيح ـ .

* لقد اختار طريق اللعنة، فتهيَّأت له أسبابها، صار الشيطانُ له قرينًا، ﴿ لَهُ مُ أَنَّا مُرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿ إِنَّهُ فَلا تَعْجَلُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴾ [مريم: ٨٣-٨٤].

وعندما نَقتبسُ ما جاء في الإنجيل عن إنسانِ الخيانة نقول: لقد دخل الشيطان في سلمان رشدي، وهو كان معدودًا من جُملةِ المسلمين. فمضى وتكلّم مع رؤساءِ الكفرِ كيف يُنفّذُ مؤامرتَهم، ففرحوا وعاهدوه أن يُعطُوه مالاً وشُهرةً، فواعدهم، وكان يَطلُب فرصة أَنْ يُتِمَّ روايته الشيطانية، فيُفرغَ فيها كلَّ سُمومِه وسُمومِ المتآمرِين.

ولقد قام الخائنُ بتنفيذِ الدَّورِ المرسومِ له تمامًا، فاستحقَّ من سادتِه قَبْضَ الثمن: أموالاً وشُهرةً وإعلانَ حِمايةٍ، كما لو كان واحدةً من المستعمرات السابقة.

□ ولكن ـ كما قال المسيح ـ: «ويلٌ لذلك الرجل . . كان خيرًا لذلك الرجل لو لم يولد» .

* الدُّجَّالُ الهندي يسيرُ على خُطا الدَّجَّالِ اليوناني:

أخرج الدجالُ الهنديُّ سلمان رشدي روايتَه الشيطانية لأولِ مرةٍ في عام ١٩٨٨، تَطعنُ في محمدٍ رسولِ الإسلام، وتُوجِّهُ للمسلمين أفظعَ الإهانات.

ولقد شهد نفسُ العام ـ ١٩٨٨ ـ حَدَثًا آخرَ له نَفسُ الأسلوب والمحتوى والأهداف، وهو إخراجُ فيلم: «التجربة الأخيرة للمسيح»، يَطعنُ في عيسى رسول المسيحية، ويُشوَّهُ سلوكياته، وأكثرُ من هذا أنه يُمجِّدُ تلميذَه الخائن «يهوذا».

ويُظهرُه في شكلِ بطلٍ غَيُور، يَتَّهمُ مُعلِّمَه بالخيانة!.

لقد صَفَق كثيرٌ في الغرب وما يزالون عندما سَمعوا عن مضمون رواية الدجّال الهندي وطَعْنها في الإسلام ونبيّه، وهاجت قُطعانٌ كثيرةٌ تَطلُبُ حمايتَه باعتباره مُنقِذًا لهم من خطر متوهّم للإسلام، يُعشّشُ في عقول الحمقى منهم والجهلاء، ونسُوا أو جهلوا في غَمْرة مَوْجات الجنون التي تُمثّلُ ظاهرة دوريّة تعوّدنا على ظهورها بين الحين والحين وأرسول المسيحية المعبود، قد تحوّل في هذا الفيلم إلى عربيد زانٍ ضعيف، خدّعه الشيطان!

* فيلم «التجربة الشيطانية»:

أُخرِج الفيلم عن رواية الكاتب اليوناني «نيكوس كازانتزاكس»، التي صَدَرت عام ١٩٥٥، وكانت من أكثرِ الكُتُبِ رَواجًا، وقد صَدَر ضِدَّه قرارٌ بالحِرمانِ من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية.

□ تقومُ أحداثُ الفيلم ـ كما تقول مجلة «تايم» ـ على «أنَّ «يسوع» إنسانٌ كامل وإله كامل، وقد أظهَرَه علمُ اللاهوت المسيحي على أنه متحرِّرٌ من الخطيئة، لكنه مُعرَّضٌ لكلِّ الإغراءات ـ بما فيها إغراءاتُ الجِنسَ ـ.

□ وعلى خطى «كازانتزاكس» - المؤلف - ، فإن «سكورسيس» - المخرج - أظهر «يَسوع» كإنسان ضعيف متردد، متعاون مع الرومان، إذ يَصنعُ لهم صُلبانًا (١٠) ، يَعدمون عليها الثُّوَّارَ اليهود».

□ أما صاحبُه «يهوذا»، فهو مقاوِمٌ للاضطهاد الروماني، لا يُعجِبُه سلوكُ يسوع، فيوبِّخُه بعنفٍ قائلاً: «أنت متعاونٌ معهم! يهوديٌّ تصنعُ صُلبانًا لهم»!.

يَعتريه كَربٌ عظيم، فيَهيمُ على وجهِه حتى يقفَ أمام باب، وهناك يَجدُ حَيَّتينِ متشابكتَينِ ـ إحداهما سوداء، والأخرى بيضاء ـ .

وخَلْفَ الباب يكتشف ماخورًا، تُمارِسُ فيه «مريم المجدلية» الدعارة، يَطلبُ منها المغفرة، ثم يَسقُطُ في الإِثم! .

ويصيحُ قائلاً: «يا إلهي، أنا ابنُ الخوف^(٢) »!.

وفيما بعد، أمام المنافقين البرجوازيين «من الكتبة والفريسيين»، يُنقِذُ «مريم المجدلية» من الرجم، قائلاً: «ومن هو الذي لم يُخطِئ أبداً؟!»(٣) .

⁽١) كان المسيح نجارًا: «كثيرون إذ سمعوا بهتوا قائلين: أليس هذا هو النجار ابن مريم، وأخو يعقوب ويوسئ ويهوذا وسمعان» ـ «إنجيل مرقس ٦: ٢ ـ ٣».

⁽Mon Dieu, je suis le fils de la peur)!. (Y)

⁽٣) يشير إلى قصة المرأة الزانية التي أحضرها له شيوخ اليهود للرجم فقال لهم: «من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر» ـ «إنجيل يوحنا ٨: ٧».

ثم يرحلُ إلى الصحراء للتأمُّل.

وهناك تجربةٌ حيَّةٌ، ويَتحدَّثُ معه أسدٌ، ويَسيلُ الدمُ من شجرةِ تفاحٍ عندما يأكلُ منها، وتَظهَرُ بَلْطَةٌ في الرمل.

مِن الآن فصاعدًا، يُبشِّرُ بالحرب. . وأمامَ تلاميذه يُدخِلُ يَدَه في صدره وينتزعُ قَلبَه، ويُريه لهم بإعجاب! ويصيرُ إلهَ الحرب! .

وفي فَزعِهِ مِن فَرْطِ قُوَّته: يُقيم «لعازر» من الأموات.

إلاَّ أنه يبقى قَلِقًا ومُشوَّشَ الفكرِ فيما يتعلَّقُ برسالتِه وحقيقة مهمَّتِه، وفي إحدى الليالي، على جبل «الزيتون»، يُحرِّض يهوذاً - أفضلَ أصحابه على خيانته من أجل تنفيذِ خُطةِ اللَّه!.

يقول يسوع ليهوذا: «افعلها من أجلي! فيجيبه يهوذا: لا أستطيع. فيُلحُّ عليه قائلاً: افعَلْها، من أجل الحبِّ»!.

يفعلها يهوذا، وتسيرُ الأحداثُ حَسْبَ رواياتِ الأناجيل، حتى يُعلِّقونه على الصَّليب، وهناك في لحظة تفكيرٍ حالِم يَظهرُ يسوع وهو يمارِسُ الجنس مع مريم المجدلية!.

وعندما يُشرِفُ على الموت، تتراءى له فتاةٌ صغيرة، لعلَّها ملاك!! إنها تطلبُ منه أن يَنزِلَ وتقول له: لقد عانيت كثيرًا، إنك لست المسيح.

وبطريقة خَفِيَّة يَنزلُ من على الصليب، ويرتحلُ تُجاهَ واد أخضرَ نَضرٍ، هناك يُمارسُ الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوَّجان.

وبعد موتها يتزوَّجُ مريم أخت لعازر ـ الذي أقامه مع الأموات ـ، ثم يزني بأختها «مرثا»! .

ثم يرى يسوعُ «بطرس ويوحنا ويهوذا» قادمين إليه، فيسبُّه يهوذا قائلاً: «أيها الخائن! لقد طلبت منِّي أن أبيعَك، لكنك لم تَمُتْ على الصليب، إن الفتاة الصغيرة التي تراءت لك، لم تكن ملاكًا، إنها شيطان»!(۱).

يتوسَّلْ إليه يسوعُ مرةً أخرى، إنه يريدُ العَودةَ إلى الصليب، وهناك يوت! (٢) .

وهكذا عُبَثوا بالمسيح.

□ لقد احتوت القصَّةُ الأصليةُ على عباراتٍ قَذرةٍ، مثلِ قول يسوع وحاشاه ـ لمريم المجدلية «الإله ينامُ بين فَخَذَيْكِ» (٣) وحَذَفوها من الفيلم .

□ واحتوى الفيلمُ على عبارات فظيعة وردت على لسان يسوع، مثل قوله: «إني كذَّاب، إني مُنافق، إني خائفٌ من كلِّ شيء، إنَّ الشيطانَ في داخلى»(١).

□ ومع ذلك، فقد وُجد مَن يدافعُ عن الفيلم - بل ويَشيدُ به -، ليس فقط من بين المنحرفين من عامَّةِ الشعب، بل وأيضًا من بين المنحرفين من رجال الكنيسة!.

⁽Traitre! Tu m'as demande de te vendre, et tu n'est pas mort sur La (1) Croix! La petite file n'etait pas un ange, mais Satan)!.

TIME; NEWSWEEK; U.S. NEWS& WORLD REPORT; PEOPLE; (Y) THE NEW REPUBLIC; PAENERE. (1988).

⁽God sleeps between your legs). (*)

⁽I am a liar. I am a hupocrite. I am afraid of everything. Lucifer is in-(£) side me).

الفيلم قائلاً: "إنه صحيح من الناحية اللاهوتية، وعلى الرغم من أن ممارسة الفيلم قائلاً: "إنه صحيح من الناحية اللاهوتية، وعلى الرغم من أن ممارسة "يسوع" للجنس مع مريم المجدلية، قد يؤذي مشاعر البعض، فيجب علينا أن نتذكّر أنه حُلْم، وأنه ليس إلا صورة أخرى ليسوع، وعملاً فنيّا يؤكّد على جوانب معيّنة من شخصيته»!.

إن الناس اليوم ـ يا جَنَاب الأسقف ـ ، يعيشُون حقًّا عالَمَ الهلوسة! .

□ كذلك قال القس «وليام فور» ـ من «المجلس الوطني للكنائس» ـ: «إنه يَرىٰ الفيلم: «محاولةً أمينةً تحكي قصةً «يسوع» من منظورٍ مختلف»! .

□ وقال القسُّ اللوثري «تشارلز برجستروم»: «لا يمكنُ اعتبارُ هذا الفيلم تجديفًا أو هجومًا على الأسفار المقدَّسة».

□ وقال الأسقف «أنتوني بوسكو» ـ من «المجلس الوطني للأساقفة الكاثوليك» ـ: «إن مُعاداةَ السامية، والكراهيةَ التي سَبَّبها هذا الفيلم، يُصعبُ أن تُرضى قلبَ المسيح»!.

وه حقًا أيها «الأتقياء» من رجال الكنيسة، لقد اغتيل الحقُّ باسم الحب، وأنتم على ذلك من الشاهدين، بل ومِن المباركِين! فباسم الحب يُرتكبُ اليوم كل الموبقات.

* بين شيطانيًاتِ الهندي. . واليوناني!:

صَدَرت رواية الدجَّالِ اليوناني «نيكوس كازانتزاكس» عام ١٩٥٥ تحت اسم: «التجربة الأخيرة للمسيح»، وهي تعني التجربة الشيطانية الأخيرة التي تَعرَّض لها المسيح، وانتهت ـ حَسْبَ زَعْمِه ـ بسقوطِ المسيح في

الخطيئة، بعد أن استحود عليه الشيطان، وأخضعه لسلطانه!.

وبعد ٣٣ عامًا، صَدرت روايةُ الدجَّال الهندي «سلمان رشدي» ـ عام ١٩٨٨ ـ تحت اسم «مقاطع شيطانية»، وهي تزعمُ أن للمَقْطَعَين ـ على شاكلة سَجْع الكُهَّانِ وسَدَنَة الأصنام ـ قد نَفَتَهما الشيطانُ أثناء قراءة النبيِّ محمد لإحدى سُور القرآن ـ سورة «النجم» ـ، وكصَفقة شيطانية بين النبيِّ وأبي سفيان، تُمجِّدُ ثلاث معبودات وثنيةً هي: «أللات، وألعزى، ومناة»، وهذا يعني ـ حَسْبَ زَعْمه ـ أن النبيَّ محمدًا استحوذ عليه الشيطانُ يومًا ما، وأخضعه لسلطانه!.

ذلك هو الفكرُ العامُّ الذي تتضمَّنُه كلُّ من الروايتين، ولَمَّا كانت الأولى قد سَبَقتِ الثانيةَ بدَّةِ ثُلُثِ قَرْنٍ، كان الانطباعُ العامُّ هو أن الثانيةَ قد جاءت كسَرقةٍ أدبيةٍ من الأولى.

وإذا تعمَّقْنا قليلاً في دراسة البِنية الأساسية لكِلا الروايتين، تَبيَّنَ لنا صدقُ القول بأن الهنديَّ سرَق من اليوناني.

□ لقد لَخَّص الناقد «جان لوقا سابلون» حقيقة التجربة الأخيرة للمسيح، بقوله: «هل هي حُلم؟ أم تقلُّص الزمن؟ أم خيال؟.. اللَّه والشيطان شيء واحد»!(١).

وتلك هي حقيقةُ رواية «مقاطع شيطانية»، فلقد هَرَب الدجَّالُ الهندي من الجِدِّ إلى اللهو والعبث، وذلك باللجوء إلى الأحلام والتخيُّلاتِ التي ازدَحَمَت بها روايته، وهو قد اعترف بذلك صراحةً في مِثل قوله: «لقد

⁽Reve? Contraction du temps? Fantasme? Dieu et le diable sont un). (1)

بَدَأَتِ الأحلامُ في نفسِ الليلة، وفي تلك الرؤىٰ كان حاضرًا دائمًا، ليس كذاتِه، بل كسميّه. . أنا هو، وهو أنا، أنا كبيرُ الملائكة الدَّمَوي، جبريل نفسه»! (ص٨٣).

«وهذا ما حَلُم به جبريل» (ص٣٦٣).

«حَلُّم جبريلُ بالحجاب» (ص٣٧٦).

«حَلُم جبريل بموت بعل» (ص٩٩).

«حَلُم جبريل بموت ماهوند» (ص٩٩٣).

□ واستَخدم الهنديُّ فكرةَ تقلُّصِ الزمن ـ كما ذكرنا سلفًا ـ مستعينًا بتناسُخ الأرواح، والولادةِ مرةً ثانية، وممارسةِ الرُّوحِ لحياةٍ ثانيةٍ يَفصِلُها عن الحياةِ الأولى مُدَّةٌ زَمَنيَّةٌ كبيرة.

□ وإذا كان الإغريقي ُقد وضع على لسان المسيح قوله عن نفسه: «إني كذاب. . إن الشيطان في داخلي»! .

□ فلقد و ضَع الهندي على لسان النبي قوله: «عندما يأتي جبريل أشعر
 كما لو أنه يأتي من أعماقي، من نفسي»! (ص١٠٦).

وإذا كان الإغريقيُّ قد أشار إلى أنه عندما تختلطُ الأمورُ على صاحب الرسالة المسيح ـ يكون اللَّه والشيطانُ واحدًا ـ حَسْبَ مزاعِمه المضلِّلة ـ!! فإنَّ الهنديُّ اقتبَس تلك الفكرة، ووَضَعها في مناقشة صحابة النبيِّ للصفقة المزعومة مع أبي سفيان حول وَضْع معبوداتِ الجاهلية الثلاث: «أللات، وألعزى، ومناة»، فهو يَزعُمُ أن النبيُّ كان يُبرِّرُ قبولَه للصفقة: بأن تلك المعبوداتِ الثلاث لن يكنُ كُفُوًا للَّه، وغايةُ ما في الأمر أن يكون لهنَّ نوعٌ من الوسيلة إليه، أي يكنَّ ذات وضع أقلَّ!.

□ وهنا يصرخُ بلال: «مثِلُ الشياطين! فيقول له سلمان، لا، بل مثلُ ملائكة الطبقة العُليا».

الله فيُعقِّبُ النبيُّ بقوله: «ملائكة وشياطين، شيطان وجبريل، إنَّنا جميعًا نَقبَلُ بوجودهم بين اللَّه والإنسان»! (ص١٠٧).

□ (وعندما يستردُّ النبيُّ وَعْيَه، فإنه يصرخُ بكلِّ قوَّته، ويقول: (إنه الشيطان! في المرة الأخيرة، كان شيطانًا! . . لقد انخدَع وعَرَف أن الشيطان جاءه على هيئة كبيرِ الملائكة، وأنَّ المقاطعَ التي تلاها في خَيمة الشِّعرِ كانت شيطانيةً، فيعودُ إلى مدينة الجاهلية بأسرع ما يكون، قاصداً بيتَ الحَجرِ الأسود، ويقفُ أمامَ التماثيلِ الثلاثة، ويُعلِنُ مَحْوَ تلك المقاطع التي هَمسها الشيطانُ في أذنه» (ص١٢٣ ـ ١٢٤).

□ ولقد تكلَّم نُقَّادُ فيلم «التجربة الأخيرة للمسيح»، عمَّا به من أخطاء عقائدية من وجهة نظر المسيحية، فقالوا: «إن تصوير المسيح وهو يلتقط أقذارًا وأحجارًا ويقول: هذا هو دَمِي أيضًا، فإنَّ هذا يَجعلُه مؤسس عقيدة وحدة الوجود، «التي تقول بأن اللَّه والطبيعة شيءٌ واحدٌ»، كما أنه مؤسس للمسيحية».

□ كذلك التَقَطَ الهنديُّ هذه الفكرة، ونَسَج على منوالها، فاخترع مشهدًا يزعمُ فيه أنَّ النبيَّ صَعِدَ الجبلَ ليسألَ كبيرَ الملائكة «جبريل» في موضوع المعبودات الثلاث، وأنَّ جبريلَ عندما رآه يَصعَدُ صار يرتجفُ ويتمنَّى لو أن النبيَّ لم يَحضُرْ إليه، ثم يُحدِّثُ نفسَه قائلاً: «إنه يأتي إليَّ من أجلِ الوَحْي، يَطلبُ منِّي أن أختارَ بين أن يكونَ مؤمنًا بالإله الواحد «موحِّدًا حقيقيًا»، أو مؤمنًا بالإلهِ الواحدِ مع عبادةِ آلهةٍ أخرى «موحِّدًا

مزعومًا»..» (ص٩٠٩).

□ ولقد استخدم اليونانيُّ فقرات من الأناجيل، استنبط منها حينًا، ما استهواه خياله، واستَخدَمَ لفهمها وأحيانًا وتفاسيرَ منحرفة وروايات منحولة، أوقعته في هذه الضلالات.

فمثلاً: تذكرُ الأناجيلُ المتشابهة «متَّى ومُرقس ولُوقا» أنَّ الروحَ أخرج المسيحَ إلى البرِّيَّة، وهناك جَرَّبه الشيطان، وبعد أن اجتازَ التجاربَ بسلام، «تركه أبليسُ، وإذا ملائكةٌ قد جاءت فصارت تخدُمه متى ٤: ١١».

□ إلا أن «لوقا» خَتَم حديثه عن تجربة الشيطان للمسيح بقوله: «ولَمَّا أكملَ إبليسُ كلَّ تجربة ، فارَقَه إلى حين - ٤: ١٣ ».

إن هذا يعني بداهةً أنَّ للشيطان عودةً أخرى لتجربة المسيح، وكان هذ هو ما استثمره اليونانيُّ في روايتِه «التجربة الأخيرة للمسيح»، إلاَّ أنه ضَلَّ في روايته لتلك التجربة التي اعتَمد فيها على تفسيرات خاطئة وروايات متهرئة.

كذلك يُقرِّرُ إنجيل «يوحنَّا» أن «يهوذا» كان أمينًا للصندوق (١٣: ٢٩)، ولهذا وصفه اليونانيُّ بأنه «أفضلُ أصحاب المسيح»، وصورة في صورة يهوديِّ حريصٍ على الإسرائيليين أكثر من حرصِ المسيح نفسه.

□ وكذلك يَذكرُ إنجيل «يوحنّا» أنه في العَشَاء الأخير، قال المسيح ليهوذا: «ما أنت تعملُه، فاعْمَلْه بأكثر سرعة، وأمّا هذا فلم يَفهَمْ أحدٌ من المتّكئين لماذا كلّمه به ١٣٠: ٢٧ ـ ٢٨».

□ من هنا قال اليوناني تُـ وغيرُه من المدافعين عن يهوذا -: «إن المسيح كان يرجوه أن يَخونَه لكي يقبضوا عليه ويقتلوه صَلْبًا، بزَعم أن تلك كانت

خُطةَ اللَّه لخَلاصِ العالَم من الخطيئة»! .

ولقد كان هذا ما فَعَله الهنديُّ في سَيرِه على خُطى اليونانيِّ، إذِ اعتَمَد في حديثه عن المقاطع الشيطانية، على روايات متهالكة قامت على تفاسير منحرفة لبعض آيات القرآن، مثل قول اللَّه لنبيه: ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كَدتَّ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿ إِذَا لاَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٤-٧٥].

إِنَّ الفهمَ اللَّغوي لهذه الآيات ليس في حاجة إلى خَلْفيَّة عِلميَّة أو تاريخية بما كان بين هؤلاء ـ المشركين الذين تحدَّث عنهم القرآن ـ وبين الرسول، فالآيةُ الأولى تؤكِّدُ بوضوح أن اللَّهَ ثَبَّته، وبالتالي لم يَركَنْ إليهم . والآيةُ الثانيةُ تُبيِّنُ أنه لو فَعَل وركَن إليهم ـ ولو شيئًا قليلاً ـ، لكان عَذابُه مضاعَفًا.

إِنَّ القضية واضحة مامًا، لكن هناك من تعامَوا عن صدر الآية الأولى، ووقفوا يَنظُرون إلى بعض بقيَّتها نَظر مَن يريدُ وقوع المنفي وقوعه، فاخترعوا روايات باطلة لا تصمد أمام التمحيص العلمي ساعة من نهار، وليس معنى ركون الرسول إلى المشركين لو وقع أن يأتيهم بقرآن من عنده ليرضيهم افتراء على الله، وكيف يكون هذا، والله يُحذّر المؤمنين من الركون إلى الظالمين، في قوله: ﴿ وَلا تَرْكُنُوا إِلَى اللَّه يَالَدِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم من دُونِ اللَّه من أولياء ثم لا تُنصَرُون ﴾ [مود: ١١٣]؟!.

فالركونُ إليهم، يعني لغةً موالاتَهم، أو القعودَ عن مجاهدتهم، أو الاعتمادَ عليهم.

الله وأخيرًا، نلاحظُ أن اليونانيَّ قد استَخدم النساءَ في حياةِ المسيح أسواً استخدام، وعلى خُطاه سار الهنديُّ عاريًا، مجرَّدًا من كلِّ سِترٍ أو حياء.

ولَمَّا كانت روايةُ «التجربة الأخيرة للمسيح» من أكثرِ الكُتُب رواجًا عندما صدرت عام ١٩٥٥، فقد سال لُعابُ الدجَّالِ الهنديِّ أن يكونَ لروايته الشيطانية مثلُ ذلك الرَّواج، ولَمَّا كان يَعلمُ في قرارة نفسه أنه كاتب مغمور فاقدُ الموهبة، فلم يَجِدْ له من وسيلة سوى إرضاءِ المزاج الغربيِّ الذي تَربَّى على الخوف من الإسلام والطعن في نبيه وكتابه وكراهية المسلمين - كما قرَّ ذلك بحق «برنارد شو» قبل خمسين عامًا -، وذلك بترديد أكاذيب بالية عن القرآن، والخوض في مطاعن قدية حول تعدُّد زوجات الرسول، وكلُّها من الموضوعات التي قُتلت بحثًا وتفنيدًا، ولم يَبقَ فيها مزيدٌ لمستزيد.

انظر! هذا جديد، إن وُجد شيءٌ يقال له: انظر! هذا جديد، فهو منذ زمانٍ كان في الدهور التي كانت قبلنا ـ سفر الجامعة ١: ٩ ـ ٠١».

□ وأخيرًا، نقول: إنه ليس عجيبًا أن تَصدُرَ هذه الأساطيرُ الشيطانيةُ عن بعض مَن ينتسبُ إلى الهند أو اليونان.

اقرؤوا التاريخ القديم ـ إن شئتم ـ، واقرؤوا مِن أين جاءت مِثلُ هذه الأساطير (١) .

* مُحاكمة سلمان رُشدي، والحكم بردَّته، وحَدُّ المرتدِّ القَتلُ:

□ نقول لأهل الكتاب: نحن نعلمُ أنَّ سلمان رشدي دَجَّالَ الهِندِ مرتدُّ، وحَدَّه القتل في شريعتنا الإسلامية؛ ولكنْ نُطالِبُكم بمحاكمتِه وفق (١) «تعدد نساء الأنياء» (ص٤٦٩ ـ ٤٨٠) ملخصًا.

نصوصِ كتابكم، فلقد طَعَن في الإله والملائكة والنبيِّين، وكان لأمين العرش جبريل وأبي الأنبياء إبراهيم النصيبُ الأكبرُ من السخرية والشتائم والإهانات، وباختصار لقد جَدَف على المقدسات، فماذا أنتم قائلون في جرائمة بالنسبة للمقدَّسات عندكم، وها هي جرائمه.

* جرائم الدُّجَّال سلمان رشدي:

ا - السخريةُ من الإله ومن خَلقه البشر ذَوِي خيالٍ وأحلام، وذلك في قوله: «لو كنتُ اللَّهَ، لأبطلتُ الخيال فورًا من أذهان الناس، وآنذاك قد يستطيعُ أولادُ الزِّنا المساكينُ مِثلي أن يَحصُلوا على قِسطٍ طيِّبٍ من الراحة بالنوم بلا أحلامٍ بمضاجعةِ الأمهاتِ ليلاً»! (ص١٢٢).

٢ - الحديث عن اسم الله بسخرية وتهكم، إذ يقول: «يوجَدُ إلهٌ يُسمُّونه هنا: «اللَّه»، الذي يعني ببساطة: الإله، وإذا ما سألت الجاهليِّن عنه، فسيعترفون بأنَّ هذا الشخص له نوعٌ من السُّلطان الكُلِّي، إلاَّ أنه لا يتمتَّعُ بحَظوة كبيرة بينهم، فهو إلهٌ يقومُ بكلِّ الأدوار في زمنِ التماثيلِ المتخصّصة»! (ص٩٩).

وجدير بالذّكر أنَّ لفظ الجلالة «اللَّه» - بهذا النطق الصوتي «ALAH» كما في العربية - هو ما ذَكره عالِمُ اللاهوت الدكتور «سكوفيلد» في الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدَّس الإنجليزي «ENGLISH BIBLE» - بمعاونة ثمانية من العلماء حَملة الدكتوراة في اللاهوت -، وذلك في تعليقه على العدد الأول من «سِفْر التكوين» الذي يقول: «في البَدْء خَلق اللَّه(۱)

The three primary names of Diety: Elohim, Jehova, and Adoni, and (1)

السموات والأرض»، وللأسف، فإنَّ الطبَعات التاليةَ لتفسير «سكوفيلد»، قد حَذفت كلمة «ALAH»، حتى لا يُدرِكَ عامَّةُ المسيحيين أن عليهم أن يعبُدوا الإلهَ الذي يَعبُدُه المسلمون، ويعرفونه باسم «اللَّه».

٣ ـ الاستهزاء بالملائكة، والسخرية من تطويع الله لهم بكلمات معسولة ووعود براقة . فهو يقول: "وماذا عن الحالة الملائكية؟ هي وضع وضع بين الألوهية والإنسية، ألم يعترهم الشك أبدًا؟ بلي، فقد حدث ذات يوم أن اعترضوا على إرادة الله، حيث تواروا تحت العرش متذمرين، ومتجاسرين على التساؤل عن أشياء محظور السؤال عنها: هل من الصواب أن . . ؟ . . فكان طبيعيًا أن يُهدِّئ الإله من تذمرهم مستخدمًا مهارات الإدارة الألهيّة، فلقد أشبع غُرورهم بقوله: "ستكونون وسائل تنفيذ إرادتي في الأرض، وأدواتي لخلاص الإنسان وهلاكه، وكلِّ الهلم جرًّا المعتادة»! وآنذاك: هُتافاتُ فرح سريعة، ونهايةٌ للاحتجاج، وعَودةٌ ثانيةٌ إلى العمل، تصاحبهم الهالات! .

إِنْ الْمَلَائِكَةَ يَكُنُ تَهَدِّئُتُهُم بِسَهُولَةٍ، فَإِذَا جَعَلْتُهُم وَسَائِلَ فِي يَدِك،

the five most import and of the Compound names, occur in Genesis. = Elohim (sometimes EL or Elah), Engish form: God, formed from: EL = strength, or the strong one, and Alah, to swear, to bind oneself by, so implying faithfulness.

فلسوف يَعزِفون لحنَ قِيثارتِك المفضَّل، أما البشرُ، فإنهم نوعٌ مُشاكِس، يستطيعُ الشكَّ في كلِّ شيءٍ، حتى ما تَشهَدُه عيونُهم» (ص٩٢).

٤ ـ وفي تهكم عابث، يقول: «في تلك السنوات هل من الممكن القول بأن كبير الملائكة جبريل؟ أم أن نقول: اللّه قد تسلَّطَت عليه فكرة التشريع»!
 (ص٣٦٣).

■ «أنا كبيرُ الملائكة الدَّموي، جبريل نفسه» (ص٨٣).

٥ - وعن إبراهيم خليل الله، يقول: «في قديم الزمان، جاء الأب إبراهيم إلى هذا الوادي بصُحبة هاجر وابنهما إسماعيل، وهناك في تلك البريّة عديمة الماء تخلّى عنها، فسألته: هل يمكن أن تكون هذه إرادة الله؟ فأجابها: إنها لكذلك. ثم رَحَل ابن الزنا! منذ البَدْء، استَخدم الناس الإله لتبرير ما لا يُمكن تبريره!» (ص٩٥).

إن ذلك الكاتب الهندي عشتُم أبا الأنبياء، ويَصِفُه بـ «ابن الزِّنا»، ثم يَتَهمُه بالكذب على اللَّه!.

٦ - ثم هو يتّهمُ الأنبياءَ جميعًا بأنهم جاؤوا من عند أنفُسِهم، ومِن ثَمَّ كان منهم الواقعيُّ، ومنهم المثالِيُّ، ومنهم المُتزمِّت، ومنهم المتساهل، وذلك ما ينطوي عليه قوله: «ماهوند أكثرُ الأنبياءِ واقعيةً، فقد وافقَ على فترة انتقالية» (ص٣٨١).

* الحُكم:

مِن الثابت أن الكاتب الهندي "سلمان رشدي " قد ارتكب الجرائم الآتية : _ التجديف على الله .

- _ التجديفُ على اسم الله .
 - _ التجديف على الملائكة .
- ـ سبُّ خليل اللَّه إبراهيم والطعن فيه .
 - _ الطعنُ في الأنبياء والسخرية منهم.

وتطبيقًا للأحكام الواردة في: (خروج ٢٢: ٢٨)، (لاويين ٢٤: ١٥ ـ الآويين ٢٤: ١٥ ـ ١٥)، (لاويين ٢٠: ٩١ ـ ٣١)، (لاويين ٢٠: ٩١ ـ ٣١)، (مرقس ٧: ٢١ ـ ٣٣) ـ تكون عقوبة الكاتب الهندي سلمان رشدي هي: «الرجم حتى الموت».

ذلك هو الحُكمُ على سلمان رشدي، وفقَ أحكامِ الكتاب المقدس عند اليهودِ والنصارى، وهو حُكمٌ لا رَجْعةَ فيه، ولا فُرصةَ عنده للنجاةِ منه(١).

* سلمان رشدي قزمٌ مرتدًّ؛ لأنه:

- ـ سَخِر واستهزأ باللَّه ربِّ العالمين، ووَصَف القرآنَ بأنه «أسطورةٌ خرافية».
 - _ ولقوله بأن الأصنامَ تَشفعُ للناس يومَ القيامة.
- وأنَّ الشيطانَ استطاع أن يُلقيَ على لسانِ النبيِّ عَلَيْهُ آياتٍ تَمتدحُ الأصنامَ، وتعظِّمُ من شأنها.
- دُمَّ الرسولَ ﷺ بكلمة «ماهوند»، ومعناها: «الشرير» أو «المخادع» أو «النبي المزيف»، وألصَقَ به كلَّ قبيح.
 - _ لَقَّبَ إبراهيم اللَّيكَا إله ابنُ زانية! .

⁽١) «تعدد نساء الأنبياء» (ص ٤٨١ ـ ٤٨٨).



- وصف الفاجرُ الدَّعِيُّ زوجاتِ الرسولِ ﷺ الطاهرتِ بأنهن «مُومسات»، وأنهن يَعْمَلْنَ في بيوت الدعارة.

_شنَّ هجومًا على السيدة عائشة وليُسلط، وكيف تَمَّ زواجُها من الرسول للهُ.

- _ جعل مكةَ المكرَّمةَ «مدينةَ الجاهلية والأوثان».
- ـ وَصَف جبريلَ اللِّيَالَا بأنه من المُنادِين والمؤيدِّينَ للواط.
 - ـ ووَصَفه بأن لسانَه لا يعرفُ إلاَّ الشتمَ واللِّعان.
- وصف الصحابة ولي بأنهم «رجال همجية لا يَعرِفون إلا اللهُ وضويَّة».
 - _ وَصَف سلمانَ الفارسيَّ بأنه «مخادع وغَشَّاش».
 - ـ شُكَّكُ في نزولِ الوحي على رسول اللَّه ﷺ.
- ووَصَف المسلمين بأنهم متوحِّشين، وقاعدتُهم الأصليةُ في الحياة هي تعذيبُ الآخرين.

اللَّهِم أرنا آيةً من آياتِك في هذا القِزْمِ الدَّنِسِ النَّجِس.

* رسالة إلى سلمان رشدي:

□ كتب الشاعر «فاروق جُويدة» هذه القصيدة الطيبة، وكتب في مقدِّمتها: «سلمان رشدي كاتب مسلم، ارتدَّ عن الإسلام، ولم يكتف بذلك، بل وَجَّه في كتابه «آيات شيطانية» أكبر إساءة يُوجِّهُها كاتبٌ في التاريخ إلى رسول اللَّه ﷺ»:

فِي زَمِنِ الردَّةِ والبُهْتَانْ

اكتب ما شئت ولا تَخْجَلْ الكفرُ مباحٌ. . يَا سَلْمَانْ ضَعُ أَلفَ صليبٍ. . وصَليبٍ فُوقَ القُرآن وارجُمْ آيات اللَّه ومزِّقْهَا فِي كلِّ لِسانْ لاَ تَخْشَ اللَّهَ ولا تَطْلبْ صَفْحَ الرَّحمَن فَزَمَانُ الرِّدَّة نَعرفُهُ زمنُ المَعْصية . . بلاً غُفْ_رَانْ إِنْ ضَلَّ القَلْبُ فَلا تَعْجَبْ أَنْ يَسْكُنَ فيه الشَّيْطَانْ لاَ تَخْشَ خُيُولَ أَبِي بَكْرٍ أَجْهَضَهَا جِبنُ الفرْسَانْ وبالله الصّامت فَوقَ المَسْجِدِ أَسْكَتَهُ سَيْفُ السَّجَّانْ أتـــراه يُؤذِّنُ بَينَ النَّاس بِلا استئذانُ؟

أَثْـراهُ يرَتلُ باسمِ اللَّه وَلا يَخْشَىٰ بَطْشَ الكُهَّانْ؟ فاكْتبْ مَا شئتَ ولاَ تَخْجَلْ.. فالكُلُّ مهَـانْ واكفُرْ مَا شئتَ ولاَ تَسأَلْ فالكُلُّ جَبَـانْ

* * *

فالأزهر يُبكي أمْجَادًا ويُعيدُ حكايا.. ما قَدْ كَان والكَعْبَةُ تَصرُخُ فِي صَمْتِ بينَ القُضْبَانُ والشَّعْبُ القَابِعُ فِي خَوْفِ يَنْتَظِرُ العَفْوَ مِنَ السَّلطَانُ والنَّاسُ تُهَرولُ فِي الطُّرقاتِ يُطَارِدُهَا عَبَثُ الفِئرانُ والبَابُ العَالِي يَحْرُسُه بَطْشُ الطُّغْيَانُ

* * *

أيامُ الأُنسِ وبهجتُها والكأسُ الراقصُ والغِلمانْ

والمالُ الضائعُ في الحاناتِ تسيلُ على أيدي النُّدُمانُ فالبابُ العالي ماخورٌ فالبابُ العالي ماخورٌ يسكنه السَّفْلةُ والصبيانُ يحميه السارقُ والمأجورُ ويحكُمُه سربُ الغربانُ جلاَّدٌ يَعبثُ بالأديانُ والكرُّ يَمتهِنُ الإنسانُ والكلُّ يُصلِّى للطغيانُ والكلُّ يُصلِّى للطغيانُ والكلُّ يُصلِّى للطغيانُ

* * *

بَينَ الجُدْرَانُ وخديجةُ تَبْكِي فِي شَجَنٍ أَيَّامَ النَّخُوةِ.. والفُرْسَانُ عَائشَةُ تُحدِّقُ فِي صَمْتٍ تَسْأَلُ عَنْ عُمَرٍ.. أَوْ عُثْمَانْ فَاطِمَةُ تُنَادِي سَيفَ اللَّهِ

فَلاَ تَسْمَعُ غَيرَ الأَحْزَانُ

ومحمد نور مسجون

أسألُك بربِّك يَا سَلْمَانُ هَلْ تَجْرُو أَنْ تَكسِر يومًا المَّلْبَانُ؟ أَحْدُ الصُّلْبَانُ؟ أَنْ تَسْخَر يَوْمًا مِنْ عِيسَى أَنْ تَسْخَر يَوْمًا مِنْ عِيسَى أَوْ تُلقِي مَريم فِي النِّيرَانْ مَا بَيْنَ صَلِيبٍ مَا بَيْنَ صَلِيبٍ . . وصليبٍ أَحْرَقْت جَميع الأَدْيَانُ فَاكتُبْ مَا شَيْت ولا تَخْجلْ فَالكُلُّ مُهَانُ . . وجَبَانُ فَالكُلُّ مُهَانُ . . وجَبَانْ

* * *

خَبِّرنِي يَوْمًا . . حِيْنَ تُفِيقُ مِنَ الهَدَيَانُ عَيْنَ تُفِيقُ مِنَ الهَدَيَانُ هَلَا هَدَا حُقُ الفَنّانُ . . ؟ أَن تُشْعِلَ حِقْدَكَ فِي الإنجيلِ وَتَغْرس سُمَّكَ فِي القُرآنُ أَنْ تَرجُم مُوسَى أَوْ عيسَى أَوْ يَسْجُنَ مَرْيَمَ فِي القُضْبَانُ أَنْ يَغْدُو المَعْبَدُ والقدّاسُ وبَيتُ اللَّهِ وبيتُ اللَّهِ مِجَالسَ لَهُو للرهبانْ مجالسَ لَهُو للرهبانْ مجالسَ لَهُو للرهبانْ

أَنْ يَسْكر عيسك في البارات ويرقص مُوسَى للغلمان هَلُ هَذَا حَقُّ الفَنَّانْ؟ أَنْ تَحْرِقَ دينًا في الحَانَات لتبنى مَجْدَكَ بِالبُهْتَانْ؟ أَنْ تُجْعَلَ ماءَ النَّهر سُمُومًا تُسْري في الأبدان.. لَنْ يُشْرِقَ ضَوءٌ مِنْ قَلْبِ الأَيعُرفُ طَعمَ الإِيمَانُ لَنْ يَبْقَىٰ شَيءٌ مِنْ قلم يَسْفُكُ حُرُمات الإنسانُ فَاكَفُرْ مَا شَئْت ولا تَخْجَلُ ميعَادُكَ آتِ يَا سَلْمَانْ دُعْ بَابَ الْمُسْجِد يَا زِنْدِيــــقُ وقُمْ واسْكرْ بينَ الأوثَانْ سيجيئُكَ صَوتُ أَبِي بكر ويصيحُ بخالد:

قُمْ واقْطَعْ رأْسَ الشَّيْطَانْ فمحمَّدُ بَاقِ فمحمَّدُ بَاقِ مَا بَقيتْ ذُنْيا الرَّحْمَنْ وسيَعْلُو صَوْتُ اللَّه. . وَلَوْ كَرِهُوا في كُلِّ زَمَانٍ . . في كُلِّ زَمَانٍ . . وَمَكَانْ . . وَمَكَانْ . .

🛭 بيان الدفاع عن سلمان رشدي:

وَقَع البيانَ خَمسةٌ من المصريين، في مقدِّمتهم الأستاذ «أنيس منصور» الذي يهاجم سلمان رشدي في الصحف المصرية، بينما يقول ضاحكًا: إنه وقع البيانَ العالَميَّ بالدفاع عنه بالفاكسميلي وهو في المدينة - المنورة - في ضيافة الحرس الوطنيِّ السعودي() !!! ما وقَع البيانَ كلُّ من: أمينة السعيد، ونوال السعداوي التي مَولَّت «مؤسسةُ فورد» موتَمرَها لتحرير المرأة. . وأحمد عثمان مرسى سعد الدين شقيق بليغ حمدي ولا فخر() .

* * *

⁽١) قصيدة «إلى سلمان رشدي» من ديوان «زمان القهر علمني» للشاعر فاروق جويدة (ص٦٣ ـ ٧٢) مكتبة غريب.

⁽٢) عاملك اللَّه بما تستحق يا أنيس أليست هذه خيانة للمضيف الذي أكرمك ولا يعرف شيئًا عما تفعله وأنت في ضيافته .

⁽٣) «أو لاد حارتنا فيها قو لان» لمحمد جلال كشك (ص٣٤) ـ الزهراء للإعلام العربي .

الرِّدُّ العِلميُّ على قِصةِ «الغرانيق»

قال رسول الله ﷺ: «يَحملُ هذا العلمَ من كُلِّ خَلَف عُدُولُهُ، ينْفُون عنه تحريفَ الغالين، وانْتحالَ المُبْطلينَ، وتأويلَ الجاهلينَ» (١١) .

وهذه بِشارةٌ مِن اللَّهِ سُبحانَه على لِسانِ نبيِّهِ عَلَيْكَ اللَّهِ سُبحانَه على لِسانِ نبيِّهِ عَلَيْكَ ال

فَلْيَطْمَئِنَّ الْمُسْلَمُونَ، ولْيَهْنَإ الْمُؤْمِنُونَ؛ فإنَّ هذا الدينَ ـ وللَّهِ الحمدُ ـ محفوظُ بحفظ اللَّه سُبحانَه له: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]؛ كتابًا وسُنَّةً.

□ قال الشيخ «محمد الصادق عُرجون»: «أَقحَمَ بعضُ كُتَّابِ السيرةِ النبوية، وجماعةٌ مِن المُفسِّرينَ، وطوائفُ مِن المُحَدِّثينَ؛ في كُتُبهم ودواينهم ومؤلَّفاتهم أُقصوصَة الغرانيق(٢)، وأَلْصَقُوها بهجرة الحبشة، وجَعلوها سَببًا لعوْدة المُهاجرينَ الأوَّلينَ إلى مكَّة، وهي أُقصوصَةٌ مُختلَقَةٌ، باطلةٌ في أَصلِها

⁽١) حديثٌ حسنٌ.

⁽٢) وسيأتي إيرادُها بتفاصيلها كافَّة، وبطرُقها جميعًا.

[«]والغَرانِيقُ: الذُّكور مِن طيرِ الماء، واحِدُها: غُرْنوق؛ كعُصْفور، أَو غِرْنَوْق؛ كفِرْدَوس، أَو غِرْنَيْق؛ كمِعْلَيْق، أَو غِرْنيقٍ؛ كَمِسْكين.

وهي طيورٌ بيضٌ طويلةُ الأعناقِ والقوائمِ.

وقيلَ: الغُرْنُوقُ: هو الكُرْكِيِّ.

ومَعْنى قولِ الشَّيطانِ: «تلكَ الغَرانِيقُ العُلَىٰ»: أَنَّ الأصنامَ في عُلُوٍّ مَنْزِلَتِها ورفعَةِ شأْنِها؛ كالغرانين المرتفعة نحو السماء في طَيرانها».

كذا في "رحلة الحج إلى بيت اللَّه الحرام» (ص١٢٩) للشيخ العلامة محمد الأمين الشُّنقيطي.

وفصْلها، وأُكذوبة خبيثة في جُذورها وأغَصانِها، وفرْيَة متزندقَة اختَرَقَها غِرْنُوق الله جَهول، أو منافق فاجر غِرْنُوق الله جَهول، أو شيخ حاقد على الإسلام زنديق، أو منافق فاجر عربيد، القي بها إليه شيطان عابِث مَريد، يتلَعّب بعُقول البُله المُغَفَّلين، الذين يَتكَثَّرون تَعالُمًا، ويَتلَقَّفُونَ كُلَّ شوهاء فَجُور، فجَرَت إلى مَجتمعات أعداء الإسلام، مِن كُلِّ يهودي خبيث، وكل مُلحد عَتِي .

وسرَتْ منهُم إلى كُلِّ مُسلم أَبْلَهَ مُغَرَّرٍ، وكُلِّ متعالم مُغَفَّل، وكُلِّ حَفَّاظٍ جَدَليٍّ مَتفَيْهِق، وكُلِّ مغرور مخدوع بكواذب المدح والثَّنَاء، وكُلِّ حَفَّاظٍ صَمَّام، وكُلِّ مُلَبَّس عليه يزعُمُ أنه مجتهد، وكُلِّ خابط هنا وهناك يتكذَّب، وكُلِّ حاطب في ظُلمات الجهل، يتلقَّفُ العلم من وراء طنين الأسماء؛ دون تحيص ناقد أو بحث مُسدَّد، وكُلِّ مُدَّع دَعِيٍّ، وكُلِّ مُتسقط يزعُمُ أَنَّهُ مَتنَق، وكُلِّ مَزْهُو بالغُرور يزعُمُ أَنَّه وحيد مجدِّد، وكُلِّ مَا الغُرور يزعُمُ أَنَّه وحيد دهره، وفريد عصره، بل واحد أُمَّتِه، لو قيل له: "إنَّ الشيطان يُلبِّس عليك دهره، ولكنَّه يُقْبِلُ ويدافعُ دفاعَ المستميت عن قصة مُزوَرة تَهْدمُ أَصل لنفسه، ولكنَّه يُقْبِلُ ويدافعُ دفاعَ المستميت عن قصة مُزورة تَهْدمُ أصل أصول الإسلام، وتَخْرِقُ سياجَ النَّبُوّة، وتُبطِلُ عصمة الأنبياء؛ اعتمادًا على رَمْرَمَة مِن مراسيلَ واهية.

فباضَتْ هذه الأكذوبةُ البَلْهاءُ بينَ أحضانِ هؤلاءِ، وفَرَّختْ في أعشاشِهم، وزَقْزَقَتْ أفراخُها في أوكارِهم، وطارتْ بأجنحة الافتراء الأبله إلى آفاق التاريخ الإسلامي المظلوم، فتَلَقَّفَها كُلُّ رَاوَنْدِي ملحد، وحَملَها كُلُّ زِنديقٍ مُفسد؛ ليطعن بها في سُويداء قلب القرآن الكريم الحكيم المُحْكم، ويفتِك بخنجرِها بالسَّنة المطهّرة المبينة وهما أصل أصول الإسلام اللذان قام

على دعائِمهِما شامخُ صَرْحِ هذا الدينِ القَيِّمِ -؛ لِيُزَعْزِعَ الثقةَ بأصليه، فينْفَلِتَ مِن أَيدي المسلمينَ زِمامُ دينِهِم الذي أَنزلَهُ اللَّهُ تعالى هدًى ورحمة للعالَمينَ، لِيَهْدِمَ بهِ كُلَّ بناءِ للوثنيةِ والإلحاد، ويَقْضِيَ بهدايتِه على مَعالِمِ الشركِ والإفساد، ويُضَعْضَعَ بآياتِه كُلَّ تفلسُفٍ مُتَزَنْدق، وكُلَّ زندقة متفلسفة، ويُقيمَ بشرائعهِ وأحكامهِ منائرَ التوحيدِ الخالِصِ للَّه تعالى وحدَه، وينشرَ بآدابِه في آفاقِ الحياة نورَ الحقِّ والخيرِ.

هذه الأكذوبة الغرْنَوقيَّة الخبيثة تريد من المسلمين أن يَجْعَلوا من سيِّد المرسكين، خاتَم الأنبياء، محمد عَلِيَّة، ألعوبة في يد الشيطان، وأنْ يَجْعَلوا منه عَبَّنَة للشِّرك والمُشركين، وأبطولة يَرقُصُ مِن حَوْلِها المَلاحدة والحاقدون!.

ولكنَّ اللَّهَ تعالى يأبي إلاَّ أن يَجْعَلَ مِن دينهِ - دينِ الإسلامِ الذي رَضِيَهُ لأمَّةِ محمد عَلَيْكُ والتُّرَّهاتُ، ولا تَنْطَلي لأمَّةِ محمد عَلَيْكُ والتُّرَّهاتُ، ولا تَنْطَلي على حُذَّاقٍ حَمَلَتِه مِن الجَهابذةِ زندقةُ المُتزندِقينَ.

وقد أَخبرَ سُبحانَه إخبارًا ـ لا يتخالَجُهُ الرَّيْبُ، ولا يَحومُ حولَ حِماهُ الشَّكُ مَّ ، بأَنه هو الذي تولَّى بنفسه حفْظَهُ بحفظ دستوره : القُرآنِ الحكيمِ المُحكم، فلا يدخُلُ إلى ساحته افتراء اللَّفْترينَ، ولا يَلجُ إلى حَظيرة قُدْسهِ عَبثُ الشياطينِ، فقالَ تَعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ عَبثُ الشياطينِ، فقالَ تَعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

ولْيَتَأَمَّلِ الْمَتَأَمِّلُونَ في هذه الآية الحكيمة المحكَمَة، وفي قول اللَّهِ تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا

لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ لِيَرَوا ما أَضْفَى رَبُّ العزَّةِ تباركَ وتعالى على كتابِهِ: القرآنِ الحكيم المحكم من حفاوة الاختصاص بتَولِّي حفظه، وإسناد ما أفاضَهُ على التَّوارة من فَضْلِه، فوكَّلَ حفظه إلى الرَّبَّانِيِّينَ والأحْبارِ.

□ قالَ أبو حَيَّانَ في «البحرِ»: «وقد أُخذَ اللَّهُ على العُلَماءِ حِفْظَ الكتاب أي: التوراة من وجهين:

أَحَدُهما: حِفْظُهُ في صُدورِهِم، ودَرْسُهُ بألسنتهم.

والثاني: حِفْظُهُ بالعَمَلِ بأَحكامِهِ، واتِّباعِ شَرائِعِه.

وهؤلاء ضيَّعوا ما اسْتُحْفِظوا حتى تبدَّلَتِ التَّوراةُ.

وفي بناء الفعل للمفعول وكوْن الفعل للطَّلَبِ ما يدلُّ على أَنَّه تعالىٰ لم يتكَفَّل بحفظ التوراة، بل طَلَبَ منهُم حفظَها، وكلَّفَهُم بذلك، فغَيَّروا وبدَّلوا، وخالَفوا أحكامَ اللَّه؛ بخلاف كتابِنا، فإنَّ اللَّه تعالىٰ تَكَفَّلَ بحفظه، فلا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ فيه تَبْديلٌ ولا تَغْييرٌ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]».

أَفَلا يعْقِلُ الغِرْنوقيُّونَ؟!.

هذه الأكذوبة الخبيثة البلهاء كانت إحدى الفرى الحاقدة التي طوَّفَتْ ببعض مؤلّفات الجَمّاعينَ للغَثّ والسّمين، فرواها في غَفْلَة من عقله وعلمه بعض المفسدين، وأُدْخِلَتْ على بعض المُحَدِّثينَ؛ مُغَلَّفة بأَغْلفة الأسانيد، مُحاطَة بهالات بريق الأسماء، فردَّدَها بأساليب مختلفة، وفَرْطَحَها كثيرٌ عمَّنْ تلقّفَها بالبُله والغَفْلة، ورتَعت في أسفار المؤرِّحين، فأعادُوا فيها

وأَبْدَوْا، وزادُوا ونَقَصُوا، وأَثْبَتُوا وحَذَفُوا، وشَوَّهُوا وزَيَّنُوا، ومَسَخُوا وحَرَّفُوا، وشَوَّهُوا وزَيَّنُوا، ومَسَخُوا وحَرَّفُوا، وتلقَّاها القَصَّاصُونَ فغَنَّوا بها، وكانَ إبليسُ هو عازف موسيقاها في أنديتهم ومجالسهم، ومَصْمَصَتْ لسماع أباطيلها شفاهُ الجاهلينَ مِن غُوْغَاءِ العامَّةِ، وعامَّةِ الغوغاء، الذينَ تَكْبُرُ في صدورهم الغرائبُ والأعاجيبُ مِن المُضْحَكاتِ المُبكياتِ، فيهشُّونَ لها، ويتزاحمونَ على محافلها.

بَيْدَ أَنَّ هذه الأُقصوصة الخبيثة والأكذوبة البلهاء لم تُفْلت من سياط النَّقْد المُمَحِّس، فَنَهَضَ إليها من الجَهابذة المَهرة، والحُذَّاق العيالم من أَئمَّة الإسلام، المشهود لهم بالفضل والصِّدْق والتَّبَحُّر والتفقُّه في الدين مَن طَعَنها في أقتل مقاتلها، فبَهْرَجَ زَيْفَها، وكَشَفَ عن سَوْأَتِها، وعرَّاها شوهاء متزندقة، وجَلاَّها بَلُهاء مُلْحدة، وأَظهَرَها فرية مستَخْبَثَة .

ولكنّها ظلّت تعيشُ في أودية الشياطين، تتربّص للوثبة؛ لتفسد على المجتمع المسلم حياته الإيمانية، بتشكيكه في أصل أصول دينه، ودستور حياته: القُرآن الحكيم المحكم، وتُزعْزعَ ثقته في صدْق نبيه، سيد الأنبياء والمُرسلين، محمد خاتم النّبيين عَلَيْه اليصبيح هذا المجتمع المسلم الذي اكْتسَح حياة الوثنيّة والإلحاد المشرك بهدكى قُرآنه وسنّة نبيه عَلَيْه فريسة للإلحاد المجديد على ألسنة المستشرقين، والمُبشرين الصليبيّن، واليهود السبائيين، والزنادقة الرّاوندين، والمتحلّلين من فُجّار الشيوعيّين؛ الذين عَجزوا عن مُوافقة القرآن في مواجهة فكريّة، ومُحاجّة علميّة، فلاذوا إلى الافتراء يختلقونَه، وإلى الأباطيل يَزْرَعُونَها في أرضه، في غَفْلة مِن حُرّاسه الغُرِّ الميامين؛ ليُغيّروا معالم هدايته، ويُشوّهوا حقائق دُستوره، ويَخلَعوا عن الميامين؛ ليُغيّروا معالم هدايته، ويُشوّهوا حقائق دُستوره، ويَخلَعوا عن الميامين؛ ليُغيّروا معالم هدايته، ويُشوّهوا حقائق دُستوره، ويَخلَعوا عن

نبيِّهِ، سيِّد الأنبياءِ والمُرْسَلينَ، خِلْعَةَ العِصْمَةِ التي حَفِظَهُ اللَّه بها عن أَيِّ خَطَإ فيما يُبَلِّغُهُ الرسولُ عن اللَّهِ تعالَىٰ مِن الشَّرَائعِ والأحكامِ إلى الخَلْقِ كافَّةً، فكانَتْ عاصِمًا لهُ ﷺ مِن أَنْ يكونَ للشيطانِ عليهِ سَبيلٌ.

والعصْمةُ عن الخطإ فيما يُبلِّغُه الرسولُ عن اللَّهِ تعالى ثابتةٌ بإجماعِ طوائف الأُمَّةِ خَلَفًا عن سَلَف، لم يُعْرَفْ في هذا مخالِفٌ؛ إلاَّ مَن أَوَّلَ وحَرَّفَ وبدَّلَ، وذلكَ أَمرُهُ إلى اللَّه، يتولَّىٰ جزاءُهُ بما يستَحِقُّ مِن جزاءٍ.

وقد تناوَلَ هذه الأقصوصة كثيرٌ مِن القُدَاميٰ والمتأخّرينَ، وكانَ منهُمْ مَن لهُ درايةٌ بصناعة التَّحديث، ونقد الروايات الحَديثيَّة، فأجادَ في بيانِ زَيْفِ جميع روايات الأقصوصة، وما فيها مِن وَهْي ووهَن ينْسفانها نَسْفًا، ويَدْريان رَميمها في مَهَبِّ أعاصير الأباطيل، ولكنَّهُ كعَّ عن الصَّراحة في الردِّ على من أثبتها مِن الأكابِر ذوي الشُّهْرة والرَّنينِ.

وكُلُّ أحد مِن النَّاسِ يؤخَذُ مِن قولِهِ ويُرَدُّ عليه؛ إلاَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، فهو وحدَّهُ المعصُومُ عن أَنْ يُبَلِّغَ عن اللَّهِ إلاَّ ما هُو حقٌ وهُدًىٰ.

والمتأمّلُ في صنيع الجهابِذَةِ مِن جُنْدِ اللّه، ومَهرَةِ عيالِم عُلومِ تفسيرِ القُرآنِ والسُّنَّةِ وحُذَّاقِها؛ فقْهًا وتفقّهًا وصناعةً، في تزييف أقصوصة الغَرانيقِ البَلهاءِ وإبطالِها في مَنابِتها، واستحالَة وقوعِها؛ يَجِدُ هذا الصنيع أَقْوَمَ مَسْلَكًا، وأسدَّ منهجًا، وأعمقَ منبعًا، وأرضى مَصْرِفًا، وأصدَق بُرهانًا، وأسطع حُجَّةً، وأضواً مَشْرِقًا، وأصفىٰ مَشْربًا، وأعدلَ مَقْصِدًا، وأبدعَ مَشْرعًا، وأحق مُتقبَّلًا، وأعذبَ مَذاقًا، وأحلىٰ مَوْرِدًا، وأنجع شفاءً، وأقطع لجذورِ الفِتْنَة؛ لأنّه يَجمعُ النظرَ المُحكم من جميع جوانبِه النقليّة

والعقليَّةِ، فلا يَدَعُ منها جانبًا لغامزٍ، ولا يترُكُ فيها سَبيلاً لقولِ مُتكذِّبٍ »(١).

□ قالَ الدُّكتور: «نبيل السَّمَّان» في كتابه «هَمَزات شَيطانيَّة وسَلْمان رُشْدي» (ص٥٥): «. . أما قصَّة الغَرانِيق العُلا التي يُركِّز عليها ويستثمرُها أعداء الإسلام أسوأ استثمار، هي في الأصل أكذوبة معروفة ومَاْلوفة ومَاْلوفة ورائِجة ، ثم جَاءَ سَلْمان رُشْدي ليُشِرَها مِن جَديد، وقَدْ وقَعْت مِن نفْسه مَوْقِعًا مُلائِمًا، فقد سَمَّاها بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر بأسماء كثيرة ؛ كه «سَهْوة محمَّد» (!)، أو «صُلْحٌ معَ الشِّرك» (!)، وقد ورددت كذلك في «الموسوعة التَّاريخيَّة للقُرونِ الوسطى» التي أصْدرَتْها جامعة كذلك في «الموسوعة التَّاريخيَّة للقُرونِ الوسطى» التي أصْدرَتْها جامعة «كامبرج» (Cambridge) في لندن.

فسلمان رُشْدي يُكرِّر إذًا افتراءات المُسْتَشْرقينَ؛ أمثال «كارل بروكلمان» (Carl Brocklman) في كتابه «تاريخ الشُّعوب الإسلاميَّة» (ص ٣٤ ـ ٣٥)، وكذلك ما ورد في كتاب «دراسات تاريخيَّة» باللغة الإنجليزية للدكتور «فاخر عاقل» (!) تحت عنوان «بدء المعارضة والآيات الشيطانية»..»(٢).

□ وقال الدُّكتور «شمس الدين الفاسي» في كتابه «آيات سماويَّة في الردِّ على كتاب آيات شيطانيَّة» (ص٥٥): «. . كان سَلَمان رُشْدي يبحثُ عن مَطْعَن في القُرآن، أو في عصْمة النبيِّ ﷺ، فلمْ يَجِدْ ما يَنْقَعُ غُلَّتُهُ الشَّيطانيَّة، فدسَّ في روايتِه هذه قصَّةً مختَلَقةً على النبيِّ، أثبتَ العُلَماءُ

⁽١) «محمد رسول اللَّه» للشيخ محمد الصادق عرجون (٢/ ٣٠ ـ ٣٤).

⁽٢) «همزات شيطانية وسلمان رشدي» (ص٥٥) للدكتور نبيل السمَّان.

الثِّقاتُ كَذِبَها بالحُجَج البالغةِ، والأدلَّةِ الدَّامِغَةِ. . »(١) .

□ ثمَّ قالَ بعدَ كلام: «هذه القصَّةُ الخُرافِيَّةُ أَسَّسَ عليها الزِّنْديقُ سَلْمان رُشْدِي روايَتَهُ، فلم يَأْتُ إلاَّ بكُفْرِ قديم قيلَ في مَكَّةَ قبلَ الهِجْرَة، وحاولَ المُسْتَشْرِقونَ أَنَّ يَتَّخذوا مِنهُ معْوَلاً لهَدْمِ الإسلام، فوهَنَتْ قُواهُمْ، وبَقِي الإسلامُ شامِخًا صُلْبًا رُغْمَ أَنْفَ المستَشْرِقينَ والزَّنادِقَةِ والمُلحِدينَ».

الشَّيطانيَّةِ عليهِ السَّادُ (سعيد أَيُّوب) في كتابِهِ (شيطانُ الغَرْبِ سلمان رُشْدي: الرجل المارق» (ص٠١٣): (ثم التقط صاحبُ (الشَّائعاتِ الشَّيطانيَّةِ) حديثًا يُسمَّىٰ بحديثِ الغَرانيقِ، ونَسَجَ عليهِ ثوبَهُ، فما يقولُ هذا الحديثُ؟ (٢٠٠٠).

الله عدَ إيراده لها وكلامه عنها: «فأيُّ شيطان هذا الذي عكف عليه الحلْفُ الشَّيطانيُّ، وقَذَفوا به على رسول الفطْرَة؟! إنَّ الطَّابورَ الشيطانيُّ أرادَها أُمنيات شيطانيَّة بعد أن الْتَقَطَ أَحاديثَ وأَقاصيصَ مِنْ هُنا وهُناكَ سَنَدُها غيرُ مُتَّصلٍ..».

□ ثم خَتَمَ بحثَهُ قائلاً بعدَ كلام: «وبناءً على ما ذكرنا وما قَدَّمْنا؛ فإنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ وَضَعَها الحِلفُ الإبليسيُّ قديًا؛ ليستغِلَّها الحِلْفُ الإبليسيُّ حديثًا، للصَّدِّ عن سبيلِ اللَّه، ولكنَّ كتابَ اللَّه تعالى تصدَّى لهذه المُحاولات، وضربَها في مقتَل، فانهارَتْ حُصونُ الضَّلالِ قَديًا؛ كما

⁽١) «آيات سماوية في الردِّ على كتاب آيات شيطانية» للدكتور شمس الدين الفاسي (ص٩٥).

⁽٢) «شيطان الغرب سلمان رشدي . . الرجل المارق» لسعيد أيوب (ص ١٣٠) .

انهارَتِ اليومَ، وكما سَتَنْهَارُ مُستَقْبَلاً، وسَيَبْقى نبيُّ الإسلامِ وكتابُ الإسلامِ نورًا واحدًا يَشعُ على الطَّريقِ المُستقيمِ؛ ليكونَ حُجَّةَ اللَّهَ على جميعِ خَلْقه».

وهكذا يتناوَلُ سَلْمان رُشْدي هذه القصَّةَ الباطلة؛ لِيَجْعَلَها سيفًا مُصْلَتًا يُحارِبُ به الإسلامَ وأَهلَهُ! .

وهو ـ لِفَرْطِ حَقْدِهِ ـ يجهَلُ أَو يتجاهَلُ أَنَّ هذه القصَّةَ مصنوعةٌ منكرةٌ باطلةٌ، أَنكرَها عُلماءُ الأمَّة، وصفوةُ الأئمَّة.

□ قالَ الإِمامُ ابنُ حَزْمُ الأندلُسيُّ في «الفصَل في المَلَلِ والأهواءِ والنِّحَلِ»: «والحَديثُ الكاذِبُ الذي لَمْ يَصِحَّ قَطُّ فِي قِراءَتِه الطَّلِكِ في: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هُوَى ﴾، وذَكَروا تلكَ الزِّيادةَ المُفْتَراةَ: «وإنَّها لَهِيَ الغَرانيقُ العُلاَ، وأنَّ شَفَاعتَها لتُرْتَجِئِ»..».

الله عنه قال: «وأمَّا الحديثُ الذي فيه الغَرانيقُ؛ فكذبُ بَحْتُ مَوضوعٌ؛
 الأنَّهُ لم يَصِحَّ قَطُّ مِن طريقِ النَّقْلِ، ولا مَعْنى للاشتِغالِ به ، إذْ وَضْعُ الكذبِ لا يعْجِزُ عنهُ أَحَدٌ».

□ (وهكذا. في سلسلة من المقالات المتينة القويَّة لجهابِذة العُلماء الذين أَنْكُروا وقوعَ هذه الأُقصوصة الباطلة، وأَثْبَتُوا أَنهًا من المُحالُ وقوعُهُ الذين أَنْكُروا وقوعَ هذه الأُقصوصة الباطلة، وزَيَّفوا رواياتها، وكَشَفوا عن خَبْعها، في حَياة سيِّد المُرسَلينَ محمد عَلَيْكُ ، وزَيَّفوا رواياتها، وكَشَفوا عن خَبْعها، وما تضمَّنَتُهُ من شرَّ مُستطير، وفساد كبير، يَجبُ أَنْ تُبرَّ أَ مِن شَناعَتِه ساحةُ الرسالة المحمَّديَّة الخاتمة الخالدة الهادية؛ لنسدَّ على شياطين الإلحاد من أعداء الإسلام مَداخِلَهُم؛ لإفساد عقائد هذا الدِّين القيِّم في نفس مُعتنقيه، الإسلام مَداخِلَهُم؛ لإفساد عقائد هذا الدِّين القيِّم في نفس مُعتنقيه،

وزَعْزَعَةِ الثِّقةِ بكتابِهِ المُبينِ ورسولِهِ الأمينِ عَيَالِيَّةُ ١٠٠٠).

* مِن دُرَرِ الألبانيّ في رسالته القيّمة «نَصْبُ الجانيق لِنَسْف قِصّة الغرانيق)»:

□ رَحِمَ اللَّهُ ابنَ المبارك القائلَ حين سُئل: «هذه الأحاديثُ الضعيفةُ والموضوعة، ما نَصنعُ فيها؟» قال: يعيشُ لها الجَهابذةُ من الرجال..
 قال اللَّه عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذَّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]».

ولقد سَوَّد الدجَّالُ الهنديُّ المفترِي كتابَه «آيات شيطانية بقصَّة «الغرانيق»، ونحن نَنصِبُ المجانيق من كلام شيخِنا الألباني لنَسْفِ قصة الغرانيق:

وقد اختَلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَمْنَى ﴾ و﴿ أُمْنِيَّتِهِ ﴾، وأحسنُ ما قيل في ذلك: إن «تمنَّى» من «الأمنية» وهي التلاوة، كما قال الشاعر في عثمانً وضي اللَّه تعالىٰ عنه حين قتل:

⁽١) كتاب «محمد رسول الله» (٢/ ٣٥) لمحمد الصادق عرجون.

تَمنَّى كتابَ اللَّه أولَ ليلة وآخرَها لاقى حمام المقادرِ وعليه جمهورُ المُفسِّرين والمحقِّقين، وحكاه ابن كثير عن أكثرِ المفسرين، بل عزاه ابن القيم إلى السلف قاطبة، فقال في "إغاثة اللهفان" (١) (١/ ٩٣): "والسلف كلُّهم على أنَّ المعنى: إذا تلا ألقى الشيطانُ في تلاوته».

وبيّنه القرطبيّ، فقال في «تفسيره» (١٢/ ٨٣): «وقد قال سليمانُ بنُ حرب: إن «في» بمعنى: «عند»، أي ألقى الشيطانُ في قلوبِ الكفار عند تلاوة النبيّ عليّة، كقوله عز وجل ن ﴿وَلَبِثْتَ فِينا ﴾ [الشعراء: ١٨]، أي عندنا، وهذا هو معنى ما حكاه ابنُ عطيّة، عن أبيه، عن علماء الشرق، وإليه أشار القاضي أبو بكر بن العربي.

قلتُ: وكلامُ أبي بكرٍ سيأتي في مَحلِّه ـ إن شاء اللَّه تعالىٰ ـ، وهذا الذي ذَكَرْناه من المعنى في تفسيرِ الآية، هو اختيارُ الإمام ابنِ جرير، حيث قال بعدما رواه عن جماعة من السلف (١٢١/١٧): "وهذا القولُ أشبهُ بتأويلِ الكلام، بدلالة قوله تعالىٰ: ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ﴾ [الحج: ٢٥] على ذلك؛ لأن الآيات التي أخبر اللَّهُ جَلَّ ثناؤه أنه يُحكمها، لا شكَّ أنها آياتُ تنزيله، فمعلومٌ بذلك أن الذي ألقى فيه الشيطان، هو ما أخبر اللَّه تعالىٰ ذكرُه أنه نسخ ذلك منه وأبطلَه، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه، فتأويلُ الكلام إذن: وما أرسَلْنا مِن قَبلك مِن رسولِ ولا بنسخه ذلك منه، فتأويلُ الكلام إذن: وما أرسَلْنا مِن قَبلك مِن رسولِ ولا

⁽١) انظر طبعة المكتب الإسلامي ودار الخاني، تحقيق الأستاذ محمد عفيفي، الطبعة الثانية، (١/١٥٠).

نبيِّ إلاَّ إذا تلا كتابَ اللَّه وقَرَّا أو حَدَّث وتكلَّم، ألقى الشيطانُ في كتاب اللَّه الذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الذي حَدَّث وتكلَّم، فينسخُ اللَّهُ ما يُلقِي الشيطانُ بقوله تعالى: فيُذْهِب اللَّهُ ما يُلقِي الشيطانُ من ذلك، على لسانِ نبيِّه ويُبطلُه».

هذا هو المعنى المرادُ من هذه الآية الكريمة، وهي كما ترى ليس فيها إلا أن الشيطان يُلقِي عند تلاوة النبي عَلَيْ ما يَفتَن به الذين في قلوبهم مرض، ولكن أعداء الدين الذين قَعدوا له في كل طريق، وترصّدوا له عند كل مَرْصَد، لا يُرضيهم إلا أن يَدُسُّوا فيه ما ليس منه، ولم يَقُله رسولُه، فذكروا ما ستراه في الروايات الآتية، عمّا لا يليق بَقام النبوة والرسالة، وذلك ديدنهم منذ القديم، كما فعلوا في غير ما آية ورددت في غيره عليه من الأنبياء، كداود، وسليمان، ويوسف عليهم الصلاة والسلام، فرووا في تفسيرها من الإسرائيليات ما لا يَجوزُ نسبتُه إلى رجل مسلم، فضلاً عن نبي تفسيرها من الإسرائيليات ما لا يَجوزُ نسبتُه إلى رجل مسلم، فضلاً عن نبي مُكرّم، كما هو مبيّن في مَحلة من كتب التفاسير والقصص.

فحذار ـ أيها المسلمُ ـ أن تَغتَرَّ بشيء منها فتكونَ من الهالكين، و«دَعْ ما يَريبُك إلى ما لا يَريبك» كما قال نبيُّك ﷺ، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صَرَاطِ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٥].

* رواياتُ القصَّةِ وعِلَلُها:

بعد أن فَرَغْنا من ذكرِ الفائدةِ التي وَعَدْنا بها، أعودُ إلى ذكرِ رواياتِ القصةِ التي وَقَفْنا عليها لكي نسرُدَها روايةً روايةً، ونَذكرُ عَقِبَ كلِّ منها ما فيها من علةٍ ، فأقول:

ا ـ عن سعيد بن جُبير قال: «لَمَّا نَزَلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ [النجم: ١٩]، قرأها رسولُ اللَّه عَلَيْهٌ فقال: «تلك الغرانيقُ العُلى، وإن شفاعَتَهُنَّ لتُرجَّى»، فسَجَد رسولُ اللَّه عَلَيْهُ، فقال المشركون: إنه لَم يَذكُرْ أَلهَتَهم قبلَ اليوم بخير، فسَجَد المشركون معه، فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ . ﴾ إلى قوله: ﴿ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٠-٥٥]».

أخرجه ابن جرير (١٢٠/١٧) من طريقين عن شُعبة ، عن أبي بِشرِ عنه ، وهو صحيحُ الإسناد إلى ابنِ جُبير ، كما قال الحافظ على ما يأتي عنه ، وتَبِعه السيوطيُّ في «الدر المنثور» (٣٦٦٣) ، وعزاه لابن المنذر أيضًا وابن مردُويه بعدما ساقه نحوَه بلفظ: «ألقى الشيطانُ على لسانه: تلك الغرانيقُ العلى» الحديث، وفيه: «ثم جاءه جبريلُ بعد ذلك، قال: اعرض عليَّ ما جئتُك به ، فلمَّا بلَغ: «تلك الغرانيقُ العلى» وإن شفاعتَهنَّ لتُرجَّى» قال جبريلُ: «لم آتِك بهذا، هذا من الشيطان!» ، فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن جَبريلُ عَن رَسُولٍ وَلا نَبِي ﴾ [الحج: ٢٥].

وهكذا أخرجه الواحِدِيُّ في «أسباب النزول» من طريقٍ أخرىٰ عن سعيدِ بنِ جبير، كما سيأتي.

وقد رُوي موصولاً عن سعيد، ولا يصحُّ:

رواه البزَّار (۱) في «مسنده» عن يوسفَ بنِ حَمَّادٍ، عن أُمَيَّةَ بنِ خالد، عن شُعبة ، عن أبي بِشرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبير ، عن ابن عباس ـ فيما أحسبه ،

⁽١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢/ ١٢٤٥٠)، والضياء المقدسي في «المختارة» من طريق الطبري.

الشك في الحديث ـ أن النبي عَيَالِيْهُ قرأ بمكة سورة «النجم» حتى انتهى إلى قوله: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴾ [النجم: ١٩]، وذكر بقيَّته، ثم قال البزار: «لا نَعلمُه يُروى متَّصِلاً إلاَّ بهذا الإسناد، تفرَّد بوصله أُميةُ بن خالد وهو ثقةٌ مشهور، وإنما يُروى هذا من طريق الكَلْبِيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس». . كذا في «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٩).

وعزا الحافظُ في «تخريج الكشاف» (٤/ ١٤٤) هذه الرواية «للبزَّار، والطبري، والطبراني، وابن مردويه»، وعزوه للطبري سَهُوٌ، فإنها ليست في تفسيره ـ فيما علمتُ ـ إلاَّ إنْ كان يعني غيرَ التفسير من كتبه، وما أظنَّ يريدُ ذلك، ويؤيِّدُني أن السيوطيَّ في «الدر» عزاها لجميع هؤلاء إلاًّ الطبريَّ، إلاَّ أن السيوطيَّ أَوْهَمَ أيضًا، حيث قال عطفًا على ما ذُكر: «والضياء في «المختارة» بسند رجاله ثقات، من طريق سعيد بن جُبير، عن ابن عباس قال: إن رسول اللَّه عَلَيْ قرأ. . »، فذكر الحديث مثلَ الرواية المرسكة التي نقلناها آنفًا عن «الدر» نفسه، ومَحِلُّ الإيهام هو قوله: «بسند رجاله ثقات»، بالإضافة إلى أنه أخرجه الضياء في «المختارة»، فإنَّ ذلك يوهِمُ أنه ليس بَعلول، وهذا خلافُ الواقع، فإنه معلولٌ بتردُّد الراوي في وَصله كما نَقلناه آنفًا عن «تفسير ابن كثير»، وكذلك هو في «تخريج الكشاف، وغيره، وهذا ما لم يَرِدْ ذِكرُه في سياق السيوطيِّ، ولا أدري أذلك اختصارٌ منه، أم من بعضٍ مُخرِّجي الحديث؟(١) وأيًّا ما كان، فما كان يليقُ بالسيوطيِّ أن يُغفِلَ هذه العِلَّةَ، لا سيَّما وقد صَرَّح بما يُشعِرُ أن الإسنادَ (١) ثم رأيت السيوطي قد أورده في كتابه «أسباب النزول» على الشك في رفعه فأصاب، فتبين أن لا مسؤولية فيه على غيره.

صحيح، وفيه من التغريرِ ما لا يَخفى، فإنَّ الشكَّ لا يُوثَقُ به، ولا حقيقة فيه، كما قال القاضي عياض في «الشفاء» (١١٨/٢)، وأقرَّه الحافظ في «التخريج»، لكنه قال عقب ذلك: «ورواه الطبريُّ من طريق سعيد بن جُبير مرسلاً، وأخرجه ابنُ مردويه من طريق أبي عاصم النبيل، عن عثمانَ بن الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس نحوَه، ولم يَشُكَّ في وَصْلِه، وهذا أصحُّ طرق الحديث. قال البزار..».

قلت: وقد نَقَلْنا كلامَ البزَّارِ آنفًا، ثم ذَكَر الحافظُ المراسيلَ الآتية، ثم قال: «فهذه مراسيلُ يُقوِّي بعضُها بعضًا».

قلت: وفي عبارة الحافظ شيءٌ من التشويش، ولا أدري أذلك منه، أم من النُّسَّاخ؟ ـ وهو أغلبُ الظن ـ، وذلك لأن قوله: «وهذا أصحُّ طُرُقِ هذا الحديث» إنْ حَمَلناه على أقربِ مذكور ـ وهو طريقُ ابنِ مردُويه الموصولُ ـ كما هو المتبادر ، منعنا من ذلك أمور:

الأول: قولُ الحافظ عَقِبَ ذلك: «فهذه مراسيلُ يُقوِّي بعضُها بعضًا»، فإنَّ فيه إشارةً إلى أنْ ليس هناك إسنادٌ صحيحٌ موصولٌ يُعتمَدُ عليه، وإلاَّ لَعَرَّج عليه وجَعَله أصلاً، وجَعَل الطُّرُقَ المرسَلةَ شاهِدةً ومُقَوِّيةً له، ويؤيِّدُه الأمرُ الآتي، وهو:

الثاني: وهو أن الحافظ كمَّا ردَّ على القاضي عياض تضعيفَه للحديث من طريق إسناد البزَّار الموصول بسبب الشك، قال الحافظ: «أمَّا ضَعفُه، فلا ضَعفَ فيه أصلاً (قلت: يعني في رُواته)، فإنَّ الجميع ثقات، وأما الشكُّ فيه، فقد يَجيءُ تأثيرُه ولو فردًا غريبًا ـ كذا ـ، لكنْ غايتُه أن يَصيرَ مرسكً،

وهو حُجَّةٌ عند عياض وغيرِه ممن يَقبَلُ مُرسَلَ الثَّقة، وهو حُجَّةٌ إذا اعتُضِدَ عندَ من يرُدُّ المرسَل، وهو إنما يَعتضدُ بكثرة المتابعات».

فقد سَلَّم الحافظُ بأن الحديثَ مُرْسَلٌ، ولكنْ ذَهَب إلى تقويتِه بكثرةِ الطُّرق، وسيأتي بيانُ ما فيه في رَدِّنا عليه قريبًا - إن شاء اللَّه تعالى - .

فلو كان إسنادُ ابنِ مردويه الموصولُ صحيحًا عند الحافظ، لرَدَّ به على القاضي عياض، ولَمَا جَعَل عُمْدَتَه في الردِّ عليه هو كثرةَ الطُّرُق، وهذا بَيِّنٌ لا يَخفى.

الثالث: أن الحافظ في كتابه «فتح الباري» لم يُشِرْ أدنى إشارة إلى هذه الطريق، فلو كان هو أصح طُرق الحديث، لذكره بصريح العبارة، ولَجعله عُمْدَتَه في هذا الباب ـ كما سبق ـ .

الرابع: أنَّ مَن جاء بعدَه ـ كالسيوطي وغيره ـ لم يذكروا هذه الرواية .

فكلُّ هذه الأمورِ تَمنعُنا مِن حَمْلِ اسمِ الإشارة «هذا» علىٰ أقربِ مذكور، وتضطرُّنا إلىٰ حَمْلِه علىٰ البعيد، وهو الطريقُ الذي قبلَ هذا، وهو طريقُ سعيد بنِ جُبيرِ المرسلُ؛ وهو الذي اعتَمَده الحافظُ في «الفتح» وجعله أصلاً، وجعل الرواياتِ الأخرىٰ شاهدةً له، وقد اقتدَينا نحن به، فبدأنا أولاً بذكرِ رواية ابنِ جُبيرٍ هذه، وإن كنَّا خالَفْناه في كونِ هذه الطرُقِ يُقوِّي بعضُها بعضًا.

قلت: هذا مع العلم أن القَدْرَ المذكورَ من إسناد ابنِ مردويه الموصولِ رجالُه ثقات رجالُ الشيخين، لكن لابدَّ أن تكونَ العِلَّةُ فيمَن دونَ أبي عاصم النبيل، ويُقوِِّي ذلك ـ أعني كونَ إسنادِه مُعَلاً ـ أنني رأيتُ هذه الرواية

أخرجها الواحديُّ في «أسباب النزول» (ص٢٣٣) من طريق سَهلِ العسكريِّ، قال: أخبرني يحيى (قلت: هو القطان)، عن عثمان بن الأسود، عن سعيد بن جُبير قال: «قرأ رسولُ اللَّه ﷺ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، فألقى الشيطانُ على لسانه: «تلك الغرانيةُ العلى، وشفاعتُهُنَّ تُرتَجِي»، ففرح بذلك المشركون، وقالوا: قد ذكر آلهتنا، فجاء جبريلُ اللَّهُ الله على رسولِ اللَّه على الحرض عليه، قال: أمَّا هذا، فلم آتك به، هذا اعرض علي كلام اللَّه، فلما عرض عليه، قال: أمَّا هذا، فلم آتك به، هذا من الشيطان، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نبي ﴾

فرَجَع الحديثُ إلى أنه عن عثمانَ بنِ الأسودِ عن سعيدٍ مرسل، وهو الصحيح، لموافقة رواية عثمانَ هذه روايةَ أبي بِشْرِ عن سعيد.

ثم وقفتُ على إسناد ابنِ مردويه ومَتنه، بواسطة الضياء المقدسي في «المختارة» (٢٠/ ٢٣٥/١) بسنده عنه قال: حَدَّثَني إبراهيمُ بنُ محمد حَدَّثَني أبو بكر محمدُ بنُ علي المُقْرِي البغدادي، ثنا جعفرُ بنُ محمد الطيالسيُّ، ثنا إبراهيمُ بنُ محمد بنِ عَرْعَرة، ثنا أبو عاصم النبيل، ثنا عثمانُ ابنُ الأسود، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أن رسولَ اللَّه عَلَيْ قرأ: (أفراً يُتُم اللاَّتَ والْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ التَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، «تلك الغرانيقُ العلي، وشفاعتُهُنَّ تُرتَجِيٰ». ففرح المشركون بذلك، وقالوا: قد ذكر الهتنا. فجاءه جبريل، فقال: اقرأ علي ماجئتك به، قال: فقرأ: ﴿ أَفَراً يُتُم اللاَّتَ والْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، فقرأ: ﴿ أَفَراً يَتُم اللاَّتَ والْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - وقالوا: من العلي، وشفاعتُهنَّ تُرتَجِيٰ، فقال: اقرأ علي ماجئتك به، قال: مقرأ: ﴿ أَفَراً يَتُم اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، تلك الغرانيقُ العلي، وشفاعتُهنَّ تُرتَجِيٰ، فقال: ما أتيتُك بهذا، هذا مذا

عن الشيطان، أو قال: هذا من الشيطان، لم آتِكَ بها! فأنزل الله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِي ۗ إِلاً إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ إلى آخر الآية».

قلت: وهذا إسنادٌ رجالُه كلُّهم ثِقات، وكلُّهم من رجالِ «التهذيب»، إلاَّ مَن دُونَ ابنِ عَرْعَرة، ليس فيهم مَن يَنبغي النظرُ فيه غيرُ أبي بكر محمد ابن عليِّ المُقْري البغدادي، وقد أورده الخطيبُ في «تاريخ بغداد» فقال (٣/ ٦٨ - ٦٩): «محمدُ بنُ عليِّ بنِ الحَسنِ، أبو بكر المُقرئ، حَدَّث عن محمود بنِ خداش، ومحمد بنِ عَمرو، وابنِ أبي مَذْعور.. رَوىٰ عنه أحمدُ بنُ كاملِ القاضي، ومحمدُ بنُ أحمدَ بنِ يحيىٰ العطشي».

ثم ساق له حديثًا واحدًا و قع فيه مَكْنيًّا به «أبي حرب»، فلا أدري أهي كنيةٌ أخرى له، أم تحرَّفت على الناسخ أو الطابع، ثم حكى الخطيبُ عن العطشي أنه قال: «تُوفِّي سنة ثلاثمئة»، ولم يَذكُرْ فيه جرحًا ولا تعديلاً، فهو مجهولُ الحال، وهو علَّةُ هذا الإسناد الموصول، وهو غيرُ أبي بكر محمد بن إبراهيم بن علي بن عاصم الأصبهاني المشهور به «ابن المقرئ»، الحافظ الثقة، فإنه متأخِّرٌ عن هذا نحو قرن من الزمان، وهو من شُيوخ ابن مردُويه، مات سنة (٣٨١) - إحدى وثمانين وثلاثِمئة -، ووقع في «التذكرة» (٣٨١) «ومئتين»، وهو خطأ.

فَثَبَتَ مَمَّا تقدَّم صوابُ ما كنَّا جَزَمْنا به قبلَ الاطلاع على إسناد ابن مردويه «أن العلَّة فيه فيمن دون أبي عاصم النبيل»، وازدَدْنا تأكُّدًا من أنَّ الصوابَ عن عثمان بنِ الأسود إنما هو عن سعيد بنِ جُبيرٍ مرسلاً، كما رواه الواحدي، خلافًا لرواية ابن مردويه عنه.

وبالجملة، فالحديثُ مرسَل، ولا يصحُّ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ موصولاً بوجهٍ من الوجوه.

٢ ـ عن ابن شهاب: حَدَّثَني أبو بكر بنُ عبدالرحمن بنِ الحارث «أن رسولَ اللَّه عَلَيْهُ وهو بمكة قرأ عليهم: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١]، فلما بَلَغ ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، قال: «إنَّ شفاعتَهُنَّ تُرتَجِىٰ » ـ سها رسول اللَّه عَلَيْهُ ـ، فلَقيه المشركون الذين في قلوبهم مَرضُ ، فسلَّموا عليه ، وفَرحوا بذلك ، فقال لهم: «إنما ذلك من الشيطان» ، فأنزل اللَّه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نبِي ﴾ حتى بلغ ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقَى الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج: ٢٥]».

رواه ابن جرير (١٢١/١٧)، وإسنادُه إلى أبي بكرِ بنِ عبدالرحمن صحيح، كما قال السيوطي تَبعًا للحافظ، لكنْ عَلَّتُه أنه مرسل (١٠)، وعزاه السيوطي لعبد بنِ حُميد أيضًا، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن فليح، عن موسى بن عُقبة، عن ابنِ شهاب قال: فذكره مُطوَّلًا، ولم يذكر في إسناده أبا بكر بن عبدالرحمن، فهو مُرسَل، بل مُعْضَل، ولفظه كما في «ابن كثير» و «الدر»: «لَمَّا أُنزلت سورة «النجم»، وكان المشركون يقولون: لو كان هذا الرجل يَذكر الهتنا بخير، أقرر والذي يَذكر الهتنا من الشّتم والشر، عالَفَ دينَه من اليهود والنصارى بمثل الذي يَذكر الهتنا من الشّتم والشر، وكان رسول الله عَلَيْ قد اشتَدَّ عليه ما ناله وأصحابَه من أذاهم وتكذيبهم، وأحزنَتْه فملالتُهم، فكان يتمنَّى كفَّ أذاهم، (وفي «ابن كثير» هدايتهم)،

⁽١) وقال النحاس: «هذا حديث منقطع، وفيه هذا الأمر العظيم» ذكره القرطبي (١٢/ ٨١).

فلمًّا أنزل اللَّهُ سورة (والنجم) قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَإِنْ وَمَنَاةً اللَّخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، ألقى الشيطانُ عندها كلمات حين ذكر الطواغيت، فقال: (وإنهنَّ لَهنَّ الغرانيقُ العُلىٰ، وإن شفاعَتَهُنَّ لَهِيَ التي تُرتَجىٰ »، فكان ذلك من سَجع الشيطان وفتنته، فوقعت هاتان الكلمتان في قلب كلِّ مُشرِك بمكة، وذلَّت بها ألسنتُهم، وتباشروا بها، وقالوا: إن محمداً قد رجع إلى دينه الأول ودين قومه، فلمَّا بلَغ رسولُ اللَّه عَلَيْ آخر (النجم) سَجدَ، وفقيت ثلك من حضرَ من مُسلم ومُشرِك، ففشت تلك الكلمة في الناس، وأظهرها الشيطانُ حتى بلَغت أرضَ الحبشة، فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسُلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نبي ﴾ [الحج: ٢٥]، فلمَّا بيَّن اللَّه قضاءه، وبرَّه مِن سَجع الشيطان، انقلَب المشركون بضلالتهم وعُدوانهم قضاءه، وبرَّه مِن سَجع الشيطان، انقلَب المشركون بضلالتهم وعُدوانهم للمسلمين، واشتدُّوا عليه »(۱).

وأخرجه البيهقيُّ في «دلائل النبوة» عن موسى بن عُقبة، ساقه من «مغازيه» بنحوه، لم يَذكُرِ ابنَ شهابٍ كما في «الدر» (٤/ ٣٦٧) وغيره.

٣- عن أبي العالية قال: قالت قريشٌ لرسول اللَّه عَلَيْهُ: «إنما جُلساؤك عَبِيدُ بني فلان، ومولَىٰ بني فلان، فلو ذكرت الهتنا بشيء جالسناك، فإنه يأتيك أشراف العرب، فإذا رأوا جُلساءَك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك، عاتيك أشراف العرب، فإذا رأوا جُلساءَك أشراف قومك كان أرغب لهم فيك، قال: فألقى الشيطان في أمنيته، فنزلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ قال: فأجرى الشيطان على الشيطان الشيطان على الشيطان الشيطان على الشيطان ا

⁽١) هذا «سياق الدر» وهو مختصر عن سياق «ابن كثير» ومما فيه: «فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير إيمان ولا يقين، ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطانُ في مسامع المشركين».

لسانه: «تلك الغرانيقُ العُلى، وشفاعَتُهُنَّ تُرتَجى، مِثْلُهن لا يُنسَى»، قال: فسَجَد النبي تَعَلِيْهُ حين قرأها، وسَجَد معه المسلمون والمشركون، فلمَّا عَلِم الذي أُجرِي على لسانه، كَبُرَ ذلك عليه، فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِي ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحج: ٥٢]».

أخرجه الطبري (١٧/ ١٧٠) من طريقين عن داود بنِ أبي هند عنه، وإسنادُه صحيحٌ إلى أبي العالية، لكنْ عِلَّتُه الإِرسال، وكذلك رواه ابنُ المنذر، وابنُ أبي حاتم.

٤ ـ عن محمد بن كَعب القُرَظِيِّ، ومحمد بن قيس قالا: «جَلَس رسولُ اللَّه ﷺ في نادٍ من أنديةِ قريشٍ كثيرٍ أهلُه، فتمنَّىٰ يومئذِ أنْ لا يأتيَه منَ اللَّه شيءٌ فَيَنفروا عنه، فأنزل اللَّه عليه: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هُوَىٰ ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ [النجم: ١-٢] فقرأها رسولُ اللَّه ﷺ حتى إذا بَلَغ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ إِنَّ وَمَنَاةَ التَّالِنَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، أَلقِي عليه الشيطانُ كلمتَينِ: «تلك الغرانيقُ العُلي، وإن شَفَاعَتَهُنَّ لتُرتَجيُّ، فتكلُّم بها ثم مَضي، فقرأ السورة كلُّها، فسَجَد في آخِر السورة، وسَجَد القومُ جميعًا معه، ورَفع الوليدُ بنُ المُغيرة ترابًا إلى جَبهته فسَجَد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يَقدرُ على السجود، فرَضُوا بما تكلُّم به، وقالوا: قد عَرَفْنا أن اللَّهَ يُحيى ويُميت، وهو الذي يَخلقُ ويَرزُق، ولكنْ آلهتُنا هذه تَشْفَعُ لنا عنده، إذا جَعَلْتَ لها نصيبًا فنحن معك، قالا: فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ اللَّيْكِ إِنْ فَعَرَض عليه السورةَ، فلمَّا بَلَغَ الكلمتين اللتين ألقى الشيطانُ عليه قال: ما جِئتُكَ بهاتَينِ! فقال رسولُ اللَّه عَلَيْكَ اللَّه عَلَيْكَ اللَّه، وقلتُ ما لم يَقُلْ»!! فأوحى اللَّه إليه: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي

أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ (') إلى قوله: ﴿ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣ ـ ٧٥]، فما زال مغمومًا مهمومًا حتى نزلت عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِي إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ.. ﴾ [الحج: ٢٥]، قال: فسمع مَن كان مِن المهاجرين بأرض الحبشة أنَّ أهلَ مكة قد أسلَموا كلُّهم، فرَجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هو أحبُّ إلينا، فوَجَدوا القومَ قد ارتكسوا حين نَسَخ اللَّهُ ما ألقَى الشيطانُ».

أخرجه ابنُ جرير (١١٩/١٧) من طريق أبي معْشَر عنهما، و «أبو معشَر» ضعيف، كما قال الحافظُ في «التقريب»، واسمه «نُجَيحُ بنُ عَبدِالرحمن السِّندي».

ثم أخرجه ابن جرير من طريق ابن إسحاق، عن يَزيدَ بن زياد اللدني، عن محمد بن كعب القُرَظيِّ وحده به ـ أثمَّ منه ـ ، وفيه : «فلما سَمِعَتْ قريشٌ فلك فَرِحوا ، وسَرَّهُم وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدِّقون نبيَّهم فيما جاء به عن ربِّهم ، ولا يتَّهمونه على خطأ لا وهم ولا زلل . . » ، الحديث ، و «يَزيدُ » هذا ثقة ، لكنَّ الراوي عنه «ابن إسحاق» مدلِّس ، وقد عنعنه .

٥ ـ عن قتادة أن النبي عَلَيْ كان يتمنَّىٰ أنْ لا يَعيبَ اللَّهُ آلهةَ المشركين، فألقى الشيطانُ في أُمنيته، فقال: "إنَّ الآلهةَ التي تُدعَىٰ، إن شفاعَتهُنَّ لتُرتَجىٰ، وإنها لَلْغرانيقُ العلیٰ»، فنَسخ اللَّهُ ذلك، وأحكمَ اللَّه آياته:

⁽١) [وتمام الآية: ﴿ وَإِذًا لأَتَّخَذُوكَ خَلِيلاً ﴿ إِنَّ وَلَوْلا أَن ثَبَّنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴿ إِذًا لاَّذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾] .

﴿ أَفَرَ أَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ (١) حتى بلغ ﴿ مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم: ١٩-٢٣]، قال قَتادة: لَمَّا أَلقَى الشيطانُ ما ألقى، قال المشركون: قد ذكر اللَّهُ آلهتَهم بخير، ففرِحوا بذلك، فذكر قوله: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مُرضٌ ﴾ [الحج: ٥٣]».

أخرجه ابن جرير (١٧/ ١٢٢) من طريقين عن معمر عنه، وهو صحيح إلى قتادة، ولكنّه مرسك أو معضل.

وقد رواه ابنُ أبي حاتم كما في «الدر» بلفظ أتم منه وهو: «قال: بينما رسولُ اللَّه ﷺ يُصلِّي عند المقام، نَعسَ، فألقى الشيطانُ على لسانه كلمة فتكلَّم بها، وتعلَّق بها المشركون عليه، فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ فَتَكَلَّم بها، وتعلَّق بها المشركون عليه، فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ فَالَّقَىٰ الشيطانُ على لسانه ولَغَىٰ: «وإن شفاعتَهُنَّ لتُرتَجِىٰ، وإنها لَمَعَ الغرانيقِ العلیٰ»، فحفظها ولَغَیٰ: «وإن شفاعتَهُنَّ لتُرتَجیٰ، وإنها لَمَعَ الغرانيقِ العلیٰ»، فحفظها المشركون، وأخبرَهم الشيطانُ أن نبيَّ اللَّه ﷺ قد قرأها، فذلَّت بها المستُهم، فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلُكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيَّ اللَّه اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ ال

⁽١) [وتمام الآية: ﴿ وَمَنَاةَ التَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴿ اللَّكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ الأَنثَىٰ ﴿ اللَّهُ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿ آلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانِ ﴾] .

ـ عز وجل ـ السورةَ التي يُذكر فيها: «والنجم» وقرأ: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالَثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠]، ألقى الشيطانُ فيها عندَ ذلك ذِكْرَ الطواغيت فقال: «وإنهن لَمِنَ الغرانيقِ العُلى، وإن شفاعتهن لتُرتجئ»، وذلك مِن سَجع الشيطان وفتنته، فوَقَعت هاتان الكلمتان في قلب كلِّ مُشركٍ، وذَلَّت بها ألسنتُهم، واستَبشَروا بها، وقالوا: إنَّ محمدًا قد رَجَع إلىٰ دينهِ الأوَّلِ ودينِ قومه، فلما بَلَغ رسولُ اللَّه ﷺ آخرَ السورة التي فيها «النجم» سَجَد، وسَجَد معه كلُّ مَن حَضَره مِن مُسلِم ومُشرِك، غيرَ أنَّ الوليدَ بنَ المغيرة ـ كان رجلاً كبيرًا ـ، فرَفَع مِلْءَ كَفِّه ترابًا، فسَجَد عليه، فعَجِب الفريقانِ كلاهما من جماعتِهم في السجودِ لسجود رسولِ اللَّه عَلَيْتُهُ، فأما المسلمون فعَجبوا من سجود المشركين من غير إيمان ولا يقين ـ ولم يكن المسلمون سَمِعوا الذي ألقى الشيطانُ على ألسنَة المشركين ـ، وأمَّا المشركون فاطمأنَّت أنفُسُهم إلى النبي ﷺ [وأصحابه لَمَّا سَمِعوا الذي ألقى الشيطانُ في أُمنيَّةِ النبيِّ عَيَّكِيِّيًا، وحَدَّثهم الشيطانُ أن النبيُّ عَيَّكِيٍّ قد قرأها في «السجدة»، فسَجَدوا لتعظيم آلهِتهم، ففَشَتْ تلك الكلمة في الناس وأظهَرَها الشيطانُ حتى بَلَغَت الحبشة. . فكُبُرَ ذلك على رسول اللَّه ﷺ فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ [الطَّيَّا في مشكا إليه، فأمَره، فقرأ عليه، فلمَّا بَلَغها تبرًّا منها جبريلُ الطُّكِلام وقال: مَعَاذَ اللَّهِ من هاتين، ما أنزَلَهما ربِّي، ولا أمرني بهما ربُّك!! فلمَّا رأى ذلك رسولُ اللَّه عِيَّكِيُّ شَقَّ عليه، وقال: «أطعتُ الشيطانَ، وتكلَّمتُ بكلامه، وشركني في أمر اللَّه» فنسَخ اللَّهُ ـ عز وجل ـ ما ألقى الشيطانُ، وأنزل عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلُكَ مِن رَّسُولِ وَلا نبي ﴾ إلى قوله: ﴿ لَفِي شَقَاقَ بَعِيدٍ ﴾ [الحج: ٥٠ - ٥٠]. فلمًّا برًّاه اللَّه ـ عز

وجل ـ مِن سَجْع الشيطانِ وفِتنتهِ ، انقلب المشركون بضلالهم وعداوتهم».

رواه الطبراني هكذا مرسلاً، كما في «المجمع» (٦/ ٣٢ ـ ٣٤ و٧/ ٧٠ ـ ٢٥) وقال: «وفيه ابنُ لَهِيعة، ولا يُحتمل هذا مِن ابنِ لَهيعة».

٧- عن أبي صالح قال: «قام رسولُ اللَّه عَلَيْهُ فقال المشركون: إنْ ذَكَر الهَتَنا بخير ذَكَرْنا إلهه بخير، فأُلقي في أُمنيته: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ الهَتَنا بخير ذَكَرْنا إلهه بخير، فأُلقي في أُمنيته: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠]، «إنهن لفي الغرانيقِ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرتَجِيْ »، قال: فأنزل اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبيّ. ﴾ الآية [الحج: ٢٠]».

أخرجه عَبدُ بنُ حُميد كما في «الدر» (٣٦٦/٤) من طريق السُّدِيُّ عنه، وأخرجه ابنُ أبي حاتم عن السُّدِيِّ لم يُجاوِزْه بلفظ: «قال: خَرج النبيُّ إلى المسجد ليصلِّي، فبينما هو يقرأ، إذ قال: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩-٢٠]، فألقى الشيطانُ على لسانه، فقال: «تلك الغَرانِقةُ العُلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرجَّى»، حتى إذا بلَغ آخِر السورة سَجَد وسَجَد أصحابه، وسَجَد المشركون لذكر الهتهم، فلمَّا رَفَع السورة سَجَد وسَجَد أصحابه، وسَجَد المشركون لذكر الهتهم، فلمَّا رَفَع رأسَه حَملوه، فاشتدُّوا به قُطْرَيْ مكة يقولون: نبيُّ بني عبد مناف، حتى إذا بالله أن جاء جبريلُ عَرض عليه، فقرأ ذَيْنكَ الحرفين، فقال جبريلُ: مَعاذَ اللَّه أن أكونَ أقرأتك هذا! فاشتدَّ عليه، فقرأ ذَيْنكَ الحرفين، فقال جبريلُ: مَعاذَ اللَّه أن أكونَ أقرأتك هذا! فاشتدَّ عليه، فأنزل اللَّه يُطيِّبُ نفسه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن أَكُونَ أقرأتُك هذا! فاشتدَّ عليه، فأنزل اللَّه يُطيِّبُ نفسه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن

□ قلت: وقد رُويَ موصولاً عن ابن عباس، أخرجه ابنُ مَردُويه من طريقِ الكَلْبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس. وهذا إسنادٌ ضعيف جـدًا

- بل موضوع -، فقد قال سفيانُ: «قال لي الكَلْبيُّ: كلُّ ما حَدَّثتُك عن أبي صالح فهو كذب»، والكَلْبيُّ هذا اسمُه «محمدُ بنُ السائب»، وقد كان مفسِّراً نسَّابةً أخباريًّا.

وقال ابنُ حبان: «كان الكلبيُّ سَبائيًّا من أولئك الذين يقولون: إن عليًّا لم يَمُت، وإنه راجعٌ إلى الدنيا، ويملؤها عَدلاً كما مُلئت جَوْرًا، وإن رأوا سحابةً قالوا: أميرُ المؤمنين فيها».

قال: "ومذهبه في الدين، ووضوحُ الكذبِ فيه أظهرُ من أن يُحتاجَ الله الإغراقِ في وصفه، يَروي عن أبي صالحٍ عن أبن عباسِ التفسيرَ، وأبو صالحٍ لم يَرَ ابنَ عباس، ولا سَمعَ الكلبيُّ من أبي صالحٍ إلاَّ الحرفَ بعدَ الحرف، لا يَحِلُّ ذِكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟!»(١).

☑ ورُوي من وجوه أخرىٰ عن ابن عباس رَفْق سيأتي ذِكرُها، والا يصحُ شيءٌ منها.

٨ ـ عن الضحَّاك قال في قوله: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلُكَ مِن رَسُولٍ وَلا نَبِيّ . ﴾ الآية [الحج: ٢٥]: ﴿ فإنَّ نبيّ اللَّه عَلَيْهِ وهو بَكةَ أَنزل اللَّهُ عليه في الهة العَرَب، فجعل يتلو أللات والعُزَّىٰ، ويُكثِرُ ترديدَها، فسَمع أهلُ مكة النبيّ عَلَيْهِ يَذكُرُ الهتَهم، ففرحوا بذلك، ودنوا يستمعون، فألقى الشيطانُ في تلاوة النبيّ عَلَيْهِ: ﴿ تلك الغرانيقُ العُلى، ومنها الشفاعةُ تُرجَىٰ ﴾، فقرأها النبي عَلَيْهِ كذلك، فأنزل اللَّه عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلا نبيّ الله عليه عليه عليه عليه المنافعة عليه عليه عليه عليه المنافعة المنافعة عنام والله عليه عليه المنافعة النبي عَلَيْهُ الله عليه المنافعة المنافعة الله عليه المنافعة المنافعة المنافعة الله عليه المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة المنافعة النبي عن الله عليه المنافعة الم

⁽١) نقلته من «ميزان الاعتدال في نقد الرجال» للإمام الذهبي.

أخرجه ابنُ جرير (١٢١/١٧) قال: «حُدِّثتُ عن الحُسينِ قال: سمعتُ معاذًا يقول: أخبَرَنا عُبيدٌ قال: سمعتُ الضَّحَّاكَ يقول..».

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ منقطعٌ مرسَل، الضَّحَّاكُ هذا الظاهرُ أنه ابنُ مُزاحِم الهلاليُّ الخُراسانيُّ، هو كثيرُ الإرسال ـ كما قال الحافظ ـ ، حتى قيل : إنه لَم يَشُبَت له سَماعٌ من أحد من الصحابة، والراوي عنه «عُبيد» لَم أعرِفه (۱) ، وأبو مُعاذِ الظاهر أنه سليمانُ بنُ أرقمَ البَصْرِيُّ، وهو ضعيف ـ كما في «التقريب» ـ ، والراوي عنه الحُسين هو ابنُ الفَرَج أبو عليًّ ، وقيل : أبو صالح ، ويُعرف به «ابن الخَيَّاط» و «البغدادي» ، وهو ضعيفٌ متروك ، وله ترجمة في «تاريخ بغداد» وفي «الميزان» و «اللسان» ثم شيخ ابن جرير فيه مجهولٌ لم يُسمَّ .

9 - عن محمد بن فضالة الظّفري ، والمُطلب بن عبدالله بن حنْطب قالا: «رأى رسولُ الله عَلَيْ مِن قومه كفًا عنه ، فجلس خاليًا ، فتمنَى ، فقال: «لَيتَه لا يَنزِلُ علي شيءٌ يُنفِّرُهم عني » ، وقارَب رسولُ الله عَلَيْ قومه ، ودنا منهم ، ودنوا منه ، فجلس يومًا مجلسًا في ناد من تلك الأندية حول الكعبة ، فقرأ عليهم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [النجم: ١] ، حتى إذا بلغ: ﴿ أَفَرَا يُتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١] ، حتى إذا بلغ: ﴿ أَفَرَا يُتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٩ - ٢٠] ،

⁽۱) ثم تبيَّن لي أنه ابنُ سليمانَ الباهلي، ورَوىٰ عن الضحاك بنِ مُزاحم، وعنه جَمْعٌ، منهم أبو مُعاذِ الفضلُ بنُ خالدِ النَّحْوي. . قال في «التقريب»: «لا بأس به»، ومما ذكرنا نتبيَّنُ أيضًا أن أبا معاذ الراوي عن عُبيد، ليس هو سليمانَ بنَ أرقمَ، وإنما هو «الفضلُ بنُ خالد النحوي» أورده أبنُ أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٣/ ٢/ ٢١) ولم يذكر فيه جرحًا أو تعديلاً.

أَلْقَىٰ الشيطانُ كلمتين على لسانه: «تلك الغرانيقُ العُلَىٰ، وإن شفاعَتَهُنَّ لتُرتَجَىٰ "، فتكلُّم رسولُ اللَّه ﷺ بهما ثم مضى ، فقرأ السورةَ كلُّها ، وسَجَد وسَجَد القومُ جميعًا، ورَفَع الوليدُ بنُ المغيرةِ ترابًا إلى جبهتِه فسَجَد عليه، وكان شيخًا كبيرًا لا يَقدرُ على السجود، ويقال: إن أبا أُحَيْحَةَ سعيدَ بنَ العاص أخذ ترابًا فسَجَد عليه رَفَعه إلى جبهته، وكان شيخًا كبيرًا، فبَعضُ الناس يقول: إنما الذي رَفع الترابَ الوليدُ، وبعضُهم يقول: أبو أُحَيحة، وبعضُهم يقول: كلاهما جميعًا فَعَل ذلك . . فرَضُوا بما تكلُّم به رسولُ اللَّه عَيْنَا وَقَالُوا: قَدْ عَرَفْنَا أَنَ اللَّهَ يُحِيى ويُميت، ويَخْلُقُ ويَرزُق، ولكنَّ آلهتَنا هذه تَشفعُ لنا عنده، وأمَّا إذ جَعَلتَ لها نصيبًا فنحن معك، فكبُر ذلك على رسول اللَّه ﷺ من قولهم، حتى جَلس في البيت، فلمَّا أمسى أتاه جبريلُ اللَّهِ اللَّهِ ، فَعَرَض عليه السورة .، فقال جبريل: جئتك (١) بهاتين الكلمتين؟!! فقال رسولُ اللَّه عَلَيْكَ : «قُلْتُ على اللَّه ما لم يَقُلْ»، فأوحى اللَّه إليه: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرُهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَليلاً ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَيْكُ لِقَدْ كدتَّ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَليلاً ﴿ إِنَّ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضعْفَ الْحَيَاة وَضعْفَ الْمَمَات ثُمَّ لا تَجدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصيرًا ﴾

[الإِسراء: ٧٣ - ٧٥] . .

أخرجه ابنُ سعد في «الطبقات» (ج١ ق١ ص١٣٧) (٢) : «أخبرنا محمدُ بنُ عمرَ قال : حدَّثني يونسُ بنُ محمدِ بنِ فَضالةَ الظَّفَرِيُّ عن أبيه،

⁽١) كذا في الأصل وهو جائز على الاستفهام الإنكاري، وفي القرطبي نقلاً عن الواحدي «ما جئتك».

⁽٢) انظر طبعة دار صادر (١/ ٥٠٥).

قال: وحَدَّثني كَثيرُ بنُ زَيدٍ، عن المُطّلِبِ بن عبداللّه بنِ حَنْطَبٍ قالا..».

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيف جدًّا؛ لأن محمد بن عُمر، هو الواقدي، قال الحافظ في «التقريب»: «متروك مع سَعة علمه» وشيخُه في الإسناد الأول يونسُ بنُ محمد، ووالدُه محمدُ بنُ فَضالَة، لم أجدُ لهما ترجمةً، ثم رأيتُ ابن أبي حاتم أوردهما (٤/ ١/٥٥ و٤/ ٢٤٦/٢) ولم يذكر فيهما جرحًا ولا تعديلاً، وفي إسناده الثاني «كثير بن زيد» وهو الأسلميُّ المَدنيُّ، مُخْتَلَف فيه، قال الحافظ: «صدوق يخطئ».

ثم هو مرسَل، فإن المطَّلبَ بنَ عبداللَّه بنِ حَنْطَبِ كثيرُ التدليس والإرسال، كما في «التقريب»، ولذلك قالَ القرطبيُّ بعد أن ساق الرواية الثانية: «وحُكي عن النحاس تضعيفُها كما سبق نقلُه عنه هناك».

□ قلت: فذكره مختصرًا ثم قال: «قال النحَّاس: هذا حديثٌ مُنكر منقطع، ولا سيما من حديث الواقدي».

• ١ - عن ابن عباس أنَّ رسولَ اللَّه عَلَيْهُ قرأ سورة «النجم» وهو بمكة ، فأتى على هذه الآية ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ وَآ ﴾ وَمَنَاةَ الثَّالثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ فأتى على هذه الآية ﴿ أَفُراَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ وَآ ﴾ وكذا أورده السيوطي في اللَّه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلك َ. ﴾ الآية [الحج: ٥٠]، وكذا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٢٦٧) وقال: «أخرجه ابنُ مَردُويه من طريق الكلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس، ومن طريق أبي بكر الهُذَليّ وأيوب، عن ابن عباس، ومن طريق سليمانَ التَّيميّ ، عمَّن حدَّته ، عن ابن عباس ، ومن طريق سليمانَ التَّيميّ ، عمَّن حدَّته ، عن ابن عباس »

قلت: فهذه طُرُقٌ ثلاثٌ عن ابن عباسٍ، وكلُّها ضعيفة.

أمَّا الطريقُ الأول: ففيها الكَلبيُّ، وهو كَذَّابٌ كما تقدَّم بيانُه قريبًا. وأما الطريق الثاني: ففيها مَن لَم يُسَمَّ.

وأما الطريق الثالث: ففيها «أبو بكر الهُذَلي»، قال الحافظ في «التقريب»: «أخباريٌ متروكُ الحديث» لكن قد قَرَن فيها أيوب، والظاهرُ أنه السِّختياني، فلابدَّ أن يكونَ في الطريقِ إليه مَن لا يُحتَجُّ به؛ لأن الحافظ قال في «الفتح» (٨/ ٣٥٥) ـ بعد أن ساقه من الطرق الثلاث ـ: «وكلُّها ضعيفٌ أو منقطع».

وقد ذكر ما يُفيدُ أن ابنَ مَردُويه أخرجَها من طريقِ عَبَّادِ بنِ صُهيب، وهو أحُد المتروكين، كما قال الحافظ الذهبيُّ في ترجمته من «الميزان».

وله طريق رابع، أخرجه ابن جرير (١٢٠/١٧): حدَّثني محمد بن سعد قال: ثني أبي قال: ثني عمي، ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس؛ «أن نبي اللَّه عَلَي أبي أبي أبي أبي أبي أبي فجعل سعد قال: ثني أبي أللَّه عَلَي أبي أللَه عَلَي أبي أللَه عَلَي أبي أللَه عَلَي أبن فجعل يتلوها، فسَمعه المشركون، فقالوا: إنَّا نَسمعُه يذكرُ آلهتنا بخير، فدَنوا منه، فبينما هو يقول: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ التَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ فبينما هو يقول: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَىٰ ﴿ وَمَنَاةَ التَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ وألنجم: ١٩ - ٢٠]، ألقى الشيطان: «إن تلك الغرانيق العُلى، منها الشفاعة تُرتَجى »، فجعل يتلوها، فنزل جبريل عليه فنسخها، ثم قال له: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلكَ .. ﴾ الآية [الحج: ٢٠]».

رواه ابن مردويه أيضًا كما في «الدر» (٤/ ٣٦٦).

قلت: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جدًّا، مُسكسلٌ بالضعفاء: «محمد بن سعد»، هو

ابن محمد بن الحسن بن عطية بن جُنادة أبو جعفر العَوفيُّ، ترجَمَه الخطيبُ في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٢٣_ ٣٢٣) وقال: «كان ليِّنًا في الحديث».

ووالدُه «سعد بن محمد» ترجَمَه الخطيبُ أيضًا (١٢٦/٩ ـ ١٢٧) ورَوىٰ عن أحمدَ أنه قال فيه: «لم يكن ممن يستأهلُ أن يكتبَ عنه، ولا كان موضعًا لذلك».

وعمُّه هو «الحسن بن الحسن بن عطية بن سعد»، وهو متَّفقٌ على ضعفه، ترجَمه الخطيب (٨/ ٢٩ ـ ٣٢) وغيره.

وأبوه «الحسن بن عطية» ضعيف أيضًا اتفاقًا، وقد أورده ابنُ حِبَّانَ في «الضعفاء» وقال: «مُنكَرُ الحديث، فلا أدري البَليَّةُ منه أو مِن ابنه، أو منهما معًا؟»، ترجمته في «تهذيب التهذيب».

وكذا والدُه «عطية»، وهو مشهورٌ بالضَّعف(١).

* بيانُ بطلان القصة متناً:

تلك هي رواياتُ القصة، وهي كلُّها ـ كما رأيت ـ مُعَلَّةُ بالإِرسالِ والضَّعف والجَهالة، فليس فيها ما يَصلُح للاحتجاج به، لا سيَّما في مثلِ هذا الأمرِ الخطير، ثم إنَّ مَّا يؤكِّدُ ضَعفَها ـ بل بطلانَها ـ، ما فيها من

⁽۱) قلت: ومما يدلُّ على بطلان نسبة هذه القصة إلى ابن عباس، لا سيَّما من رواية أيوبَ عن عكرمة عنه، أن الطبراني أخرجها مختصراً في «المعجم الكبير» (ورقة ١٣٨ وجه ١) [المطبوعة ١١/٢١٦] من طريقين عن عبدالوارث: ثنا أيوبُ، عن عكرمة، عن ابن عباس: «أن النبي على سجد وهو بمكة به «النجم» وسَجَد معه المسلمون والمشركون»، وهذا إسناد صحيح على شرط البخاري، فهذا القدرُ من القصة هو الصحيح عن ابن عباس وغيره من الصحابة مما سيأتي ذكره.

الاختلافِ والنَّكارة مَّا لا يَليقُ بَقام النبوَّة والرسالة، وإليك البيان:

أولاً: في الروايات كلّها ـ أو جُلّها ـ أن الشيطانَ تكلّم على لسانِ النبيِّ على الله النبيِّ بتلك الجُملةِ الباطلة التي تَمدحُ أصنامَ المشركين، «تلك الغرانيقُ العلى، وإن شفاعتَهن لترتَجي».

ثانيًا: وفي بعضها كالرواية الرابعة: «والمؤمنونُ مُصدِّقون نبيَّهم فيما جاء به عن ربِّهم، ولا يتَّهمونه على خطأ ولا وَهْمٍ»، ففي هذا أن المؤمنين سَمعوا ذلك منه ﷺ، ولم يَشعُروا بأنه من إلقاء الشيطان، بل اعتقدوا أنه من وَحي الرحمن!! بينما تقولُ الرواية السادسة: «ولم يكن المسلمون سمعوا الذي ألقى الشيطان»، فهذه خلافُ تلك.

ثالثًا: وفي بعضها كالرواية (١ و٤ و٧ و٩): أن النبي عَلَيْهُ بَقِيَ مُدةً لا يَدرِي أن ذلك من الشيطان، حتى قال له جبريل: «مَعاذَ اللَّه! لَم آتِكَ بهذا، هذا من الشيطان!!».

رابعًا: وفي الرواية الثانية أنه ﷺ سَهَا حتى قال ذلك! فلو كان كذلك، أفلا يُنتبهُ من سَهوه؟!.

خامسًا: في الرواية ِ العاشرة الطريق الرابع: «أن ذلك أُلقِيَ عليه وهو يُصلِّى»!!.

سادسًا: وفي الرواية (٤ و٥ و٩) أنه ﷺ تَمنَّىٰ أن لا يَنزلَ عليه شيءٌ من الوحي يَعيبُ آلهةَ المشركين، لئلاَّ ينفروا عنه!! وانظر المَقامَ الرابعَ من كلام ابن العربي الآتي (ص٠٥).

سابعًا: وفي الرواية (٤ و٦ و٩) أنه ﷺ قال ـ عندما أنكر جبريل ذلك

عليه ـ: «افتريتُ على اللَّه، وقلتُ على اللَّه ما لم يَقُل، وشَرَكني الشيطانُ في أمرِ اللَّه!!».

فهذه طامَّاتٌ يجبُ تنزيهُ الرسولِ منها، لا سيَّما هذا الأخيرُ منها، فإنه لو كان صحيحًا لصَدَق فيه، عليه الصلاة والسلام ـ وحاشاه ـ قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴿ إِنَ لَا خَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿ فَكَ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٦].

ش فثبت ممَّا تقدَّم بطلانُ هذه القصة ِ سَندًا ومتنًا، والحمد للَّه على توفيقه وهدايته (۱) .

* كلامُ الحافظ ابن حَجَر والردُّ عليه:

□ قال الحافظُ في «الفتح» (٨/ ٣٥٤ مر» بعد أن ساق الرواية الأولى وخرَّجها هي وغيرَها بما تقدم: «وكلُّها ـ سوى طريق سعيد بن جُبير - إمَّا ضعيف، وإما منقطع، ولكنَّ كثرة الطرُق تدلُّ على أن للقصة أصلاً، مع أن لها طريقين آخرين مرسكين رجالُهما على شرط «الصحيحين» (ثم ذكر الرواية الثانية والثالثة ثم قال): وقد تَجرَّأ أبو بكر بنُ العربي كعادته فقال: «ذكر الطبريُّ في ذلك روايات كثيرة باطلة لا أصل لها»، وهو إطلاق مردودٌ عليه، وكذا قولُ عياض: «هذا حديث لم يُخرِجْه أحدٌ من أهل الصحَّة، ولا رواه ثقةٌ بسنَد سليم متَّصل مع ضعف نَقلته، واضطراب رُواياته، وانقطاع إسناده»، وكذا قوله: «ومن حُملت عنه هذه القصةُ من التابعين والمفسرين، لم يُسنِدُها أحدٌ منهم»، ثم ردَّه من طريق النظر بأنَّ ذلك لو وقع والمفسرين، لم يُسنِدُها أحدٌ منهم»، ثم ردَّه من طريق النظر بأنَّ ذلك لو وقع

⁽١) «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» للشيخ الألباني (ص٧-٣٦) - المكتب الإسلامي.

لارتدَّ كثيرٌ ممن أسلم، قال: «ولم يُنقل ذلك» انتهى.

وجميعُ ذلك لا يتمشّى مع القواعد، فإنَّ الطُّرُقَ إذا كَثُرت وتبايَنَت مخارِجُها، دَلَّ ذلك على أنَّ لها أصلاً، وقد ذكرتُ أن ثلاثةَ أسانيدَ منها على شرط الصحيح، وهي مراسيلُ يَحتجُّ بها مَن يَحتجُّ بالمرسَل، وكذا مَن لا يحتجُّ به لاعتضاد بعضها ببعض».

◘ ورَدَّ عليه الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ فقال:

أوّلاً: إنَّ القاعدةَ التي أشار إليها، وهي «تقويةُ الحديث بكثرة الطُّرُق»، ليست على إطلاقها، وقد نبَّه عَلَى ذلك غيرُ واحد من علماء الحديث المحقِّقين منهم الحافظُ أبو عَمرو بنُ الصلاح من فمن ذلك ضَعفٌ لا يَزولُ بكثرة الطرُق لقوَّة الضَّعف وتقاعد هذا الجابر عن جَبره ومقاومته، وذلك كالضَّعف الذي ينشأُ من كون الراوي مُتَّهَمًا بالكذب أو كون الحديث شاذًا، وهذه تُدركُ بالمباشرة والبحث.

ومِن هذا القبيل حديثُ ابنِ عباسٍ في هذه القصة، فإن طُرُقَه كلَّها ضعيفةٌ جدًّا، فلا يتقوَّىٰ بها أصلاً.

الوجه الثاني: ضَعفُ الحديث المرسَل، فالحديثُ المُرسَل و ولو كان المُرسِل ثقةً لا يُحْتَجُّ به عند أئمة الحديث، كما بيَّنه ابنُ الصلاح في «علوم الحديث» وجزم هو به (۱) .

وقد يقول قائل: «إنه يَقوَىٰ بمرسَلِ آخَرَ».

فاشترط الشافعيُّ في المرسل الآخرِ أن يكون مُرسِلُه أَخَذَ العلمَ عن غيرِ

⁽۱) «علوم الحديث» لابن الصلاح (ص٥٨).

رجالِ التابعيِّ الأول، كما حكاه ابنُ الصلاح (ص٣٥)، وكأنَّ ذلك ليغلِبَ على الطنِّ أنَّ المحذوفِ في أحدِ المرسكيْنِ هو غيرُه في المرسَلِ الآخر».

□ قال الألباني: "إننا لو ألقينا النظر على روايات هذه القصة، لألفيناها كلّها مرسكة، حاشا حديث ابن عباس، ولكن طُرقه كلّها واهية شديدة الضعف لا تَنجبر بها تلك المراسيل، فيبقى النظر في هذه المراسيل، فيبقى النظر في هذه المراسيل، وهي - كما علمت - سبعة ، صح إسناد أربعة منها، وهي مرسل سعيد بن جبير، وأبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث، وأبي العالية (رقم ١ - ٣)، ومرسل قتادة رقم (٥)، وهي مراسيل يَرد عليها أحد الاحتمالين السابقين، لأنهم من طبقة واحدة، فوفاة سعيد بن جبير سنة (٩٥) وأبي بكر بن عبدالرحمن سنة (٩٤)، وأبي العالية - واسمه «رُفيع» مصغرًا - سنة (٩٠)، وقتادة سنة بضع عَشرة ومئة، والأول كُوفي ، والثاني مَدني ، والأخيران بصريًان.

فجائزٌ أن يكونَ مَصدرُهم الذي أخذُوا منه هذه القصةَ ورَوَوْها عنه واحدًا لا غير، وهو مجهول.

وجائز أن يكون جَمْعًا، ولكنّهم ضَعفاء جميعًا، فمع هذه الاحتمالات لا يُمكنُ أن تَطمئن النفسُ لقبولِ حديثهم هذا، لا سيّما في مثل هذا الحَدَثِ العظيم الذي يَمسُ المقام الكريم، فلا جَرَمَ تتابع العلماء على إنكارها، بل التنديد ببطلانها، ولا وَجْه لذلك من جهة الرواية إلا ما ذكرنا، وإن كنتُ لم أقف على من صرّح بذلك كما ذكرتُ أنفًا»(۱).

⁽١) «نصب المجانيق» (ص٤٦ ـ ٤٦).

* ونَخلُصُ إلى القول الفصل في قصة «الغرانيق» وهو بُطلانُها:

■ «أولاً: الأسانيدُ الوارِدَةُ عنِ الصَّحابةِ لم تَرِدْ إلاَّ عنِ اثنَيْنِ:

١ ـ ابنُ عبَّاس، وطُرُقُهُ المسندة كُلُها ضعيفةٌ، واخْتُلِفَ على رواتِهِ، فكانُوا يُرْسِلُونَهُ تارةً، ويُسنِدُونَهُ تارةً، معَ اضطِرابِ شَديدٍ في الألفاظِ والمُتونِ، وضَعْفِ في الرُّواةِ والأسانيدِ.

٢ ـ محمدُ بنُ فَضَالَةَ الظَّفَرِيُّ: وحديثُهُ مِن طَريقِ محمَّدِ بنِ عُمرَ الواقِديِّ، وهُو متروكٌ؛ كَذَبَهُ جماعةٌ.

ثانيًا: أمَّا المرسيل؛ فهِي كما يلي:

١ - مُرْسَلُ ابنِ شِهابٍ: فيه جهالة، واخْتُلِفَ على رواتِهِ على عِدَّةِ وجوهٍ، فَرُوِيَ عنهُ عن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث.

وهذا اضطرابٌ شديدٌ لا تحْتَمِلُهُ هذه الأسانيدُ؛ على ضَعْفِ مُفْرَادتِها، وإرسال أُصولها.

٢ ـ مُرْسَلُ محمَّد بن كعب ومُحَمَّد بن قيس معًا:

رُوِيَ مِن طريقِ راوٍ شَديدِ الضَّعْفِ.

ثمَّ اضْطَرابَ رُواتُهُ، فرَوَوْهُ بإسنادِ ضَعيفِ جدًّا عن محمَّدِ بنِ كَعْبِ وحْدَهُ!.

٣ ـ مُرْسَلُ أَبِي العالِيَّةِ:

فِيهِ راوٍ كَثيرُ الاضْطِرابِ والاخْتِلافِ.

ورُوِيَتِ القِصَّةُ عنهُ على وَجْهُ آخَرَ، فيه اخْتِلافاتٌ وتَناقُضاتٌ عدَّةٌ

بالسُّنُد نفْسه!!.

٤ ـ مُرْسَلُ قَتادَةً:

فيهِ راوٍ له أغلاطٌ، فمِثلُ هذا المَّنْ لا يُحْتَمَلُ منهُ.

٥ ـ مُرْسَلُ الضَّحَّاك:

في إسنادِهِ مجهولانِ ومتروكٌ.

٦ - مُرْسَلُ الْمُطَّلِبِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ حَنْطَبٍ.

فيهِ راوٍ متروكٌ شديدُ الضَّعْفِ، وآخَرُ ضُعِّفَ مِن قِبَل حِفْظِهِ!.

٧ ـ مُرْسَلُ عُرُورَةَ بنِ الزُّبيُّرِ:

فيهِ راوٍ مَجْهُولٌ، وآخَرُ ضَعيفٌ.

ثالثًا: نَنْظُرُ: هَلْ مِنَ المُمْكِنِ تَطبيقُ قاعِدَةِ تَقَوِّي الطُّرُقِ على الأسانيدِ السَّالِفِ ذِكْرُها؟.

١ ـ الرِّواياتُ الْمُسْنَدَةُ مستَبْعَدَةٌ؛ لاضطرابِها، وشِدَّةِ ضَعْفِ رواياتِها.

٢ ـ نَستَبْعِدُ أَيضًا الرِّواياتِ المُرْسلَةَ شديدةَ الضَّعْفِ، وهي :

أ- مُرْسَلُ محَمَّد بن كَعْب ومُحمَّد بن قيس؛ لشدَّة ضعْف راويه.

ب- مُرْسَلُ الْمُطَّلِبِ بِنِ عبدِ اللَّهِ بِنِ حَنْطَبٍ ؛ لشدَّةِ ضَعْفِ راويهِ أيضًا .

ت-مُرْسَلُ ابنِ شِهابٍ؛ لاضْطِرابِ رِواياتِهِ، واختِلافِ رُواتِهِ.

ث مُرْسَلُ الضَّحَّاكِ ؛ فيهِ مَتْروكٌ.

ج - مُرْسَلُ أَبِي العاليَةِ، ومُراسيلُهُ رياحٌ؛ كما سَبَقَ عن الإِمامِ الشَافعيِّ، وذلك كِنايةٌ عن أَنَّهُ لا يُبالي كيفَ يأخُذُها !!.

إذا عُلِمَ ما تقدَّمَ؛ فلم يَبْقَ إلاَّ ثلاثةُ مَراسيلَ:

أ ـ مُرْسَلُ قَتادَةً.

ب ـ مُرْسَلُ سَعيدِ بنِ جَبيْرٍ .

ت ـ مُرْسَلُ عُروةً .

وقتادة بصري ، وسَعيد كوفي ، وعُروة مَدَني ، ولقد كانت المدينة النبويّة والبصرة والكوفة حذاءها وفي ذلك الزّمان مَحَط أَنظار كثير مِن الرّواة وطلَبة الحديث، وكانت الرّحلة في طلَب الحديث في أوْجها، «فجائز أنْ يكونَ مصدر هُم الذي أَخذوا منه هذه القصّة ورووها عنه واحداً لا غير، وهو مجهول .

وجائِزٌ أَنْ يكونوا جَمْعًا، ولكنَّهُم ضُعَفاءُ جَميعًا.

فَمَعَ هذه الاحتمالات لا يُمْكِنُ أَن تَطْمَئنَ النَّفْسُ لِقَبولِ حَديثهم، لا سيمًا في مِثْلِ هذا الحَدَثِ العَظيمِ الذي يَمَسُّ المَقامَ الكَريمَ، فلا جَرَمَ تتابعَ العُلَماءُ على إنكارِها، بل التَّنْدِيدِ ببُطلانِها»(١).

ولا يَذْهَبَنَ عنكَ أَنَّ مُفرَداتِ هذهِ المَراسِيلِ ضعيفةٌ أَصلاً - فوقَ إرسالها -؛ كما سَبَقَ تحقيقُهُ! .

فهذا وَجْهُ آخَرُ يمنَعُ القولَ بتقوِّيها معًا .

رابعًا: وَقَعَ في مَتْنِ القصَّةِ اضطرابٌ كبيرٌ في وجهَيْنِ هُما أَساسُ القصَّة:

١ ـ موضعُ القصَّةِ.

فَفِي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ ذلك حَدَثَ وهُو يُصَلِّي.

⁽١) «نصب المجانيق» (ص٢٤).

وفي بعضِها أَنَّهُ كانَ في نادٍ لِقُريشٍ.

وبعضُها غُفْلٌ عن ذلكَ كُلِّهِ .

٢ ـ الذي قالَهُ الشَّيْطانُ (!):

فَفِي بَعْضِ الرِّواياتِ: «إِنَّهُنَّ لَفِي الغرانيقِ العُلا، وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَثُرْتَجِي»!.

وفي بعضِها: «تلكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ تُرْتَجِي».

وفي بعضِها: «إِنَّ تلكَ الغَرانيقُ العُلا، منها الشَّفاعَةُ تُرْتَجِيَّ».

وفي بعضِها: «وإنَّهُنَّ لهُنَّ الغَرانيقُ العُلا، وإنَّهُنَّ لهُنَّ التي تُرْتَجي».

وفي بعضِها: «تلكَ الغَرانيقُ العُلا، وشفاعَتُهُنَّ تُرْتَضي، ومثلُهُنَّ لا

وفي بعضِها: «إنَّ شفاعَتَهُنَّ لُتُرْتَجِي، وإنَّها لَمَعَ الغَرانيقِ العُلاَّ».

وفي بعضِها: «تلك إذنْ في الغَرانيقِ العُلا، تلكَ إذنْ شَفَاعَةٌ تُرْتَجِي».

والقصَّةُ ـ كما يزعُمونَ ـ واحِدَةٌ ، فما هذا الاختلافُ؟ .

وهل بمثله تثبُّتُ الأخبارُ أَمْ تُنْقَضُ؟!.

خامسًا: التَّناقُضُ السَّاري بينَ أَلفاظِ القصَّةِ ومفردَاتِها، وقد سبقَ التنبيهُ على بعضها، ومنهُ:

١ ـ أَنَّ بعضَ الرِّواياتِ تذكر سماعَ المسلمينَ لإلقاءِ الشَّياطينِ.

وبعضَها الآخَرُ يذْكُرُ العكسَ.

وقسمٌ ثالثٌ يسكُتُ عنْ هذا كُلِّهِ .

٢ - وفي بعضِ الرِّواياتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَقِيَ مُدَّةً لا يَدْرِي أَنَّ ذلكَ مِن الشَّيطان.

وفي بعضِها أَنَّهُ سَهَا حتى قالَ ذلكَ! .

وفي بعضِها إغفالٌ لهذينِ معَّا!! .

٣ ـ وفي بعض الرِّواياتِ أَنَّ جِبريلَ جاءَهُ فقرأَ عليهِ .

وفي بعضِها أَنَّهُ عِلَيْكُمْ شَكَا ذلك لِجِبْريلَ.

وفي بعضِها عدمُ إيرادٍ لهذا كُلِّهِ!.

إلىٰ غيرِ ذلك مِن وجوهِ التَّناقُضِ والاضْطِرابِ.

سادسًا: بِعَرْضِ هذه الرِّواياتِ الْمُتهافِتَةِ على «مقاييسِ النَّقْدِ» التي أُورَدْتُها في القسمِ الأوَّلِ مِن الكتابِ؛ نَرَىٰ أَنَّها جميعًا تنقُضُهُ، وتُشْبِتُ بُطلانَهُ.

ومِمًّا يَنْبَغِي أَنْ يُضافَ هُنا ما رواهُ أَبو داودُ (٣٦٤٦)، وأحمدُ ومِمًّا يَنْبَغِي أَنْ يُضافَ هُنا ما رواهُ أَبو داودُ (١٠٥١)، وألحاكم (١٩٢١)، والحاكم (١٩٢١)، والخطيب في «تقييد العلم» والرَّامَهُرْمُزِي في «المُحدِّث الفاصل» (٣٢١)، والخطيب في «تقييد العلم» (ص٨٠)، والقاضي عياضٌ في «الإلماع» (١٤٦)؛ بسند صَحيح عنْ عبداللَّه بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ قالَ: كنتُ أكتبُ كُلَّ شَيءٍ أَسمَعُهُ مِن رَسولِ اللَّه وَيَلِيدٍ؛ أُريدُ حِفْظَهُ، فنَهَتْنِي قُرْيشٌ، وقالوا: أَتَكُتُبُ كُلَّ شيءٍ ورسولُ اللَّه وَيَلِيدٍ بَشَرُّ؛ يَتكَلَّمُ في الغَضَبِ والرِّضَىٰ؟! فأمسكتُ عنِ ورسولُ اللَّه وَيَلِيدٍ بَشَرُّ؛ يَتكَلَّمُ في الغَضَبِ والرِّضَىٰ؟! فأمسكتُ عنِ الكتاب، فذكرْتُ لرسولِ اللَّه وَيَلِيدٍ، فأَوْمًا بإصبُعِهِ إلىٰ فيهِ، وقالَ: «اكْتُبُ،

فوالَّذي نفسي بيده ما يَخْرُجُ منْهُ إلا حَقٌّ».

قلتُ: فهلْ أُسطورَةُ الغَرانيقِ ومدْحُ النبيِّ ﷺ لها ـ وحاشاهُ ـ مِن هذا الحقِّ؟! .

أَمْ أَنَّهَا بِاطِلٌ غَارِقٌ فِي الضَّلالِ، يتنزَّهُ عنهُ رسولُ اللَّهِ عَلَيْهُ؟!.

سابعًا: أَنَّهُ قد صَحَّ سجودُ النبيِّ عَلَيْكُ في سورةِ «النَّجْمِ»، وسجودُ النبيِّ عَلَيْكُ في سورةِ «النَّجْمِ»، وسجودُ المُسلمينَ والمُشْرِكينَ معَهُ؛ كما تقدَّمَ إيرادُهُ، وذِكْرُ السَّبَبِ فيهِ.

فعَدَمُ ذِكْرِ القصَّة الغِرْنَوْقِيَّة فيهِ دَليلٌ صَريحٌ على بُطلانِها ١١٥٠٠.

* سبب سجود المشركين مع النبي عَلَيْكَةٍ:

رُبَّ سائل يقول: إذا ثَبَت بطلانُ إلقاءِ الشيطان على لسانه عليه الصلاة والسلام جُملة «تلك الغرانيق العلى، وإن شفاعَتَهنَّ لترتجى»، فَلِمَ إذن سَجَد المشركون معه ﷺ، وليس ذلك من عادتهم؟.

والجوابُ ما قاله المحقِّقُ الآلوسي - بعد سطورٍ من كلامه الذي نقلته آنفًا -: «وليس لأحد أن يقول: إنَّ سجودَ المشركين يدلُّ على أنه كان في السورة ما ظاهرُه مَدَّ آلهتِهم، وإلاَّ لَمَا سَجدوا؛ لأننا نقول: يَجوزُ أن يكونوا سَجدوا لدهشة أصابَتْهم وخوف اعتراهم عند سماع السورة، لِمَا فيها من قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿ وَ وَلَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿ وَ وَوَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهُوكَىٰ ﴿ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهُوكَىٰ ﴿ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهُوكَىٰ ﴿ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهُوكَىٰ ﴿ وَاللَّمُ وَالمُؤْتَفِكَةَ أَهُوكَىٰ ﴿ وَاللَّهُ وَلَهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا مُؤْلِقُهُ مَا لَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَى اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلَّهُ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّالَةُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ وَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

⁽١) «دلائل التحقيق لإبطال قصة الغرانيق» لعلي حسن عبدالحميد (ص٢٢٩ ـ ٢٣٦) ـ مكتبة الصحابة ـ جدة .

فُغُشَّاهًا مَا غُشَّىٰ ﴾ إلى آخِرِ الآيات [النجم: ٥٠ ـ ٥٤]، فاستَشعروا نزولَ مِثْل ذُلُك بهم، ولعلُّهم لم يُسمَعوا قبلَ ذلك مِثلُها منه عَلَيْكُ ، وهو قائمٌ بين يَدَيْ ربِّه سبحانه في مقام خطير وجَمْع كثير، وقد ظَنُّوا ـ مِن ترتيب الأمر بالسجودِ على ما تقدَّم ـ أن سجودَهم ـ ولو لم يكن عن إيمان ـ كاف في دَفع ما توهَّموه، ولا تَستبعدُ خَوفَهم من سماعٍ مِثلِ ذلك منه ﷺ، فقد نزلت سورة «حم السجدة» بعد ذلك كما جاء مُصرَّحًا به في حديثٍ عن ابن عباس ولين السيوطيُّ في أول «الإِتقان» .، فلما سَمع عُتبةُ بنُ رَبيعةَ قولَه تعالى فيها: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مَّثْلَ صَاعِقَة عَادِ وَ نَمُودَ ﴾ [فصلت: ١٣]! أمسك على فم رسولِ اللَّه عَلَيْهِ، وناشدَه الرَّحم، واعتَذَر لقومه حين ظَنُّوا به أنه صَبّاً، وقال: «كيف وقد عَلِمتُم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب؟ فخفت أن ينزل بكم العذابُ»، وقد أخرج ذلك البيهقيُّ في «الدلائل» وابنُ عساكرَ في حديثٍ طويلٍ عن جابرِ بنِ عبداللَّه خالله هما

ويكنُ أن يقال - على بعد -: إنَّ سجودَهم كان لاستشعار مَدح الهتهم، ولا يلزم منه ثبوت ذلك الخبر، لجواز أن يكون ذلك الاستشعار من قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ وَآَلَ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: قوله تعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿ وَآَلَ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٢٠]، بناءً على أن المفعول محذوف، وقدروه حسبما يَشتَهُون، أو على أن المفعول: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكرُ ولَهُ الأُنثَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]، وتوهموا أن مَصبَ الإِنكارِ فيه كُونُ المذكورات إناثًا، والحبُّ للشيء يُعمي ويُصمَّ، وليس هذا بأبعدَ مِن حَمْلِهم «تلك الغرانيق العلى، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لتُرتَجى» على المدح حتى سجدوا لذلك آخِرَ السورة، مع وقوعه بين ذَمَيْنِ، المانعُ من حَملِه على حتى سجدوا لذلك آخِرَ السورة، مع وقوعه بين ذَمَيْنِ، المانعُ من حَملِه على

المدح في البَيْن، كما لا يَخفى على مَن سَلِمَتْ عَينُ قلبِه من الغَين (١٠) . * بقيَّةُ رَدِّ العلماء على قصَّة «الغرانيق»:

□ قال الفخرُ الرازي في «تفسيره»: «رُوي عن محمد بنِ إسحاق بن خُزيمة أنه سُئِل عن هذه القصة ؟ فقال: «هذا من وضع الزَّنَادقة»، وصنَّف فيه كتابًا.

□ وقال الإمامُ أبو بكر أحمدُ بنُ الحُسين البيهقيُّ: «هذه القصةُ غيرُ ثابتةٍ من جهةِ النقل».

ثم أخذ يتكلَّمُ في أنَّ رُواةَ هذه القصة مطعونٌ فيهم، وأيضًا فقد رَوىٰ البخاريُّ في «صحيحه»: «أنَّ النبي ﷺ قرأ سورة «النجم»، وسجد وسَجَد فيها المسلمون والمشركون، والإنسُ والجنُّ»، وليس فيه حديثُ الغرانيق، ورَوىٰ هذا الحديثَ من طُرُق كثيرة ، وليس فيها ألبتَّة حديثُ الغرانيق»(٢).

□ وقال القاضي أبو بكر بن العربي في تفسيره "أحكام القران":
"اعلموا-أنار اللَّهُ أفئدتكم بنور هداه، ويسَّر لكم مَقصد التوحيد ومَغزاه-أن الهُدىٰ هُدىٰ اللَّه، فسبحان مَن يتفضَّلُ به على مَن يشاء، ويصرفه عمَّن يشاء، وقد بيَّنَا معنى هذه الآية في "فضل تنبيه الغبيِّ على مقدار النبيِّ عالى مقدار النبيِّ على نرجو به عند اللَّه الجزاء الأوفى في مقام الزلفى، ونحن الآن نجلُو بتلك الفصول الغَماء، ونُرقِّيكم بها عن حَضيض الدهماء إلى بِقاع العلماء في عشر مقامات.

⁽۱) «نصب المجانيق» (ص٦٨ ـ ٧٠).

⁽٢) «مفاتيح الغيب» للرازي (ص٦/ ١٩٣).

المقام الأول: أن النبي عَلَيْ إذا أرسل الله إليه الملك بوحيه، فإنه يَخلُقُ له العلم به حتى يتحقّق أنه رسول من عنده، ولولا ذلك لَمَا صحّت الرسالة، ولا تبيّنت النبوّة، فإذا خَلق الله له العلم به تَميّز عنده من غيره، وثبّت اليقين، واستقام سبيل الدين، ولو كان النبي إذا شافَهه الملك بالوحي لا يدري، أملك هو، أم شيطان، أم إنسان، أم صورة مخالفة لهذه الأجناس القت عليه كلامًا، وبلّغت إليه قولاً؟ لم يصح أن يقول: "إنه من عند الله"، ولا ثبت عندنا أنه أمر الله، فهذه سبيل متيقّنة، وحالة متحقّقة لابد منها، ولا خلاف في المنقول ولا في المعقول فيها، ولو جاز للشيطان أن يتمثّل فيها أو يتشبّه بها، ما أمنّاه على آية، ولا عَرفنا منه باطلاً من حقيقة، فارتفع بهذا الفصل اللّبس، وصَحَ اليقينُ في النفس.

المقام الثاني: أنَّ اللَّهَ قد عَصَم رسولَه من الكفر، وأمَّنه من الشِّرك، واستَقرَّ ذلك من دينِ المسلمين بإجماعهم فيه وإطباقهم عليه، فمَن ادَّعىٰ أنه يَجوزُ عليه أن يَكفُر باللَّه، أو يَشُكَّ فيه طَرْفَةَ عينٍ، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عُنقه، بل لا تَجوزُ عليه المعاصي في الأفعال، فضلاً عن أن يُنسَبَ إلى الكفرِ في الاعتقاد، بل هو المنزَّهُ عن ذلك فعلاً واعتقاداً عَلَيْهِ، وقد مَهَّدنا ذلك في كُتب الأصول بأوضح دليل.

المقام الثالث: أنَّ اللَّه قد عرَّف رسولَه بنفسه، وبَصَّره بأدلَّته، وأراه ملكوتَ سماواته وأرضه، وعَرَّفه سُنَنَ مَن كان قبلَه من إخوته، فلم يكن يَخفَى عليه مِن أَمْرِ اللَّه مَا نعرفُه اليوم، ونحن حُثالةُ أُمَّتِه، ومَن خَطَر له ذلك فهو ممن يَمشِي مُكِبًّا على وجهِه، غيرَ عارفٍ بنبيّه ولا بربّه.

المقام الرابع: تأملُوا ـ فت ح اللَّهُ أغلاق النظر عنكم ـ إلى قول الرواة الذين هم بجهلهم أعداء على الإسلام عن صرَّح بعداوته ـ أن النبي على لمَّا حَلَس مع قريش تَمنَّىٰ أنْ لا يَنزِلَ عليه مِن اللَّه وَحي [يَذُمَّ الهتهم]، فكيف يَجوزُ لمن معه أدنى مُسْكَة أن يَخطُر بباله أنَّ النبي عَلَي آثَر وصل قومه على وصل ربِّه، وأراد أن لا يَقطع أنسَه بهم بما يَنزِلُ عليه مِن عند ربِّه من الوحي الذي كان حياة جَسَده وقلبه، وأنس وحشته، وغاية أمنيَّة، وكان رسولُ اللّه عَلَي أجود الناس، فإذا جاءه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسكة، فيؤثِرُ على هذا مجالسته للأعداء؟!.

المقام الخامس: أن قول الشيطان: «تلك الغرانقة العلى، وإن شفاعتهن لترتجى» للنبي عليه منه، فالتبس عليه الشيطان بالملك، واختلط عليه التوحيد بالكفر، حتى لم يفرق بينهما، وأنا من أدنى المؤمنين منزلة، وأقلهم معرفة بما وقتني الله له، وآتاني من علمه لا يَخفَى علي وعليكم أن هذا كُفر لا يَجوزُ وروده من عند الله، ولو قاله أحد لكم لتبادر الكل إليه قبل التفكير بالإنكار والرَّدع والتثريب والتشنيع، فضلاً عن أن يَجهل النبي عليه قوله، ولا يتفطّن لصفة الأصنام بأنها «الغرانقة العلى، وأن شفاعتهن ترتجى»، وقد علم علما ضروريًا أنها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تنطق ولا تضرن، ولا تنفع ولا تنصر ولا تشفع، بهذا كله كان يته جبريل الصباح والمساء، وعليه انبنى التوحيد، ولا يَجوزُ نسخه من يتهذ الملى الرسول؟!.

ثم لم يكُف هذا حتى قالوا: إنَّ جبريلَ اللَّكَا اللَّهُ عاد إليه بعد ذلك ليعارضَه فيما أُلقي إليه من الوحي كرَّرها عليه جاهلاً بها ـ تعالى اللَّه عن

ذلك ـ فحينئذ أنكرها عليه جبريل، وقال له: «ما جئتُك بهذه!»، فحَزِن النبيُّ عَلِيْهُ وأُنزُل عليه: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ [الإسراء: ٧٣].

فياللَّهِ والمتعلِّمينَ والعالمينَ من شيخٍ فاسدٍ موسوسٍ هامدٍ لا يَعلمُ أنَّ هذه الآيةَ نافيةٌ لِمَا زَعَموا، مُبطِلةٌ لِما رَوَوْا وتقوَّلُوا، وهو:

المقام السادس: وذلك أن قولَ ابنِ العربي: «كاد يكونُ كذا» معناه «قارَبَ ولم يكن»، فأخبَرَ اللَّهُ في هذه الآية أنهم قارَبوا أن يَفتِنوه عن الذي أُوحِيَ إليه، ولم تكن فِتنةً، ثم قال: ﴿ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ [الإسراء: ٧٣] وهو:

المقام السابع: ولَم يَفْتَرِ، ولو فتنوك وافتريتَ، لا تخذوك خليلاً، فلم تُفتَتَنْ، ولا افتريتَ، ولا اتخذوك خليلاً، ﴿ وَلَوْلا أَن ثُبَّتْنَاكَ ﴾ [الإسراء: ٧٤].

المقام الثامن: ﴿ لَقَدْ كِدتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٤]، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه ثبّته، وقرّر التوحيد والمعرفة في قلبه، وضرَب عليه سرادق العصمة، وآواه في كَنف الحُرمة، ولو وكله إلى نفسه، ورفع عنه ظلَّ عصمته لحظة، لألْمَمْت بما راموه، ولكنّا أمرنا عليك المحافظة، وأشرَقْنا بنور الهداية فؤادك، فاستبصر وأزاح عنك الباطل ودَحر.

فهذه الآية نصُّ في عِصمته مِن كلِّ ما نُسب إليه، فكيف يتأوَّلُها أحدٌ عَدُوًا عمَّا نُسب إليه من الباطل إليه؟! .

المقام التاسع: قوله: «فما زال مغمومًا مهمومًا حتى نزلت عليه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِي ﴾ [الحج: ٥٢](١) ، فأما غمُّه وحُزنُه، فبأن

⁽١) انظر الرواية: ٣، ٤، ٢.

تمكَّن الشيطانُ مما تمكَّن مما يأتي بيانُه، وكان النبيُّ ﷺ يَعزُِّ عليه أن ينالَ الشيطانُ شيئًا وإنْ قَلَّ تأثيرُه ..

المقام العاشر: إنَّ هذه الآية نصُّ في غَرَضِنا، دليلٌ على صحَّة مذهبنا، أصلٌ في براءة النبيِّ عَلَيْكِ مَّا نُسب إليه أنه قاله عندنا، وذلك أنه قال تعالى: (و وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِي إِلاَّ إِذَا تَمَنَىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنَيَّه ﴾ [الحج: ٥٢](١).

فأخبر اللَّهُ تعالىٰ أنَّ مِن سُنَّتِه في رُسُلِه، وسيرتِه في أنبيائه، أنهم إذا قالوا عن اللَّه قِولاً، زاد الشيطانُ فيه من قِبَل نفسه، كما يَفعلُ سائرً المعاصي، كما تقول: «ألقَيتُ في الدار كذا، وألقيتُ في العكم (٣) كذا، وألقيتُ في الكيس كذا»، فهذا نصٌّ في أن الشيطانَ زاد في الذي قاله النبيُّ عَيْلِيْهِ، لا أن النبيُّ عَيَلِيْهُ قاله، وذلك أن النبيُّ عَيْلِيَّةٍ كان إذا قرأ تلا قرآنًا مقطَّعًا، وسكت في مقاطع الآي سُكوتًا محصَّلاً، وكذلك كان حديثُه مترسِّلاً فيه، متأنيًا، فتَبعَ الشيطانُ تلك السَّكَتَات التي بينَ قوله: ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٢٠] وبينَ قوله تعالى: ﴿ أَلَكُمُ الذَّكُرُ وَلَهُ الْأُنشَىٰ ﴾ [النجم: ٢١]، فقال ـ يُحاكي صوتَ النبيِّ ﷺ ـ: «وإنهن الغرانقةُ العُلي، وإن شفاعَتَهُنَّ لترتَجيى»، فأما المشركون والذين في قلوبهم مرضٌ لقلَّة البصيرة وفساد السريرة، فتَلُوْها عن النبيِّ عَلَيْكُ، ونَسَبوها بجَهلهم إليه، حتى سَجدوا معه اعتقادًا أنه معهم، وعَلم الذين أُوتوا العلمَ والإيمانَ أنَّ القرآنَ حقٌّ من عند اللَّه، فيؤمنون به، ويَرفضون غيرَه، وتُجيبُ قلوبُهم إلى الحق، وتَنفِرُ عن

الأصل (تلاوته».

⁽٢) بكسر العين: العدل.

الباطل، وكلُّ ذلك إبتلاءٌ من اللَّه ومحنةٌ، فأين هذا من قولهم؟! وليس في القرآن إلاَّ غايةُ البيانِ بصيانةِ النبيِّ عَيَلِيَّ في الإسرارِ والإعلان، عن الشكُ والكُفران، وقد أودَعْنا إليكم توصيةٌ أن تجعَلوا القرآنَ إمامكم، وحُروفَه أمامكم، فلا تحملوا عليها ما ليس فيها، ولا تَربطوا بها ما ليس منها، وما هُدِي لهذا إلاَّ الطبريُّ بَجلالة قَدْرِه، وصَفاء فكرِه، وسَعَة باعه في العلم، وشدَّة ساعده وذراعه في النظر، وكأنه أشار إلى هذا الغرض، وصوب على هذا المرمَى، فقرْطسَ بعدما ذكر في ذلك روايات كثيرةً باطلةً لا أصل لها، ولو شاء ربُّك لَمَا رواها أحدٌ، ولا سَطَّرها، ولكنه فعَّالٌ لِمَا يُريد. عَصَمنا اللَّهُ وإياكم بالتوفيق والتسديد، وجَعَلنا من أهلِ التوحيد بفَضله ورحمته».

* كلام القاضي عياض في ذلك:

□ وقال القاضي عِيَاضْ: «فاعلمْ ـ أكرمك اللَّه ـ: أنَّ لنا في الكلام
 على مُشكِلِ الحديثِ مأخذينِ:

أحدهما: في توهين أصله.

والثاني: على تسليمه.

أما المأخذ الأول: فيكفيك أن هذا الحديث لم يُخرِجُه أحدٌ من أهل الصِّحة، ولا رواه ثقةٌ بسَند متَّصِل سليم، وإنما أُولع به وبمثله المفسِّرون والمؤرِّخون المولَعون بكلِّ غريب، المتلقِّفون من الصُّحُف كلَّ صحيح وسقيم، وصَدَق القاضي بكرُ بنُ العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلي الناسُ ببعض أهل الأهواء والتفسير، وتعلَّق بذلك الملحدون مع ضَعف نَقْله، واضطراب رواياتِه، وانقطاع إسنادِه، واختلاف كلماته، فقائل يقول: "إنه

في الصلاة»، وآخر يقول: «قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة»، وآخر يقول: «بل حدَّث نفسه وآخر يقول: «بل حدَّث نفسه فسها»، وآخر يقول: «بان الشيطان قالها على لسانه، وإن النبي عَلَيْ لَمَّا عَرَضها على جبريل قال: ما هكذا أقرأتك؟!»، وآخر يقول: «بل أعلَمهم الشيطان أن النبي عَلَيْ قرأها، فلما بلَغ النبي عليه ذلك، قال: والله ما هكذا أنزلت». وإلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومَن حُكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يُسندها أحد منهم، ولا رَفَعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية، والمرفوع فيه حديث شُعبة، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس فيما أحسب والشك في الحديث و النبي على النبي على كان عكة، وذكر القصة.

وقال أبو بكر البزّار: «هذا الحديثُ لا نَعلمُه يُروىٰ عن النبيِّ عَلَيْهِ بِإِسْادُه مَتَّصلٍ يَجوزُ ذِكرُه إلاَّ هذا، ولم يُسنِدُه عن شُعبةَ إلاَّ أُميَّةُ بنُ خالد، وغيرُه يُرسِلُه عن سعيد بن جبير، وإنما يُعرَفُ عن الكَلبيِّ، عن أبي صالح، عن ابن عباس».

فقد بيَّن لك أبو بكر ـ رحمه اللَّه ـ أنه لا يُعرَفُ من طريق يجوزُ ذِكرُه سوىٰ هذا، وفيه من الضعفِ ما نبَّه عليه مع وقوع الشكِّ فيه ـ كما ذكرناه ـ الذي لا يوثَقُ به، ولا حقيقة معه.

وأما حديثُ الكلبيِّ، فمما لا تَجوزُ الروايةُ عنه ولا ذِكرُه، لقوَّة ضَعفه وكذبِه ـ كما أشار إليه البزَّار ـ، والذي منه في «الصحيح» «أن النبي عَلَيْكُ قرأ: «والنجم» وهو بمكة، فسَجَد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنس» . . هذا توهينُه من طريق النقل.

فأما من جهة المعنى: فقد قامت الحُجَّة، وأَجْمَعَت الأمةُ على عصمته وَنزاهتِه عن مثل هذه الرذيلة، إمَّا من تَمنِّه أن ينزلَ عليه مثلُ هذا من مدح آلهة غير اللَّه وهو كُفر، أو أن يَتسوَّرَ عليه الشيطانُ ويُشبِّه عليه القرآن حتى يَجعلَ فيه ما ليس منه، ويَعتقدُ النبيُّ وَاللَّهُ أن من القرآن ما ليس منه حتى يُنبِّهَ عليه جبريلُ عليهما السلام!!.

وذلك كلُّه ممتنعٌ في حقّه عَيْكِي ، أو يقولُ ذلك النبيُ عَيْكِ من قبَلِ نفسه عمدًا وذلك كفرٌ أو سهو و، وهو معصومٌ من هذا كله ؟! وقد قرَّرنا بالبراهين والإجماع عصمته عليه من جرَيان الكفر على قلبه أو لسانه للا عمدًا ولا سهوًا له وأنْ يَشتَبِه عليه ما يُلقيه المَلكُ بما يُلقي الشيطانُ ، أو يكونَ للشيطان عليه سبيل ، أو يتقوّلَ على اللّه لا عَمدًا ولا سهوًا ما لم ينزِلْ عليه ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ﴾ الآية [الحاقة: ٤٤] ، وقال : ﴿ إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ﴾ [الإسراء: ٢٥].

ووجه ثان: وهو استحالة هذه القصة نظرًا وعُرفًا، وذلك أنَّ هذا الكلام لو كان كُما رُوي، لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام، ممتزج المدح بالذَّم، متخاذل التأليف والنَّظم، ولَما كان النبيُّ عَيَلِيُّ ولا مَن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يَخفي عليه ذلك، وهذا لا يَخفي على أدني متأمل، فكيف بمن رجَح حِلمه، واتَسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ؟.

ووجه ثالث: أنه قد عُلم من عادة المنافقين، ومُعانَدة المشركين، وضَعَفَة القلوب، والجَهَلة من المسلمين، نفورُهم لأول وَهْلة، وتخليط العدوِّ على النبيِّ عَلَيْكَ لأقلِّ فِتنة، وتعييرُهم المسلمينَ، والشماتة بهم الفَنية

بعد الفينة، وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة، ولم يَحْكُ أحدٌ في هذه القصة شيئًا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوَجَدَت قريش بها على المسلمين الصَّوْلَة، ولأقامت بها اليهود عليهم الحُجَّة، كما فعلوا مكابرة في قصة «الإسراء»، حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردَّة. . كذلك ما رُوي في قصة القضية، ولا فتنة أعظم من هذه البلية ـ لو وُجدت ـ ، ولا تَشغيب للمُعادي حينئذ أشدُّ من هذه الحادثة ـ لو أمكنت ـ ، فما رُوي عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسبها بِنْتُ شَفَة ، فدل على بطلانها واجتثاث أصلها .

ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على مُغفَّلي المحدِّثين، ويُلبِّسُ به على ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع: ذكر الرواة لهذه القضيّة أنّ فيها نزلت: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتُونَكَ . ﴾ الآيتين [الإسراء: ٢٧ - ٢٤]، وهاتان الآيتان تَرُدَّان الخبر الذي روَوْه؛ لأنّ اللّه تعالى ذكر أنهم كادُوا ليفتنونه حتى يفتري ، وأنه لولا أنْ ثَبّته لكاد يَركنُ إليهم . . فمضمونُ هذا ومفهومُه أن اللّه تعالى قد عصمه من أن يفتري ، وثبّته حتى لم يَركنْ إليهم قليلاً ، فكيف كثيراً ؟ وهم يَروُونَ في يفتري ، وثبّته حتى لم يَركنْ إليهم قليلاً ، فكيف كثيراً ؟ وهم يَروُونَ في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون الافتراء بَدح آلهتهم ، وأنه قال على الركون الافتراء بَدح آلهتهم ، وأنه قال على الله ، وقلتُ ما لم يقل الله !! وهذا ضدُّ مفهوم الآية ، وهي تُضعّفُ الحديث لو صحّ من فكيف ولا صحّة له؟ .

وهذا مثلُ قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهُمَّ مَنْهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ وَرَعْمَتُهُ لَهَمَّت طَّائِفَةٌ مِنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾ [النساء: ١١٣]. وقد رُوي عن ابن عباس رَائِكُ : «كلُّ ما في القرآنِ

«كاد» فهو ما لا يكون».

□ قال القاضي: ولقد طالبَتْهُ قريشٌ وثقيفٌ إذا مَرَّ باَلهتِهم أن يُقبِلَ بوجِهه إليها، ووَعَدوه الإيمانَ به إنْ فعل، فما فَعَل ولا كاد أن يَضِلَّ، وقد ذُكِرَتْ في معنى الآية تفاسيرُ أُخَرُ، ما ذكرناه من نصِّ اللَّه على عصمة رسوله بردِّ سَفْاسفها، فلم يَبْقَ في الآية إلاَّ أنَّ اللَّه تعالى امتَنَّ على رسوله بعصمته وتثبيته بما كادَه به الكفارُ، ورامُوا مِن فتنته، ومرادُنا في ذلك تنزيهُه وعصمته وعصمته وهو مفهومُ الآية.

وأما المأخذ الثاني: فهو مبنيٌّ على تسليم الحديث لو صَحَّ - أعاذنا اللَّه من صحَّته -، ولكنْ مع كلِّ حالٍ فقد أجاب عن ذلك أئمةٌ بأجوبةٍ ، منها الغَثُّ والسمين ».

□ قلت: فذكر هذه الأجوبة، وضعفها - جُلّها أو كلّها -، إلا الأخير منها، فإنه استظهره ورجَّحه، وهو الذي أجاب به ابن العربي فيما تقدَّم من كلامه: إنَّ الشيطان هو الذي ألقى ذلك في سكتة النبي عَلَيْهِ بين الآيتين، مُحاكيًا نَغَمَة النبي عَلَيْهِ، وأشاع ذلك المشركون عنه عَلَيْه، ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله، وتَحقُّقهم من حال النبي عَلَيْهِ في ذمِّ الأوثان وعيبها على ما عُرف منه، وقد حكى موسى بن عُقبة في «مغازيه» نحو هذا، وقال: «إنَّ المسلمين لم يسمعوها، وإنما ألقى الشيطانُ ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم»(١) ، ويكون ما رُوي من حُزنِ النبيِّ عَلَيْهِ لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة.

⁽١) ونحوه في رواية عروة «رقم٦»، وإن كان في آخرها ما يُخالف هذا.

* كلام الشوكاني:

□ وقال الشوكاني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ : «ولم يصحَّ شيءٌ من هذا، ولا يثبُتُ بوجه من الوجوه، ومع عدم صحته ـ بل بطلانه ِ ـ ، فقد دَفعه المحقِّقون بكتاب اللَّه سبحانه .

* قال اللّه: ﴿ وَلَوْ تَقُوّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿ إِنَّ لَا مَنْهُ بِالْيَمِينِ اللّهَ وَ فَوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ [المنعة: ٤٤ ـ ٤٤]، وقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ اللّهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣]، وقوله: ﴿ وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ ﴾ اللّهَوَىٰ ﴾ [النجم: ٧٤] فنفى المقاربة ؛ فضلاً عن الرّكون».

ثم قال: «والحاصلُ أن جميعَ الرواياتِ في هذا الباب إمَّا مُرسَلة،
 وإما منقطعة لا تقومُ بها الحُجَّة».

الله عنه عال: «وقال إمامُ الأئمةِ ابنُ خُزَيْمة: إنَّ هذه القصةَ مِن وَضعِ الزنادقة».

* كلام الآلُوسيِّ في إبطال القصة:

وعلىٰ كلِّ حالٍ، فإن الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه - متَّفق مع الذين أنكروا القصة على تنزيهه على لسانه عليه الصلاة والسلام، فالحلاف بينه وبينهم يكاد يكون شكليًّا أو لفظيًّا، وإغا الحلاة والسلام، فالحلاف بينه وبين بعض المتأخرين عيث ذهب إلى تصحيح الحلاف الحقيقي بينهم وبين بعض المتأخرين عيث ذهب إلى تصحيح القصة مع التسليم بها دون استنكار أي شيء منها، أو تأويل ما! بل جَوَّز (۱) هو الشيخ إبراهيم الكوراني كما صرَّح بذلك الآلوسي إبراهيم بن حسن بن شهاب بن حسن بن شهاب الكردي ولد في ١٠٢٥ هـ وتُوفى في ١٠١٠ه.

على النبيِّ عَيَالِيَّةٍ جميع ما فيها، زاعمًا أن ذلك لا يتنافى مع عصمته، بل هو تأديبٌ له! . في كلام له طويل يُغني وضوحُ بطلانه عن إيراده وتسويد الصفحاتِ لردِّه .، وقد نَقَله الآلوسيُّ بِرُمَّته، ثم ردَّ عليه في كلام متين، ولولا أن هذه العُجالة لم توضَع لهذه الغاية، لَسُقتُه بتمامه، فأقتصر من ذلك على قوله في خاتمة بحثه: «لكنَّ إثباتَ صحَّة الخبر أشدُّ من خَرْط القَتاد، فإنَّ الطاعِنين فيه من حيثُ النقلُ علماءُ أجلاَّء، عارفون بالغثِّ والسَّمين من الأخبار، وقد بَذَلُوا الوُّسعَ في تحقيقِ الحقِّ فيه، فلم يَروُوهُ إلاَّ مردودًا، وهم أكثرُ ممن قال بقبوله، ومنهم من هو أعلمُ منه، ويَعلبُ على الظنِّ أنهم وَقفوا على رُواته في سائر الطرُق، فرأُوهم مجروحين، وفات ذلك القائلَ بالقَبول(') ، ولَعَمْري إنَّ القولَ بأنَّ هذا الخبرَ مما ألقاه الشيطانُ على بعضِ ألسنةِ الرواة، ثم وَقَّق اللَّه تعالى جَمْعًا من خاصَّته لإبطاله، أهونُ من القول بأن حديث الغرانيق مما ألقاه الشيطانُ على لسان رسولِ اللَّه عَيْكِيُّ ثِم نَسَخَهُ سبحانه وتعالى، ولا سيَّما وهو مَّا لم يَتوقف على صحَّته أمرٌ ديني، ولا معنَىٰ آية، ولا سِوىٰ أنها يتوقَّفُ عليها حصولُ شُبَهِ في قلوب كثيرٍ من ضعفاء المؤمنين لا تكاد تُدفعُ إلاَّ بجَهدِ جَهيد»(٢) .

⁽۱) قلت: هذا فيه بعدٌ، لا سيما بالنسبة للحافظ ابن حجر، فلو كان هناك جَرح فلا يخفى عليه، والحقُّ أن الحافظ جَرئ على بعض القواعد الحديثية، فهو أعذر ممن خالفها ولم يُجب عنها، وقد أجبنا نحن فيما سبق، فالأقربُ أن يقال: إنهم وَقفوا على علَّة وهي «الإرسالُ» حسبماً فصَّلنا في سائر الطرق، ولكن لم يَرَها علَّة فادحة القائلُ بالقبول. (۲) «نصب المجانيق» (ص ٤٨ ـ ١٨) باختصار.

◘ ومِمَّن تكلُّم في بُطلان هذه القصَّة:

- _ محمد بن أحمد الأنصاري، أبو عبدالله القُرطبي في «أحكام القرآن» (٨٤ ـ ٨٠ / ١٢).
- _ محمد بن يوسف بن علي الكرْماني من شرَّاح «البخاري» (١٨/٨هـ)، وقد نَقل كلامَه في ذلك الحافظُ في «الفتح» (١٨/٨).
- _ محمود بن أحمد بدر الدين العَيْني (٨٥٥هـ) في «عمدة القاري» (٤٧/٩).
- _ محمد بن علي بن محمد اليمني الشوكاني (١٢٥٠هـ) في «فتح القدير» (٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).
- ـ السيد محمود أبو الفضل شِهاب الدين الآلوسي (١٢٧٠هـ) في «روح المعاني» (١٢٧/ ١٦٩).
 - _ صدِّيق حسن خان أبو الطيب (١٣٠٧هـ) في تفسيره «فتح البيان».
- محمد عبده المصري الأستاذ الإمام (١٣٢٣هـ) في رسالة خاصة له في هذه القصة (١) .

□ وقال الشَّيخُ العَلاَّمةُ أَحمد شاكِر ـ رحمه اللَّه تعالىٰ ـ في تَعْليقهِ علىٰ السُّن التِّرمذيِّ (٢/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥): "وهي قصَّةٌ باطلةٌ مَردودَةٌ ؛ كما قالَ القَاضي عِياضٌ والنَّوويُّ ـ رحمَهُما اللَّه ـ، وقد جاءَتْ بأسانيدَ باطلةٍ ؛ ضعيفةٍ ، أو مرسلةٍ ، ليس لها إسنادٌ مُتَّصِلٌ صحيحٌ .

⁽١) في «أثارات في مشكلات» (ص١٢٩ ـ ١٤٤) المطبوع مع «تفسير سورة الفاتحة» لتلميذه محمد رشيد رضا.

* قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي (١) _ رحمه الله _:

قالَ في «رحلةِ الحَجِّ إلىٰ بيتِ اللَّهِ الحَرامِ» (١٢٨ ـ ١٣٥) ما نصُّهُ: «والعُلماءُ مختلِفونَ في أصلِ قصَّةِ الغَرانيقِ؛ هلْ هِيَ باطلَةٌ أَو ثابِتَةٌ؟!.

فعلى القول ببطلانها؛ فالأمرُ واضحٌ.

وعَلَىٰ القول بثُبوتِها؛ فمعنى إلقاء الشَّيطان على لسان النبيِّ عَلَيْهُ أَنَّه وَعَلَىٰ القول بثُبوتِها؛ فمعنى إلقاء الشَّيطان على لسان النبيِّ عَلَيْهُ أَنَّهُ عَرْتِيلاً تتخَلَّلُهُ سَكَتاتُ، فراقَبَ الشَّيطان بعض سَكَتاتِ النبيِّ عَلَيْهُ ، ثمَّ حَاكَىٰ قراءَتَهُ عَلَيْهُ بقوله ـ عليه لعنهُ اللَّه ـ: «تلك الغَرانيقُ العُلاَ. وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لُتُرْتَجِيْ»! فظنَّ المُسْرِكُونَ صوتَ الشَّيطانِ صوتَ النبيِّ عَلَيْهُ.

وهذا الجوابُ عن قصَّة الغَرانيقِ ـ على القولِ بثُبوتِها ـ هو أحسنُ الأجوبَة عنها، وارْتَضاهُ جَمْعٌ مِن المُحَقِّقينَ مِن أَجوبَة كثيرة .

وحُجَّةُ القائلِ بِأَنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ باطلةٌ: اضطِرابُ رواتِها، وانقِطاعُ سَنَدها، واختلافُ أَلفاظها:

فْبِعْضُهُم يقولُ: إِنَّ النبيِّ يَكِيلِكُ كَانَ فِي الصَّلاةِ!.

وبعضُهُم يقولُ: قَرَأَها وهُو في نادي قَوْمِه!.

وآخَرُ يقولُ: قَرأَها وقد أَصابَتْهُ سنَةٌ!.

وآخَرُ يقولُ: بل حَدَّثَ نَفْسَهُ، فَجرىٰ ذلك على لسانه!.

وآخَرُ يقولُ: إنَّ الشَّيطانَ قالَها على لِسانِ النبيِّ ﷺ، وإنَّ النبيَّ لَمَّا

⁽١) وله ـ رحمه اللَّه ـ في «أضواء البيان» بحث مختصر فيها .

عَرَضَها على جِبريلَ قالَ: ما هكذا أَقْرَأتكَ! .

إلىٰ غيرِ ذلك مِن اختلافِ أَلفاظِها.

• والذي جاء في «الصحيح» من حديث عبدالله بن مسعود ولا الله عن مسعود ولا الله عن مسعود ولا الله عنه أن النبي والنه قراً: ﴿ وَالنَّجْمِ.. ﴾ ، فسَجَدَ فيها ، وسَجَدَ مَن كانَ معه ؛ غَيْر أَنَّ شيخًا من قُريْشٍ أَخَذَ كَفًا مِن حَصَى أو تُرابٍ ، فرَفَعَهُ إلى جَبْهَتِهِ ، فسجَد عليه ».

قالَ عبدُ اللَّهِ: «فَلَقَدْ رأَيْتُهُ ـ بَعدُ ـ قُتِلَ كَافِرًا». أَخرَجَهُ الشَّيخانِ في «صحيحَيْهِما».

وصح من حَديث ابن عبَّاس ولي : أَنَّ رسولَ اللَّهِ عَيَّالَةٍ سَجَدَ بـ
 (النَّجْم)، وسَجَدَ معهُ المُسْلِمونَ والمُشْرِكونَ والجِنُّ والإنسُ.

رواهُ البخاريُّ ـ رحمه اللَّه ـ .

فهذا الذي جاءً في «الصحيح» لم يُذْكَرْ فيهِ أَنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَرَ الغَرانيقَ، ولا شَيْئًا مِن تلكَ القِصَّةِ.

والذي ذَكَرَهُ المُفَسِّرونَ عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَائِكُ في هذه القصَّةِ إنَّما هُو مِن طَريقِ الكَلْبيِّ عن أبي صالحٍ عن ابنِ عبَّاسٍ رَائِكُ .

والكَلْبِيُّ؛ ضعيفٌ جدًّا، بل متروكٌ.

ولذا قالَ ابنُ العَرَبيِّ المالِكِيُّ: «إنَّ قصَّةَ الغَرانِيقِ باطِلَةٌ لا أَصْلَ لها».

وقالَ القاضي عِيَاضٌ: «إنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ لِم يُخْرِجُها أحدٌ مِن أَهْلِ الصَّحَّةِ، ولا رواها ثقةٌ بسنَد سليم مُتَّصِلٍ، معَ ضَعْفِ نَقَلَتِها، واضْطرِابِ

رواياتها، وانقطاع إسنادها».

وذَكَرَ أَنَّ مَنْ حُمِلَتْ عنهُ مِن التَّابِعِينَ والمُفَسِّرِينَ لم يُسْنِدُها أَحَدُ منهُم، ولا رَفَعَها إلى صاحِبٍ.

وأكثرُ الطُّرُقِ عنهُم في ذلكَ ضعيفةٌ واهِيَةٌ.

قالَ: «وقد بَيَّنَ البَزَّارُ أَنَّهَا لا تُعْرَفُ مِن طريقٍ يجوزُ ذِكْرُهُ إلا طريقَ أبي بِشُرٍ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ وَلِيُنِي معَ الشَّكِِّ الذي وَقَعَ في أَصْلِهِ».

□ قالَ مُقَيِّدُهُ عِفا اللَّهُ عِنهُ -: «وقد اعْتَرَفَ الحافظُ ابنُ حَجرِ العَسقَلانيُّ - رحمه اللَّه - مع انْتِصارِهِ لثُبوتِ هذه القصَّة بِأَنَّ طُرُقَها كُلَّها إمَّا مُنقَطِعَةٌ أَو ضعيفةٌ ؛ إلاَّ طريقَ سعيدِ بنِ جُبيرٍ .

وإذا عَلِمتَ أَنَّ طُرُقَها كُلَّها لا يُعَوَّلُ عليها إلاَّ طريقَ سعيد بنِ جُبيرٍ، فاعْلَمْ أَنَّ طريقَ سعيد بنِ جُبيرٍ فاعْلَمْ أَنَّ طريقَ سعيد بنِ جُبيْرٍ لم يَرْوِها بها أَحَدٌ مُتَّصِلَةً ؛ إلاَّ أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ. وهُو وإنْ كانَ ثقةً ؛ فقدْ شكَّ في وَصْلِها .

فقدْ أَخْرَجَ البَزَّارُ ، وابنُ مَرْدَوَيْهِ ؛ مِن طريقِ أُمَيَّةَ بنِ خالدٍ عن شُعْبَةَ عن أَبي بشْرٍ عن سعيدِ بنِ جُبَيْرٍ .

فقالَ أُمَيَّةُ بنُ خالدٍ في إسنادِهِ هذا: عن سعيد بنِ جُبيرٍ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ فيما أُحسبُ ـ.

ثم ساقَ حَديثَ القصَّةِ المذكورةِ.

وقالَ البزّارُ: «لا يُرْوَىٰ مُتَّصِلاً إلاَّ بهذا الإسنادِ، تفرَّدَ بوصْلهِ أُمَيَّةُ
 ابنُ خالدٍ، وهو ثقةٌ مشهورٌ».

◘ وقالَ ـ أعني البَزَّارَ ـ: «وإنَّما يُرْوَىٰ مِن طريقِ الكَلْبِيِّ عن أبي صالحٍ

عن ابنِ عبَّاسٍ رَاكِيْكُ ».

والكَلْبِيُّ متروكٌ.

فتحَصَّلَ مِمَّا ذَكَرْنَا أَنَّ قصَّةَ الغَرانيقِ التي لم تَثْبُتْ مِن طريقٍ مُتَّصِلَةٍ يجوزُ ذِكْرُها إلاَّ هذا الطَّريقَ الذي شكَّ راويه ِ ـ وهو أُمَيَّةُ بنُ خالِدٍ ـ في الوَصْلِ. الوَصْلِ.

ومَا لَمْ يَثَبُتْ إِلاَّ مِن طريقٍ شَكَّ صاحبُهُ في الوَصْلِ؛ فضَعْفُهُ ظاهِرٌ. ولذا قالَ الحافظُ ابنُ كثيرٍ في «تفسيرِه» في قِصَّةِ الغَرانيقِ: «إنَّهُ لمْ يَرَها مُسْنَدَةً مِن وَجْهٍ صحيحٍ، واللَّهُ تعالى أَعْلَمُ».

وقالَ البيهَقِيُّ فيها: «إنَّها غيرُ ثابتة مِن جهة النَّقْلِ».
 وذكرَ الرَّازيُّ في «تفسيره» أنَّها باطلَةٌ.

□ قالَ مُقيِّدُهُ ـ عفا اللَّه عنه ـ : "إنَّ القولَ بعَدَم صَحَّبِها لهُ شاهدٌ مِن القرآنِ العظيم في سورة "النَّجْم" ، وشَهادَّتُهُ لِعَدم صِحَّبِها واضِحَةٌ : وهو أنَّ قولهُ تعالى : ﴿ أَفَرَ أَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالَةَ الأَّخْرَى ﴾ [النجم: قولهُ تعالى : ﴿ أَفَرَ أَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالَةَ الأَخْرَى ﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٠] الذي يقولُ القائلُ بصحَّة القصَّة أنَّ الشَّيطانَ أَلقَى بعدَهُ ما أَلقى ؛ قَرا أَلنبي تُعِيدٍ من سورة "النَّجْم" النبي تعليه من سورة "النَّجْم" قولَهُ تعالى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَيْتُمُوهَا أَنتُمْ وآباؤكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانَ ﴾ [النجم: ٣٢].

فهذا يَتَضَمَّنُ مُنْتَهَى ذَمِّ الغَرانِيقِ التي هِيَ كِنايةٌ عنِ الأصْنامِ، إذْ لا ذَمَّ أَعْظَمُ مِن جَعْلِها أَسماءً بِلا مُسَمَّياتٍ، وجَعْلِها باطِلاً ما أَنْزَلَ اللَّهُ بهِ مِن سَلْطانِ!!.

* فلو فرضا أنّ الشّيطان ألقى على لسانه على الناه على العرانيقُ العُلا» ؛ بعد قوله: ﴿ وَمَنَاةَ النَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم: ٢٠]، وفَرحَ المُشْرِكونَ بأنّهُ ذكر الهَتَهُمْ بَخَيْر، ثمَّ قالَ النبيُّ في تلك اللحظة: ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّه بِهَا مِن سُلْطَانِ ﴾ [النجم: ٢٣]، وذَمَّ الأصنامَ بذلك غاية الذّمِّ، وأَبْطَلَ شفاعَتها غاية الإبطال! فكيْف يُعقلُ ـ بعدَ هذا ـ سجودُ المُشْرِكينَ، وسَبُّ أصنامِهِم هو الأخيرُ، والعبْرةُ بالأخير؟!.

* ويُسْتَأْنَسُ بقولِهِ أيضًا - بعدَ ذلكَ بقليلٍ في المَلائِكَة -: ﴿ وَكُم مِّن مَلْكَ فِي المَلائِكَة -: ﴿ وَكُم مِّن مَلْكَ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْد أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لَمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [النجم: ٢٦]؛ لأنَّ إبطالَ شَفاعَة المَلائِكة - إلاَّ بإذن اللَّه - معلومٌ منه عندَ الكُفَّارِ بالأحْرَويَّة إبطالُ شفاعة الأصنام المزعُومَةِ.

□ وقالَ الحافظُ ابنُ حَجَرٍ في «فتح الباري» في تفسيرِ سورة «الحَجِّ» ما يُفيدُ ثُبوتَ قِصَّة الغَرانِيقِ.

وذَكَرَ أَنَّهَا ثَبَتَتْ بثلاثَةِ أَسانيدَ؛ كُلُّهَا على شَرْطِ الصَّحِيحِ، وهِيَ مَراسيلُ؛ يَحْتَجُّ بَمِثْلِهَا مَن يَحتَجُّ بالْمُسْلِ، وكذلكَ مَن لا يَحْتَجُّ بهِ؛ لاعتضادِ بعضِها ببَعْضٍ.

واحتَجَّ أيضًا بأَنَّ الطُّرُقَ إذا كُثْرَتْ وتَبايَنَتْ مَخارِجُها؛ دَلَّ ذلكَ علىٰ أَنَّ لها أَصلاً.

ثُمَّ قَالَ: «وإذا تَقَرَّرَ ذلك؛ تَعَيَّنَ تأويلُ ما وَقَعَ في القصَّةِ مِمَّا يُسْتَنْكُرُ، وهو قولُهُ: «أَلقى الشَّيطان على لِسانِهِ: تلكَ الغَرانِيقُ العُلاَ، وإنَّ شفاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجِي»، فإنَّ ذلك لا يجوزُ حَمْلُهُ على ظاهرِهِ؛ لأنَّهُ يستَحيلُ عليهِ ﷺ أَنْ

يَزيدَ في القرْآنِ ما ليسَ منهُ عَمْدًا، وكذا سَهْوًا؛ إذا كانَ مُغايرًا لِما جاء بهِ مِن التوحيد؛ لمكانِ عِصْمَتِه عَيَالِيَّةِ».

ثمَّ أَخَذَ ـ أَعني الحافظ ابنَ حَجَر ـ في أجوبة العُلَماءِ عنِ القِصَّةِ المذكورةِ _ على تَقْديرِ ثُبوتها ـ ، وذكر أجوبة كثيرة .

وقدْ قَدَّمْتُ أَنَّ أَحْسَنَها ما استَحْسَنَهُ كَثيرٌ مِن الْمَحَقِّقِينَ مِن أَنَّ الشَّيطانَ هُو الذي قالَ: «تِلْكَ الغَرَانِيقُ العُلا»، فظنَّ الْمَشْرِكُونَ أَنَّها مِن كَلامِ نبيِّنا عَلِيْهِ، وحاشاهُ من ذلك.

ولذا اقتَصَرْتُ على هذا الجَوابِ، ولم أَذْكُرْ غيرَهُ.

* واللَّهُ تعالى في كتابِهِ العَزِيزِ أَسْنَدَ هذا الإلقاءَ للشَّيطانِ، حيثُ قالَ: ﴿ أَلْقَى الشَّيطَانِ تَدُلُّ على بَراءَةِ ﴾ [الحج: ٢٥]، ونِسْبَتُهُ إِيَّاهُ للشَّيطانِ تَدُلُّ على بَراءَةِ جَنابِ النبيِّ عَيِّلِيَّةٍ.

□ قال مُقيِّدُهُ ـ عفا اللَّهُ عنهُ ـ: اعْلَمْ أَنَّ براءَةَ ساحَةِ خاتَمِ الرُّسُلِ وأَشْرَفِهِم، وسيِّد ولَد آدَمَ بالإطلاق ـ عليه صلواتُ اللَّه وسلامه ـ مِمَّا جاءَ في ظاهرِ هذه القصَّة، تدلُّ عليهِ البراهينُ القاطعة، والأدلَّةُ لسَّاطِعة ؛ كما ستَراه.

وقولُ الشَّيطانِ: «تلكَ الغَرانِيقُ العُلاَ» شرْكٌ أَكبرُ صُراحٌ، وكُفْرٌ بَواحٌ، وهُو يَظْلِيَّهُ مَبْعوثٌ لإخلاص العبادَة للَّه وحْدَهُ؛ مِمَّا تَضَمَّنَتُهُ كلمةُ: «لا إلهَ إلاَّ اللَّه»؛ كجميع إخوانِه مِن المُرْسَلينَ:

* قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتْ ﴾ [النحل: ٣٦].



* وقالَ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونَ ﴾ [الانبياء: ٢٥].

* وقالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَاسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَن آلهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥].

فإخلاصُ العِبادَةِ للَّهِ وحدَهُ هُو دَعْوَةُ عامَّةِ الرُّسُل، وأشدُّهُم فيهِ احْتِياطًا خاتمُهُم ﷺ.

ولذا مَنَعَ بعض الأمور التي كانَتْ مُباحَةً عندَهُم؛ احتياطًا في توحيد اللّه في عبادَته جَلَّ وعَلا، فالسجودُ لمخلوقٍ في شريعته السَّمْحَة كُفْرٌ باللّه تعالَى، مع أَنَّهُ كانَ جائِزًا في شَرْع غيره من الرُّسُلَ عليهم الصَّلاة والسَّلامُ من كما قالَ تعالَىٰ عَنْ يَعْقُوبَ وأُوْلادهِ في سُجودهِم لِيوسُفَ: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠].

ولذلك أُمرَ نَبِيُّنا ﷺ أَنْ يَقُولَ للنَّاسِ: إِنَّهُ مَا أُوْحِيَ إِلَيهِ إِلاَّ تُوحِيدُ اللَّهَ تعالىٰ في عِبادَتِه في قولِهِ تعالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُسْلَمُونَ ﴾ [الانبياء: ١٠٨].

وقد تقرَّرَ عندَ الأصوليِّينَ والبيانِيِّنَ أَنَّ لفظَ «إنَّما» مِن أدوات الحَصْرِ، فدلَّت الآيةُ على حَصْرِ الموحَى إليه عَلَيْ في أصله الأعظم الذي هُو «لا إله إلاَّ الله»؛ لأنَّها دَعْوَةُ جميع الرُّسُلِ وغيرِها مِن شرائع الإسلام وفُروعِها التَّابِعة لها.

ولهذا صارَ مُكَذِّبُ رسولٍ واحِدٍ مُكَذَّبًا لجميعِ الرُّسُلِ؛ لأنَّ دَعْوَتَهُم واحدَةٌ.

* قالَ تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٠٥]؛ أَي نَـ بِتكذيبِهِمْ نُوحًا.

* ﴿ كَذَّبَتْ عَادُّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٢٣]؛ أي: بتكذيبهم هُودًا.

* ﴿ كَذَّبَتْ ثُمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٤١]؛ أي: بتكذيبهم صالحًا.

* ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٦٠]؛ أي: بتكذيبِهِم لُوطًا.

* ﴿ كَذَّبَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء: ١٧٦]؛ أي: بتكذيبِهِم شُعَنًّا.

فهذه الآياتُ تَدُلُّ على أَنَّ مكَذِّبَ رسولٍ واحدٍ مُكَذِّبٌ لجميعِ الرُّسُلِ، وذلك لاتِّحادِ دعْوَتِهِم، وهِي مَضْمونُ: «لا إله إلاَّ اللَّهُ».

* قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ نُؤُمْنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿ وَيَقُولُونَ فُولُكِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقَّا ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ 1٥٠].

فإذا حَقَقْتَ هذا؛ عَلَمْتَ أَنَّهُ عَلَيْهُ لا يَقُولُ: «تِلَكَ الغَرانِيقُ العُلا، وإنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجِي»؛ لِمَا في هذا الكلام من الشِّرْكِ الصُّراح، والكُفْرِ البَوَاح، المُضادِّ لِما جَاءَ بهِ جَميعُ الرُّسُلِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ..

ولا يَقْدِرُ الشَّيْطانُ أَنْ يُجْرِيَ ذلك عَلَىٰ لِسانِهِ ﷺ؛ لأنَّه ليس لهُ عليهِ مِن سُلْطانٍ، بشهادة القُرْآنِ وبإقرارِ الشَّيْطانِ.

* قَالَ جَلَّ وَعَلا: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيم



﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿ ﴿ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم به مُشْرِكُونَ ﴾ [النحل: ٩٨ ـ ١٠٠٠].

ومَعْلُومٌ أَنَّ النبيَّ عَلَيْكُ مِنِ الذينَ آمَنُوا وعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، وأَنَّهُ ليسَ مِنِ الذينَ يَتَوَلَّوْنَهُ والذينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ.

* قَالَ تَعالَىٰ: ﴿ إِنَّ عَبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر: ٤٢].

ومَعْلُومٌ أَنَّ النبيَّ ﷺ مِن عِبادِهِ الذينَ ليسَ للشَّيطَانِ عِليهِمْ سُلُطانٌ، وأَنَّهُ لَيْسَ مِن الغَاوِينَ الذينَ اتَبَعُوهُ.

وأَقَرَّ الشَّيطانُ بَأَنَّهُ لا سَبيلَ عَلىٰ مَنْ هُو دُونَهُ عَلَيْ وَأَحْرَىٰ هُو ـ صَلَواتُ اللَّهِ عليهِ سلامُهُ ـ قالَ: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِينَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ آَكِ ﴾ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [ص: ٨٢-٨٣].

* وقَالَ: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاًّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

* وقَالَ تَعالَىٰ في نبيِّنا عَلَيْهُ: ﴿ سَنُقُرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴾ [الأعلى: ٦].

* وقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿ ثُلَ ۗ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٤].

* وصَرَّحَ جَلَّ وعَلا بحِفْظِ القُرْآنِ مِن دَسائِسِ الشَّيْطانِ؛ قالَ: ﴿ وَإِنَّهُ لَكُتَابٌ عَزِيزٌ ﴿ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَميد ﴾ [فصلت: ٤١ - ٤٢].

فقولُهُ تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾؛ فعلٌ في سياقِ النَّفْي، والفعلُ في سياقِ النَّفْي من صيغ العُموم؛ كالنَّكرَة في سياقِ النَّفْي عندَ المُحقِّقينَ مِن عُلَماءِ الأصُولِ، ووَجُهُهُ ظاهِرٌ؛ لأنَّكَ إذا حَلَّلْتَ الفِعْلَ انْحلَّ إلى مَصْدر وزَمَن ؛ فهو يدلُّ على نكرة واقعة في سياقِ النَّفْي؛ لأنَّ نَفْيَ الفعْل نفي للمَصْدر، الذي هُو جُزْءٌ مِن مَدْلوله، فإذا قُلْنا: «لا يَقومُ زيدٌ»، عَمَّ النَّفْيُ أَوْرادَ المَصْدر، فكأنَّما قُلْنا: «لا قِيامَ لِزَيْد».

□ وقالَ أَبو حِنيفَةَ: «لا تَعْميمَ في الفِعْلِ بعدَ النَّفْيِ وَضْعًا، بل فيهِ تعميمٌ عقلِيٌّ؛ بدِلاَلَةِ الالتزام».

وما قَصَرَ به الرازِيُّ في «محصوله» مذْهَبَ أبي حَنيفة في عَدَم عُموم الفعْلِ في سياقِ النفي لا يصحُّ التمسُّكُ به ، فانظُرْ تحقيقَهُ في «حاشيةِ العَبَّادِي على شَرْحِ المَحلِّي لجمع الجَوامع» ؛ يظهَرْ لكَ ما ذَكَرْنا .

فبهذا تَعْلَمُ أَنَّ قُولَهُ تعالى : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾ يَعُمُّ نَفْيَ كُلِّ باطلٍ يأْتي القُرآنَ.

وقد أكَّدَ هذا العُمومَ بقوله: ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ ، فلوْ قَدَّرْنا أَنَّ الشَّيطانَ أَدَخلَ في القُرآنِ عَلَىٰ لِسَانِ النبيِّ ﷺ: «تلكَ الغَرانيتُ العُلاَ» وحاشاهُ مِن ذلكَ ـ ؛ لكانَ قدْ أتى القُرآنَ أَعْظَمُ باطلٍ مِن بينِ يَدَيْهِ ومِن خَلْفِه، فيكونُ تَصْريحًا بتكذيبِ اللَّهِ جَلَّ وعَلا في قولِهِ: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ .

ولا حُجَّةَ في أَنَّ اللَّه جَلَّ وعَلا نَسَخَ ما أَلقاهُ الشَّيطانُ في القُرْآنِ على لِيسانِ النبيِّ عَلَيْقِهِ؛ كما قالَ: ﴿ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ﴾ [الحج: ٥٠]؛

لأنَّ الباطلَ إنْ أَتِى القُرآنَ أَوَّلاً ثُمَّ نُسِخَ، فَنَسْخُهُ بعدَ إِتِيانِهِ لا يَرْفَعُ اسمَ الإِتيانِ أَوَّلاً، وقولُهُ تعالى: ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ ﴾ نصُّ صَريحٌ في نَفْي إِتيانِ الباطل؛ كَما قَدَّمْنا.

* وقالَ تَعَالَىٰ : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. فهذه نصُوصٌ قُرآنيَّةٌ قاطِعَةٌ تدلُّ على أَنَّ الشَّيْطانَ لا سَبيلَ لهُ إلى أَنْ يَحْمِلَ النبيَّ عَلَىٰ أَنْ يُدْخِلَ في القُرْآنِ العَظيمِ ما ليسَ منهُ مِن الكُفْرِ الصِّرَاحِ وَالشِّرْكِ الأَكْبَرِ.

ولم يَبْقَ في الآيةِ الكريَةِ المسؤولِ عنها إشكالٌ اه.

□ وقال الأستاذ سيد قطب (١٠) : (واللّهُ الذي يَحْفَظُ دعو تَهُ مِن تكذيب الْمُكذّبينَ، وتعطيلِ المُعوِّقينَ، ومُعاجَزَةِ المُعاجزينَ؛ يحفظُها كذلكَ مِن كَيْدِ الشّيطان، ومِن مُحاولته أَنْ يَنْفُذَ إليها مِن خلالِ أَمْنيّاتِ الرُّسُلِ النابعة مِن طبيعتهِمُ البشريّة، وهُم مَعْصومونَ مِن السَّيطان، ولكنّهُم بَشَرٌ، تَمَتدُّ نفوسُهُم إلى أَماني تتعلّقُ بسرعة نشر دعوتهم، وانتصارها، وإزالة العقبات مِن طريقها، فَيُحاوِلُ الشّيطانُ أَنْ يَنْفُذَ مِن خلالِ أَمانيهم هذه، فَيُحولُ مَن طريقها، فيُحاوِلُ الشّيطانُ أَنْ يَنْفُذَ مِن خلالِ أَمانيهم هذه، فَيُحولُ الدعوة عَنْ أُصولها وعن مَوازينها. فَيُبْطِلُ اللّهُ كيدَ الشّيطان، ويصونُ دعوتهُ، ويُبيّنُ للرُّسُلِ أُصولها وموازينها، فيُحكمُ آياته، ويُزيلُ كُلَّ شُبْهة في دعوتهُ، ويُبيّنُ للرُّسُلِ أُصولها وموازينها، فيُحكمُ آياته، ويُزيلُ كُلَّ شُبْهة في الدَّعْوة ووسائلها: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولَ وَلا نَبِي إِلاَّ إِذَا تَمَنَى الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحكمُ اللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ اللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ وَاللَّهُ أَيْعَ الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحكمُ اللَّهُ آيَاتِه وَاللَّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا اللّهُ وَاللّهُ وَيَعْلَعُونَ وَاللّهُ وَاللّهُ

⁽۱) «الظلال» (٥/ ٢١١ ـ ١١٤).

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿ آَنَ لَيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَة قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعَلْمَ وَالْقَاسِيَة قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِلَىٰ أَنَّهُ الْحَقَ مِن رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُحْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صَرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الحج: ٥٢ - ٥٤].

لقد رُوِيَتْ في سَبَبِ نُزولِ هذه الآياتِ رواياتٌ كَثيرةٌ ذَكَرَها كثيرٌ مِن الْفَسِّرِينَ.

قالَ ابنُ كَثيرٍ في «تفسيرِه»: «ولكنَّها مِن طُرُقٍ كُلُّها مُرْسَلَةٌ، ولم أَرَها مُسنَدةً مِن وجْهٍ صَحيحٍ، واللَّه أعلمُ».

◘ ثُمَّ قالَ بعدَ أَنْ سَاقَ شَيئًا مِن الرِّواياتِ بِأَلفاظِها: «هذه خُلاصَةُ تلكَ الرِّواياتِ فِي هذا الحَديثِ النَّرانيقِ. . وهُو مِن ناحِيةِ السَّندِ واهي الأصْل».

□ قالَ عُلَماءُ الحَديث: «إنَّهُ لم يُخْرِجْهُ أَحدٌ مِن أَهلِ الصحَّةِ ، ولا رواهُ بسندِ سكيم مُتَّصل ثقةٌ».

◘ وقالَ أَبو بكر البزَّارُ: «هذا الحَديثُ لا نعلَمُهُ يُرُوىٰ عَنِ النبيِّ ﷺ بإسنادٍ مُتَّصلٍ يجوزُ ذِكْرُهُ».

وهُو مِن ناحيةِ موضوعِهِ يُصادِمُ أَصلاً مِن أُصولِ العقيدَةِ ، وهُو عِصْمَةُ النبيِّ ﷺ مِن أَنْ يَدُسَّ عَلَيهِ الشَّيطانُ شيئًا في تَبليغ رِسالَتِهِ .

وقد أُولعَ المُسْتَشْرِقونَ والطَّاعِنونَ في هذا الدِّينِ بذلك الحَديث، وأَذاعوا به، وأَثاروا حَوْلَهُ عَجاجَةً مِن القول، والأمرُ في هذا كُلِّهِ لا يَثْبُتُ للمُناقَشَةِ، بل لا يَصِحُّ أَنْ يكونَ موضوعًا للمُناقَشَة. وهُناكَ مِن النَّصِّ ذاتِهِ ما يُستَبْعَدُ معهُ أَنْ يكونَ سَبَبُ نزولِ الآيةِ شيئًا كهذا، وأَنْ يكونَ مدلولُهُ حَادثًا مُفْرَدًا وقعَ للرَّسولِ ﷺ.

فَالنَّصُّ يُقَرِّرُ أَنَّ هذه قاعِدةٌ عامَّةٌ في الرِّسالات كُلِّها، مع الرُّسُلِ كُلِّهم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِي ۗ إِلاَّ إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أَمْنَيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ.. ﴾.

فلابُدَّ أَنْ يكونَ المقصودُ أَمرًا عامًّا، يستَنِدُ إلى صِفَةٍ في الفِطْرَةِ مشتَركة بينَ الرُّسُلِ جَميعًا بوصْفِهِم مِن البَشَرِ، مِمَّا لا يُخالِفُ العِصْمَةَ المقرَّرَةُ للرُّسُلِ».

* صدق اللَّه العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَكُ لَكُ الحَافظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

وكذَب سلمان رشدي الدجَّالُ المرتدُّ الجَهول، وصلى اللَّه وسلم على سيِّد البشر وأفضل رسول. ما ضرَّه ما قال عنه الغبيُّ القِزمُ الجهول: ما يَضُرُُ البحـر أمسى زاخرًا أنْ رَمَى فيه غلامٌ بحَجَر ْ



فهرس المجلد الثاني

٧.	* هشام بن الحكم الرافضي
٨.	* أبو إسحاق إبراهيم بن سيَّار «النَّظَّام»
١.	* من فضائح النظَّام
۱۸.	﴾ أبو هاشم الجُبَّائي
19.	* ثُمامة بن الأشرس
۲۳.	* يزيد بنِ أبي أُنيسة
۲٤.	* الميمونيَّة مِن الخوارج
YO.	* بابك الخُرَّمي
۲۷.	* الإمامية الإثنا عشرية
۲۸.	* ادعاء نزول الوحي عند الإمامية
٣٤.	* هذه هي عقائدهم من أهم مصادرهم
٣٥.	* وانظر إلى ما خلعوه على الأئمة من أمور
	* أولاً: تصريح الإمامية بأن مرتبة «الإمامة» أعلى وأسمى من مرتبة
40.	«النبوة»
٣٧.	* ثانيًا: تصريحهم بأن الأئمة أفضل من الأنبياء
49	* ثالثًا: المَلَك الذي ينزل على الأئمة دون الأنبياء هو أعظم من جبريل
امة	* رابعًا: تصريحهم بأن الأنبياء ـ مع علوٍّ منزلتهم ـ مأمورون باعتقاد إم
٤١	الأئمة الاثني عشر
6	* خامسًا: تصريحهم بأن الأنبياء ما نالوا الفضل والرفعة من جهة نبوت
24	واصِطفائهم، بل من جهة إقرارهم بإمامة الأئمة والخضوع لهم
80	* الْمُلُك يحدث الإمام ويكلِّمه
23	* المُلَك الذي يكلِّم الإِمام هو جبريل عليه السلام
٤٩	* مفهوم النبوة والوحْي متحقق في الإمام
01	* الاتصال بالسماء لم ينقطع بموت النبي عَلَيْقُ

07	* الأئمة يعلمون أخبار السماء صباح مساء
٥٣	* روح القدس ينتقل من النبي إلى الإمام
07	* مفهوم «العصمة» يتضمن إثبات الوَحيٰ
07	* لم يثبتُوا نزول الوحي فقط على الإمام، بل زادوا عليه
٥٨	* مفهوم «النبوة التبليغية» ينطبق تمامًا على الأئمة ـ بزعمهم ـ
7.	* تصريح الإمامية بأن الإمام يجب أن يتَّصف بصفات النبي
77	 "تصريح الإمامية بأهلية الأئمة لمنصب النبوّة
73	* تصريح فيلسوفهم «الشيرازي» بأن الإمامة هي نبوة باطنية
ين	* آخِرِ قاصمة للظهر بأن عقولهم لم تستطع الوقوفَ على فرقٍ مقنع ب
73	«النبيَ» و «الإمام»
ِيادة	* الفُّريــة الكبــٰرئ للإماميــة: ادعاؤهم تحريف القرآن والحذف والز
79	فيه
۸٠.	* الخميني شيخ الكفر وكبير الإمامية الاثنا عشرية في عصرنا
۸٠.	* النبوة عن الخميني
۸١	* الخميني ضال مُضَلِّ
۸٢	 * الخميني الضال يذَهب إلى تحريف القرآن
۸٥.	الخميني الضال المُغالي في أئمته الاثنا عشرية
۲۸.	(١) الاتجاه الوثني عنده
۸٧ .	(٢) اعتقاده تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان
۸۸ .	(٣) قوله بالحلول والاتحاد
۹٠.	* الخميني يكفِّر الصحابة عامة ويُصرِّح بتكفير الشيخين
۹٠.	* تكفير الأئمة للإمامية الاثنا عشرية
97.	* سلوا التاريخ يخبركم عن الرافضة
9٧.	* نقول للمخدوعين في رافضة إيران والعراق ولبنان
91.	* الفلاسفة: ابن سبنا والفارايي ومن على شاكلتهم

11.	* أما الفارابي
11.	* نظرية النبوة عند الفارابي
118	* علي بن مسكويه
110	* ابن الراوندي الزنديق
119	* أبو العلاء المعرِّي المشهور بالزندقة
140	* الشيخ محمود شاكر يفند خبر لقاء المعري بالراهب
141	* ابن المَقفُّع المشهور بالزندقة
۱۳۸	* أبو بكر الرازي الزنديق
149	* قسطا بن لوقا
1 2 1	* إبراهيم الفزاري الشاعر الزنديق
127	* الحلاَّج زنديق الصوفية
180	* صفة مقتل الحلاج
189	* ابن عربي دجال الصوفية
107	* مناقشة ابن عربي
177	* كلام ابن عربي في الأخذ عن اللَّه مباشرةً
179	
179	* قول ابن عربي في الولاية والنبوة
140	* كُفرُ ابن عربي لحكمه بإيمانٍ فرعون وتفضيلة السامري على هارون
177	 « فرعون عند ابن عربي رب موسئ وسيده » فرعون عند ابن عربي رب موسئ وسيده
۱۸۰	* تكفير الغراقي لابن عربي
۱۸۰	* تحريف ابن عربي لآيات الله
۱۸۳	* ذمَّ ابن عربي لنبي اللَّه نوح عليه السلام
۱۸۸	* كذب ابن عربي و إفكه على رسول اللَّهُ عِلَيْةٍ
119	* طعن أبي زرعة في ابن عربي
119	

149	* قول الذهبي وابن عربي
191	 ﴿ رأي البلقيني في ابن عربي
191	
197	
191	
Y • 1	
Y • 1	
۲۰۳	
۲۰۳	
718	* بعض ألفاظ ابن عربي التي تبين مذهبه
719	
۲۲۳	
740	
۲۳۸	
787	
7 2 7	
۲٤٣	* الوحدة عند ابن الفارض
7 2 0	* إفك على الله
۲٤۸	* دين ابن الفارض
۲٥٣	* خطر صرف الكلام عن ظاهره
۲٥٤	* «التائية» و «الفصوص»
س وفي صورة	* عبدالكريم الجيلي يزعم ويفتري أن الرسول عَلَيْ يظهر في الكنائد
٠,٠٠٠	مشایخهمشایخه
۸۲۲	* السُّهرَ ور دي المقتول
Y Y	* الكَهُ حل وغيره من المنتسبين المراالشيخ بونس القتّات

272	* الإسحاقية من غلاة الشيعة
۲۷۳	* ابن أبي الفراقر _ لعنه اللَّه
740	* قرَّة العين غانية البابية والداعية لنسخ الشريعة المحمدية
۲۸.	* الرجل الصنم مصطفى كمال أتاتورك عدو اللَّه ورسوله
797	* عدوُّهُ الأكبر رسول اللَّه ﷺ
797	* أتاتورك الجبان
۳.,	* على عبدالرازق وكتابه القبيح الأسود «الإسلام وأصول الحكم»
4.1	* سعد زغلول يفند كتاب «الإسلام وأصول الحكم»
4.4	* سعد يُلقم العلمانيون حجراً
4.5	* على عبدالرازق تلميذ «مرجليوث وأرنولد»
۲.7	* هذيّان علي عبدالرازق ودَجَله
٣.٧	* دعواه أن جهاده ﷺ كان في سبيل الْملك لا في سبيل الدين
طراب	* دعواه أن نظام الحكم في عهد النبي عَلَيْ كان مُوضع عُموض أو اض
4.4	أو نقصأ
(* دعواه أن مهمة النبي ﷺ كانت بلاغًا للشريعة مجردًا عن الحكم
۳۱۱	والتنفيذ
411	* هل تراجع على عبدالرازق عن قوله؟
۳۱۳	 العلمانيون الفاسدون المفسدون وزبالة أذهانهم
317	* محاولات تنحية الشريعة
٣١٧	* سقوط الخلافة في منظور العصرانيين
419	* حقيقة دعوتهم في الحكم
777	 * محمد سعيد العشماوي صاحب كتاب أصول الشريعة
٣٢٣	* فرج فودة
377	» حسن حنفي*
277	* سعيد العشماوي*

٣٣٠	» محمد عركون
۳۳۱	* ويُصرِّحُ بإنكاره لأصول الإسلام
فرويد	* ويدعو إلى قراءة القرآن قراءة نقديةً من خلال منظور «نيتشه و
٣٣٢	وماركس»
٣٣٣	* محمد عابد الجابري وإنكاره للوحي
777 «	* محمد فتحي عثمان صاحب كتاب «الفكر الإسلامي والتطور
	* هؤلاء في ميزان الإسلام:
٣٣٤	* محمد على باشا، مؤسس العلمانية بمصر
مها الأوربي	* عبدالرحمن الكواكبي، أول من نادي بفكرة العلمانية حسب مفهو
٣٣٤	الصريح
440	* ساطع الحصري، فيلسوف القومية العربية الزائفة
ومة	* طــه حسين، ومحو الهوية الإسلامية والتشكيك في القرآن والحك
٣٣٦	الإسلامية
٣٣٨	* «علىٰ هامش السيرة» تهكم صريح
٣٤٠	* موقف طه حسين العلماني من الشريعة الإسلامية
٣٤١	* توفيق الحكيم
٣٤١	* زكي نجيب محمود
٣٤٢	* زكي مبارك يشارك طه حسين في التشكيك في القرآن
٣٤٦	* محمد عبداللَّه عنان متطرف في تأييده لأتاتورك
۳٤٧	 * حسين فوزي من غلاة التابعين للحضارة الغربية
٣٤٧	* اليساري محمد مندور رئيس تحرير مجلة «الشرق» الشيوعية
٣٤٨	* نجيب محفوظ و «أولاد حارتنا»
٣٥٠	* أحمد لطفي السيد «أستاذ الجيل»!
ب نــور	* عبدالرزاق السنهوري، واضع القانسون الوضعي الذي حجم
401	الشريعة

401	* هذا القانون لا يمثل الشريعة الإسلامية بحالٍ من الأحوال
70	* كيف جُعلت الشريعة الإسلامية المصدر الثالث؟
٣٥٨	* دعوى موافقة القانون المدني للشريعة الإسلامية
	* العلماء الأوروبيون يقررون ألاَّ لقاء بين القانون الأوروبي
471	والإسلامي
478	* أحمد بهاء الدين الماركسي
470	* محمد أحمد خلف
479	* تغرید عنبر ثمرة مرة من شجرة الحنظل
٣٧٠	 شادق العظم من كبار منكري ثوابت الدين
٣٧٢	* صلاح جاهين الماركسي العلماني الكاره للإسلام
٣٧٣	* عبدالرحمن الشرقاوي ينسب القرآن إلى رسول اللَّه ﷺ
272	* اتجاه غير ديني
٣٧٤	* لماذا يقتطع جملة من الآية؟
٣٧٦	* الوحي في الغار كان مناميًا
٣٧٧	* نسبة القرآن إلى النبي ﷺ
٣٧٧	
٣٧٨	
٣٧٨	* أسرىٰ بدر
444	* إبطال التبني من النبي عَيَالِيةً
۳۸۱	* عبرة أُحد
۳۸۱	* تقسيم أموال بني النضير
٣٨٢	* معاني القرآن وأحكامه ينسبها للنبي ﷺ
٣٨٢	* أين ذّكر اللّه في الكتاب؟
۳۸۳	* القرآن من همهمة الرسول
۳۸٤	* نصر أبو زيد يزعم أن القرآن نص بشرى ومنتج ثقافي لا قداسة له

۳۸٥	* النبوة عند نصر أبو زيد
۳۸٦	* القرآن عنده خطاب تاريخي
۳۸۷	* رفضي الاحتكام لكتاب اللَّه
۳۸۷	* أحمد عبدالمعطي حجازي والتبجح العلماني
۳۸۸	* فرج فودة الزنديق القميئ
۳9٠	* إباحته الزنا
۳۹۱	* بعض زعماء وحكام المسلمين القائلين بفصل السياسة عن الدين
٣97	* مصطفى النحاس
۳۹۳	* صاحب «الكامب»
۳9٤	* القذافي ومدحه لأتاتورك
٣٩٥	 * وفرية أخرى: ادعاء النبوة
ة	* عدو رسول اللَّه عَلِي الوجه الكالح للعلمانية الرئيس التونسي بورق
۳۹۷	وتلامذته
۲۹۷ ٤٠٠	وتلامذته * العلمانية دجل وكذب
	* العلمانية دجل وكذب
٤٠٠ ٤٠١	 العلمانية دجل وكذب شوتمر الثقافة العربية بالقاهرة في ٣/ ٧/ ٢٠٠٣م
٤٠٠ ٤٠١	* العلمانية دجل وكذب
٠٠٠ ٢٠١ الإسلامي	 العلمانية دجل وكذب مؤتمر الثقافة العربية بالقاهرة في ٣/ ٧/ ٣٠٠٣م العفيف الأخضر التونسي، يدعو إلى حذف كلمة «الكفار» من الفقه ا
۰ ۰ ۶ ۲ ۰ ۱ لإسلامي ۳ ۰ ۲	* العلمانية دجل وكذب
٤٠٠ الإسلامي ٣٠٤	 العلمانية دجل وكذب مؤتمر الثقافة العربية بالقاهرة في ٣/٧/٣/٢م العفيف الأخضر التونسي، يدعو إلى حذف كلمة «الكفار» من الفقه او تحرير الوعي الإسلامي من قيمة «الحلال والحرام»
٤٠٠ الإسلامي ٤٠٤ ٤٠٤	* العلمانية دجل وكذب
٤٠٠ الإسلامي ٤٠٤ ٤٠٤	* العلمانية دجل وكذب
۴۰۰ کا الإسلامي ۴۰۲ ۴۰۶ ۴۰۶ ۴۰۶ ۴۰۶ ۴۰۶	* العلمانية دجل وكذب

223	شاكر الدين محسن، وتطاوله وسخريته من القرآن الكريم
244	* حيدر حيدر وروايته «وليمة أعشاب البحر»
244	* الشيطان إبراهيم خلاص
٤٣٤	* أدونيس عراب الحداثة الكاره للإسلام
277	* نزار قباني الزنديق، شاعر الإباحية، وتطاوله على الذات العلية والأنبياء
٤٣٨	* حسن طلب مسيلمة الكذاب وكتابه «آية الجيم»
٤٤٠	* الهيئة المصرية للكتاب تطبع قرآن مسيلمة الكذاب
233	* نفاق علماء السوء وخطبائه:
	* الشيخ محمد المهدي يُعرِّض برسول اللَّه عَلَيْ أمام السلطان، فيأمر الشيخ
233	محمد شاكر المصلين بإعادة الصلاة لكفر الإمام
११०	* أحمد حسن الزيات ينافق عبدالناصر
٤٥٧	* منكرو السنة من أكبر شانئي الرسول ﷺ
१०९	* السيد أحمد خان، دجال الهند
279	* جرانج علي عدو السنة
	* محبّ الحقّ عظيم آبادي وإنكاره للسنة
277	* القرآنيون وزعماؤُهم
٤٧٣	* عبداللَّه جكرالوي علَّاو السنة
٤٧٦	* أحمد الدين الأمرتسري
٤٧٨	* الحافظ أسلم جراجبوري
٤٧٩	* غلام أحمد برويز، عدو السنة اللدود
٤٨٤	* فرق القرِآنين المعاصرة
	* فرقة «أمَّت مسلم»
٤٨٥	
٥٨٤	* فرقة «طلوع إسلام»
۸۸٤	* فرقة «تعمير إنسانيت»

٤٨٨	* اراء القرانين:
٤٨٨	أولاً: موقفهم من السنة
٤٩٣	ثانيًا: موقفهم من القرآن وتفسيره
१९०	نظرية «نظام القرآن الاقتصادي»
	* آراء القرآنيين الاعتقادية
	١ ـ الشرك باللَّه
897	٢ ـ استواء الرحمن على العرش
897	٣-النبوات
٤٩٨	٤ ـ موقفهم من الحياة البرزخية
٤٩٨	٥ ـ موقفهم من الشفاعة
899	٦ ـ موقفهم من الجنة والنار
0 • •	* آراء القرآنيين التشريعية
0.1	في الصلاة
	في الزكاة
٥٠٣	في الصوم
	في الحدود
	في تعدد الزوجات
	في الميراث
٥٠٧	* منكرو السنة كليًّا من العرب
٥٠٧	* محمد توفيق صدقي
٥١٣	* محمود أبو رية عدو السنة
071	* أحمد زكي أبو شادي
070	* إسماعيل أدهم
770	* محمود أبو زيد الدمنهوري
077	* الكذاب المفتى: السيد صالح أبه بكر عده السنة

۰۲۸	* «الرد القويم على المجرم الأثيم» للشيخ حمود التويجري
۳۳	* صبحي منصور الدجال منكر السنة
۰٤٠	* كمال المهدوي الليبي منكر السنة
۲۲ ه	* وتبقى السنة، ويذهب منكروها إلى مزابل التاريخ
٠٤٤	* المنكرون للسنة جزئيًا
٠٤٤	* على درب الوالد سار الولد
٠٤٥	* الدكتور مصطفى محمود وإنكاره للشفاعة
۰٤٦	* العقيد معمَّر القذافي وإنكاره للسنة، ورد العلامة ابن باز عليه
۰۰۰	* وا إسلاماه
۳۵ ۰	* حسن الترابي السوداني، يرد السنة، وينحرف عن قواعد الدين
۰٦٠	* خليل عبدالكريم وكتابه الأسود «فترة التكوين»
۰۷۱	* هجوم أعمى تحت عباءة إسلامية
۰۸۰	* سلمان رشدي الدجال الهندي المرتد
۰۸۰	* النشأة والخلفية
۰۸۳	* عاصفة كان يمكن تفاديها
٥٨٨	* مقاطع شيطانية
٥٩٤	* الأمكنة والأشخاص
۰۹٦	* الألفاظ والتراكيب
099	* تزييف الحقائق واختلاق الأكاذيب
۳•٦	* النبي في غرفة نوم هند!
٦٠٩	* مفتريات على سلّمان الفارسي
717	* وماذا عن الماخور؟
٦١٤	* مفتريات حول موت النبي ﷺ
۱۱۷	* الدجال الهندي يسير على خطا الدجال اليوناني
٦١٧	* فيلم التجربة الشيطانية

171	* بين شيطانيات الهندي واليوناني
777	 * محاكمة سلمان رشدي والحكم بردته
۸۲۲	* جرائم الدجَّال سلمان رشدي
١٣١	* سلمان رشدي قزم مرتد لأنه:
جويدة» ٦٣٢	* رسالة إلى سلمان رشدي من الشاعر «فاروق -
٦٣٩	* الرد العلمي على قصة «الغرانيق»
ገደለ	
70.	» روايات القصة وعللها
٦٦٩	
٦٧١	» كلام الحافظ ابن حجر والرد عليه
٦٧٤	* خلاصة القول في قصة الغرانيق
٦٧٩	* سبب سجود المشركين مع النبي ﷺ
١٨٢	
١٨١	* كلام الفخر الرازي
٦٨١	-
١٨٢	•
ገለገ	
٦٩١	
٦٩١	• 1
٦٩٣	* علماء آخرون
٠٩٣	 * كلام العلامة أحمد شاكر
٦٩٤	* كلام العلامة محمد الأمين الشنقيطي
٧٠٤	-